

جغرافية السكان

أسس وتطبيقات

دكتور
فتحى محمد أبو عيانة

أستاذ الجغرافيا البشرية
وكيل كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الطبعة الرابعة
مزيدة ومنقحة

١٩٩٣

دار المعرفة الجامعية
٥٠ شارع ستوبنر - الأزاريطة
الاسكندرية

جغرافية السكان

أسس وتطبيقات

تصدير الطبعة الرابعة

هذه هي الطبعة الرابعة لكتاب جغرافية السكان - تحمل في ثناياها تغيرا جذريا في البناء والمحتوى والعرض ، فمن ناقله القول أن السكان أصبحوا يمثلون محور كثير من الدراسات الاجتماعية والانسانية بل أصبح الكثير من مشكلات الحياة المعاصرة في العالم شرقه وغربه ، شماله وجنوبه يرتبط ارتباطا مباشرا - أو غير مباشر - بالكتلة البشرية التي يموج بناها هذا العالم والتي قدر حجمها بنحو خمسة مليارات ونصف المليار نسمة سنة ١٩٩٢ ، وعندما يهل القرن الحادى والعشرون - باذن الله - يكون هذا الرقم قد ازداد مليارا آخر من السكان ، مع ما يحمله ذلك من تبعات واجهاد لهذا الكوكب وموارده .

وقد شهدت المكتبة السكانية تدفق سيل - من الكتابات والبحوث - في عقد الثمانينيات - كان من الضرورى أن يعكسها هذا الكتاب في ثوبه الجديد . وقد واكب هذا - وربما شجع عليه - ثورة المعلومات التي يحياها عالم اليوم - وكذا تقدم فنون الطباعة مما سهل عملية الاضافة الى الطبعة السابقة - أو الحذف منها مما يراه القارئ المدقق ان شاء المقارنة .

وقد شهدت الطبعة الرابعة من هذا الكتاب ثلاثة تغييرات جوهرية لعل أبرزها اضافة القسم الثانى الذى يضم بين جنباته دراسات وبحوث تطبيقية لمشكلات سكانية على مستوى العالم العربى - كله أو بعض أقطاره - أما التغيير الثانى فيتمثل فى تحديث بيانات الطبعة السابقة ورصد التغيرات التي اعترت مسار الكتلة السكانية ومكوناتها اقليميا وعالميا . ثم يأتى التغيير الثالث والذى يتمثل فى اضافة خرائط ورسوم بيانية - جساء بعضها ملونا - لبعض التوزيعات السكانية التي وردت بالكتاب .

ولست فى حاجة الى سرد محتوى الكتاب العلمى وعرض فصوله فذلك أمر يمكن الوقوف عليه من الفهرس ، بيد أننى أود الاشارة الى أن ماورد فى الكتاب من تحليل واطافة فى المتن أو فى الاشكال التوضيحية فى قسمى الكتاب انما جاء فى وقت تزداد فيه الحاجة الى تقديم المادة العلمية

بطريقة منظمة - وبأسلوب يشجع على القراءة والتعمق في ادراك جوانب
الظواهر السكانية ومقارنتها أفقيا ورأسيا .

وهنا - أجد لزاما على أن أتوجه بالشكر الجزيل الى مستحقيه - وهم
كثير على رأسهم الصديق الوفي محمد محمود فرحات اخصائى رسم
الخرائط - المشرف الادارى على وحدة الحاسب الالى بالكلية ، والى
السيد/صابر محمد عبد الكريم صاحب ومدير دار المعرفة الجامعية .

والله - أسأل - أن يهدينا الى سواء السبيل وهو المرفق والمستعان .

فتحي محمد أبو عيانة

الاسكندرية في ٢٦/١٠/١٩٩٢

تصدير الطبعة الثانية

من المعروف أن عالم اليوم يمر في مرحلة تزايد سكاني كبير لم يسبق أن مر بها في تاريخه من قبل ، ولذا فإن مشكلة السكان منذ أن بدأت ارهاصات الحديث عنها في عهد «توماس مالثوس» في أواخر القرن الثامن عشر. لم تحظ باهتمام كبير اقليميا وعالميا في أي عصر من عصور البشرية كما تحظى به في الوقت الحاضر .

وقد أصبحت المجتمعات تناضل في سبيل حفظ التوازن بين أعداد سكانها ومواردها المتاحة، في ضوء استمرار تضخم حجم السكان في المستقبل بدرجة قد يصعب على هذا الجيل أن يتصورها أحيانا ، ليس في المدى البعيد فحسب - بل حتى بعد عدة عقود فقط . كما أن الكثير من الأقاليم النامية - ان لم يكن كلها - سيتضاعف حجم سكانها الحالي في مطلع القرن الحادى والعشرين بدرجة ستنوء معها موارد هذه الأقاليم عن الوفاء بالمتطلبات الاساسية لهذه الاعداد في ظل ما هو معروف عن هذه الموارد في الوقت الحاضر .

وقد كانت هذه المعضلة السكانية مدعاة للكثير من الاهتمام العلمى في السنوات الاخيرة ، وشهدت تدفق كثير من الدراسات والبحوث والمؤتمرات المتخصصة بقصد تحليل تطور النمو السكانى ومكوناته ونتائجه المتعددة، وقد نشطت بعض المعاهد العلمية ومراكز الابحاث المحلية والعالمية في ذلك الميدان - وأثمرت كل هذه الجهود وماتزال في اثناء المكتبة السكانية بالكثير من الكتب العامة والابحاث النوعية عن بعض جوانب السكان وتحليلها احصائيا واجتماعيا وبيئيا بغية الوصول الى أحكام سليمة عن ايقاع النمو السكانى ومكوناته ومؤثراته على المستويين الاقليمى والعالمى .

وقد واكب علم الجغرافيا هذه الدراسات السكانية وأصبحت جغرافية السكان من فروعه الهامة التى تعنى بالتحليل البيئى المقارن للظواهرات الديموغرافية مثل توزيع السكان وعوامله والنمو الطبيعى ومكوناته والهجرة وأنواعها ونتائجها ، ثم التركيب السكانى بعناصره المختلفة، كل ذلك فى اطار بيئى يأخذ فى الاعتبار أوجه التشابه والتباين بين البيئات

المختلفة وتأثير الظاهرة الديموغرافية وتأثرها بظروفها الجغرافية السائدة ،
وذلك أملا في الوصول الى فهم دقيق لمكونات هذه الظاهرة وتقويم نتائجها
المتعددة في الزمان والمكان .

ورغم أن المكتبة العربية تحوى كتباً عن جغرافية السكان أسهم بها
أساتذة رواد في هذا المجال ، فقد يكون من المفيد الاسهام في ذلك بكتاب
آخر يحوى منهجاً معقولاً لدراسة جغرافية السكان معتمداً بقدر ما على
أسلوب احصائي مبسط ودون تعقيد قد يحجب الحقيقة عن القارئ أحياناً .

ولما كانت جغرافية السكان من العلوم الحيوية التي تشهد جوانب تغير
مستمرة سواء في مادتها أو حتى في منهج دراستها ، فقد حرصت على أن
يشمل هذا الكتاب في طبعته الثانية بعض مظاهر هذا التغير خاصة في
الانطار الكمي ، ولذلك فقد احتوت هذه الطبعة تنقيحاً في المادة العلمية
وتحديثاً في البيانات الديموغرافية وتحليلاً لبعض هذه البيانات خاصة في
مجال التوزيع السكاني ومكونات النمو الطبيعي .

كذلك فقد أضفت لهذا الكتاب فصلين أحدهما عن بعض أساليب التوزيع
السكاني والعلاقات المكانية ، والاخر عن بعض النظريات السكانية وذلك
حتى يمكن الاسهام في متابعة الفكر السكاني وتطوره ومدى ارتباطه
بمستويات التنمية والتقدم في المجتمعات المختلفة .

ويحوى هذا الكتاب في طبعته الثانية خمسة أبواب تضم سبعة عشر
فصلاً ، ويتناول الباب الاول توزيع السكان في العالم : أنماطه وعوامله
المختلفة ، أما الباب الثاني فيدرس نمو السكان الطبيعي بعنصره الخصوبة
والوفيات ثم يحلل منحنى هذا النمو ومؤثراته ودوراته .

ويتطرق الباب الثالث الى دراسة الهجرات السكانية الدولية والداخلية
ويتناول بعض أساليب القياس الاحصائي للهجرة والاسباب الكامنة والنتائج
المنترتبة على هذه الظاهرة .

ويدرس الباب الرابع أنماط التركيب السكاني خاصة التركيب العمري
النوعى ، ثم التركيب الاقتصادي وبعض أنماط التراكيب الاخرى مثل
التركيب العرقي والدينى واللغوى وغير ذلك ، ويدلف الى دراسة الخصائص
الديموغرافية لسكان المدن على اعتبار أن مراكز العمران الحضري تجمع
بين ظهرانيتها مجتمعا ذا سمات مميزة .

ويتعرض الباب الخامس - بايجاز للعلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية في محاولة لتحديد أوجه العلاقة وتقويمها - منتهيا الى محاولة تقسيم العالم الى اقاليم سكانية اقتصادية لكل منها خصائصه البارزة ، ثم يختتم بدراسة عن بعض النظريات السكانية في العصر الحديث .

وقد حرصت على تزويد الكتاب بالخرائط والرسوم البيانية حتى يمكن متابعة الحقائق الواردة في متن الفصول ، ولا ادعى أن الكتاب مكتمل دون نقائص ، فليس في وسع باحث مهما أوتى من قدرة أن يحقق الكمال - الذي هو لله وحده ، ولكنها محاولة قد تفيد المهتمين بهذه الدراسة أرجو من خلالها أن أكون قد وفقت .

والله الموفق والمستعان

فتحي أبو عيانة

• الطبعة الاولى في ١٩٧٧/١١/١

• الطبعة الثانية في ١٩٨٠/١١/١

المحتويات

٥	تصدير الطبعة الرابعة
٧	تصدير الطبعة الثانية

القسم الأول

أسس جغرافية السكان

١٩	مقدمة
١٩	لماذا ندرس السكان ؟ وماهى مصادر الدراسة
٢٢	ماهو مفهوم جغرافية السكان
٢٣	العلاقة بين جغرافية السكان والديموغرافيا
٢٦	مصادر دراسة السكان
٣٣	تقويم مصادر الدراسة السكانية

الباب الاول

توزيع السكان - أنماطه وعوامله

٣٧	الفصل الاول : أساليب التوزيع السكاني
٣٩	مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم
٤٣	قياس العلاقات السكانية - المكانية
٤٤	منحنى لورنز
٤٦	تطبيق على مدينة الاسكندرية
٤٧	حساب القرب النسبى أو الثقل السكانى الكمى
٤٩	النزعة المركزية لتوزيع السكان
٥١	الفصل الثانى : أنماط التوزيع السكانى فى العالم
٥٥	أقاليم التوزيع السكانى المبعثر
٥٩	أقاليم التوزيع السكانى الكثيف

٦٠	توزيع السكان في أوروبا ...
٦٤	توزيع السكان في أمريكا الشمالية ...
٦٦	توزيع السكان في آسيا ...
٧٠	توزيع السكان في أفريقيا ...
٧١	توزيع السكان في أمريكا الجنوبية ...
٧٣	الفصل الثالث : توزيع السكان ...
٧٤	المؤثرات الطبيعية ...
٨٦	المؤثرات الاقتصادية ...
٩٨	المؤثرات التاريخية والسياسية ...

الباب الثاني

نمو السكان

١٠٣	الفصل الرابع : خصوبة السكان ...
١٠٤	مقاييس الخصوبة ...
١١٤	التوزيع الجغرافي للخصوبة في العالم ...
١١٦	الخصوبة في الدول النامية ...
١٣٤	الخصوبة في الدول المتقدمة ...
١٤١	أهم العوامل المؤثرة في خصوبة السكان ...
١٤٧	الفصل الخامس : الوفيات ...
١٤٨	مقاييس الوفاة ...
١٥٥	اتجاه الوفيات وتطورها ...
١٥٨	تطور وفيات الرضع ...
١٦٤	أسباب الوفيات ...
١٦٦	أمد الحياة ...
١٧١	الفصل السادس : النمو الطبيعي للسكان ...
١٧٢	تطور النمو السكاني في العالم ...
١٧٦	الضوابط البيئية للنمو السكاني ...
١٨٢	عوامل النمو السكاني في العصر الحديث ...
١٨٨	مراحل النمو السكاني ...
١٩٣	مستقبل النمو السكاني في العالم ...

الباب الثالث الهجرات السكانية

٢٠١	مقدمة
٢٠٢	الهجرة الدولية
٢٠٤	الهجرات الاجبارية وتبادل السكان
٢٠٧	الفصل السابع : الهجرة الدولية الاوربية
٢٠٩	الهجرة الاوربية فيما وراء البحار
٢١٢	الهجرة الاوربية بعد الحرب العالمية الثانية
٢٢٣	الهجرة الدولية داخل قارة أوروبا
٢٢٦	هجرة شعوب البحر المتوسط
٢٣٣	الفصل الثامن : الهجرة الاسيوية والافريقية
٢٣٣	الهجرة الاسيوية
٢٤٤	الهجرة الافريقية
٢٥١	الفصل التاسع : الهجرة الداخلية
٢٥٢	مقاييس الهجرة الداخلية
٢٥٣	طرق تقدير حجم الهجرة الداخلية
٢٥٨	تيارات الهجرة الداخلية
٢٦٥	خصائص تيارات الهجرة
٢٦٩	الفصل العاشر : أسباب الهجرة ونتائجها
٢٦٩	أسباب الهجرة
٢٧٥	نتائج الهجرة

الباب الرابع أنماط التركيب السكاني

٢٨٩	مقدمة
٢٩١	الفصل الحادى عشر : التركيب العمرى والنوعى للسكان
٢٩١	التركيب العمرى
٢٩٧	العمر الوسيط للسكان
٢٩٨	نسبة الاعالة
٣٠١	التركيب النوعى

٣٨٨	النمط الاوربي
٣٨٩	النمط البرازيلى
٣٩١	النمط المصرى
٣٩٤	النمط القطبى الصحراوى
٣٩٧	الفصل السابع عشر : بعض النظريات السكانية
٣٩٧	نظرية مالثوس
٤٠١	النظريات السكانية منذ مالثوس
٤٠٦	بعض النظريات الاجتماعية فى نمو السكان

القسم الثانى

تطبيقات سكانية

مشكلات السكان فى الوطن العربى

٤١٣	الفصل الاول : نظرة شاملة
٤١٥	أوجه التشابه والاختلاف
٤٢٠	أبرز المشكلات السكانية فى الوطن العربى
٤٢٩	الفصل الثانى : حجم وتوزيع السكان
٤٣١	حجم السكان
٤٣٥	كثافة السكان
٤٣٩	الفصل الثالث : النمو السكانى
٤٤٢	مكونات النمو الطبيعى للسكان
٤٤٤	الخصوبة (المواليد)
٤٤٦	الوفيات
٤٤٩	أمد الحياة
٤٥١	الفصل الرابع : الهجرة
٤٥٢	الهجرة الدولية
٤٦٥	الفصل الخامس : تركيب السكان
٤٦٥	التركيب العمرى
٤٦٨	التركيب النوعى
٤٧٠	الحالة التعليمية
٤٧٣	التركيب الاقتصادى
٤٧٥	نصيب الفرد من الناتج القومى

٤٧٩	الفصل السادس : التحضر ومشكلاته
٤٧٩	نظرة تاريخية
٤٧٩	المدن العربية في العصور الوسطى
٤٨٠	توزيع المدن في العصر العربي
٤٨٣	المدن العربية الحديثة
٤٨٥	مستوى التحضر في الوطن العربي
٤٨٧	تعريف المدينة في الاقطار العربية
٤٩٣	الفصل السابع : بعض الجوانب الديموغرافية للنمو السكاني في مصر
٤٩٣	ايقاع النمو ومكوناته
٥٠٠	العوامل الكامنة
٥٠٧	الفصل الثامن : سكان تونس
٥٠٧	مقدمة
٥٠٩	بيانات السكان
٥١٠	نمو السكان
٥١٧	توزيع السكان
٥٢٧	الهجرة
٥٣٣	بعض مظاهر تركيب السكان
٥٤١	الفصل التاسع : التحركات السكانية والمرأة العربية، رؤية اقليمية
٥٤٢	حجم الهجرة العربية الدولية
٥٤٤	تيارات الهجرة الدولية في الوطن العربي
٥٦٥	الفصل العاشر : الابعاد الديموغرافية لمشكلة البطالة في العالم العربي
٥٦٨	مستويات البطالة في العالم العربي
٥٩٧	المراجع والمصادر العربية
٦٠١	المراجع والمصادر الاقليمية

القسم الأول

أسس جغرافية السكان

مقدمة

لماذا ندرس السكان ؟ وماهى مصادر الدراسة ؟

من الحقائق الهامة فى العلوم الانسانية أن السكان هم المحور الرئيسى الذى تدور حوله وتنبع منه كثير من الدراسات فى شتى المجالات، ولاجدال فى أن عالم اليوم يعيش مرحلة تزايد سكانى كبير لم يسبق أن مر بها فى تاريخه من قبل ، فقد وصل عدد سكان العالم الى ٥٣٨٠ مليون نسمة سنة ١٩٩١ ويزيد سنويا بمعدل يصل الى نحو ٩٠ مليون نسمة ، وسوف يتضاعف عدد سكان العالم بعد حوالى ٤٠ سنة فقط .

ومن هنا تصبح دراسة السكان ذات أهمية قصوى حيث تتأثر حياة المجتمعات بعضها ببعض وترتبط الظواهر السكانية فى معظم أقطار العالم ان لم يكن كلها ، بالسياسات الاقليمية والدولية التى تتشابك فى نهاية الامر لتكون صورة عالمية ذات علاقات متبادلة بين أجزائها ، ولذلك فان معرفة الحقائق السكانية تعد أساسا هاما لفهم الكثير من المتغيرات الدولية - بل لاغنى عنها لطالب الدراسات الاجتماعية .

ويبدأ دارس علم السكان بثلاثة أسئلة رئيسية تكون فى الواقع مجال الدراسة واطارها العام ، وهى :

١ - كم عدد السكان الذين يعيشون فى منطقة محددة ويكونون مجتمعاً ذا صفات مميزة ؟

وماهى التغيرات التى تطرأ على هذا الحجم السكانى وتؤثر فيه بالزيادة أو النقصان ؟ ويقصد بها المواليد والوفيات والهجرة .

٢ - مانوع السكان الذين تضمهم المجموعة السكانية وماهى مظاهر اختلافهم عن غيرهم من المجموعات الاخرى ، وبالتالى ماهى خصائصهم السكانية الكمية - ويقصد بذلك كله تركيب السكان وتقسيمهم حسب فئات طبيعية أو مكتسبة (التركيب العمرى - والنوعى - والاقتصادى - والعرقى - واللغوى ... الخ) .

٣ - كيف يتوزع السكان في المنطقة التي يعيشون بها ؟ وما هي العوامل والتغيرات المرتبطة بهذا التوزيع ؟

وتكمن أهمية دراسة حجم السكان ومكوناته ليس فقط في محاولة معرفة العدد الحالي ونموه في الفترات السابقة بل وفي تحديد التزايد السكاني في المستقبل وبالتالي تقدير عدد السكان في سنوات مقبلة ، ولذلك أهمية كبرى للمخططين في الدولة والذين يضعون خطط التنمية المتعددة الجوانب وفق حجم السكان في السنوات المعنية .

وفي محاولة لتعليل التغيرات السكانية ومكونات النمو في المستقبل يسعى الباحث في مجال السكان (الديموغرافي) الى معرفة أسبابها ، وهذه المكونات ثلاث : المواليد (الخصوبة) والوفيات والهجرة ، وهي تتأثر بالعديد من العوامل المتشابهة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، ومحاولة فهم هذه التغيرات تعين على فهم احتمالات التزايد أو التناقص في المستقبل وبالتالي الوصول الى حجم تقريبي للسكان في سنوات مقبلة .

أما التركيب السكاني فيعنى ببساطة جميع الخصائص السكانية التي يمكن قياسها رقميا مثل نسبة الصغار أو الكبار أو نسبة القادرين على العمل أو نسبة الامية في المجتمع وغير ذلك .

ويعد تركيب السكان حسب العمر والنوع أكثر أنواع التركيب تداولاً في دراسة السكان حيث تنسب اليه الكثير من العمليات الديموغرافية (السكانية) الاخرى في مجال المواليد أو الوفيات أو الهجرة .

ومن الخصائص السكانية الهامة الاخرى في مجال التركيب السكاني نمط المعيشة الممثلة في الموطن الريفي أو الحضري ثم الحالة الزوجية والمهنة والتعليم والدين واللغة ولكل واحدة من هذه الخصائص ارتباط بعدد المواليد والوفيات في منطقة معينة وكذا بعدد من يهاجرون الى المنطقة ومن ينزحون عنها ، فدارس السكان لا يدرس فقط التركيب السكاني في وقت معين فحسب بل ويتناول أيضا التغيرات التي تحدث في التركيب وأسباب هذه التغيرات وتأثيرها على حياة المجتمع ، ولاريب في أن التركيب الديموغرافي لشعب من الشعوب يؤثر في بقية العمليات الديموغرافية - وهذه بدورها تؤثر في هذا الشعب عن طريق التجديد المستمر للأجيال المتعاقبة حسب السن والنوع .

أما السؤال الثالث، وهو أين يتوزع السكان ؟ فيهتم بامرئين : العدد -

والمكان ، وقد يتحدد المكان بمنطقة صغيرة مثل القسرية أو الشياخة أو المدينة أو المحافظة أو القطر أو حتى القارة بأكملها ، فحين ننظر الى التوزيع الداخلى لشعب مثل الشعب المصرى - تبرز عدة أسئلة مثل : تم من المصريين يعيشون فى الريف ، وكم منهم فى الحضر ، وكم يعيشون فى الوادى - والدلتا والصحراء - وماهى عوامل تغير التوزيع فى السنوات الاخيرة - وماهى استراتيجية اعادة توزيع السكان فى المستقبل - سواء فى الحضر أو الريف أو الصحراء - ويهم الباحث باستمرار الوقوف على أسباب التوزيع ومؤثراته وماهى معدلات النمو العددى للسكان - ثم فى النهاية ماهى النتائج التى تترتب على اعادة التوزيع سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية .

ولكى نقف على اجابات كل الامئلة السابقة فلا مناص من دراسة حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم ، وأن نفهم ديناميكية النمو والوفاة والهجرة وأن نبحت المغزى الاجتماعى الذى تنطوى عليه كل هذه العمليات الديموغرافية بالنسبة لحياة الانسان والمجتمع .

وجدير بالذكر أن دراسة السكان تعتمد أساسا على الارقام المستقاة من مصادرها المختلفة ، الا أن الرقم بذاته ليس ذا معنى ويجب ربطه بأرقام أخرى فاذا قلنا مثلا أن سكان مصر سنة ١٩٨٦ هو ٥٠ مليون نسمة فان هذا الرقم لا يكتسب معنى الا اذا قارناه بمثيله سنة ١٩٦٦ (٣٠ مليون) أو سنة ١٩٦٠ (٢٦ مليون) أو فى سنة ١٩٤٧ (١٩ مليون نسمة) ومن هنا يجب أن نعى فى ذاكرتنا أرقاما رئيسية معينة لانها تضى معنى على أرقام أخرى ، ومن أمثلة الارقام الرئيسية التى من هذا القبيل نسبة سكان الحضر ، ومعدل المواليد ومعدل الوفيات وهكذا . وبالإضافة الى ذلك ينبغى أن يكون الباحث فى مجال السكان على دراية ببعض المصادر الرئيسية التى يستطيع أن يجد فيها بسرعة أبرز الحقائق السكانية التى يحتاج اليها .

وتعرف الدراسة العلمية للسكان باسم علم الديموغرافيا Demography أو علم السكان ، وهى كلمة تتكون من مقطعين اغريقيين هما Demos وتعنى شعب أو سكان و graphia وتعنى وصف، وبذلك يكون معنى الكلمة باكملها وصف السكان والكتابة عنهم ، وأبسط تعريف للديموغرافيا أنها علم احصائى يهتم بدراسة حجم وتوزيع وتركيب السكان ومكونات التغير الافقى والرأسى فى هذه العناصر الثلاثة مثل المواليد والوفيات والهجرة ثم التغير الاجتماعى للفرد فى المجتمع بصوره المتعددة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا .

ما هو مفهوم جغرافية السكان ؟

جغرافية السكان فرع حديث من فروع الجغرافيا البشرية التي تدرس العلاقات المتعددة القائمة بين الانسان وبيئته ، والسكان هم المحور الرئيسى انذى تدور حوله ومن خلاله كثير من العلوم فى شتى المجالات سواء كانت علوما انسانية أو تطبيقية .

وقد شهدت السنوات الاخيرة تزايدا كبيرا فى الكتابات حول جغرافية السكان والمشكلات المرتبطة بها ، وذلك كانعكاس للاهتمام الذى لقيه هذا العلم الاجتماعى على يد كثير من الباحثين المعاصرين ، وأبرز هؤلاء تريوارتا (Trewartha) الذى أمارت اللثام فى خطابه الذى ألقاه أمام اتحاد الجغرافيين الامريكيين فى عام ١٩٥٣ عن مغزى جغرافية السكان ومحتواها رعنذ ذلك التاريخ فان ماكتب عن هذا العلم قد تزايد كما ونوعا وبدأ يأخذ طريقه فى منهج مستقل فى أقسام الجغرافيا كفرع من فروعها البشرية الهامة .

وقد أوضح تريوارتا فى تعريفه لجغرافية السكان أن مضمونها يتركز فى فهم التباينات الاقليمية فى الغطاء السكانى للارض ، ويشمل ذلك دراسة العوامل المؤثرة فى هذا الغطاء بهدف الوصول الى هذا الفهم ، وهناك باحث أمريكى مرموق آخر فى جغرافية السكان هو زيلنسكى Zelinsky يعرف هذا العلم بأنه «العلم الذى يدرس أساليب تكون الشخصية الجغرافية للسكنة وانعكاسها على مجموعة الظاهرات السكانية التى تتباين فى الزمان وانسان ، كما أنها تتبع قوانينها السلوكية متفاعلة الواحدة مع الاخرى ومع الظاهرات الديموغرافية المتعددة»(١) ، ويحدد زيلنسكى ثلاثة أنماط من الاهتمامات فى ترتيب تصاعدى حسب أهميتها : الوصف المبسط لموقع الاعداد والخصائص السكانية (أى أين توجد ؟) ، ثم تفسير الاختلافات المكانية لهذه الاعداد والخصائص (أى لماذا توجد ؟) ، ثم التحليل الجغرافى للظاهرات السكانية (العلاقات المتبادلة بين الاختلافات المكانية للسكان مع باقى العناصر الجغرافية لهذا المكان)(٢) .

وتحدد السيدة بيجو - جارنيير (Madame Beaujeu Garnier) - وهى

-
- (1) Zelinsky, W. A Prologue to Population Geography. Prentice. Hall Internationai, Inc., London, 1970, p. 5.
 - (2) Ibid., pp. 5-6.

باحثة جغرافية فرنسية - مهمة الجغرافي السكاني في بحث الحقائق الديموغرافيا في بيئتها الحالية ودراسة الاسباب وخصائصها الاصلية ونتائجها المترتبة عليها ، وتبين هي الاخرى ثلاثة مستويات من المشكلات تتضمن توزيع السكان على سطح الارض ، وتطور المجتمعات البشرية ثم درجة النجاح والتقدم الذي حققته (1) . كذلك يذكر كلارك (Clarke) أحد الجغرافيين الانجليز أن جغرافية السكان تهتم بتحليل الاختلافات المكانية في التوزيع والتركيب والهجرات والنمو السكاني وعلاقتها بتباين الخصائص البيئية ، ويميز «كلارك» بذلك بين جغرافية السكان والديموغرافيا Demography في أن الاولى تهتم بفهم التباين في المتغيرات الديموغرافية وعلاقتها بباقي المتغيرات المرتبطة بها ، والتميز الثاني بينهما يكمن فيما ذكره من أن الديموغرافي يكرس جهده للارقام ويعتمد بالدرجة الاولى على الاساليب الاحصائية بينما الجغرافي السكاني يربط الارقام بالاماكن ويعتمد على الخرائط (2) .

وبإيجاز فان العامل المشترك في آراء الباحثين عن جغرافية السكان هو التباين المكاني وذلك ابتداء من المشاهدة وتجليد أنماط التوزيعات المكانية حتى محاولات حل مشكلات العلاقات الثابتة بين المتغيرات المتعددة التي تفسر قدرة السكان على التغيير والتخير .

وفي ضوء مجالات الدراسة السكانية في البيئات المختلفة فانه يمكن تعريف جغرافية السكان بأنها «ذلك الفرع من الجغرافيا البشرية الذي يعالج الاختلافات المكانية للخصائص الديموغرافية للمجتمعات السكانية ويدرس النتائج الاقتصادية الاجتماعية الناجمة عن التفاعل المرتبط بينها وبين الظروف الجغرافية القائمة في وحدة مساحية معينة» . وبالإضافة الى ذلك فان جغرافية السكان بخلاف بعض الفروع الاخرى تعد أكثر حساسية للبعد الزمني ، فتأثير الزمن يعد ذا أهمية كبيرة في دراسة تطور الجوانب السكانية المختلفة في وقت محدد أو على امتداد فترة زمنية معينة .

العلاقة بين جغرافية السكان والديموغرافيا :

تتناول الدراسة الجغرافية للسكان ثلاثة جوانب رئيسية هي نمو السكان ، وتوزيع السكان على سطح الارض ، ثم تركيب السكان بعد ذلك ،

- (1) Beaujeu - Garnier, J. (Mme) Geography of Population Translated by Beaver, S. H., Longmans, London, 1968, pp. 3-4.
- (2) Clarke, J., Population Geography, Pergamon Press, London, 1969, p. 5.

والاساس في هذه الدراسة هو العلاقات المكانية التي تميز جغرافية السكان عن الديموغرافيا ذلك العلم الذي يتناول السكان رقميا كموضوع مستقل عن البيئة ، ففي الوقت الذي يهتم فيه الديموغرافي بالارقام ويعتمد اساسا على الطرق الرياضية والاحصائية فان الباحث في جغرافية السكان يربط هذه الارقام بالبيئة الجغرافية ويعتمد في تحليله على الخرائط المتعددة .

على ان مجالات البحث لكل من العسلمين : الجغرافيا السكانية والديموغرافيا - لاتعنى فصلا تاما بينهما ، بل ان هناك علاقة تكاملية بين العلمين في الواقع ، حيث يتناول كل منهما الظاهرة السكانية الواحدة من جوانب مختلفة، فالديموغرافيا تتناول الجانب الرقمي والجغرافيا الجانب التحليلي بغية تحديد الاطار المكاني الصحيح وتوضيح مختلف العوامل التي تحكم علاقات السكان ببيئتهم داخل حدود هذا الاطار .

وازاء ذلك فان جغرافية السكان بمفهومها الحديث لاتستطيع ان تتغافل دور الديموغرافيا ذلك لان العلاقة بينهما متبادلة في الواقع، وتقوم الطرق الرياضية والاحصائية بدور الوسيط بينهما ، ومن هنا فان الفصل بينهما يعد امرا صعبا من ناحية ولايساعد على مواكبة جغرافية السكان لركب التطور العلمى الحديث من ناحية اخرى، ذلك لان معظم الجغرافيين يدركون مدى الاهمية والعلاقة بين البحث الديموغرافي والجغرافي ، وقد ظهر هذا الاتجاه جليا في السنوات الاخيرة عندما بدأ الجغرافي يوسع رؤيته للعلاقات المختلفة بحثا عن اجابات لحركة السكان داخل الاقليم وعوامل هذه الحركة معتمدا على التحليل الرقمي كاساس وقاعدة .

ومن أبرز ملامح الارتباط الديموغرافي - الجغرافي - أو الديموجغرافي - دراسة التطور السكاني والعوامل الرئيسية التي أسهمت فيه ثم تحديد مراحل هذا النمو وارتباطها بالظروف الجغرافية السائدة التي تؤثر في توزيع السكان تركزا وتشتتا عمريا واقتصاديا في اطار جغرافي ذي صفات بشرية وطبيعية محددة ، وتعد دراسة الهجرة السكانية وفودا أو نزوحا من أبرز ملامح الارتباط العضوي بين العلمين : الديموغرافيا والجغرافيا ذلك لان الهجرة ظاهرة ديموغرافية تتحكم فيها مجموعة من العوامل التي تتطلب في تحليلها اساسا احصائيا وفي تحليلها اساسا جغرافيا تفسر من خلاله أسباب الوفود ودوافع النزوح الكامنة فيها .

كذلك فان من مظاهر الارتباط بين هذين العلمين دراسة مستقبل السكان وتخطيط مواردهم ، ويعد الجغرافي في الواقع أقدر الباحثين في

مجال التخطيط على تحديد اتجاه النمو السكاني داخل رقعة الاقليم معتمدا في ذلك على دراسة الظروف المحيية التي تؤدي الى توفر عوامل الجذب والطرء في حركة السكان وتطورها على مستوى الوحدات الصغرى داخل الاقليم ، ولقد حدا ذلك الارتباط القوي ببعض الباحثين الى أن يطلق على جغرافية السكان الجغرافية الديموغرافية Demographic Geography (١) - أو الديموجغرافيا بمعنى آخر .

ويبدو أن المستقبل سيحمل بين طياته تزايد الاهتمام بدراسة حركة السكان وعواملها لما لذلك من أهمية كبرى في التخطيط الاقليمي والعمراني ، ويقود ذلك تلقائيا الى القول بأن الاهتمام بالكم في جغرافية السكان سيتزايد في المستقبل حيث يعالج الاختلافات المكانية لتوزيع السكان في اطار زمني محدد .

وباختصار فانه يبدو أن جغرافية السكان ستحاول أن تحدد ملامح الظاهرات السكانية وأثرها في احداث تغير ما في زمن ما وفي مكان ما اعتمادا على تحليل البيانات السكانية المتاحة بأسلوب كمي Quantitative أكثر تطورا وفهما لحقائق الارقام بغية الوصول الى فهم حقيقي للغلاف السكاني على رقعة الارض ومكونات هذا الغلاف واحتمالات تزايديه في المستقبل وعلاقته بالموارد المختلفة .

(1) Ackerman, E. A; Geography and Demography, The Study of Population, edited by Hauser, P. M. and Duncan O. D., Chicago, 1959 pp. 717-727.

مصادر دراسة السكان :

تعتمد الدراسات السكانية على مجموعة من المصادر الاحصائية المختلفة ، ذلك لانها تتناول دراسة احوال السكان في وقت معين بما في ذلك توزيعهم الجغرافي وتركيبهم المتعدد الجوانب ، كذلك تدرس حركة السكان الطبيعية وغير الطبيعية وما ينتج عنها من زيادة أو نقصان في حجم السكان .

ويمكن تقسيم مصادر دراسة السكان الى مجموعتين رئيسيتين هما :

١ - مصادر البيانات الثابتة :

وهي التي تدرس توزيع السكان وتركيبهم في تاريخ محدد وتمثلها التعدادات والمسح بالعينة .

٢ - مصادر البيانات غير الثابتة :

وهي التي تدرس حركة السكان في المجتمع مثل سجلات المواليد والوفيات وحالات الزواج والطلاق وسجلات الهجرة .

أولا - مصادر البيانات الثابتة :

١ - التعداد Census :

تعد التعدادات السكانية المصدر الرئيسي في جميع دول العالم لدراسة توزيع السكان وتركيبهم في تاريخ محدد وفي منطقة محددة ، وبالرغم من أن نظام التعداد قد عرف في الأزمنة القديمة كما كان الحال في مصر الفرعونية والدولة الرومانية ، إلا أن أقدم تعداد في العصر الحديث قد أخذ في اسكتلندا وبعض الولايات الايطالية والالمانية خلال القرن الثامن عشر ، فقد أخذ أول تعداد في ايسلندا سنة ١٧٠٣ والسويد سنة ١٧٤٩ وسكسونيا وهانوفر سنة ١٧٤٤ والنرويج سنة ١٧٦٠ والدنمرك في سنة ١٧٦٩ واسبانيا سنة ١٧٨٧ ، وفي الولايات المتحدة الامريكية أخذ أول تعداد سنة ١٧٩٠ بالرغم من أن هناك بعض ولايات أخرى قد سبقته في تعداداتها هذا التاريخ ، وفي سنة ١٨٠١ أخذت بريطانيا وفرنسا أول تعداداتها ، وقد تبع ذلك وخلال القرن التاسع عشر كل الدول الاوربية في فترات زمنية دورية محددة ، وفي مصر أخذ أول تعداد شامل في سنة ١٨٨٢ وان كانت قد سبقته عدة محاولات لتقدير السكان بها بل ان هذا التعداد ذاته يدور حوله الكثير

من الجدل مما يجعله تقديرا أكثر منه تعدادا ، وفي خلال القرن العشرين وخاصة منذ الحرب العالمية الاولى ازداد عدد الدول التى أخذت بنظام التعداد السكانى حتى أصبح يغطى معظم دول العالم فى الوقت الحاضر .

تعريف التعداد : يمكن تعريف تعداد السكان بأنه «العملية الكلية لجمع وتجهيز وتقويم وتحليل ونشر البيانات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بكل الافراد فى قطر أو جزء محدد المعالم من قطر وفى زمن معين»(١) .

والتعداد الشامل للسكان ينبغى أن تتوفر به عدة خصائص على العدى الفردى ، والشمول داخل منطقة جغرافية محددة واللتية ، ثم أن يتم اجراؤه فى فترات دورية محددة ، والمد الفردى يعنى أن يعد كل فرد على حدة وأن تسجل خصائص الفرد منفصلة عن غيره من الافراد وذلك حتى يمكن تصنيف السكان فيما بعد حسب هذه الخصائص مثل التصنيف حسب العمر والحالة التعليمية والنشاط الاقتصادى وغير ذلك تصنيفا متقاطعا فى جداول التعداد النهائية .

أما الشمول داخل منطقة محددة فيعنى أن التعداد ينبغى أن يشمل منطقة محددة بدقة مثل قطر بأكمله أو وحدات ادارية محددة داخل هذا التطر على أن يشمل العد كل الافراد داخل هذه الوحدات ، واللتية تعنى أن كل شخص يشمله التعداد يجب أن يعد فى وقت أقرب مايمكن الى نفس اللحظة الزمنية المعينة التى يجب أن تحدد جيدا ، كما يجب أن تستند البيانات التى تم جمعها الى فترة زمنية معرفة تعريفا دقيقا كان تكون فى يوم محدد يختار بعناية داخل الدولة أو المكان وتكون حركة السكان خلاله أقل مايمكن حتى تعبر البيانات عن توزيع السكان بدقة .

وتعنى الدورية المحددة فى التعدادات أنها يجب أن تجرى على فترات منتظمة حتى تتاح المعلومات القابلة للمقارنة فى تتابع زمنى معين يمكن من خلاله مقارنة الحاضر بالماضى وكذلك تقدير المستقبل على أساس هذا التطور .

وتختلف الدول فى تعداداتها السكانية فى بعض الوجوه مثل الفترة

(١) الامم المتحدة : المكتب الاحصائى - مبادئ وتوصيات لتعداد السكان لعام ١٩٧٠ - ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣ .

الدورية للتعداد أو طريقة أخذه ، فهناك بعض الدول تأخذ تعدادها كل خمس سنوات مثل فرنسا واليابان والدنمرك وهندوراس والبيعض الاخر كل عشر سنوات مثل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وكندا والمكسيك ومصر فيما بين تعدادى ١٨٩٧ و ١٩٤٧ والهند وبلجيكا واسبانيا وبورما وشيلي ، وفريق ثالث ليست الفترات التعدادية محددة عنده سواء عشر سنوات أو حتى عشرين سنة مثل البرازيل ، أو خمس أو عشر سنوات مثل فنزويلا . ويرجع هذا التفاوت الى مجموعة من العوامل قد تكون أهمها العوامل السياسية التى تؤثر فى السلسلة التعدادية مثل فرنسا التى لم يؤخذ بها تعداد سنة ١٩١٦ ولا تعداد سنة ١٩٤١ بسبب الحربين العالميتين الاولى والثانية على التوالي ، كذلك مصر التى أجلت تعداد سنة ١٩٥٧ بسبب العدوان الثلاثى عليها فى سنة ١٩٥٦ - ثم أجلت تعداد ١٩٧٠ بسبب العدوان الاسرائيلى فى سنة ١٩٦٧ وماترتب عليه من تهجير لسكان منطقة القناة غير ولاشك خريطة السكان فى البلاد ، ولكنها أخذت تعدادا شاملا فى أواخر سنة ١٩٧٦ بعد حرب أكتوبر (تشرين) بثلاث سنوات عاد فيها سكان القناة الى ديارهم .

كذلك فان هناك بعض الدول ليست لديها فترات تعدادية منتظمة - ففى الاتحاد السوفيتى السابق الشاسع المساحة فان آخر تعداداته هى تلك التعدادات الستة التى أخذت فى سنوات ١٨٧٩ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٩ ، ١٩٥٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٨٩ ، كذلك فان هناك دولا سارت على فترات تعدادية منتظمة ثم تخلت عنها بعد ذلك ، مثل مصر بين ١٨٩٧ - ١٩٤٧ ، ثم هناك دول لم تأخذ تعدادا واحدا فى تاريخها الحديث مثل سلطنة عمان .

وقد يحدث ألا يشمل التعداد كل سكان الدولة بنفس الطريقة التى يتم بها ، ففى جنوب افريقيا يتم عد الاوربيين كل خمس سنوات والافريقيين كل عشر سنوات ، وخلال الفترة الاستعمارية فان السكان الاوربيين فى معظم الدول الافريقية كان يتم عددهم بانتظام بينما يتم تقدير السكان الوطنيين تقديرا يشوبه الكثير من الخطأ ، وفى أمريكا اللاتينية فانه فى بعض الحالات لا يدخل السكان الهنود الذين يعيشون بالمناطق الغابية - فى التعداد اطلاقا .

وبالاضافة الى ذلك فان طريقة أخذ التعداد تختلف أحيانا من دولة لأخرى فهناك طريقة العد الفعلى de Facto التى يقصد بها عد السكان فى المكان الذى يوجدون به يوم التعداد بصرف النظر عن مواطنهم الدائمة ويتبع هذه الطريقة كثير من دول العالم مثل بريطانيا ومصر وغيرها .

والطريقة الاخرى هي طريقة العد حسب مكان الاقامة المعتاد de Jure وليس تبعا لاماكن تواجدهم يوم التعداد وتتبع هذه الطريقة بعض الدول مثل الولايات المتحدة ، كما أن هناك دولا تتبع الطريقتين معا مثل البرازيل .

ولا تختلف دول العالم في دورية التعدادات بها ولا في طريقة أخذها فحسب ، بل أنها تختلف في تقسيم السكان حسب التركيب العمرى أيضا، فالفئة العمرية الخمسية هي الغالبة في معظم تعدادات العالم ، وان كانت بعض الدول تتبع الفئات العمرية العشرية وخاصة الاعمار الوسطى والكبيرة .

ويسجل التعداد السكانى خصائص متعددة للسكان، مثل توزيع السكان والعمر والتنوع والحالة المدنية ومحل الميلاد والديانة والحالة التعليمية والمهن والنشاط الاقتصادى وغير ذلك ، وقد أوصت الامم المتحدة التى قامت وتقوم بدور كبير فى مجال الدراسات السكانية – بأن يشمل التعداد البيانات الرئيسية التالية(١) :

- ١ – مجموع عدد السكان
- ٢ – النوع والسن والحالة المدنية .
- ٣ – مكان الميلاد والجنسية ومحل الاقامة .
- ٤ – التركيب الاسرى .
- ٥ – اللغة الاصلية والحالة التعليمية والدينية .
- ٦ – النشاط الاقتصادى .
- ٧ – نمط العمران (حضر – ريف) .
- ٨ – الخصوبة .

وقد يظهر عند استخدام هذه الخصائص مشاكل من نوع خاص وذلك لان بعض السكان قد يصعب وضعهم فى فئات معينة ، مثل النشاط الاقتصادى ، وحتى تحديد سن الشخص يكون عادة موضع شك ، ففى كل بلدان العالم يدلى أناس كثيرون باجابات متناقضة فيما يتعلق باعمارهم، وخاصة الاناث وكبار السن ويترتب على ذلك مشكلات متعددة فى دراسة باقى خصائص السكان كما سيبدو فيما بعد .

(١) المرجع السابق ص ٣ وما بعدها .

ويمكن تمييز دول العالم حسب الدقة في بياناتها الاحصائية فدول غرب أوروبا والولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا والارجنتين واليابان والاتحاد السوفيتى تتميز احصاءاتها بالشمول والدقة ، كما أن هناك دولاً أخرى تسير في طريق تحسين بياناتها بشتى الطرق ، ومع ذلك فإنها ماتزال تعاني من عدم الدقة في تلك البيانات مثل معظم دول أمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الاوسط مثل مصر والكويت وبعض دول شمال افريقيا مثل تونس . وهناك فريق ثالث من الدول ماتزال بياناته – ان توفرت – تحمل في طياتها كثيراً من الخطأ والغموض مثل معظم الدول الافريقية وبعض دول الشرق الاوسط وبعض الدول الاسيوية .

وتتعدد أوجه استخدام التعدادات السكانية – ذلك لان تعداد السكان هو المصدر الاول للبيانات الاساسية اللازمة عن السكان للاغراض الادارية ولكثير من نواحي البحث والتخطيط الاقتصادي والاجتماعى ، ويعد توفير الحقائق الاساسية بالنسبة للادارة والسياسة الحكومية هدفاً أصلياً من أهداف التعداد مثل تقسيم القطر الى مناطق انتخابية وتخصيص التمثيل في الهيئات الحاكمة الذى يعتمد على التوزيع الجغرافى للسكان ، وتعد معرفة التوزيع السكانى على رقعة الدولة أو الوحدة الجغرافية ضرورة من ضرورات التخطيط الاقتصادى والاجتماعى بغرض تنمية المجتمع ، مثل تخطيط القوى العاملة والهجرة والاسكان والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والعديد من الجوانب الاخرى في حياة المجتمع البشرى .

كذلك فان فائدة التعداد تظهر فيما يقدمه من بيانات للبحوث المختلفة التى تدرس تركيب السكان وتوزيعهم ونموهم في الحاضر والمستقبل والانماط المتغيرة للمجتمعات الحضرية والريفية ونمو مناطق الحضر وتوزيع السكان جغرافياً حسب خصائصهم المتعددة مثل المهنة والتعليم والتركيب واختلاف مستويات الخصوبة والوفاة للفئات العمرية المختلفة .

وهناك استخدامات أخرى للتعداد السكانى منها أهميته في التجارة والصناعة حيث تتوقف التقديرات التى يمكن الثقة بها عن طلب المستهلكين على السلع والخدمات التى تتزايد تنوعها باستمرار ، على معلومات دقيقة عن حجم السكان في أجزاء القطر وتوزيع هؤلاء السكان حسب العمر والنوع على الأقل لان هذه الخصائص تؤثر بشدة على الطلب على الاسكان والتموين والملابس ومرافق الترفيه والخدمات الصحية ، وبالإضافة الى ذلك مدى توفر الايدى العاملة محلياً لانتاج وتوزيع هذه السلع والخدمات على الوحدات الجغرافية المختلفة .

٢ - المسح بالعينة Sample Survey :

أصبح استخدام المسح بالعينة من العوامل المكتملة للتعدادات السكانية في سبيل الحصول على بيانات توضح كل أو بعض خصائص السكان ، وتستخدم على المستويين القومي والمحلي لهذا الغرض ، كما هي الحال في سبيل الحصول على بيانات توضح كل أو بعض خصائص السكان ، الدراسات النظرية والتطبيقية .

والعينة جزء من المجتمع تختلف عما يسمى بالحصص الشامل ، الذي يشمل كل أفراد المجتمع ويتمثل في التعداد القومي ، ولكنها تتميز عنه ببعض النواحي أهمها أن استخدام العينة يوفر جزءا من الجهد والنفقات كذلك تكون البيانات التي تنتج عن العينة دقيقة ، كما أن كثيرا من الأخطاء التي قد تقع أثناء التعداد مثل حذف بعض الوحدات و عد البعض الآخر مرتين أو أكثر يمكن الحكم عليها بعد إجراء التعداد بأخذ عينة منها ودراستها لمعرفة مدى دقة التعداد ، ففي تعداد السكان بالهند سنة ١٩٥٠ حذف ١١ في الألف من السكان المعدودين وقدرت نسبة الحذف في تعداد السكان سنة ١٩٥٠ بالولايات المتحدة بنحو ٢٣٪

ولقد مزجت بعض الدول حديثا - بين إجراء التعداد وأسلوب العينة بقصد الحصول على بيانات إضافية من الصعب الحصول عليها من التعداد خشية عدم دقتها مما يلزم اختيار عينة من السكان وتوجيه مجموعة من الأسئلة الإضافية الى أفرادها كما حدث في تعداد السكان بالعينة في مصر سنة ١٩٦٦ ، وكذلك في تعداد سنة ١٩٨٦ .

وتصمم العينة للحصول على بيانات تطبق على المجتمع السكاني بأكمله ، ولتحقيق ذلك فإنها يجب أن تسحب طبقا لقواعد محددة ودقيقة دون أن يكون فيها تحيز من أي نوع ، وإذا ما اتبعت قواعد المعاينة بأمانة ودقة فإن العينة حينئذ تكون ممثلة لاجمالي السكان(١) .

(١) توجد أنواع مختلفة من العينات أهمها العينات العشوائية البسيطة والعينة الطبقية والعينة المنتظمة والعينة المتعددة المراحل .

راجع أ - أحمد عباده سرحان - مقدمة في الاحصاء الاجتماعي - الاسكندرية - ١٩٦٣ ص ٢٩٤ .

ب - حسن محمد حسين - البحث الاحصائي : أسلوبه وتحليل نتائجه - القاهرة ١٩٦٤ ص ١٩٠ وما بعدها .

ج - Gregory, S., Statistical Methods and The Geographer, Longman, London, 1971, pp. 100-142.

ثانيا - مصادر البيانات غير الثابتة :

١ - الاحصاءات الحيوية Vital Statistics :

ليس من السهل دراسة العوامل المؤثرة في حجم السكان باستخدام بيانات التعداد فقط ذلك لان التعدادات دورية وليست سنوية كما أن بيانات العناصر الحيوية للسكان لا تتوفر كثيرا بها ولذلك فان الاعتماد الاساسى يكون على الاحصاءات الحيوية والتي تكون في معظم دول العالم قائمة على التسجيل الحيوى الاجبارى بحكم القانون والذى يشمل تسجيل المواليد والوفيات والزواج والطلاق .

وتعد احصاءات المواليد من أهم الاحصاءات الحيوية حيث يمكن من خلالها معرفة حركة النمو الطبيعى للسكان، وتختلف البيانات التى تسجل للمولود من بلد لآخر حسب مستواه الحضارى، ولذلك تختلف دول العالم فى البيانات الحيوية المتوفرة لديها ، ففى بعضها يوجد ٥٠ عنصرا فى السجل الحيوى للمواليد والوفيات والزواج والطلاق ، والبعض الاخر ينخفض لديه هذا العدد الى أربعة عناصر فقط ، ولاشك أن الحالة الاولى تعطى ثروة احصائية يمكن تحليلها بدرجة كبيرة أكثر من الحالة الثانية التى لا تكاد تغطى الحد الأدنى من البيانات المطلوبة والتى غالبا ما تتمثل فى ديانة الوالدين وأعمارهم ومواطنهم وصناعاتهم وحالتهم التعليمية .

وبالرغم من أن دولا كثيرة تتوفر لديها احصاءات حيوية دقيقة الا أن هناك دولا اخرى لا تملك حتى البيانات الاولى ، فاحصاءات الوفيات الدقيقة توجد لدى حوالى ربع سكان افريقيا ونصف سكان آسيا وأمريكا الجنوبية و ٨٥% من سكان أوروبا و ٨٧% من سكان الاوقيانوسية و ٩٨% من سكان أمريكا الشمالية ، وليست احصاءات المواليد بأحسن حالا من ذلك، فتصل هذه النسبة الى ٧٥% من سكان نيكاراغوا و ٨٠% فى بيرو و ٨٦.٥% فى بورتوريكو و ٩٨% فى كندا والولايات المتحدة ، وعلى العموم فإنه يمكن القول بأن معدل المواليد والوفيات ليس من السهل الحصول عليه بدقة كاملة لحوالى نصف سكان العالم .

وتعد الصين من أكبر دول العالم سكانا والتي لا تتوفر عنها بيانات دقيقة ، كما أن هناك دولا أخرى قليلة الحجم السكانى تشاركها فى ذلك ، ومن أبرزها فيتنام وكوريا وأفغانستان والمملكة السعودية ولبنان واليمن فى آسيا وتشاد وأثيوبيا وملاوى وسيراليون والصومال فى افريقيا .

٢ - سجلات الهجرة :

تعد بيانات الهجرة أقل قيمة من بيانات الاحصاءات الحيوية وذلك

لعدة أسباب منها أن تعريف المهاجر يختلف من مكان لآخر أحيانا ، كذلك قد يكرن التصنيف القائم على مدة الهجرة والمسافة التي يقطعها المهاجر غير واضح ، كما تزداد صعوبة الحصول على بيانات الهجرة إذا كانت داخلية بين مناطق القطر المختلفة مما يلزم دراستها اعتمادا على بيانات التعداد حيث يقارن تعدادان متتابعان ثم يعرف نصيب الزيادة الطبيعية في حجم السكان والباقي يمثل الهجرة سواء كانت سالبة أو موجبة .

وتتوفر بيانات الهجرة الدولية لدى كثير من دول العالم حيث تقوم بذلك نقط الجمارك والجوازات والجنسية في الموانئ والمطارات وأماكن العبور ، ويمكن من خلالها تتبع تدفق المهاجرين من وإلى القطر سنة بعد أخرى بما في ذلك التقلبات التي تحدث استجابة للظروف الاقتصادية أو السياسية ، وتتوفر هذه البيانات في سجلات العبور التي تكشف عن الحركة وحجمها في كلا الاتجاهين .

ولكن الملاحظ أن معظم خصائص المجموعات المهاجرة يتغير ، ذلك لأن السكان يغيرون بصفة مستمرة من نشاطهم الاقتصادي وحالتهم المدنية والتعليمية مما لا يظهر في سجلات العبور ، ولذلك فإنها ليست دائما محل ثقة في البحث عن أسباب الهجرة ودوافعها مما يجعل الباحث يتجه إلى مصادر احصائية أخرى لدراسة هذه الظاهرة السكانية .

تقويم مصادر الدراسة السكانية :

تتفاوت مصادر الدراسة الجغرافية للسكان من حيث مدى الحصول عليها من ناحية ومدى الوثوق في صحتها ودقتها من ناحية أخرى ، ذلك لأن هناك أسبابا كثيرة للاخطاء وعدم الدقة سواء في التعدادات أو في الاحصاءات الحيوية ، منها الحذف أو العد أكثر من مرة لأغراض خاصة أهمها أغراض حكومية أو انتخابية ، كذلك فإن استمارات التعداد بعد ملئها يكون فيها نقص في أعمار الأشخاص وحتى ان ذكرت هذه الاعمار قد لا تكون بدقة . ولقد ثبت أن أكثر الاخطاء من هذا النوع تكون بين الأشخاص الصغار حيث لا تحسب بعض الاسر أفرادها الصغار ولا تهتم بذكر أعمارهم كما يببالغ بعض الكبار في أعمارهم حتى يظهروا بمظهر المعمرين من الناس وفي كثير من الدول النامية توجد مبالغة في الاعمار المنتهية بالصغر وبالخمس سنناقش ذلك في الحديث عن التركيب العمري فيما بعد .

وتعانى الاحصاءات الحيوية كثيرا من النقص في بعض الدول ، ذلك

لان المرئيد لايسجلون بأكملهم كما هي الحال في المناطق البعيدة عن المواصلات وقد لا يسجل المواليد الاناث في بعض المناطق لاعتبارات اجتماعية مما يؤدي الى عدم الاعتماد كلية على السجلات الحيوية في هذه المناطق ، وحتى في الدول المتقدمة لا يتم تسجيل الولادات فور حدوثها بل تتفارت من يوم واحد مثل معظم الولايات المتحدة الى ٦٢يوما في نيوزيلنده ثم الى ٩٠ يوما في المناطق الوعرة بالبرازيل . كما أن كثيرا من الوفيات للإطفال الرضع تحول دون تسجيلهم سواء ضمن المواليد أو الوفيات ، وكذلك الحال في تسجيل الوفيات الذي يشوبه الخطأ في بعض الاحوال سواء حسب الاعمار أو الاسباب التي أدت للوفاة مما يجعل البيانات تعامل بحذر باستمرار .

ولا تقتصر الاخطاء في المصادر الاحصائية الجغرافية للسكان على التعداد أو سجلات المواليد والوفيات فقط بل تتعداها الى سجلات الهجرة وسجلات الزواج في الدول الغربية وكذا سجلات القوى العاملة وتصنيفاتها المختلفة ، ويرتبط بعامل الدقة في المصادر الاحصائية تعريف سكان الحضر والريف والذي يبدو بسيطا في أول الامر بيد أنه يختلف اختلافا كبيرا بين دول العالم حسب الاسس التي يعرف عليها ، فبعض الدول تعتبر الحضر مرتبطا بالوظيفة الادارية كما هي الحال في جنوب افريقيا وتونس ومصر والبرازيل والمملكة المتحدة وكمونلث الدول المستقلة ، وهناك دول أخرى تأخذ الحجم السكاني كأساس آخر في تعريف الحضر كحد أدنى له مثل ٢٥٠ نسمة في الدنمرك و ٢٠٠٠ في فرنسا و ٢٠٠٠٠ في هولنده و ٣٠٠٠٠ في اليابان و ٤٠٠٠٠ في كوريا ، ويستخدم الاساس الادارى والسكاني في تحديد المراكز الحضرية في بعض الدول مثل كندا والولايات المتحدة والنرويج ، وهناك مجموعة رابعة من الدول تتخذ الوظيفة الاقتصادية أساسا في التعريف ، كما هي الحال في ايطاليا التي تعتبر المراكز العمرانية الحضرية تلك التي يعمل أكثر من ٥٠% من سكانها في أعمال غير زراعية .

الباب الأول

توزيع السكان - أنماطه وعوامله

الفصل الأول

أساليب التوزيع السكاني

بذلت عدة محاولات لتبسيط توزيع السكان توزيعاً مساحياً بصورة احصائية ، ومع ذلك فإنه من الصعب تحليل التوزيعات المساحية لتباين حجم السكان في الوحدات الادارية في ضوء حركة السكان الجغرافية واختلاف تركيبهم العمري والمهني والنوعي، ويرتبط ذلك بأسلوب توضيح التوزيع السكاني على الخرائط واختيار الطريقة الملائمة لهذا الغرض سواء كانت خرائط التوزيع المتساوي *Isopleths* أو خرائط التوزيع النسبي *Choropleths* والرموز النسبية من ناحية ، والفئات المتساوية (فئات التظليل والتوزيع المتساوي) وحجم ومواقع النقاط والرموز من ناحية أخرى ، وهناك كثير من المؤلفات في فن رسم الخرائط توضح الاساليب المختلفة في التوزيعات السكانية والطرق المتعددة لابرزها(١) ، ولن نعرض لها هنا الا بقدر ما ترتبط بتحليل العلاقة بين السكان والبيئة كلما كان ذلك ضرورياً .

وقد ظهرت خرائط توزيع السكان في القرن الثامن عشر، ولكن التطور الحقيقي لها بدأ حديثاً منذ القرن الماضي عندما أصبحت البيانات الديموغرافية متوفرة عن ذي قبل ، واعتماداً على الوحدات المساحية والطرق المستخدمة ومدى توفر البيانات ومجالات تحليلها فان خرائط السكان يمكن أن توضح الكثافة والتغير والخصائص السكانية في الوحدات الادارية ذات المساحات المتفاوتة .

وقد ظهرت أقدم خرائط للسكان التي تتمثل فيها رموز مختلفة الحجم

(١) راجع مثلاً :

Monkhous, F. J. and Wilkinson, H. R., Maps and Diagrams, Methuen, London, 1961, pp. 217-280.

ب - محمد محمد سطيحة - دراسات في علم الخرائط - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢ - ص ٣٠١ وما بعدها .

منذ ما يقرب من مائتى سنة ، وأقدم الامثلة على ذلك خريطة أوروبا التي رسمها كروم A. F. Crome (١٧٨٥) وخريطة فرنسا التي رسمها فرير دى مونتيزون A. Frere de Montizon (١٨٣٠) ، وقد تبع ذلك استخدام كبير للخرائط السكانية في القرن التاسع عشر بعد أن اتضحت أهميتها كأساس هام لدراسة السكان .

وخرائط توزيع السكان تبين التوزيع العددي المطلق في منطقة ما وفي وقت ما ، أما خرائط الكثافة فانها تنسب السكان الى المساحة، وقد ظهرت أول خريطة لكثافة السكان في العالم في لندن سنة ١٨٣٣ وقد رسمها سكروب H. Drury Harness كذلك نشر هنرى درورى هارنس G. P. Scrope مجموعة من خرائط الكثافة السكانية لآيرلنده ونشرت في تقرير هيئة السكك الحديدية بايرلنده سنة ١٨٣٧ (١) .

وقد شاع استخدام خرائط التوزيعات المطلقة والنسبية للسكان بعد ذلك لتحديد حجم السكان ونسبة تزايدهم أو تناقصهم في مناطق محددة ومقارنتها بعضها ببعض ، وقد تطورت أساليب رسم هذه الخرائط ولكنها تتفق جميعا في ابراز العلاقة بين السكان وبيئتهم والموارد المتاحة بها كما وكيفا .

ورغم أهمية خرائط التوزيعات السكانية النسبية فان هناك عدة صعاب تظهر عند استخدام مقاييس الكثافة المستقاة من هذه الخرائط أبرزها :

أ - أن بيانات السكان تتوفر فقط للوحدات الادارية أو التعدادية وليست للمناطق المتجانسة اقتصاديا أو سكانيا، ولذلك فان الحدود الادارية تحكم باستمرار في مجال التوزيع وامتداده في الوقت الذي تعد فيه هذه الحدود من أسوأ أنواع الحدود في دراسة السكان .

ب - ان الكثافات السكانية هي مجرد متوسطات means بكل ما يكمن في المتوسطات من عيوب احصائية .

ج - ان انشاء خرائط الكثافة السكانية يعتمد على اختيار الفئات المختلفة التي تتمثل في مفتاح الخريطة ، ومن ثم يمكن أن تختلف

(1) A - Kormoss I. B. and Kosinski L. A., Population Mapping : International Geographical Union, Bruges, 1973, p. 5.
B - Clarke, J., Op. Cit., p. 28.

خريبطتان لكثافة السكان في منطقة واحدة باختلاف اختيار الفئات التوزيعية في كل من الخريبطتين كما يرتبط بذلك أيضا أسلوب وطريقة تظليل الفئات الكثافية في الخريطة .

مقاييس كثافة السكان وتوزيعهم :

يهتم دارس السكان بمعرفة حجم السكان في مساحة محددة وذلك بهدف تحليل صورة التوزيع السكاني في الدولة أو في الاقليم أو المحافظة أو حتى المركز الادارى ، وذلك لان توزيع السكان لايتوزع بانتظام في المجتمعات المختلفة ، ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والتي يختلف كل منها في أهميته النسبية من مكان لآخر ، وتتداخل هذه العوامل مع بعضها البعض في شكل مترابط ومعقد في معظم الاحوال في تحديد تركيز السكان في مجتمع ما وتشتملهم في مجتمع آخر حتى يبدو سكان منطقة ما نتاجا للتفاعل بين النظم الحضارية وباقي النظم الاخرى في المجتمع .

ويلجأ الباحث السكاني في محاولة للوصول الى تحديد رقم معين بين العلاقة العددية بين السكان والمساحة التي يعيشون فيها الى استخدام بعض المقاييس البسيطة على النحو التالي :

١ - الكثافة الحسابية أو الخام Crude Density :

وهي أبسط أنواع المقاييس المستخدمة في دراسات السكان وتعنى ببساطة جملة عدد السكان في وحدة مساحية معينة وتأخذ بذلك الصيغة التالية :

$$\text{جملة عدد السكان في منطقة ما} \\ \hline \text{المساحة الكلية لهذه المنطقة}$$

$$\text{مثال : كثافة السكان في مصر ١٩٨٦} = \frac{٥٠٤٥٥٠٠٠}{١٠٠١٤٤٩} = ٥٠ \text{ نسمة في الكيلومتر المربع}$$

وهذا النوع من الكثافة الخام لايعطى الا فكرة بسيطة عن مدى تركيز السكان في الاقليم ، وتتناسب فائدته تناسباً عكسياً مع حجم المساحة الارضية فكلما كبرت المساحة كلما كان مدلول الكثافة الخام سطحياً وعماماً ومن هنا فان قيمتها تبدو في مقارنة المناطق الصغيرة المساحة والمتجانسة في ظروفها الطبيعية والاقتصادية مثل مقارنة كثافة السكان في قرى مصر

ومراكزها وأقسامها الادارية أو محافظاتهما في وادى النيل والدلتا حيث تكون الفروق البيئية والبشرية قليلة ، وعلى العموم فان كثافة السكان الخام لايمكن النظر اليها على أنها مقياس ضغط سكاني حيث أنها لا تعبر عن علاقات وظيفية بين السكان والمساحة التي يشغلونها ومن ثم فهي ذات أهمية قليلة في دراسة العلاقة بين السكان والموارد .

ب - الكثافة الفيزيولوجية Physiological Density :

أدت العيوب المرتبطة بالكثافة الخام للسكان الى محاولة تنقية كل من البسط أو المقام في هذه النسبة أو تنقيتهما معا ، ومن ثم محاولة قصر المقام على الاراضى المأهولة بالسكان فقط دون اعتبار للاراضى غير المسكونة أو الخالية من السكان ، وبذا يمكن حساب كثافة السكان في الاراضى الزراعية فقط والتي تعرف بالكثافة الفيزيولوجية وتكون صيغتها حينئذ كالتالى :

$$\frac{\text{جملة عدد السكان في منطقة ما}}{\text{مساحة الاراضى الزراعية في هذه المنطقة}}$$

$$\text{مثال : الكثافة الفيزيولوجية في مصر سنة ١٩٨٦} = \frac{٥٠٤٥٥٠٠٠}{٣٥٥٨٠} = ١٤١٨$$

نسمة في الكيلو متر المربع

ومن هنا فان حساب الكثافة الفيزيولوجية يستبعد تماما الاراضى الصحراوية والاراضى البور التي لم تستغل في الزراعة ومعنى ذلك أننا ننسب حجم السكان الى مساحة الارض الزراعية المنتجة وليس الى المساحة الكلية للارض ايا كانت .

والكثافة الفيزيولوجية تفوق الكثافة الخام للسكان دائما وتعد مصر من الامثلة التقليدية على ذلك في الدراسات السكانية ، حيث يسكن ٩٩% من جملة سكانها البالغ عددهم ٥٠٤٥٥٠٠٠ نسمة في تعداد ١٩٨٦ - في مساحة تصل الى ٣٥٥٨٠ كيلو مترا مربعا أى بنسبة ٣٥% من جملة مساحتها التي تبلغ ١٠١٤٤٩ كيلو مترا مربعا ، ولذلك فان الكثافة الخام لسكان مصر تصل الى ٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع بينما تقفز الكثافة الفيزيولوجية الى ١٤١٨ نسمة في الكيلو متر لمربع ، وتعد في الراتب من أعلى الكثافات في دول العالم . وليس ذلك فقط بل أنها في تزايد مستمر كما تبين الارقام التالية :

تطور كثافة السكان في مصر

الكثافة الفيزيولوجية نسمة في الكيلومتر مربع	الكثافة الخام نسمة في الكيلومتر مربع	سنة التعداد
١٩٦	٧	١٨٨٢
٢٨٠	١٠	١٨٩٧
٣٢٥	١١	١٩٠٧
٣٧١	١٣	١٩١٧
٤١٠	١٤	١٩٢٧
٤٦٦	١٦	١٩٣٧
٥٤٦	١٩	١٩٤٧
٧٣٣	٢٦	١٩٦٠
٨٤٥	٣٠	١٩٦٦
١٠٧٤	٣٨	١٩٧٦
١٤١٨	٥٠	١٩٨٦

ورغم أهمية الكثافة الفيزيولوجية فإنه ينبغي التعامل معها بحذر ذلك لان الاراضى غير الزراعية - والتي لاتدخل في المقام قد تكون مستغلة في أوجه نشاط اقتصادى آخر مثل التعدين أو الغابات أو المراعى وغير ذلك وبالإضافة الى ذلك فان الاراضى الزراعية التى ينسب اليها عدد السكان تتباين في قدراتها الانتاجية سواء في نوع المحاصيل المنزرعة وقيمتها وعدد المواسم الزراعية في السنة الواحدة وغير ذلك ، كذلك فان السكان يختلفون مهنيا وثقافيا وحضاريا مما يصعب معه الوصول الى صورة دقيقة للعلاقة بين توزيع السكان والارض الزراعية . ومع كل ذلك فان الكثافة الفيزيولوجية تعد تطورا للكثافة الخام وتعطى الملامح العامة لهذه العلاقة .

٣ - نسبة التركيز السكانى Concentration Ratio :

يرتبط بدراسة توزيع السكان محاولة التعرف على نمط التركيز السكانى في الاقليم ، أى مدى ميل السكان الى التركيز في منطقة واحدة داخل حدود الاقليم ، أو التشتت داخل هذه الحدود ، ذلك لان دراسة التوزيع السكانى لاتهمم بالتوزيع العددى المطلق للسكان في أقسام الاقليم بل بدراسة توزيع الكثافة في هذه الاقسام والتي تلقى الضوء على مدى العلاقة بين التوزيع العددى ومساحة الرقعة المأهولة .

وبحسب أتركز السكانى باستخدام بعض الطرق الاحصائية من أهمها
ع يعرف بنسبة التركز التى تأخذ الصيغة التالية :

$$\text{نسبة التركز} = \frac{\text{م ج ز}}{\text{س} - \text{ص}} |$$

حيث س = النسبة المئوية لمساحة المنطقة الى جملة مساحة الاقليم الكلية .

ص = النسبة المئوية لعدد سكان المنطقة الى جملة سكان الاقليم الكلية .

م ج = مجموع الفرق الموجب بين هذه النسب بعضها وبعض - أى
مجموع القيم دون النظر للاشارات السالبة .

ومعنى ذلك أن نسبة التركز تساوى احصائيا نصف مجموع الفرق
الموجب بين النسبة المئوية للمساحة والنسبة لعدد السكان فى كل منطقة من
مناطق الاقليم ، وكلما كبرت هذه النسبة كلما دل ذلك على شدة التركز
والعنى كلما قلت فان التركز يبدأ فى القلة ويبدو التشتت مميذا لتوزيع
السكان ويدينهى أن توزيع السكان يكون مثاليا اذا كانت نسبة التركز
نساوى صفرا ، وكلما زادت كلما كان ذلك قرينة للتوزيع غير المتساوى
وكلما اتجه التوزيع السكانى نحو التركز وليس نحو التشتت .

ويوضح الجدول التالى طريقة حساب نسبة التركز وتطبيقها على
مدينة الاسكندرية .

القسم	النسبة المئوية من المساحة الكلية (س)	النسبة المئوية من جملة السكان (ص)	الفرق الموجب (س) - (ص)
الجمرك	٠ر٣	٩ر٣	٩ر٠
الرمسل	٣ر٥	١٠ر٤	٦ر٩
الدخيلة	٢١ر٤	١ر٥	١٩ر٩
انعطارين	٠ر٧	٤ر٧	٤ر٠
اللبان	٠ر٦	٥ر١	٤ر٥
المنستره	٦٠ر٠	١١ر٨	٤٨ر٢
المنشبية	٠ر٢	٢ر٨	٢ر٦
باب شرقى	٥ر١	١٥ر٨	١٠ر٧
كسرموز	١ر١	١٢ر٧	١١ر٦
محرم بك	١ر٣	١٧ر٣	١٦ر٠
ميناء البصل	٥ر٨	٨ر٦	٢ر٨
الجملة	١٠٠	١٠٠	١٢٦ر٢

ويتطبيق المعادلة السابقة نجد أن :

$$\text{نسبة التركيز} = \frac{1}{3} \times 1362 = 454\%$$

ومعنى ذلك أن توزيع السكان على رقعة الاسكندرية غير متساو حيث أنه يكون مثاليا اذا كانت هذه النسبة تساوى صفرا ، وكلما ازدادت كلما كان ذلك قرينة التوزيع غير المتساوى وكلما ازداد تركيز السكان وليس تنسبتهم وعلى سبيل المثال كانت هذه النسبة في الاسكندرية ٨٠% سنة ١٨٩٧ ثم هبطت الى ٨٥% سنة ١٩٢٧ ثم الى ٦٨% سنة ١٩٦٠ ثم الى ٦٥% سنة ١٩٦٦ ، ومعنى ذلك أن ظاهرة التركيز السكانى فى طريقها الى التناقص ولكن ببطء وبدأ السكان يتوزعون فى مساحات أوسع مما كانت عليه فى مطلع هذا القرن ، والاستفادة بهذه النسبة لاتكون كبيرة الا اذا حسبت لعدة تعدادات متعاقبة حتى يمكن الحكم على اتجاهها صعودا أو هبوطا أو ثباتا ، كما أنها تفيد عند المقارنة بين عدة أقاليم للوقوف على نمط التركيز السكانى ودرجته بكل منها .

٤ - درجة التزاحم السكانى Crowding :

سبق القول بأن كثافة السكان هى عبارة عن العلاقة بين المساحة الكلية وبين عدد السكان ولاشك أن هذا يحمل فى طياته الكثير من المبالغة ولا يزدى الى معرفة تركيز السكان بدقة فى أحد أقسام المدينة أو شياخاتها ، وتعد درجة التزاحم السكانى من أنسب مقاييس تركيز السكان فى المدن باقسامها ووحداتها الادارية المختلفة ، وهى أبسط أنواع المقاييس فى حسابها حيث يقصد بها ما يخص الحجرة الواحدة من الافراد أى أن نحصل عليها ببساطة بقسمة عدد السكان فى المنطقة على مجموع عدد الغرف التى يتطلبها هؤلاء السكان ، وهى تعد من المقاييس الهامة فى الحكم على المستوى الاجتماعى والاقتصادى السائد فى دراسة السكان فى أحياء المدينة الواحدة كما أنها تعد مؤشرا للكثير من المتغيرات الديموغرافية كالخصوبة والوفيات بعمامة ووفيات الاطفال الرضع بصفة خاصة .

قياس العلاقات السكانية - المكانية :

من المعروف فى جغرافية السكان أن توزيع البشر فى اقليم ما هو دالة لعوامل متشابهة ليس من السهل فصل احداها عن بقية العوامل وبمعنى آخر فإن تضافر عوامل متعددة فى بيئة ما هو الذى يحدد شكل التوزيع السكانى والعمرانى ، وقد بذلت عدة محاولات لتبسيط توزيع السكان توزيعا مساحيا بصورة احصائية ، ومع ذلك فإنه من الصعب تحليل هذه

التوزيعات تحليليا كليا في ضوء حركة السكان الجغرافية وتباين التركيب الديموغرافي لهم ، ويرتبط ذلك بأسلوب توضيح التوزيع السكاني على الخرائط واختيار الطريقة الملائمة لهذا الغرض سواء كانت خرائط التوزيع المتساوي ، أو خرائط التوزيع النسبي من ناحية ، والاشكال ذات الفئات المتساوية وحجم ومواقع النقط والرموز من ناحية أخرى .

ورغم أن الجغرافي المبتدئ قد يكون على علم بمقاييس كثافة السكان وتوزيعهم مثل الكثافة الحسابية أو الفيزيولوجية أو الزراعية لتحديد علاقة السكان بالأرض عدديا، فإن هناك بعض المقاييس الأخرى التي تفيد الباحث في محاولة التعرف على نمط التركيز في منطقة واحدة داخل حدود الأقليم والتشتت داخل هذه الحدود ، ذلك لان دراسة التوزيع السكاني لاتهتم فقط بالتوزيع العددي المطلق للسكان في أقسام الأقليم ، بل دراسة توزيع الكثافة في هذه الأقسام والتي تلقى الضوء على مدى العلاقة بين التوزيع العددي ومساحة الرقعة المأهولة .

ويحسب التركيز السكاني باستخدام عدة طرق احصائية من أهمها مايعرف بنسبة التركيز التي سبق ذكرها وكذلك منحنى لورنز Lorenz Curve وطريقة القرب النسبي أو مايعرف أحيانا بالثقل السكاني الكمي .

منحنى لورنز :

وهو من الطرق المستخدمة لمعرفة مدى التساوي أو عدم التساوي في توزيع السكان في أقليم محدود وعلى امتداد فترات زمنية متعاقبة وقد استخدم في الاصل لقياس تركيز الدخل والثروة ، ويمكن استخدامه فقط عندما تنقسم المنطقة المراد دراستها الى وحدات مساحية صغيرة حسب عدد السكان بكل منها وفي هذه الحالة ننشئ جدولا خاصا يوضح توزيع الوحدات المساحية الصغيرة حسب فئات الكثافة السكانية في كل فئة ثم بنسبة كل عدد في كل من هذين العمودين الى مجموع العمود الذي هو فيه ثم بالضرب في مائة نحصل على النسب المئوية لكل منهما ومن هنا يبدو مدى التوزيع السكاني هل هو متساو أو غير متساو - فلو تساوت النسبة المئوية للمساحة مع النسب المئوية للسكان كان توزيعا متساويا ، أما اذا اختلفت النسب مع بعضها كان ذلك دليلا على عدم التساوي في التوزيع السكاني على رقعة الأقليم (كما هي الحال في تحطيل نسبة التركيز) .

ويمكن مقارنة توزيع السكان في تعدادات متعاقبة باستخدام منحنى لورنز ، مع ملاحظة أنه اذا كانت زيادة السكان بمعدل واحد في كل

الوحدات المساحية في الاقليم فان نمط التركيز سيظل ثابتا هو الاخر ، وعموما فان منحني لورنز لا يختلف كثيرا في طريقة حسابه عن نسبة التركيز التي سبق الحديث عنها ، ويكمن الاختلاف بينهما في امكان دراسة التطور في الكثافة باستخدام المنحني اى في العلاقة بين المساحة والسكان على مستوى الاقليم بوحداته الادارية المختلفة .

مثال تطبيقي :

– الغرض من الدراسة :

توضيح العلاقة السكانية – المكانية سواء للتركز او للتناثر وذلك باستخدام منحني لورنز وتحليل معدل الانحدار الكثافي .

– مصدر البيانات : تعداد السكان .

– طريقة اجراء الدراسة :

- ١ – تحديد اقسام المدينة وفق حدودها الادارية كما جاء بالتعداد .
- ٢ – حساب جملة السكان – وجملة المساحة الكلية لاقسام المدينة والمجموع الكلي للسكان والمساحة للمدينة كلها .
- ٣ – حساب نسبة السكان في كل قسم الى جملة سكان المدينة .
- ٤ – حساب نسبة مساحة كل قسم اداري الى جملة مساحة المدينة .
- ٥ – ترتيب الاقسام الادارية من الادنى للاعلى (ترتيا تصاعديا) حسب نسبتها في الخطوة الرابعة السابقة ووضع ما يقابلها من نسب السكان لكل قسم .
- ٦ – جمع كل مجموعة من هاتين المجموعتين جمعا تراكميا بحيث تكون اول قراءتين من ادنى نسبة مساحية (خطوة ٤) ومايقابلها من نسبة سكانية (خطوة ٣) ، وهكذا حتى نصل الى آخر قراءتين وستكونان حينئذ أكبر نسبة مساحية وأكبر نسبة سكانية أو ١٠٠٪ لكل منهما .
- ٧ – استخدام النسب التراكمية كمحاور لرسم منحني لورنز مع وضع نسب السكان على المحور الافقى ونسب المساحة على المحور الرأسى وطبعا سيقسم كل من المحورين الى ١٠٠٪ .
- ٨ – رسم مجموعة من الدوائر المتعاقبة على خريطة المدينة بحيث تكون مركزها واحدا بادئا من مركز المدينة .

٩ - رسم هستوجرام (رسم بياني ذو مستطيلات رأسية) يوضح كثافة السكان مقابل المسافة من مركز المدينة .

تطبيق على مدينة الاسكندرية :

تتكون الاسكندرية من ١١ قسما اداريا (حسب تعداد ١٩٦٦) وقد تم الانتعانة بتعداد السكان لتحديد النسب المئوية لجملة سكان كل قسم من هذه الاقسام الاعد عشر ، والتي تكون المدينة بأكملها ، وكذلك مساحة كل قسم من جملة المساحة الكلية ، وبعد ذلك نجمع النسب المساحية - السكانية تراكميا ، بادئين بأقل نسبة حتى نصل الى أكبر نسبة من المساحة الكلية ونحصل على المحورين الرأسى والافقى اللازمين لرسم منحني لورنز وستكون أول قيعتين على المحورين الرأسى والافقى هما قيمة قسم الجمرك حيث يعيش ٨٥% من جملة سكان المدينة في ٣.٠% من جملة المساحة الكلية لبا ، وتليها القيمتان ٢٥.١% من السكان يعيشون في ١٦.١% من المساحة وذلك بعد اضافة قسم محرم بك الى الجمرك سويا ، وباستمرار جمع القيم تراكميا بعد ذلك حتى أكبر قيمة أخيرة وهى قسم الدخيلة سيكون مجموع كل من العمودين ١٠٠% ، ويوضح ذلك الجدول التالي ، حيث تم توقيع كل قيعتين متقابلتين على محورى الرسم حيث يبين المحور الافقى نسب السكان تراكميا والمحور الرأسى نسب المساحة تراكميا كذلك ، وتوصيل النقط بعضها ببعض على شكل منحني يمكن مقارنته بالتوزيع المثالى (النظري) الذى يمثله الخط الواقع بزاوية ٤٦° من نقطة الاصل والذى يوضح التوزيع المتساوى تماما للسكان ، أى أن هذا التوزيع المثالى يفترض مثلا أن ٢٠% من السكان يعيشون في ٢٠% من المساحة و ٥٠% منهم يعيشون في ٥٠% من المساحة وهكذا . ولكن هذا لايتحقق فى الواقع، ويبدو الفرق بين التوزيع المثالى والتوزيع الواقعى بمقارنة الخط المثالى الذى يبينه الرسم (الواصل بزاوية ٤٥°) والمنحنى الفعلى الناتج عن توصيل قيم السكان والمساحة ، ويبين الفرق بينهما - بين الخط والمنحنى - درجة عدم تساوى التوزيع السكانى فى المدينة ، وعلى الباحث دائما أن يفسر الاسباب المحلية لهذه الاختلافات بعد رسم المنحنى المطلوب (شكل رقم ١) .

وعلى سبيل المثال يبين منحني لورنز لمدينة الاسكندرية أن هناك تركزا سكانيا فى المدينة حيث يتركز أكثر من ٤٠% من جملة سكانها فى مساحة تصل الى ٣.٥% فقط من رقعة المدينة كلها ، وأن حوالى ثلثى جملة السكان يتركز فى أقل من عشر مساحة المدينة ، ومن هنا يتبادر الى الذهن مباشرة أن هناك نطاقا كبيرا فى المدينة يمكن أن يستوعب أعدادا أكبر كما أنه يمثل مجالا جغرافيا لاعادة توزيع السكان به .

جدول يبين التوزيع المئوي التراكمى للمساحة والسكان
لأقسام مدينة الاسكندرية (١٩٦٦)

القسم	% لجملة السكان	التكرار المتجمع الصاعد	% لجملة السكان	التكرار المتجمع الصاعد
الجمرك	٠.٣	٨٥	٨.٥	٠.٣
محرم بك	١.٦	٢٥١	١٦.٦	١.٦
المنشية	٢.٥	٢٧٦	٢٩.١	٢.٥
كـرموز	٤.٥	٤٣٦	٣٩.٦	٤.٥
اللبان	٤.٢	٤٧٨	٤٣.٨	٩.٧
العطارين	١٥.٥	٦٣٣	٥٩.٣	١٥.٥
باب شرقى	١٦.٠	٧٩٣	٧٩.٣	٣١.٥
الرميل	٩.٤	٨٨٧	٨٨.٧	٥٨.٨
ميثا البصل	٩.٣	٩٨٠	٩٨.٠	٦٠.٠
المنستزة	٢.٠	١٠٠٠	١٠٠.٠	٢١.٤
الدخيلة	١٠٠.٠	-	١٠٠.٠	-
الجملة	١٠٠.٠	-	١٠٠.٠	-

حساب القرب النسبى أو الثقل السكانى الكمى :

هناك طريقة مبسطة لتحليل توزيع السكان فى الاقليم جاء بها ستيوارت (١٩٤٧) وعدلت فيما بعد على يد كل من ورنتر Wornitz ونفت Neft (١٩٦٠). وتتخلص هذه الطريقة فى الوقوف على مايعرف بالقرب النسبى للسكان Relative Proximity حول أى مركز عمرانى معلوم ، وتعرف أحيانا بالثقل السكانى الكمى Population Potential ، ويعرف ستيوارت هذا الثقل الكمى لأى مركز محدد بأنه :

«مجموع حاصل ضرب السكان فى المسافة بين هذا المركز العمرانى والمراكز المجاورة» .

ويمكن حسابه باستخدام الصيغة التالية :

الثقل السكانى الكمى لأى مركز عمرانى (وليكن أ مثلاً) هو :

$$\text{مدك} \times \text{م}$$

حيث :

- ك = عدد السكان فى المركز العمرانى الاخر (المجاور) .
- م = المسافة بين هذا المركز الاخر والمركز العمرانى (أ) .
- مد = مجموع حاصل الضرب

مثال : المطلوب حساب الثقل السكاني الكمي للمركز العمراني (أ) في
ذرة علاقته بالمراكز الاربعة المجاورة .

جدول يبين حساب الثقل السكاني الكمي

المركز العمراني	عدد السكان ك	البعد (المسافة) عن المركز (أ) (م)	ك × م
أ	٢٠٠	—	٢٠٠
ب	٤٠٠	٥	٢٠٠٠
ج	٥٠	١٠	٥٠٠
د	١٠	٢٠	٢٠٠
هـ	٤٠	٤	١٦٠٠
مجموع م = ٣٠٦٠			

وعكذا يمكن تكرار نفس الطريقة في حساب الثقل السكاني الكمي لكل
المراكز العمرانية الاخرى ومن ثم رسم خطوط كثافة متساوية *Isopleths*
لنتائج العمليات الحسابية (حيث يكون لكل مركز عمراني رقم خاص به) .
وقد ادخل كل من ورنتر *Warntz* ونفت *Neft* تطويرا على الطريقة
السابقة وذلك لاستنتاج مايعرف بنصف القطر الديناميكي *Dynamical Radius*
والذي يمكن الحصول عليه بالمعادلة التالية :

$$\sqrt{\frac{\sum (K \times M)}{K}}$$

حيث :

ك = عدد السكان في المركز العمراني المجاور

م = المسافة بين هذا المركز العمراني والمركز المراد دراسته

ك = جملة عدد سكان المنطقة المراد دراستها

ط = نصف القطر الديناميكي

وبتطبيق هذه المعادلة على بيانات الجدول السابق نحصل على :

$$\sqrt{\frac{(24 \times 40) + (220 \times 10) + (210 \times 50) + (25 \times 400)}{700}} = ط$$

= ٥٣ كيلومتر .

وعلى ذلك فانه داخل دائرة نصف قطرها ٥٣ كيلومتر من المركز المراد دراسته يعيش ٩١% من سكان الاقليم كله .

$$\left[\text{أى } 740 = 100 \times \frac{740}{100} \right]$$

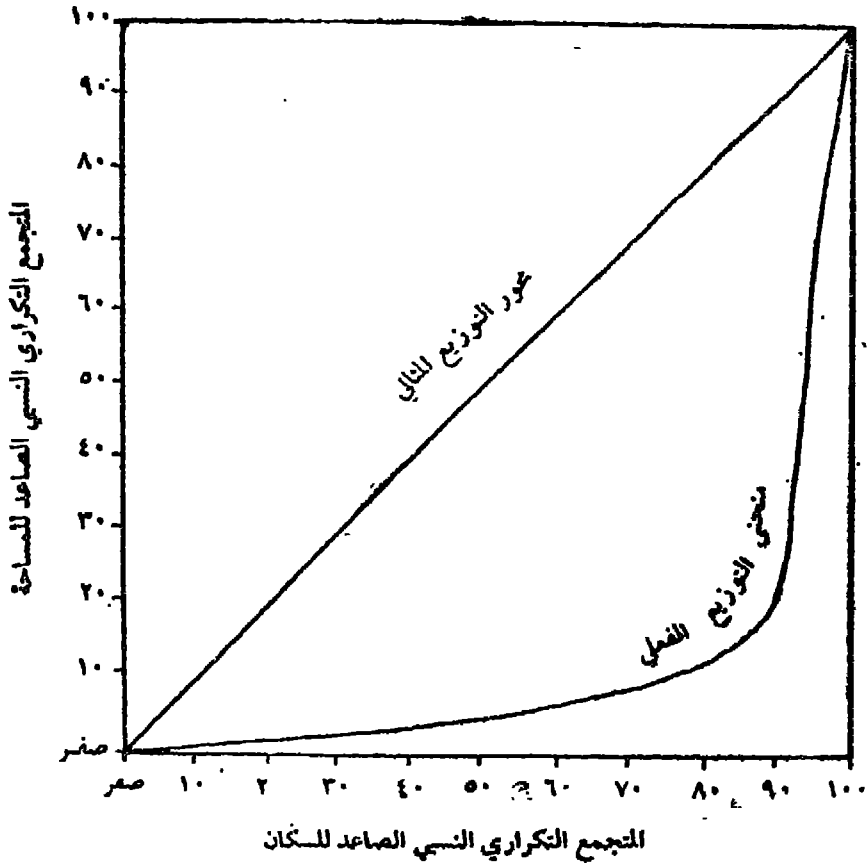
ويلاحظ أن الرقم ٦٤٠ هنا يمثل جملة سكان المراكز العمرانية داخل دائرة تحيط بالمركز العمرانى المراد دراسته ويصل نصف قطرها الى ٥٣ كيلومتر ، أو بمعنى آخر فهى جملة عدد سكان الاقليم كله ناقص سكان المركز ح ، د اللذان يبعدان بأكثر من ٥٣ كيلومتر من المركز العمرانى . (١)

النزعة المركزية لتوزيع السكان :

هناك بعض الطرق الاخرى التى تهتم بتحديد مركز الثقل السكانى فى الاقليم ، وقد تطورت هذه الطرق فى العشرينيات وأوائل الثلاثينيات على يد الجغرافى الروسى سفياتلوفسكى Sviatlovsky الذى عنى بدراسة توزيع سكان الاتحاد السوفيتى وتحديد الموضع المركزى لهم، وتسمى نقطة الوسط mean point أو المركز المتوسط mean centre بمركز الجاذبية أو نقطة التساوى السكانى، وهى تعد نقطة ارتكاز التوزيع والتى يفترض أن تكون كل وحدة ذات وزن مساو فى مستوى مسطح افتراضى ، والتى يمكن أن تتحدد بتعيين نقطة التقاطع للمحورين الرأسى والافقى التى يكون المستوى عندها متعادلا تماما ، وبعبارة احصائية أخرى فهى النقطة التى يكون مجموع مربع المسافات ذات التوزيع السكانى حولها فى أدنى قيمة ممكنة والمركز المتوسط يكون حينئذ مساويا للتوزيع المساحى للوسط الحسابى للتوزيع الخطى .

ومن بين المقاييس المتعددة للنزعة المركزية - يعد المركز المتوسط أكثرها فائدة فى دراسة التغير السكانى فى المساحات المختلفة فى فترة زمنية محددة ، ومثله مثل الوسط الحسابى فى التوزيع الطولى - فان عيبه الرئيسى هو تاثره بالقيم المتطرفة الى حد كبير ، كذلك فهناك المركز الوسيط median centre والمركز المنوالى modal centre لتوزيع السكان وكلاهما يرتبط بالوسيط والمنوال فى الاحصاء ، وببساطة يشير المركز المنوالى الى أقصى كثافة فى رقعة الاقليم ، ويرتبط موضعه فى هذا المسطح الاقليمى بأحجام المساحات المدروسة ، وتتميز كثير من الدول بمراكز سكانية أحادية المنوال Uni - modal centres (لندن) وفرنسا

(باريس) والارجنتين (بوينس ايرس) ومصر (القاهرة) كاملة واضحة، في الوقت الذى تبدو فيه معظم العواصم الافريقية عكس ذلك تماما، وهناك دول ثنائية المنوال bi - modal centre مثل ساوباولو وريو دي جانيرو في البرازيل وسدنى وملبورن في استراليا ومونتريال وتورنتو في كندا، ويقل عدد الدول ذات التوزيع السكاني - متعدد المنوال mean centre وذلك بالرغم من وجود ميل نحو هذا الاتجاه في بعض الدول مثل الهند ونيوزيلندا وهولنده . وترتبط الخصائص الرياضية للمقاييس السابقة بالمواقع والاستخدامات المختلفة لكل منها ، ففي الولايات المتحدة تغير موقع المركز المتوسط multi - modal لتوزيع السكان بثبات نحو الغرب على امتداد خط عرض ٣٩° نتيجة عوامل الجذب السكاني المتوفرة في هذا الاتجاه .



شكل رقم (١٨)

العلاقة بين المساحة والسكان في الاسكندرية باستخدام منحنى لورنز

الفصل الثاني

انماط التوزيع السكاني في العالم

يتوزع سكان العالم البالغ عددهم ٥٣٨٤ مليون نسمة (سنة ١٩٩١) على سطح اليابس الذي تبلغ مساحته ١٤٣ مليون كيلو متر مربع، ويتباين توزيعهم من قارة لاخرى - بل وفي داخل القارة الواحدة حيث تتميز بعض المناطق بتركز سكاني شديد والبعض الاخر بندرة سكانية واضحة، وكقاعدة عامة فان توزيع السكان على سطح الارض يعد توزيعا غير متجانس سواء في التوزيع العددي المطلق أو في نسبته أو كثافته .

وتوضح الارقام التالية صورة التوزيع السكاني على مستوى القارات سنة ١٩٩١ (١) .

القارة	عدد السكان بالمليون	% من سكان العالم
آسيا (بدون كومنولث الدول المستقلة)	٣١٥٥	٥٨٫٦
أوروبا (بدون كومنولث الدول المستقلة)	٥١٥	٩٫٥
أفريقيا	٦٧٧	١٢٫٦
أمريكا اللاتينية	٤٥١	٨٫٤
أمريكا الشمالية	٢٨٠	٥٫٢
الاقويانوسية	٢٧	٠٫٥
كومنولث الدول المستقلة	٢٧٩	٥٫٢
الجملة	٣٥٨٤	١٠٠٫٠

ومن هذه الارقام ومن شكل رقم (٢) يبدو أن معظم سكان العالم يتركزون في العالم القديم ، حيث تضم قارتا آسيا وأوروبا مجتمعين نحو

(١) مصدر الارقام المطلقة :

I.N.E.D., Population et Sociétés, Numéro 259, Juillet - Août, 1991.

ثلاثة أرباع السكان بل أن قارة آسيا بمفردها - بالكومنولث أو بدونه - تضم أكثر من النصف ، أما أوروبا بما فيها الكومنولث فيعيش بها عدد يفوق مثيله في العالم الجديد ، ويقطن أفريقيا ١٢ر٥٪ فقط من سكان الأرض ، أما العالم الجديد فلا يعيش به سوى ١٤٪ .

ويختلف التوزيع السكاني حسب دوائر العرض اختلافا جوهريا وذلك لأن أقل من ١٠٪ من سكان العالم يعيشون في نصف الكرة الجنوبي ومثل هذه النسبة تعيش بين خط الاستواء ودائرة عرض ٢٠° شمالا وما يقرب من ٥٠٪ بين دوائر عرض ٢٠° شمالا ، ٤٠° شمالا ، كذلك يعيش ٣٠٪ بين دائرتي ٤٠ ، ٦٠° شمالا ، وأقل من نصف في المائة شمال دائرة العرض ٦٠° شمالا . وبمعنى آخر فإن حوالي أربعة أخماس البشر يعيشون بين دائرتي عرض ٢٠ ، ٦٠° شمالا وبالرغم من أن هذا النطاق يشمل معظم صحارى نصف الكرة الشمالي ويضم سلاسل جبلية وهضابا مرتفعة كالهيماليا والتبت فإنه يشمل منطقتي التركيز السكاني الرئيسيتين للبشر : الأولى في جنوب شرق آسيا حيث يعيش نصف سكان العالم في حوالي ٢/١ من مساحة الأرض ، والثانية في أوروبا - بما فيها روسيا الأوروبية - حيث ١/٨ سكان العالم ويشغلون نسبة ضئيلة من مساحة المعمور في الأرض تقدر بأقل من ٢/١ منها فقط .

ويبدو التباين في توزيع السكان وكثافتهم على المستوى القومي بوضوح ففي آسيا توجد خمس دول يعيش بها ٢٤٦٣ مليون نسمة وهى جمهورية الصين الشعبية والهند وروسيا الاتحادية واندونيسيا واليابان ، ويشكل سكان هذه الدول الخمس مجتمعة أقل قليلا من نصف سكان العالم بأسره سنة ١٩٩١ . وعلى النقيض من ذلك فإن سكان أفريقيا البالغ عددهم ٦٧٧ مليون نسمة يتوزعون على ٥٤ دولة ، وتتميز أفريقيا بتعدد الوحدات السياسية التى يقل سكان كل منها عن مليونى نسمة ومنها سوازيلاند وليسوتو وبتسوانا والجابون والكونغو وأفريقيا الجنوبية الغربية وغينيا الاستوائية وغينيا بساو وغامبيا وموريتانيا ، وليست هذه الجيوب السكانية قاصرة على أفريقيا بل إن أوروبا تشمل عددا منها مثل لخنشتين وموناكو وإيسلندا ولكسمبرغ واندوره ومدينة الفاتيكان، وكقاعدة عامة فإنه في الوقت الذى يتركز فيه حوالي نصف سكان العالم في ٥ دول فقط فإن النصف الآخر يتوزع على ١٩٥ دولة ووحدة سياسية من دول العالم .

وعلى ذلك فإنه يبدو أن هناك اختلافا واضحا في الحجم السكاني

للدول يمكن معه تقسيمها الى فئات سكانية على نمط الفئات المساحية (جدول رقم ١) ، (شكل رقم ٢) فهناك الدول العملاقة وهى التى يزيد عدد السكان بكل منها على ١٠٠ مليون نسمة مثل الصين (١١٥١) مليون نسمة) والهند (٨٥٩) والولايات المتحدة (٢٥٣) وأندونيسا (١٨١)

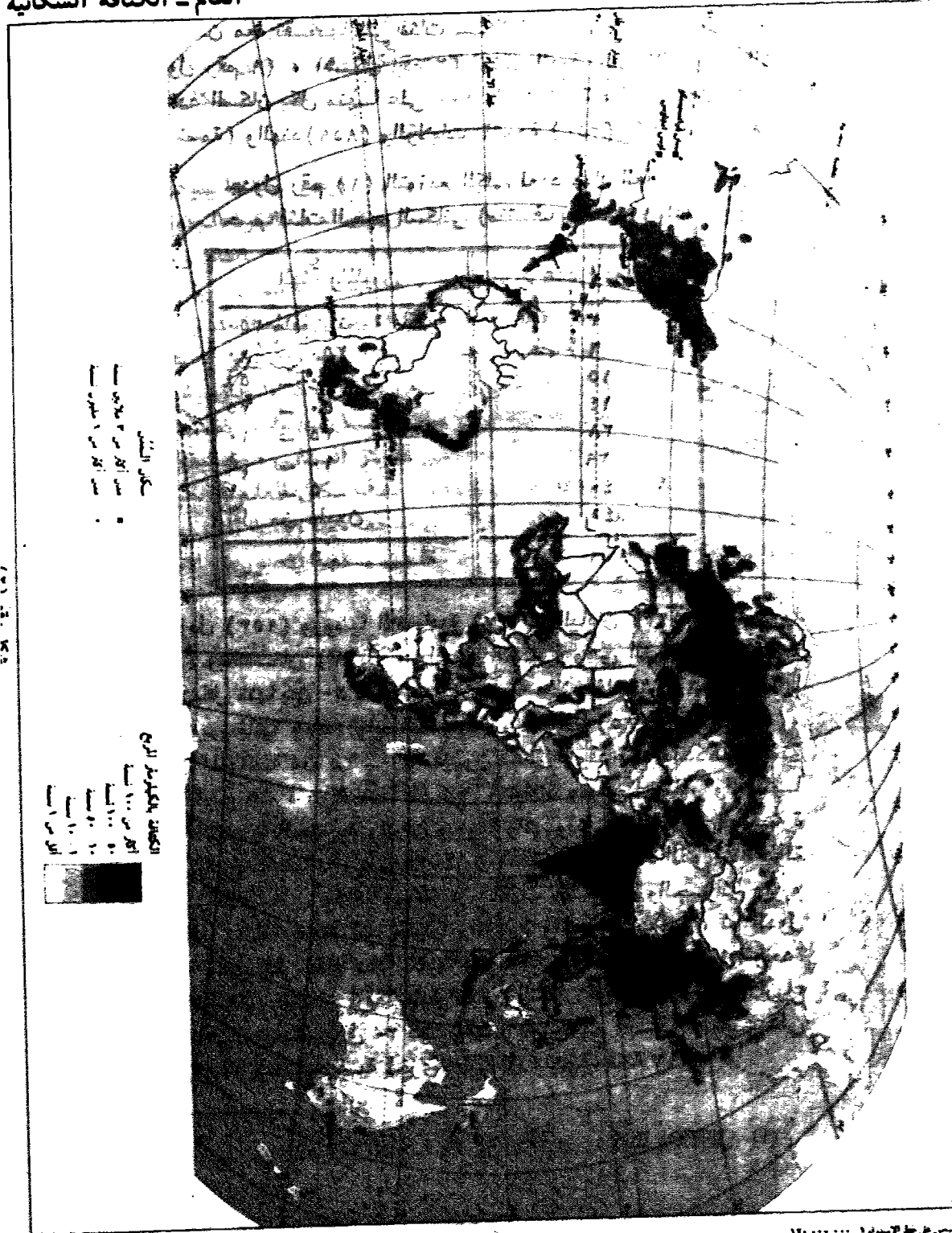
جدول رقم (١) التوزيع الكلى لعدد دول العالم حسب فئات الحجم السكانى (منتصف سنة ١٩٩١) (١)

عدد الدول	الفئة بالمليون
٣	٢٥٠ مليون نسمة فأكثر
٦	١٠٠ - ٢٥٠
١٥	٥٠ - ١٠٠
١٤	٢٥ - ٥٠
٢٨	١٠ - ٢٥
٢٩	٥ - ١٠
٤٠	١ - ٥
٤١	أقل من مليون
١٧٦	الجملة

والبرازيل (١٥٣) وروسيا الاتحادية (١٤٧) واليابان (١٢٣) ونيجيريا (١٢٢) وباكستان (١١٧) ، والدول الكبيرة وهى التى يتراوح عدد السكان بكل منها بين ٥٠ - ١٠٠ مليون نسمة مثلا بنغلاديش (١١٦) وألمانيا (٧٩) وبريطانيا (٥٧) وإيطاليا (٥٧) والمكسيك (٨٥) وفرنسا (٥٧) ، والدول المتوسطة من ٢٥ - ٥٠ مليون نسمة ، وقد بلغ عددها فى سنة ١٩٩١ أربع عشرة دولة منها الفلبين وتايلاند وتركيا ومصر وأسبانيا وبولنده وكوريا الجنوبية وايران وبورما واثيوبيا - ثم الدول الصغيرة التى يتراوح سكانها بين ٥ - ٢٥ مليون نسمة وعدد هذه الدول ٥٧ دولة من بينها الأرجنتين وكندا ورومانيا والمغرب والسودان والجزائر وبيرو وأستراليا وهولنده وتترانيا وكينيا وفرنزويلا والمجر وغيرها ، ثم الدول القزمية وهى التى يقل عدد سكانها عن ٥ مليون نسمة وعددها ٨١ وحدة سياسية ومعنى ذلك أن أربعة مليارات من السكان أى ما يعادل ثلاثة أرباع سكان العالم يعيشون فى ٢٠ دولة فقط ، أما الربع الباقى فيتوزع على حوالى ١٥٦ وحدة سياسية أخرى وذلك فى منتصف سنة ١٩٩١ .

(١) INED., Ibid.

العالم - الكثافة السكانية



سكن البشر
 أكبر من 1000 شخص
 بين 1000 و 500 شخص
 بين 500 و 200 شخص
 بين 200 و 100 شخص
 بين 100 و 50 شخص
 بين 50 و 20 شخص
 بين 20 و 10 شخص
 بين 10 و 5 شخص
 بين 5 و 1 شخص
 أقل من 1 شخص

الكثافة السكانية
 أكبر من 100 شخص
 بين 100 و 50 شخص
 بين 50 و 20 شخص
 بين 20 و 10 شخص
 بين 10 و 5 شخص
 بين 5 و 1 شخص
 أقل من 1 شخص



1971 - 1975

ويبدو واضحا من دراسة خريطة توزيع السكان في العالم أنها تتباين من قارة لآخرى تباينا واضحا كما سبق القول ، كذلك فان مدى التباين في داخل القارة الواحدة كبير هو الآخر ، ففي أمريكا الشمالية توجد أكثف المناطق في وسط شرقها وفي أمريكا الجنوبية توجد في منطقة البمبا وجنوب شرق البرازيل وبعض نويات العمران في المرتفعات الغربية ، وفي افريقيا تتمثل بؤرات التركيز السكاني في مصر ونيجيريا أما في أوروبا فان الاقليم الشمالي الغربي بها هو أكثف الاقاليم على الاطلاق خاصة في تلك المساحة الممتدة من الجزر البريطانية الى وسط المانيا وتتمثل مناطق الكثافة العالية في الاتحاد السوفيتي في منطقة أوكرانيا ، أما آسيا فان شرقها وجنوبها يعدان أكثر مناطقها بل أكثر المناطق في العالم ازدهاما ، وفي استراليا يعيش معظم السكان في جنوبها الشرقي قرب السواحل .

وإذا كانت دول العالم تتباين حسب حجم السكان بكل منها ، فإنها تختلف أيضا حسب مستوى التقدم الحضارى الذى يعكسه متوسط نصيب الفرد من الخدمات والدخل القومى ، ويمكن أن ينقسم العالم بصفة عامة في هذا المجال الى قسمين غير متساويين يتمثل أحدهما في الدول المتقدمة والتي يعيش بها ١٢١٩ مليون نسمة (٢٢,٦٪ من جملة سكان العالم) والآخر في الدول النامية - أو دول العالم الثالث - ويعيش بها ٤١٦٥ مليون نسمة (٧٧,٤٪ من سكان العالم) ، وتدل المؤشرات الديموغرافية أن نصيب الدول النامية من جملة سكان العالم أخذ في التزايد بدرجة كبيرة .

وبالرغم من أن العالم يمكن تقسيمه الى عدة مناطق متفاوتة في درجة الكثافة والتوزيع العددي للسكان بها ، الا أنه يمكن النظر الى صورة التوزيع السكاني على الارض من خلال نطاقين رئيسيين أحدهما يتميز بالنتشت والتبعثر والآخر بالتركز والازدهام ، وفيما بينهما توجد مناطق انتقالية تعد امتدادا لكلا النطاقين .

أقاليم التوزيع السكاني المبعثر :

تعد المناطق الجافة والغطاءات القطبية والجبال المرتفعة والغابات الكثيفة أقاليم التبعثر السكاني على خريطة العالم ، فتبدو الصحارى مناطق بيضاء شاسعة على خريطة السكان لندرة المياه وبالتالي ندرة الحياتين النباتية والحيوانية وهناك اقليمان صحراويان شاسعان في نطاق الرياح التجارية في كل من نصفى الكرة وان كانت صحراء النصف الشمالى أكبر من مثلتها في النصف الجنوبى . ولايتوزع السكان في هذه الصحارى

الا في جيوب منعزلة تتوفر بها المياه كما في مصر التي تبدو كواحة طولية تعتمد على مياه النيل وهي بالرغم من كثافة السكان العالية بها فانها لا تمثل الا منطقة ضئيلة للتركز السكاني في الصحارى، ذلك لان الصحارى بصفة عامة تعد اقل مناطق العالم كثافة للغاية حتى أن بعض مناطقها تصل الكثافة بها الى فرد واحد لكل عشرة كيلو مترات مربعة ، ومع ذلك ففي بعض الواحات يتركز السكان بدرجة عالية من الكثافة لاتتمشى مع مواردها المحلية ، ويحدث ذلك عندما توجد المياه بكميات وفيرة .

وتساعد الامطار التي تسقط في بعض المناطق الجافة على قيام حياة رعوية تمد اعدادا قليلة من السكان باحتياجاتهم الرئيسية ، ففي استبس القرعيز تتفوق اعداد الحيوانات على عدد السكان ، وحتى على حواف الصحراء الاسترالية فان القطعان الضخمة من الاغنام التي تزيد على ٥٠٠.٠٠٠ رأسا لا تتطلب سوى عمل حوالى ١٥ شخصا فقط . وفي بعض الحالات القليلة يجذب استخراج المعادن السكان الى قلب الصحراء حيث تنشا مدن صغيرة تعدينية في هذه البيئة القاحلة وحيث يعتمد العاملون في هذه المدن على جلب احتياجاتهم من الغذاء والماء من خارج هذه البيئة ، وقد ساعد التعدين على خلق مدن صحراوية وتضخمها مثل تعدين الذهب في الصحراء الاسترالية (كالجورلى) والولايات المتحدة. (كريبل كريك Cripple Kreek) ، كذلك في شرق صحراء شبه الجزيرة العربية حيث ساعد استخراج النفط على قيام مراكز عمرانية مشابهة .

اما البرودة فان تأثيرها على توزيع السكان اقل من الجفاف ومع ذلك فان شعوب القنص والصيد البدائية في النطاق القطبى قليلة العدد وتقل اعدادها بالاتجاه شمالا حتى أن عددا قليلا من الاسكيمو الذين يصيدون عجول البحر لديهم القدرة على اختراق الاصقاع الشمالية حتى خط عرض ٦١ شمالا . أما في نصف الكرة الجنوبى فان العمران البشرى يبتعد كثيرا عن القطب الجنوبى حيث تبتعد تيراد لفويجو عن القارة المتجمدة الجنوبية بحوالى ٦٠٠ أو ٨٠٠ كيلو مترا .

وعلى النقيض مما سبق فان المحلات العمرانية التعدينية لا تخضع لظروف البرودة أو لظروف الجفاف حيث أنشئت في كليهما مراكز تعدين طالما توفرت مقومات حرفة التعدين في هذه المناطق ، وقد كان الحديد الخام مثلا سببا في نشأة العمران في اللابلاند السويدى (جيليفير Gellivare) وخلق الذهب مدنا مثل دوصن سيتى (Dawson City) في وادى يوكن في كندا وفيربانكس (Fairbanks) وفورت يوكون (Fort Uukon) في الاسكا ،

وكذلك كان اليورانيوم والمعادن الاستراتيجية أو النفيسة سببا في انشاء يلسونيف (Yellownife) ونورمان ويلز (Norman Wells) ، وفي سيبيريا الروسية أدى اكتشاف الذهب والبتترول والفحم والمعادن النادرة الى انشاء سلسلة من المدن على امتداد الساحل القطبى من مور مانسك حتى أمبارشك (Ambaerchick) وهذه المدن عبارة عن محلات عمرانية صغيرة يسكنها عدد قليل من الرجال يعتمدون على المناطق الاخرى الى الجنوب منها في الاتحاد السوفيتى .

وتتمثل مناطق التركيز البشرى في الشمال البارد لدى بعض الجماعات مثل الاسكيمو واللاب والصامويد وغيرها - ولا يتجاوز عدد السكان شمال خط عرض ٦٥° شمالا مليون نسمة فقط وتبلغ مساحة النطاق القطبى وشبه القطبى قرابة ٢٧ مليون كيلو مترا مربعا ، ومن هذا النطاق الاسكا ومساحتها ١٦ مليون كيلومتر مربع وسكانها ١٣٠.٠٠٠ نسمة وشمال كندا ومساحتها ٦ مليون كيلو متر مربع وسكانه أقل من ١٠٠.٠٠٠ نسمة وجرينلاند ومساحتها ٢٢ مليون كيلو متر مربع وسكانها ٢٥.٠٠٠ نسمة والنطاق القطبى الروسى ومساحتها ٦ مليون كيلو متر مربع وسكانه قرابة نصف مليون نسمة وانتاركتيكا في الجنوب ومساحتها ١٢ مليون كيلو متر مربع ولايسكنها إلا عدد محدود من علماء الارصاد الجوية وبعض رجال القواعد العسكرية ومعنى ذلك كله أن حوالى ٢٠٪ من جملة مساحة اليابس لا يقطنه سوى ٢.٠٠٢٪ من جملة سكان العالم (١) .

وترجع ندرة السكان في النطاقات القطبية الى قسوة مناخها وعدم ملاءمته للظروف الفسيولوجية للجسم البشرى في الاحوال العادية ، فهذه المناطق تعد أقاليم شتاء دائم ولايتعدى أكثر الشهور حرارة بها ١٠ درجات مئوية فوق الصفر - وتظل الحرارة من - ٣٠° الى - ٦٠° مئوية في معظم شهور السنة .

وعلى الحواف الجنوبية للنطاق البارد في نصف الكرة الشمالى توجد مراكز عمرانية هامة قرب خط عرض ٦٠° شمالا في أوروبا الغربية مثل ليننجراد التى يقرب عدد سكانها من ٤ مليون نسمة واستكهم - مليون نسمة وهلسنكى وأوسلو ٦٠٠.٠٠٠ ، ٥٠٠.٠٠٠ نسمة على الترتيب ، أما

(1) George, P., Geographie de la Population, que - sais Je ?, 1187 Presses Univeritaires de France, Paris, 1973, p. 8.

المدن الهامة في كندا فهى كوبيبيك على دائرة عرض ٤٧° شمالا بسكان يقلون عن ٢٠٠.٠٠٠ نسمة ، وكذلك في الشرق الروسى الاقصى حيث توجد خاباروفسك Khabarovsk (٤٨° شمالا) أوفلاديفوستك (٤٣° شمالا) .

أما في الجبال فيقل عدد السكان بالارتفاع ، ولذا فان الجبال الشاهقة غير معمورة دائما فلا يعيش في هضبة التبت سكان على مستويات أعلى من ٥٠٠٠ مترا ، وفي سويسرا فان المناطق التى تعلو على ١٠٠٠ متر لاتحوى سوى ٥% فقط من جملة سكان البلاد والمناطق التى تزيد على ١٥٠٠ متر لا يعيش بها سوى ٥% من السكان . وفي البيئة الباردة فان عدد السكان يتناقص في مناسيب ارتفاعات أقل من البيئات الاخرى ، ففي سكوتلاند وويلز تبدأ ندرة السكان على ارتفاع عدة مئات من الاقدام على سطح البحر .

وعلى ذلك فان الجبال تتباين في دورها في توزيع السكان حسب العروض التى توجد بها حيث يتركز السكان في المناسيب التى ثلاثم ظروفها الطبيعية معيشتهم وقد يكون استخراج المعادن من المناطق الجبلية المرتفعة سببا في جذب السكان وتركزهم في هذه المرتفعات ، ففي بيرو يتم استخراج المعادن الثمينة في مدينة سيرو دى باسكو (Cerro de Pasco) (٤٧٠٠ متر) وپوتوسى (Potosi) (٤٤٥٠ متر) وأورورو (Oruro) (٤٤٥٠ متر) ، وكانت مناجم الذهب عند منابع نهر السند في توك شالونج (Tok Dschalung) سببا في نشأة العمران على ارتفاع ٥٣٠٠ مترا فوق منسوب سطح البحر .

وتشجع ظروف الحرارة والامطار في المناطق الجبلية العالية في البيئة المدارية على تركيز السكان ، كما في المكسيك وكولومبيا وبيرو، ففي المكسيك تصل الكثافة في أناواك (Anahuac) الى أكثر من ١٩٠ نسمة في الكيلو متر المربع مقابل ٧٠ نسمة في الشريط الساحلى وفي أثيوبيا فان أكبر المدن في البلاد هى أديس بابا على ارتفاع ٢٦٢٤ مترا، وتجذب الجبال في النطاقات الجافة بعض السكان اليها مثل المناطق الداخلىة في جنوب غرب آسيا حيث توجد المراكز العمرانية في الاقاليم الجبلية مثل صنعاء (٢٣٠٠ مترا) في اليمن وطهران (٩٠٠ مترا) في ايران .

كذلك فان هناك مناطق جبلية لعبت دورا هاما في جذب اللاجئين اليها وأدى ذلك الى ارتفاع الكثافة السكانية بصورة غير عادية كما في جبال القبائل في الجزائر وجبال الالب الترانسلفانية ، ومع كل ذلك فانه رغم

جذب الجبال في بعض الاقاليم للسكان فانها تدخل ضمن المناطق المبعثرة على خريطة السكان في العالم .

اما المناطق الغابية فيصعب اقامة مراكز عمرانية بها ، وكانت غابات النطاق المعتدل خالية من السكان يوما ما ، واليوم فان غابات الامازون الشاسعة لا يوجد بها الا عدد قليل للغابة من السكان نسبيا بالمقارنة مع المناطق المرتفعة الخالية من الغابات والتي تتراوح كثافة السكان بها من ٤٠ - ٨٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، ويمكن ملاحظة نفس التناقض في الفلبين حيث تكون الجبال المغطاة بالغابات غير مسكونة بينما تكون السهول الخالية من الغابات والتي تسود فيها الزراعة كثيفة السكان .

وتتميز كل هذه الاقاليم المبعثرة السكان بملحج مشترك هو العمران غير المنتظم ذو النمط المشتت ، ومثل هذا التبعثر يجعل من الحديث عن الكثافة امرا غير ذي معنى وذلك لان هناك مساحات واسعة غير مسكونة على الاطلاق - بينما توجد نقط صغيرة هي التي يتركز فيها السكان ، واحسن الامثلة على ذلك البؤرات الكثيفة السكان الممتدة في الواحات المبعثرة في صحارى افريقيا وغرب آسيا وهذه مناطق تتصف بمزايا تعويضها عن الجفاف السائد فهي ذات تربات خصبة فيضية منقولة او محلية وبمناخ مشمس ودافئ او بتوافر مورد للمياه ، وهي سمات يتميز بها نطاق الواحات الذي يمتد من البنجاب حتى بكتريانا (Bactriana) شمال افغانستان وفي غرب آسيا من العراق حتى ساحل سوريا ولبنان (الهلال الخصيب) ، وفي مصر التي عرفت الزراعة منذ عهود قديمة وشهدت ثورة اقتصادية في القرن التاسع عشر تمخضت عنها زيادة ضخمة في عدد السكان من ٤ مليون نسمة سنة ١٨٤٦ الى ١٤ مليون سنة ١٩٢٧ الى ٣٨ مليون سنة ١٩٧٦ . ثم الى ٥٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ .

اقاليم التوزيع السكاني الكثيف :

تبدو على خريطة العالم اربع مناطق كثيفة السكان تفصلها عن بعضها البعض صحارى او بحار وهذه المناطق هي شرق الولايات المتحدة الامريكية واوربا والهند والصين واليابان وتقع كلها في نصف الكرة الشمالي وبالتحديد بين مدار السرطان وخط عرض ٦٩° شمالا وهي تحوى اكثر من ثلاثة ارباع سكان العالم ، ومن بين هذه المناطق نشأت الولايات المتحدة منذ قرابة مائتى عام فقط ، وفيما عدا اليابان فان هذه المناطق تتميز بسمه مشتركة ، انها كلها مناطق ذات سهول واسعة تتكون في اودية نهريه مثل الهوانجھو

واليانجتي كيانج والجانج وسهل شمال وشرق أوروبا ثم أودية الميسبي وروافده ، كذلك فهي دول أنهار كبرى وقريبة من البحر وأصبحت كلها من مناطق انتاج الحبوب بوفرة خاصة القمح والذرة والارز ، وتعد أوروبا وأمريكا الشمالية منطقتين للتركز السكاني يفصلهما المحيط الاطلسي الشمالي ولكنهما في الواقع امتداد لبعضهما لان سكان أمريكا الشمالية من أصول أوروبية ولهم نفس المستوى الحضارى .

توزيع السكان في أوروبا :

أوروبا من القارات التي يأخذ توزيع السكان فيها نمطا متدرجا منتظما حيث منطقة الكثافة العظمى بها في الشمال الغربى وتقل بالاتجاه شمالا وشرقا وجنوبا ، وباستثناء سكان كومولث الدول المستقلة فان عدد سكانها يبلغ ٥١٥ مليون نسمة يعيش ثلثا هذا هذا الرقم في مناطق عالية الكثافة ، وليست هناك مساحات واسعة خالية السكان أو فجوات متسعة ذات تخلخل سكاني واضح كما تبدو صورة السكان في شبه القارة الهندية مثلا ، وهذا التجمع السكاني الاوربي الضخم كان منبعا للهجرة الخارجية من القارة والتي غيرت من صورة التوزيع السكاني في العالم الجديد وفي الامريكيتين واستراليا بل وفي بعض مناطق أفريقيا كذلك .

وبالرغم من الحقيقة المعروفة من أن أوروبا قد شهدت هجرة خارجية على نطاق واسع في القرنين الاخيرين - بخلاف أى قارة أخرى الا أنها أكثر القارات ازدحاما (تعد آسيا أكثر سكانا الا أن بها مناطق واسعة تخلو من السكان) وقد يكون ارتفاع كثافة السكان في أوروبا راجعا الى أنها لا تضم مناطق صحراوية جافة ، مع صغر المساحة الواقعة في النطاق البارد في شمالها ثم توافر الموارد المعدنية الطبيعية والغابات والتربة الخصبة في نطاق العروض الوسطى . كذلك فان سكان القارة موزعون توزيعا غير عادل ومع ذلك فانها أكثر القارات تجانسا في توزيعهم بالمقارنة بباقي القارات ، ويرجع ذلك الى ضالة مناطق التخلخل السكاني فيها وبصفة عامة فان منطقة الكثافة السكانية العالية بها تمتد من وسط بريطانيا عبر شمال شرق فرنسا والاراضى المنخفضة وتستمر حتى الحدود الغربية للكومولث الجديد وهناك مناطق أخرى ذات كثافة عالية مثل حوض البو في ايطاليا وحوض الرون الادنى في فرنسا .

وتبدو درجة التباين في مستويات الكثافة اذا ما قورنت بعض الدول غيرها ، فتعتبر هولنده أكثر الدول كثافة حيث تصل بها الى ٤٠٠ نسمة

في الكيلو متر المربع وتليها بلجيكا (٣٣٠) ثم بريطانيا (٢٣٥) والمانيا (٢٢٢) وايطاليا (١٩٢) ثم فرنسا (١٠٣) .

ويرتبط توزيع السكان في أوروبا بعامل التضاريس حيث تعد المناطق السهلية أكثر ملائمة للسكنى مما ترتب عليه تركيز واضح للسكان ، وأوضح الامثلة على ذلك تلك المنطقة السهلية الممتدة من غرب فرنسا عبر الاراضى المنخفضة وشمال المانيا مشتملة على أجزاء من جنوب شرق انجلترا وكذلك في مناطق السهول الصغرى مثل سهل البو وسهل الرون ومنخفضات جنوب اسبانيا ، وقد تكون بعثرة السكان وتخلخلهم في المرتفعات الاوربية هضابا كانت أم جبالا ناتجة عن برودتها بالنسبة للسهول المجاورة ، مما يجعلها أقل ملائمة للزراعة ومن ثم للتركز السكاني، كذلك يبدو أن هناك ارتباطا قويا في شمال غرب أوروبا بين توزيع السكان وحقول الفحم والتي تتصل اتصالا سهلا بمناجم الحديد وتتناول ذلك بتفصيل أكثر فيما بعد .

على أن المناطق المبعثرة السكان والقليلة الكثافة في أوروبا تشغل مساحات قليلة في القارة ويرتبط بعضها مباشرة بعامل الارتفاع والبعض الآخر بسوء التصريف المائى أو فقر التربة وتتمثل في مرتفعات الالب واليرانس والكريات ومعظم المرتفعات الاخرى ، ومن الصعب أن نقرر أن فلة سكان هذه المناطق راجع الى طبيعة سطحها أو مناخها البارد ، بل أن هناك عوامل متعددة تشارك في هذه الظاهرة ويبدو أثر التضاريس واضحا في اليرتغال واسبانيا ، باستثناء منطقة مدريد فان أعلى كثافة سكانية تتركز في النطاق الهامشى في المنخفضات الفيضية .

ويمكن اتخاذ ايطاليا كمثال لتوزيع السكان في دولة اوربية كثيفة السكان حيث يصل عددهم الى ٥٨ مليوناً من البشر ويتوزعون توزيعاً غير عادل فوق رقعتها التي تتباين من السهول المستنقعية الى المرتفعات الالبية ، وتتكون ايطاليا في معظمها من اراض تلالية ومرتفعات جبلية وكلاهما لايساعد على الزراعة الكثيفة ، وبالرغم من الموارد المحدودة والهجرة نحو الخارج ومعدل المواليد المنخفض فان سكان ايطاليا يتزايدون بمعدل ١٠ في الالف سنويا اذا استمر المعدل على ما هو عليه فان سكانها سيتضاعفون خلال ٧٢ سنة .

ويتركز سكان ايطاليا في سهل البو شمالا ، كما يوجد مناطق ثانوية لتركزهم في الجنوب وخاصة في سهول نابلى وفي بعض المناطق الساحلية في جزيرة صقلية ، ويعد عامل السطح هاما في تفسير هذا التوزيع ولكن

كمية الامطار الساقطة وموارد المياه الاخرى تعد عاملا في هذا المجال ففي سهل البو يتميز السطح في هذا الاقليم الفيضى الفسيح بالاستواء حيث يغذيه روافد النهر التي أوجدت بيئة سهلية مناسبة للزراعة ، كذلك فان كمية الامطار الساقطة هنا كبيرة وأكثر من مثيلتها في باقى ايطاليا وخاصة في فصل الصيف عندما تساعد الظروف على الزراعة آنذاك ، كما تساعد الروافد النهرية التي تتغذى من الثلوج الذائبة من مرتفعات الالب على زيام الزراعة مساعدة كبيرة ، كما قامت بهذا السهل صناعات متعددة يمكن تسيير تركزا بسهولة الحصول على الطاقة الكهربائية المولدة من الماء وعوامل أخرى كتوفر القوى العاملة المدربة صناعيا .

ومع أن كثافة السكان تزيد على ٢٠٠ شخص في الكيلو متر المربع في سهل البو - الا أن هناك مناطق صغيرة في هذا الحوض قليلة السكان وتشمل الضفاف القريبة من المجرى والتي كانت الفيضانات وماينتج عنها من آثار مدمرة وأوبئة قبل تحكم الانسان فيها من أهم الاسباب التي أدت الى ابتعاد التركيز السكانى عنها واتجاهه شمالا وجنوبا .

وكانت ايطاليا من المناطق الرئيسية للهجرة الخارجة في الماضى وذلك لتزايد السريع في السكان وضغطهم على الارض الزراعية مما جعل الكثيرين يتجهون للهجرة الى أقطار أخرى وخاصة الولايات المتحدة حيث يوجد بها في الوقت الحاضر قرابة المليون من مواليد ايطاليا وملايين أخرى من أصول ايطاليا كذلك هاجر الايطاليون الى فرنسا وشمال افريقيا والبرازيل والارجنتين بأعداد كبيرة.

وفي النطاق شبه الجزرى جنوبا وفي الجزر الايطالية مثل صقلية وسردينيا فان مظاهر الحياة تختلف عن مثيلتها في سهل البو - ذلك لان هذه المناطق وان كان يوجد بها أقاليم تزيد كثافة السكان بها على ٢٥٠ نسمة في الميل المربع - الا أن معظم الاراضى جبلية المظهر وعرة التضاريس وتقل فيها المساحات الصالحة للزراعة والتي تقتصر على مناطق من السهل الساحلى ومع ذلك فهى كثيفة الانتاج الزراعى ومتعددة المحاصيل، وجدير بالذكر أن معظم الهجرات الخارجة من ايطاليا خرجت من هذه المناطق واتجه بعضها الى سهل البو والآخر الى دول أخرى .

سكان كومونولث الدول المستقلة : تبلغ مساحة كومونولث الدول المستقلة حوالى ٢٢ مليون كيلو مترا مربعا ويصل عدد سكانه الى ٢٧٩ مليون نسمة في أواخر سنة ١٩٩١ ، ويبدو عدم التساوى السكانى على رقعة دول

الكومنولث الى حد كبير كما يبلغ متوسط الكثافة العامة ١٣ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتعد منطقة غرب أوكرانيا وغرب روسيا الاوربية من أكثر المناطق كثافة ، وتمتد الكثافات المتوسطة خلال الاجزاء الوسطى عن روسيا الغربية وفي مناطق مبعثرة على امتداد الطرف الشرقى للبحر الاسود وفي مناطق الزراعة القائمة على الري في التركستان ، ويبدو أثر المناخ في الكومنولث واضحا في توزيع السكان حيث لايلائم المناخ السكان في كثير من المناطق وأهمها نطاق التندرا في شمال أوراسيا وكذلك معظم نطاق الغابات الصنوبرية ، ونطاق الاراضى الجافة في تركستان وفي أقصى جنوب شرق روسيا الاوربية وقد أدى امتداد خط السكك الحديدية السيبيري من لننجراد حتى فلاديفوستك الى خلق شريط سكاني حوله في سيبيريا .

وقد كان لارتفاع معدل المواليد في دول الكومنولث أثر واضح في تزايد السكان به ، وقد حدا ذلك بالحكومة الروسية أن تتجه لاستغلال اراض جديدة لزراعتها بعد أن تركز السكان في الاراضى المنتجة في روسيا الاوربية وقد أضافت برامج التنمية مساحات كبيرة للاراضى الزراعية في النطاق الصحراوي في تركستان الذى تعتمد الزراعة فيه على الري، وكذلك امتلقت اراضى واسعة في شرق سيبيريا وأصبحت مناطق تركز سكاني ثانوى في الوقت الحاضر وساعد على ذلك استغلال الثروات المعدنية في سيبيريا وانشاء طرق النقل المختلفة لهذا الغرض .

وتعتبر جمهورية أوكرانيا الممتدة من بولنده الى نهر الدن من أكبر مناطق الكومنولث كثافة في السكان حيث تزيد فيها على ٨٦ نسمة في الكيلو متر المربع وتشارك في ذلك مع المناطق الكثيفة في أقصى غرب الكومنولث وفي النطاق الصناعى في الشرق ، وقد ارتبط التركيز السكانى في أوكرانيا بتوفر المقومات الجغرافية للانتاج الزراعى ، لذلك يعد هذا الاقليم من أكثر جهات الكومنولث صلاحية للزراعة . فبالرغم من الامطار القليلة فانها أكثر من أجزاء أخرى كثيرة في روسيا ، فيصل متوسط الامطار المساقطة على كييف مثلا ٢٤ بوصة سنويا كما تلائم الحرارة الانتاج الزراعى الى حد كبير حيث تصل الى ١٩م° في شهر يوليو كما أن الشتاء ليس طويلا ويتميز الصيف بالاعتدال ، وبالإضافة الى ذلك فان تربة اللويس التى تتميز بها أوكرانيا تعد أكثر التربات خصوبة بالمقارنة بالانواع الاخرى للتربات في دول الكومنولث وتنتج هذه الجمهورية كميات كبيرة من القمح والبنجر .

وقد اتسعت أوكرانيا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية عن طريق

اكتساب اراض من جنوب شرق بولنده وشرق تشيكوسلوفاكيا ونتيجة لذلك فقد اضيفت اليها اراضى زراعية خصبة،وعلى امتداد رقعة دول الكومنولث فان هناك ارتباطا قويا بين تركيز السكان وكثافة الزراعة وذلك فيما عدا المناطق الصناعية كما هى الحال فى اقليم الدونباس الذى يعتبر الاقليم الصناعى فى حوض نهر الدن ، والذى يعد اقليما صناعيا زراعيا – ويرجع تقدمه الصناعى الى توفر عوامل الصناعة مثل حقول الفحم الى الشمال الغربى للندن الادنى مباشرة ، كذلك فان خام الحديد يتركز فى منطقة قرب كريفوى رج عند الثنية الكبيرة لنهر الدنيبير وتخدم هذا الاقليم وسائل نقل متعددة تتمثل فى النقل المائى عن طريق القنوات والانهار وكذلك النقل البحرى والبرى ، ويتميز سكان شرق أوكرانيا بالحضرية أكثر من سكان غرب أوكرانيا الريفين حيث قامت الصناعة فى الشرق فى ثنية الدنيبير الكبرى بصفة أساسية على خام الحديد والفحم والتقدم الكبير فى استغلال المياه لتوليد الطاقة الكهربائية .

توزيع السكان فى أمريكا الشمالية :

تعد الولايات المتحدة امتدادا أوربيا فى أمريكا الشمالية وقد شهدت زيادة سكانية كبيرة فى القرن ونصف القرن الاخيرين كما تبين الارقام التالية:

عدد السكان	السنة
٣١٠ر٥٠٠	١٨٠٠
١٧ر١٠٠ر٥٠٠	١٨٥٠
٧٦ر٥٠٠ر٥٠٠	١٩٠٠
١٥١ر٧٧٢ر٥٠٠	١٩٥٠
١٨٠ر٥٠٠ر٥٠٠	١٩٦٠
٢٢٨ر٥٠٠ر٥٠٠	١٩٧٠
٢٥٢ر٨٠٠ر٥٠٠	١٩٩١

وتتميز الولايات المتحدة الامريكية – مثل أوربا – بالمناخ المعتدل الذى ساعد على تركيز السكان وكذلك الثقافة الاوربية فى بيئة ملائمة طبيعيا دون حاجة لجهد ضخم لتغيير ظروفها ، ويتركز ثلاثة أرباع سكانها فيما بين خطى حرارة ٤٥°ف (٧°مئوية) و ٦٠°ف (١٦°مئوية) حيث تتراوح كمية الامطار من ٣٠ الى ٥٠ بوصة ، وكما فى أوربا فان تربة السهول

تتكون من رواسب غرينية خصبة في معظم الاحوال أو تكون نتاجا لركام جليدي خصب أيضا وقد تحولت أقاليم الغابات الواسعة الى مناطق عظيمة من المزارع كذلك فقد ساعدت الثروة المعدنية وموارد القوى والوقود بعد ذلك على التركيز والاستقرار اعتمادا على توفر مقومات الصناعة التي تطورت تطورا كبيرا في خلال عدة أجيال فقط اعتمادا على الخبرة الاوربية.

وبالرغم من تشابه البيئتين الاوربية والامريكية الشمالية الا ان الاخيرة تتمتع بمميزات تفوق أوروبا حيث توجد بها أراض واسعة يمكن أن تستوعب أعدادا اضافية من السكان ، كذلك فان أوروبا التي تقطعها هضاب قديمة وسلاسل البية تختلف عن أمريكا الشمالية التي لاتميزها عوائق طبيعية في التضاريس ولذا فان المناخ البارد في كندا يتحول تدريجيا الى مناخ شبه مدارى في لوزيانا حيث نطاق شاسع من زراعة القمح والذرة والقطن ، كذلك فان هناك امتدادا للمؤثرات المدارية التي تحمل الهواء الدافئ الرطب نحو الشمال في الصيف وتجعل زراعة الذرة ممكنة حتى نطاق البحيرات العظمى .

وقد كانت أمريكا الشمالية شبه خالية من السكان قبل وفود أفواج المهاجرين الشبان اليها وبخلاف أوروبا التي نما سكانها نموا طبيعيا أى بسبب الزيادة الطبيعية فقط ، فان سكان الولايات المتحدة تزايدوا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة فقد بلغ نصيب هذه الزيادة فيما بين سنتى ١٨٢٠ ، ١٩٢٠ - ٧٣٪ من جملة الزيادة الكلية (١) . وقد توزع السكان على رقعة الولايات المتحدة ولكن توزيعهم كان غير متساو بين ولاياتها ففى الغرب مثلا يوجد نطاق واسع من الاراضى الجافة والجبلية والتي تنخفض فيها الكثافة السكانية الى شخصين فى الكيلو متر المربع وتزيد الى ١١ شخص على ساحل المحيط الهادى . وهناك أربع مناطق ذات كثافة سكانية متوسطة وهى بجت سوند (Puget Sound) ووادى كولومبيا الادنى واقليم سان فرنسيسكو واقليم لوس انجلوس والمناطق المزروعة على الرى حول دنفر (Denver) أما فى الشرق فباستثناء ولايتى مين وفلوريدا - لا يقل متوسط الكثافة عن ١٢ شخص فى الكيلو متر المربع .

وبصفة عامة فان هناك نطاقا من الكثافة العالية التى تصل الى ٦٥ نسمة فى الكيلو متر المربع يمتد من بوسطن على امتداد ساحل نيوانجلند

(1) Perpillou, A. V. Human Geography, Longman Group Ltd., London, 1971, p. 352.

حتى المصببات الخليجية الكبرى جنوبا حيث توجد فيلاديلفيا وبلتيمور وواشنطن ، ثم يتفرع عبر بنسلفانيا الى البحيرات العظمى حيث شيكاغو وملووكي وهذا التركيز السكاني غير العادى يرتبط - كما فى أوربا - بنشاط تجارى ضخم وقد تتابعت موجات من المهاجرين من هذا الجزء الشرقى عبر الميسيبى نحو الغرب والجنوب الغربى والباسفيكى .

توزيع السكان فى آسيا :

تتميز قارة آسيا بتركز معظم سكانها فى مساحات قليلة وكذلك بتشتت السكان فى مساحات واسعة مما يعطيها نمطا عاما مميذا ، وتمثل المناطق الشاسعة ذات التبعثر السكانى فى اواسط آسيا الجاف اى فى غرب الصين ومنغوليا وكذلك فى الاقطار الجنوبية الغربية بل وفى بعض المناطق المدارية مثل بورنيو وبعض الجزر المجاورة ، أما الصورة العكسية للتشتت السكانى فتبدو فى تركيز السكان بدرجة كبيرة فى اقاليم صغيرة المساحة مثل اليابان وجاوه وشرق الصين وسهول الجانج وساحل مالابار فى الهند .

ويعيش معظم سكان آسيا فى سهول تتوفر بها المياه سواء مياه الانهار أو الامطار مثل نهري اليانجتسى والجانج الادنى ، والبعض الاخر يعتمد على الامطار الموسمية الصيفية كما أن السهول ذات المياه الوفيرة وذات فصل النمو الطويل يمكن أن تنتج محصولين أو ثلاثة فى نفس رقعة الارض فى العام الواحد مما يكفى احتياجات السكان فى معظم الاحوال .

وبالرغم من أن الشرق الاقصى تقطعه الصحارى والجبال والبحار الا أنه يمثل تجمعا سكانيا هائلا على خريطة العالم ، وترتفع معدلات زيادة السكان به زيادة كبيرة عن التجمع الاوربى أو الأمريكى ، ويعتمد هذا الاقليم على الزراعة اعتمادا رئيسيا وتساعد ظروف البيئة الطبيعية على توفر أقصى الظروف لانتاج محاصيل الغذاء فالمنخا الموسمى يتميز بامطار دورية منتظمة الى حد كبير وتتركز فى فصل واحد يكون مرتفع الحرارة كذلك يتميز جنوب شرق آسيا على امتداد سواحله بالسهول الفسيحة والدلتاوات النهرية ذات التربة الخصبة ، وقد استطاع الانسان فى كل هذه الاقاليم أن يتحكم فى المياه لاستخدامها فى الرى وانتاج حبوب الغذاء وخاصة الارز ومع ذلك فان التركيز السكانى فى الهند وفى الصين وفى الجزر المجاورة يتباين عن بعضه البعض فى خصائصه وظروفه .

وتعد الهند دولة زراعية ، وباستثناء قلة من المدن الكبرى وبعض المراكز الحديثة للصناعات الهندسية فان الصناعة تلعب دورا محدودا فى

اقتصاد البلاد وحتى الزراعة تعد حرفة غير كاملة لان الماشية ليس لها مكان رئيسى بها . وتعتمد الزراعة على الامطار الموسمية وتوفر التريبات الخصبة فى السهول والادوية النهرية ونتيجة لذلك فان الكتلة السكانية الضخمة التى تعتمد اعتمادا كليا على ظروف البيئة الطبيعية تتوزع بدقة حسب توزيع الظاهرات الطبيعية وخاصة الامطار ، ويتمشى توزيع الكثافات العالية تماما مع مناطق الامطار الغزيرة التى تؤدى الى انتاج المحاصيل بكميات وفيرة ، وتوضح الارقام التالية والشكلان (٣ ، ٤) العلاقة بين الامطار وكثافة السكان فى الهند(١) .

الاقليم	متوسط الامطار السنوية بالبوصة	كثافة السكان فى الميل المربع
دلتا الجانج	٧٨	٥٥١
السهل الساحلى الشرقى	٤٧	٤٨٩
السهل الجنوبى الشرقى	١٠٢	٣٣١
الدكن	٢٩	١٥٠
الاقليم الشمالى الغربى الجاف	١١	٦٤

ويعتمد نمو المحاصيل والحصاد الدورى عاما وراء عام على انتظام سقوط الامطار الموسمية ، ويبدو ذلك بوضوح فى البنغال حيث يزرع محصولان عادة أو ثلاثة محاصيل أحيانا من الارز فى العام الواحد أحدهما فى الفترة من يولية حتى سبتمبر والثانى من نوفمبر حتى ديسمبر والثالث فى ابريل ومايو .

ويتباين توزيع السكان فى شبه القارة الهندية تباينا كبيرا بمتوسط كثافة يصل الى أكثر من ٣٠٠ نسمة فى الميل المربع وتصل الكثافة أقصاها فى وادى الجانج - والذى تربو الكثافة فيه على مثلتها فى بلجيكا مثلا وفى مساحة تقل قليلا عن مساحة فرنسا ، ويحوى هذا الاقليم ٦٠٪ من جملة سكان الهند بكثافة تزيد على ٥٠٠ نسمة فى الميل المربع فى الاقاليم التى تزرع الارز ثلاث مرات فى العام الواحد وبين ١٠٠ - ٢٥٠ نسمة فى الاقاليم التى تزرعه مرتين ، ومن ١٠٠ - ٢٥٠ نسمة أيضا فى نطاق زراعة القطن ومن ٥٠ الى ١٠٠ فى الهضاب والمرتفعات الداخلية(٢) (انظر الشكلين رقم

(1) Perpillou, A. V., Ibid., p. 354.

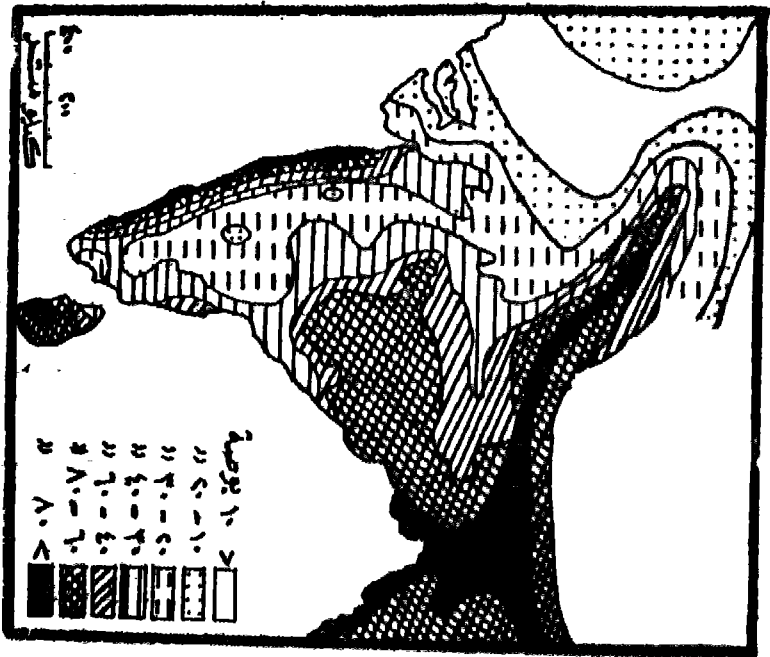
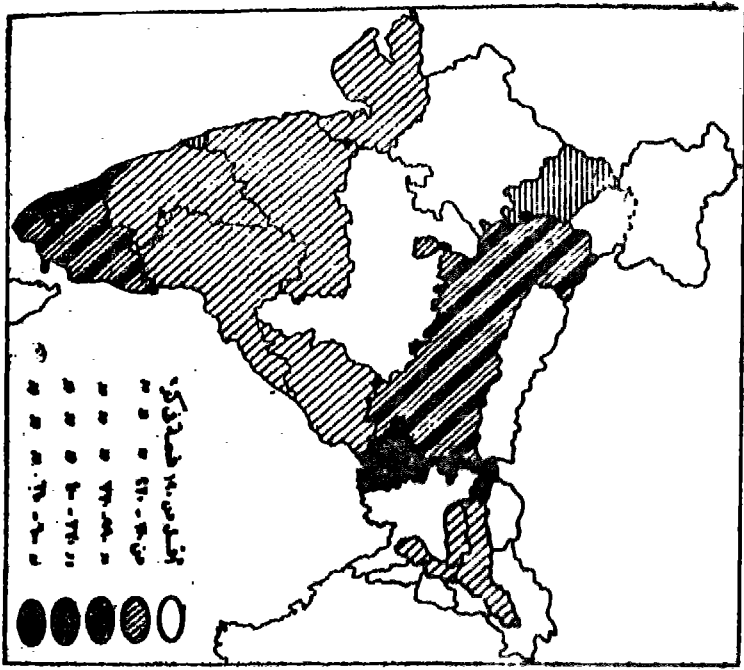
(2) Ibid., p. 355.

٣ ، ٤) وتزيد الكثافة في بعض المناطق في هذه الاقاليم بسبب تركيز الصناعة والتجارة بالإضافة الى الزراعة فتصل الكثافة مثلا في منطقة نيودلهي الى اكثر من ١٠٠٠ نسمة في الميل المربع وفي بنجلاديش تزيد على ١٧٠٠ نسمة وينعكس التركيز السكانى الكبير على الاحجام الصغيرة للمزارع والحقول التى تعيش الاسر التى تزرعها على محاصيلها الغذائية .

وينشابه التركيز السكانى في الصين مع مثيله في الهند في خصائص كثيرة ، فهى تعد دولة زراعية أساسا ولكنها أقل مدارية من الهند وتتيح ظروفها تعدد الاقاليم الانتاجية المحصولية بها حيث توجد مساحات كبيرة ذات تربة خصبة وتتركز مناطق الانتاج الزراعى في التربة الصفراء في اشمال الغربى والسهول الدلتاوية للانهار الكبرى حيث قامت بها الزراعة منذ عهود بعيدة معتمدة على جهود البشر وعلى التسميد العضوى ويعتمد انتاج الزراعى على محصولين غذائيين هما القمح في الشمال والارز في انجنوب - وبالإضافة الى ذلك يزرع الفلاح الصينى بعض المحاصيل النقدية الاخرى مثل الشاى والقطن وأشجار النوت لتربية دود الحرير على اوراقها .

وليس عدد السكان في الصين معروفا بدقة ، ولكن تقدره الامم المتحدة بنحو ١١٥١ مليون نسمة في سنة ١٩٩١ - وكما هى الحال في الهند فان سكان الصين لا يتوزعون بالتساوى على رقعة بلدهم الشاسعة ذلك لانهم يتركزون بدرجة كبيرة في الاراضى الزراعية مما يؤكد الارتباط الوثيق بين عددهم وظروف البيئة الطبيعية ، في الوقت الذى يتبعثر فيه السكان في النطاقات الداخلية الجافة والجبلية حيث نادرا ما تزيد الكثافة في يونان وكوانجسى في الجنوب الغربى على ٧٥ نسمة في الميل المربع وهى مناطق تتميز بالمظهر التلالى والجبال المنخفضة بالرغم من المشروعات الحديدية للتعدين والرعى فيها . أما الكثافة العظمى فتسود في الشمال حيث تزيد على ٦٠٠ نسمة في الميل المربع في شانتنج وفي وادى يانجتسى وتصل الكثافة الى ٩٠٠ نسمة في الميل المربع في سهل شنجتو (Chengtú) والى أكثر من ٢٠٠٠ نسمة في الميل المربع - بل أن هناك بقعا في دلتا اليانجتسى الادنى تصل الكثافة بها الى رقم نادر يصل الى ٣٨٨٠ نسمة للميل المربع .

وتسود ظروف مماثلة في توزيع السكان في الجزر في الشرق والجنوب الشرقى ، فيتركز السكان في السهول الدنيا حيث زراعة الارز بعكس الاجزاء الداخلية التى مازالت غابية المظهر وقليلة السكان وتسود بها الزراعة الواسعة التى تساعد على تركيز سكانى كثيف ، ففي الفلبين على سبيل



المثال ترتفع الكثافة السكانية في وادي لوزون (Luzon) الاوسط وفي
منخفضات الجزر الجنوبية أما باقى جزرها فقليلة السكان للغاية .

أما في جزر الهند الشرقية واليابان فهناك عاملان يختلفان عن باقى
مناطق التركيز السكانى الاسيوية ، فكثافة السكان العالية في جاوة التى
تزيد على ١٠٠٠ نسمة في الميل المربع يمكن تفسيرها في ضوء الانتاج العالمى
من المحاصيل الزراعية في الاراضى ذات التربة الغنية ويتمثل في هذه
الجزيرة المناخ الحار الرطب وتقل مساحتها عن مساحة ولاية فلوريدا
الامريكية ومع ذلك يعيش عليها قرابة ٧٠ مليون نسمة بكثافة تصل الى
١٢٠٠ نسمة في الميل المربع .

وفي اليابان التى يزيد عدد سكانها على ١٢٠ مليون نسمة بمتوسط
كثافة يصل الى ٨٠٠ نسمة في الميل المربع فان تغذية هذا العدد الضخم من
سكان تلك الجزر التى تبلغ مساحة الاراضى الجبلية الغابية بها ثلثى
المساحة الكلية تعتمد على أسلوب علمى متقدم في فنون الانتاج الزراعى
والصناعى يشبه مثيله في أوروبا وفي الولايات المتحدة الامريكية ، ويتباين
توزيع السكان على الجزر اليابانية فتزيد الكثافة في مناطق زراعة الارز
وفي الاقاليم الصناعية بينما تقل الكثافة قلة واضحة في الاقاليم التلالية
والجزء الشمالى من الارخبيل حيث لايلئم زراعة الارز .

توزيع السكان في افريقيا :

يعيش حوالى ٤٨٠ مليون نسمة من سكان افريقيا فيما بين دائرتى
عرض ٥٢٠ شمال وجنوب خط الاستواء ، وتعد نيجيريا ومصر والجزائر
وأثيوبيا وجمهورية جنوب افريقيا أكبر الوحدات السياسية سكانا ، كما أن
نيجيريا ومصر من أكثرها كثافة فيزيولوجية ، وتمثل المناطق غير المأهولة
أو المبعثرة السكان في النطاق الصحراوى العظيم في الشمال والجنوب
الغربى وبعض المناطق في النطاق المدارى .

ويمكن اتخاذ نيجيريا كمثال لتوزيع السكان في القارة الافريقية حيث
تعد أكبر دولها سكانا ، فقد وصل عدد سكانها الى ١٢٢ مليون نسمة في
سنة ١٩٩١ ويعيشون في مساحة تبلغ ٣٣٩١٦٩ ميلا مربعا، ويتركز السكان
بها في منطقتين رئيسيتين : الاولى في الجنوب قرب دلتا نهر النيجر
والاخرى في الشمال حول مدينة كانو ، ويمكن تقسيم نيجيريا الى الاقليم
الجنوبى ذى السطح المنخفض والامطار الغزيرة التى تزيد على ١٠٠ بوصة
سنويا ثم النطاق الاوسط ذى السطح المتوسط الارتفاع «٢٠٠٠ قدم في

المتوسط» والامطار المعتدلة (من ٤٠ - ٥٠ بوصة سنويا) ثم الاقليم الشمالي ذى السطح المرتفع نسبيا والامطار القليلة (من ٢٥ - ٤٠ بوصة). وقد نتج عن هذا الاختلاف في الاقاليم الطبيعية اختلاف في الاقاليم السكانية حيث يرتبط توزيع السكان بالاقاليم الزراعية ارتباطا وثيقا . ففي الجزء الجنوبي تسود الزراعة المتنقلة للمحاصيل المعاشية مثل الياق والحبوب والكاسافا والموز ، اما في الوسط فنتج محاصيل مشابهة وان اختلفت طرق الزراعة لخلو هذه الاقاليم من خباية تسمى تسي ، اما الاقليم الشمالي والذي يعد اكبر الاقاليم الثلاثة فتربى فيه الماشية وتقوم الزراعة المستقرة المرتبطة بتركز سكاني كبير .

توزيع السكان في أمريكا الجنوبية :

يعتبر توزيع السكان في أمريكا الجنوبية هامشيا الى أبعد الحدود فيتركز السكان في المناطق الواقعة في هوامش القارة الشمالية والشرقية والغربية ، ويتميز النطاق الغربي للقارة بتركز السكان في المرتفعات الغربية - فيما عدا شيلي التي يتركز سكانها في نطاقها الاوسط بينما يتوزع سكان باقى القارة في مناطق ساحلية كما هي الحال في جنوب شرق البرازيل ومنطقة البمبا بالارجنتين . وفي هذه الاقاليم يتركز السكان حول زريات مركزية تمثلها عادة مدن كبرى مثل ريو دي جانيرو في البرازيل وبوينس آيرس في الارجنتين وعواصم باقى دول القارة ومدنها الرئيسية . وتتميز القارة في معظمها بمناخ حار رطب يعوق تركيز السكان وانتشارهم في المناطق التي تخضع له - ولعل في حوض الامازون مثل واضح على ذلك - يث يتبعثر السكان في هذا النطاق العظيم تبعثرا شديدا .

ويرتبط توزيع السكان في القارة بالتضاريس ارتباطا كبيرا حيث يعيش معظم السكان فوق مناطق مرتفعة باستثناء أرجواى وبارجواى وشيلي الارجنتين وهى دول المنطقة المعتدلة في القارة ومن أمثلة سكان المرتفعات مانلاظه في فنزويلا وبيرو وكولومبيا واكوادور وشرق البرازيل ، ويسهم المناخ في تركيز السكان في هذه المناطق الواقعة في النطاق المدارى بالقارة وتعتبر شيلي مثلا واضحا للعلاقة بين السكان والعوامل الطبيعية في أمريكا الجنوبية فتمتد هذه الدولة من دائرة عرض ١٧ - ٥٧ درجة جنوبا ويصل متوسط ارتفاعها عن سطح البحر الى ٤٠٠ متر . كما يتفاوت المناخ من صحراء قاحلة في الشمال الى مناخ بحر متوسط في الوسط ثم الى تندرا في الجنوب ويعيش سكان شيلي البالغ عددهم ١٣ مليون نسمة في القطع الاوسط من البلاد حيث الظروف المناخية معتدلة ومواتية للاستقرار البشرى

ويختلف التركيب السكاني عنصريا حيث يمثل الهنود الاصليون ١٠% من السكان والسكان ذوي الاصول الاسبانية ٢٥% والباقي وهم ٦٥% من السكان فهم من عناصر المستيزو (خليط من الاسبان والهنود الحمر) ، وقد وجد الاسبان في هذا النطاق ظروفًا مناخية مشابهة لظروف جنوب اسبانيا مما أسهم في استقرارهم بدرجة كبيرة فيه ، وفي الوقت الحاضر يتركز حوالي ٩٠% من سكان شيلي في هذا الاقليم الاوسط بكثافة تصل الى ٢٢٥ نسمة في الميل المربع كما يعيشون في وادي منخفض بين المرتفعات شرقا والساحل الباسفيكي غربا - وتغذى هذا الاقليم الانهار المنحدرة من الانديز - وفي جنوب وسط شيلي مباشرة توجد منطقة رطبة تشبه في مناخها مناخ شمال غرب أوروبا - وكانت تغطيها الغابات الكثيفة وقد استقر فيها الالمان الذين وفدوا الى هذا الاقليم ووجدوا فيه ظروفًا مشابهة لبيئتهم الاصلية ، أما شمال شيلي وجنوبها - فيكاد يخلو من السكان حيث يمثل الاول صحراء مدارية جافة - أما الاخر فصحراء باردة .

وتبين الارقام التالية التطرف في الكثافة العامة بين الدول في قارات العالم (الارقام توضح عدد السكان في الكيلو متر المربع سنة ١٩٩١) .

القارة	أعلى الدول كثافة	أقل الدول كثافة
آسيا	سنغافورة	منغوليا (٢٨٠٠)
أوروبا	هولنده	أيسلنده (٤٠٥)
أفريقيا	موريشيوس	بتسوانا (٥٥٠)
أمريكا الشمالية	الولايات المتحدة	كندا (٢٧)
أمريكا الوسطى	بورتوريكو	نيكاراجوا (٣٦٧)
أمريكا الجنوبية	اكوادور	بوليفيا (٣٨)
استراليا	نيوزيلنده	استراليا (١٣)

الفصل الثالث

توزيع السكان

سبق القول بأن سكان العالم لايتوزعون بانتظام على سطح الارض ، ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الطبيعية والحضارية التي يختلف كل منها في أهميته النسبية من مكان لآخر وتتداخل هذه العوامل مع بعضها البعض في شكل مترابط معقد في معظم الاحوال، وان كانت طبيعة الدراسة تتطلب تقسيمها الى ثلاث مجموعات هي العوامل الطبيعية والعوامل الاقتصادية ثم العوامل الحضارية والثقافية ، وليس من اليسر تحديد مدى أهمية كل من هذه العوامل في توزيع السكان في بيئة من البيئات وان كانت هناك آراء ترى في العوامل الحضارية المؤثر الرئيسي في تحديد حجم وتوزيع السكان وكذا التركيب الاقتصادي والنظم الاجتماعية السائدة⁽¹⁾ ولكن ذلك لاينفى في النهاية أن سكان منطقة ما هم نتاج للتفاعل بين النظم الحضارية وباقي النظم الاخرى في البيئة الجغرافية .

وقد تأثرت خريطة العالم السكانية نتيجة الخروج الاوربي نحو بقية قارات العالم تأثرا كبيرا منذ القرن السادس عشر ، فقد كان لهجرة الاوربيين نحو العالم الجديد واستعمارهم لمناطق كثيرة في العالم القديم خارج قارتهم ونقلهم للافكار والاساليب المتقدمة في الاستغلال الاقتصادي - دورا أساسيا في التغير الجذري للمستوى الحضارى في كثير من اقاليم العالم حتى أصبحت «أوربة» العالم Europeanization من الظاهرات العالمية في العصر الحديث ، وقد تباين تأثير الاوربيين في العالم زمانيا ومكانيا ، فقد بقى البرتغاليون في مستعمراتهم الافريقية قرابة أربعة قرون بينما لم يبق الايطاليون في اثيوبيا سوى ٥ سنوات فقط ، كذلك فقد خلت مناطق في العالم القديم من تغلغل النفوذ الاوربي بها الا اذا اقتضت

(1) Zelinsky W., A Prologue o Population Geography, Op. Cit., p. 34.

المتطلبات العسكرية ذلك ، وتعد نيبال والتبت وأفغانستان وأثيوبيا (حتى سنة ١٩٣٥) ومعظم شبه الجزيرة العربية دليلا على ذلك ، ومع هذا فان المؤثرات الحضارية الاوربية قد تخللت أقاليم العالم المختلفة سواء في صور الحضارة المادية أو المعنوية ، وما أن وافي عام ١٩٤٥ حتى كانت المؤثرات الاوربية قد وصلت الى أصغر القبائل البعيدة والمنعزلة باستثناء بعض الجماعات المبعثرة القليلة بين ثنايا حوض الامازون أو مرتفعات نيوجينيا التي يصعب الوصول اليها .

وعلى ذلك فان الباحث لايمكنه التغاضي عن المؤثرات الحضارية في توزيع السكان ذلك لان الاحوال الاجتماعية والديموغرافية والاقتصادية السياسية والتاريخية تعد مؤثرات متشابكة في هذا التوزيع في اطار الظروف الطبيعية السائدة،ومن هنا فان دور الجغرافي يتحدد في اختلاف هذا التوزيع في ضوء تلك المؤثرات ، وليس ذلك في فترة زمنية محددة بل كجزء متكامل في فترة تاريخية كبيرة حيث يعد توزيع السكان عملية ديناميكية مستمرة تختلف أسبابها ونائجها في الزمان والمكان ، ويبدو ذلك من استعراض معظم هذه المؤثرات الجغرافية العامة وان كانت دراسة التوزيع السكاني في البيئة الواحدة يمكن أن تشمل دراسة لعوامل محلية أخرى ذات دور هام في هذا التوزيع .

المؤثرات الطبيعية :

ليس من اليسير اعتبار دور العوامل الطبيعية بأنه الدور المحدد الرئيسي فقط في توزيع السكان في مختلف البيئات الجغرافية ذلك لان هناك عوامل حضارية استطاع الانسان من خلالها أن يغير من ظروف بيئته وتعديلا بدرجات متفاوتة حسب متطلبات حياته ، وقد يكون هذا التغيير كثيرا في بعض البيئات وطفيفا في البعض الاخر ، ومعنى ذلك أن المؤثرات الطبيعية لاتوجه بمفردها توزيع السكان بل أنها تتداخل وتؤثر مجتمعة مع العوامل الاخرى الاقتصادية والحضارية ، معتمدة على القدرات البشرية المدرية التي يمكن أن تحسن من خصائص التربة مثلا أو تعمل على صرف وتجفيف المستنقعات وتهذيب الانهار - بل وتقنطع من البحر مساحات تضيفها للرقعة الزراعية كما حدث في هولنده .

القارية والجزرية :

يبدو من خريطة توزيع سكان العالم أنهم يميلون الى التركيز في

هوامش القارات بينما يتميز داخل القارات بالتشتت السكاني ، ويقدر أن حوالي ثلاثة أرباع سكان الارض يعيشون في حيز من اليابس يمتد لمسافة قدرها ٦٠٠ ميلا من البحر ، بل ان ثلثى السكان يعيشون في امتداد يقدر بنحو ٣٠٠ ميلا فقط فيما بين الساحل والداخل(١) مما يدعو الى القول بأن السواحل تجذب السكان والقارية تطردهم، ولا ريب في أن ذلك يرتبط بالعوامل المناخية والطبيعية والحضارية والتي تعد مؤثرات جوهرية في هذا التوزيع .

ويمكن القول بصفة عامة بأن موقع وشكل وحجم القارات له اثر سياسى في توزيع السكان والامتداد الواسع للقارات في العروض اثنينا الشمالية وما يتخلله من بحار قليلة جعلها بيئات منفرة للتركز السكاني، كذلك فان الامتداد الواسع عند خط الاستواء في أمريكا الجنوبية وأفريقيا عند مدار السرطان في أفريقيا كان من المؤثرات المباشرة في توزيع السكان المشتت حيث يرتبط هذا الاتساع بغابات مدارية مطيرة من ناحية وصحارى جافة من ناحية أخرى .

ويقابل هذه القارية كعامل مؤثر في توزيع السكان - ظاهرة الجزرية *Insularity* التي تميل الى الارتباط بالتركز السكاني الواضح على الاقل في العروض الوسطى والدنيا ، وأمثلة ذلك متعددة منها الجزر البريطانية واليابان وسيلان ومالطة وأندونيسيا والفلبين وفرموزا وجزر الهند الغربية وجزر كنارى ، بيد أنه من الملاحظ أن الارتباط بين الجزرية والتركز السكاني ليس ارتباطا مباشرا أو بسيطا - ذلك لان الحجم والموقع والعوامل التاريخية والجغرافية والامكانيات الاقتصادية تعد كلها ذات اثر فعال وحاسم ، والا فكيف نفسر مثلا حقيقة ملموسة تبدو في أن جزيرة مالطة البالغ مساحتها ١٢٠ ميلا مربعا يعيش عليها سكان أكثر من جزيرة كورسيكا البالغ مساحتها ٣٣٦٠ ميلا مربعا ؟

ولكن ينبغي القول بأن السواحل تختلف في ظروف جذبها للسكان مما يؤدي الى عدم تساويها في هذا المجال ويجعل سكان السواحل غير متناسقين في توزيعهم حيث يتركزون في نويات متقطعة *Sporadic nuclei* حول الموانى أو في المواقع المناسبة كما هي الحال في الساحل الشرقى لأمريكا

(1) Clarke, J. Population Geography, Op. Cit., p. 19.

الجنوبية مثلا ، وبالإضافة الى ذلك فإنه بالرغم من أن الاقاليم الساحلية مناطق جذب سكانى متزايد بصفة عامة الا أنها ليست كذلك بالضرورة في جميع الاحوال ففى عهد القراصنة طردت سواحل البحر المتوسط السكان وكذلك الحال في سواحل غرب افريقيا التى شهدت طردا سكانيا كبيرا عندما كانت تجارة الرقيق في أوجها .

ولا تعمل المؤثرات القارية والجزرية في فراغ ذلك لانها مرتبطة بعوامل متشابهة أخرى مما يؤدي الى كثير من الاستثناءات في القاعدة العامة - كما يبدو في الكثافة العالية في دولتي رواندا وبورندي الداخليتين في شرق أفريقيا ، وكذا في حوض ستشوان في الصين وحوض موسكو في روسيا الاتحادية ، وعلى النقيض من ذلك فان الكثافة المنخفضة في بورنيو وتسمانيا وايسلنده .

اشكال السطح :

حاول أحد الباحثين وهو ستافسكى Staszewski دراسة وتحليل العلاقة بين توزيع السكان ومظاهر سطح الارض ، وقد أوضح في دراسته عن التوزيع الراسى للسكان أن أعدادهم وكثافتهم تتناقص بالارتفاع وذلك للصعوبات الناتجة عن استغلال البيئات الجغرافية المرتفعة والتكيف معها، وقد أظهرت هذه الدراسة أن ٢٥٦٢% من سكان العالم يعيشون بين مستوى البحر ، ٢٠٠ متر فوق هذا المستوى حيث يشغل هذا الارتفاع (بين صفر و ٢٠٠ متر فوق سطح البحر) نحو ٢٧٨% فقط من مساحة اليابس ، وتبلغ كثافة السكان عند هذا المنسوب المنخفض ضعف متوسط الكثافة العالمية ، كذلك أوضح أن أربعة أخماس البشر يعيشون دون منسوب ٥٠٠ متر فوق سطح البحر وعلى مساحة قدرها ٥٧٣% من مساحة اليابس(١) المتباين في مظهره بين جبال وهضاب وسهول (شكل رقم ٥) .

ويلعب سكان قارة آسيا دورا كبيرا في التأثير على نسب سكان العالم على المنحنى الهبسومتري Hypsometric Curve (٢) وذلك لان النسب

(1) Clarke, J. Ibid., p. 17.

(٢) المنحنى الهبسومتري أو الهبسوغرافي - هو ذلك الخط الذي يبين منحنيات الارتفاع للقارات ومنحنيات الاعمال للمحيطات بالنسبة للمساحات القارية والبحرية وذلك حسب ارتفاعها أو انخفاضها عن سطح البحر ، ويوضح حقائق هامة منها أن الارتفاعات أقل من ١٠٠ مترا تشغل ٧٣% من مساحة القارات أى أن متوسط ارتفاع القارات يبلغ حوالى ٨٤٠ مترا فوق منسوب سطح البحر .



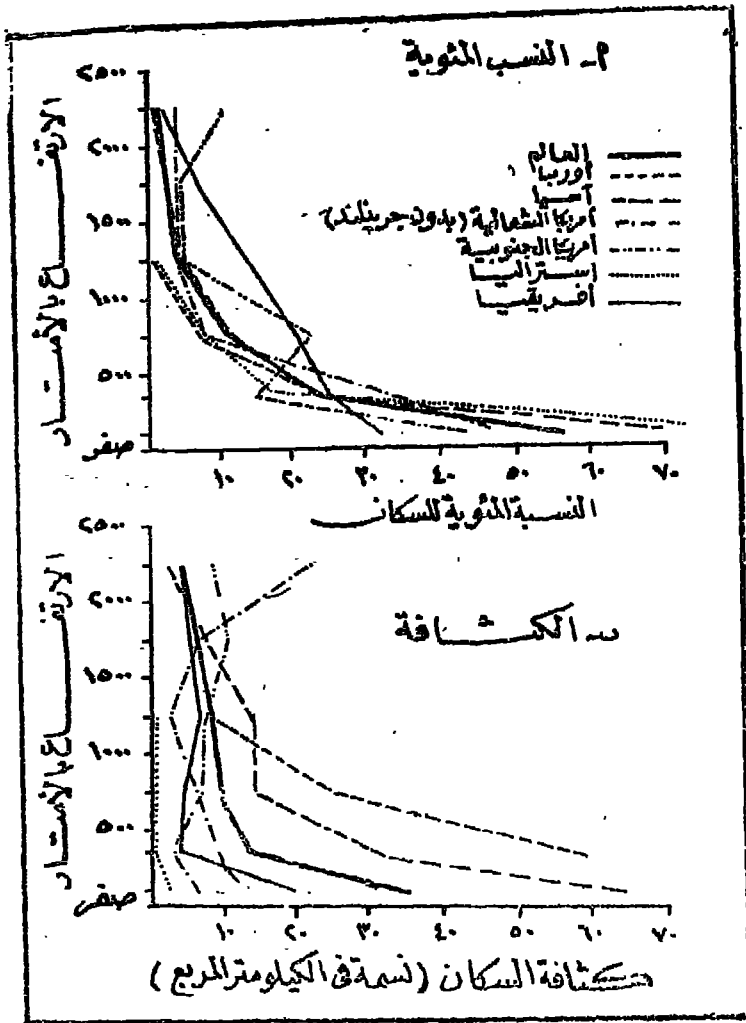
شكل رقم (٥)
مظاهر السطح في الغاز

المثوية لسكان آسيا على ارتفاع معين تتشابه الى حد كبير مع مثيلتها في العالم ككل ، ولعل في بريطانيا دليل على ذلك حيث يعيش أربعة أخماس سكانها بين منسوبى صفر و ١٠٠ متر فوق سطح البحر ، وقد استنتج ستافسكى بعد أن رسم منحنيات هبسومترية مختلفة (شكل رقم ٦) أن المنسوب المتوسط mean level للتوزيع الرأسى للسكان فى مختلف قارات العالم كما يلى :

القارة	المنسوب المتوسط	القارة	المنسوب المتوسط
أمريكا الجنوبية	٦٤٤ مترا	أوربا	١٦٨ مترا
إفريقيا	٥٩٠ مترا	استراليا	٩٥ مترا
أمريكا الشمالية	٤٣٠ مترا	متوسط العالم	٣٢٠ مترا
آسيا	٣١٩ مترا		

ويفرض الارتفاع فى أشكال السطح حدا فيزيولوجيا على سكنى الانسان وذلك للنقص العنيف فى الضغط الجوى وما يترتب عليه من خطورة على التنفس ، وتتطلب ظروف السكنى فى المناطق المرتفعة ملائمة خاصة تسمح بالاستقرار على ارتفاعات تصل الى ٥٠٠٠ مترا كما فى الهملايا والانديز ، وفيما بين هذا الارتفاع ومستوى ٧٠٠٠ مترا تعتبر حدودا حرجة للسكنى الدائمة .

وليس من السهل فصل الارتفاع عن الموقع بالنسبة لخط الاستواء ودور ذلك فى توزيع السكان ، ففى العروض الدنيا يمكن أن يكون الارتفاع ذا مزايا لسكنى البشر وذلك للظروف المناخية الملائمة فى هذه المناطق المرتفعة وأوضح الامثلة على ذلك تلك الكثافة العالية نسبيا للسكان فى المرتفعات الاثيوبية - حيث تقع اديس ابابا فى قلب منطقة زراعية غنية على ارتفاع نحو ٢٦٦٠ مترا تقريبا . وكذلك فى أمريكا اللاتينية حيث تكون المناطق المرتفعة أكثر ملائمة للسكنى من السهول وتتميز المدن هنا بارتفاعها عن سطح البحر مثل لاباز Lapaz التى تقع على ارتفاع ٤٠٠٠ مترا وكيتو Quito على ارتفاع ٣١٠٠ مترا وبوجوتا Bogota (٢٨٩٠ مترا) وحكسيكو سيتى (٢٥٧٠ مترا) ، وعلى العكس من ذلك فان أكثر المدن البريطانية ارتفاعا عن سطح البحر هى مدينة بکستون Buxton التى تقع على ارتفاع ٣٣٠ مترا ، وذلك لان سكنى المرتفعات غير ملائم فى العروض العليا بعكس العروض الدنيا .



شكل رقم (٦)
التوزيع الرأسى للسكان في قارات العالم

الرسم (أ) يوضح النسبة المئوية لعدد السكان في الارتفاعات المختلفة

الرسم (ب) يوضح كثافة السكان على هذه الارتفاعات

ومن الواضح أن المنحدرات والوعورة في مظاهر السطح لاتساعد على الاستقرار البشرى بها فبالرغم من أن التقدم التكنولوجى للانسان يمكنه من التغلب على بعض العقبات اذا توافرت بها مقومات اقتصادية فانها لاتقترن في الغالب باستقرار بشرى مركز بها ، وقد تميزت بعض مناطق الصعوبة في الاقاليم الجبلية بكثرة السكان الذين ارتبط وجودهم بعوامل اقتصادية أو بعوامل الامن الذى توفره مثل هذه المناطق كما هى الحال في جبال الاطلس في شمال غرب افريقيا التى تتمثل فيها أنماط متعددة من حياة البشر تتراوح بين البداوة والزراعة التى تنتشر في بعض المواقع حيثما تسهم الظروف الطبيعية في ذلك ، وقد لجأ كثير من السكان الى تلك المناطق في اوقات الخطر وعدم الامن ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في اقاليم جبلية أخرى مثل البلقان وتركيا وايران ، وفي العالم العربى مثلا أدى الاضطهاد الدينى في بلاد الشام الى التجاء الموارنة الى جبل لبنان والعلويين الى جبال النصيرية والدروز الى جبل العرب كما اعتصمت بعض قبائل البربر بجبال القبائل وأوراس بالجزائر بعد دخول العرب شمال افريقيا(١) .

وعموما فان الكتل الجبلية تعد عاملا حاسما في توزيع السكان خاصة في العروض الوسطى والعليا حيث يكون الانتقال المفاجيء من الجبل الى السهل عاملا مؤثرا في تباين كثافة السكان ، والامثلة عديدة على ذلك منها جبال الروكى واسكتلنده والالب ، فعلى سبيل المثال توضح الخرائط التفصيلية لتوزيع السكان أنه بينما يتركز السكان في سهل البو بكثافة تربو على ٣٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع فانهم يقلون بشكل ظاهر في جبال الالب حيث تقل الكثافة عن ستة أشخاص في الكيلو متر المربع .

وتعتبر الآودية طرق اختراق ومناطق تركز سكانى في الاقاليم الجبلية كما تكون شرايين لها وأحيانا جيوبا بشرية داخلها، ويبدو ذلك في الخرائط التفصيلية لتوزيع السكان في سكوتلنده وتسمانيا وغيرها ، وتعد مناطق البيدمونت Piedmont أى مقدمات الجبال نقاط تلاق بين بيئات مختلفة كما أنها بداية لنطاق كثافة سكانية كما هى الحال في وسط اسكتلنده وشمال شرق انجلترا ونوتنجهام ولانكشير ، كذلك في نطاق اللويس في شمال أوروبا

(١) عبد الفتاح وهبية - في جغرافية السكان - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧١ - ص ٤٨ .

ومدن خط المساقط في الولايات المتحدة التي تعد أمثلة واضحة لنقاط الكثافة السكانية في مناطق البيدمونت .

أما عن العلاقة بين السهول وتوزيع السكان ، فإنها ظاهرة معقدة ليس من السهل التوصل فيها الى علاقة ايجابية في جميع الحالات ذلك لانه بالرغم من أن السهول تعد مناطق طبيعية ذات مزايا خاصة لسكنى الانسان أكثر من الجبال الا أن أكبر سهول العالم لسبب أو لآخر - ليست مناطق التركيز السكاني العالمى كما هى الحال في سهول الامازون والكونغو وسهول الصحراء الكبرى وسيبيريا وحوض بحيرة ايرى بامستريا، فظروف التصريف النهري وطبيعة التربة ومدى خصوبتها ربما تكون ضوابط ومؤثرات أكثر أهمية من الطبيعة السهلية وذلك بشرط أن تكون الاحوال المناخية ملائمة وكذلك ربما كان للغطاء النباتى أثر لا يقل أهمية عن أثر التربة وظروف صرف المياه والمناخ .

وتجذب الانهار دائما سكنى البشر وذلك من خلال ماتقدمه من مزايا متعددة كموارد للمياه ووسائل النقل وهى تؤثر أحيانا تأثيرا مباشرا في الاستقرار البشرى على ضفافها أو عند نقط تلاقئها أو في مناطق الجزر بها حيث تنشأ القناطر أو الكبارى ، أو عند انحناءة نهريّة في منطقة تلالية حيث يكون النهر سهولا فيضية أو عند وصوله الى مستوى قاعدة محلى أو عام ، وتعد الانهار في المناطق الصحراوية أكثر العوامل جذبا للسكان حيث يمكن اعتبارها واحات شريطية بها - ولعل في شريط وادى النيل الفريد في العالم ما يؤكد هذه الحقيقة .

بيد أن الانهار ليست في كل الحالات عوامل مشجعة على التركيز السكاني بل قد تكون عوامل منفرة تؤدى الى تبعثر النمط السكاني وذلك لما تجلبه من فيضانات وما يترتب على ذلك من تدمير ، أو قد تكون في أقاليم مناخية غير ملائمة للسكنى كأنهار الامازون والكونغو وغيرها من انهار المستنقعات والمناطق المدارية .

ومن ذلك يبدو أنه ليست هناك قاعدة لتأثير أشكال السطح على توزيع السكان في العالم الا أن الجغرافى لايمكن أن يتجاهل دورها سلبا كان أم ايجابا في هذا التوزيع، ويستطيع بالدراسة التحليلية أن يوضح هذا الدور بدقة في الاقاليم الصغرى على وجه الخصوص .

النتيجة :

من الصعب أن تنفرد التربة بتأثيرها على توزيع السكان مثلها في ذلك

مثل باقى عناصر البيئة الطبيعية - فالتربة الفيضية الخصبة فى دلتاوات الانهار فى جنوب شرق آسيا وهى دلتا النيل - يتركز بها سكان زراعيون بنسبة عالية ، وتقوم التريبات البركانية وتربة التشنوزم فى نطاق حشائش الاستبس بدور مماثل فى تركيز السكان ، وكذلك الحال فى التربة الحمراء فى نطاق الغابات التى يمكن زراعتها بمخفف المحاصيل وماتؤديه من تركيز سكانى .

وعلى العكس من ذلك فان تربة البودزل فى المناطق المعتدلة يمكن أن تساعد على تركيز سكانى بعد تعديل ظروف زراعتها ، ففى كندا يبدو التناقض واضحا بين سكان نطاق التربة الصلصالية الحمراء ونطاق البودزل المجاور ، وكذلك فان تريات اللاتريت الحمراء فى المناطق المدارية الرطبة لا تتوفر لها مقومات التركيز السكانى .

وتؤدى أحوال التربة كعامل محلى الى التأثير فى توزيع بعض الحاصلات الزراعية فى مناطق واسعة وبالتالى تؤثر فى توزيع السكان وهناك أمثلة عديدة على ذلك كما فى نيجيريا وموريشيوس وتسمانيا ، وينبغى أن ندرك أن أثر التربة يعتمد على الفنون المختلفة التى يمارسها الانسان لاستغلال هذه التربة .

وتعتبر تعرية التربة Soil erosion من العوامل المؤثرة فى توزيع السكان ، ويذكر البعض أن هذا العامل قد ينتج عن قلة السكان الذين لا يهتمون كثيرا بالارض كما هى الحال فى نطاق البرارى والحشائش المعتدلة فى العالم الجديد ، أو قد ينتج عن زيادة السكان وضغطهم على الارض كما هى الحال فى نطاق المعازل الوطنية فى جنوب افريقيا لذلك فان العدد الامثل للسكان على التربة يمكن أن يكون عاملا فى منع تعريتها .

المناخ :

يعد تأثير المناخ فى توزيع السكان ذا أهمية بالغة ليس فقط من خلال تأثيره المباشر على الوظائف العضوية للانسان بل بطريق غير مباشر على التربة والحياة النباتية والزراعة ، وقد رأى بعض الباحثين ومنهم هنتنجتون Huntington أن المناخ هو المنبع الرئيسى للحضارة وموجه الهجرات البشرية ومحدد لطاقت الشعوب وشخصيتها(1) .

(1) Huntington, E. Principles of Human Geography, London, 1951, pp. 399-416.

وقد سبق القول بأنه لا المناخ الحار ولا المناخ البارد بمناسبين للتركز السكاني ، فالاقاليم الباردة في العروض العليا والتي تبلغ مساحتها حوالى عشر مساحة اليابس لايسكنها سوى عدة آلاف من البشر الذين تلاعموا مع ظروف البيئـة الطبيعية في هذه الاقاليم ، وقد كان عدم ملاعمة هذه البيئـة للزراعة من أهم الاسباب التي أدت الى تبعثر السكان وتشتتهم بها وذلك لان قرابة ٤٦ مليون ميل مربع من سطح الارض بارد بدرجة لاتسمح بنمو المحاصيل به ، ومن ناحية أخرى فان درجة الحرارة المرتفعة والمقترنة بالرطوبة العالية لاتشجع على سكنى الانسان كما يبدو في المناطق المدارية المطيرة ، أما المناطق الجافة الصحراوية فتعطى حوالى خمس مساحة اليابس ولا يعيش بها الا قرابة ١/٢٥ من جملة سكان العالم ، وتعتمد الحياة فيها على موارد المياه ولذا فان نويات الاستقرار البشرى بها تظهر حول مصادر المياه سواء حول الانهار التي تكون منابعها خارج الصحراء مثل نهر النيل ونهر السند ، أو حول منابع المياه الجوفية ، ومع ذلك فان هذه النويات تتميز بقلـة سكانها ، وقد أسهمت التكنولوجيا الحديثة التي أخذت الشعوب بأساليبها المختلفة على وجود بعض مناطق التركيز السكاني حول مناطق التعدين والصناعة سواء في الاقاليم المناخية الحارة أو الباردة .

ومن المعلوم أن الانسان ككائن حى يتأثر بعناصر المناخ المختلفة والتي تتمثل في الضغط الجوى والاشعاع الشمسى ودرجة الحرارة والرطوبة والرياح وبعد التغير في الضغط الجوى أقل أهمية بالمقارنة مع باقى العناصر ذلك لان التغيرات في الضغط الجوى قرب مستوى سطح البحر لا يترتب عليها أى تغيرات فيزيولوجية ظاهرة في الانسان(١) الا أن تناقص الضغط الجوى بالارتفاع يؤثر على الانسان تأثيرا مباشرا ، فعلى ارتفاع ٥٣٠٠ مترا ينخفض الضغط الى نصف ما هو عليه عند سطح البحر حيث يصل الى ٥٠٠ ملليبارا ، أما على ارتفاع ٩١٠٠ مترا يصبح الضغط ما بين ثلث الى ربع مثيله عند سطح البحر ، وبالرغم من قلة مساحة الاراضى المرتفعة الا أن هناك شعوبا قليلة استوطنت مثل هذه المناطق كما هى الحال في مرتفعات الانديز في بيرو وكذلك في التبت حيث تعيش بعض الجماعات على ارتفاع يصل الى ٤٥٠٠ مترا أو يزيد ، وأحيانا ما تصل القطعان التي يرعاها سكان هذه المناطق الى ٥٥٠٠ مترا . ومن المعروف أن الانسان اذا ارتفع عن سطح البحر حتى ارتفاع ٣٣٠٠ مترا فانه يصاب

(١) Lebon, J. H., An Introduction to Human Geography, Hutchinson University Library, London, 1969, p. 42.

بدوار الجبل Mountain Sickness وبضيق في التنفس والصداع وبالإعياء والاعياء ، واذا ارتفع عن ذلك بكثير فإنه يصاب بانهايار تام قد تعقبه الوفاة ، ولقد كان الاعتقاد السائد قديما أن وفاة الانسان في الجبال العالية مرجعه سكنى هذه الجبال بالاشباح الشريرة الى أن فسر الاب أكوستا Acosta اليسوعى السبب الحقيقي وراء ذلك في سنة ١٥٩٠ (١) ومنذ ذلك الوقت أثبتت التجارب أن دوار الجبل ينشأ من النقص في الاوكسجين ، وكذلك أكدت أنه في ارتفاعات معينة يستطيع الجسم البشرى أن يتلعم نسبيا مع النقص في الاوكسجين ولعل في سكان المكسيك والانديز مثل على ذلك .

أما درجة الحرارة فهي عنصر مناخى هام ومؤثر في حياة الانسان ، وتبلغ حرارة الجسم البشرى ٣٧° مئوية (٩٨ر٤° فهرنهايت) سواء هبطت درجة حرارة الهواء المجاور الى - ٦٨° مئوية (- ٩٠° ف) كما في شمال سيبيريا شتاء أو ارتفعت الى ٦٠° مئوية (١٤٠° فهرنهايت) كما في الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية صيفا ، وفي الاقاليم المناخية قاسية البرودة يكون الكساء أمرا ضروريا بالرغم من أنه ليس كذلك في المناطق الياردة نوعا كما هي الحال عند جماعات الاكالوف Alacaluf البدائية في أقصى جنوب شيلي والذين يعيشون عراة في مناطق تتراوح درجة الحرارة بها بين - ٤° مئوية (٢٥° ف) ، ٩° مئوية (٤٨° ف) في نطاق الرياح الغربية الانتاركتيكية، وقد تلاعت هذه الجماعات فيزيولوجيا مع درجات الحرارة المنخفضة .

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن أنواع المناخ (شكل رقم ٧) يمكن أن تنقسم الى فئتين كبيرتين من حيث علاقتها بتوزيع السكان :

أ - أنواع ملائمة للتجمعات السكانية الكبيرة :

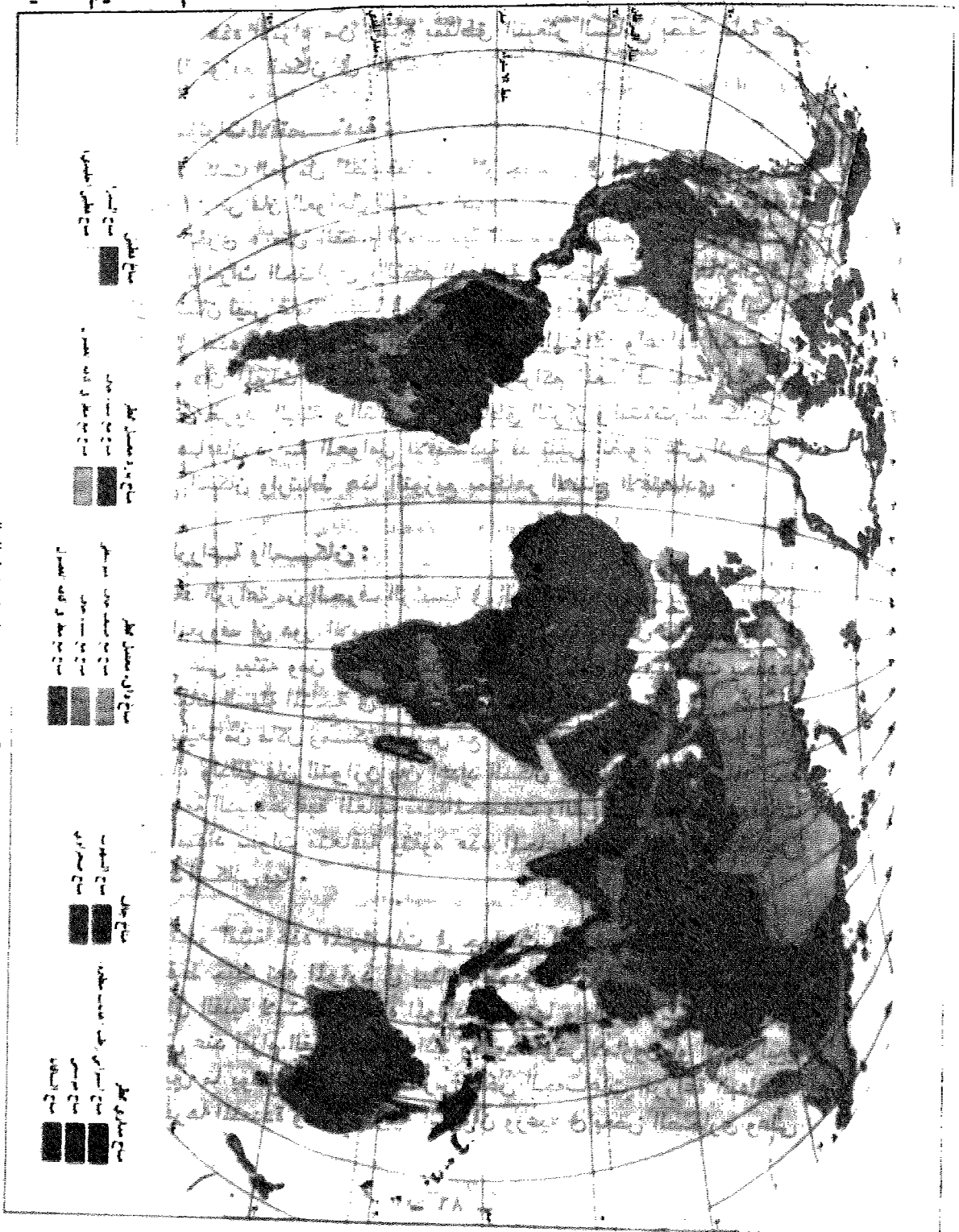
وتتمثل هذه الانواع في المناخ المعتدل والموسمى بأقسامها المحلية وفيها توجد أعظم مناطق التركز السكاني العالى في شرق آسيا وغرب أوروبا وشمال شرق أمريكا الشمالية والمناطق المعتدلة في أمريكا الجنوبية وأستراليا .

ب - أنواع مناخية غير ملائمة للتركز السكاني :

وهى المناخ البارد بأنواعه المختلفة في العروض العليا والمناطق

(1) Ibid., p. 43.

العالم - الاقاليم المناخية



شكل رقم (٧) الاقاليم المناخية في العالم

المرتفعة ، وكذلك المناخ الجاف والرطب في النطاق المحصور بين المدارين وترتبط هذه الانواع من المناخ بمناطق التبعر السكاني بصفة عامة على خريطة توزيع السكان في العالم .

المؤثرات الاقتصادية :

اذا كانت العوامل الطبيعية ذات أثر جوهري في التوزيع السكاني على سطح الارض فان العوامل البشرية تسهم في هذا التوزيع بدرجات متفاوتة هي الاخرى ، مثل النظم الاقتصادية السائدة والتقدم الصناعي وطرق النقل والميراث الحضارى والنظم السياسية والاجتماعية وغيرها والواقع أن الانسان ليس عاملا سلبيا في بيئته الطبيعية ولكنه عامل جغرافي ايجابي يؤثر في هذه البيئة بمهارته المختلفة وقدراته المتعددة وأعداده الكبيرة ، ولذلك فان الميراث الحضارى للانسان وتراكم المعارف لديه تمكنه من استغلال ظروف البيئة والتاثير على مناطق التركيز والتشتت السكانيين ، ومن هنا فان دراسة العوامل الاقتصادية قد تلقى الضوء على أثرها في توزيع السكان وارتباط هذا التوزيع بمظاهر الانتاج الاقتصادي .

الزراعة والسكان :

تعد الزراعة من الحرف الرئيسية في العالم التي ترتبط بتوزيع السكان فمن المعروف أن دور الانسان في المجتمعات البدائية يقل قلة ملحوظة في التاثير على بيئته ومن ثم فان أعداد السكان في هذه المجتمعات يحددها الامكانيات السهلة المتاحة في البيئة المحلية حيث يعتمد السكان على ماتجود به الطبيعة من مأكل ومسكن وملبس مع تعديلات طفيفة قد يدخلها الانسان عليها ، ولذلك فان التوازن بين أعداد السكان واستهلاك الموارد المتاحة هو السمة الديموغرافية الغالبة لهذه المجتمعات والتي قد تتعرض لمجاعات على امتداد سنوات متعاقبة وتقوم هذه المجاعات بدور الضبط الطبيعي للترايد السكاني بها .

وتبدو أمثلة هذه المجتمعات في جماعات الصيد والقنص والجمع والالتقاط حيث تعد الموارد في بيئاتها محدودة كما أن السكان يجهلون الوسائل الفنية لاستخدام هذه الموارد وتنميتها ولعل في وسائل الصيد البدائي عند اقزام الغابات الاستوائية وهنود حوض الامازون أو الاستراليين الاصليين ما يوضح ذلك ، وتمارس بعض الجماعات الزراعة البدائية بمظاهرها المتعددة وكذلك تربية الحيوان ورعيه في بعض الصحارى وعلى

حوافيها ، وتعكس الزراعة البدائية ارتباطا مباشرا بين الانسان والتربة وحتى ان كانت زراعة متنقلة أو زراعة الحريق حيث تتعرض التربة للجهاد السريع نتيجة نقص المخصلات وبدائية الوسائل الزراعية وضعف القوى العاملة مما يؤدي الى اتباع دورات زراعية كل عدة سنوات كما في أفريقيا المدارية وفي الاقليم الداخلى شمال شرق البرازيل حيث يعقب زراعة الارض لمدة خمس سنوات فأقل - فترة راحة تترك فيها مدة ضوئية قد تصل الى اثنى عشرة سنة في افريقيا وعشرين سنة في شرق البرازيل الجاف . ويعتبر المانيوك (الكاسافا) في البرازيل وأفريقيا الاستوائية والذرة الرفيعة في السودان وهضبة الدكن في الهند المحاصيل الرئيسية لغذاء السكان في هذه الاقاليم . ولا يرتبط هذا النمط في الزراعة البدائية بكثافة سكانية عالية حيث تصل فيه الكثافة الى أقل من ١٠ أشخاص في اثنى عشر متر المربع كما هي الحال في زيمبابوى ومن ١٠ - ٢٠ شخصا في أفريقيا الوسطى .

ولكن في بعض المجتمعات الريفية الاخرى فان المهارات الاولية في استغلال التربة قد أدت الى زيادة كثافة السكان فيها بالمقارنة مع النوع البدائي السابق ، وقد تمارس هذه المجتمعات بالاضافة الى الزراعة - حرفة الرعى وتربية الحيوان وتعرف تسميد الارض بالسماد العضوى كما هي الحال في بعض مجتمعات غرب أفريقيا مما يؤدي الى ازدياد الكثافة لتصل في بعض الاحيان الى ١٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع .

على أن لمحصول الارز دور بارز في الارتباط بكثافة السكان العالية ، ولعل في شرق وجنوب شرق آسيا مثل واضح على ذلك مما يجعلها من أكثر مناطق العالم كثافة في السكان تتراوح بين ٣٠٠ - ١٠٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع . وتلائم الارز كثير من أنواع التربة ولا يعوق زراعته ازدياد الاملاح في التربة أو المياه بدرجات معينة وكذلك ينمو في المناطق الحارة التى ترتفع فيها الرطوبة في فصل الانبات والنمو مما يجعل احتياجاته الانباتية تتمشى مع ظروف الاقاليم الموسمية حتى أن زراعته تستمر على مدار السنة في بعض مناطق الصين ويندر ألا توجد مناطق تحصده في أى وقت من السنة . وتسهم الانهار في هذه الاقاليم بتعويض الخصوبة للتربة بما تجلبه من مواد عضوية في رواسبها ، كذلك فان الارز يتميز بوفرة محصوله اذا ما قورن بغيره من المحاصيل حيث يبلغ انتاج الفدان منه مرتين ونصف بالمقارنة مع القمح وأكثر من انتاج الشعير بمقدار الثلثين ومن الذرة بمقدار الثلث . وذلك بالاضافة الى قيمة الارز الغذائية المرتفعة

ويحتويه من مواد بروتينية ومعادن يحتاجها جسم الانسان ، ومن ثم فانه المحصول الذى يسمح بتركز أعداد كبيرة من السكان وقيم أودهم اذا كان هذا التركيز فى مساحة أصغر كما أن نمط زراعته يعد أحد العوامل الهامة فى الكثافة الريفية للسكان .

ويمكن القول بصفة عامة أنه فى كل أشكال الاستغلال الريفى فان السكان يعتمدون بصفة رئيسية على انتاج التربة المحلية ، أما دور النقل والتجارة وأوجه النشاط المرتبطة بها والتي خلفها العمران الحضرى فانه يبدو ضئيلا أمام التربة بالرغم من تداخل هذه العوامل الاخيرة فى الانتاج الزراعى .

ويختلف توزيع السكان فى المناطق المتقدمة فى العالم - حيث تقل العلاقة بدرجة كبيرة بين الكثافة السكانية ونتاجية التربة والجهد الزراعى - ذلك لان الانتاج الزراعى لايمثل عصب الاقتصاد فى هذه المجتمعات المتقدمة والمعقدة ففى فرنسا لايمثل انتاج الزراعة سوى ١٣% من جملة الناتج القومى كما لايمثل السكان الزراعيون سوى ٢٦% من جملة السكان العاملين وتصل هذه الارقام فى الولايات المتحدة الى ٧% ، ١٠% على الترتيب وفى المملكة المتحدة الى ٤٤% ، ٥٠% ، وعلى ذلك فان كثافة السكان الزراعيين تكون منخفضة اذا ماقورنت بكثافة السكان العاملين جميعا ففى فرنسا تصل هذه الكثافة الى ١٠ و ٣٤ نسمة فى الكيلو مترالمربع على التوالى وفى الولايات المتحدة ٧ وفى بريطانيا ٤٥ نسمة فى الكيلو متر المربع وبمقارنة ذلك باقتصاد متخلف أو نامى يبدو الفرق بينهما ، ففى البرازيل تصل نسبة العاملين فى الزراعة الى ٦١% من جملة القوى العاملة ويكون الناتج الزراعى ٢٦% من جملة الناتج القومى كما أن كثافة السكان الزراعيين تصل الى ١٢ نسمة/كم^٢ بالمقارنة مع ٢٠ نسمة/كم^٢ لجملة القوى العاملة .

ويبدو أثر التنمية فى الاقتصاد الحديث القائم على الصناعة والتجارة فى تركيب الحياة الريفية ، ويبدو هذا التركيب فى بعض المجتمعات النامية والتي تسير فى مرحلة التحول الاقتصادى كما هى الحال فى بعض المجتمعات الافريقية والاسيوية واللاتينية ويمكن ادراك مدى هذا التحول بدراسة ارقام النمو والتركيب السكانى فيها ومدى التغير الذى اعترى هذا التركيب .

وفى المجتمعات المتقدمة فان التعقيد فى وسائل الحضارة ومظاهرها

قد امتد الى استغلال التربة وقد مر ذلك في عدة مراحل كانت المرحلة الاولى مرتبطة بتطبيق وسائل جديدة في الزراعة مما نتج عنه نمو في السكان الريفيين ، وقد تجلّى ذلك في تحسن الدورات المحصولية والوسائل المختلفة وازدياد استخدام الاسمدة مما أدى الى زيادة السكان الريفيين في السهول الاوربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك أدى الى تقليل ثم ازالة أخطار المجاعات في هذه الاقاليم .

أما المرحلة الثانية لهذا التطور في الزراعة فقد تميزت بازدياد الكثافة في الاراضى الزراعية مما حدا بالسكان الزائدين الى الاتجاه نحو اوجه نشاط أخرى غير زراعية ، كذلك فان استمرار التطور في الوسائل والادوات الزراعية أدى الى احلال الآلة محل كثير من الايدي العاملة الزراعية مما أدى الى اتجاه الفائض الى الهجرة ، وقد ارتبط ذلك ببداية التطور في الصناعة التى بدأت تستوعب الكثير من الذين لفظتهم الارض الزراعية ، وقد حدث ذلك في غرب أوربا خلال القرن التاسع عشر .

ثم تاتى المرحلة الاخيرة والتي تتمثل في أن التقدم الآلى حل محل القوى العاملة البشرية وأدى ذلك الى نتائج مختلفة منها ارتفاع مستوى الافراد المعيشى - وكذلك التأثير في السكان الريفيين الذين وجدوا أنفسهم أمام ثلاثة اختيارات اما منفصلة أو مرتبطة : اما أن يزيدوا مساحة الارض الزراعية واما أن يزيدوا الانتاج الزراعى أو يحسنوا خصائص طبيعة هذا الانتاج حتى يستطيعوا أن يلائموا بين متطلبات الصناعة والانتاج الزراعى وقد مرت دول شمال غرب أوربا بهذه المرحلة في الزراعة .

وتستطيع الزراعة في مرحلة التقدم الفنى أن تلبى احتياجات السكان في أنواع مختلفة من الكثافة ففي أراضى القمح في ليون (Léon) بأسبانيا حيث الوسائل مازالت تقليدية تبلغ الكثافة ٧٥ نسمة في الكم^٢ بينما في مناطق القمح الشاسعة في شمال وسط الولايات المتحدة تهبط الكثافة الى ١٠ نسمة/كم^٢ ، ويقدر أنه لكى يزرع هكتار من القمح (٢٤٧ فدان) فانه يتطلب بين ١٥ و٨ يوما من العمل بالوسائل التقليدية - بينما تنخفض هذه المدة الى يوم واحد باستخدام الميكنة الكاملة ، وفي الولايات المتحدة فان كثافة السكان في أراضى القطن في الجنوب ذى الايدي العاملة الملونة تزيد ثمان مرات عن مثيلتها في كاليفورنيا حيث تستخدم الميكنة في زراعة القطن بدرجة عالية، ويقدر كذلك أن الكيلو جرام الواحد من الارز يتطلب ثلاثة ساعات عمل في الشرق الاقصى في آسيا مقابل ١٦ دقيقة في لويزيانا بالولايات المتحدة .

وباختصار فإنه يمكن القول بالنسبة للمجتمعات الزراعية أو المجتمعات التي تبدو الزراعة فيها ثانوية بأن هناك عوامل عديدة تلعب دورا في تحديد كثافة السكان ، ففي المجتمعات الزراعية يلاحظ أن العامل الرئيسي في هذا المجال هو قدرة الاقليم الزراعى تحت الظروف التكنولوجية الراهنة على الوفاء باحتياجات عدد معين من السكان من الغذاء . واذا تزايد هذا العدد فان الارض ينبغي أن تنتج من المحاصيل مايكفى لاحداث التوازن بين السكان والغذاء ، وقد كانت المجاعات في العهود الماضية تتولى احداث هذا التوازن - بيد أن الانسان توصل الى حلول حديثة منظمة منها توسيع الرقعة الزراعية بمختلف الطرق والسبل (وهذا يفسر حركة ازالة الغابات واستصلاح اراضيها في غرب أوروبا في العصور الوسطى والزيادة الكبيرة في حقول الارز في الشرق الاقصى خلال القرن الماضى الذى كان مواكبا لنمو السكان) وكذلك زيادة الانتاج بتحسين خواص التربة (بالتسميد واتباع دورات زراعية) أو بالاهتمام بوسائل الري والصرف ثم أخيرا بهجرة السكان الزائدين في المناطق الزراعية(١) .

أما في المجتمعات المتقدمة والتي لاتسهم الزراعة في الانتاج القومى بها الا بنصيب ثانوى فان التوازن بين السكان والغذاء تكون أسسه مختلفة عن المجتمعات الزراعية حيث تتولى كثير من عناصر الانتاج غير الزراعى الاخرى احداث هذا التوازن الذى يرتبط بمستوى المعيشة في الدولة كلها، وفي الدول الفقيرة - ذات الدخل القومى المنخفض - فان التقدم الزراعى يكون بدرجة ضئيلة يؤدي الى هجرة كثير من السكان خاصة في المدن الكبرى ، كذلك قد تحدث هجرة عكسية خلال الازمات الاقتصادية كما حدث في الولايات المتحدة في الفترة (١٩٢٩ - ١٩٣٥) حيث عاد قرابة المليونين من سكان المدن الى الاراضى الزراعية .

وفي الدول ذات المستوى المعيشى المرتفع والتي تكون فيها الزراعة نسبة عالية من الدخل فان السكان تزيد كثافتهم في المناطق الريفية حيث الاستغلال الكثيف للارض ، كما هى الحال في الدانمرك وهولنده وفي بعض مناطق ذات أنماط زراعية خاصة مثل زراعة الخضر والفاكهة والزهور، ففي هذه المناطق تزداد كثافة السكان بدرجة ملحوظة (٣٧٥ نسمة في الكيلو متر المربع في هولنده) بينما تقل الكثافة الى ثلاثة أشخاص في مناطق الزراعة الواسعة في الولايات المتحدة ، ولكن في كلتا الحالتين فان

(1) Beaujeu-Carnier, J., Op. Cit., p. 58.

سكان هذه الاقاليم الزراعية يكونون نسبة غير قليلة من جملة السكان تصل الى ١٤٪ في هولنده ، ١٣٪ في الولايات المتحدة .

وينعكس مستوى المعيشة على نمط الزراعة في الاقطار المختلفة ، فبالنسبة للارز مثلا في الشرق الاقصى والولايات المتحدة يلاحظ أن زراعة هكتار واحد منه في دلتا تونكين بفييتنام الشمالية تتطلب أكثر من ٤٠٠ يوم عمل يدوى شاق بينما تتطلب هذه المساحة في الولايات المتحدة سبعة أيام بالالات المختلفة . وفي شرق آسيا فان عددا يقراوح بين ٥٠٠ - ٦٠٠ نسمة يعيشون على انتاج مساحة من الارض الزراعية مقابل خمسة أو ستة اشخاص يعيشون على مساحة مماثلة في الولايات المتحدة .

ويبين ذلك كله العلاقة بين الزراعة والتوزيع السكاني حتى يمكن القول بأن قيمة الحياة الريفية (Quality) تشمل المظاهر الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والنفسية والتي تتداخل معها عوامل متعددة تخلق في النهاية الصورة العامة للاقليم وشخصيته السكانية .

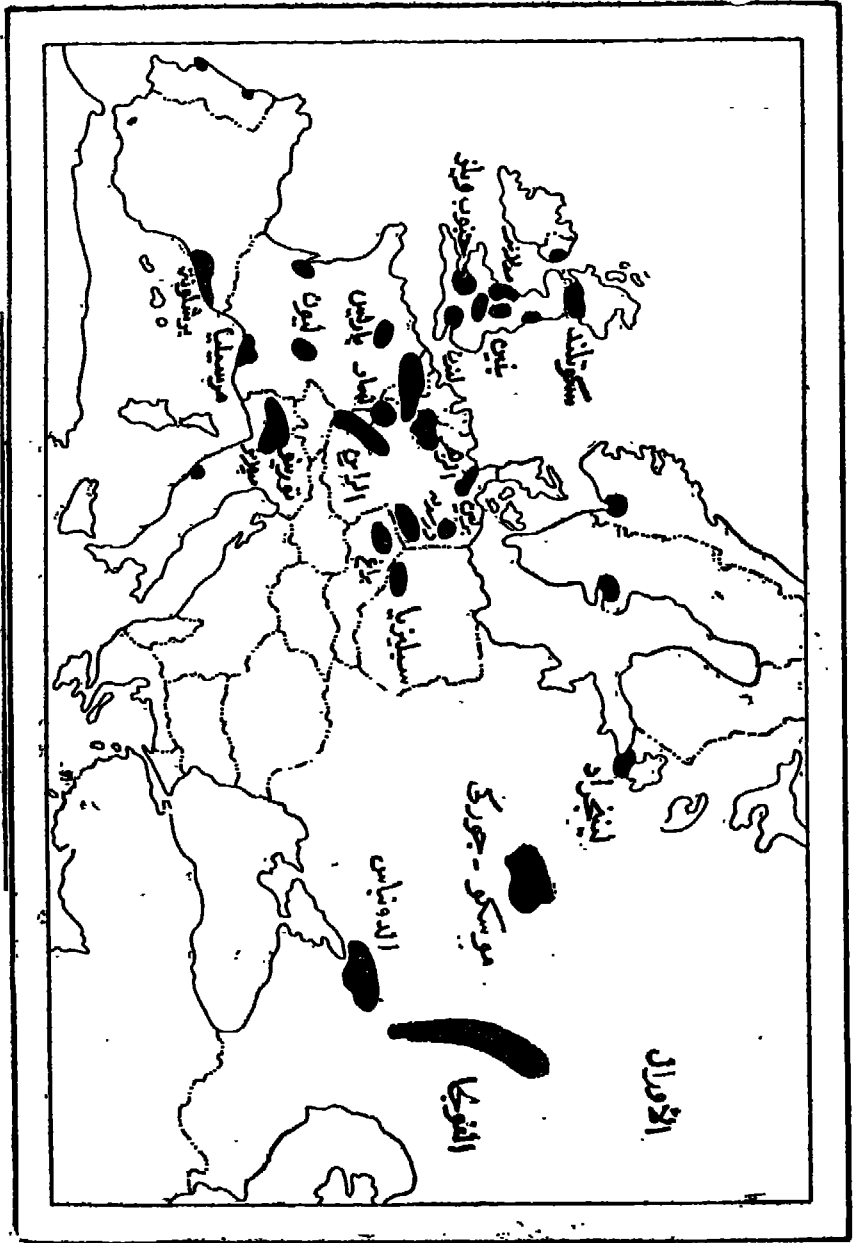
الصناعة والسكان :

يبدو أثر الصناعة في توزيع السكان في مظهرين أحدهما مباشر ويرتبط بالتركز السكاني حول الاقاليم الصناعية والآخر غير مباشر ويتمثل في أن الصناعة التي كثيرا ما تتوطن في المدن تجذب إليها كثيرا من مهاجري الريف مما يؤدي الى احداث «تعرية» سكانية في المناطق الريفية مقابل «ارساب» سكاني في مناطق الحضر وتلك ظاهرة عالمية تتميز بها المجتمعات النامية والمتقدمة على حد سواء . وقد شهدت أوروبا ظاهرة الخروج الريفي هذه منذ بدأ الانقلاب الصناعي بها حيث تضخمت كثير من المدن الصناعية على حساب الريف - وأبرز الامثلة على ذلك أن القرى التي كانت متخصصة في اعداد الخيوط الصوفية والكتانية أو القنب تركزت بها مصانع نسيج في القرن التاسع عشر - وبدأت في التوسع شيئا فشيئا على المواد الخام المستوردة من اقاليم انتاجها فيما وراء البحار مثل القطن والصوف والجوت وقد تركزت هذه المصانع في مقدمات جبال البينين وفي الفلاندرز وساكسونيا ولبارديا حيث فقد الريف كثيرا من سكانه في الوقت الذي تضاعفت فيه أحجام المدن الصناعية ، فمدينة روبيه (Roubaix) مركز الصناعات الصوفية الفرنسية تزايد عدد سكانها من ٨٠٠٠ نسمة في سنة ١٨٠٢ الى ٢٤ر٠٠٠ في سنة ١٩٠١ - حيث كان ثلثا هؤلاء من المهاجرين إليها ، ولقد أسهم الفحم بدور قوى في التقدم

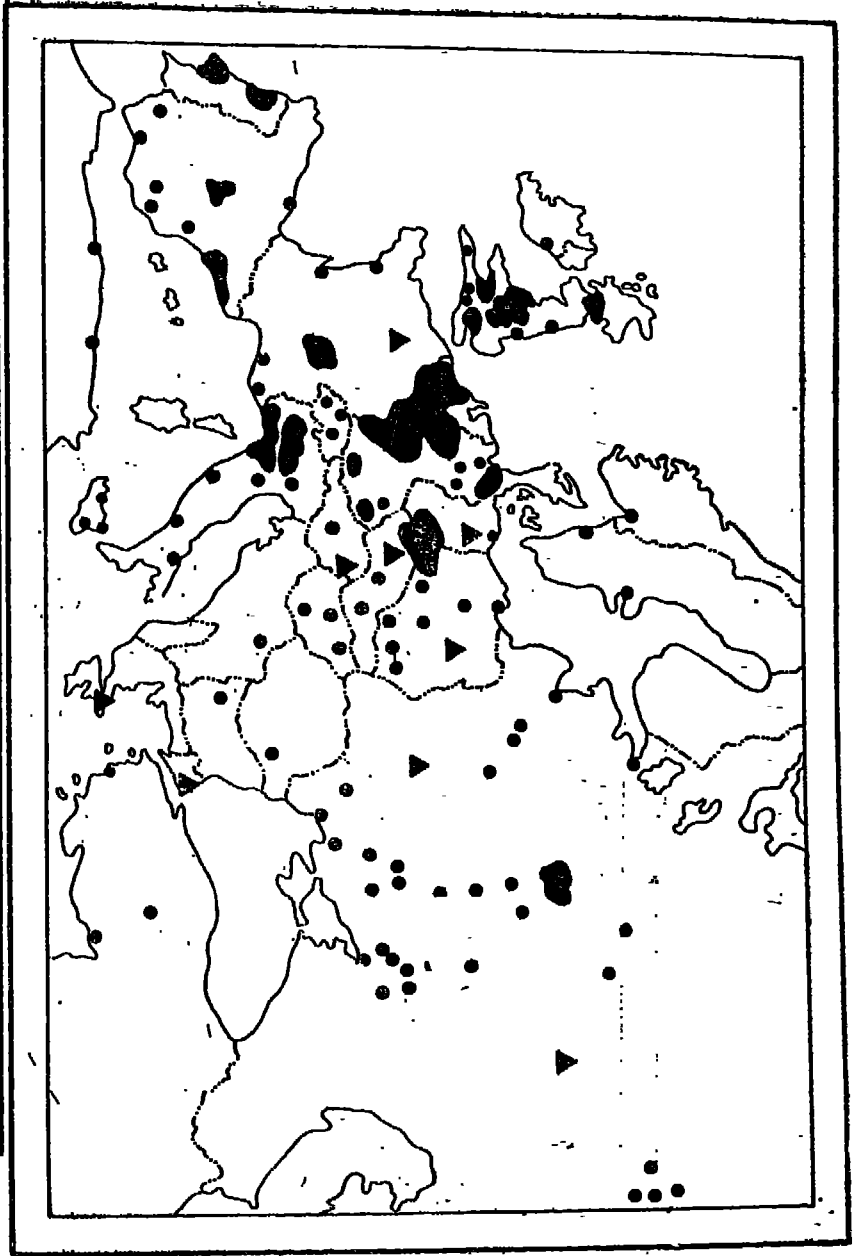
الصناعى الحديث ، وليس من الغريب أن الدول التى أخذت بناصية الانقلاب الصناعى كانت حقول الفحم بها من أكبر عوامل قيام الصناعات المختلفة ، فقد شاركت كل حقول الفحم فى شمال غرب أوربا فى هذا المجال حيث ظهرت تجمعات سكانية كبيرة فى المدن الصناعية مما أدى الى تزايد كثافتهم زيادة كبيرة (شكل ٨ وشكل ٩) وفى هذه الاقطار التى تمتد من لانكشير الى الرور ومن سيليزيا الى سانت ايتين (St. Etienne) تزيد الكثافة على ١٠٠ نسمة فى الكيلو متر المربع فى كثير من مناطقها . وتشبه هذه الاقاليم منطقة حوض الدوننز والاورال فى روسيا كذلك حواف الابلاش فى الولايات المتحدة حيث توجد مراكز صناعية عظيمة .

وهناك معادن أخرى خارج نطاق الفحم - أسهمت بدور ملحوظ فى التركيز السكانى مثل خام الحديد الذى يجذب كثيرا من القوى العاملة وكذلك الذهب والماس اللذين شهدا اندفاعا بشريا نحوهما مما أدى الى تعمير كثير من المناطق التى لم تكن ظروف العيش فيها مشجعة ، ففى منطقة اللورين الفرنسية تغير مظهرها السكانى بعد سنة ١٨٧٩ عندما أصبح استخدام خامات الحديد الفوسفورية ممكنا فى صناعة الصلب، وترتب على ذلك قيام ونمو كثير من المدن التعدينية والصناعية فى هذه المنطقة ، ولقد كان الذهب أحد العوامل القوية التى جذبت الايريين الى أمريكا اللاتينية وشجعتهم على اختراق القارة وبناء بعض المدن التى من أشهرها أوروبريتو (Ouro Preto) بالبرازيل ، وكذلك كان الذهب من عوامل جذب السكان الى مرتفعات غرب أمريكا الشمالية كما كان مسئولا عن الزيادة الديموغرافية المفاجئة فى استراليا حيث وصل اليها ٥٥٤,٠٠٠ شخصا فيما بين ١٨٥١ - ١٨٦٠ فقط . كذلك عمر الذهب منطقة الراند (Rand) فى جنوب أفريقيا - فقد وصل عدد سكان جوهانسبرج واثنى عشرة مدينة مجاورة - الى حوالى ١,٥ مليون نسمة منهم ٣٥٠,٠٠٠ نسمة يعملون فى مناجم الذهب وعلى بعد نحو مائتى ميل من هذا الاقليم ونحو الجنوب الغربى توجد حقول الماس فى بلومفنتين وكمبرلى والقال الادنى حيث تزداد كثافة السكان بها أكثر من المناطق الزراعية المجاورة .

وتختلف الصناعة - كما هى الحال فى الزراعة - فى طبيعتها ، ففى الصناعات الاستخراجية أو الاعمال الانتشائية يكثر عدد السكان العاملين بها ولكن تتفاوت أعدادهم من وقت لآخر - ولا يميزون بالنمو الثابت أو المتزايد - وذلك لارتباطهم بكمية المعدن فى المناجم أو استمرار الاعمال الانتشائية وبإمكانية بيع وتبادل الخام المنتج ، ففى دول أمريكا الجنوبية



شكل رقم (٨)
 المناطق الصناعية الرئيسية في قارة أوروبا



مدن تزيد على ١ مليون نسمة ●
 مدن مليونية ▲
 أكثر من ١ مليون نسمة ■
 شكّل رقم (٩) □
 المناطق الأكثر سكاناً في قارة أوروبا

تعانى مناجم المعادن اللافلزية وكذلك مناجم الفحم والنفط وغيرها تقلبات واسعة في مجال العمالة التي تعكس حالة السوق العالمية نظرا لاعتماد هذه المعادن على التصدير الخارجى ، وكذلك فان العمالة في جفر آبار البترول وانشاء السدود وغير ذلك تتميز بالتغير وعدم الاستقرار .

وعلى النقيض من ذلك فان الصناعة التحويلية تختلف اختلافا جوهريا في تأثيرها على توزيع السكان ، فمناطق صناعة النسيج والصناعات الهندسية والخفيفة تتميز بتركز السكان بها وتأخذ شكل المجمعات المدنية بتوابع صناعية ذات مصانع صغيرة ، ذلك لان هذه الصناعات تحتاج الى أيد عاملة كثيرة سواء من الذكور أو الاناث ، ومن أمثلة هذه المناطق اقليم صناعة النسيج في لانكشير وجنوب انجلترا ووسط هنشو بأليابان والتي تتميز بكثافات سكانية عالية في مساحات كبيرة .

ويرتبط بذلك المراحل التاريخية للصناعة في أى قطر ، ففي الدول التى أخذت بالصناعة مبكرا تميزت المرحلة الاولى بأنها مرحلة أصحاب الحرف المبعثرين ثم تطورت بعد ذلك الى مرحلة نمو النويات الصناعية المنعزلة القائمة على الفحم والمواد الخام الاساسية الأخرى بعد ذلك ثم على خطوط النقل الرئيسية . وقد تبع ذلك انشاء مصانع متتالية في مناطق التوطن الصناعى التى تزايدت بعد ذلك وكونت مراكز صناعية واسعة أسهمت فيها الاختراعات الحديثة والتقدم في وسائل النقل والمواصلات ووسائل الإنتاج والتدريب وغير ذلك ، ولقد جذبت المراكز الصناعية القائمة على الطاقة الكهربائية في المناطق الجبلية كثير من السكان كما هى الحال في بعض دول أوروبا .

وفي الدول الصناعية حديثا فان كثيرا من المناطق الريفية تشهد اقامة صناعات بها على المواد الأولية سواء كانت معدنية أو نباتية أو التى تساعد وسائل النقل على الحصول عليها ، ولعل أوضح الامثلة العالمية على ذلك النطاق الصناعى العظيم في روسيا الاسيوية الذى يشمل منطقة الكورياس وكاراجندا وأركوتسك ، وقد أنشئت المدن في هذا النطاق الذى كان قبل هذا التحول الصناعى منطقة استبس واسعة خالية أو تكاد من السكان وتغطيه الان مزارع الحبوب والقطن ، وفي الصحراء الكبرى وصحراء بلاد العرب أنشئت المدن في مناطق انتاج البترول ، وفي صحراء أنكاما وجبال الانديز أقيمت كثير من المراكز العمرانية في مناطق التعدين .

النقل والسكان :

يعد النقل ووسائله من العوامل الاساسية فى التوزيع الحالى للسكان على سطح الارض ، حيث اثر بطريق مباشر أو غير مباشر على التجمعات البشرية كلها دون استثناء كما غير من خريطة العالم فى القرنين الماضيين ، فقد أتاح النقل البحرى فرصة اكتشاف أراض جديدة وتأسيس طرق تجارية رخيصة تمتد لمسافات طويلة مما أدى الى نشأة ونمو كثير من الموانى الكبرى - وتبدو هذه العلاقة فى دراسة خريطة توزيع المدن الرئيسية فى العالم حيث يبدو من خلالهما تأثير القرب من البحر • ولقد خلق التقدم فى النقل عبر القارات حضارة جديدة من خلال التركيز (Concentration) وما صاحبه من تجميع المواد الخام ووسائل الانتاج والمواد الغذائية ونمو وتزايد الموارد ، وبالتالي نمو السكان وتركزهم ، ولقد كانت المسكك الحديدية والطرق الملاحية من أبرز عوامل تزايد أحجام المدن حيث تمتد الرقعة المدنية متبعة طرق النقل المؤدية الى المدينة وتبدو فى شكل أشربة عمرانية فى اتجاهات طرق النقل الرئيسية •

ولم يقتصر تأثير النقل على الجانب الاقتصادى فحسب ، بل أدى الى تزايد حركة السكان واختلاطهم مما أثر فى كثير من العلاقات البشرية بين الاجناس ، وسقطت كثير من أسوار العزلة بين الجماعات السكانية فى البيئات المختلفة وأصبح التبادل المستمر الناتج عن سهولة الاتصال سمة مميزة لهذا العصر • وإذا كان النقل قد خلق كثيرا من الاحتياجات الجديدة للسكان الا أنه أسهم فى تحقيق هذه الاحتياجات - فقد ساعد على التخصص فى الانتاج بين الاقاليم المختلفة وقد ظهر هذا التخصص وأصبح واضحا فى القرن التاسع عشر وأوائل العشرين بين المناطق التى خدمها النقل الحديث بل والمناطق الاخرى التى لم تتأثر كثيرا به ، وقد أصبحت الاولى مظهرا لكثير من أوجه النشاط حيث لعبت الصناعة دورا كبيرا فى اقتصادها ، وتضخم كثير من مدنها ، وأدى ذلك الى الحصول على المواد الخام من مناطق انتاجها فى أجزاء العالم المختلفة - وذلك عن طريق النقل البحرى الرخيص مقابل تصدير المعدات والالات الصناعية والمنتجات المصنعة المختلفة الى هذه المناطق ، ولقد مارس غرب أوروبا هذا الدور مبكرا مع مناطق أخرى مثل الولايات المتحدة التى برزت فى هذا المجال بعد ذلك ، وقد أثر هذا التطور فى باقى أجزاء العالم وان كان ذلك بدرجات متفاوتة •

ولقد كان للنقل دور بارز فى المناطق التى خضعت للاستعمار الاوروبى ، فقد أدى الى خلق كثير من المدن الساحلية والموانى الحديثة التى تتصل

ببإحدى أجزاء العالم بطريق النقل البحرى والجوى ، وهذه تختلف عن غيرها من المدن الريفية الداخلية فى نمط الحياة اختلافا كبيرا ، وفى الفترة الاستعمارية امتدت كثير من خطوط النقل من الساحل نحو الداخل ، أى ارتبطت موانئ التصدير بمناطق إنتاج المواد الخام اللازمة للصناعات فى الدول الأوروبية .

كذلك فإن الاختلاف بين أجزاء العالم - بل وبين أجزاء الدولة الواحدة - قد أدى إلى حركات سكانية كبيرة تتمثل فى الهجرة ، وفى كل يوم ينتقل آلاف السكان فى تيارات مستمرة من الريف إلى المدن ومن الأقاليم الفقيرة إلى الأخرى الغنية وكذلك من البلاد ذات الاقتصاد المتخلف إلى تلك البلاد المتقدمة ، وفى كل هذه الحركات السكانية تقوم طرق المواصلات بدور شريانى هام حتى أن امتداد خطوط النقل فى المناطق حديثة التعمير هو الذى يحدد مراحل هذا التعمير وتطوره ، ذلك لأن التعمير يتبع طرق النقل فى البداية ثم ينتشر على محاوره بعد ذلك امتدادا شريطيا ، ولقد كان الحال كذلك فى الطرق العابرة للقارة فى أمريكا الشمالية حيث كان امتداد المواصلات موازيا لحركة تعمير الأراضى ، وكذلك الحال فى خط سكة حديد سيبيريا عبر روسيا الآسيوية وأيضا على خطوط النقل الحديثة فى الصين الشعبية وبالرغم من أن المناطق التى تخترقها خطوط المواصلات تكون أهلة بالسكان فى الغالب إلا أن تركيز السكان يبدو واضحا على طول هذه الخطوط كاشطة سكانية كثيفة بصفة عامة .

أما فى الدول القديمة العمران حيث مدت خطوط السكك الحديدية عبر مناطق ريفية أهلة بالفعل وذات اقتصاد تقليدى خاص ، فإن أثر المواصلات يبدو مختلفا ، حيث يبدو تركيز السكان فى المدن الأكثر أهمية على امتداد خط المواصلات ، بينما تكون المراكز العمرانية فى المواقع المتوسطة أقل سكانا وتتأثر المناطق القريبة من السكك الحديدية بنقص السكان بينما لا تحدث مثل هذه الظاهرة فى المناطق البعيدة .

وتلعب القنوات والطرق البرية دورا فى توزيع المراكز العمرانية حيث يتميز التوزيع السكانى بملامح معينة ، ويعتبر المصب الخليجى لنهر التيمز مثلا واضحا على ذلك حيث أقيمت على هذه الجبهة المائية صناعات مختلفة تحتاج لوسائل مواصلات تنقل كمية ضخمة مثل صناعة الاسمنت والورق ومعامل تكرير البترول ، وقد أدى ذلك إلى تركيز السكان فى هذه المناطق بدرجة أكثر من الأقاليم المجاورة .

وعلى ذلك فان دور النقل في توزيع السكان يتحدد تبعا للبيئات المختلفة ، ومثال ذلك أنه في استراليا الشمالية حيث يبلغ متوسط الكثافة السكانية ثلاثة أشخاص في كل ١٠٠ كيلو متر مربع يوجد مركزان عمرانيين رئيسيان هما دارون كمينان واليس سبرنجر على نهاية خط السكة الحديد الذى يخدم منطقة الرعى الجنوبية ، ويتركز في هذين المركزين العمرانيين ١/٨ سكان الاقليم ، والباقي يتوزع في مناطق قريبة منهما أو مناطق سهلة الاتصال بخط السكة الحديدية ، وكذلك الحال في داخل البرازيل حيث اقترن مد السكك الحديدية بانشاء بلدان صغيرة على امتدادها وباستمرار عمليات التنمية في هذا الاقليم سواء بالتعدين أو الزراعة تزايد حجم هذه البلدان الواقعة على شرايين النقل وأصبحت مدنا كبيرة .

المؤثرات التاريخية والسياسية :

بالرغم من الدور الهام الذى تمارسه المؤثرات الطبيعية والاقتصادية المختلفة في توزيع السكان كما سبق القول الا أنه من الواضح أن التوزيع السكانى في الماضى له تأثير على توزيعهم في الحاضر والمستقبل ، فهناك كثير من البيئات يمكن تفسير توزيع السكان بها في ضوء ظروفها الماضية ، فقد أسهمت الحضارات الاسيوية وطوال الفترة الزمنية التى استغرقتها في تحديد أنماط التوزيع السكانى الحالى ، فعلى سبيل المثال جذبت السلاسل الجبلية في جنوب غرب آسيا الجماعات التى لجأت اليها هربا من الغزاة وبذا تميزت بازدهام سكانى واضح . وشبهه بذلك توزيع السكان في الامريكيتين حيث يدين في كثير من ملامحه الى عمليات الاستعمار الاوربى خاصة مد السكك الحديدية ، كذلك فان توزيع السكان في غرب وشرق أفريقيا سيظل مدة طويلة متأثرا بتجارة الرقيق التى ابتليت بها هذه المناطق ، وباختصار فان التوزيع السكانى لا يمكن تفسيره في ضوء فترة زمنية محددة ذلك لانه في تغير مستمر مستجيبا في ذلك للمؤثرات والقيم البشرية .

ويتأثر التوزيع السكانى بالهجرة والحركة الطبيعية للسكان وأحيانا ماتتفوق الهجرة على الزيادة الطبيعية أو العكس ولكن كل العوامل الاجتماعية والسياسية تؤثر في هذين المكونين مثل الاختلاف الثقافى والدينى والنمط الاجتماعى والطبقى والخدمات الاجتماعية والتقدم الطبى والمستوى التعليمى ومكانة المرأة والسياسات السكانية القومية والتغيرات في الحدود السياسية وغير ذلك .

وقد أظهرت دراسة مؤثرات التوزيع السكاني المختلفة أنه ليس بالضرورة أن تكون المناطق التي شهدت تعميرا قديما هي الأعلى كثافة دائما ذلك لان هناك أقاليم في كثير من الدول تتمشى مع هذا «القانون» البسيط . ويمكن تفسير قلة الكثافة في المناطق ذات العمران القديم بأسباب متعددة لتوضيح العوامل التي جعلت مناطق أهلة في العصور القديمة قليلة السكان في الوقت الحاضر .

ولعل في دورات تعمير سهول وسط وجنوب إيطاليا مايعطى مثلا واضحا على ذلك ، فهذه المناطق كانت مزروعة ومشهورة في الفترة الرومانية القديمة ، ولكنها تدهورت بالتدريج بعد ذلك نتيجة لنظم الزراعة التي لم تلائم ظروف البيئة ، ثم انتشار الاوبئة وخاصة الملاريا، وأهملت هذه الاراضى في العصور الوسطى وأنشئت القرى في مناطق التلال وقد اتبعت سياسة احياء هذه الاراضى خلال القرن والنصف القرن الاخيرين وساعد ذلك على اعادة تعميرها . وهناك دورة تطويرية مشابهة في اراضى مابين النهرين (ميزوبوتاميا) والتي كانت مشهورة في الازمنة القديمة بخصوبتها ومدنها ، الا أنها تعرضت لاهمال بعد ذلك تسبب عنه تعرضها لزحف الصحارى وتبذل جهود في الوقت الحاضر لرى واستصلاح هذه الاراضى لحيائها مرة أخرى ، وهناك مناطق أخرى لم تحظ بهذا الاهتمام مثل شبه جزيرة يوكاتان التي تنتشر فيها أطلال قديمة تشهد على حضارة مزدهرة لجماعات المايا الهندية في أمريكا الوسطى .

ولقد حاول كثير من الباحثين ارجاع تدهور كثير من المناطق المماثلة لتغيرات مناخية وخاصة في شمال أفريقيا في فترة ما قبل التاريخ بل والعصور القديمة - وحتى الوقت الحاضر وهناك آثار مشابهة لهذا التغير المناخى في آسيا - فقد تغير مركز جاذبية السكان في سريلانكا حيث كان السكان يتركزون قديما في المنطقة الجافة وكانوا يمارسون زراعة الارز من خلال نظام الخزانات المائية الصغيرة وقد دمرت هذه الخزانات خلال غزو التاميل Tamil في منتصف القرن الثالث عشر وترتب على ذلك أن أصبحت المنطقة موبوءة بالملاريا وأهملت المدن لكى تطغى عليها الغابات وفي هذه المناطق يوجد ٢٨ شخصا فقط في الكيلو متر المربع ، ومن ناحية أخرى فقد استطاع الاستعمار الحديث أن يعمل على تنمية المنحدرات والسهول الساحلية الغربية لاستغلالها في زراعة الشاي والمطاط وتبلغ كثافة السكان بها في الوقت الحاضر ٣٥٠ نسمة في الكيلو متر المربع .

وقد تبدو التغيرات بسرعة واضحة في بعض الاقاليم كما حدث في

الاراضى التى سلمتها المانيا الى بولنده سنة ١٩٤٥ ، وماتبخ ذلك من اجلاء سكانها واحلال سكان بولنديين محلهم وقد نتج عن ذلك انخفاض فى الكثافة بل وتغير فى نمط التوزيع السكانى حيث حلت الملكيات الصغيرة محل الاقطاعات الكبيرة .

واخيرا فانه فى العالم الجديد حيث امتد التعمير الى اراضى جديدة ، شهدت اقطاره بذلك اولى مراحل العمران - او اولى دورات التوزيع السكانى التى ترتبط بمقدمات الاستقرار البشرى فى هذه المناطق وما يرتبط به من تركيز او تشتت .

اما العوامل السياسية فيبدو تأثيرها فى توزيع السكان واضحا فى المهاجر مثل الولايات المتحدة واستراليا حيث تطبق الحكومات قوانين لتنظيم الهجرة الموافدة اليها ، فقد بدأت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى فى تطبيق نظام الحصص للحد من عدد المهاجرين ، كما طبقت استراليا سياسة عرفت بالسياسة الاسترالية البيضاء (White Australian Policy) والتى تحرم دخول العناصر الملونة الى القارة خوفا من طغيانها العددى ومنافستها للبيض فى مجالات العمل وادى ذلك الى استمرار استراليا بمساحتها التى تبلغ ٧٦ مليون كيلو متر مربع من اصغر قارات العالم فى عدد السكان حيث يعيش بها ١٧٥ مليون نسمة فى الوقت الذى تعاني فيه معظم دول جنوب شرقى آسيا القربية تضخما سكانيا مزمنا .

وبالاضافة الى كل العوامل السابقة والمتشابكة التى تؤثر فى توزيع السكان ، هناك عوامل اخرى ترتبط بقدرة الانسان على التغيير فى ظروف بيئته نحو الاحسن وتوسيع النطاق المعمور من سطح الارض وما تقوم به الحكومات من مشروعات تهدف الى اعادة توزيع السكان على رقعة بلادها ويقابل تلك العوامل الايجابية عدة عوامل سلبية تؤثر فى تشتت السكان ونقصهم Depopulation سواء ما ارتبط بها من الحروب وما تجمله من خراب وتدمير لوسائل العيش او طرد السكان الاصليين من موطنهم واحتلالها بالقوة .

على انه ينبغى القول فى النهاية بان تفسير العوامل المؤثرة فى توزيع السكان وانماطه المتغيرة ليست عملا سهلا حيث يتطلب ذلك تحليلا جيدا للمخرايط الطبوغرافية والبيانات المناخية والاقتصادية والاجتماعية ومعرفة عميقة بالماضى البعيد والقريب والاهتمام الدقيق بالاطار الكلى لتضافر كل هذه العوامل مجتمعة وليس بعامل واحد فقط دون غيره .

البَابُ الثَّانِي
نَمُو السَّكَّانِ

افضل الرابع

خصوبة السكان

خصوبة السكان لفظ يطلق للدلالة على ظاهرة الانجاب فى أى مجتمع سكانى والذى يعبر عنها بعدد المواليد الاحياء ، وينبغى التمييز هنا بينها وبين لفظ القدرة على التوالد Fecundity وهى التى يقصد بها المقدرة الفسيولوجية على الانجاب أو القدرة الطبيعية على حمل الاطفال،ويمكن التحقق من الخصوبة Fertility من احصاءات المواليد، الا أنه لا يستدل منها على مستوى القدرة على التوالد أو الخصوبة الفسيولوجية والذى لا يوجد لها قياس مباشر .

وتختلف الخصوبة من مجتمع لآخر كما أنها تختلف من مكان لآخر ومن مجموعة سكانية لآخرى داخل المجتمع الواحد وذلك نتيجة عدة عوامل اجتماعية واقتصادية وبيئية ، ومن هنا تكون أهمية دراستها حيث يؤدى هذا الاختلاف فى مستويات الخصوبة من بيئة لآخرى الى اثر بالغ فى حركات السكان وفى نواح شتى من حياتهم وخاصة بعد أن أمكن السيطرة على الوفيات الى حد كبير .

وللخصوبة أثر عميق فى تركيب السكان العمرى ، وذلك لان ارتفاع مستواها يؤدى الى زيادة التراكم العدى فى قاعدة الهرم السكانى واتساعها ووجود مايعرف بظاهرة التجديد (الاشباب) Rejuvenation - ويؤدى هذا بالتالى الى انخفاض مستوى نسبة كبار السن الى مجموع السكان ، وهذا الاتساع فى القاعدة والضيق فى قمة الهرم السكانى يؤدى الى نتائج اقتصادية واجتماعية متعددة تنعكس على معدلات النمو السكانى فى المجتمع (١) .

وتعد الخصوبة من العناصر الرئيسية فى دراسة السكان ، ليس فقط

(١) راجع فصل التركيب العمرى النوعى للسكان .

لأنها غالبا ماتفوق الوفيات والهجرة وبالتالي فهي المحدد الرئيسى لنمو السكان بل لأنها أيضا أكثر صعوبة فى فهمها عن الوفيات ، فبينما تتميز الوفاة بأنها حتمية بالضرورة ولايمكن تجنبها فان الخصوبة ليست كذلك ، ومن ثم فهي أقل ثباتا . ويمكن التنبؤ بها كما يمكن التحكم فيها ، كذلك فإنها تكون أكثر تأثرا بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسيةوالنفسية وغيرها ، وبالإضافة الى ذلك فان الوفاة - والتي تحدث فى أى عمر - تختلف عن الخصوبة فى أن النساء يلدن فى فترة زمنية محددة من أعمارهن ومن ثم فان زيادة عدد المواليد فى عام لايعنى أنه ستعقبه زيادة مماثلة فى العام التالى وتبعا لذلك فان الخصوبة تتعرض لتغيرات على مدى قصير أكثر مما تتعرض له الوفيات .

مقاييس الخصوبة :

تقاس خصوبة السكان بعدة مقاييس حسابية تختلف فيما بينها تبعاً للعمليات الاحصائية المتبعة للحصول عليها ، كما أن لكل منها مزاياه وعيوبه سواء من حيث سهولة الحصول عليه أو من حيث الدلالة التي يبرزها .

١ - معدل المواليد الخام Crude Birth Rate :

يعد هذا المعدل أبسط هذه المقاييس جميعا - وهو عبارة عن النسبة بين عدد المواليد الاحياء المسجلين فى السنة واجمالى عدد السكان فى منتصف السنة ، وهو معدل خام لانه يبين الظاهرة الحيوية منسوبة الى المجتمع ككل دون النظر الى التركيب السكانى المتباين من حيث العمر والنوع والنشاط والخصائص الديموغرافية الاخرى ، ولذلك فانه نظرا لبساطة هذا المعدل الخام - فان له عيب جوهرى هو أنه يمزج مجموعات سكانية كثيرة تختلف الخصوبة فميا بينها اختلافا واضحا ولا يميز بين طبقاتها المختلفة ومدى تباينها فى هذا الصدد .

وقد أصبح هذا المقياس شائعا ومعروفا لمناقشة المستوى العام للخصوبة وذلك لمزاياه الكثيرة رغم ذلك ، منها أنه يبين مستوى الخصوبة لمجتمع بأكمله على مستوى القطر أو الاقليم ، ويمكن حسابه بسهولة ويسر ولايتطلب سوى الحد الأدنى من البيانات لحساب أى معدل حيوى .

ويكتب معدل المواليد الخام على الصورة التالية :

$$\text{معدل المواليد الخام} = \frac{\text{عدد المواليد أحياء فى السنة}}{\text{عدد السكان فى منتصف السنة}} \times 1000$$

مثال :

$$1000 \times \frac{1945000}{49769000} = \text{معدل المواليد الخام في مصر سنة 1986} \\ = 39 \text{ في الالف}$$

٢ - معدل الخصوبة العام **General Fertility Rate** :

وهو عبارة عن النسبة بين العدد السنوى للمواليد الى جملة عدد الاناث في سن الحمل والتي تقع بين فئتى العمر ١٥ - ٤٩ سنة ، والغرض من ذلك هو تحديد مقام المعدل الى الاناث المحتمل أن يكن أمهات باستبعاد جميع الذكور ومجموعات أخرى من الاناث خارج فترة الحمل الطبيعية .

وعلى ذلك فان هذا المعدل يأخذ الصيغة التالية :

$$1000 \times \frac{\text{عدد المواليد أحياء في السنة}}{\text{عدد الاناث في مرحلة العمر (١٥ - ٤٩) في منتصف السنة}} = \text{معدل الخصوبة العام}$$

مثال :

$$1000 \times \frac{1384000}{87581936} = \text{معدل الخصوبة في مصر سنة 1976} \\ = 1613 \text{ في الالف}$$

٣ - معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة :

Age - Specific Fertility Rate

وهو النسبة بين جملة عدد المواليد لامهات في أعمار معينة الى عدد الاناث في كل فئة عمرية وعادة ماتكون فئة خمسية (أى كل خمس سنوات) وهو أدق من المعدلين السابقين وذلك لان عدد المواليد يختلف باختلاف أعمار الامهات بدرجة كبيرة .

والبيانات اللازمة لحساب هذا المعدل هى عدد المواليد المسجلين المبوين حسب عمر الأم ، وعدد السكان الاناث في كل فئة عمرية في المدى العمرى ١٥ - ٤٩ مبنوية في نفس فئات عمر الأم وهو بذلك يأخذ الصيغة التالية :

معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة =

$$1000 \times \frac{\text{عدد المواليد خلال السنة للاناث (الوالدات) في فئة عمرية}}{\text{عدد الاناث في نفس الفئة العمرية في منتصف السنة}}$$

مثال : معدل الخصوبة في مصر سنة ١٩٧٦ هو :

الفئة العمرية (١)	جملة عدد المواليد حسب أعمار الأمهات (٢)	جملة عدد الاناث في كل فئة عمرية في منتصف السنة (٣)	معدل الخصوبة العمرية في الالف (٢) $1000 \times \frac{(\text{٢})}{(\text{٣})}$	% من الجملة
١٥ - ١٩	٤٠٤٠٠	١٨٤٩٩٥٢	٢٢	١ر٩
٢٠ - ٢٤	٢٩٢٠٠٠	١٥٦١٦٩٨	١٨٧	١٦ر٥
٢٥ - ٢٩	٤٢٣٥٠٠	١٣٦٢٩١٦	٣١١	٢٧ر٤
٣٠ - ٣٤	٣٠٠٠٠٠	١٠٩٢١٧٣	٢٧٥	٢٤ر٣
٣٥ - ٣٩	٢١٣٠٠٠٠	١٠٣٠٠٩٠	٢٠٧	١٨ر٣
٤٠ - ٤٤	٨١٤٠٠	٩٤٦٩٠٤	٨٦	٧ر٦
٤٥ - ٤٩	٣٣٨٠٠	٧٣٨٢٠٣	٤٦	٤ر٠
الجملة	١٣٨٤٠٠٠	٨٥٨١٩٣٦	١١٣٤	١٠٠ر٠

٤ - معدل الخصوبة الكلية Total Fertility Rate :

ويرتبط بمعدل الخصوبة الخاصة بقياس آخر هو معدل الخصوبة الكلية ، وهو مجموع معدلات الخصوبة الخاصة للمرأة الواحدة (أو لآلاف امرأة) مضروباً في ٥ (طول الفئة العمرية) ، ويعنى هذا المعدل في الواقع متوسط عدد المواليد الذين يمكن أن تنجبهم المرأة الواحدة طوال سنوات قدرتها على الانجاب ، ومثال ذلك أن معدل الخصوبة الكلية في مصر سنة ١٩٧٦ يساوى :

$$٧ر٥ \text{ مولودا} = \frac{١١٣٤ \times ٥}{١٠٠٠}$$

وتعد دراسة الخصوبة الخاصة محاولة للتعمق في اظهار المستوى الحقيقى للخصوبة ومقارنته مع غيره من المقاييس ، وذلك لان معدل المواليد الخام الذى سبق الحديث عنه ليس في الواقع سوى مقياس أولى للخصوبة لانه ينسب عدد المواليد في فترة معينة الى عدد السكان التقديري

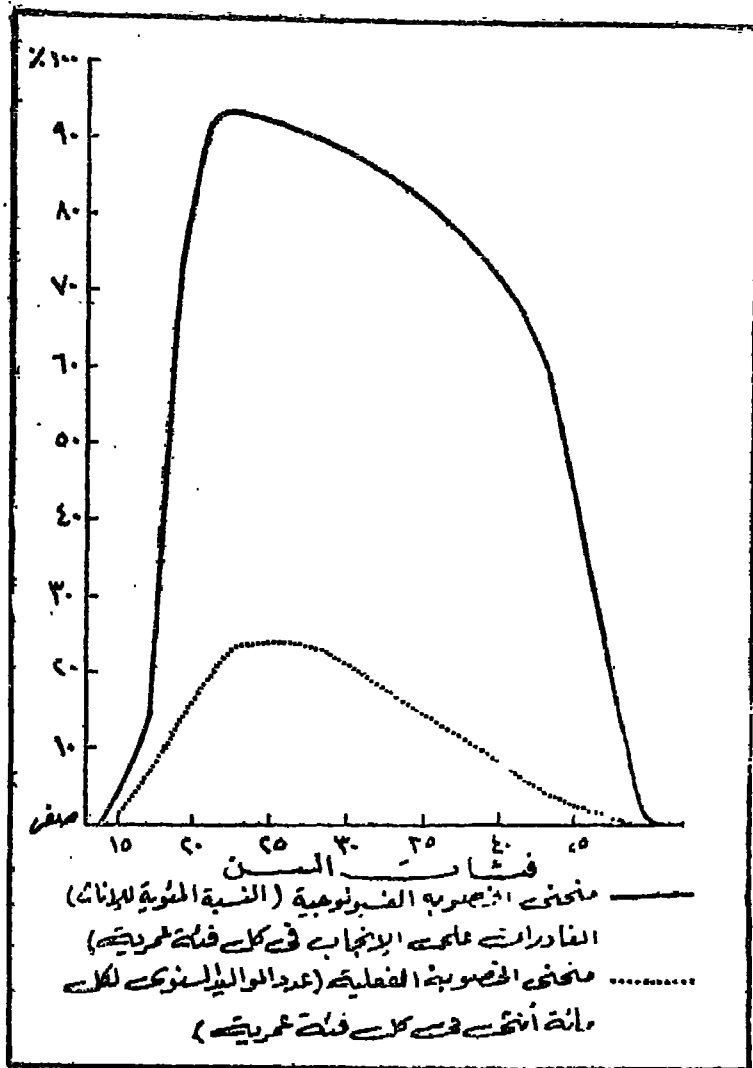
في خلال هذه الفترة ، ومن الواضح أن المواليد ليسوا نتاجا لكل سكان المجتمع ولكنهم نتاج مجموعة سكانية لها خصائصها الديموغرافية المميزة وخاصة في مجال التركيب العمري الذي تختلف فيه كثير من المجتمعات وليس تساوى معدلين للمواليد في مجتمعين قرينا بتساوى نمط الخصوبة بينهما ، ذلك لان التركيب السكاني له تأثير كبير ، فاذا كان أحدهما يتمتع بنسبة عالية من الاناث في سن الحمل أو حتى قبيل بلوغ هذه السن فان احتمالات الزيادة في عدد سكانه في المستقبل بسبب النسل تكون أكبر من مثيلتها في مجتمع آخر يتميز بقلّة نسبة الاناث في سن الانجاب - ولعل مرجع ذلك هو أن الانثى هي المصدر الرئيسى للخصوبة والموضع الحقيقي لها ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح تام في المجتمعات التي تعرضت للهجرة وفودا أو نزوحا .

والغرض الاساسى من تحديد عدد المواليد في كل فئة عمرية الى الاناث في نفس الفئة هو محاولة تحديد اختلاف اسهام الاناث في الخصوبة حسب الاعمار ، وذلك لان فترة الحمل لا تتساوى فيها قدرة المرأة على الانجاب طوال سنوات هذه الفترة التي تبدأ من سن البلوغ وتنتهى عند سن اليأس ويذهب بعض الباحثين الى أن هذه الفترة قد تتسع لمدة زمنية فيما بين الخامسة عشرة أو أقل قليلا الى سن الخمسين أو حول هذه السن وقد جرى العرف الديموغرافى على اتخاذ المدى العمري ١٥ - ٤٩ كمجال طبيعى للحمل - وذلك حسب البيانات التي تتيحها الاحصاءات الحيوية في المجتمع .

وبالرغم من أن قدرة المرأة الفسيولوجية على الانجاب تصل الى ٣٥ عاما فيما بين ١٥ - ٤٩ سنة الا أن هناك نسبة من الاناث عقيمت طبيعيا خلال هذه الفترة وليس من المعروف تماما نسبة العقم الطبيعى للاناث حسب الفئات العمرية ولكن بعض الدراسات(١) استنتجت أن هناك نموذجا افتراضيا للقدرة على الانجاب يدل على أن نسبة الاناث القادرات على الانجاب ترتفع من ١٪ عند سن ١٤ لتصل الى الحد الاقصى وهو ٩٣٪ عند السن ٢٢ ثم تبدأ في الهبوط التدريجى بعد ذلك بالتقدم في العمر حتى سن ٥٠ لتصل مرة أخرى الى ١٪ فقط . (انظر الشكل رقم ١٠) .

أما نسبة الانجاب لدى الاناث في كل فئة عمرية في المدى العمري

(1) U. N., Population Bulletin of the United Nations, No. 1963 New York, 1965, p. 101.



شكل رقم (١٠)
منحنى الخصوبة الفسيولوجية والفعلية للاناث

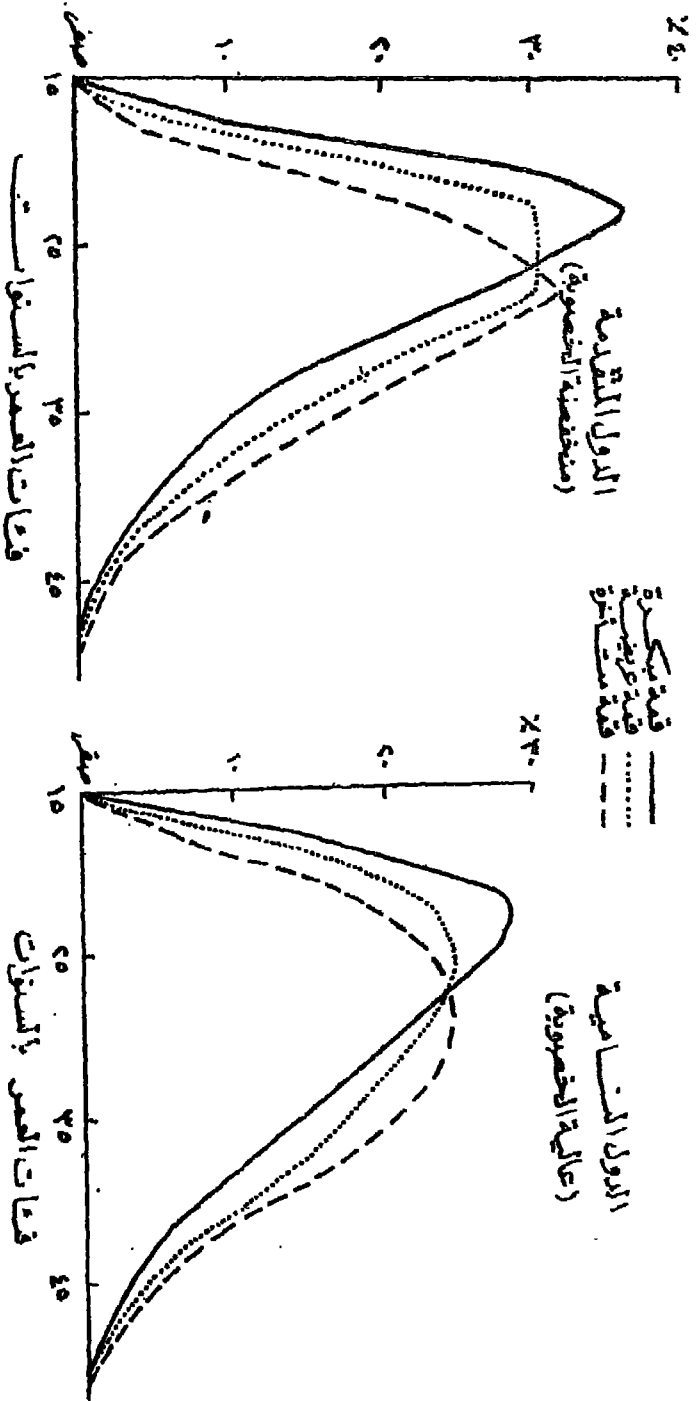
المذكور والتي تعرف بمعدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة فتختلف من شعب لآخر نتيجة عدة عوامل من أبرزها متوسط السن عند الزواج للأنثى ونسبة الترميل للأنثى اللائى فى سن الخصوبة ومعدل زواج الارامل منهن ثم مدى ممارسة وسائل تنظيم الانجاب ، واذا وزعنا معدل الخصوبة العمرية النوعية على رسم بيانى بحيث يكون المحور الافقى ممثلا للفئات العمرية للأنثى والرأسى لمعدلات الخصوبة فان المنحنى الناتج يكون على شكل ناقوس Fall Shaped Curve ويعرف بالمنحنى العمرى للخصوبة .

ويعد منحنى الخصوبة العمرى منخفضا عند الاعمار التى تقل عن ٢٠ سنة حيث تكون نسبة قليلة من الاناث قد بدأت الانجاب - ثم يرتفع بعد ذلك ليصل الى قمته فى العشرينيات من العمر (أو أوائل الثلاثينيات) عندما تكون الغالبية العظمى من الاناث قد تزوجت ويكن بذلك فى قمة القدرة على الخصوبة الطبيعية ، ثم مايلبث المنحنى أن ينخفض بعد ذلك بسرعة فى بعض المجتمعات ويبطء فى بعضها الاخر معتمدا فى ذلك على معدلات العقم وممارسة وسائل تنظيم الانجاب وغير ذلك من العوامل .

ويتباين شكل منحنى الخصوبة العمرى من دولة لاخرى بل قد يتغير فى المجتمع الواحد بين كل فترة زمنية وأخرى ، ويعد شكل هذه المنحنيات ذا أهمية خاصة فى دراسة الخصوبة حيث تدل مقارنة مقاييس الخصوبة العمرية النوعية بين الدول على اختلاف منحنى الخصوبة العمرى بين الدول عالية الخصوبة من ناحية ومنخفضة الخصوبة من ناحية أخرى بل بين أقطار كل مجموعة من هذه الدول ، وتبدو هذه الفروق فى أمرين هما: السن الذى يصل فيه معدل المواليد العمرى النوعى الى أقصاه ثم درجة تركيز الخصوبة فى فئات عمرية عند قمة المنحنى أو بالقرب منها .

ويمكن تمييز ثلاثة أنواع رئيسية من المنحنيات للسن الذى تصل فيه الخصوبة الى قمته ، وهى نوع القمة المبكرة Early - Peak حيث تصل الخصوبة أقصاها فى الفئة العمرية (٢٠ - ٢٤) ونوع القمة المتأخرة Late - Peak حيث يكون الحد الأقصى فى الفئة (٢٥ - ٢٩) وأخيرا نوع القمة العريضة Broad - Peak حيث تصل معدلات المواليد أقصاها فى الفئتين (٢٠ - ٢٤) و (٢٥ - ٢٩) كما يبين الشكل رقم (١١) .

وليس هناك اختلاف كبير بين الدول عالية الخصوبة ومنخفضة الخصوبة فى توزيع قمة الخصوبة العمرية ، ولكن يلاحظ على الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة أن فترة الانجاب تميل الى التركيز فى



شكل رقم (11)
 انماط منحنى الخصوبة العمرية

مدى أضحيق من الاعمار أكثر من الدول النامية عالية الخصوبة ، وكقاعدة عامة فإن ٧٧% أو أكثر من الخصوبة الكلية في الاقطار التي يقل فيها معدل التكاثر الاجمالي عن ٢٠ تنتج عن مواليد لاناث بين ٢٠ - ٣٤ سنة، أما في الدول عالية الخصوبة فإن الاناث اللائى تعدين سن ٣٥ سنة من العمر يكونون ١٥% أو أكثر من الخصوبة الكلية ، يقابل ذلك نسبة ضئيلة من هذه الاعمار في دول الخصوبة المنخفضة ، كذلك فإن اسهام الاناث أقل من ٢٠ سنة يعد أكبر في الدول النامية منه في الدول المتقدمة ويعكس هذا مدى الاختلاف في متوسط السن عند الزواج .

وفي الدول منخفضة الخصوبة تسود القمة المبكرة بوضوح في معظم أجزاء وسط وجنوب أوربا وخاصة بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولنده ورومانيا ، وعموما فإن المواليد للماهات من ٢٠ - ٢٤ سنة تكون من ٣٥ - ٤٠% من الخصوبة الكلية في هذه الاقطار، ويميل العمر عند الزواج نحو التبكير في هذه الاقطار عنها في شمال وغرب وسط أوربا ، وبالإضافة الى ذلك فإن إباحة الاجهاض في هذه الاقطار أدى الى تخفيض كبير في خصوبة الاناث الأكبر سنا ، أما النمط العمرى السائد في شمال وغرب أوربا وبين السكان الاوربيين فيما وراء البحار فيتميز بأنه ذو قمة عريضة وينتمى كومولث الدول المستقلة الى هذه الفئة أيضا ، ويعد متوسط السن عند الزواج في هذه المجموعة أعلى منه لدى المجموعة الاولى ذات القمة المبكرة .

أما نمط القمة المتأخرة فيسود غالبا في جنوب أوربا (اليونان وايطاليا واسبانيا) دون غيرها من الدول منخفضة الخصوبة الاخرى وفي شمال غرب وسط أوربا تتميز جمهورية ألمانيا وايرلنده وهولنده وسويسرة بهذا النوع . كذلك تتميز به بعض الدول الاسيوية منخفضة الخصوبة وهى اليابان وتايوان ، وقد ساعد تأخير سن الزواج على ظهور هذه القمة المتأخرة حيث أن نسبة الاناث اللائى يتزوجن قبل سن ٢٥ في هذه الاقطار تعد أقل النسب في العالم .

أما في الدول ذات الخصوبة العالية فإن معظم البيانات تدل على قمة مبكرة مما يدل على ارتفاع الخصوبة في الاعمار ٢٠ سنة فأكثر ، ويعد الزواج المبكر شائعا في هذه الدول خاصة الهند التي تعد من أوضح الدول التي تتميز بالزواج المبكر .

أما النمط ذو القمة العريضة فيسود في أمريكا اللاتينية . كذلك بعض

أقطار جنوب شرق آسيا • وفي موريشيوس وبين ملونى جنوب أفريقيا في القارة الافريقية • أما القمة المتأخرة فهي واسعة الانتشار كذلك بين الدول عالية الخصوبة ، وفي بعض الحالات كما في سرى لانكا وتايوان وسنغافورة وشيلي فان متوسط السن عند الزواج يعلو بكثير عن مثيله في باقى الدول النامية الاخرى ، ومع ذلك فهناك قمة متأخرة في بعض الدول بالرغم من انخفاض متوسط السن عند الزواج ، وهذه الحالة تنطبق على مصر في تعدادى سنة ١٩٦٠ و ١٩٧٦ ومع كل هذا فان نمط الخصوبة العمرى في الدول النامية يحتاج لدراسة تفصيلية توضح حقيقته وهل هو حقيقى كما تدل عليه البيانات أم انه متأثر بعدم دقتها •

وعلى ذلك فان متوسط السن عند الزواج يعد عاملا هاما في تحديد النمط العمرى للخصوبة وبصفة عامة فان القمة المبكرة تتفق مع الزواج المبكر بينما تتفق القمة المتأخرة مع الزواج المتأخر ، ومن ناحية أخرى فان الزواج المبكر يسود بدرجة أكبر في الدول النامية ذات الخصوبة العالية عنه في الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة •

٥ - معدل التكاثر الاجمالى Gross Reproduction Rate :

لما كانت الخصوبة الكلية المحسوبة من الخصوبة العمرية النوعية الخاصة تمثل عدد الاطفال الذى تنجبه الانثى التى تمر بفترة الحمل ، فان هذا العدد يشمل المواليد الذكور والاناث ، وحيث أن دراسة الخصوبة تتركز حول الاناث باعتبارهن الموطن الحقيقى للخصوبة فقد اتجهت الدراسات الديموغرافية الى محاولة تقدير عدد امهات المستقبل عن طريق دراسة المواليد الاناث وذلك بغية التعرف على عدد ما تنجبه الانثى التى تجتاز فترة الحمل من اناث تمثل كل واحدة منهن حلقة في سلسلة البقاء للجنس البشرى •

والمقياس المستخدم في ذلك الغرض هو معدل التكاثر الاجمالى ، وهو تطوير بسيط لمعدل الخصوبة الكلية ، والتميز الوحيد بينهما هو أن معدل التكاثر الاجمالى يخص المواليد الاناث بدلا من جملة المواليد،ويمكن حسابه بسهولة للاناث حسب فئات أعمارهن وبنفس طريقة معدل الخصوبة الكلى اذا كانت البيانات تعطى للمواليد الاناث منفصلة عن الذكور حسب عمر الأم، واذا لم تتوفر مثل هذه البيانات فمن المعتاد أن نبدأ أولا بحساب معدل الخصوبة الكلية باستخدام جملة المواليد من النوعين ثم نضرب هذا

المعدل الناتج في نسبة النوع عند المولد (وهي نسبة الذكور الى الاناث والتي تساوى غالبا ١٠٥ - أى أن كل ١٠٥ من المواليد الذكور يقابلهم ١٠٠ من المواليد الاناث) .

ويعبر معدل التكاثر الاجمالي عن عدد الاناث للمرأة الواحدة أى عدد الاناث اللاتي تلدهن المرأة الواحدة في المدى العمرى ١٥ - ٤٩ سنة وذلك بافتراض بقاء هذا العدد المولود من الاناث على قيد الحياة طوال مدة الانجاب التي تتراوح بين ٣٠ - ٣٥ سنة ، وكذلك بفرض بقاء معدل الخصوبة العمرية الخاصة ثابتا كما هو عليه في سنة الاساس .

مثال : معدل التكاثر الاجمالي في مصر سنة ١٩٧٦ =

٠ : معدل الخصوبة الكلية = ٥٧ ونسبة النوع في مصر سنة ١٩٧٦ = ١٠٤

أى ١٠٤ مولود من الذكور مقابل كل ١٠٠ مولود من الاناث .

$$\therefore \text{معدل التكاثر الاجمالي} = \frac{٥٧}{١٠٠ + ١٠٤} = \frac{٥٧}{٢٠٤} = ٢٨$$

أى أن الانثى التي تجتاز فترة الحمل في مصر تنجب حوالى ثلاث اناث يمكن أن يواصلن الانجاب في المجتمع من بعدها ، وهو معدل مرتفع اذا ما قورن بالبلاد المتقدمة مثلا الولايات المتحدة التي يصل فيها الى ١.٨ أو اليابان ويصل الى ١.٠ فقط .

ولكن هذا القول يكون صحيحا اذا استطاعت كل أنثى من اللاتي سيخلفن أمهاتهن أن تجتاز فترة الحمل كلها دون أن يحدث لها وفاة ، ولكن ذلك لا يحدث في الواقع لان عامل الوفاة له اثر واضح في تقليل أعدادهن بتقدمهن في السن أثناء هذه الفترة ، لذلك فان هناك مقياسا آخر لتقدير عدد الامهات في المستقبل يأخذ في الاعتبار عامل الوفاة ويعرف هذا المقياس بمعدل التكاثر الصافي Net Reproduction Rate وهو يحسب بطريقة خاصة تعتمد على استخدام ما يعرف بجدول الحياة Life Table ، الذي يوضح كم من جيل الاناث البالغ عدده ١٠٠٠٠٠٠ أنثى عند المولد سيتبقى عند كل فئة عمرية من فئات الانجاب بتاثير عامل الوفاة ، وقد بلغ معدل التكاثر الصافي في مصر ٢.٣ مقابل ١.٥ في الولايات المتحدة الأمريكية .

٦ - نسبة الاطفال الى النساء في سن الحمل Child - Woman Ratio : وهو مقياس شائع الاستخدام ويعتمد على بيانات التعداد السكانى حيث

نحصل عليه بقسمة عدد الاطفال الذين يقل عمرهم عن ٥ سنوات على عدد النساء في سن الانجاب وهو يستخدم في حالة عدم وجود احصاءات حيوية كاملة يمكن منها اشتقاق المعدلات السابقة، ويرتبط هذا المقياس بالتعداد السكانى كما سبق ولذلك فان الدقة في بيانات التعداد تؤثر تأثيرا كبيرا على دقة هذا المقياس ، وان كان أبرز عيوبه هو أن البسط - أى عدد الاطفال دون الخامسة - يمثل الباقي على قيد الحياة من جملة الذين تم انجابهم خلال الخمس سنوات السابقة على التعداد ، وعلى ذلك فان النسبة بينهم وبين النساء في سن الحمل لن تنتج مقياسا دقيقا وتكون دلالتها في الغالب غير مباشرة وتستخدم في مقارنة مستويات الخصوبة بصفة عامة في مختلف الاقاليم على مستوى الاقليم أو القطر أو بين بعض الاقطار .

التوزيع الجغرافى للخصوبة فى العالم

يختلف توزيع الخصوبة بين دول العالم اختلافا كبيرا حيث يتراوح معدل المواليد بين ١٠ - ٥٥ فى الالف ، وتتركز المعدلات المرتفعة للخصوبة فى الدول النامية بصفة عامة مثل دول أمريكا اللاتينية باستثناء الأرجنتين وارجواى وفى الدول الافريقية وكذلك فى قارة آسيا باستثناء اليابان وتايوان ، ومن سوء الحظ فان الدول ذات الخصوبة العالية تعاني من نقص البيانات الاحصائية الحيوية ومن ثم فان اجراء تقدير لمعدل المواليد يكون أمرا ضروريا وكثيرا ماتعطى البيانات المنشورة مستوى عال للخصوبة قد يشك فى أمره أحيانا ، فيزيد المعدل على ٥٠ فى الالف فى غينيا والنيجر وساحل العاج وبعض الدول الافريقية الاخرى وكذلك فى دول أمريكا اللاتينية التى نتج عن ارتفاع الخصوبة بها وتدفق المهاجرين اليها وانخفاض معدل الوفيات ارتفاع كبير فى معدل الزيادة الكلية ، ففى سنة ١٩٢٠ كان سكان أمريكا اللاتينية ٩١ مليون نسمة قفز عددهم الى ٤٥١ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ أى تضاعف عددهم خمس مرات فى سبعين سنة .

ولعل أكثر العوامل أثرا فى زيادة السكان فى العالم على الاطلاق هو ذلك الارتفاع الكبير فى مستويات الخصوبة فى الدول النامية التى يكون سكانها ثلثى سكان العالم ويصل معدل المواليد فى معظمها الى ٤٠ فى الالف بل ويزيد على ذلك فى بعض دولها، ويبدو الاختلاف واضحا فى هذا المجال بين الدول المتقدمة والدول النامية أكثر من وضوحه فى مستوى الوفيات حيث تتميز الخصوبة فى الدول المتقدمة بالانخفاض وتصل الى حوالى ٢٠ فى الالف - وتقل عن ذلك فى معظم دول هذه المجموعة .

ويوضح الجدول رقم (٢) مقارنة بين مناطق العالم الرئيسية في مستوى الخصوبة في سنتي ١٩٦٠ ، ١٩٩١ ، ويبدو من أرقامه أن هناك مناطق كبيرة في العالم تتميز بارتفاع الخصوبة ، وقد كان لانخفاض الوفيات الذي شهدته معظم دول العالم النامي أثره الواضح في الخصوبة ذلك لان هذا الانخفاض أدى الى تزايد أعداد الاناث واطالة أعمار من في سن الانجاب منهن ، ويعد ارتفاع معدلات الخصوبة وانخفاض معدلات الوفاة في الدول النامية في الوقت الحاضر من الاسباب الرئيسية بل الجوهرية التي أدت الى تزايد معدل النمو السكاني بها وذلك لان الزيادة الطبيعية - وهى الفرق بين المواليد والوفيات - يزيد حجمها ويرتفع معدلها كلما تزايد هذا الفرق بين معدل المواليد والوفيات .

جدول رقم (٢)

معدل المواليد الخام في أقاليم العالم في السنوات ١٩٦٠، ١٩٧٦، ١٩٩١ (١)
(المعدل في الألف)

١٩٩١	١٩٧٦	١٩٦٠	الاقليم
٣١	٣٩	٤٢	١ - العالم النامي :
٤٤	٤٨	٤٨	أفريقيا
٢٧	٣٧	٤١	آسيا (بدون اليابان)
٢٨	٣٧	٤١	أمريكا اللاتينية
١٥	١٦	٢٢	٢ - العالم المتقدم :
١٣	١٦	١٩	أوروبا
١٦	١٥	٢٤	أمريكا الشمالية
١٩	٢٢	٢٤	الأوقيانوسية
١٨	١٨	٢٥	كومنولث الدول المستقلة
١٠	١٦	١٧	اليابان
٢٧	٣٣	٣٦	جملة العالم

(1) U. N., Population Bull. No. 7. 1963, p. 1.

— U. S. Department of Commerce, Op. Cit., p. 14.

— INED., Population of Sociétés, 1991.

وبالرغم من أن هناك قلة من الدول النامية قد شهدت انخفاضا طفيفا في معدل المواليد بها ، إلا أن ذلك ليس بالوضوح الكامل الذى يمكن ادراكه بالنسبة لكثير من الدول المتقدمة حيث هبط معدل المواليد بها هبوطا ملموسا في العقود الزمنية القليلة الماضية ، ولعل في اليابان مثل واضح على ذلك حيث هبط معدل المواليد من ٣٤ في الالف في سنة ١٩٤٧ الى ١٧ في الالف فقط في سنة ١٩٦٢ وذلك من خلال سياسة حازمة للحد من تزايد المواليد عن طريق تنظيم الانجاب بمختلف الوسائل .

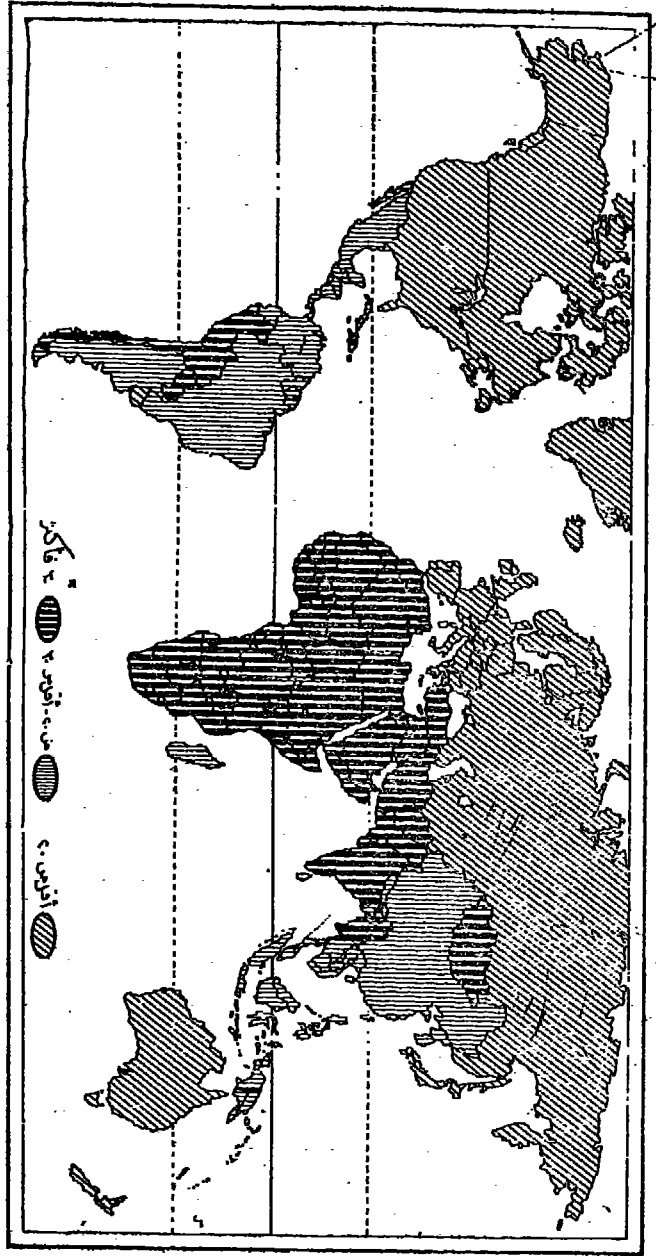
وعلى ذلك فإن توزيع الخصوبة في العالم يمكن أن ينقسم الى نمطين كبيرين أحدهما نمط الخصوبة المرتفعة في الدول النامية في قارات افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية - والآخر نمط الخصوبة المنخفضة ممثلا في الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا الشمالية والاقيانوسية وذلك بالإضافة الى كومنولث الدول المستقلة (الكومنولث الجديد) واليابان (شكل رقم ١٢) .

أولا - الخصوبة في الدول النامية :

١ - في الدول الأفريقية :

بالرغم من أن أفريقيا مازالت ضمن مناطق العالم التى لا تتوفر عنها بيانات ديموغرافية كاملة - إلا أنه يمكن رسم صورة تقريبية لمستويات الخصوبة في معظم دولها بفضل التعدادات السكانية المتوفرة لدى بعض دولها أو بفضل العينات التى تمت للسكان فى البعض الآخر ، وتبدو هذه الصورة فى توزيع معدل المواليد فى دول القارة حسب أحدث بيانات متاحة عنها ويوضح ذلك الجدول رقم (٣) ، وأبرز نتائج هذا الجدول الارتفاع الواضح فى مستويات الخصوبة بالقارة من ناحية وتباين مستوى الخصوبة بين دولها من ناحية أخرى .

وفى سنة ١٩٦٠ كان بالقارة ثلاثة أقطار فقط ذات تسجيل حيوى مكتمل لكل سكانها وهى موريشيوس وريونيون وتونس ، وتعد جمهورية جنوب افريقيا ضمن الدول التى تتميز باكتمال بياناتها بالنسبة للبيض والملونين والاسيويين فقط فيما عدا البانتو الذين يكونون غالبية السكان ، وعلى العموم فإن هناك بيانات متوفرة سواء كانت مكتملة أو غير مكتملة عن ٣٧ دولة افريقية تكون ٨٥٪ من جملة سكان القارة ، أما الدول التى تعاني نقسا كبيرا فى بياناتها بطريقة لاتساعد على تقدير مستوى الخصوبة بها فهى اثيوبيا والصومال وملاوى وغينيا الاستوائية وبتسوانا وناميبيا وسوازيلاند .



شكل رقم (١٢)
 نسبة الأمية في العالم ١٩٩١ (معدل المواليد في الألف)

ومن الملاحظ على التقديرات الحيوية المشتقة من التعداد أو المسح بالعينة في الاقطار الافريقية أنها لاتخلو من أخطاء ولذا فان الاعتماد عليها غير مؤكد تماما ، ومرجع ذلك الى طبيعة البيانات الاصلية التي تحمل في ثناياها أخطاء التسجيل الحيوى أو التعدادات . ففى حالة المسح بالعينة الذى يتم فى بعض الاقطار كما حدثت فى اللكاميرون والسودان لا تمثل البيانات مستوى الخصوبة فى كل أجزاء الدولة ، كذلك فمن الشائع فى التعدادات الافريقية عدم انتظام التركيب العمرى فى معظم الاقطار بسبب الهجرة الخارجة أو الوافدة ومن ثم فان افريقيا تعد أقل قارات العالم قيمة فى بياناتها التى يعتمد عليها لاستخراج المقاييس الحيوية (١) .

ويعد شمال افريقيا اقليما ديموغرافيا متجانسا الى حد كبير ويبدو ذلك فى مستوى الخصوبة به وان كانت السودان أعلى اقطاره خصوبه حيث يزيد معدل المواليد بها على ٤٥ فى الالف (٢) ، وهى تشبه فى ذلك بعض دول غرب القارة التى يعلو المعدل بها على ٤٥ فى الالف كذلك مثل بنين والنيجر ومالى ، بل ان معدل التكاثر الاجمالى فى نيجيريا والذى يتراوح بين ٣ و ٣٫٥ يعد واحدا من أعلى المعدلات فى العالم .

ولا تختلف الصورة كثيرا فى باقى القارة أى فى الشرق والوسط والجنوب ، ذلك لانه بالرغم من عدم توافر بيانات عن بعض دولها الا أن السمة الغالبة هى تزايد مستوى الخصوبة معبرا عنه بارتفاع معدل المواليد وان كانت هناك بعض الدول التى ينخفض فيها هذا المعدل بشكل ملحوظ. مثل موريشيوس (٢٠ فى الالف) والجابون (٣٩ فى الالف) .

وتبدو صورة الخصوبة فى التباين الاقليمى لها على رقعة افريقيا المدارية ، فيوجد نطاق من الخصوبة العالية فى شرق القارة عبر رواندا وبورندى وأجزاء من تنزانيا وعبر الولايات الجنوبية والشرقية لزاير حتى زامبيا وجنوب روديسيا والولاية الجنوبية فى موزمبيق وتصل الخصوبة الكلية فى هذا الشريط الطولى الى ٦٫٥ أو أكثر ، ويقابل ذلك نطاق من الخصوبة المنخفضة نسبيا على امتداد الساحل الشرقى لافريقيا من الولاية الساحلية فى كينيا حتى الجزء الشمالى من موزمبيق ، أما أقل

(1) U. N. Population Bulletin, No. 7, Op. Cit., p, 15

(2) Abou-Aianah, F. et al. "Geographic Variations of Fertility Rates in Arab countries" Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University - Vol. XXV - 1971, p. 111.

المناطق خصوبة في أفريقيا المدارية فهو ذلك الاقليم الممتد من الساحل الغربى للجابون عبر الولايات الشمالية الوسطى والشمالية الغربية من

جدول رقم (٣)
معدل المواليد الخام في الدول الافريقية سنة ١٩٧٦ و ١٩٩١ (١)
(في الالف)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١	الدولة	١٩٧٦	١٩٩١
شرق أفريقيا			شمال افريقيا		
بورنڊى	٤٦	٤٧	المغرب	٤٨	٣٤
كينيا	٥٠	٤٦	الجزائر	٥٠	٣٥
مدغشقر	٤٨	٤٥	تونس	٣٧	٢٩
موريشيوس	٢٦	٢٠	ليبيا	٤٨	٣٧
موزامبيق	٤٥	٤٥	مصر	٣٩	٣٨
رواندا	٥٠	٥١	السودان	٤٩	٤٤
زيمبابوى	٤٨	٤١	غرب افريقيا		
تنزانيا	٤٨	٥٠	بنين	٥٢	٤٩
أوغندا	٤٨	٥٢	غامبيا	٤٩	٤٧
زامبيا	٤٩	٥١	غانا	٤٨	٤٤
وسط افريقيا			غينيا	٥٠	٤٧
أنغولا	٤٧	٤٧	كوت ديفوار	٤٨	٥٠
الكامرون	٤٢	٤٢	ليبيريا	٥٠	٤٧
أفريقيا الوسطى	٤٦	٤٤	مالي	٥٢	٥١
تشاد	٤٨	٤٤	موريتانيا	٤٥	٤٦
زائير	٤٥	٤٦	النيجر	٥٥	٥١
الكونغو	٤٥	٤٣	نيجيريا	٥٠	٤٤
الغابون	٤٥	٣٩	السنغال	٤٦	٤٦
جنوب افريقيا			سيراليون	٤٤	٤٨
ليسوتو	٤٠	٤١	توجو	٥٠	٥٠
جنوب افريقيا	٤٠	٣٥	بوركينافاسو	٤٩	٥٠

(1) U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 28-136.
INED., Population of Sociétés, 1991.

زائير حتى الاقليم الجنوبي الغربى للسودان ، وتمتد هذه الحافة من الخصوبة المرتفعة حتى الساحل الغربى لافريقيا عبر الولايات الجنوبية لزائير والولايات الشمالية من أنجولا ، كذلك يوجد قطاع آخر ذو خصوبة عالية غير عادية على امتداد الساحل فى غرب أفريقيا ممتدا من النطاق الساحلى النيجيرى حتى كوت ديفوار مع تفرعه شمالا عبر الجزء الغربى من نيجيريا وفى أجزاء من النيجر وفولتا العليا(١) .

وليس من السهل تحديد العوامل المؤثرة فى التباين الاقليمى للخصوبة على مستوى القارة وذلك لنقص الدراسات بها عن أثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية فى ذلك ، ولكن المؤكد أن مستويات الخصوبة ترتبط بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية ، ومنها مثلا الفروق فى نسبة الاناث المتزوجات فى الفئة العمرية (١٥ - ١٩) والتي توضح مدى التبكير فى الزواج فى بعض الدول الافريقية ونسبة الامية خاصة بين الاناث فى سن الانجاب .

ويسود فى معظم افريقيا نظام تعدد الزوجات Polygamy ، وهناك آراء ترى فى هذا النظام عاملا من عوامل انخفاض الخصوبة وذلك مرجعه انخفاض متوسط المعاشرة الزوجية للزوجات اللائى يضمن هذا النظام أكثر من الزوج الاحادى للمرأة ، ومن البديهي أن الميل نحو تخفيض الخصوبة يكون كبيرا اذا قلت عدد مرات المعاشرة لكل الزوجات ومن ثم يصبح احتمال الحمل والانجاب لديهن قليلا ، وقد أظهرت بعض الدراسات فى بعض مناطق افريقيا وغيرها انخفاض منحنى الخصوبة العمرية النوعية للاثان اللائى يضمن نظام تعدد الزوجات أكثر من اللائى يضمن نظام الزوجة الواحدة Monogamy (٢) وان كانت هناك دراسات أخرى لم تظهر مثل هذا الفرق الجوهرى بين النظامين ، وعلى كل حال فان البيانات عن نظام تعدد الزوجات فى أفريقيا غير متاحة لكثير من أقطارها بطريقة تجعل الوصول الى علاقة دقيقة بينه وبين الخصوبة أمرا صعبا .

وتتميز بعض مناطق القارة الافريقية بهجرة مغادرة يكون لها تأثير واضح على خصوبة السكان المهاجرين وذلك لاننتقال الذكور المتزوجين الى حيث أماكن عملهم تاركين زوجاتهم فى مواطنهم الاصلية وخاصة فى بعض

(1) Coale A. J. Estimates of Fertility and mortality in Tropical Africa, in : The Population of Tropical Africa, edited by Caldwell J. C. and Dkonjo C., London, 1968, pp. 185-186.

(2) U. N. Pop. Bull Op. Cit., p. 22,

الاقطار التي تتعرض لهجرة مغادرة على نطاق واسع مثل بتسوانا التي تصل هجرة القوى العاملة بها نسبة كبيرة (على سبيل المثال في سنة ١٩٥٦ كان نصف عدد الذكور في سن الانتاج خارج البلاد) وربما كان ذلك سببا وراء انخفاض نسبة الخصوبة بها اذا قورنت بمعظم الاقطار الافريقية(١).

وهناك كثير من الكتابات الانثروبولوجية تؤكد معرفة وسائل منع الحمل والاجهاض بين الجماعات القبلية والعرقية في أفريقيا، كذلك فهناك بعض القبائل التي تهتم بتوسيع الفترة الزمنية بين المواليد حيث تحتم التقاليد بأن لا يعاشر الزوج زوجته عقب الانجاب حتى يقوى الطفل المولود ويقدر على المشي، أو بعد بلوغه سن الفطام (انقطاعه عن الرضاعة) ويكون ذلك ممكنا وشائعا حيث تتعدد الزوجات ، كذلك فمن الشائع اطالة فترة الرضاعة في كثير من أجزاء أفريقيا . وذلك بسبب النقص في الغذاء المتوفر للاطفال الرضع ويترتب على ذلك بطبيعة الحال اطالة الفترة بين مرات الحمل والانجاب وبالتالي تقل الخصوبة ، على أن هذه المحددات للانجاب تقل عند بعض الشعوب الافريقية كما في بانغو الحضر في جنوب أفريقيا ، والاشانتي في شمال غانا حيث ترتفع معدلات الخصوبة بينها لقلة القيود المؤثرة في الخصوبة .

تطور الخصوبة :

يعترض دراسة تطور الخصوبة في دول أفريقيا نفس مايعترض دراسة مستواها من مشكلات أبرزها النقص الكبير في البيانات المتاحة من ناحية، وعدم دقة أو اكتمال البيانات المتوفرة عنها من ناحية أخرى، ومن الغريب أن دولة موريشيوس الجزرية الصغيرة تعد الدولة الافريقية الوحيدة - واحدى الدول النامية القلائل التي يتوفر لديها تسجيل حيوى مكتمل للمواليد ، وفي تونس لم يبدأ التسجيل الحيوى الا حديثا ، وفي مصر فان دراسة تطور الخصوبة يمكن أن يعتمد على مقارنة بعض المقاييس المشتقة من الاحصاءات الحيوية ومن التعدادات المتعاقبة بها وخاصة مقارنة التركيب العمري للسكان ، أما بالنسبة لبقية الدول الافريقية فان دراسة تطور الخصوبة يعد أمرا صعبا وان لم يكن مستحيلا .

ولا توضح مقارنة المعدلات الحيوية في كل من الجزائر وتونس ومصر تغيرا كبيرا في مستوى الخصوبة بها خلال العقود القليلة الاخيرة وذلك

(1) Ibid., p. 22.

بالرغم من التغير الاجتماعي والاقتصادي وانتشار المؤثرات الحضارية الأوروبية المشجعة على تنظيم النسل خاصة في مدن شمال أفريقيا ، إلا أن وسائل هذا التنظيم غير مستعملة على نطاق كبير سوى لدى الطبقة الأكثر تعليما من سكان المدن ، أما في الريف فمازالت الافكار التقليدية وأنماط السلوك الخصوبى مؤثرة في ارتفاع الخصوبة مثل نظرة الريفيين الى الكثرة العددية ودور الصغار في النشاط الزراعى ومساعدة ذويهم .

ومع ذلك فهناك علامات تدل على تغير في الافكار السائدة في بعض دول شمال افريقيا وأثرها في الخصوبة منها التشريعات الاجتماعية المباشرة لرفع مكانة المرأة من خلال تنظيم الطلاق وتقييد تعدد الزوجات وتحديد سن أدنى للزواج كما هى الحال في تونس التى لوحظ أن بها تغيرا ملحوظا في الافكار التقليدية المؤثرة في الخصوبة والاتجاه نحو الاسر قليلة الحجم ، كما أن هناك ادراكا لمدى خطورة التزايد السكانى والاعباء الاقتصادية التى يلقيها على عاتق حكومات القارة ، ولذا فقد بدأت الحكومتان التونسية والمصرية في تبني سياسة تنظيم الاسرة لتخفيض معدل المواليد بها حيث أباحت الحكومة التونسية استخدام وسائل تنظيم النسل منذ يناير ١٩٦١ وساعدت وسائل الاعلام بها على انتشار استخدامها ، أما في مصر فانه بالرغم من ارتفاع أصوات كثيرة منذ سنة ١٩٥٣ بخطورة مشكلة السكان فلم تبدأ السياسة الرسمية لتنظيم النسل الا في يناير سنة ١٩٦٥ بتعميم مراكز تنظيم الاسرة ونشر الافكار والمبادئ التى تدعو لذلك ، وقد نجحت مصر في ذلك الى حد ما وان كان معدل المواليد لم يهبط هبوطا كبيرا كما كان مأمولا (من ٤٢ في الالف سنة ١٩٦٥ الى ٣٨ في الالف سنة ١٩٩١) .

في الدول الاسيوية :

يتباين مستوى الخصوبة في الاقطار الاسيوية تباينا أكبر من مثيله في الدول الافريقية ، حيث يصل معدل المواليد في أندونيسيا مثلا الى ٤٨ في الالف وهو بذلك أعلى المعدلات في القارة بينما يصل هذا المعدل الى ١٦ فقط في اليابان ، وتعد قارة آسيا بصفة عامة ذات مستوى مرتفع من الخصوبة حيث يتجاوز معدل المواليد ٤٠ في الالف في ١١ دولة من دولها الثلاث والعشرين الرئيسية ويبين ذلك الجدول رقم (٤) .

وينبغى الاشارة هنا الى ذلك النقص الكبير في بيانات السكان في آسيا وخاصة عن الدول الكبرى مثل الصين التى بلغ سكانها ١١٥١ مليون نسمة

في سنة ١٩٩١ بنسبة وصلت الى قرابة ٣٦٪ من جملة سكان آسيا باستثناء الكومنولث الجديد وكذلك مثل باكستان وأندونيسيا وبنجلاديش التي يعد معدل المواليد المقدر بها متأثرا بأخطاء التعداد وخاصة ما يرتبط منها بالتركيب العمري ، كذلك فان قلة البيانات عن الدول العربية في جنوب غرب آسيا يعد عائقا في سبيل تحديد مستوى الخصوبة بدقة بها ذلك لان السجلات الحيوية تعد ناقصة في كل دول هذه المنطقة باستثناء الاردن والكويت ، ويتوفر في بعض الدول العربية الاسيوية عدة تعدادات مثل الكويت التي بدأت سلسلة التعدادات منذ سنة ١٩٥٧ والتي يتوفر بها نظام دقيق للتسجيل الحيوي ، كما ان بعضها للاخر لم يخذ تعدادات سكانية بعد مثل سلطنة عمان ، وبالرغم من ذلك فان قيمة البيانات الاسيوية لاستخراج معدلات للخصوبة في آسيا تفوق مثيلتها في أفريقيا حيث يتميز عدد ليس بالقليل من الدول بالتسجيل الحيوي الكامل مثل تايوان وقبرص وماليزيا وهونج كونج وفلسطين المحتلة واليابان وسنغافورة وسريلانكا والكويت *

والملاحظ على توزيع الخصوبة في آسيا أن هناك منطقتين تتميزان بارتفاع الخصوبة ، الاولى في جنوب القارة وتضم العراق والاردن وسوريا وباكستان وايران ويزيد المعدل بها عن ٤٠ في الالف ، والمنطقة الثانية من جنوب شرق آسيا حيث يزيد المعدل أيضا على ٤٠ في الالف وتضم الفلبين وكمبوديا ويقابل هذه المناطق أقاليم أخرى تتميز بخصوبة منخفضة أبرز أمثلتها اليابان في الشرق (١) وقبرص وفلسطين المحتلة في الغرب ويصل معدل المواليد في اليابان الى ١٠ في الالف بينما في قبرص وفلسطين المحتلة يتراوح بين ١٨ - ٢٢ في الالف ، ويمكن القول بأن هذه الدول الثلاث قد وصلت في مستوى خصوبتها الى مستوى كثير من الدول الاوربية والولايات المتحدة واستراليا والكومنولث الجديد ، أما باقي دول القارة الاسيوية فيمكن اعتبارها متوسطة الخصوبة نسبيا حيث يتراوح معدل المواليد بها من ٢٥ - ٣٥ في الالف وان كانت هناك دول آسيوية أنخفض معدلها بصورة واضحة مثل سرى لانكا وتايوان *

ويرتبط الانخفاض في الخصوبة عند سكان اليابان وفلسطين المحتلة وقبرص بتقدم حضارى لسكانها يفوق كثيرا مثيله في بقية دول القارة ،

(١) لاتدخل اليابان في عداد الدول النامية - ونظرا لموقعها في القارة الاسيوية فقد شملها الحديث المقارن *

ويبدو ذلك من مقارنة بعض المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية مثل درجة التعليم ومستوى التحضر العمراني ونسبة العاملين في الحرف غير الزراعية ثم نصيب الفرد من الدخل القومي .

جدول رقم (٤)
تطور معدل المواليد في آسيا
بين سنتي ١٩٧٦ و ١٩٩١ (١)

١٩٩١	١٩٧٦	القطر	١٩٩١	١٩٧٦	القطر
٣٨	٤٨	كمبوديا			جنوب غرب آسيا
٢٥	٤٨	أندونيسيا	١٨	٢٠	قبرص
٣٧	٤٤	لاوس	٤١	٤٨	العراق
٢٩	٣١	ماليزيا	٢٢	٢٨	فلسطين المحتلة
٣٣	٣٥	الفلبين	٤٦	٤٧	الأردن
١٨	١٩	سنغافورة	٣٢	٤٣	الكويت
٢٠	٣٤	تايلاند	٤٣	٤٧	سوريا
		شرق آسيا	٣٠	٣٧	تركيا
٢١	٣٢	الصين	٥١	٤٨	اليمن
١٦	٢٦	تايبوان			وسط جنوب آسيا
١٢	١٨	هونغ كونغ	٢١	٢٧	سرى لانكا
١٠	١٦	اليابان	٣١	٣٧	الهند
٢٤	٤٣	كوريا الشمالية	٤١	٤٢	إيران
١٥	٢٦	كوريا الجنوبية	٣٧	٤٨	بنغلاديش
٣٦	٣٧	منغوليا	٤٣	٤٥	باكستان
					جنوب شرقي آسيا
			٣٢	٣٩	بورما

ومع أن هناك فوارق واضحة بين الدول في المستوى الحضاري إلا أنه يمكن القول بأنه من الصعب تحديد العوامل المسؤولة عن الاختلاف في

(١) المصدر:

U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 142-226.

INED., Tous les Pays du Monde (1991) Numéro, 259, Août, 1991.

مستويات الخصوبة بينها فاذا كانت الفوارق الاقتصادية والاجتماعية مثلا ذات دور في هذه الاختلافات فان أثرها ليس واحدا في كل الدول فعلى سبيل المثال فان المستوى المعتدل للخصوبة حاليا في هونج كونج يمكن أن يعزى جزئيا الى الحقيقة القائلة بأن سكانها حضريون Urban تماما وأن اقتصادها يقوم على أساس تجارى وصناعى وليس زراعى - ومن ثم فان نصيب الفرد من الدخل القومى يكون مرتفعا عن مثيله في كثير من الاقطار الاسيوية ولكن سنغافورة ذات الاقتصاد المماثل تقريبا والتي يكون نصيب الفرد فيها أعلى من مثيله في هونج كونج تتميز بخصوبة أعلى .

وقد يكون لتباين الكثافة السكانية أثر في مستويات الخصوبة بقارة آسيا ، فمن الملاحظ أن الكثافة السكانية العالية ربما تكون مسؤولة جزئيا عن انخفاض مستوى الخصوبة باليابان ذلك لان هذه الكثافة غالبا ماتكون مرتبطة بضغط سكاني كبير على الموارد ، وعلى العموم فان هذا القول يكون أصدق بالنسبة للدول المتقدمة واليابان منها - عنه في الدول النامية التي لا ترتبط الكثافة السكانية العالية بها بانخفاض الخصوبة .

تطور الخصوبة في آسيا :

من الملاحظ أن مستوى الخصوبة في الدول الاسيوية الثلاث : اليابان شرقا وقبرص وفلسطين المحتلة غربا كان منذ عدة عقود مضت أعلى مما هو عليه الان ، ففي قبرص قبل الحرب العالمية الاولى كان معدل المواليد الخام حوالي ٣٨ في الالف وانخفض بعد ذلك تدريجيا حتى الخمسينات والتي تعد فترة تميزت بتزايد في المستوى الاقتصادى والاجتماعى بما في ذلك النمو الحضرى وارتفاع مستوى المعيشة والتعليم ، وقد ثبت معدل المواليد منذ سنة ١٩٥٢ عند حوالى ٢٧ في الالف (جدول رقم ٥) وعلى العموم فان مستوى الخصوبة القبرصى يشبه مثيله في جنوب أوروبا خلال النصف الاول من هذا القرن ، كذلك فان قبرص تبدو أوربية أكثر منها آسيوية في الخصائص الديموغرافية حيث تسود المؤثرات اليونانية بدرجة كبيرة بالرغم من وجود أقلية تركية بها .

أما فلسطين المحتلة فيتميز اليهود بانخفاض خصوبتهم عن العرب وقد انخفض معدل المواليد لديهم منذ العشرينيات بنسبة الثلث تقريبا ووصل الى ٢٢ في الالف سنة ١٩٩١ ، وكان هذا النقص راجعا الى التغير في التركيب العمرى النوعى للسكان الناجم بدوره عن الهجرة الوافدة التي تدفقت على فلسطين ، والملاحظ أن هناك تشابها بين خصوبة الوافدين وخصوبة الدول التي وفدوا منها وخاصة من غرب أوروبا .

أما اليابان فهي مثال فريد في انخفاض الخصوبة الى مستوياتها الحالية في فترة زمنية قصيرة في التطور الديموغرافي وخاصة أنها دولة آسيوية ذات حضارة شرقية ، ولقد كانت الخصوبة مرتفعة في اليابان في العشرينيات من هذا القرن ثم هبطت في الثلاثينيات وبدأ الارتفاع بعد ذلك خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها - حتى أن معدلها في سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ كان في مستوى مشابه لمثيله في العشرينيات تقريبا ، ثم بدأ الهبوط الحاد في سنة ١٩٥٠ واستمر حتى سنة ١٩٥٧ عندما وصل معدل التكاثر الاجمالي الى واحد صحيح ، وهو يعد واحدا من أقل المعدلات في العالم ، وقد هبط معدل المواليد بها من ١٦ في الالف سنة ١٩٧٦ الى ١٠ في الالف فقط سنة ١٩٩١ .

الا أن أبرز مظاهر الهبوط في الخصوبة الآسيوية هو ما طرأ على معدل المواليد بالصين . فقد اتبعت سياسة حازمة لتقليل الانجاب معتمدة على فكرة الاسرة ذات الطفل الواحد ، ورغم ما واجهته من مشكلات الا أن الصين نجحت في الهبوط بمعدل المواليد بشكل يدعو للاعجاب في هذا المجتمع الضخم الذي يمثل نحو خمس سكان العالم ، فقط هبط المعدل من ٣٢ في الالف سنة ١٩٧٦ الى ٢١ في الالف سنة ١٩٩١ .

جدول رقم (٥)

تطور معدل المواليد الخام في اليابان وقبرص وفلسطين المحتلة (١)

السنة	اليابان	قبرص	فلسطين المحتلة (٢)
١٩٠٠ - ١٩٠٤	٣٢ر٢	٢٩ر٤	-
١٩٠٥ - ١٩٠٩	٣٢ر٣	٣٠ر٩	-
١٩١٥ - ١٩١٩	٣٢ر٥	٣٠ر٩	-
١٩٢٥ - ١٩٢٩	٣٤ر١	٢٧ر٤	٢٤ر٣
١٩٣٥ - ١٩٣٩	٢٩ر٣	٣١ر٨	٢٧ر١
١٩٤٥ - ١٩٤٩	٣٠ر١	٣١ر٢	٢٩ر٠
١٩٥٥ - ١٩٥٩	١٨ر٢	٢٥ر٩	٢٥ر٦
١٩٦٥ - ١٩٦٩	١٨ر٠	٢٥ر٣	٢٥ر٢
١٩٨٥ - ١٩٨٩	١٢ر٠	٢٠ر٠	٢٣ر٠

(١) المصدر: أ - U. N. Pop. Bull. 1963, Op. Cit., p, 49,

ب - U. N. Demographic Year Book., 1970.

(٢) ويلاحظ أن المعدل بالنسبة لفلسطين المحتلة هو السكان اليهود فقط .

INED., Population et Sociétés, 1987.

وكان هذا الهبوط في خصوبة اليابانيين راجعا الى عدة عوامل أبرزها اتباع سياسة حازمة لخفض الانجاب ، فقبل وأثناء الحرب العالمية الثانية كازت الحكومة اليابانية تشجع الانجاب حتى سنة ١٩٤٨ عندما اتجهت نحو سياسة عكسية تماما ، فمنذ تلك السنة سنت تشريعات لمناهضة التزايد في المواليد وأدت الى نتائج ايجابية سريعة ، فقد أنشأت مراكز تنظيم النسل في أنحاء البلاد وشنّت حملة قومية واسعة للتعريف بطرق ومزايا تنظيم الانجاب وأباحّت الاجهاض تحت ظروف خاصة ، وعملت على عدم تشجيع الزواج المبكر حتى أن نسبة الاناث غير المتزوجات في الفئة ٢٠ - ٢٤ سنة ارتفعت من ٥٥% في سنة ١٩٥٠ الى ٦٨% في سنة ١٩٦٠ .

وبالإضافة الى هذه السياسة الحكومية لتخفيض معدل المواليد فقد شهدت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية تطورا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا أسهم في تحبيذ فكرة الاسرة صغيرة الحجم وانتشار معرفة واستخدام الوسائل المختلفة لبلوغ هذه الغاية ، وقد تمثل ذلك التغير الاقتصادى والاجتماعى في ارتفاع نسبة التعليم وزيادة سكان الحضر وزيادة قطاع العمالة غير الزراعية وارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى ، وقد كانت هذه الظروف مشجعة على تقبل وتطبيق أفكار تنظيم الاسرة مما أدى الى انخفاض الخصوبة حتى ولو لم تكن هناك سياسة حكومية تتبنى ذلك .

ويمكن أن نضيف الى هذه العوامل المتعددة عادات الشعب اليابانى وحضارته وذلك لان فكرة تحديد عدد الاطفال ليست جديدة في الفكر اليابانى ، لذلك فقد كانت الخصوبة دائما في مستويات أقل من الشعوب الاسيوية الاخرى قبل الهبوط الحاد الذى طرأ عليها منذ الخمسينيات من هذا القرن . ولاريب في أن هذه الافكار غذاها ضغط سكاني كبير على اراضى تلك الدولة الجزرية ذات الموارد الاقتصادية المحلية المحدودة .

٣ - الخصوبة في دول أمريكا اللاتينية :

يوضح الجدول رقم (٦) مستوى الخصوبة في دول أمريكا اللاتينية ، وجدير بالذكر أن نصف عدد دول هذه القارة يتميز باكتمال الاحصاءات الحيوية لديه ، ولذا فانه يمكن الاعتماد عليها في حساب معدل المواليد مباشرة ، وهناك منطقتان رئيسيتان في أمريكا اللاتينية تتصفان بارتفاع الخصوبة نسبيا بهما احدهما في أمريكا الوسطى وتشمل جواتيمالا وهندوراس والسلفادور ونيكاراجوا - والاخرى في أمريكا الجنوبية المدارية وتشمل بيرو واكوادور وبوليفيا . ويصل معدل التكاثر الاجمالي في دول هاتين المنطقتين الى ٢ أو أكثر . وكذلك يلاحظ أن باراجواى من دول

الخصوبة العالية مثل الاقطار المدارية الاخرى في القارة ، وبالرغم من أنها تقع جغرافيا ضمن النطاق المعتدل ، وهي تتشابه مع تلك الاقطار في المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، كذلك فمن الملاحظ أن دولتين فقط من دول نطاق الخصوبة المرتفع نسبيا في أمريكا اللاتينية وهي المكسيك والبرازيل يضمنان قرابة نصف سكان القارة ويزيد معدل المواليد الخام في تلك الدول على ٢٥ في الالف .

وتأتى الأرجنتين وأرجواى على طرف النقيض حيث يعدان منطقة الخصوبة المنخفضة في أمريكا الجنوبية وقد وصل معدل التكاثر الاجمالي في الأرجنتين الى واحد صحيح وهي تشبه كثيرا من الدول الاوربية في ذلك كذلك فان نمط الخصوبة الأرجنتيني يعد مشابها لمثيله في اسبانيا حيث يؤدي الزواج المتأخر الى خفض معدل المواليد ، أما في أرجواى فالمستوى أقل وضوحا وذلك لانه حتى أكتوبر سنة ١٩٦٣ لم يؤخذ بها تعداد منذ عشرات السنين ولكن التسجيل الحيوى مع تقديرات السكان المتوفرة يدل على مستوى منخفض للخصوبة لا يختلف عن مثيله في الأرجنتين حيث لم يزد معدل المواليد بكل منهما على ٢١ في الالف .

ويرتبط انخفاض الخصوبة في الأرجنتين وأرجواى بارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي لدرجة يصل معها الى مستوى بعض دول جنوب أوروبا وتأتان بذلك في مقدمة دول أمريكا اللاتينية. ، فعلى سبيل المثال تعد نسبة المتعلمات ودرجة العمران الحضري ونسبة العاملين في مهن غير زراعية - أعلى في الأرجنتين عنها في باقى دول القارة ولا تختلف أرجواى كثيرا عن ذلك .

وتعد شيلي وكوبا وبورتوريكو من الدول ذات الخصوبة المنخفضة حيث يتراوح معدل المواليد بها بين ١٨ - ٢٣ من الالف ، وهي تتفوق في متوسط المؤشرات المرتبطة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن الواضح أن ماحققته هذه الدول في الماضى من تعليم وزيادة في سكان المدن ومن تصنيع وزيادة في متوسط الدخل القومى أدى الى تخفيض مستوى الخصوبة لتصل الى ماهى عليه في الوقت الحاضر، كذلك فان من المؤثرات الثقافية الهامة في بورتوريكو استمرار الهجرة الى الولايات المتحدة والوفود منها مما أدى الى سيادة مفهوم الاسرة الصغيرة وانتشار وسائل تنظيم الانجاب .

أما بالنسبة لباقى دول القارة فليست هناك علاقة قوية بين مستويات

الخصوبة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بها ، ولكن يبدو أن هناك علاقة عكسية بين الخصوبة وكثافة السكان في الدول التي يصل فيها معدل التكاثر الاجمالي الى ٢٥ فأكثر .

جدول رقم (٦)

معدل المواليد الخام في دول أمريكا اللاتينية سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٩١ (١)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١	الدولة	١٩٧٦	١٩٩١
أمريكا الوسطى			ترنناد وتوباغو	٢٨	٢٣
كوستاريكا	٢٩	٢٨	أمريكا الجنوبية		
السلفادور	٤٢	٣٥	بوليفيا	٤٦	٣٨
غواتيمالا	٤٠	٣٨	البرازيل	٣٩	٢٧
هندوراس	٤٦	٣٩	كولومبيا	٣٤	٢٦
المكسيك	٤١	٢٩	اكوادور	٤٢	٣١
نيكاراجوا	٤٦	٤٢	جويانا	٢٦	٢٥
بنما	٣٣	٢٦	بيرو	٤١	٣١
كوبا	٢٠	١٨	فنزويلا	٣٦	٢٨
جمهورية الدومينكان	٣٨	٣٠	الارجنتين	٢٣	٢١
هايتي	٤٢	٤٥	شيلي	٢٢	٢٣
جمبايكا	٢٩	٢٥	باراجواي	٤١	٣٤
بورتوريكو	٢٣	١٨	أرجواي	٢١	١٨

وقد يكون التركيب العرقي والميراث الحضارى للسكان من العوامل المؤثرة في تباين الخصوبة بين أقطار أمريكا اللاتينية ، فعلى سبيل المثال تعد الخصوبة أعلى في جواتيمالا عنها في بوليفيا واكوادور وبيرو ، ويمكن أن يعزى هذا الفرق جزئيا الى السمات الحضازية التقليدية للشعوب الاصلية والتي تكون نسبة عالية من سكان هذه الدول وفي بعض الاقطار الاخرى حيث يسود اختلاط بشرى بين الجماعات الوافدة والسكان الاصليين

(١) المصدر:

أ - U. S. Department of Commerce, Op. Cit., pp. 232-318.

ب - INED, Population et Sociétés, 1991.

فان خصائص الشعوب الاصلية وكذلك الحضارة الاوربية والافريقية الوافدة تكون ذات اثر واضح على مستويات الخصوبة ويكون أحفاد الرقيق الاواون ذوى الاصل الافريقى األبية السكان فى عدد من جزر البحر الكاريبى وشمال أمريكا الجنوبية مثل جواديلوب وهايتى وجمايكا والمارتنيك وترنناد وتوباكو ، كذلك فقد جلب كثير من الهنود الشرقيين الى جويانا وترنناد للعمل بها فى القرن التاسع عشر بعد الغاء تجارة الرقيق وتتميز هذه الجماعات بارتفاع مستوى الخصوبة لديها عن باقى السكان .

تطور الخصوبة :

من الواضح أن هناك هبوطا ملموسا فى مستوى الخصوبة حدث تقريبا فى فترة زمنية واحدة خلال النصف الاول من هذا القرن فى بعض دول أمريكا اللاتينية وبالتحديد فى الأرجنتين وشيلى وأورجواى وكوستاريكا وكولومبيا وكوبا .

ومن الملاحظ أن تطور الخصوبة فى الأرجنتين وربما فى أورجواى أيضا كان مماثلا لتطورها فى كثير من الاقطار الاوربية منذ أوائل القرن العشرين فقد هبط معدل الوفيات بثنات حتى الثلاثينيات ثم ارتفع قليلا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، ثم مالبت أن هبط بعد ذلك حتى وصل الى مستواه الحالى وظل ثابتا عليه فى السنوات الاخيرة، وقد ارتبط ذلك باتجاه كبير نحو التنمية الاقتصادية والتعليم وتزايد سكان المدن ، وكانت الأرجنتين وأورجواى أسبق دول أمريكا اللاتينية فى الاخذ بهذه الاساليب ، ومن المؤكد أن تدفق المهاجرين الاوربيين الى هذه الاقطار -والذين كان مبدأ الاسرة الصغيرة سائدا- بينهم - كان عاملا اضافيا أدى الى تخفيض الخصوبة .

إذا استثنينا الأرجنتين وأورجواى بخصوبتهما المنخفضة بالفعل ، فان باقى دول القارة يمكن أن تنقسم الى فئتين (1) : الاولى فئة الدول التى هبطت خصوبتها منذ أوائل الستينيات بنسبة ٣٠% وأكثر ومنها دولتا كوستاريكا وشيلى وقد هبط المعدل بهما بنسبة ٣٠% فى سنة ١٩٧٠ عما كان عليه فى سنة ١٩٦٠ ودول هذه الفئة كوستاريكا وشيلى وكولومبيا وكوبا

(1) Conning, A. M., "Latin American fertility Trends and Influencing Factors," International Population Conference, Liege, 1973. Vol. pp. 125-140.

واكوادور وجواتيمالا والسلفادور والبرازيل وبنما وفنزويلا وبيرو . أما الفئة الثانية فهي التي لم تظهر معدلات المواليد بها هبوطا في الستينيات وبذلك ظلت خصوبتها مرتفعة بمستواها السابق وتتمثل في الدومينكان وهندوراس والمكسيك ونيكاراجوا وبوليفيا وهايتى وبارجواى ولكنها مالبثت أن هبطت منذ منتصف السبعينات حتى أوائل التسعينات .

كلمة أخيرة عن مستوى الخصوبة بالدول النامية :

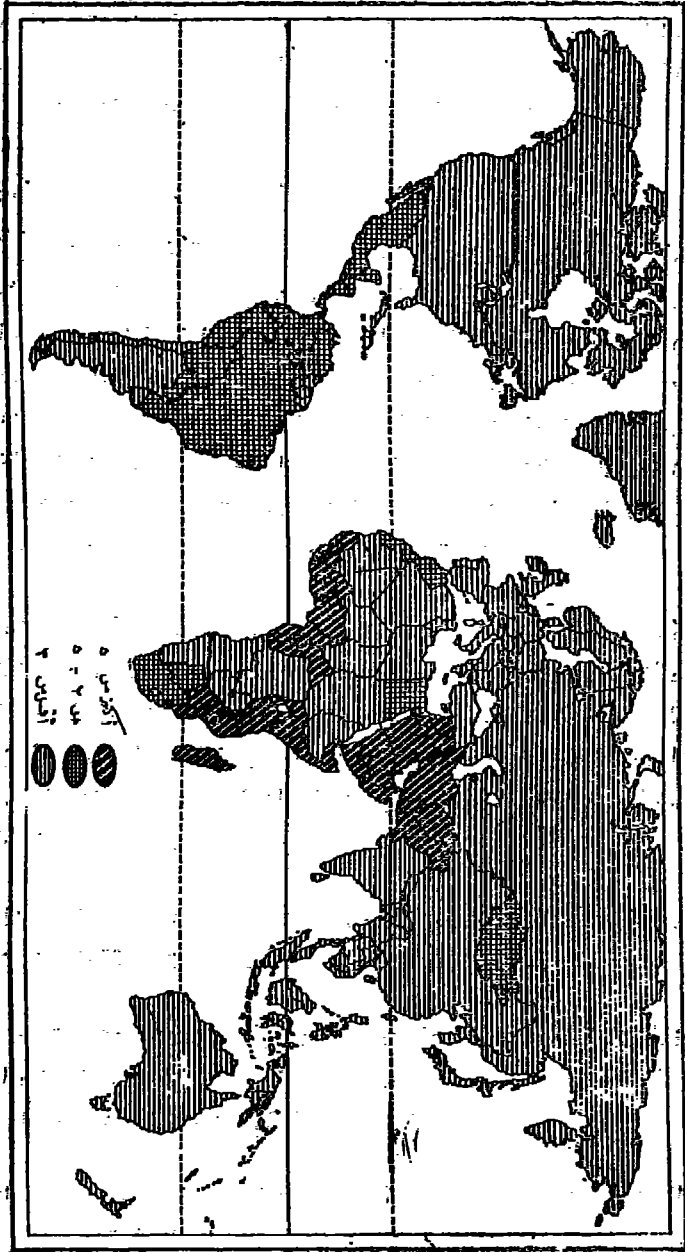
سبق القول بأن هناك فرقا جوهريا في مستوى الخصوبة بين الدول النامية والدول المتقدمة ، والواقع أن معدل المواليد يعد مقياسا ملائما للفرقة بين التقدم والتخلف ذلك لأن قلة من الدول النامية فقط يقل معدل المواليد بها عن ٣٠ فى الالف أو دولة متقدمة بمعدل مواليد يزيد على هذا الرقم والاستثناءات القليلة لهذه القاعدة توجد فى قلة من الدول ذات نسبة عالية من سكان الحضر وتعيش حاليا فى منتصف دورة الانتقال السكانى مثل تايوان فى شرق آسيا ، وحتى باستخدام معدل الخصوبة الكلية فإن الفارق يبدو جليا بين الدول النامية والدول المتقدمة (شكل رقم ١٣) .

وهناك مؤشرات غير مباشرة فى عدد من الدول النامية التى يمكن الوثوق ببياناتها تدل على هبوط معدل المواليد هبوطا قليلا ومتفاوتا من دولة الى أخرى ، ذلك لأن نتائج تعدادات ١٩٧٠ فى معظم الدول أعطت أرقاما للسكان أقل من الرقم الذى سبق تقديره لهم فى ضوء مستويات الخصوبة السائدة آنذاك ، مثل غانا والهند واندونيسيا والفلبين وكوريا الجنوبية والبرازيل وشيلى والمكسيك .

ويمكن الاستدلال على هبوط المواليد بدراسة البيانات الحيوية لعدة دول نامية تتميز بالدقة فى تلك البيانات .

وكننتيجة عامة يمكن الاستنتاج أن الستينيات قد شهدت بداية انخفاض الخصوبة فى العالم النامى وان كان هذا الهبوط ليس كبيرا من ناحية وليس مؤكدا فى كل الدول النامية من ناحية أخرى .

ويعد تنظيم الأسرة (Family Planning) من أبرز العوامل التى أدت الى هبوط مستوى الخصوبة فى الدول النامية حيث اتبعت بعض هذه الدول سياسة رسمية لتنظيم الانجاب فى السنوات الاخيرة ، وذلك للحد من الارتفاع الكبير فى معدلات المواليد بها وكانت هذه السياسة نابعة من خطط



شكل رقم (١٣)
 مستوى الخصوبة الكلية في دول العالم (عدد الأطفال للمرأة الواحدة)

التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي اتبعتها هذه الدول لتخفيض معدل النمو السكاني في فترة زمنية محددة .

وتختلف قارات العالم النامي فيما بينها من حيث سياسة تنظيم الاسرة ففي أفريقيا تسير سبع دول على سياسة رسمية لتخفيض معدل النمو السكاني بها ، وقد بدأت كلها هذه السياسة في الستينيات وهذه الدول هي تونس (١٩٦٤) ومصر (١٩٦٥) والمغرب (١٩٦٨) ، وموريشيوس (١٩٦٥) وكينيا (١٩٦٦) وغانا (١٩٦٩) وبتسوانا (١٩٧٠) . وعلى الرغم من أن الهدف واحد لهذه الدول وهو تخفيض معدل النمو الا أن الاساليب تختلف في سبيل الوصول الى هذه الغاية ، ويعد برنامج تنظيم الاسرة في تونس أكثر تقدما بالنسبة لباقي الدول في شمال القارة ، فقد ارتبطت بعدة تشريعات ساعدت عليه أهمها اباحة بيع وسائل منع الحمل وتحديد الاعانات التي تمنح للانجاب لتشمل الاربعة اطفال الاوائل فقط وزيادة الحد الأدنى لسن الزواج وجعله ٢٠ سنة للذكور و ١٧ للناث ثم اباحة الاجهاض للمرأة التي لديها خمسة أطفال أحياء أو أكثر - أو لاسباب صحية لحماية صحة المرأة ، وبالإضافة الى ذلك فقد قيدت الحكومة من تعدد الزوجات ونظمت الطلاق وحققت مساواة للمرأة في كثير من الحقوق .

أما في قارة آسيا فقد بلغ عدد الاقطار التي تتبع سياسة رسمية لتنظيم الاسرة ١٦ دولة والاقويانوسية دولتان فقط وتعد الهند أولى الدول الاسيوية بل أولى دول العالم النامي - التي سارت على سياسة تخفيض معدل النمو السكاني منذ وقت مبكر نسبيا (١٩٥٢) ثم تلتها الباكستان وكوريا الجنوبية (١٩٦١) والصين الشعبية (١٩٦٢) وسنغافورة وسرى لانكا وتركيا وماليزيا ونيبال وايران واندونيسيا وتايوان والفلبين وبنجلاديش ولاوس - وكلها في الستينيات وأوائل السبعينيات - أما في الاوقيانوسية فقد اتبعت حكومة جزر فيجي سياسة تنظيم الاسرة (١٩٦٢) وتبعتها جزر جلبرت واليمس سنة ١٩٧٠ .

وتنتهج بعض الدول الاسيوية بعض الاساليب لتنظيم الانجاب ساعدتها على تنفيذ سياستها مثل تعقيم الذكور الذي يتم في الهند والذي يعد الرسياء الرئيسية لتخفيض معدل المواليد بها ، وقد ارتبط بذلك سياسة توفير وتقديم باقى خدمات تنظيم الاسرة بأسلوب اعلامى ضخم وملائم للمجتمع الهندي ، وتنتجه الهند في كل ذلك الى الوصول بمعدل المواليد من ٣٩ في الالف سنة ١٩٦٨ الى ٢٥ الالف فقط سنة ١٩٨٠ ومع ذلك لم يتحقق لها هذا الهدف حيث وصل معدل المواليد بها الى ٣١ في الالف سنة ١٩٩١ .

كذلك فإن تايوان تعد مثلا واضحا على نجاح تنظيم الانجاب حيث تهدف الى تخفيض معدل المواليد من ٢٧ر١ في الالف في نهاية سنة ١٩٧٠ الى ٢٤ر٤ في الالف فقط سنة ١٩٧٦ وكان هناك تأييد قبل سنة ١٩٦٨ لتنظيم الاسرة في تايوان ساعد على نجاح البرنامج عندما تبنته الحكومة في تلك السنة مما أدى الى نتائج كبيرة انعكست على هبوط معدل الزيادة الطبيعية بها الى أقل من ٢٪ سنويا سنة ١٩٧٢ بعد أن كان ٣٪ سنة ١٩٦٣ ، ومعنى ذلك أن هذه النسبة هبطت بمعدل الثلث في خلال هذه السنوات مما يؤكد نجاح برنامج تنظيم الاسرة في هذه الجزيرة الصغيرة ذات العشرين مليوناً من السكان .

أما في أمريكا اللاتينية فتسير ست دول فقط من مجموع دولها البالغ ٢٩ دولة على سياسة رسمية لتنظيم الاسرة ، كذلك فإن نسبة السكان الذين تسير حكوماتهم على تلك السياسة تصل الى ١٢٪ فقط من جملة سكان القارة مقابل ٢٢٪ في أفريقيا و ٩١٪ في آسيا ويضاف الى كل ذلك أن هذه الدول لم تبدأ سياسة تنظيم الاسرة رسميا الا حديثا جدا حيث بدأت جمايكا في سنة ١٩٦٦ وباربادوس في ١٩٦٧ وترنناد وتوباغو في ١٩٦٧ وجمهورية الدومينيكان في سنة ١٩٦٨ ثم كولومبيا وبورتوريكو في ١٩٧٠ .

وعموما فانه من بين الدول الكبرى سكانيا لا يوجد سوى ثلاث فقط هي البرازيل وبيروما وأثيوبيا لم تهتم بعد بسياسة تنظيم الانجاب وعلى ذلك فانه في أقل من عقد واحد من الزمان بدا أن هناك اتفاقا دوليا في الرأي في الدول النامية على ضرورة الحد من تزايد عدد السكان بها ويعد ذلك تطورا تاريخيا ضخما رغم تفاوت تأثير برنامج تنظيم الاسرة في خفض معدلات النمو من ناحية ، وقصر الفترة التي مضت بعد تطبيق هذه البرامج من ناحية أخرى مما يجعل الحكم الكامل على أثرها في النمو السكاني أمرا صعبا وان كانت توجد شواهد على ذلك ظهرت في انخفاض معدلات المواليد في كثير من الدول النامية كما سبق القول .

الخصوبة في الدول المتقدمة :

يقصد بالدول المتقدمة تلك الدول الواقعة في أوروبا وأمريكا الشمالية والاقويانوسية وذلك بالإضافة الى رابطة كومنولث الدول المستقلة، وتشارك هذه الاقاليم في ظاهرة انخفاض الخصوبة وفي ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي ودرجة التصنيع ، وليست الاقويانوسية متجانسة في خصوبتها ذلك لانها تضم جزرا خارج استراليا ونيوزيلنده - تتصف بانخفاض المستوى

الاجتماعى وارتفاع الخصوبة ، ولكن لما كانت استراليا ونيوزيلنده تكونان أكثر من ثلاثة أرباع الاقليم فقد وضع بأكمله فى مصاف الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة ، وبالإضافة الى ذلك فهناك دول متقدمة فى القارات النامية تتميز بانخفاض الخصوبة بها وبارتفاع المستوى الاقتصادى والاجتماعى مثل الارجنتين وأرجواى فى أمريكا الجنوبية واليابان وفلسطين المحتلة فى آسيا وقد تناولنا الحديث عنها فيما سبق .

وبدراسة مستوى الخصوبة الحالى فى القارات والدول المتقدمة (جدول رقم ٧) يبدو أن معدل المواليد فى أوربا لايزيد على ١٣ فى الالف فيما عدا البانيا ومالطة ، وفى بعض الدول فان معدل المواليد يصل بالكاد الى ١٢ فى الالف ومعدل التكاثر الى أقل من واحد صحيح .

وتختلف مناطق قارة أوربا فى مستوى الخصوبة ذلك لان متوسط معدل المواليد فى شمال وغرب القارة يصل الى ١٤ فى الالف وهو يشبه مثيله فى جنوب أوربا الذى يصل الى ١٢ فى الالف .

ويتميز وسط أوربا بتباين ديموغرافى عن بقية مناطق القارة ومع ذلك تسود به خصوبة منخفضة حيث يتراوح معدل المواليد من ١٢ فى الالف فى المجر الى ١٥ فى الالف فى بولنده وقد تأثر هذا النطاق بخسائر الحربين العالميتين فى السكان مما أثر بدوره على التركيب العمرى النوعى فى بعض دوله ، ولذلك فان معدل المواليد فى دول شرق أوربا قل بصفة عامة عن مثيله فى شمال وغرب وجنوب القارة وان مال الى التوازن مع بقية القارة بعد ذلك ومنذ أواخر الثمانينيات .

أما فى الاقاليم منخفضة الخصوبة خارج أوربا فقد تأثر معدل المواليد بها بتباين التركيب العمرى والنوعى للسكان ، فيصل معدل التكاثر الاجمالى الى حوالى - ١ فى نيوزيلنده واستراليا ويعكس ذلك أثر الهجرة الوافدة للسكان فى الاعمار الوسطى الى هاتين الدولتين مما يجعل مستوى الخصوبة أعلى نسبيا من الدول المتقدمة الاخرى ، وفى الكومنولث الجديد كانت الخسائر البشرية الناجمة عن الحرب العالمية الثانية مؤثرة فى نقص عدد الذكور البالغين وانعكس ذلك بدوره على انخفاض خصوبة الاناث حتى أنها تتشابه مع الولايات المتحدة وكندا .

١ - تطور الخصوبة فى الدول الاوربية :

يمكن بسهولة تتبع منحنى الخصوبة فى الدول الاوربية ذات البيانات الدقيقة على امتداد فترة زمنية طويلة ، وقد لوحظ أن معدل المواليد لم

تطراً عليه تغيرات كبيرة منذ القرن الثامن عشر وحتى أواخر القرن التاسع عشر ، وبإستثناء فرنسا التي تميزت بهبوط واضح في أوائل القرن التاسع

جدول رقم (٧)

معدل المواليد الخام في الدول المتقدمة (١)

(حوالي سنة ١٩٧٦ وسنة ١٩٩١)

الدولة	١٩٧٦	١٩٩١	الدولة	١٩٧٦	١٩٩١
تشيكوسلوفاكيا	١٩	١٣	شمال أوروبا		
المجر	١٨	١٢	الدانمرك	١٣	١٢
بولندا	٢٠	١٥	فنلندا	١٤	١٣
رومانيا	١٩	١٦	إيسلندا	١٩	١٨
جنوب أوروبا			أيرلندا	٢٢	١٥
البنانيا	٣٠	٢٥	النرويج	١٣	١٤
اليونان	١٦	١٠	السويد	١٢	١٤
إيطاليا	١٤	١٠	المملكة المتحدة	١٢	١٤
مالطة	١٩	١٦	غرب أوروبا		
البرتغال	١٩	١٢	النمسا	١٢	١٢
إسبانيا	١٨	١١	بلجيكا	١٢	١٢
يوغسلافيا	١٨	١٤	فرنسا	١٥	١٤
الكومنولث الجديد	١٨	١٨	المانيا	١٠	١١
استراليا	١٦	١٥	لوكسمبورج	١١	١٢
نيوزيلانده	١٨	١٧	هولندا	١٣	١٣
كندا	١٦	١٥	سويسرا	١٢	١٢
الولايات المتحدة	١٥	١٧	شرق أوروبا		
			لغاريا	١٧	١٣

(١) المصدر :

U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, Op. Cit., pp. 326-404.

INED., Population et Sociétés, Janvier, 1992, Num. 264.

عشر ، وايرلنده التى بدأ الهبوط بها منذ أواسط ذلك القرن ، فلم يحدث هبوط مفاجيء فى حركة المواليد فى الاقطار الاوربية حتى بعد سنة ١٨٧٠ ، بل ان كثيرا من الدول لم يبدأ الهبوط بها قبل سنة ١٩٠٠ (١) .

وقد وصل متوسط معدل المواليد فى أوروبا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر الى ٣٩ الالف ، ثم وصل فى حوالى سنة ١٨٨٠ الى نحو ٣٥ فى الالف. ومعدل التكاثر الاجمالى الى - ٢ ، وتعد هذه المعدلات عالية بالمقارنة مع المستوى الحالى للخصوبة بالقارة بالرغم من أنها تعد أقل من المعدلات السائدة حاليا فى الدول المتخلفة ذلك لان معدل المواليد الذى بلغ ٣٥ فى الالف فى أواخر القرن التاسع عشر يعد أقل من متوسط مثيله البالغ ٤٤ فى أفريقيا سنة ١٩٩١ ، ومن المشكوك فيه أن متوسط معدل المواليد فى أوروبا ككل فى أى وقت منذ العصور الوسطى كان مشابها لمثيله فى أفريقيا فى الوقت الحاضر ، بالرغم من أن هذه المعدلات كانت سائدة حتى عقود حديثة فى روسيا وأجزاء من أوروبا (٢) . كذلك كانت المعدلات مرتفعة فى أمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلنده فى الفترات المبكرة للاستيطان الاوربى بها .

وكان شمال وغرب أوروبا أول الاقاليم التى شهدت هبوطا فى الخصوبة (جدول رقم ٨) ، ففى الفترة من ١٩٠٦ - ١٩٠٩ كان معدل المواليد يتراوح بين ٢٥ - ٣٠ فى الالف باستثناءات قليلة ممثلة فى فنلنده حيث كان المعدل ٣١ فى الالف وفرنسا حيث كان يتراوح بين ١٠ - ٢٣ فى الالف، وكان متوسط معدل المواليد آنذاك فى وسط أوروبا ٣٥ فى الالف متراوحا بين ٤٠ فى بولنده و ٢٦ فقط فى سويسرا ، أما فى جنوب أوروبا فقد تراوح المعدل من ٣٣ فى الالف فى اليونان وايطاليا والبرتغال واسبانيا الى حوالى ٤٠ فى بلغاريا ورومانيا .

وعلى ذلك كان متوسط الخصوبة فى أوائل هذا القرن مختلفا فى اقاليم أوروبا فهو مرتفع فى الجنوب ومعتدل فى الوسط ومنخفض فى الشمال ، كذلك فقد حدث هبوط الخصوبة أولا فى شمال وغرب أوروبا ثم بدأ وسط القارة التأثر به بينما لم ينخفض المعدل فى جنوب القارة وكان حتى ذلك الوقت مماثلا لما كان عليه من قبل .

(1) U. N. Pop. Bull., Ibid., Op. Cit., 93,

(2) Ibid., p. 94.

جداول رقم (٨)
تطور معدل المواليد في بعض الدول المتقدمة (١)

كومنولث الدول المتقدمة	استراليا	المتحدة الولايات	في أوروبا				السنة
			إيطاليا	المجر	فرنسا	النرويج	
٤٨٠٠	٢٦٧٧	—	٣٢٦٦	٣٧٤٤	٢٦٢٢	٢٨٥٥	١٩٠٤ — ١٩٠٠
٤٥٠٩	٢٦٧٨	—	٣٢٢٦	٣٦٣٣	٢٠٢٢	٢٦٧٧	١٩٠٩ — ١٩٠٥
٣٢٢٢	٢٥٥٨	٢٤٠١	٢٢٥٧	٢١٠٩	١١٤٤	٢٤٢٠	١٩١٩ — ١٩١٥
٤١٠٩	٢١٢٦	٢٠٠١	٢٧٢٢	٢٦٢٦	١٨٥٥	١٨٥٥	١٩٢٩ — ١٩٢٥
٢٣٢٨	١٧٢٢	١٧٢٢	٢٣٢٢	٢٠٠١	١٥٢٠	١٥٢٠	١٩٣٩ — ١٩٣٥
٢٥٥٨	٢٣٢٥	٢٣٤٤	٢١٠١	١٩٠٩	٢٠٢٢	٢٠٢٨	١٩٤٩ — ١٩٤٥
٢٥٥٣	٢٢٢٦	٢٤٢٦	١٨٢٠	١٧٢٨	١٨٢٣	١٨٢١	١٩٥٩ — ١٩٥٥
٢٥٢٢	٢٢٢٣	٢٣٢٥	١٨٢٠	١٤٢٦	١٧٢٨	١٨٢١	١٩٦٩ — ١٩٦٥
١٩٢٠	١٦٢٠	١٦٢٠	١٠٢٠	١٢٢٠	١٤٢٠	١٢٢٠	١٩٨٩ — ١٩٨٥

(١) U. N. Population Bulletin, Op. Cit., pp. 90-91.
INED, Op. Cit., 1987.

وقد أدت الحرب العالمية الأولى الى اضطراب منحني اتجاه الخصوبة حيث هبط هذا المنحنى في كل الدول وخاصة تلك التي اشتركت في الحرب بدرجة كبيرة وخاصة النمسا وبلجيكا فكان النقص في عدد المواليد الناجم عن الحرب قليلا وما لبث المنحنى أن ارتفع بعد الحرب مباشرة في كل هذه الدول بالقارة .

وقد استمر معدل المواليد في الارتفاع في العشرينات حتى أن معدل التكاثر الاجمالي كان أعلى من ٢٠ في بلغاريا وبولنده والبرتغال ورومانيا ، أي في أقطار شرق وجنوب أوروبا حيث بدأ التطور الصناعى متأخرا بها اذا ماقورنت بشمال وغرب القارة ، ثم تعرض معدل المواليد للانخفاض في الثلاثينيات متأثرا في ذلك بفترة الكساد الاقتصادي التي شهدها العالم في تلك الفترة حيث وصل المعدل الى أدنى درجة في الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٣٩ حيث بلغ ١٦ في الالف في شمال وغرب أوروبا و ٢٠ في وسط أوروبا ، ٢٥ في جنوبها .

أما الحرب العالمية الثانية فقد كانت ذات تأثير مختلف على الخصوبة فقد استمر معدل المواليد في الهبوط في جنوب أوروبا - بينما ظل ثابتا في شمالها وغربها ، فقد شهدت ألمانيا والنمسا تزايدا متواضعا في معدل المواليد في الثلاثينيات وفي بعض الاقطار مثل تشيكوسلوفاكيا والدنمرك والنرويج والسويد وسويسره وكان هناك تزايد في معدل المواليد خلال الحرب بلغ نفس المستوى في سنتي ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ، وشهدت الفترة التالية للحرب مباشرة ارتفاعا في معدلات المواليد في الاقطار التي كانت المواليد منخفضة بها من قبل وبصفة عامة كانت قمة منحني التطور في الخصوبة بعد الحرب العالمية الثانية في سنتي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ وذلك باستثناء بعض الدول مثل النمسا وألمانيا ذلك لان خسائرها في الحرب من الرجال واستمرار أسر أعداد من جنودهما في الفترة التالية للحرب مباشرة أديا الى انخفاض كبير في معدل الزواج بهما .

أما في السنوات الاخيرة منذ الخمسينات فيمكن توضيح ثلاثة أنماط رئيسية من الاتجاهات في منحني المواليد أولها أنه في شمال غرب ووسط أوروبا حيث هبطت الخصوبة الى حد منخفض في الثلاثينيات فان الاتجاه كان صاعدا وأظهر المنحنى قمة فيما بعد الحرب ، وما لبث أن انخفض بعد ذلك متجها نحو الاستقرار والثبات . وثانيا أنه في جنوب أوروبا (باستثناء البرتغال وأسبانيا) مازال معدل المواليد مستمرا في الهبوط مع ملاحظة أن ألبانيا من دول جنوب القارة ولكن المعدل مازال مرتفعا بها .

والامر الثالث ان هناك أقطارا معينة في شرق ووسط وجنوب أوربا شهدت هبوطا في معدل المواليد حتى حوالي سنة ١٩٥٦ عندما بدأت حكوماتها في تبني سياسة لتشجيع تخفيض حجم السكان بها وذلك بسن تشريعات مختلفة لتنظيم الاسرة وتقليل حجمها .

ب - تطور الخصوبة في أمريكا الشمالية والاقويانوسية :

من الواضح أن اتجاه الخصوبة على المدى الطويل في المناطق التي استوطنها الاوربيون فيما وراء البحار يعد مشابها لمثيله في شمال غرب أوربا الى حد كبير ، ففي الولايات المتحدة بدأ الانخفاض في معدل المواليد مبكرا في القرن التاسع عشر ، ففي سنة ١٨٠٠ قدر أن معدل المواليد الخام كان ٥٥ في الالف وهو يعد أعلى معدل عرف في أى قارة من قارات العالم واستمر الهبوط منذ ذلك الوقت دون أى تغيرات جوهرية حتى سنة ١٩٢٣ عندما وصل المعدل الى ١٨ في الالف فقط، ولكن بعد فترة الكساد الاقتصادي بدأ المعدل في الارتفاع التدريجي ثم وصل هذا التزايد الى قمته وهي ٢٥٫٨ في الالف سنة ١٩٤٧ واستقر المعدل بعد ذلك على مستواه القريب من القمة التي وصل اليها .

وفي كندا نظرا لعدم اكتمال التسجيل الحيوى بها فيما قبل سنة ١٩٢٠ فمن المحتمل أن الخصوبة كانت مرتفعة للغاية في القرن التاسع عشر خاصة في المناطق الناطقة بالفرنسية حتى أن معدل التكاثر الاجمالي بها وصل الى ٣٫٠ ، ولكن انخفض معدل المواليد بعد ذلك حتى وصل الى ٢٨ في الالف في الفترة من ١٩٢٠ - ١٩٢٤ واستمر هبوطه حتى وصل الى ٢٠ في الالف سنة ١٩٣٧ وتشابه مع الولايات المتحدة بعد ذلك حتى وصل الى قمته في السنوات القليلة التالية للحرب العالمية الثانية ثم استقر على مستواه الحالي تقريبا وهو ٢٨ في الالف .

أما في استراليا ونيوزيلنده فقد انخفض معدل المواليد خلال الجزء الاخير من القرن التاسع عشر ثم ارتفع قليلا ليعاود هبوطه بعد ذلك وكان تدفق موجات من المهاجرين في القرن الحالي ذا أثر كبير في رفع مستوى الخصوبة واستمر المعدل ثابتا في استراليا ونيوزيلنده بعد الحرب العالمية الثانية (جدول رقم ٨) .

ج - تطور الخصوبة في رابطة كومنولث الدول المستقلة :

ليس من السهل دراسة تطور الخصوبة في الكومنولث الجديد فيما قبل

القرن العشرين وذلك لعدم توفر بيانات يمكن الاعتماد عليها وقد قدر أن معدل المواليد وصل الى ٥٠ في الالف خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك اعتمادا على بيانات التركيب العمري في تعداد سنة ١٨٠٧ ، ومن المرجح أن هذا المعدل كان كذلك في فترة زمنية طويلة من قبل حتى أنه رغم ارتفاع معدل الوفيات بالامبراطورية الروسية فإن السكان قد تزايدوا بدرجة أكبر من باقى دول أوروبا .

وقد هبط مستوى الخصوبة في أوائل هذا القرن حتى قدر معدل المواليد في العقد السابق على قيام الحرب العالمية الاولى بحوالى ٤٥ في الالف ثم هبط بعد ذلك نتيجة الاضطرابات السياسية والحربية التى تعرضت لها روسيا وكانت الثورة الشيوعية أبرزها، وقد نتج عن ذلك هبوط المعدل الى ٤٣ في الالف في سنة ١٩٢٧ الا أن البيانات المنشورة عن تعداد سنة ١٩٢٠ أدت الى الاستنتاج بأن معدل المواليد كان ٣٠ في الالف في الثلاثينات وهو هبوط حاد اذا ما قورن بالمعدل السابق لسنوات قليلة سابقة فقط. وكانت تلك السنوات فترة تحول كبير في توزيع السكان والتجميع الزراعى والتصنيع وما ترتب عليها من انتقال أعداد كبيرة من السكان، كذلك حدثت تغيرات اجتماعية جذرية أثرت في انخفاض مستوى الخصوبة ، وبالرغم من أن الحكومة السوفيتية أصدرت في سنة ١٩٣٦ عدة تشريعات لرعاية الامومة والطفولة والاسرة وغير ذلك من العوامل التى شجعت على تزايد الانجاب ، فإن الاتجاه نحو الاسر الصغيرة بدأ يسود نتيجة عوامل التغير الاجتماعى والاقتصادى ممثلة في التصنيع والتحضر العمرانى واتساع قاعدة التعليم وارتفاع مكانة المرأة .

الا أن التعبئة العسكرية في الحرب العالمية الثانية وازاحة السكان من مساحات كبيرة والصعاب والخسائر الناجمة عن الحرب أدت الى انخفاض في معدل المواليد - وقد انعكس ذلك على نقص عدد السكان في الفئات العمرية (١٥ - ١٩) في تعداد ١٩٥٠ ، وقد قدر أن معدل المواليد وصل الى ٢٧ في الالف سنة ١٩٥٠ ثم هبط الى ٢٥ في الالف سنة ١٩٦٠ و ١٨ في الالف سنة ١٩٩١ .

أهم العوامل المؤثرة في خصوبة السكان :

سبق القول بأن الخصوبة من أهم الظواهرات الديموغرافية التى تؤثر في هيكل السكان بالتزايد كما تؤثر فيه الوفيات بالتناقص ، وإذا كانت الظواهرات الديموغرافية تتأثر بصفة عامة بمجموعة من العوامل المتشابكة

والتي لا يمكن الفصل بين بعضها البعض واعتبار أحدها العامل الاوحد في التأثير عليها ، فان الخصوبة تعد من الظاهرات الهامة التي اولاهها الباحثون عناية كبيرة في دراستها وتحليلها وتوضيح العوامل المتشابكة والمعقدة التي تؤثر فيها وتتأثر بها .

ولعل من أبرز الدراسات في هذا المجال ما قام به «دافيز وبلوك Davis and Blake» حيث رأيا أن التغيرات التي تحدثها العوامل الاجتماعية والاقتصادية على الخصوبة لا يمكن أن تتم الا عن طريق ما تحدثه من أثر على أحد أو بعض - ما أسماه الباحثان - بالعوامل الوسيطة Intermediate variables والتي تؤثر بالتالي تأثيرا مباشرا على الانجاب .

وتنقسم هذه العوامل الى ثلاث مجموعات رئيسية تضم كل منها عاملين أو أكثر على النحو التالي :

أولا - عوامل تؤثر في العلاقة الجنسية وهذه يمكن تقسيمها الى قسمين :

١ - عوامل تتحكم في حدوث أو عدم حدوث الاخصاب في فترة القدرة على الانجاب وهي تشمل :

١ - سن الزواج

٢ - نسبة النساء اللاتي لم يسبق لهن الزواج

٣ - المدة التي تقضيها المرأة في سن الانجاب خارج الحياة الزوجية وذلك بسبب الطلاق أو الانفصال أو الترميل .

ب - عوامل تؤثر في العلاقة الجنسية أثناء الزواج :

١ - الابالة التطوعية .

٢ - الابالة غير التطوعية - الناتجة عن مرض أو انفصال مؤقت بين الزوجين لظروف خاصة .

٣ - عدد مرات الاتصال الجنسي (فيما عدا فترات الابالة) .

ثانيا - عوامل تتحكم في التعرض للحمل :

١ - القدرة على الانجاب أو عدم القدرة عليه نتيجة أسباب مقصودة أو غير مقصودة .

ثالثا - عوامل تتحكم في حياة الجنين :

١ - وفاة الجنين نتيجة أسباب غير مقصودة .

ب - وفاة الجنين نتيجة أسباب مقصودة .

ومن الواضح أن الارتباط بين هذه العوامل في المجتمعات البشرية يؤدي الى وجود مستويات متباينة للخصوبة بها ، ومن ناحية أخرى فان المجتمعات - أو المجموعات السكانية المختلفة والتي تتباين فيها مستويات الخصوبة تبايناً واضحاً - قد يكون لبعض العوامل الوسيطة أثر واضح بها بسبب اختلاف العوامل الاقتصادية والاجتماعية مثل الاختلاف بين خصوبة الريف والحضر وبين البيض والزنوج وبين العمال وأصحاب المهن الفنية العلمية وبين الاميين والمتعلمين .

وقد أبرزت الدراسات عن الخصوبة أن العوامل المؤثرة فيها تختلف في الدول المتقدمة ذات الخصوبة المنخفضة عن الدول النامية ذات الخصوبة المرتفعة ، فمن العوامل التي أدت الى انخفاض مستويات الخصوبة في الدول المتقدمة الميراث الحضارى ومظاهره المتعددة والتصنيع والتحضر وارتفاع نسبة المتعلمين وكذلك ارتفاع مستويات المعيشة وتكاليف تربية الاطفال وتغير دور الاسرة وتزايد الحراك الاجتماعى والتغير فى الافكار والقيم وانخفاض معدلات الوفيات نتيجة انخفاض المواليد أما فى الدول النامية المرتفعة الخصوبة فقد تكون الاحوال الاجتماعية والاقتصادية عكس ذلك فى معظم الاحوال، ثم هناك الميراث الحضارى والافكار والقيم السائدة ودور الاطفال فى المناطق الريفية ومركز المرأة الاجتماعى وانخفاض السن عند الزواج وارتفاع نسبة الامية خاصة بين الاناث .

وعموماً فان العلاقة بين مستوى الخصوبة ودرجة التقدم الاقتصادى والاجتماعى تبدو فى مقارنة معدل المواليد ببعض المؤشرات الهامة مثل نصيب الفرد من الناتج القومى وبنسبة الايدي العاملة فى الصناعة . ثم ببعض المؤشرات الصحية مثل أمد الحياة ومعدل وفيات الاطفال والثقافية مثل الحالة التعليمية للاناث .

وقد أوضحت نتائج هذه المقارنة أن مستويات الخصوبة العالية تتمشى مع انخفاض درجة التقدم الاقتصادى والاجتماعى والعكس (جدول رقم ٩) حتى أنه يمكن تقسيم دول العالم بصفة عامة الى مجموعتين كبيرتين احدهما تتميز بخصوبة مرتفعة وتقدم اقتصادى واجتماعى منخفض - وهى مجموعة الدول النامية والاخرى على النقيض من ذلك حيث تنخفض الخصوبة ويرتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى - وهى مجموعة الدول المتقدمة ويبدو ذلك من الارقام التالية التى توضح مقارنة بين الهند كدولة نامية والولايات المتحدة الامريكية كدولة متقدمة .

جدول رقم (٩)
الخصوبة والمستوى الاقتصادي والاجتماعى
فى الهند والولايات المتحدة الامريكية
(متوسط ١٩٨٩ - ١٩٩١) (١)

الدولة		المؤشر
الولايات المتحدة	الهند	
١٧	٣١	- معدل المواليد الخام
١٨	٤٥	- معدل الخصوبة الكلية
		(١) مؤشرات اقتصادية :
٢١٠٠٠	٣٥٠	١ - نصيب الفرد من الناتج القومى بالدولار
		٢ - نسبة العاملين فى الصناعة (%) من جملة القوة العاملة)
٢٢	٩	٣ - نصيب الزراعة من الناتج القومى (%)
٤	٤٤	(ب) مؤشرات صحية وثقافية :
٧٥	٥٧	١ - أمد الحياة بالسنوات
٩	٩١	٢ - معدل وفيات الاطفال الرضع
٩٢	٢٩	٣ - نسبة القادرات على القراءة والكتابة من الاناث (١٥ سنة فأكثر)

وقد حسب معامل الارتباط Coefficient of correlation بين الخصوبة وهذه المؤشرات وتأكدت بموجبه العلاقة القوية بين الخصوبة وكل من هذه المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية ، ويمكن أن تربط بين هذه النتيجة ونظرية الانتقال الديموغرافى وتطبيقها فى امكان التنبؤ باتجاهات الخصوبة ونمو السكان فى الدول النامية فى المستقبل ، وتقوم هذه النظرية على أساس العلاقة بين المواليد والوفيات وبأن الارتفاع الملموس فى مستوى الخصوبة فى المجتمعات ما قبل الصناعية كان مرتفعا بمستويات حضارية منخفضة وكلما اتجهت هذه المجتمعات نحو التصنيع وما يرتبط به من

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, 1989-1991.

تنمية اقتصادية وتغير اجتماعى فانها تتجه نحو انخفاض الخصوبة بدرجة قليلة فى بادىء الامر ثم بدرجة كبيرة بعد ذلك حتى تثبت عند مستوى منخفض بوصول المجتمع الى مستوى مرتفع من التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

ومن الملاحظ أن النتائج السابقة تؤكد هذه النظرية وخاصة عند تطبيقها على الدول الصناعية الحالية كذلك يؤكد هذا القول أيضا أنه بالرغم من أن بعض الدول قد شهدت تنمية اقتصادية واجتماعية فى العقود الاخيرة الا أن الخصوبة لم تهبط بها هبوطا ملموسا وان كان منحناها يأخذ اتجاهها هابطا .

وتذكر بعض الدراسات الجارية عن المشكلات السكانية أن معظم سكان الدول النامية يتكاثرون بمعدلات تقترب من حدود القدرة الفسيولوجية لهم دون أن يكون هناك تأثير واضح بدرجة أو بأخرى على الانجاب - الا أخيرا جدا بعد اتباع بعض الدول لسياسة تنظيم النسل - وكانت الخصوبة الطبيعية العالية قاعدة مميزة لكل المجتمعات البشرية فى العالم كله فى الماضى وقبل بدء الثورة الصناعية وبدء تنظيم الانجاب فى الغرب - ورغم ذلك فقد كانت هناك فوارق اقليمية سبق الحديث عنها .

وقد سبق القول بأن مستوى الخصوبة يتأثر بالعوامل الوسيطة والتي تعد بدورها انعكاسا للظروف البيئية والحضارية مثل التقاليد السائدة فى المجتمعات النامية والتركيب الاسرى بها والنظرة الى الكثرة العددية فى البيئات الزراعية واختلافها عن البيئات الحضرية ولذلك فان هناك فوارق جوهرية فى مستوى الخصوبة بين البيئة الزراعية التى يرتفع فيها معدل المواليد والبيئة الحضرية التى ينخفض فيها هذا المعدل .

ومن الواضح أن وسائل التحكم فى مستوى الخصوبة السائد فى المجتمعات المتقدمة مثل تأخير سن الزواج بل وعدم الزواج اطلاقا - وكذلك استخدام وسائل منع الحمل - تعد عوامل أساسية فى انخفاض معدل المواليد بهذه الدول ، ولكن هذه العوامل ليست سائدة بنفس الدرجة فى الدول النامية مما يجعلها تعيش فى مرحلة الخصوبة الطبيعية Natural fertility وان كان بعضها قد بدأ يأخذ بأسباب التحكم فى الخصوبة منذ سنوات قليلة كما سبق القول وانعكس ذلك على انخفاض معدل المواليد بها كما سبق القول .

الزيفل الخامس الوفيات

تعد الوفيات عنصر هاماً من عناصر تغير السكان حيث تفوق في أثرها عامل الهجرة وان كانت الخصوبة تسبقها في ذلك كما أنها تتناقض مع الخصوبة في أنها أكثر ثباتاً ويمكن التحكم في مستواها، ولا يبدو أثرها في تغير حجم السكان فقط بل وفي تركيبهم كذلك ، خاصة التركيب العمري حيث ترتبط الوفيات دائماً بمستوى التعمير (Ageing) ولذا يلقى التحكم في الوفيات قبلاً أكثر مما يلقاه التحكم في الخصوبة .

وقد شهدت معظم دول العالم انخفاضاً في مستوى الوفاة بين سكانها في السنين الاخيرة سواء كانت دولاً متقدمة أو نامية ، ويرجع ذلك بالدرجة الاولى الى التقدم الطبى الذى بدأ في أجزاء قليلة من العالم ، ثم ما لبث أن انتشر الى أقاليم أوسع في القارات المختلفة ، وبعد الهبوط في الوفيات من العوامل الرئيسية التى أدت الى ظاهرة الانفجار السكانى (Population Explosion) والتي تعد أهم ملامح التاريخ البشرى الحديث وخاصة في الدول النامية حيث يمثل تحدياً ضخماً لمواردها .

ويهتم الجغرافى في مجال دراسة الوفيات بأنماط التوزيع المكاني لها والاسباب الرئيسية المسببة للوفاة وارتباطها بالظروف البيئية السائدة ، معتمداً في ذلك على مقاييس الوفاة التى تعد مؤشرات للأحوال الصحية السائدة ، ولكن يعوق من اتساع مجالات البحث قلة البيانات عن أسباب الوفيات في البيئات المختلفة بالعالم وخاصة في البيئات النامية أما الدول المتقدمة فقد بدأ التسجيل مبكراً بها ، ففي بريطانيا على سبيل المثال بدأ جون جراونت John Graunt تسجيل الوفيات في لندن في القرن السابع عشر . كذلك فإن تسجيل وفيات الاطفال الرضع يعد من المشكلات الرئيسية في بيانات الوفيات وتمييزها عن وفيات الاجنة (foetal deaths) ولذلك فإن بيانات الوفيات تشير دائماً الى وفيات الاطفال الذين ولدوا أحياء ويستبعد من ذلك المواليد الموتى (Stillbirths) أو وفيات الاجنة .

وتعتمد كثير من دراسات الوفيات حسب العمر والنوع على ما يعرف بجدول الحياة Life table وهو جدول احصائى ينشأ على أساس

الظروف السائدة للوفاة حيث يبين مستواها عند أى فئة عمرية خلال فترة أساس معينة وتوقع الحياة عند هذه الفئة أو ما يعرف بأمد الحياة، والغرض من هذه الجداول هو حساب عدد الوفيات لكل فئة عمرية وعدد الباقين على قيد الحياة ومتوسط عدد السنوات التى يحتمل أن يعيشها كل منهم، وتعتمد دقة هذه الجداول على الدقة فى الاحصاءات الحيوية والتعدادات السكانية ومن ثم فانه من السهل انشاؤها فى الدول المتقدمة وبالرغم من ذلك فان جانبها كبيرا من تحليل الوفاة يتم دون الرجوع اليها .

مقاييس الوفاة :

يمكن الحكم على مستوى الوفيات السائد فى المجتمع عن طريق بعض المقاييس المرتبطة به والتي تتمثل فى معدل الوفيات الخام ، ومعدل الوفيات العمرى النوعى ، ومعدل وفيات الاطفال الرضع ثم معدل الوفيات السببى .

١ - معدل الوفيات الخام Crude death Rate :

وهو أكثر المقاييس شيوعا حيث يمثل نسبة جميع الوفيات المسجلة خلال سنة معينة الى عدد السكان الكلى مضروبا فى ١٠٠٠ ويكتب على الصورة التالية :

$$\text{معدل الوفيات الخام} = \frac{\text{عدد الوفيات المسجلة خلال سنة ميلادية}}{\text{عدد السكان الكلى فى منتصف السنة}} \times 1000$$

مثال : معدل الوفيات فى مصر سنة ١٩٨٦

$$= 1000 \times \frac{433000}{4969000} = 87 \text{ فى الالف}$$

ولهذا المعدل مزايا من أهمها أنه يبين مستوى الوفاة لمجتمع بأكمله فى سنة ما ، الا أن أبرز عيوبه أنه يمزج مجموعات سكانية كثيرة تختلف الوفيات فيما بينهما اختلافا واضحا حيث يمزج هذه العناصر دون تمييز ، ومن الخطورة الوصول الى استنتاجات محددة على أساس دلالة المعدل الخام للوفاة فقط ، لذلك فان الدراسة المتعمقة للوفاة تمتد الى بعض المعدلات الاخرى والتي تعتبر أكثر دقة وتفصيلا عن معدل الوفيات الخام .

٢ - معدل الوفيات حسب العمر Age - Specific Death Rate :

وهو معدل خاص بكل فئة عمرية حيث ينسب عدد الوفيات التى حدثت فى كل فئة الى جملة السكان فى نفس الفئة مضروبا فى ١٠٠٠، ومن المفيد أن تحسب هذه المعدلات للذكور والاناث وبذلك تصبح معدلات

عمرية نوعية وهذه المعدلات العمرية تعد أساسية في المقارنة بين المجتمعات بعضها وبعض أو بين طوائف السكان في داخل المجتمع الواحد ، وتعد الفئات العمرية ذات الخمس سنوات الصورة الشائعة في حساب معدلات الوفيات الخاصة بالعمر وهي توضح الانماط الرئيسية لتغير مستوى الوفاة حسب العمر وفي العادة لاتكون البيانات على درجة كافية من الدقة بحيث تبرر استخدام فئات أصغر .

وتتأثر الوفيات بعامل السن والنوع تأثرا كبيرا كذلك فان هناك اعتبارات أخرى تؤثر في الوفاة بالإضافة الى هذين العاملين البيولوجيين كنمط الحياة في الريف والحضر والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين المجموعات السكانية في البيئة الواحدة .

وبدراسة العلاقة بين الوفاة العمرية - أو مايسمى بالمعدلات العمرية للوفاة - يلاحظ أن منحني هذه المعدلات له نمط معروف تبدأ قمته بعد المولد مباشرة ثم يهبط الى حده الأدنى في الفترة من ٥ - ١٥ سنة ومايلبث أن يرتفع ببطء بعد ذلك حتى بداية الاعمار المتقدمة ويصل بذلك الى نهايته متخذاً بذلك شكل حرف U المعروف وذلك فيما بعد الخامسة والستين أو السبعين ويوضح الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (١٤) هذه الحقيقة .

جدول رقم (١٠) معدل الوفيات العمرى النوعى في سرى لانكا سنة ١٩٧٢ (١١)

فئات السن			فئات السن		
ذكور	اناث	فئات السن	ذكور	اناث	فئات السن
٤٦١	٥٥٧	٣٥ - ٣٩	٤٦١	٥٥٧	أقل من ١
٦٤	٥٤	٤٠ - ٤٤	٦٤	٥٤	١ - ٤
١٨	١٧	٤٥ - ٥٤	١٨	١٧	٥ - ٩
١٠	١١	٥٥ - ٦٤	١٠	١١	١٠ - ١٤
١٤	١٥	٦٥ - ٧٤	١٤	١٥	١٥ - ١٩
٢٣	٢٣	٧٥ +	١٩	٢٣	٢٠ - ٢٤
٢٣	٢٤	جميع لاعمار	٢٣	٢٤	٢٥ - ٢٩
٢٥	٢٦		٢٥	٢٦	٣٠ - ٣٤
٧١	٨٥				

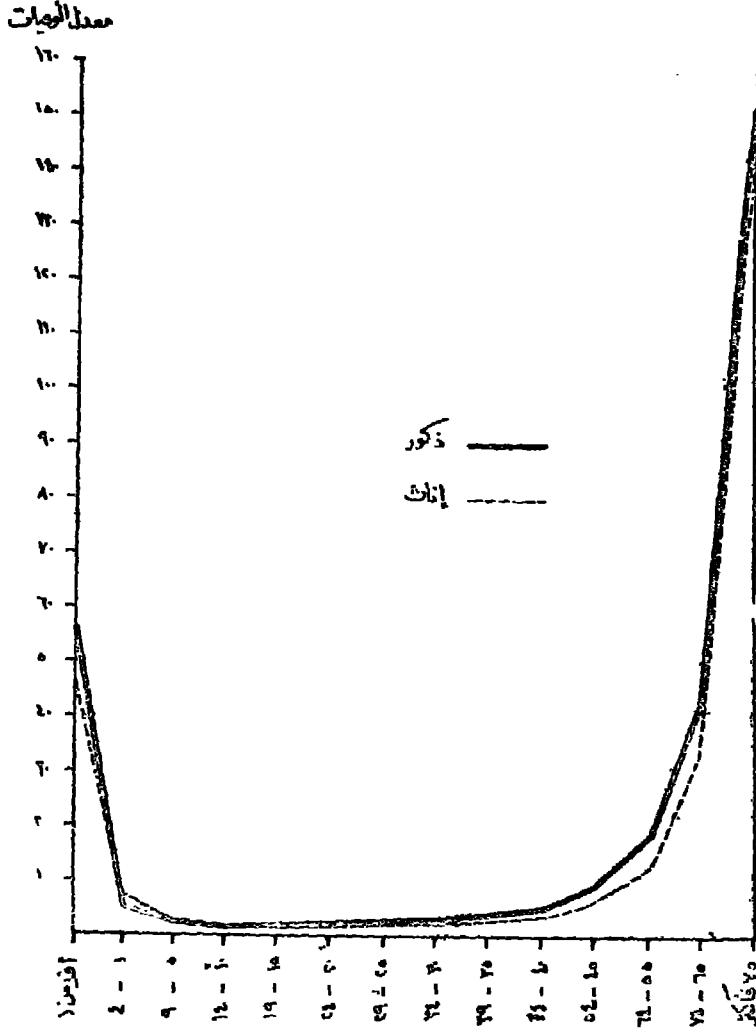
وقد تقسم معدلات الوفيات العمرية هذه الى أربع فترات من فترات العمر وهي فترة الرضاعة وفترة الطفولة وفترة العمل والانجاب ثم الكهولة والشيخوخة .

(١) المصدر:

The Population Council, Population and Development Review, Vol. 9, No. 2, June 1983, p. 319.

٣ - معدل وفيات الرضيع : Infant Mortality Rate :

وهو معدل يختلف في حسابه عن المعدلين السابقين حيث نحصل عليه بقسمة عدد وفيات الاطفال الذين تقل أعمارهم عن سنة على مجموع عدد الوفيات أحياء خلال نفس السنة مضروباً في ١٠٠٠ ويكون هذا المعدل مرتفعاً دائماً عن معدل الوفيات الخام - ويعكس مدى ماتقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها ، ويكون هبوطه أول خطوة في هبوط مستوى



شكل رقم (١٤)
معدل الوفيات العمرى النوعى في سرى لانكا ١٩٧٢

الوفيات ككل في المجتمع ، وفي كثير من الدول يأتي معدل وفيات الاطفال في فئة السن ١ - ٤ سنوات بعد معدل وفيات الرضع مباشرة - حتى أنه في معظم الدول النامية يكون أكثر من نصف عدد الوفيات بها في أى سنة - لاعمار تقل عن ٥ سنوات ، ولعل في مصر دليل على ذلك كما يبدو من الجدول رقم (١١) حيث تشكل وفيات الصغار دون سن الخامسة ما يربو على نصف عدد الوفيات بها ، بل انها وصلت الى ثلثي هذا العدد في سنة ١٩٥٥ . وعلى ذلك فان صيغة معدل وفيات الرضع تكون على النحو التالي :

$$\text{معدل وفيات الرضع} = \frac{\text{عدد حالات الوفاة للاطفال اقل من سنة}}{\text{مجموع عدد المواليد الاحياء في نفس السنة}} \times 1000$$

ويرتبط بهذا المعدل معدلات فرعية أخرى لتحليل الجوانب المنفصلة للوفاة في السنة الاولى من العمر ، ذلك لان جزءا من وفاة الرضع يتأثر بظروف الميلاد لانها تبدأ مباشرة بعد وقت الولادة ويسمى هذا الجزء بوفاة المواليد المبكرة وجرى العرف على قياسه بمعدلات الوفيات للشهر الاول من العمر ، ويعد ذلك أمرا هاما في دراسة وفيات الرضع لانه يمثل نسبة كبيرة منها .

جدول رقم (١١) تطور النسبة المئوية للوفيات حسب السن في مصر في الفترة من (١٩٣٥ - ١٩٦٥) (١)

فئات السن	١٩٣٥	١٩٤٥	١٩٥٥	١٩٦٥
أقل من ١	٣٠ر٥	٣٢ر٤	٣٧ر٥	٢٣ر٥
١ - ٤	٢٨ر٧	٢٨ر٦	٣١ر١	٢٣ر٧
٥ - ١٤	٤ر٨	٤ر٧	٢ر٨	٣ر١
١٥ - ٣٤	٣ر٣	٣ر٦	١ر٨	٢ر٢
٣٥ - ٤٤	٨ر٨	٨ر٤	٥ر٠	٥ر٧
٤٥ - ٦٤	٨ر٧	٨ر٠	٧ر١	١٠ر٤
٦٥ - ٧٤	٥ر١	٥ر٥	٥ر٢	٧ر٥
٧٥ +	١٠ر١	٨ر٨	٩ر٢	١٣ر٩
الجملة	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

(١) الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء مجموعة الاحصاءات الحيوية للجمهورية العربية المتحدة من سنة ١٩٣٠ - يوليو ١٩٦٨ - ص ١٠٥ - ١٣٥ .

وينبغي الإشارة الى أن دقة هذه المعدلات ترتبط بدقة الاحصاءات الحيوية وتدل الشواهد في كل مكان تقريبا على أن تسجيل وفيات الرضع يكون أقل من الواقع وبذلك يكون ناقصا - ويتزايد هذا النقص حيثما كانت وفيات الرضع مرتفعة ويكون أكثر شيوعا بين الوفيات في الساعات والايام الاولى من العمر ، ونتيجة ذلك فان بيانات وفيات الاطفال المبكرة تعد أقل البيانات ثقة على الاطلاق (١) .

٤ - معدل الوفيات حسب السبب :

وهو من المعدلات المستخدمة في دراسة الوفيات في المجتمعات المختلفة حيث يبين مستوى الصحة العامة والامراض السائدة وتفاوت دورها في الوفيات التي تحدث للافراد ، ونصنف الوفيات في كثير من الاقطار حسب الاسباب التي أدت اليها وتعد هذه المعدلات أساسا هاما لمقارنة الدول حسب مستواها الصحى السائد .

وتحسب معدلات الوفيات حسب السبب عن طريق نسبة عدد الوفيات في سنة ما الناجمة عن سبب ما الى جملة سكان منتصف السنة مضروبا في ١٠٠٠٠ أو ١٠٠٠٠٠ ، وغالبا ما تحسب هذه المعدلات لكل فئة عمرية باستخدام نفس الصيغة لكل فئة من الفئات وتكون حينئذ معدلات وفيات عمرية سببية .

وعلى ذلك تكون صيغة هذا المعدل على النحو التالى :

$$\text{معدل الوفيات حسب السبب} = \frac{\text{عدد الوفيات الناتجة عن سبب ما في سنة معينة}}{\text{جملة عدد السكان في منتصف السنة}} \times 100000$$

ويلاحظ أن مجموع معدلات الوفيات الخاصة بالسبب في المجتمع يساوى معدل الوفيات به ، وهو في تلك الحالة يكون لكل ١٠٠٠٠٠٠ نسمة .

وبالرغم من أهمية المعدلات الخاصة بالسبب الا أن البيانات اللازمة لحسابها لاتخلو من أخطاء أبرزها عدم الدقة في تشخيص سبب الوفاة ، ذلك لان هذا الامر يرجع الى حكم شخصى مباشر ، ولذا تتأثر بيانات اسباب الوفاة بتفاوت المهارات الطبية والتوزيع الجغرافى للخدمات الطبية

(١) جورج و. باركلي - أساليب تحليل البيانات السكانية (مترجم) - القاهرة ١٩٦٨ - ص ٢١٤ .

في داخل القطر الواحد أو بين الاقطار بعضها وبعض . ولذلك فان معدلات الوفيات الخاصة بالسبب غالبا ماتحسب لفئات عريضة من الاسباب حيث يمكن تمييز مجموعات رئيسية من الامراض المسببة للوفاة مثل الامراض المعدية والطفيلية وأمراض الجهاز الهضمي وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض الجهاز الدموي وأمراض الشيخوخة والحوادث .

٥ - معدلات الوفيات حسب المهنة والحالة الاجتماعية والاقتصادية :

بالاضافة الى المعدلات السابقة يمكن حساب معدل وفيات خاص بمجموعات سكانية محددة حسب نشاطها الاقتصادي - أو حسب المهن التي يمارسها الافراد ولاختلف في طريقة حسابها عن المعدل الخام أو العمرى النوعى حيث يكون عدد الافراد في كل مهنة في سنة معينة مقاما للصبغة الحسابية وعدد الوفيات من هؤلاء الافراد في نفس المهنة بسطا لها وعلى ذلك فان صيغته تكون على الوجه التالى :

$$\text{معدل الوفيات حسب المهنة} = \frac{\text{عدد الوفيات في مهنة معينة في سنة ما}}{\text{عدد السكان في نفس المهنة ونفس السنة}}$$

١٠٠٠ ×

ويكون من الضروري في أغلب الاحيان حساب معدلات الوفيات الخاصة بالمهن لكل فئة عمرية للذكور والاناث كل على حدة .

وترجع أهمية معدل الوفيات المهني الى تحديد مخاطر الوفاة المرتبطة بالمهن المتعددة التي يشملها النشاط الاقتصادي في المجتمع فالتعدين والعمل في المحاجر والصناعات الكيماوية أكثر خطورة من العمل الكتابي أو التجارى ولكن ينبغي الاشارة الى أن الوفيات المهنية ليست ناجمة بأكملها عن ظروف العمل المختلفة بل ترتبط باختلاف المهنة ومستوى الدخل والحالة التعليمية والمستوى الحضارى بصفة عامة ، كذلك فان من الامور الهامة في معدلات الوفيات المهنية أن تكون خاصة بالعمر والنوع وذلك لاختلاف المهن اختلافا كبيرا في التركيب العمرى النوعى للعاملين بها .

ومن الواضح أن معدلات الوفيات تختلف في داخل المجتمع الواحد مرتبطة في ذلك بتباين التركيب العمرى والنوعى - ولعل من مظاهر ذلك ارتفاع معدل الوفيات للذكور عن الاناث في كل الاعمار وفي معظم الاقطار بالعالم كما أن الفجوة بين منحنى الوفيات العمرى الخاص بالذكور ، والخاص بالاناث تتسع بالتقدم في العمر ، ويرتبط ذلك بعوامل بيولوجية أساسا .

الا أن تباين الوفيات بين الجماعات العرقية مثل الزوج والبيض في الولايات المتحدة والماورى والاوربيين في نيوزيلنده يدل على أن العوامل البيولوجية ليست هى الاسباب الرئيسية لاختلافات الوفاة بين تلك الجماعات ، فى الوقت الذى تعد فيه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية مسئولة عن ذلك الى حد كبير ، ولعل أبرز دليل على صحة القول هو هبوط معدل الوفيات فى اليابان - وهى دولة آسيوية - الى نفس مستوى مثيله فى الدول الاوربية .

وتبدو الفوارق العرقية من السمات الهامة لظاهرة الوفيات فى بعض المجتمعات مثل دول جنوب شرق افريقيا ، ففى جنوب افريقيا يختلف مستوى الوفاة بين البيض والاسيويين والافريقيين على النحو التالى (١) :

معدل وفيات الرضع	معدل الوفيات الخام	
٢٠ر٤	٨ر٦	الاوربيون
٦٨ر٤	٨ر٢	الاسيويون
١٣١ر٩	١٦ر٣	الملونون

ويبدو واضحا من مقارنة هذه الارقام مدى التناقض فى الوفيات بين هذه الجماعات حيث يتمتع البيض والاسيويون بمعدلات منخفضة عن الملونين ويرجع ذلك الى عدة عوامل اجتماعية واقتصادية - كما يرجع جزئيا الى التوزيع الجغرافى للسكان غير الافريقيين حيث يتركزون فى المدن وهى التى يتوفر فيها الاطباء وتتركز المستشفيات .

وتعد الفوارق الحضرية الريفية ظاهرة هامة فى اختلاف مستوى الوفيات ، ففى بعض الفترات كانت المدن الكبرى فى انجلترا أقل فى مستواها الصحى عن الريف الانجليزى وعانت كثيرا من ارتفاع الوفيات بها ، الا أن هذه الفوارق قد انتهت فى السنوات الأخيرة نتيجة التقدم الطبى وتحسين ظروف العيش فى المدن وتتركز المستشفيات والاطباء بها ، وقد أصبح هذا العامل الاخير سببا فى خفض معدلات الوفيات بالمدن عنها فى الريف فى الوقت الحاضر ويبدو ذلك بوضوح فى الدول النامية التى يقل فيها معدل الوفيات فى الحضر عنه فى الريف ، ومع ذلك فليست هذه هى القاعدة العامة فى تباين الوفيات الحضرى الريفى ذلك لان التناقض بينهما يكون كبيرا فقط فى وفيات الاطفال الرضع .

(1) Clarke J. Population Geography. Op. Cit., p. 16,

اتجاه الوفيات وتطورها :

شهد العالم بمختلف قاراته هبوطا في مستوى الوفيات في العصر الحديث عما كان عليه من قبل وكان هذا الهبوط سابقا عن انخفاض الخصوبة في دول العالم وارتبط في ذلك بمظاهر التقدم الحضارى الاجتماعى والاقتصادى وخاصة في الدول المتقدمة ، وبالرغم من أن الوفيات قد انخفضت في القارات المتقدمة (أوربا وأمريكا الشمالية وأستراليا) مبكرا، إلا أنها استمرت في الانخفاض التدريجى بنسبة أقل من القارات النامية حتى الستينيات من هذا القرن كما يبدو من مقارنة الأرقام الواردة في الجدول رقم (١٢) .

جدول رقم (١٢) تطور معدل الوفيات الخام في أقاليم العالم منذ سنة ١٩٣٧ (١)

معدل الوفيات الخام			الاقليم
١٩٩١	حوالى ١٩٧٦	حوالى ١٩٣٧	
١٤	١٩	٣٥ - ٣٠	أفريقيا
٩	١٣	٣٥ - ٣٠	آسيا
٧	٩	٢٥ - ٢٠	أمريكا اللاتينية أوربا وأمريكا الشمالية وكومونولث الدول المستقلة وأستراليا
٩	٩	- ١٣	
٩	١٣	٢٧ - ٢٤	العالم

ويمكن تقسيم اتجاه الوفيات في العالم الى نمطين رئيسيين : نمط الهبوط في العالم المتقدم ، والآخر في العالم النامى ، وقد حدث الاول منذ فترة مبكرة في بعض الدول المتقدمة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأوائل العشرين كما في أوربا وأمريكا الشمالية وأستراليا، وقد شهدت الدول الاسكندنافية هبوط الوفيات بها في القرن الثامن عشر ، وشهد معظم باقى قارة أوربا ذلك في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ومازال

(1) United Nations, World Population Trends, 1920-1947. Population Studies, No. 3 (1949) and Demographic Year book 1978.

NED., Populations et Sociétés. 1991, No. 259.

اليجبوظ مستمرا فى معدلات وفيات الرضع وان كانت قد وصلت الى مرحلة استقرار فى الوقت الحاضر كما وصل معدل الوفيات الخام الى نفس المرحلة ولم تعد مشكلة هذه الدول مرتبطة بتخفيض وفيات الرضع ولكن محاولة تخفيض معدل وفيات المسنين عن طريق مقاومة الامراض التى تؤدى الى ذلك مثل امراض الجهاز الدورى الدموى والمرطان حيث شهدت بعض الدول المتقدمة تزايدا فى الوفيات بين كبار السن من هذه الامراض وغيرها ، ولاشك ان تزايد معدل الوفيات بالتقدم فى السن امر حتمى - ناتج عن انخفاض الوفيات فى الاعمار المبكرة .

وكانت دول شمال اوربا اولى دول العالم التى شهدت هبوطا فى معدل الوفيات ، حيث انخفض من ٣٠ فى الالف فى المتوسط فى بداية القرن التاسع عشر الى ١٨ فى الالف سنة ١٩٠٠ ثم الى ٩ فى الالف فى الوقت الحاضر ، ويرجع ذلك لمجموعة من الاسباب المتشابهة من أبرزها الاكتشافات العلمية الحديثة فى مقاومة الامراض وتحسين مستويات العيش ، وقبل سنة ١٧٥٠ لم يكن للرعاية الطبية اثر فى تحسين المستوى الصحى العام للشعوب ، ثم ادخلت بعد ذلك دراسات طبية مثل الجراحة والتشريح وغيرها مما كان له اثر فى معرفة بعض اسباب الوفاة ومقاومة بعض الاويئة والامراض المعدية فبعد سنة ١٧٩٦ ويفضل أبحاث جنر Jenner بدأ التطعيم ضد الجدرى وأصبح معروفا بعد ذلك ، مما أدى الى خفض معدلات الوفيات الناتجة عن هذا المرض والذي كان مسئولاً عن حوالى ١٠٪ من جملة الوفيات وحوالى ٣٠٪ من وفيات الاطفال أقل من ٤ سنوات (١) .

وقد واكب الاكتشافات الطبية لمقاومة الامراض تقدم اقتصادى فى نفس الفترة شمل تطورا كبيرا فى وسائل النقل وثورة فى الصناعة وما ترتب على ذلك من تزايد فى علاقات الشعوب ترتب عليها أيضا انتشار الاكتشافات الطبية خارج القارة الاوربية ، كذلك فقد أسهم التقدم الزراعى فى توفير الغذاء لعدد أكبر من السكان .

وقد انخفض منحى الوفيات فى كثير من دول غرب اوربا انخفاضا ملموسا فى القرن التاسع عشر ، وكان لتصدير الخبرة الاوربية الى خارج اوربا اثر كبير فى تخفيض معدلات الوفيات فى فترة أسرع من مثيلتها فى الدول الاوربية ، ففى الوقت الذى استغرق فيه المعدل قرنا من الزمان لى

(1) Beaujeu - Garnier, J., Geography of Population, Op. Cit.. p.88.

يهبط من ٢٣ر٣ في الالف سنة ١٨٥٠ الى ١١ر٦ في الالف سنة ١٩٦٠ في بعض الدول الاوربية ، نجد أن ذلك لم يستغرق أكثر من ثلاثين عاما فقط في اليابان ، حيث انخفض المعدل بها من ٢٣ في الالف سنة ١٩٢٠ الى ١١ر٦ في الالف سنة ١٩٤٩ ، وقد شهدت الاقطار الاخرى خارج أوروبا والتي يسكنها سكان من أصل أوربي هبوطا مماثلا كما هي الحال في كندا والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا ثم تبعتها بعد ذلك دول أخرى كثيرة في باقى العالم .

وعلى النقيض من ذلك فان الهبوط في الوفيات في الدول النامية لم يحدث الا في العقدين أو الثلاثة عقود الأخيرة فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وأدى ذلك الهبوط في الوفيات مع استمرار معدلات الخصوبة على وضعها الطبيعى الى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بهذه الدول ، وقد انعكس ذلك على تزايد الفئات العمرية الصغرى بها ، وقد كان هذا الهبوط في مستوى الوفيات ناتجا عن اعتماد هذه الدول النامية على الاسباب والوسائل الطبية الحديثة التى استوردتها من الدول المتقدمة مما أدى في النهاية الى استمرار تزايد أمد الحياة (Life expectancy) حتى بدون أن يرتبط ذلك بتقدم اقتصادى كبير في هذه الدول .

ومع ذلك فان الدول النامية لم تشهد كلها هبوطا في الوفيات بدرجة متساوية حيث كان الهبوط ضئيلا في بعضها مثل الهند والبرازيل - وكثيرا في البعض الاخر مثل تايوان وسريلانكا وفنزويلا ، وعلى العموم فان التباين في مستوى الوفيات يكون بصورة أوضح بين الدول النامية أكثر منه بين الدول المتقدمة وخاصة عندما يكون هذا التباين مرتبطا بالمهنة أو المستوى الاقتصادى والاجتماعى مثل الفئات المهنية والمجموعات العرقية وبين المجتمعات الحضرية والريفية .

المستوى الحالى للوفيات فى العالم :

تقدر الامم المتحدة معدل الوفيات فى العالم سنة ١٩٩١ بحوالى ٩ فى الالف وتتباين أقاليم العالم فى هذا المعدل تباينا كبيرا حيث يتراوح مداه بين ٨ الى ١٩ فى الالف (جدول رقم ١٣ وشكل رقم ١٥) ويعد المستوى الحالى للوفاة نتاجا لجهود الدول فى الفترة السابقة فى محاولة تخفيض وفيات سكانها بشتى الوسائل كما سبق القول فقد انخفض المعدل فى الدول المتقدمة على امتداد فترة طويلة ، ولاشك أن نسبة الانخفاض فى هذا المعدل ستكون ضئيلة ان حدث هبوط بعد ذلك كما هو ظاهر فى معظم الدول الاوربية وأمريكا الشمالية واستراليا واليابان والاتحاد السوفيتى .

وقد تميز الاتحاد السوفيتى بجهود كبيرة فى سبيل رفع المستوى الصحى لسكانه ، فقد كان هناك طبيب واحد لكل ١٦٥٠ نسمة فى سنة ١٩٣٧ انخفضت هذه النسبة الى طبيب لكل ٦٦٦ نسمة سنة ١٩٥٦ ، وقد استطاع السوفيت التغلب على كثير من الامراض مثل الجدرى والدفتريا والتيفود وغيرها من الامراض المعدية ، كذلك انخفضت حالات الدرن الى ١/١ أو ١٥/١ مما كانت عليه من قبل وأنشئت كثير من المستشفيات التى أسهمت فى رفع المستوى الصحى .

أما الدول النامية والتى شهدت هبوطا كثيرا فى مستوى الوفيات ، فمازال المعدل بها أعلى من مثيله فى الدول المتقدمة ويعد ذلك ناتجا عن عدد من العوامل المتشابهة أهمها تخلف هذه الاقطار الاقتصادية والاجتماعى وفقر البيئة المحلية ، وكثير من الدول تعوزه الارقام الدقيقة عن المستوى العام للوفاة بها وتعتمد فى ذلك على تقديرات لمعدلات الوفاة أجريت فى هذه الدول أو باستخدام أرقام التعدادات بها ، وهذه الاقطار تقع فى النطاق المدارى فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وجنوب شرق آسيا ، بالرغم من أن كثيرا من دول هذا النطاق قد خطا نحو رفع المستوى الصحى خطوات ملحوظة وخاصة فى المدن الا أن كثيرا من قطاعات السكان مازال فى مستوى صحى متخلف وخاصة فى المناطق الريفية .

ويبدو من جدول رقم (١٣) أن قارة أفريقيا تعد أعلى القارات فى مستوى الوفيات حتى أن معدل الوفيات الخام بها يصل الى ضعف مثيله فى العالم المتقدم وأكثر من الضعف فى أمريكا اللاتينية ، ومن الملاحظ أن مستوى الوفاة فى قارتى آسيا وأفريقيا هو الذى يحدد معدل الوفيات فى الدول النامية بصفة عامة ذلك لان هاتين القارتين تحويان أكثر من ٨٥% من سكان العالم النامى ، كذلك يوضح الجدول مدى التجانس فى مستوى الوفاة بين اقاليم العالم المتقدم والتباين فى الاقاليم النامية والتى يختلف المعدل بها من ٩ الى ١٣ فى الالف .

تطور وفيات الرضع :

سبق القول بأن معدل وفيات الاطفال الرضع يبين عدد الوفيات من الاطفال الذين يقل عمرهم عن سنة وذلك من بين كل ١٠٠٠ مولود فى السنة نفسها ، وتلقى دراسة وفيات الرضع أهمية خاصة فى الحديث عن الوفيات فى أى مجتمع حيث ترتفع معدلات الوفيات فى هذه المرحلة العمرية ارتفاعا ملموسا وبالتالي فانها تشكل جزءا كبيرا من مجموع الوفيات حيث يكون الاطفال القاعدة العريضة للهرم السكانى بصفة عامة .

جدول رقم (١٣)

معدل الوفيات الخام في أقاليم العالم في عامي ١٩٧٦ ، ١٩٩١ (١)

المعدل في الألف		جملة عدد السكان بالمليون سنة ١٩٩١	الأقليم
١٩٩١	١٩٧٦		
٩	٩	١٢١٩	العالم المتقدم
١٠	١٠	٥١٥	أوروبا
٩	٩	٢٥٣	الولايات المتحدة
١٠	٩	٢٧٩	كومنولث الدول المستقلة
٧	٦	١٢٤	اليابان
٧	٩	٤٨	كندا وأستراليا ونيوزيلندا
١٠	١٤	٤١٦٥	العالم النامي
١٤	١٩	٦٧٧	أفريقيا
٩	١٣	٣٠٣٧	آسيا باستثناء اليابان
٧	٩	٤٥١	أمريكا اللاتينية
٩	١٣	٥٣٨٤	جملة العالم

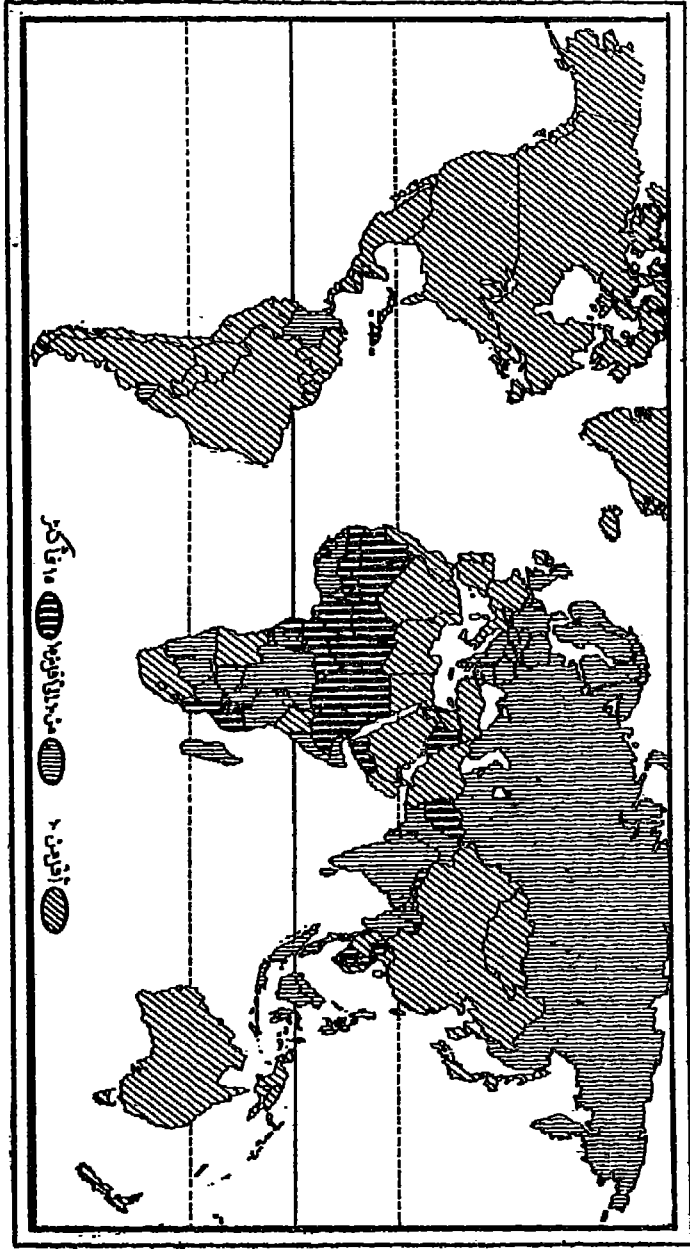
ولقد سبق الحديث عن مشكلات دراسة وفيات الرضع وخاصة أن احصاءاتهم الحيوية تكون مبهمة وغير موثوق بها تماما فهناك مثلا مشكلة الاطفال الذين يموتون بعد مولدهم بقليل حيث أنهم قد لا يقيدون ضمن المواليد أو الوفيات ، ويضاف الى ذلك أن تعريف المولود الحى (Live birth) يعد مشكلة أخرى حيث يختلف الرأى حول تحديد هذا التعريف حتى بين الاطباء أنفسهم وليس بين الديموغرافيين فقط الذين يختلط عليهم الامر أحيانا في تحديد وفيات الرضع أو المولودين أو حالات الاجهاض .

ولقد كانت معدلات وفيات الاطفال الرضع مرتفعة بدرجة ملحوظة في معظم دول العالم ، فيقدر جون جرونت (John Graunt) أنه في حوالى سنة ١٦٦٢ لم يكن يعيش من بين كل ١٠٠٠ طفل يولدون في لندن سوى

(١) المصدر :

(1) U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1977, p. 14.

INED., Populations et Sociétés, 1991, No. 259.



شكل رقم (١٥)
 مستوى الوفيات في العالم (المعدل في الألف)

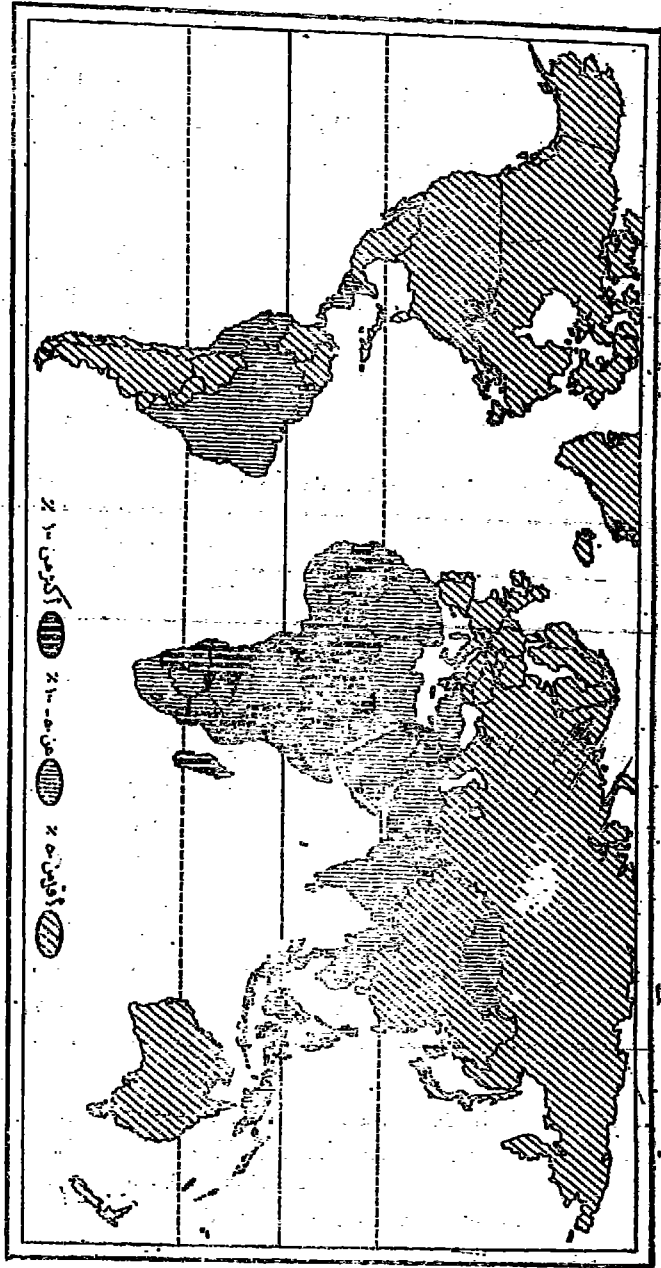
٦٤٠ فقط حتى سن السادسة وكذلك بالنسبة لفرنسا حيث قدر دوبريه دى سان مور (Duprés de St. Maur) أنه من بين كل ١٠٠٠ طفل يولد لم يعيش الى سن الخامسة سوى ٥٤٠ طفلا ، وفي السويد في نهاية القرن الثامن عشر كان يموت دون السنة الواحدة من العمر ٢٠٠ طفلا من بين كل ١٠٠٠ مولود خلال نفس السنة. وتوضح هذه الارقام أن وفيات الاطفال في السنوات القليلة الاولى من أعمارهم كانت مرتفعة للغاية في أوروبا قبل أن يصبح للثورتين الصناعية والزراعية تأثير كبير في اقتصاد دولها، ومع ذلك فقد بدأت هذه المعدلات في التناقص في بعض هذه الدول منذ نهاية القرن الثامن عشر.

ويبين الجدول رقم (١٤) تطور معدل الوفيات للاطفال الرضع منذ أوائل القرن العشرين في بعض الدول وتبدو منه حقيقتان هامتان • الاولى الانخفاض الكبير الذى شهدته كل الدول دون استثناء وان كان هذا الهبوط بنسب متفاوتة، والحقيقة الثانية أن مستوى وفيات الرضع في الدول النامية في الوقت الحاضر يتشابه الى حد كبير مع نفس المستوى للدول المتقدمة: في أوائل هذا القرن وبفارق زمنى يصل الى ستين عاما • شكل رقم (١٦) •

جدول رقم (١٤) تطور وفيات الرضع في بعض الدول (١)

الدولة	١٨٩٨-١٩١٨		١٩٣٨-١٩٤٨		١٩٥٦-١٩٥٦	
	١٩٠٢	١٩٢٢	١٩٤٢	١٩٥٢	١٩٦٠	١٩٧٦
السويد	٩٨	٦٥	٣٨	٢٢	١٧	٦
بريطانيا	١٥٢	٨٥	٥٤	٣١	٢٣	٨
الدانمرك	١٣١	٨٤	٥٤	٣٢	٢٤	٨
فرنسا	١٥٤	١١٢	٧٣	٥٣	٣٢	٧
اليابان	١٥٥	١٧٢	٩٦	٥٨	٣٦	٥
استراليا	١١١	٦٣	٣٩	٢٥	٢١	٨
الهند	(*)	٢١٢	١٥٩	١٢٤	٩٨	٩١
شيلي	٣٤٩	٢٥٨	٢١٤	١٤١	١٢٠	١٩
مصر	(*)	(*)	١٦٠	١٣٢	١١٧	٧٣
تشاد	(*)	(*)	(*)	(*)	(*)	١٢٧
غينيا	(*)	(*)	(*)	(*)	(*)	١٤٧

- (١) أ - تومبسون و ، لويس د • - مشكلات السكان - ترجمة راشد البراوى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ٥٥٠ •
ب - (*) بيانات غير متوفرة •
ج - U. S. Department of Commerce, Op. Cit.,
د - INED., Populations et Sociétés, 1991, No. 259.



شكل رقم (١٦)
 معدل وفيات الرضيع

وتتأثر وفيات الرضع بمجموعة من العوامل أهمها العوامل الاجتماعية والاقتصادية للأسرة بل وكذلك الظروف المناخية السائدة، ذلك لان ظروف البيئة المحلية التي يولد فيها الطفل تكون ذات أثر فعال في حياته ، وقد أثبتت بعض الدراسات أن هناك علاقة عكسية بين معدلات وفيات الاطفال الرضع والحالة الاجتماعية والاقتصادية ، ففي فرنسا وجد أن متوسط وفيات الرضع في الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٧٠ يصل الى ٢٠ في الالف ولكن هذا المعدل يختلف فيما بين الطبقات الاجتماعية حيث يصل الى ١٢ عند الطبقات الاجتماعية العليا و ١٧ عند الطبقات الوسطى وأغلب أفرادها من التجار المهنيين الموسرين و ٢٤ في الالف بين العمال الزراعيين و ٢٨ بين العمال الحرفيين ومن على شاكلتهم(١) وذلك كله لان حياة الرضيع تتأثر في أيامها المبكرة بالظروف المحيطة به الى حد كبير ومدى ماتوفره له من أسباب الرعاية الصحية والتغذية السليمة .

كذلك يبدو أثر الظروف المناخية في تباين معدلات وفيات الرضع، ذلك لان ارتفاع درجات الحرارة يؤثر في انتقال الامراض المعدية بينما يؤثر انخفاضها في الجهاز التنفسي للاطفال والذين يكونون أكثر حساسية للتغيرات المناخية وظروف الطقس .

وتختلف أسباب وفاة الرضع حسب العمر اختلافا جوهريا فهي ترتفع ارتفاعا واضحا في الايام الاولى ، ففي الشهر الاول تكون أسباب الوفاة داخلية ، كأمنة يولد الطفل بها في الغالب ، أو ترتبط بعملية الميلاد ذاتها، وهي تمثل نسبة عالية من مجمل وفيات الرضع حتى في البلاد المتقدمة التي تنخفض فيها معدلات الوفيات انخفاضا ملحوظا .

وليست هناك فوارق جوهرية في معدل الوفيات لاقبل من شهر بين الدول، كما هي الحال في الفوارق السائدة في المعدل السنوي لاقبل من سنة، وذلك لان الوفيات خلال الشهر الاول تكون لاسباب كأمنة - كما سبق القول وليست بيئية في الغالب ، ولكن على العكس من ذلك تبدو في الاحد عشر شهرا التالية الفوارق الجوهرية بين الدول، ذلك لان الاسباب في خلال هذه الشهور تكون ناتجة عن ظروف البيئة الاقتصادية والاجتماعية مما يمكن تسميته بالاسباب الخارجية ، وهي تشمل الامراض المعدية التي

(1) Gerard. M. et Henry, La Mortalité Infantile en France Suivaut Le Mèlieu Social, International Population Conference Liege. 1973. Vol. 3. pp. 171-183.

تساعد ظروف البيئة على انتشارها ، ومن الثابت أنه في دول مثل فرنسا فإن نصف وفيات الرضع تنتج خلال هذه الفترة عن أسباب اجتماعية تتعلق بظروف الاسكان والمستوى الاجتماعى للأفراد .

ويمكن القول بأن الاسباب الخارجية المؤثرة في وفيات الرضع هي التي يمكن التحكم فيها الى درجة كبيرة وهي التي تؤثر في انخفاض معدلات الوفيات العامة على مستوى الدولة ، أما الاسباب الكامنة فمن الصعب التحكم فيها وقلما يكون هناك تأثير واضح لها على مستوى الوفاة في الدولة كلها ، ففي اليابان مثلا هبط معدل الوفيات للأطفال الرضع من ٦١.٧ في سنة ١٩٤٨ الى ٣٩.٨ في سنة ١٩٥٥ ، ورغم ذلك فإن معدلات الوفيات للاسبوع الاول بعد الولادة ظلت ثابتة ولم يهبط معدل الشهر الاول الا بمقدار ٦ وحدات فقط (من ٢٨.٢ الى ٢٢.٤ في الالف) بينما بلغ الهبوط في معدل الاحد عشر شهرا الاخيرة ١٦ وحدة (من ٣٣.٥ الى ١٧.٥ في الالف) .

اسباب الوفيات :

سبق القول بأن بيانات اسباب الوفاة تتأثر ببعض العوامل منها تفاوت المهارة الطبية والتوزيع الجغرافي للخدمات الصحية ومن ثم لا تصبح المقارنات الاقليمية على مستوى واحد من الدقة في حساب معدلات الوفيات وفضلا عن ذلك فقد يكون هناك سببان أو أكثر مؤديان الى الوفاة دون وجود أساس واضح للاختيار بينهما ، وحتى يمكن تجنب أخطاء البيانات فإنه يمكن حساب معدلات الوفيات الخاصة بالسبب لفئات عريضة من الاسباب ، ويمكن تمييز فئات رئيسية معينة من الامراض المعدية ربما الملاريا وأمراض الجهاز التنفسي والهضمي والحوادث ببعض الوضوح ، وحتى مع وجود مستوى عال للدقة فإن هذه المعلومات من الاهمية بدرجة يجوز معها التجاوز عن بعض أخطاء التشخيص بها(١) .

كذلك فقد سبق القول بأن هناك مجموعتين من الاسباب المؤدية للوفاة احدهما مجموعة الاسباب الكامنة Endogenetic .والثانية مجموعة الاسباب الخارجية Exogenetic وتعد المجموعة الاخيرة نتاجا من نتائج البيئة الجغرافية ، وتشمل الامراض الطفيلية والمعدية وأمراض الجهاز الهضمي ، وهذه ترتبط أساسا بالميكروبات وبالظروف المناخية وموارد الغذاء وأحوال

(١) باركلي - المرجع السابق - ص ص ٢٢٩ - ٣٣١ .

المعيشة ، وعلى العكس من ذلك فان الاسباب الكامنة تعد في معظمها بيولوجية وهى في ذلك ترجع الى أسباب خلقية Congenital أو راجعة الى تغير سريع في التركيب الوظيفى للجسم ، وتعتبر العوامل المؤدية الى وفيات الرضع في الايام الاولى من حياتهم وكذلك الاورام الخبيثة وأمراض الجهاز الدورى والدموى ضمن هذه الاسباب الكامنة .

وليس الامر كذلك في الامراض الكامنة التى ارتفع معدل الوفيات بها ارتفاعا ملحوظا ، ويعد السرطان وهو أحدها في تزايد مستمر بل يقدر أن نسبة الإصابة به قد تضاعفت حوالى ١٥ مرة - ويعزى بعض الباحثين ذلك الى انه يصيب السكان في الاعمار المتقدمة في معظم الاحوال ولما كان أمد الحياة في تزايد مستمر وبالتالي يتزايد عدد السكان في الاعمار الكبيرة فان حالات الوفاة تكون كثيرة بينهم ومن أسبابها هذا المرض الذى بدأ تشخيصه ومحاولة التصدى له يحظى باهتمام كبير في دول العالم .

ويبدو من مقارنة معدلات الوفيات حسب الاسباب في الدول المتقدمة مثل فرنسا ودول الكومنولث الجديد (جدول رقم ١٥) أن أسباب الوفيات الرئيسية بها مختلفة حيث تسهم الاسباب الداخلية بنسبة عالية في الوقت

جدول رقم (١٥) معدل الوفيات حسب السبب والنوع
(لكل ١٠٠.٠٠٠ نسمة) في فرنسا والكومنولث الجديد(١)

السبب	ذكور		اناث	
	فرنسا	الكومنولث	فرنسا	الكومنولث
أمراض معدية	١٥	٣٤	٨	١٥
أورام خبيثة	٣٢٠	٢٦٣	١٤٠	١٢٦
أمراض الدورة الدموية	٣٦٣	٨٨٦	٢١٦	٦٠٧
أمراض الجهاز التنفسى	٧٨	١٦٧	٣٣	٧٢
أمراض الجهاز الهضمى	٧٠	٥٣	٣٥	٢٥
أسباب أخرى	١١٦	٢٠٦	٥٣	٥٦
الجملة	١٠٧٨	١٦٨٠	٥٦٩	٩٤٧

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, Avril 1988, No. 223.

الذى يقل فيه دور الاسباب الخارجية (جدول رقم ١٥) ، وعلى العموم فان دول شمال غرب أوروبا ودول الكومنولث تتصف باعلى نسبة في وفيات الامراض الكامنة الداخلية ، بل ان ثلث الاسباب الداخلية لوفيات الذكور في فرنسا ونصف وفياتهم في دول الكومنولث تتعلق بأمراض الدورة الدموية أما الاورام فان تزايد أمد الحياة وتعمير السكان كانا من الاسباب التي أدت الى ارتفاع نسبتها في هذه الدول .

أمد الحياة : Expectation of Life :

كان لاستمرار انخفاض معدل الوفيات وخاصة في الاعمار المبكرة أثره الواضح في ارتفاع متوسط طول عمر الفرد مما أدى الى تزايد عدد السكان الذين يصلون الى أعمار متقدمة فوق الستين أو الخامسة والستين ، ولقد تزايد متوسط العمر عند الوفاة في احدى المناطق بفرنسا من ٢٦ سنة في سنة ١٧٢٧ الى ٣٣ سنة في سنة ١٧٩٦ ثم الى ٣٨ سنة في سنة ١٨٢٠ و ٥٢ سنة في نهاية القرن التاسع عشر حتى وصل الى ٥٧ سنة عند مشارف الحرب العالمية الثانية ، ويعد هذا النمط المتزايد هو المميز لكثير من دول العالم في الوقت الحاضر .

ويقاس أمد الحياة باستخدام أساليب احصائية تعتمد على جدول الحياة ويحسب دائما عند الميلاد أو عند أي فئة عمرية ، وهو ببساطة عبارة عن عدد السنوات التي يتوقع أن يعيشها الفرد الواحد في أي سن معلومة ، وهو يحسب باستمرار للذكور والاناث كل على حدة (١) .

ومن الملاحظ أن توقع الحياة يكون بالنسبة للاناث أكبر منه كثيرا بالنسبة الى الذكور في كل الفئات العمرية وذلك لما تتصف به الاناث من امكانية البقاء على قيد الحياة لفترة أطول منها عند الذكور ويفسر ذلك الى حد بعيد الزيادة الكبيرة في عدد الارامل من الاناث عنها في الذكور وذلك في المراحل المتأخرة من العمر .

كذلك فان من الملاحظ على منحني توقع الحياة العمرى أنه يكون في سن الواحد من العمر بالضبط أعلى منه عند الميلاد بالنسبة لكل من الذكور والاناث ويرجع ذلك بوجه عام الى أن وفيات الاطفال الرضع تمثل خطرا كبيرا يتعرض له المولودون حديثا وبذا يكون احتمال الوفاة لديهم أكبر بكثير منه لدى جميع الاطفال والبالغين في أي سن ابتداء من سن الواحدة

(١) تومبسيون ولويس : المرجع السابق : ص ٥٣٦ .

حتى سن الخمسين ، ومع هذا فان الانخفاض الكبير في وفيات الاطفال هو الذي يفسر معظم الزيادة في توقع الحياة منذ القرن الماضي وبقيّة هذه الزيادة يفسرها النقص في معدلات الوفيات بالنسبة الى الاطفال من ١٤ - ١٥ والشباب من ١٥ - ٢٥ سنة .

ومما له أهمية كبيرة في دراسة أمد الحياة ، مقارنة على امتداد فترة زمنية طويلة لدراسة مدى التغير الذي اعتراه وما يعكسه ذلك من تطور صحي واجتماعي واقتصادي ولعل في مقارنة تطور توقع الحياة في فرنسا مايدل على ذلك (جدول رقم ١٦) حيث ارتفع أمد الحياة بمقدار ثلاثين عاما لكلا الجنسين على امتداد فترة تزيد على ١٢٠ سنة .

جدول رقم (١٦) تطور أمد الحياة في فرنسا

حسب النوع - منذ سنة ١٧٤٠ - ١٧٤٩ (١)

الفترة	أمد الحياة عند المولد بالنسبة		الفترة	أمد الحياة عند المولد بالنسبة	
	ذكور	إناث		ذكور	إناث
١٧٤٠-١٧٤٩	٢٣ر٨	٢٥ر٧	١٨٨١-١٨٧١	٤٣ر٦	٤٠ر٨
١٧٥٩-١٧٥٠	٢٧ر١	٢٨ر٧	١٨٩٨-١٨٩٨	٤٨ر٧	٤٥ر٣
١٧٦٩-١٧٦٠	٢٦ر٤	٢٩ر٠	١٩١٣-١٩٠٨	٥٢ر٤	٤٨ر٥
١٧٧٩-١٧٧٠	٢٨ر٢	٢٩ر٦	١٩٢٣-١٩٢٠	٥٥ر٩	٥٢ر٢
١٧٨٩-١٧٨٠	٢٧ر٥	٢٨ر١	١٩٣٣-١٩٢٨	٥٩ر٠	٥٤ر٣
١٧٩٩-١٧٩٠	-	٣٢ر١	١٩٣٨-١٩٣٢	٦١ر٦	٥٥ر٩
١٨٠٩-١٨٠٠	-	٣٤ر٩	١٩٥٦-١٩٤٦	٦٧ر٤	٦١ر٩
١٨١٩-١٨١٠	-	٣٧ر٥	١٩٥٦-١٩٥٢	٧٠ر٩	٦٤ر٧
١٨٢٩-١٨٢٠	٣٨ر٣	٣٩ر٣	١٩٦٤-١٩٦٠	٧٤ر٣	٦٧ر٢
١٨٣٧-١٨٣٥	٣٩ر٢	٤٠ر٧	١٩٧٠-١٩٦٦	٧٥ر٢	٦٧ر٧
١٨٤٦-١٨٤٥	٤٠ر٧	٤١ر٩	١٩٧٧-١٩٧٣	٧٧ر٠	٦٩ر١
١٨٥٧-١٨٥٥	٣٧ر٧	٤٠ر١	١٩٨٦-١٩٨٤	٧٩ر٥	٧١ر٣
١٨٦٥-١٨٦١	٣٩ر١	٤٠ر٦	١٩٩١-١٩٨٩	٨٠ر٦	٧٢ر٤

(١) المصدر:

INED., Population et Sociétés, Nov. 1988, No. 229.

ويرجع هذا الارتفاع في متوسط أمد الحياة الى مجموعة من العوامل أبرزها التقدم السريع الذي أحرزته البشرية وخاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية في مجال مقاومة الامراض وخاصة المعدية منها وذلك فيما يعرف بالمضادات الحيوية وغيرها ، وقد استفادت دول كثيرة ومنها الدول النامية بطبيعة الحال من هذا التقدم الطبى مما انعكس على تزايد أمد الحياة لسكانها في مختلف الاعمار .

وتختلف دول العالم في أمد الحياة لسكانها اختلافا كبيرا مثل اختلافها في كثير من المقاييس الحيوية الاخرى - ويمكن تقسيم هذه الدول الى ثلاث مجموعات رئيسية حسب توقع الحياة عند المولد يبينها الجدول رقم (١٧) والشكل رقم (١٧) .

جدول رقم (١٧) متوسط أمد الحياة في أقاليم العالم ١٩٩١
(متوسط الجنسين عند المولد) (١)

إقليم	أمد الحياة بالسنة	إقليم	أمد الحياة بالسنة
أفريقيا	٥٣	الأوقيانوسية	٧٢
آسيا	٦٤	أمريكا الشمالية	٧٥
أمريكا اللاتينية	٦٧	أوروبا	٧٥
كومنولث الدول المستقلة	٧٠	(بدون الكومنولث)	٧٥
		متوسط العالم	٦٥

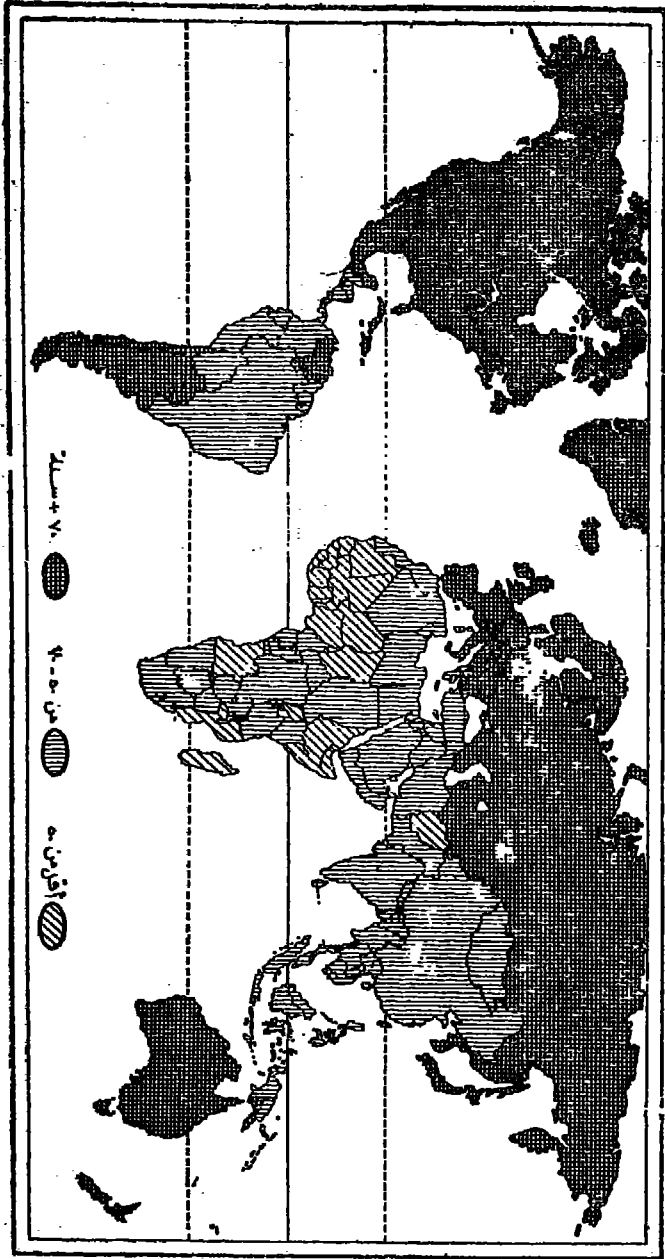
المجموعة الاولى : وهى التى يقل أمد الحياة بها عن ٥٠ سنة وهذه تشمل بعض دول أفريقيا المدارية (وعند كثير من الجماعات البدائية في البيئات المختلفة) .

المجموعة الثانية : ويتراوح متوسط أمد الحياة بها بين ٥٠ - ٧٠ سنة وتشمل الغالبية العظمى من الدول النامية في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وأفريقيا .

المجموعة الثالثة : وهى التى يزيد أمد الحياة بدولها على ٧٠ سنة وهى تشمل الدول المتقدمة في العالم سواء في أوروبا أو أمريكا الشمالية أو أمريكا اللاتينية المعتدلة وأستراليا بالإضافة الى كومنولث الدول المستقلة واليابان ، وهذه الدول قد حققت تقدما كبيرا في العقود الاخيرة ، وبين

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, Juillet - Aout, 1991, Nu. 259.



شكل رقم (١٧)
 أمد الحياة (متوسط النوعين معا)

دول هذه المجموعة مايربو أمد الحياة بها على ٧٠ سنة لكلا النوعين من الذكور والاناث مثل كندا والولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا والمملكة المتحدة والدول الاسكندنافية وهولنده .

وتبين الارقام التالية أمثلة لامد الحياة في دول العالم سنة ١٩٩١ (١) .

دولة متقدمة		دولة نامية	
أمد الحياة بالسنة		الدولة	أمد الحياة بالسنة
٧٤	بلجيكا	٤١	أفانستان
٧٥	النمسا	٤٢	غينيا
٧٥	الولايات المتحدة	٤٣	غامبيا
٧٧	كندا	٤٦	اثيروبيا
٧٧	فرنسا	٥٧	الهند
٧٨	السويد	٥٧	مصر
٧٩	اليابان	٦٥	ايران

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, 1991, No. 259.

الفصل السادس

النمو الطبيعي للسكان

يعد النمو السكاني في العالم أبرز الظواهر الديموغرافية المميزة في العصر الحديث حيث يمثل تحديا هاما للبشرية وخاصة بالنسبة للشعوب النامية التي يتزايد سكانها بمعدل كبير يزيد على معدل التزايد في التنمية الاقتصادية بها وعلى امكانيات توفير الغذاء لسكانها في ظل الظروف الراهنة . ويرتبط نمو السكان بالزيادة الطبيعية - وهي الفرق بين المواليد والوفيات دون أن تدخل الهجرة في حسابها ، ولذلك فان دراسة النمو السكاني القائم على أساس الزيادة الطبيعية في بلد ما يسهم في تحديد المدة التي يستغرقها هذا البلد في الوصول الى حجم معلوم اذا استمرت المعدلات بنفس مستواها ، فاذا كان معدل الزيادة الطبيعية في دولة ما هو ١٠ في الالف فانه يزيد بمعدل ١ في المائة سنويا بطبيعة الحال ، واذا استمر هذا المعدل ثابتا فان عدد سكان هذه الدولة يتضاعف في مدى ٧٠ عاما فقط ، ذلك لان السكان يزيدون وفقا لمبدأ الفائدة المركبة وليس مبدأ الفائدة البسيطة أي أن القاعدة وهي حجم السكان في سنة الأساس تزيد سنويا بمقدار الزيادة خلال السنة السابقة .

وبين الجدول التالي عدد السنوات التقريبي الذي يتطلبه شعوب ما كى يتضاعف عدده وفقا لمعدلات سنوية مختلثة للنمو الطبيعي وذلك بافتراض ثبات هذا المعدل من ناحية وأنه لا وجود لهجرة صافية من البلد أو اليه من ناحية أخرى (١) .

وفي ضوء معدلات النمو السكاني في العالم سنة ١٩٩٠ فان سكانه سيتضاعفون في حوالي ٤٠ سنة ، وتختلف قارات العالم النامي والمتقدم فيما بينها في هذا الصدد وذلك انعكاسا لتباين معدلات النمو السكاني بها بطبيعة الحال ، وتتراوح المدة اللازمة لتضاعف السكان بين ٣٧ سنة في أمريكا اللاتينية و ٢٤ سنة في أفريقيا و ٤٠ سنة في آسيا مقابل ١٠٠ سنة في

(١) Thompson W. & Lewis, D., Population Problems, McGraw Hill Book Company. New York, 1965, p. 11.

أمريكا الشمالية ومائتى سنة في أوروبا . أما فيما بين الدول فان أدنى مدة تسود في الباكستان والفلبين وتايلاند (٢٧) وأعلى مدة تسود في فنلندة والنمسا (٢٠٠ سنة) .

عدد السنوات اللازمة لتضاعف عدد السكان	معدل الزيادة الطبيعية في المائة سنويا
٢٤	٣ر٠
٢٩	٢ر٥
٣٥	٢ر٠
٤٧	١ر٥
٧٠	١ر٠
١٤٠	٠ر٥

وتعتمد دراسة النمو السكانى على مقياس هام هو معدل النمو السكانى وهو يعد أساسا لدراسة درجة التغير في حجم السكان في اقليم ما في فترة زمنية محددة ، ويحسب هذا المعدل بطريقتين احدهما هي حساب الفرق بين أعداد السكان في تعدادين مختلفين والاخرى هي تقدير معدل التغير من سجلات المواليد والوفيات والهجرة .

والطريقة الاولى التي تعتمد على جملة عدد السكان في تعدادين مختلفين هي الطريقة الشائعة لحساب معدل تغير السكان في المجتمع ويمكن الحصول على هذا المعدل باستخدام طريقتى المتوالية العددية والمتوالية الهندسية (١) .

تطور النمو السكانى في العالم :

بلغ عدد سكان العالم في سنة ١٩٩١ نحو ٥٣٨٤ مليون نسمة وقد تطور عددهم تطورا كبيرا في الاجيال الثلاثة أو الاربعة الاخيرة وليس من السهل تقدير عدد سكان العالم في الفترات التاريخية القديمة قبل سنة ١٦٥٠ التي تعد لدى كثير من الباحثين بداية التقدير المعقول للسكان وذلك اعتمادا على تفسير الحقائق المستقاة من كتابات الرحالة والاجانب الذى امتدت اقامتهم بين الشعوب المختلفة .

وقد اختلف تقدير العلماء لسكان العالم فيما قبل بداية القرن العشرين

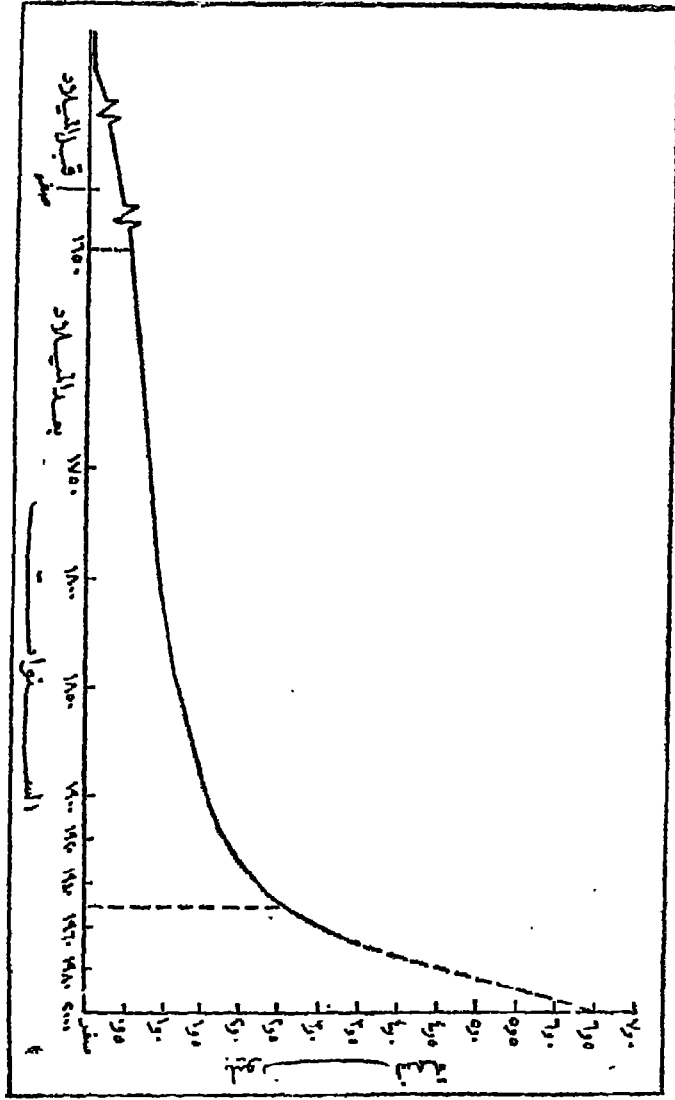
(١) راجع الملحق .

(جدول رقم ١٨) ويعد تقدير كارسونز Carr-Saunders. وتقدير ولكوكس Wilcox أبرز هذه التقديرات ، وقد قدر الاول عدد سكان العالم في سنة ١٦٥٠ بنحو ٥٤٥ مليون نسمة والثانى قدرهم بنحو ٤٧٠ مليوناً في نفس التاريخ ، الا أنه يبدو أن معدل النمو السنوى للسكان قد تضاعف فيما بين عامى ١٦٥٠ و ١٨٥٠ فتعدى السكان الالف مليون نسمة ثم تضاعف مرة أخرى في العشرينات من القرن العشرين ثم مرة ثالثة فيما بعدها حتى وصل عدد السكان الى ٢٥٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ثم ٥٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٧) ومعنى ذلك أن سكان العالم قد تضاعفوا خلال القرن الحالى وتزايدوا خلال الخمسينات فقط بما يصل الى قرابة ٥٠٠ مليون نسمة وهذا الرقم يعادل اجمالى سكان العالم في منتصف القرن السابع عشر ، وتربو الزيادة السنوية في الوقت الحاضر على ٩٠ مليون نسمة في المتوسط يضافون الى حجم سكان العالم سنويا ، واذا استمر معدل النمو السكانى بمستواه الحالى فان سكان العالم سيتضاعفون حوالى ست مرات خلال مائة عام ، ولقد قدر خبراء الامم المتحدة أن سكان العالم سيصل عددهم الى رقم يتراوح بين ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ .

ويكون للاسيويون حتى بدون الكومنولث الجديد غالبية سكان العالم على امتداد الفترات التاريخية المختلفة وحتى الوقت الحاضر ويليهم في ذلك قارة أوروبا بما فيها الكومنولث الجديد وان كانت نسبة الزيادة لدى السكان الاوربيين قد قلت في العصر الحديث عما كانت عليه من قبل وذلك ناتج عن انخفاض الزيادة الطبيعية لديهم من ناحية وتعرض القارة الاوربية لهجرات خارجة الى قارات العالم الجديد من ناحية أخرى ، وقد أسهمت هذه الهجرات في تزايد أعداد السكان في هذه القارات والتي تمثلها أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية أوضح تمثيل ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر ثم استراليا في أواخره كما تبين أرقام الجدول رقم (١٨) .

ولقد ارتفع معدل الزيادة في سكان العالم منذ سنة ١٦٥٠ بدرجة لم يسبق لها مثيل في الفترة السابقة (شكل رقم ١٨) وارتبطت هذه الزيادة الهائلة بعدد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية حيث أدى تطور فنون الزراعة الى تزايد قدرة الارض على الانتاج واستيعاب أعداد من السكان، كذلك فقد أدى التصنيع وما صحبه من تحسن فنون الانتاج والتنظيم

(١) قدر أن سكان العالم وصل عددهم الى ٥ مليار نسمة في ١١ يولية ١٩٨٧ - وقد سمي هذا اليوم - بيوم السكان العالمى - تحفل به الامم المتحدة كل عام على مستوى العالم .



شكل رقم (١٨)
تطور نمو السكان في العالم

الاجتماعى الى تركيز السكان في بعض الاقاليم وتزايدهم فيها بشكل واضح ذلك لان التنمية الاقتصادية تطلبت توفير ايد عاملة لازمة للانتاج الكبير مع تخصص اكبر في مختلف الوظائف كما تطلبت اسواقا كبيرة تسهم في استمرار الانتاج .

جدول رقم (١٨) تقديرات سكان العالم حسب القارات في السنوات ١٦٥٠ - ١٩٩١ باللايين (١)

جملة العالم	آسيا فيما عدا		أوروبا بما فيها		أمريكا اللاتينية	أمريكا الشمالية	تقديرات سنة التواريخ أو التقديرات
	الاستقلة	الاستقلة	الاستقلة	الاستقلة			
٤٧٠	٢	١٠٣	٢٥٧	٢	٧	١	تقديرات ويلكوكس :
٦٩٤	٢	١٤٤	٤٣٧	٢	١٠	١	١٦٥٠
٩١٩	٢	١٩٣	٥٩٥	٢	٢٣	٦	١٧٥٠
١٠٩١	٢	٢٧٤	٦٥٦	٢	٣٣	٦	١٨٠٠
١٥٧١	٦	٤٢٣	٨٥٧	٦	٦٣	٢٦	١٨٥٠
٥٤٥	٢	١٠٣	٢٢٧	٢	١٢	١	١٩٠٠
٧٢٨	٢	١٤٤	٤٧٥	٢	١١	١	تقديرات كارسوندرز
٩٠٦	٢	١٩٢	٥٩٧	٢	١٩	٦	١٧٥٠
١١٧١	٢	٢٧٤	٧٤١	٢	٣٣	٢٦	١٨٠٠
١٦٠٨	٦	٤٢٣	٩١٥	٦	٦٣	٨١	١٨٥٠
١١٨١	٩	٤٨٧	٩٦٦	٩	٩١	١١٧	تقديرات الأمم المتحدة (ب)
٢٠١٥	١٠	٥٣٢	١٠٧٢	١٠	١٠٩	١٣٥	١٤١
٢٢٤٩	١١	٥٧٣	١٢١٢	١١	١٣١	١٥٧	١٩٣٠
٢٥١٠	١٣	٥٧٦	١٣٨٦	١٣	١٦٢	١٤٦	١٩٥٠
٢٩٩٥	١٦	٦٤١	١٦٧٩	١٦	٢٠٦	١٩٩	١٩٥٠
٣٦٣٥	١٩	٧٠٥	٢٠٥٦	١٩	٢٨٣	٢٢٨	١٩٦٠
٥٣٨٤	٢٧	٧٩٤	٣١٥٥	٢٧	٤٥١	٣٨٠	١٩٧٠
							١٩٩١

Thompson, W., Lewis, D., Population Problems, Op. Cit., P. 383.
 U. N. Demographic Year Book, 1960 and 1970.
 INED, Population et Sociétés, No. 259, 1991.

(١) المصدر:

أ -
 ب -
 ج -

الضوابط البيئية للنمو السكانى :

سبق القول بأن معدل النمو السكانى فى العالم كان بطيئا للغاية حتى أوائل القرن العشرين وكان هذا الانخفاض راجعا بطبيعة الحال الى ارتفاع مستوى الوفيات مما ينعكس بدوره على هبوط الزيادة الطبيعية هبوطا كبيرا عكسته أرقام السكان فى قارات العالم منذ سنة ١٦٥٠ ، وكان هذا الارتفاع فى مستوى الوفيات مرتبطا بدوره بمجموعة من العوامل البيئية التى كانت ضابطة للنمو ومتحركة فى حركته بدرجة كبيرة وأبرز هذه العوامل ، المجاعات التى كانت تتعرض لها أقاليم كبيرة من العالم القديم ثم الامراض الوبائية التى كانت فنون الانسان وقدراته عاجزة عن مقاومتها وأخيرا الحروب بين المجتمعات وآثارها المباشرة وغير المباشرة على التناقص العدى للسكان .

١ - المجاعات :

لم تسلم قارات العالم القديم من حدوث المجاعات الناتجة عن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات أو نقص الامطار لعدة سنوات متتالية وما يترتب عليها من تناقص كبير فى عدد السكان حتى أن بعض المناطق تفقد سكانها تماما فى أعقاب حدوث هذه الظواهر، وقد ذكر وولفورد Walford قائمة بالمجاعات التى شهدها العالم حتى أوائل هذا القرن بلغت ٣٥٠ مجاعة منها ٢٠١ مجاعة حدثت فى الجزر البريطانية فيما بين سنة ١٠ بعد الميلاد وسنة ١٨٤٦ ، ٧٠ مجاعة أخرى فى أجزاء أخرى من أوروبا ، ٣١ مجاعة حدثت فى الهند فيما بين ١٧٦٩ و ١٨٧٨ فقط و ١٧ مجاعة حدثت فى حوض البحر المتوسط الاسيوى والافريقى ، وثلاثون مجاعة أخرى حدثت فى أجزاء من العالم وخاصة فى الهند والصين فيما قبل سنة ١٧٦٩ ، ولعل أبرز المجاعات التى شهدتها أوروبا فى العصر الحديث تلك التى تعرضت لها ايرلنده فيما بين سنتى ١٨٤٦ - ١٨٥١ (مجاعة البطاطس) وكانت الامراض والايئة تعقب هذه المجاعات بدرجات متفاوتة وبالرغم من أن قائمة وولفورد قد تكون كاملة بالنسبة لبريطانيا الا أنها ليست كذلك بالنسبة لباقى الدول حتى أوروبا ، ذلك لان هناك بعض الدراسات التى أظهرت أن الصين مثلا تعرضت لحوالى ١٨٢٨ مجاعة فيما بين سنتى ١٠٨ قبل الميلاد الى سنة ١٩١١ (١) .

وكانت هذه المجاعات من المؤثرات الهامة فى تحديد نمو السكان فى

(1) Thompson, W., & Lewis, D. Op. Cit., p. 390.

الاقاليم المختلفة فى العالم ، ولا يعرف الا القليل عن الوفيات التى نجمت عن هذه المجاعات وخاصة تلك التى حدثت فى عهود قديمة بينما هناك بعض التقديرات لبعض المجاعات التى حدثت فى فترات حديثة فقد شهدت الصين أسوأ المجاعات فى القرن الماضى نتيجة الجفاف الحاد الذى أصاب مناطقها الشمالية الغربية فى السنوات ١٨٧٦ حتى ١٨٧٩ وبلغت مساحة الاقليم الذى تعرض للجفاف قرابة ٣٠٠.٠٠٠ ميلا مربعا وقد قدر عدد ضحايا هذه المجاعة برقم يتراوح بين ٩ الى ١٣ مليون نسمة وهو عدد يصل الى حوالى خمس سكان الاقليم المذكور ، وقد تعرضت نفس المنطقة للمجاعة فى فترات تالية مثلما حدث فى سنتى ١٩٢٠-١٩٢١ حيث يعتقد أن حوالى نصف مليون نسمة قد لاقوا حتفهم وكذلك فى سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ عندما حل الجفاف . وقدر الذين ماتوا جوعا أو مرضا فى هذا الاقليم الشمالى الغربى بحوالى أربعة ملايين من البشر، وبالإضافة الى الجفاف كعامل خلاق للمجاعات فى شمال غرب الصين فإن فيضان نهر اليانجتسى وروافده أدى الى حدوث مجاعات أخرى هو الآخر ، فكثيرا ما كانت مياهه تطغى على مساحات شاسعة وتتلف المحاصيل وتدمر القرى . لم يست هناك تقديرات دقيقة عن ضحايا هذه الفيضانات ولكن من الثابت أنها كانت من العوامل الهامة فى ارتفاع معدلات الوفيات حتى أن مالورى (Mallory) لم يبالغ حين ذكر أن معدل الوفيات العادى فى الصين كان يشتمل دائما على عنصر ثابت من المجاعات ، ولاتختلف الهند كثيرا عن الصين فى هذا الصدد حيث يعد الجفاف أمرا شائعا وغالبا ما يتعرض اقليم أو أكثر من اقاليم الهند الى نقص الغذاء الناتج عن نقص الامطار ، ففي سنة ١٧٦٩ حتى سنة ١٧٧٠ تعرضت البنغال لمجاعة ضخمة يذكر بعض الكتاب أنها أودت بحياة ثلث مجموع سكانها أو بما يقدر بنحو ١٠ مليون نسمة ، كذلك شهدت الهند مجاعات ضخمة فى سنوات متتالية مثلما حدث فى سنتى ١٨٠٣ - ١٨٠٤ وفى ١٨٣٧ - ١٨٣٨ وكان ضحاياها بالملايين مما أثر تأثيرا كبيرا على نمو السكان بالهند .

ولم تسلم مصر فى تاريخها السكانى الطويل من المجاعات والابوئة والنقص كانت عنصرها من عناصر الوفيات ، وكانت المجاعات مرتبطة بانخفاض منسوب مياه النيل وعجزها عن الوفاء باحتياجات الزراعة فى البلاد ، وهناك أمثلة كثيرة أبرزها ما عرف بالشدة المستنصرية التى ذكر بعض المؤرخين أنها قضت على ثلثى سكان مصر ولم يعيش من بعدها سوى الثلث فقط(١) .

(١) ابن أياس بدائع الزهور - ج١ - ص ٦١ .

ثم تلا ذلك الكارثة البشعة التي شهدتها وسجلها البغدادي في أواخر الدولة الايوبية ووصفها بما يفيد الافناء شبه الكامل ويقول ابن اياس عنها أنها أفنت ثلثى السكان ، وفي القرن الثالث عشر يذكر ابن اياس شدة أخرى مات فيها ثلث السكان أيضا ، وفي القرن الرابع عشر وفد الوباء الاسود من أوروبا وأدى الى خسائر بشرية كبيرة في مصر (٢٠ ألف ميت في القاهرة وحدها كل يوم و ٩٠٠ ألف في شهرين) (١) وأدت هذه المجاعات الى انخفاض حاد في عدد السكان في مصر - حتى أن عددهم تناقص من ٩ مليون نسمة في أوائل العصر العربي الى ٢ر٥ مليون نسمة قبل الحملة الفرنسية مع ملاحظة أن هذا الرقم المنخفض لسكان مصر (٢ر٥ مليون) قد تكرر مزارا على الأرجح في تاريخ مصر - ذلك لانها تعرضت لكوارث سابقة أبرزها الكارثة التي وصفها (أيبوير) في الدولة القديمة التي نتجت عن غياب النيل وأدت الى فناء رهيب للسكان (٣) .

ب - الامراض الوبائية :

كانت الامراض الوبائية Infections diseases والتي يمكن التحكم فيها اليوم من الاسباب التي أثرت في انقاص حجم السكان في العالم من قبل وخاصة المناطق التي تميزت بارتفاع الكثافة السكانية وما يؤديه ذلك من سهولة انتقال هذه الامراض وخاصة في الفترات التي تعقب المجاعات في المناطق الموبوءة بها ، ومن أبرز تلك الامراض التيفود والجدرى. والاسل وغيرها ، وقد استمر سكان العالم على هذه الحال حتى المائة وخمسون أو المائتى سنة الاخيرتين ، فقد كان من الشائع أن مايقرب من ربع ثلث عدد الأطفال يتعرضون للوفاة قبل اتمامهم السنة الاولى من العمر ولايسلم الباقي منهم بعد ذلك من أمراض أخرى مثل الحصبة والسعال الديكى والحمى القرمزية والدفتريا وغيرها والتي كانت تودى بنسبة ليست صغيرة من السكان .

ولعل في بيانات الوفاة في السويد ما يدل على ارتفاع نسبة وفيات الصغار بدرجة عالية من قبل وهي تعد أوثق البيانات في منتصف القرن الثامن عشر كما أنه يمكن اعتبارها أدنى المعدلات في كل أوروبا في ذلك الوقت ، ومع ذلك فهي توضح مدى ارتفاع معدلات وفيات الاطفال بها

(١) المرجع السابق ص ٩١ .

(٢) جمال حمدان - شخصيات مصر - مكتبة النهضة المصرية -

القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٣٢٨ .

كما تبين الأرقام التالية التي توضح متوسط معدلات الوفيات للأطفال أقل من عشر سنوات في الفترة من ١٧٥١ - ١٧٧٠ وذلك مقارنة مع مثلتها في سنة ١٩٦٠ (١) ويبدو من هذا الجدول أن من كل ١٠٠٠ مولود في السويد في الفترة من ١٧٥٠ - ١٧٧٠ كان ٧٩٠ منهم يكملون السنة الأولى من العمر بينما في سنة ١٩٦٠ ارتفع العدد إلى ٩٨٣ طفلاً يعيشون حتى هذه السن ، وينبغي الإشارة بأن هذه المعدلات الخاصة بالسويد كانت أقل من مثلتها في باقي أقطار أوروبا وباقي أقطار العالم آنذاك ، وعلى أية حال فقد يكون من المنطقي الافتراض بأنه قبل سنة ١٩٥٠ فإن حوالي نصف عدد الاطفال المولودين كانوا يموتون قبل وصولهم سن العاشرة من العمر ، وكما سبق القول فإن التحكم في الاوبئة والأمراض المعدية في الطفولة المبكرة كان المسئول الرئيسي عن انخفاض معدل الوفيات في دول العالم مما انعكس على تزايد النمو السكاني بها بدرجات متفاوتة .

الوفيات		١٧٥١ -	١٩٦٠	نسبة العمود (٢)
		١٧٧٠	(٢)	الى العمود (١) %
معدل وفيات الاطفال الرضيع (دون سن الواحدة لكل ١٠٠٠ مولود) .	٢١٠ر٤	١ر٦٥	٧ر٨	
معدل وفيات الاطفال من سن ٢ر١ (من كل ١٠٠٠ طفل في هذا السن)	٥١ر٤٢	١ر٠٤	٢ر٠	
معدل وفيات الاطفال من سن ٤و٣ (من كل ١٠٠٠ طفل في هذا السن)	٢٧ر٢٧	٠ر٦٩	٢ر٥	
معدل وفيات الاطفال من سن ٥-٩ (من كل ١٠٠٠ طفل في هذا السن)	١٢ر٨٩	٠ر٤٢	٣ر٢	

وقد شهد العالم بعض الاوبئة التي كان لها أثر كبير على نمو سكانه ومن أشهرها الموت الاسود The Brack Death أو مرض الطاعون الذي انتشر في الفتر ١٣٤٨ - ١٣٥٠ في قارة أوروبا وأدى الى تناقص عدد سكانها وخاصة في لندن والبنديقية وفلورنس وباريس ، ويقدر البعض أن هذه المدن فقدت قرابة نصف سكانها في ذلك الوقت ويعتقد أن ايطاليا فقدت حوالي نصف سكانها كذلك وانجلترا ثلث السكان وفرنسا الثلث أيضا ، ولم تعاني

(1) Thompson, W., Lewis, D., Op. Cit., p. 395.

دول شرق أوروبا مثلما عانت دول شمالها الغربى وجنوبها من ذلك المرض وعلى مستوى القارة الاوربية فان الاعتقاد السائد أنها فقدت قرابة ربع سكانها أى حوالى ٢٥ الى ٣٥ مليون نسمة(١) ، وفي العصر الحديث شهد العالم انتشار وباء الانفلونزا فى سنتى ١٩١٨ - ١٩١٩ والذى أثر فى كثير من الدول - فقد بلغ ضحاياه فى الهند على سبيل المثال حوالى ثمانية ملايين نسمة .

ج - الحروب :

كان أثر الحروب فى تأخير نمو السكان فى مرحلة ما قبل الثورة الصناعية كبيرا فى المجتمعات القبلية حيث كانت تستمر بينها فترات طويلة على امتداد عدة أجيال خاصة فى المجتمعات الرعوية والبدائية، وكانت هذه الحروب تتسبب فى احداث خسائر بشرية ومجاعات تؤدى الى تزايد معدل الوفيات بدرجة ملحوظة لذلك فان الحروب كانت فى نظر مالثوس العامل الثالث مع المجاعات والابوئة الذى كان يتحكم فى حجم السكان على امتداد فترات طويلة فى الماضى .

وليست هناك تقديرات عن خسائر الحروب فى البشر على امتداد التاريخ ، ولكن أقرب الامثلة ماتعرض له العالم فى العصر الحديث من حروب أبرزها الحرب العالمية الاولى والثانية حيث اختلف أثرهما عما عداها من حروب أخرى فيما قبل الربع الاخير من القرن التاسع عشر وكان أثر الحرب العالمية مباشرة على السكان ونموهم ممثلا فى معدلات المواليد والوفيات فى سنوات الحرب ، وكانت هذه التغيرات مرتبطة بأمرين فى الحرب العالمية الاولى : أحدهما الخسائر فى الارواح والاخر هو الخسائر غير المباشرة الناجمة عن انخفاض معدل المواليد خلال سنوات الحرب بسبب التعبئة الضخمة للشباب فى القوات المسلحة مما أدى الى ابتعادهم عن زوجاتهم من ناحية وتأخير سن الزواج لكثير منهم من ناحية أخرى .

وكانت الخسائر العسكرية فى الحرب العالمية الاولى كبيرة بسبب ضخامة القوات المحاربة ، وقد قدرت الخسائر المباشرة فى المعسكرين فى أوروبا - غرب روسيا - نحو ٦٦ مليون نسمة والزيادة فى وفيات المدنيين بحوالى ٥ ملايين نسمة كما بلغ النقص فى عدد المواليد بحوالى ١٠ر٥ مليون مولود ، وعلى ذلك فان النقص فى عدد المواليد يمثل النسبة الكبيرة

(1) Ibid., pp. 396-397.

من خسائر الحرب - التي قدر اجمالى خسائرها البشرية بحوالى ٢٢ مليون نسمة (١٧) .

وكانت أكبر الخسائر فى الحرب من نصيب روسيا حيث يقدرها البعض بحوالى مليونى نسمة خسائر مباشرة وباستثناء المدنيين والنقص فى المواليد وقد انعكس ذلك على انخفاض معدل النمو السكانى فى روسيا فيما بين سنتى ١٩١٤ - ١٩٢٦ وساعد عليه الحرب الاهلية التى أعقبت ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ ثم المجاعة التى شهدتها روسيا فيما بين سنتى ١٩١٨ - ١٩٢٢ وانتشار الطاعون الذى صاحب هذه المجاعة حتى أن السكان تزايدوا من ١٤٠ر٤ مليون نسمة سنة ١٩١٤ الى ١٤٧ر٠ مليون نسمة فقط فى سنة ١٩٢٦ فى الوقت الذى كان يتوقع فيه أن يصل عددهم الى ١٧٥ مليون لو لم تحدث هذه الخسائر فى الحروب والمجاعة ، وعلى العموم فإن خسائر أوروبا كلها فى الحرب العالمية الاولى والفترة التى أعقبتها فى روسيا قللت من معدل النمو العادى للسكان بحوالى خمسين مليون فيما بين سنتى ١٩٠٠ - ١٩٣٠ (٢) .

وفى الحرب العالمية الثانية تعرضت أوروبا لخسائر بشرية كبيرة سواء فى صفوفالعسكريين أو المدنيين وان كانت خسائر غرب أوروبا أقل من خسائرها فى الحرب العالمية الاولى بعكس شرق أوروبا وجنوبها التى تأثرت بدرجة كبيرة من الحرب العالمية الثانية أكثر من تأثرها بالحرب الاولى حيث يقدر أن ضحايا المانيا مثلا (بحدود ١٩٣٧) وصلت الى قرابة ٥ مليون نسمة فى الحرب العالمية الثانية وأن بولنده أكثر خسارة فقد فقدت من ٥ - ٦ مليون نسمة بنسبة ٢٠٪ من جملة سكانها فيما قبل الحرب ويوغسلافيا حوالى ١٦ مليون نسمة بنسبة ١٠٪ من سكانها واليونان حوالى نصف مليون نسمة بنسبة ٧٪ من السكان وذلك كله دون أن يؤخذ النقص فى المواليد فى الاعتبار .

ومن بين كل الدول التى اشتركت فى الحرب العالمية الثانية كان كومنولث الدول المستقلة أكثرها فى الخسائر البشرية حيث يقدر أن جملة خسائره فى هذه الحرب بلغت ٣٧ر٥ مليون نسمة منها ٧ مليون خسائر عسكرية و١٨ر٥

(١) توميسون ولويس : المرجع السابق ص ٤٢٢ وانظر الشكل المبين فى نفس الصفحة .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٤ .

مليون خسائر مدنية و ١٠ر٩ مليون خسائر ناتجة عن النقص في عدد المواليد و ١ر٣ مليون خسائر نتجت عن الهجرة المغادرة وقيم انعكست كل هذه الخسائر على نمو السكان في الكومنولث بعد الحرب العالمية الثانية حتى أن النقص في عدد الذكور عن عدد الاناث في تعداد سنة ١٩٥٩ بلغ ٢٠ر٨ مليون نسمة المقارنة مع نقص وصل الى ٧ر٨ مليون في تعداد ١٩٣٩. ونقص بلغ ٥ مليون في تعداد سنة ١٩٢٦ .

وبصفة عامة فان خسائر أوروبا في الحرب العالمية الثانية لم تكن أقل من خسائرها في الحرب العالمية الاولى ، ويقدرها البعض بحوالى ٥٠ مليون نسمة ، وقد استمر أثرها في التركيب السكاني واضحاً في معظم دولها حتى أن النقص الكبير في عدد الذكور استمر في بعض الدول مثل ألمانيا والكومنولث وبولندا ويوغسلافيا وأدى ذلك بدوره الى التأثير في معدل المواليد حتى أوائل الستينيات .

وكذلك تعرضت دول أخرى خارج أوروبا لخسائر في الحرب العالمية الثانية مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلنده واليابان والفلبين وبيورما والصين وتقدر هذه الخسائر بالملايين وان لم يكن هناك رقم دقيق لتقديرها .

وبالإضافة الى هاتين الحربين العالميتين فقد شهدت مناطق أخرى من العالم حروباً اقليمية - أودت بالعديد من أرواح أبنائها وخاصة الحروب الاهلية التي شهدتها بعض الدول مثل اسبانيا والصين والولايات المتحدة والمكسيك ، ويوضح الجدول رقم (١٩) أبرز الحروب والمنازعات وخسائرها البشرية المباشرة وذلك على امتداد الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٨٩ ومنه يبدو أن العالم قد فقد نحو ٨٧ مليون نسمة خسائر بشرية بسبب الحروب الاهلية - التي تشتعل بين فئات أو طوائف مختلفة في الدولة الواحدة - أو بسبب الحروب الدولية التي تقوم بين دولتين أو أكثر وتبدؤ مدى تأثير الحربين العالميتين الاولى والثانية في هذه الخسائر حيث زادت نسبة الخسائر في كل منهما عن ١% من جملة سكان العالم بل اقتربت من ٤% في عقد الحرب العالمية الثانية .

عوامل النمو السكاني في العصر الحديث :

تضافرت مجموعة من العوامل أدت الى التزايد السكاني الكبير الذي يشهده العالم في العصر الحديث كان أبرزها على الاطلاق تلك الثورة الزراعية في وسائل الانتاج الزراعي وأساليبه في المجتمعات المختلفة، وكانت

هذه الاساليب من الوسائل التي استطاع البشر بها أن يواجهوا أثر الكوارث في تخفيض أعداد السكان ، وقد بدأت الثورة الزراعية الحقيقية في دول الغرب منذ أوائل القرن الثامن عشر في إنجلترا. وبعض الدول الاوربية ثم ما لبثت أن انتشرت نحو دول أخرى في العالم - بل أن هذه الثورة مازالت مستمرة في بعض الدول النامية التي أخذت بأساليبها حديثا .

جدول رقم (١٩) الوفيات أثناء الحروب ١٩٠٠ - ١٩٨٩ (١)

الفترة	عدد الحروب		عدد الوفيات أثناء الحروب (% من سكان العالم)		
	أهلية دولية	أهلية	الدولية	الجملة	العالم
١٩٠٠ - ١٩٠٩	٦	١٠	٢٤٣	٤٠٩	٠.٢
١٩١٠ - ١٩١٩	٩	١٥	٢٠٥٥٦	٢١٨٨٣	١.٣
١٩٢٠ - ١٩٢٩	٨	١١	١٠٩	٤٨٠	٠.٢
١٩٣٠ - ١٩٣٩	٨	١١	١٧٧٠	٣٥٦٦	٠.١٧
١٩٤٠ - ١٩٤٩	٧	١٣	٣٩٢٨٥	٤١٤٦٧	١.٧٠
١٩٥٠ - ١٩٥٩	٥	٢٠	١٨٧٩	٤٩١٠	٠.١٧
١٩٦٠ - ١٩٦٩	٩	١٢	٣٣٠١	٤٥٥٧	٠.١٣
١٩٧٠ - ١٩٧٩	٧	١٨	٤٩٥٧	٦٢٠٣	٠.١٦
١٩٨٠ - ١٩٨٩	٦	٢٩	٢٠٨١	٣٨١٤	٠.٠٨
الجملة	٦٣	١٤١	١٨٠٦٠	٦٩٢٢٩	٠.٨٧٢٨٩

وقد واكب هذه الثورة الزراعية انقلاب صناعي في القرن الثامن عشر أيضا كان له أبرز الاثر في زيادة الانتاج وتطور وسائل النقل وكان أبرز مظاهر هذا الانقلاب اختراع الآلة البخارية سنة ١٦٩٨ وما أدخل عليها من تعديلات في السنوات التالية ثم ما لبث استخدام البخار أن انتشر بعد ذلك كطاقة رئيسية في الآلات ، ولم ينته الربع الاول من القرن التاسع عشر حتى بدأ استخدامها في النقل بالسكك الحديدية وبالسفن .

وكان أثر هذه الوسائل التقنية في الزراعة والصناعة والنقل في القرن

(١) المصدر:

البنك الدولي للإنشاء والتعمير - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩١ (مترجم) - واشنطن - ١٩٩١ - ص ١٧٦ .

الثامن عشر والتاسع عشر بالغاً في زيادة قدرة الانسان على انتاج الغذاء والضروريات الاساسية الاخرى ، وأهم من ذلك كله ساعد التحسن في فنون النقل على فتح أراضى جديدة شاسعة خاصة في نصف الكرة الغربى والاقيانوسية وماترتب على ذلك من هجرة سكانية ضخمة اليها حتى أن أمريكا الشمالية مثلا كان يسكنها قبل وفود الاوربيين اليها في القرن السابع عشر والمسنين التالية عدد يتراوح بين ٥٠٠.٠٠٠ الى مليون نسمة من الهنود الحمر ولكنها تحتوى اليوم مايزيد على مائتى مليون نسمة .

وفي خلال الفترة من ١٦٥٠ - ١٨٥٠ كان تطور الاساليب الجديدة في الزراعة والصناعة والنقل، والاستقرار السياسى النسبى من العوامل الهامة التى أدت الى تزايد سكان الغرب زيادة جعلت روبرت توماس مالتوس يكتب نظريته المشهورة في الفترة من ١٨٠٠ - ١٨٠٢ محذرا من عواقب التزايد السكانى والصراع بينه وبين الموارد الغذائية السائدة .

وقد بدأت معدلات المواليد في دول شمال وغرب أوروبا في الهبوط منذ سنة ١٨٥٠ وبدأت كثير من الدول الاوربية في التحصين ضد بعض الامراض الوبائية مثل الجدرى كما ساعد النقل على تلبية الاحتياجات الغذائية في الاماكن البعيدة وأدى ذلك كله الى انخفاض معدل الوفيات في هذه الدول الغربية حيث هبط في دول غرب أوروبا من ٢٤ في الالف سنة ١٨٥٠ الى ١٦ في الالف سنة ١٩٠٠ مما يعكس التقدم الصحى الذى بدأ يميز هذه الدول .

ويعنى ذلك أن الطفرة السكانية في العصر الحديث قد نتجت عن الزيادة الطبيعية الكبيرة والتي نتجت بدورها عن انخفاض معدل الوفيات مع بقاء معدلات المواليد ثابتة أو انخفاضها انخفاضا طفيفا في بعض العالم، ولقد أوضحت الاحصاءات أن الانخفاض السريع في معدلات الوفاة كان سببا رئيسيا للتزايد السكانى السريع في العصر الحديث ، وقد ارتبط انخفاض معدلات الوفاة بارتفاع متوسط أعمار الافراد ، فمنذ مائتى عام مثلا كان لاينتظر للوليد الجديد أن يعيش أكثر من ٣٥ - ٤٠ سنة وذلك حتى في البلاد التى كانت الظروف الصحية ملائمة بها ، أما في الوقت الحاضر فقد ارتفع أمد الحياة وتجاوز ٦٥ سنة في بلاد متعددة ومزال في اتجاهه نحو التزايد في معظم دول العالم بفضل التقدم العلمى الكبير الذى تصدى لكثير من أسباب الوفيات وخاصة في الاعمار المبكرة والتي تكون نسبة عالية من جملة الوفيات .

وقد بدأ الانخفاض الواضح في معدلات الوفيات في دول شمال أوروبا في

وقت مبكر من القرن التاسع عشر ، واستمر هذا الانخفاض بعد ذلك حتى صار المتوسط الحالى للوفيات فى دولها حوالى ١٠ فى الالف - وهو يعد أقل من ثلث المعدل الذى كان سائدا فى أوائل القرن التاسع عشر ، كذلك نتج عن انخفاض معدل الوفيات فى أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا بدرجة ملحوظة فى العقود الاخيرة مع ارتفاع معدلات المواليد أن أصبحت هذه القارات تعاني من النمو السريع للسكان حتى ان معدل النمو فى كثير من دولها يبلغ ضعف معدل النمو العالمى .

والمواقع أن الدول الاوربية لم تشهد فى تاريخها معدلا للنمو السكانى كالذى تشهده حاليا كثير من الدول النامية ، فقد كانت قمة الزيادة الطبيعية فى انجلترا وويلز ١٤ فى الالف ، وفى اسكتلندا ١٣ فى الالف وهذه النسبة تصل الى نصف معدل الزيادة الطبيعية السائدة فى كثير من الدول النامية فى الوقت الحاضر ، والسبب الرئيسى كما سبق القول هو الهبوط الكبير فى معدل الوفيات لهذه الدول . ففى موريشيوس مثلا تزايد أمد الحياة من ٣٣ الى ٥١ سنة فى فترة ثمانية أعوام فقط بعد الحرب العالمية الثانية فى الوقت الذى استغرقت فيه السويد ١٣٠ سنة لتحقيق هذه النتيجة ، كذلك فان نجاح سرى لانكا فى القضاء على الملاريا قلل من معدل الوفيات بها من ٢٢ الى ١٠ فى الالف فقط فى الفترة من ١٩٤٥ - ١٩٥٢ فقط ، وربما يكون الهبوط فى معدل الوفيات مؤثرا فى خفض الخصوبة على المدى الطويل من خلال ارتفاع معدلات البقاء للاطفال .

ونظرا لتباين معدلات المواليد والوفيات بين مناطق العالم الجغرافية فانها تختلف كذلك فى معدلات نمو السكان بها ، ففى خلال الخمسينيات من هذا القرن كان أقل معدل للنمو السكانى (٠.٨٪ سنويا) سائدا فى أوروبا وخاصة فى شمالها وغربها وكذلك فى الكومنولث الجديد(*) وأمريكا الشمالية حيث بلغ معدل النمو واحد فى المائة سنويا .

ومن الجدول رقم (٢٠) والشكل رقم (١٩) يبدو التباين فى معدلات النمو السكانى فى أقاليم العالم المختلفة ، ويمكن تقسيم العالم الى نطاقين كبيرين أحدهما يتمثل فى الدول المتقدمة فى أوروبا وأمريكا الشمالية ودول

(*) رابطة كومنولث الدول المستقلة(الاتحاد السوفيتى سابقا باستثناء دول البلطيق وجورجيا) .

الكومونولث الجديد حيث ينخفض معدل النمو السكاني بها، والنطاق الاخر فيتمثل في القارات النامية آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وتعد قارة أفريقيا أكثر مناطق العالم في معدل النمو السكاني وتليها أمريكا اللاتينية ثم آسيا حيث يزيد معدل النمو بها على ٢٪ سنويا وهو بذلك يبلغ أكثر من ثلاثة أمثال معدل النمو في الدول المتقدمة .

جدول رقم (٢٠) المعدلات الحيوية في العالم سنة ١٩٩١ (١)

الاقليم	عدد السكان بالمليون	معدل المواليد في الالف	معدل الوفيات في الالف	معدل النمو السكاني % سنويا
الاقليم النامية :	٤١٦٥	٢٩	٩	٢٠
أفريقيا	٦٧٧	٣٧	١٠	٢٧
آسيا	٣٠٣٧	٢٧	٩	١٨
أمريكا اللاتينية	٤٥١	٢٨	٧	٢١
الاقليم المتقدمة :	١٢١٩	١٥	٩	٠٦
أوروبا	٥١٥	١٣	١٠	٠٣
كومونولث الدول المستقلة	٢٧٩	١٨	١٠	٠٨
أمريكا الشمالية	٢٨٠	١٦	٩	٠٧
استراليا ونيوزيلندا	٢١	١٥	٧	٠٨
اليابان	١٢٤	١٠	٧	٠٣
جملة العالم	٥٣٨٤	٢٧	٩	١٧

وعلى مستوى دول العالم تتباين معدلات النمو السكاني تباينا كبيرا للغاية ، حتى أن هناك دولا نامية قارب المعدل فيها ٤٪ سنويا (مثل الاردن وكينيا وزامبيا وعمان وسوريا) . وهى تمثل الدول التى تعيش فى قلب مرحلة النمو السكاني المتزايد بسبب الارتفاع فى معدلات المواليد بشكل يصل بها الى المستويات الطبيعية للتوالد البشرى . وعلى طرفى نقيض تماما تأتى مجموعة الدول الصناعية فى أوروبا سواء فى دول غرب القارة أو حتى فى شرقها لتصل معدلات النمو السكاني بها الى مستويات دنيا لم

(١) المصدر :

INED., Population et Sociétés, Juillet-Août 1991, No. 259.

تسجل من قبل ، حتى أن المواليد تكاد تتعادل مع الوفيات فيها ليصل السكان الى مرحلة الثبات - أى صفر النمو - مثل الدنمرك وألمانيا - بل ان بيانات سنة ١٩٩١ سجلت تزايدا في الوفيات عن المواليد في بعض الدول مثل المجر ليصل معدل النمو الطبيعي بها الى - ٠.٢٪ (ناقص) سنويا. ولعل في الارقام الواردة بالجدول (٢١) خير مثال على ذلك .

جدول رقم (٢١)

التطرف في معدلات النمو الطبيعي في العالم سنة ١٩٩١

أدنى الدول		أعلى الدول	
الدولة	المعدل (٪ سنويا)	الدولة	المعدل (٪ سنويا)
فرنسا	٠.٤	(قطاع غزة)	٤.٤
هولنده	٠.٤	الاردن	٤.١
اليابان	٠.٣	(الضفة الغربية)	٣.٩
فنلنده	٠.٣	كينيا	٣.٨
سويمه	٠.٣	زامبيا	٣.٨
بريطانيا	٠.٢	عمان	٣.٨
تشيكوسلوفاكيا	٠.٢	سوريا	٣.٨
أستراليا	٠.٢	توجو	٣.٧
اليونان	٠.١	تنزانيا	٣.٧
إيطاليا	٠.١	جزر الملديف	٣.٧
الدنمرك	صفر	كوت ديفوار	٣.٥
المانيا	صفر	أوغنده	٣.٥
المجر	- ٠.٢	اليمن	٣.٥
متوسط العالم	١.٧		

وتسهم هذه الانماط المتعددة في معدلات النمو السكاني في تزايد السكان في أقاليم العالم بدرجات متفاوتة باستثناءات نادرة متمثلة في بعض المجتمعات البدائية مثل الفويجين وبعض قبائل وسط أفريقيا والاقويانوسية وغيرهم من الجماعات التي تتناقص في أعدادها نتيجة للتغيرات التي اعترت حياتها الاقتصادية والبيئية ، ولذلك فان معدل النمو السكاني الحالي في العالم لم يسبق أن شهدته البشرية من قبل على امتداد التاريخ البشرى ، وقد سبق القول بان سكان العالم قد واصلوا نموهم وتزايدهم من

(١) المصدر:

INED., Population et Sociétés, Juillet - Août, 1991 No. 259.

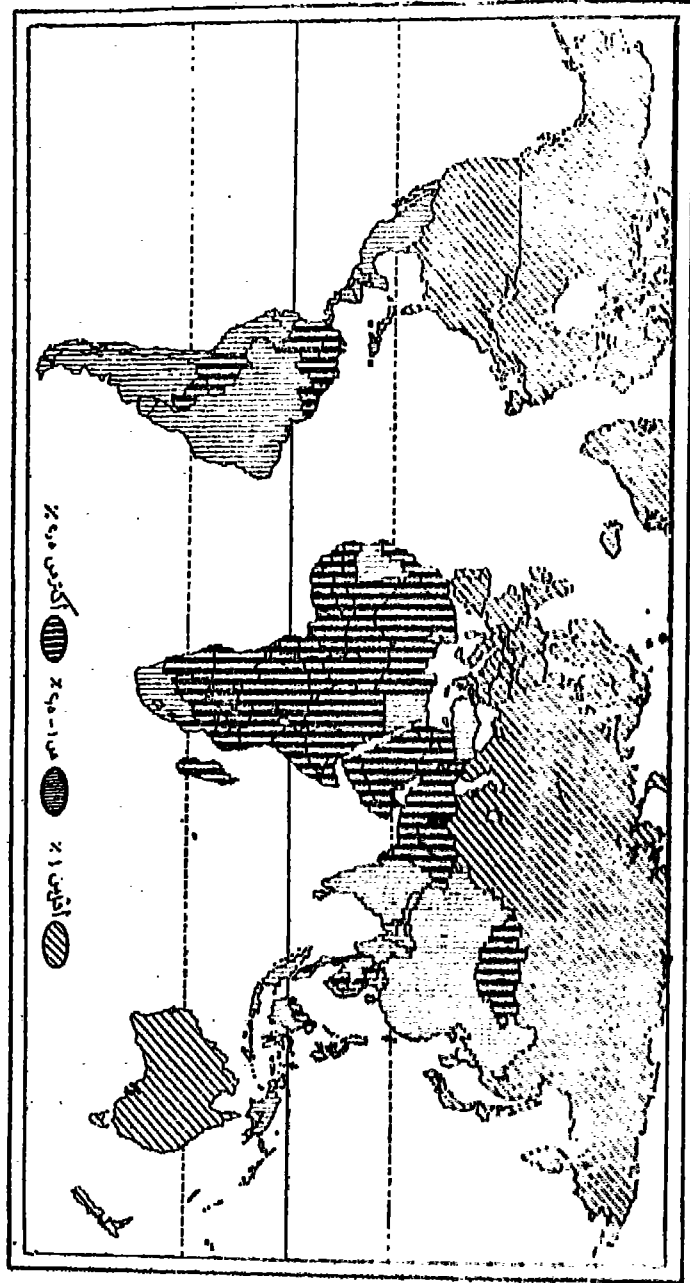
١٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٨٥٠ الى ٢٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٤٠ ثم الى ٣٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٦٠ ثم الى ٥٠٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٧ وتبلغ الزيادة السنوية في الوقت الحاضر قرابة ٩٠ مليون نسمة - أى أن عدداً مشابهاً لسكان المكسيك يضاف الى سكان العالم سنوياً .

مراحل النمو السكاني :

سبق القول بأن الارتباط بين معدلي المواليد والوفيات هو الذى يؤدي الى تغير حجم السكان بصفة أساسية وذلك لان الفرق بين هذين المعدلين والذي يعبر عنه بالزيادة الطبيعية - هو العامل الاساسى فى نمو السكان، ويزيد معدل المواليد على معدل الوفيات فى كل دول العالم ولكن الفرق بينهما يختلف من دولة لاخرى كما أنه يختلف بين اقاليم الدولة الواحدة بل وبين الطبقات الاجتماعية فى داخل الاقليم الواحد ، ولذلك فان لكل دولة نمط خاص للنمو السكاني واذا كانت هناك دولتان تتشابهان فى معدلات النمو بهما فانهما قد وصلتتا الى هذا التشابه نتيجة ظروف ديموغرافية متشابهة فى صورتها العامة ولكنها تختلف فى التفاصيل التى اثرت فى اتجاه النمو بها .

وقد أدت دراسة النمو السكاني الى محاولة تقسيمه الى مراحل رئيسية أو دورات - ديموغرافية تتميز كل منها بسمات خاصة معتمدة على تطور المواليد والوفيات ، وتعرف هذه النظرية بنظرية النمو الطبيعي للسكان أو بالنظرية الديموغرافية الانتقالية Demographic Transitional Theory وقد أقيمت على أساس تجارب بيولوجية معملية فى بادئ الامر أجريت على بعض الكائنات وقام بها ريموند بيرل Raymond Pearl واستنتج أن النمو الطبيعي يحدث فى دورات مميزة ، ففى خلال الدورة الواحدة وفى مساحة معينة ووسط معين فان النمو يبدأ بطيئاً ثم ما يلبث أن يتزايد بالتدرج وينسب ثابتة حتى يصل الى منتصف الدورة وبعد هذه النقطة فان الزيادة المطلقة بالنسبة للوحدة الزمنية تصبح أقل حتى نهاية الدورة وقد اتخذ لوصف هذه النظرية قانوناً رياضياً مستخدماً معادلة المنحنى اللوجستى Logistic Curve لشرح منحنى النمو السكاني وتحديد دوراته المتتابعة .

وهناك نظرية مشابهة هى التى نادى بها Gini الايطالى وقد رأى أن دورة النمو السكاني تشبه دورة حياة الفرد : تتميز بمرحلة نمو سريع مبكر ثم مرحلة نضج وثبات وبعد ذلك مرحلة شيخوخة ، ويرى كلا



شكل رقم (19)
 معدل النمو السكاني

الباحثين (بيرل وجيني) أن دورة النمو السكاني تتأثر تأثيرا كبيرا بعامل المواليد وهبوطه ، وينتج عن هذه الدورات في النهاية منحني يأخذ شكل حرف S المائل ، وتختلف ديناميكية كل دورة عن الأخرى حسب الظروف الديموغرافية المؤدية إليها .

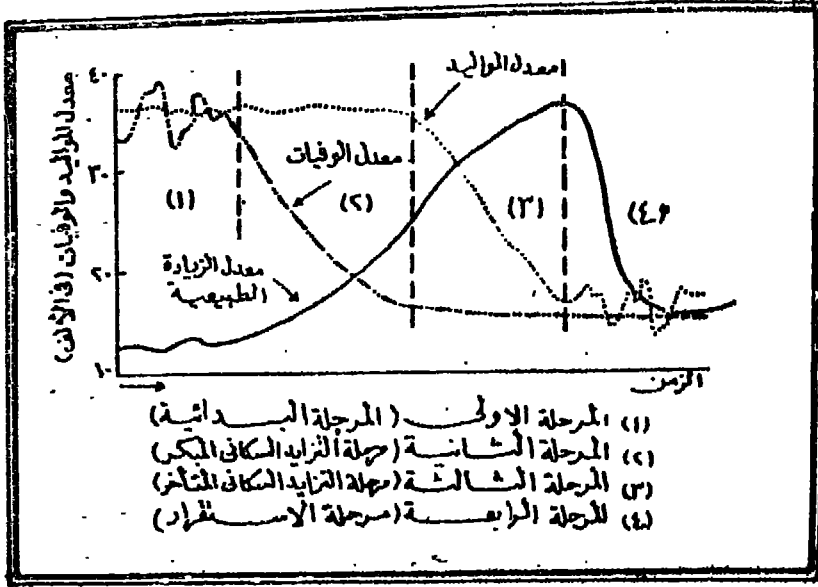
وتعد نظرية الانتقال الديموغرافي من أبرز المظاهر المرتبطة بدراسة السكان وربما حظيت باهتمام كبير يماثل الاهتمام الذي قوبلت به نظرية مالثوس من قبل ، وهي باختصار تمثل العلاقة بين معدل المواليد ومعدل الوفيات وما تنتجه من مؤثرات ديموغرافية تنعكس على معدل النمو السكاني في المجتمع ، وهي في ذلك تعتمد على عنصر الزمن لتحديد تطور منحني النمو وتقسيمه الى مراحل مميزة لكل منها سماتها الخاصة في هذين العنصرين الحيويين : المواليد والوفيات .

وعلى أساس تباين معدلات المواليد والوفيات في دول العالم فإنه يمكن تقسيمها نظريا حسب هذه النظرية الى أنماط متعددة تضمها المراحل التالية : (شكل رقم ٢٠)

١ - المرحلة الأولى High Stationary Stage :

وتعرف أحيانا بالمرحلة البدائية (Primitive Stage) وتتميز بارتفاع معدل المواليد والوفيات ويتعرض السكان فيها لأوبئة ومجاعات ترفع معدل الوفيات الى أرقام كبيرة ، وكذلك ترتفع فيها معدلات وفيات الأطفال الرضع ارتفاعا كبيرا قد يصل الى أكثر من ٢٥٠ في الألف ، كما أن أكثر من نصف الأطفال يموتون قبل وصولهم سن الخامسة عشرة ، ولقد مرت كل شعوب العالم بهذه المرحلة التي سادت العالم في كل أجزائه تقريبا حتى القرن السابع عشر الميلادي ولكن قلت المجتمعات التي تتمثل فيها هذه المرحلة في العصر الحديث قلة واضحة وأصبحت مقصورة على بعض أجزاء وسط أفريقيا وبعض جزر جنوب شرق آسيا وبعض مناطق دول أمريكا اللاتينية حيث يتعدى معدل المواليد والوفيات ٣٠ في الألف وبالتالي لايزيد معدل النمو السكاني زيادة كبيرة ويظل مرتبطين بظروف التخلف الصحي والاجتماعي السائدة .

وتشبه ظروف هذه المناطق المختلفة ظروف أوروبا منذ مائتي سنة ، ولكنها تشمل بعض المجتمعات المنعزلة في العالم والتي يقدر البعض عدد سكانها بنحو ١٠٠ مليون نسمة ولاشك أن ازدياد اتصالها بالعالم المتحضر سيؤدي الى تقليل معدلات الوفيات بها وبالتالي دخولها في المرحلة التالية من مراحل الدورة الديموغرافية .



شكل رقم (٢٠)
مراحل النمو السكاني

٢ - المرحلة الثانية :

وتعرف بمرحلة التزايد السكاني المبكر (early expanding stage) أو المرحلة الديموغرافية الشابة وتتميز بالنمو المتزايد والسريع للسكان الناتج عن انخفاض معدل الوفيات مع استمرار معدل المواليد مرتفعا ومن ثم تتسع الهوة بين المواليد والوفيات وترتفع نسبة الزيادة الطبيعية، ويتميز الهرم العمري للسكان باتساع القاعدة أي ارتفاع نسبة الصغار ، وقد انتهت بريدلانيا من هذه المرحلة في السبعينيات من القرن الماضي أو منذ ما يزيد على مائة وعشرين سنة ، وتعيش معظم دول العالم النامي في هذه المرحلة حيث تسود في دول أمريكا اللاتينية المدارية وكذلك في معظم الدول الأفريقية والاسيوية ، وقد دخل كثير من هذه الدول تلك المرحلة منذ عقدين أو ثلاثة من الزمان فقط حيث أدى الهبوط المفاجيء في معدل الوفيات بها واستمرار معدل المواليد ثابتا الى تزايد واضح في معدل الزيادة الطبيعية الذي وصل الى درجة عالية في دول هذه المرحلة مثل كولومبيا (٢٠٪ سنويا) واكوادر (٢٤٪) وفنزويلا (٢٤٪) وباراجواي (٢٧٪) وكوستاريكا (٢٤٪) والفلبين (٢٦٪) والسودان (٢٩٪) والجزائر (٢٧٪) والعراق (٢٦٪) ودول هذه المجموعة هي التي تحظى بأعلى معدلات

لنمو السكانى فى العالم والذى يكشف عن زيادة كبيرة حالية ومرتبقة فى عدد السكان بها الذى يمكن أن يتضاعف فى مدى الثلاثين عاما القادمة وبمعنى آخر فان هذه الدول تعيش الان مرحلة الانفجار السكانى الذى يعد من أبرز مشكلاتها المعاصرة .

ويعد التطور التكنولوجى الكبير من أهم العوامل التى مكنت الدول من الدخول الى المرحلة الثانية - مرحلة الانفجار السكانى - حيث استطاعت بواسطته أن تسيطر على الامراض الوبائية وأن تخفض من معدل الوفيات بها فى فترة قصيرة مع بقاء معدل المواليد مرتفعا ولذلك فان ديناميكية الانفجار السكانى ترجع فى الاساس الى الهبوط الكبير فى معدل الوفيات نتيجة السيطرة على أسبابها .

٣ - المرحلة الثالثة :

وتعرف بمرحلة التزايد السكانى المتأخر (Late expanding stage) وهى المرحلة التى تعيشها الدول ذات الخصوبة المتوسطة (معدل المواليد أقل قليلا من ٢٠ فى الالف) ووفيات منخفضة (معدل وفيات حوالى ١٠ فى الالف) ويتميز النمو السكانى بأنه أقل من مستواه فى المرحلة السابقة ذات التزايد المبكر وتتراوح الزيادة الطبيعية فيما بين ١% الى ١.٥% سنويا - مثل سنغافورة (١.٣%) وتايلاند (١.٣%) وكوريا الشمالية (١.٨%) والجنوبية (٠.٩%) واندونيسيا (١.٨%) وسريلانكا (١.٥%) .

وفى هذه المرحلة توجد دول أخرى مثل الصين (١.٥%) وتايوان (٠.٩%) والارجنتين (١.٣%) وشيلي (١.٧%) - وفى هذه الدول بدأت عوامل التغير الاقتصادى والاجتماعى تحدث أثرها فى تقليل معدلات الخصوبة ومن ثم معدلات النمو بها .

المرحلة الرابعة Late expanding stage :

وهى المرحلة الاخيرة فى الدورة الديموغرافية وهى تشمل الدول التى وصلت الى مرحلة الثبات والاستقرار الديموغرافيين حيث انخفض فيها معدل المواليد ومعدل الوفيات انخفاضاً ملحوظاً وبالتالى هبط معدل النمو السكانى بها الى ادىنى مستوياته فى العالم اليوم حيث يتراوح بين صفر% الى ١.٠% سنويا كما هى الحال فى معظم دول شمال وغرب أوروبا، وأوضح الامثلة فنلنده حيث يصل معدل النمو الى ٠.٣% سنويا وبلجيكا والنمسا (٠.١%) والمملكة المتحدة (٠.٢%) وفرنسا (٠.٤%) ، وفى أقصى حدود هذه المرحلة فقد يحدث نقص طبيعى للسكان كما حدث فى فرنسا مثلا بين

عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ عندما كان معدل المواليد ١٤ر٥ فى الالف والوفيات ١٥ر٣ فى الالف وقد عاد التوازن الى السكان بعد ذلك . كما شهدت بعض دول هذا المرحلة نقصا طبيعيا او ثباتا سكانيا مثل المجر والمانيا والدانمرك .

وتمثل اليابان نوعا فريدا فى العصر الحديث . حيث استطاعت ان تمر من المرحلة الثالثة الى المرحلة الرابعة التى تعيشها حاليا فى أقل من عشرين سنة وذلك نتيجة سياسة حازمة لتخفيض معدل النمو السكانى بها حتى وصل الى ٣ر٠ ٪ سنويا فقط . وهى تعد بذلك الدولة الاسيوية الوحيدة التى تعيش فى المرحلة الرابعة بجدارة .

وبالرغم من أنه يمكن التنبؤ بان كثيرا من الدول ستصل الى المرحلة الرابعة فى النهاية الا أن ذلك الانتقال المرحلى يرتبط بتغيرت جذرية فى التركيب الاقتصادى والاجتماعى فى هذه الدول يمكنها من الهبوط بمعدلات المواليد والوفيات الى المستوى المنخفض السائد فى دول المرحلة الرابعة من الدورة الديموغرافية ، ويبقى الانتقال من مرحلة الى أخرى رهنا بعوامل متشابهة تحدث التغير فى الخصائص الديموغرافية وتجعل المجتمع فى حالة تحول نحو الاحسن .

مستقبل النمو السكانى فى العالم :

يعد تقدير حجم السكان فى المستقبل نتاجا هاما للدراسة الديموغرافية بل هو هدفها الرئيسى والمتم لها فى الواقع حيث يعتمد على عوامل النمو السكانى الحيوية وعلى الفروض الخاصة بها .

وترجع أهمية التقديرات السكانية فى المستقبل الى أنها تلعب دورا كبيرا فى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى . سواء على مستوى الدولة أو الاقليم الملى ، فعن طريقها يمكن تحديد حجم السكان فى المستقبل وخصائصهم الرئيسية من حيث تركيبهم العمرى أو النوعى من حيث عدد المستهلكين لخدمات معينة والمستفيدين منها مثل تقدير عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة وتقدير عدد المساكن اللازمة فى المستقبل وغير ذلك .

ومن هنا فان هناك أنواعا رئيسية من التقديرات يختلف كل منها عن الاخر حسب الغرض الذى يعمل من أجله وان كانت كلها تعتمد على قاعدة رئيسية هى تقدير الحجم الكلى للسكان فى فترات زمنية مقبلة ، ومن هذه الانواع ما يهتم بتقدير هذا الحجم حسب النوع وفئات السن فقط . ومنها ما يهتم بتقدير عدد الاسر فى المستقبل وذلك بغية التعرف على لاحتياجات

الاسكان المستقبلية ، ومنها مايولى أهمية خاصة بتقدير عدد السكان في سن التعليم بمراحله المختلفة بقصد تحديد عدد المدارس والفصول اللازمة في المستقبل والتي تتمشى مع التزايد في عدد السكان الذين يشملهم سن التعليم .

وينبغي الإشارة في هذا المجال الى أن تقدير السكان لفترة زمنية طويلة يقلل من فائدته الى حد كبير وذلك لما هو معروف من التغير المستمر في عوامل النمو السكاني ولايستطيع الباحث الوقوف على كثير من الظروف المستقبلية التي تؤثر في العمليات الحيوية للسكان فلا يمكن في الوقت الحاضر مثلا معرفة المؤثرات الطارئة التي تؤثر في أنماط الوفاة والخصوبة والزواج والهجرة في المستقبل ، ولذلك كله فمن المعروف ديموغرافيا أن الاطمئنان الى نتائج التقدير السكاني يتناقص بتزايد الفترة التي يمتد إليها التقدير ، وتعتبر الفترة التقديرية من ٢٠ الى ٢٥ سنة كافية لمواجهة متطلبات التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية (١) .

وتقديرات السكان في المستقبل (أو الاسقاطات السكانية Population Projection) - هي عبارة عن مجرد عمل امتداد لنمط معقول معين لنمو من الماضى الى المستقبل مبنى على افتراضات محددة للواقعات الحيوية (المواليد والوفيات) في ضوء المشاهد منها والمتوقع لها .

وهناك بعض الطرق الرياضية التي تستخدم في تقدير عدد السكان في المستقبل منها طريقة استخدام المعادلة الهندسية أو المعادلة الاسية، وتعتمد هذه الطريقة على معدل النمو الذي سبق حسابه للدولة أو الاقليم وعلى افتراض تزايد أو تناقصه في المستقبل حسبما يترامى للباحث من دراسة عوامل النمو به ، ثم تفترض بعد ذلك ثبات التركيب العمري النوعى للسكان كما كان عليه في التعداد السابق ، ومن ثم يتم توزيع فئات السن بنسب توزيعها السابقة بعد تقدير اجمالى السكان في سنة لاحقة .

وهناك طريقة رئيسية تستخدم في تقدير السكان في المستقبل وتدخل في حسابها عناصر النمو المختلفة وتعرف هذه الطريقة باسم الطريقة التركيبية Component Method حيث تؤخذ أعداد الذكور والاناث في كل فئة عمرية في تاريخ الاساس كقاعدة لتقدير عدد الباقين على قيد الحياة في فئات السن

(١) الامم المتحدة - المبادئ العامة للبرامج القومية للاسقاطات السكانية كعامل مساعد في تخطيط التنمية - ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة - القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ١٠ .

المقتالية. الاعلى في تواريخ متعاقبة في المستقبل وذلك اعتمادا على كل جيل من المواليد بتطبيق معدلات الخصوبة المقدرة على الاناث في سن الانجاب (١).

وتختلف تقديرات السكان في المستقبل حسب اتجاه الخصوبة والوفيات وقد جرت العادة على وضع ثلاثة تقديرات للسكان : تقدير عالى وتقدير متوسط وتقدير منخفض ، ويرتبط التقدير العالى بافتراض ثبات معدلات الخصوبة والوفيات بينما المنخفض يرتبط بهبوط الخصوبة. ويكون التقدير المتوسط وسطا بينهما . ويبين الشكل رقم (٢١) هذه التقديرات الثلاثة لسكان العالم حتى سنة ٢٠٠٠ . واذا أخذنا التقدير المتوسط فيبدو أن سكان العالم سيتعدون الستة بلايين نسمة - ومعنى ذلك أن عددا يصل الى ٢٤٠٠ مليون نسمة سيضافون الى سكان العالم في الربع الاخير من القرن العشرين .

جدول رقم (٢٢) تقدير سكان القارات حتى سنة ٢٠٠٠ (١)
(تقدير متوسط)

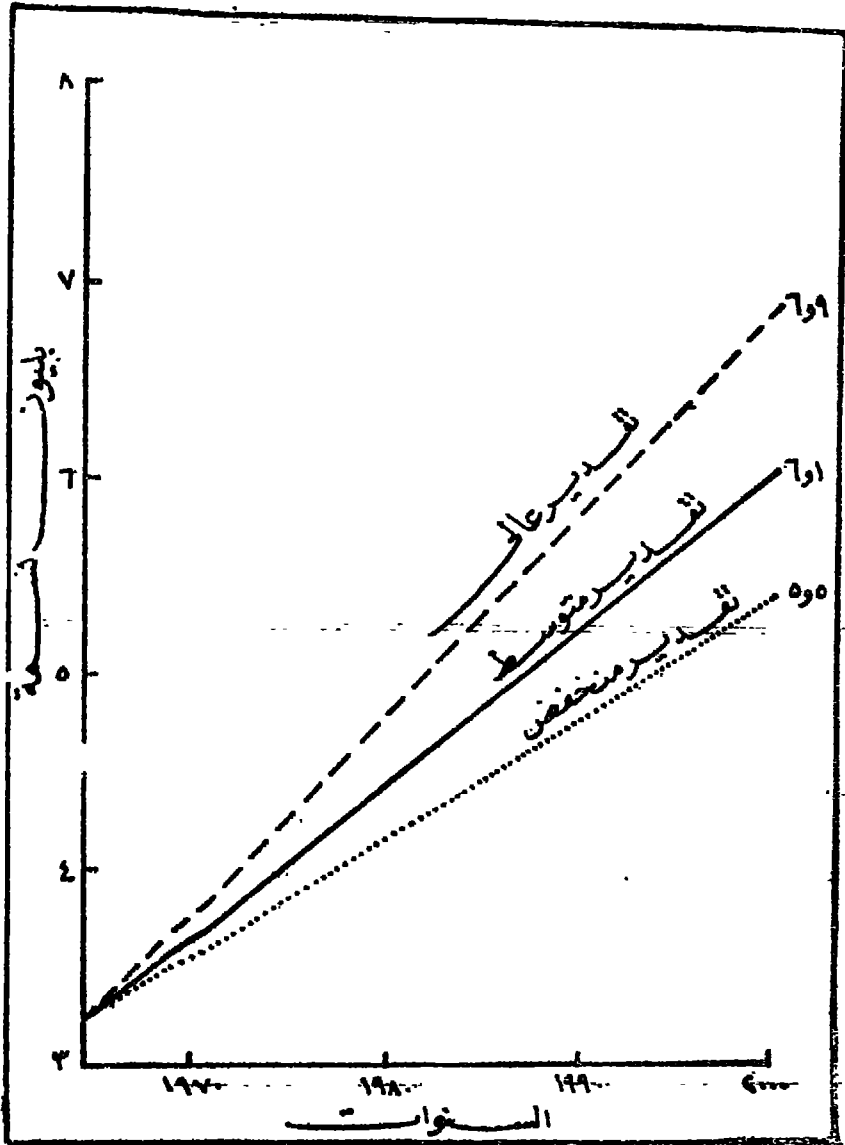
القارة	١٩٧٠	١٩٨٥	٢٠٠٠	٢٠٢٥
أفريقيا	٣٤٤	٥٣٠	٧٦٨	١٦٤١
آسيا	٢٠٥٦	٢٨٧٤	٣٤٥٨	٤٩٧٦
أمريكا اللاتينية	٢٨٣	٤٣٥	٦٣٨	٧٤٠
أمريكا الشمالية	٢٢٨	٢٨٠	٣٥٤	٣٦٧
أوروبا	٤٦٢	٥١٥	٥٢٧	٥١٨
توزع نولث الدول المستقلة	٢٤٣	٢٨٧	٣٥٣	٣٦٣
الاولقيانوسية	١٩	٢٧	٣٢	٤١
العالم	٣٦٣٥	٤٩٣٣	٦١٣٠	٨٦٤٥

(١) الامم المتحدة - طرق اسقاط السكان حسب العمر والنوع -
الكتاب الثالث - ترجمة المركز الديموغرافي بالقاهرة - القاهرة - ١٩٦٧ .

(٢) The Population Reference Bureau, April 1970.

The Population Council Reports on Population and Family
Planning, No. 15, January, 1974.

INED, Tous les Pays du Monde 1991, No. 259.



شكل رقم (٢١)

تقدير عدد سكان العالم حتى سنة ٢٠٠٠

ويبين الجدول رقم (٢٢) التقدير المتوسط لعدد السكان في قارات العالم في الفترة من ١٩٧٠ الى ٢٠٠٠ ، وفي ضوء هذه الارقام - فانه يمكن تقسيم قارات العالم الى مجموعتين : مجموعة القارات النامية وتشمل افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، ومجموعة القارات المتقدمة وتضم أوروبا

وأمریکا الشمالية والاقویانوسية . ویبدو واضحا أن المجموعة الاولى سیتضاعف عدد سكانها فی حوالي ثلاثین عاما (۱۹۷۰ - ۲۰۰۰) وهی تعيش الان مرحلة الانفجار السکانی ، واذا كان سكان هذه المجموعة یشكلون أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم فی الوقت الحاضر فان نسبتهم ستصل الی قرابة أربعة أخماس سكان العالم فی سنة ۲۰۰۰ . وعموما فانه حسب هذا التقدير المتوسط سیزید عدد سكان القارات النامية زیادة مطلقة بنحو ۲۱۸۴ ملیون نسمة بنسبة ۸۰٪ فی الفترة من ۱۹۷۰ حتى ۲۰۰۰ - أى بمعدل نمو ۲٫۵٪ سنویا ، ثم یقدر بأن جملة سكان هذه المجموعة النامية سیصل الی ۷۳۵۷ ملیون نسمة سنة ۲۰۲۵ أى ۸۵٪ من سكان العالم آنذاك .

وقد یكون مفیدا اعطاء بعض الامثلة علی تطور عدد السكان فی بعض دول هذه المجموعة كما تبین الارقام التالية (بالمیلیون) (۱) :

الدولة	عدد السكان ۱۹۷۰	عدد السكان ۱۹۸۵	عدد السكان ۲۰۲۵
الصین	۷۶۰	۹۶۴	۱۵۹۱
الهند	۵۵۵	۸۰۷	۱۳۶۶
البرازیل	۹۳	۱۴۳	۲۴۶
باكستان وبنجلادیش	۱۳۷	۲۲۴	۵۰۷
نیجیریا	۵۵	۸۵	۳۰۵
المكسیك	۵۱	۸۵	۱۴۳
الفلبین	۳۸	۶۴	۱۰۱
مصر	۳۴	۵۰	۱۰۵

أما سكان المجموعة الثانية وهی القارات المتقدمة ، فیتمیزون بمعدل نمو منخفض ناجم بطبیعة الحال عن انخفاض معدلات الموالید بها، ولذلك فان سكانها سیزیدون فی خلال الثلاثین عاما بین عامی ۱۹۷۰ - ۲۰۰۰ بنحو ۳۰۰ ملیون نسمة فقط . وبنسبة زیادة تصل الی ۳۳٪ فقط أى قرابة ۱٪ سنویا ، ویبدو من تتبع منحنى التطور الديموغرافی فی هذه الدول أنها وصلت الی مرحلة الاستقرار والثبات السکانی وهی المرحلة الاخيرة من مراحل دورة الانتقال الديموغرافی كما سبق القول ، ومن ثم سیتناقص حجم سكانها فی سنة ۲۰۲۵ .

(۱) المصدر :

INED., Population et Sociétés, 1991, No. 259, Tous les Pays du Monde (1991).

البَابُ الثَّالِثُ
الهجرات السكانية

مقدمة

تعد الهجرة عنصرا رئيسيا من عناصر الدراسة السكانية ذلك لأنها فيما عدا الزيادة الطبيعية تعد المصدر الوحيد لتغير حجم السكان ، ومع هذا فإن دراستها ليست ميسرة مثل دراسة المواليد والوفيات وذلك لاختلاف البيانات بينهما اختلافا جوهريا ، وإذا كانت الهجرة عاملا مؤثرا في نمو السكان فإنها تؤثر بالتالى فى خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية حيث يعد التغير فى التركيب العمرى والنوعى مثلا نتاجا هاما من نتائج الهجرة من الاقليم أو اليه ، ولما كان صافى الهجرة يعنى انتقال السكان من مكان لآخر فان ذلك يعيد توزيع السكان فى أى منطقة وما يترتب عليه من نتائج ايجابية كتوفر الايدى العاملة وزيادة فرص الحصول على المدرّب منها، أو نتائج سلبية مثل زيادة عبء الاعالة فى المناطق المهاجر منها وخلق كثير من المشكلات السكانية والاسكانية فى المناطق المهاجر اليها .

والهجرة ظاهرة جغرافية تميز السكان على مر العصور ، وتما كنا يهتم دارس النبات والحيوان بتوزيع وهجرة أنواع الحياتين النباتية والحيوانية فان دارس جغرافية السكان يهتم هو الآخر بالحركة الجغرافية للبشر ، وتعكس معظم الحركات السكانية رغبة الانسان فى مغادرة منطقة ما تصعب معيشته بها الى منطقة أخرى يعتقد فى امكان العيش بنا بصورة أفضل وأحسن، وليس ذلك فى الهجرات الدولية فقط بل فى الهجرات المحلية كذلك ، مثل انتقال الايدى العاملة من مكان لآخر وانتقال سكان الريث للعيش فى المدن وانتقال السكان من المناطق المزرحة الى المناطق الاقل ازدحاما وهكذا .

وعلى ذلك فان الدوافع للهجرة قد تكون واحدة فى الغالب والعامل المشترك الاعظم بينها هو عدم الرضا Dissatisfaction عن البيئة الاصلية للمهاجرين مما يحفزهم للانتقال نحو بيئة أخرى أكثر ملاءمة ، وتشارك معظم الهجرات فى ذلك ابتداء من الانتقال الموسمى للعمال الزراعيين مثلا الى موجات الهجرة الضخمة لتعمير مناطق حديثة العهد بالاستيطان - مثل الخروج الاوربي العظيم نحو العالم الجديد .

وللهجرة أنماط متعددة ويتميز كل منها بخصائص ديموغرافية خاصة وان كان يقصد بها عموما الانتقال الجغرافي من منطقة لآخرى وهى تنقسم الى قسمين من حيث الاستمرار والدوام هما : الهجرة الدائمة Life - time migration والهجرة المؤقتة Temporary Migration ، ولسهولة الدراسة فانه يمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام رئيسية من حيث المدى والاتجاه وهى:

١ - الهجرات الدولية وتتمثل فى الانتقال السكانى عبر حدود الدول
أى من دولة لآخرى .

٢ - الهجرة الداخلية ، أو المحلية وهى تتمثل فى انتقال السكان فيما
بين أجزاء الدولة الواحدة .

٣ - الهجرة الدولية Rhythmic Migrations أو المؤقتة : وتتمثل
فى الانتقال الجغرافي من مكان لآخر لفترة محددة ثم مايلبث المهاجرون ان
يعودوا الى مواطنهم الاصلية بعد ذلك وأبرز أمثلتها هجرة الايدي العاملة
والانتقال الموسمى لبعض السكان .

ويلاحظ أن النوع الثالث من الهجرات السكانية قد يندرج جزئيا تحت
واحد من النوعين السابقين ، فقد تضم الهجرة الدولية مثلا هجرة للايدي
العاملة من دولة لآخرى لفترات محددة وتعرف بهجرة عمال الاهداف
Target Workers كما فى أفريقيا المدارية مثلا ، كذلك فقد تضم الهجرات
الداخلية نفس الظاهرة أى انتقال الايدي العاملة من مكان لآخر داخل
الدولة الواحدة لفترات محددة ، كذلك قد تضم هجرات لجماعات سكانية
Trans humance وفى مسالك محددة كانتقال رعاة الجبال الى السهول
أو الانتقال من مناطق الحشائش الفقيرة الى تلك المناطق الغنية بمراعيها .

الهجرة الدولية :

يشمل هذا النوع من الهجرات الانتقال السكانى عبر حدود الدول ليس
فقط الدول المتجاورة بل ومن قارة الى أخرى ، وليست المسافة ذات اعتبار
كبير فى تعريف هذا النوع من الهجرة ذلك لان الاوكرانى الذى ينتقل مثلا
للعمل فى فلاديفوستيك يقطع مسافة أكبر بكثير من البولندى الذى يهاجر
للعمل فى فرنسا بالرغم من الاول يتحرك داخليا عبر حدود دولة واحدة
بينما انتقل الثانى عبر حدود أكثر من دولة ومن ثم يدخل فى عسداد
الهجرة الدولية .

وعلى ذلك فإن دراسة الهجرة الدولية تبدو سهلة في ضوء هذا التعريف البسيط لها واعتمادا على سجلات الهجرة عند حدود الدول، ولكن ما ينبغي ملاحظته هو أن الاعتماد على هذه السجلات لا يؤدي إلى دراسة دقيقة ، ذلك لأنها قد لا تحوي كل الحقائق عن المهاجرين من ناحية كما أنها سجلات لحظية من ناحية أخرى تسجل حالة المهاجر وقت عبور الحدود دون اعتبار للتغير الوظيفي والاجتماعي الذي سيطرأ عليه في دولة المهجر بعد ذلك ، كذلك قد لا تتوافق بيانات الهجرة للدولة الموفدة مع بيانات الدولة المستقبلة فعلى سبيل المثال لا تتفق البيانات التي تنشرها ألمانيا عن المهاجرين الألمان إلى الأرجنتين مع تلك التي تنشرها الأرجنتين عن هؤلاء الأشخاص الوافدين إليها .

ولاتعنى الهجرة الدولية الانتقال الجغرافي عبر الحدود السياسية بقصد الاستقرار الدائم في المهجر فقط بل أنها تضم أنواعا أخرى أهمها الهجرة المؤقتة لبعض السكان ، ويرتبط ذلك بمغادرة بعض المهاجرين لمواطنهم الأصلية في دولهم للعمل فترة من الزمن في دولة أخرى ثم مايلبثوا أن يعودوا لدولهم مرة أخرى بعد أن يكونوا قد كسبوا ثروة تساعد على العيش في مستوى أعلى مما كانوا عليه قبل الهجرة ، وتسود هذه الظاهرة في كثير من المناطق مثل صقلية في جنوب إيطاليا واليونان وبعض مناطق جنوب شرق أوروبا مثل ألبانيا أو بلغاريا حيث يتميز المهاجرون العائدون من الأمريكتين إلى وطنهم بمستوى معيشي مرتفع وفضلوا العودة لقضاء بقية حياتهم في موطنهم الأصلي ، ولقد كانت الهجرة المؤقتة سمة هامة لحركة الهجرة نحو أمريكا الجنوبية ، ذلك أنه في الأرجنتين مثلا فيما بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩٥٠ لم يستقر بها من جملة المهاجرين إليها وعددهم ١٤١٥٩٨٧٦ مهاجرا سوى ٢٣١٨٤٢٢ مهاجرا فقط استوطنوها بصفة دائمة (١) .

وتعكس هذه الظاهرة مدى التلاؤم مع العيش في البيئة الجديدة التي يهاجر إليها الفرد وعودته إلى موطنه الأصلي نتيجة عدم قدرته على التكيف الدائم مع المهجر وإن كان كثير من أبناء هؤلاء المهاجرين وأحفادهم يستمرون في دولة المهجر مكونين بذلك جيلا من المهاجرين الدائمين أكثر ارتباطا بالمهجر من ارتباطهم بالوطن الأم .

(1) Bălaujeu - Garnier, J., Op. Cit., p. 171.

وتشمل الهجرة المؤقتة كذلك الانتقال السكاني لمدد محددة وقصيرة ، مثل هجرة العمال الجزائريين الى فرنسا الذين يتركون أسرهم في الجزائر ويتجهون الى فرنسا للعمل بضع شهور أو بضع سنوات. فقط وذلك حتى يتمكنوا من تحقيق بعض طموحهم ، ويبلغ عدد الجزائريين العاملين في فرنسا قرابة ٣٠٠.٠٠٠ جزائري ، وقد جاء معظمهم من المناطق الجبلية في الجزائر ، وليسوا في غالبيتهم من العمال المدربين بل يمارسون أعمالا بسيطة أو يدوية لا تتطلب خبرة فنية ، ويهاجر الواحد منهم لمدة تتراوح بين ثمانية عشر شهرا وثلاث سنوات . ثم ما يليث أن يعود الى وطنه . ويسهم الكثير من العمال الجزائريين في أعمال البناء والتشييد. وفي المناجم والزراعة ولايهمهم التلاؤم مع البيئة الجديدة بطبيعة الحال . ظلنا أن وجودهم بها مؤقت ومن ثم لايتركون بصمات قوية وراءهم في الخصائص الديموغرافية لسكان المهجر .

انهجرات الاجبارية وتبادل السكان :

شهد العالم - بالاضافة الى الهجرات الدولية الاختيارية هجرة من نوع آخر - وهى التهجير الاجبارى وازاحة السكان من مكان لآخر، وكانت تجارة الرقيق في الماضى أبرز الامثلة على ذلك . فقد نشط البرتغاليون منذ سنة ١٤٢٢ في جلب الزنوج من أفريقيا للعمل في شبه جزيرة ايبيريا. ولكن منذ سنة ١٥١٧ زادت تجارتهم في الرقيق لامداد أمريكا بهم ثم ناقسهم الانجليز في ذلك حتى أصبحوا هم الاخرين من أعظم صيادى الزنوج في اوائل القرن السابع عشر وأسسوا مراكز لذلك على ساحل أفريقيا، وبالرغم من الغاء هذه التجارة رسميا في سنة ١٨٠٧ فقد استمرت في الواقع حتى سنة ١٨٥٠ وهناك تقديرات مختلفة لاعداد الزنوج الذين أجبروا على ترك أفريقيا على يد البيض ومنها ما يذكر أن عددهم بلغ حوالى ٢٠ مليون زنجى اتجهوا نحو الامريكيتين ، وقد ترتب على ذلك استنزاف مبكر للموارد البشرية في أفريقيا .

وبالاضافة الى ذلك فقد أدت الحروب الدولية الى حدوث هجرة بعضها اختياري والآخر اجبارى . فطبقا لمعاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ حدث تبادل اجبارى للسكان بين مليون نسمة من اليونانيين الذين كانوا يعيشون في مدن آسيا الصغرى الساحلية وأعيدوا الى اليونان مقابل ٣٠٠.٠٠٠ تركى أعيدوا من اليونان الى تركيا ، وقد نشطت ألمانيا في سياسة ضم السكان قبيل واثناء الحرب العالمية الثانية من الدول المجاورة التى تعيش بها

أقليات المانية حتى بلغ عدد اللاجئين الالمان في سنة ١٩٥٦ حوالي ١٥ر٥ مليون لاجيء منهم ١١ر٢ مليون في ألمانيا الاتحادية وبرلين الغربية وبعضهم في النمسا . كذلك فقد أعقب استقلال الهند والباكستان في سنة ١٩٤٧ تبادل سكاني بينهما شمل ١٧ مليون نسمة ، حتى أنه في سنة ١٩٥٧ بلغ عدد اللاجئين في الباكستان ٨ر٤ مليون لاجيء وفي الهند ٨ر٨٥ مليون، وبنسبة تصل الى ١٠% من سكان الباكستان و ٢% من سكان الهند .

وبصفة عامة فقد قدر أن عدد الذين هاجروا أو هجروا في خلال الخمس والعشرين سنة التي تلت الحرب العالمية الثانية - ونتيجة حركات التحرر التي تبعتها - يصل الى حوالي ١٠٠ مليون نسمة وهو عدد ضخم ولاشك(١).

(1) Ibid., p. 175.

الفصل السابع

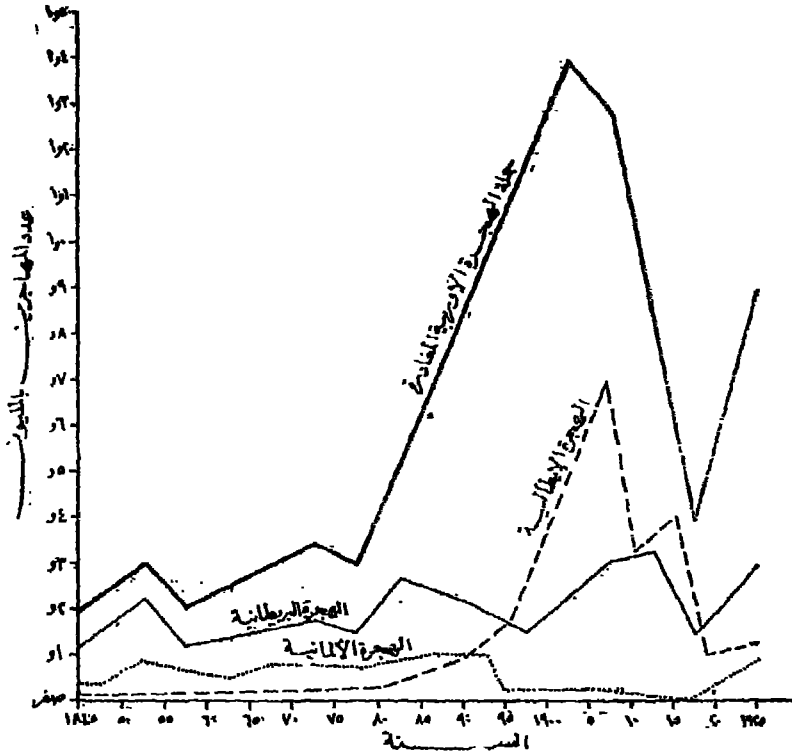
الهجرة الدولية الاوربية

اسهمت قارة اوربا الصغيرة المساحة والواقعة في اقصى الطرف الشمالى الغربى من العالم القديم - اكثر من اى قارة اخرى في العالم في الهجرة الدواية ، فقد شهدت هجرة مغادرة ضخمة في المائة وخمسين سنة الاخيرة حتى انه يقدر بان عدد الاوربيين الذين غادروا قارتهم الى باقى اقاليم العالم بتراوح بين ٥٠ - ٦٠ مليون نسمة اتجه اكثر من نصفهم الى امريكا الشمالية ، وقد قدر معدل الهجرة الدولية الخارجة من اوربا فيما بين سنتى ١٨٤٦-١٩٣١ بنحو ٣ في الالف تقريبا من مجموع السكان الاوربيين .

ولم يكن الخروج الاوربى - جديدا - بل جاء في أعقاب حركة الكشوف الجغرافية على اكتاف الرواد الاوربيين الاوائل ، وقد تمثل هذا الخروج المبكر في هجرة اعداد من الفرنسيين والانجليز والهولنديين والبرتغاليين والاسبان منذ القرن السادس عشر نحو جزر الهند الغربية وسواحل الامريكيتين وافريقيا والهند ، ولكن الهجرة الضخمة ذات الاعداد الكبيرة ارتبطت بتزايد سكانى كبير شهدته اوربا وواكبه تطور في وسائل النقل وكذلك تزايد في الثروات المكتشفة في العالم الجديد مما شجع الكثيرين على الهجرة الى اقطار هذا العالم والى بعض مناطق العالم القديم أيضا .

ويمكن ان تنقسم قصة الهجرة الاوربية الضخمة الى مراحل عديدة :
وقد عبرت اولى موجاتها المحيط الاطلسى فيما بين سنتى ١٨٥٠ - ١٨٥٥
والثانية نحو سنة ١٨٧٥ والثالثة فيما بين سنتى ١٨٨٥ ، ١٨٩٠ والرابعة
وهي الاكثر أهمية فيما بين سنتى ١٩٠٥ - ١٩١٣ والخامسة في سنة ١٩٢٥
(انظر شكل رقم ٢٢) والسادسة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ولقد
شهدت سنة ١٩١٣ اكبر عدد من المهاجرين يغادر القارة في اى سنة من
السنوات حيث بلغ ١٥٢٧٠٠٠ نسمة منهم ٥٦٥٠٠٠ ايطالى و
٣٨٩٠٠٠ بريطانى و ٢٠٦٠٠٠ اسبانى و ١٩٤٠٠٠ نمساوى ، وكان

شمال غرب أوروبا أكثر أقاليم القارة دفعا بإبنائه للهجرة عبر المحيط
 وأسهمت بعض أقطاره بنسبة عالية من المهاجرين فقد أرسلت الجزر
 البريطانية واسكتديناوه وبلجيكا وهولنده بما يقرب من ٢٥ مليون مهاجر
 - ثلثا هذا العدد من البريطانيين وحدهم وقد اتجه ٥٦% من هؤلاء الى
 الولايات المتحدة و ١٥% الى كندا و ٥% الى استراليا و ٥% الى جنوب
 أفريقيا .



(شكل رقم ٢٢)

موجات الهجرة الأوروبية في الفترة (١٨٤٥ - ١٩٢٥)

وقد بدأت أقطار أوروبية أخرى في الاسهام بعدد من المهاجرين فقد خرج
 من ألمانيا نحو ٧ مليون مهاجر في الفترة من ١٨٧٨ - ١٨٩٣ وكذلك فيما
 بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ، كما هاجر حوالي ١٠ مليون
 ايطالى خاصة بعد سنة ١٨٨٥ ، ذهب ٤٢% منهم الى الولايات المتحدة
 و ٢١% الى البرازيل و ٢٠% الى الأرجنتين ، ١٠% الى فرنسا ، وان كان

الكثيرون منهم قد عادوا الى الوطن الام لقضاء بقية عمرهم به . ومنذ بداية القرن العشرين بدأت دول وسط شرق أوروبا في الاسهام في حركة الهجرة الخارجة نحو العالم الجديد ، وقد بلغ عدد المهاجرين ٢٠ مليون من النمسا والمجر و ٣ مليون من شبه جزيرة ايبيريا و ٧٠٠.٠٠٠ من اليونان ومثلهم من الروس والبولنديين .

الهجرة الاوربية فيما وراء البحار :

تعد الهجرة التي خرجت من أوروبا أكبر حركة هجرة سكانية في التاريخ ، وقد بدأ تيار الهجرة عبر المحيط قبل القرن التاسع عشر عقب اكتشاف الأمريكتين واستعمارها على يد الاسبان ، ولكن قدر أنه في الفترة من سنة ١٨٢١ حتى سنة ١٩١٠ غادر أوروبا ٢٦ مليون مهاجر على الأقل نحو الولايات المتحدة وحدها . وقد تباينت أجزاء القارة في تيارات الهجرة الخارجة منها ، ولكن من المؤكد أن كل دول القارة الآوربية قد أسهمت في حركة الهجرة حتى أصبحت المهاجر البعيدة تضم خليطا متميزا بخصائص الشعوب الاوربية مجتمعة ، وكانت دوافع الهجرة مشتركة بين كل الاقطار الاوربية فحيانا كانت تبدو ذات تأثير جماعي وأحيانا أخرى يبدو تأثيرها انفراديا حسب فترة التطور الاقتصادي ومستواه السائد .

وقد عانت أوروبا من التضخم السكاني مبكرا - أي أن مواردها كانت غير كافية لاعداد السكان المتزايدين بها، فالاقتصاد الزراعي تعرض لاجماد التربة باستمرار الزراعة الكثيفة وتزايد احتياجاتها للتسميد المستمر وزيادة الضغط السكاني على الارض حتى أصبح كثيرا من المزارعين بدون أراضي ومن ثم أصبحت روابطهم بالارض معدومة ، ثم جاءت ميكنة الزراعة وجعلت الهجرة أمرا ضروريا ملحا ، وقد تحققت الرغبة في الهجرة عندما اكتشفت أراضي واسعة في العالم الجديد ، وفي عروض ملائمة مناخا لاستيطان الاوربيين ، وعندما أصبحت وسائل النقل الحديثة قادرة على نقل أعداد ضخمة من المهاجرين عبر المحيط .

وفي القرن السادس عشر غادر ثلاثة ملايين اسبانيي بلادهم نحو أمريكا وتوالى تيار الهجرة الاوربية بعد ذلك ووصل الى ذروته في فترات محددة خاصة بين سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٩ وبين ١٨٨٠ ، ١٨٨٩ ثم في أوائل القرن العشرين ، ومن ناحية أخرى هبط منحنى الهجرة الاوربية الخارجة هبوطا حادا عقب الحرب العالمية الاولى وذلك لفرض الولايات المتحدة

قيودا على الهجرة إليها - واتجاه كثير من الدول الأوروبية إلى الإصلاح الزراعي ومحاولة بعضها الحد من هجرة الأيدي العاملة بها .

ولم تؤثر الهجرة الأوروبية المغادرة في كل الدول الأوروبية في وقت واحد فقد بدأت مبكرة للغاية في اسبانيا والبرتغال ، وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت تتضمن أساسا الانجليز والاسكتلنديين والاييرلنديين والالمان الفرنسيين ، وعندما وفرت الملاحه البخارية وسيلة سريعة نسبيا ورخيصة للنقل بدأت حركة الهجرة تتنوع وتسابقت دول القارة نحو الهجرة خارجها . وبدأت الحركة أولا من أقطار شمال وشرق غرب أوروبا خاصة انجلترا واسكتلنده وايرلنده والدول الاسكندنافية وألمانيا . ثم جاء بعد ذلك الاسبان والايطاليون من الجنوب - ثم تلاهم السلاف من شرق أوروبا (انظر الجدول رقم ٢٣) .

وكان العالم الجديد هو المهجر الرئيسي للمهاجرين من أوروبا فقد اتجه تيار الهجرة الرئيسي حتى سنة ١٩١٤ نحو الولايات المتحدة وبلغ أقصاه في فترات زمنية سابقة كما حدث في الفترة من سنة ١٨٥١-١٨٦٠ و ١٨٨١-١٨٩٠ و ٩٠٠ - ١٩١٤ ، وفي بعض الفترات كان عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة أكثر من مليون مهاجر أوروبي في السنة الواحدة، وتتمشى الفترات الثلاث لتدفق المهاجرين بمعدلات عالية مع ثلاثة دوافع رئيسية فالاولى تمشت مع الضغط الديموغرافي في القارة الأوروبية والثانية تمشت مع الزيادة السريعة في استعمار الغرب الأمريكي والتصنيع في الشمال الشرقي من الولايات المتحدة والثالثة كانت مواكبة للنمو الاقتصادي الصناعي فيها بصفة عامة .

ولكن تيار الهجرة الأوروبية للولايات المتحدة تعرض لتقلص جوهري في حجمه وذلك بسبب القانون الذي أصدرته في سنة ١٩٢١ والخاص بتحديد حصص المهاجرين إليها وكان الدافع وراء هذا القانون هو رغبة الطبقة العاملة الأمريكية في المحافظة على مستوى معيشتها المرتفع ، كذلك رغبة الأمة الأمريكية كلها في المحافظة على تجانسها كدولة أنجلوساكسونية، وكان لذلك تأثير جذري على التدفق الأوربي نحو أمريكا الشمالية حيث قل حجمه إليها بدرجة كبيرة .

وقد اتجهت تيارات هجرة نحو أقطار الكومنولث البريطاني ، ولكنها كانت مقيدة بتشريعات خاصة لتحديد عدد المهاجرين غير البريطانيين إلى هذه الاقطار بل ولحماية الطبقة العاملة في الدول المستقبلية من منافسة

جدول رقم (٢٣) الهجرات الدولية (عبر المحيط) في الفترة من
١٨٢١ - ١٩٣٢ (١١)

الهجرة الوافدة				الهجرة المغادرة			
عدد المهاجرين الوافدين بالآلاف (حتى سنة ١٩٣٢)	% من السكان الاصليين	الدولة	%	عدد المهاجرين المغادرين بالآلاف (١٨٤٦ - ١٩٣٢)	% من السكان الاصليين	الدولة	%
٣٢٠	٣٤٢٤٤	الولايات المتحدة	٦٤	١٨٠٢٠	١٨٠٢٠	الجزر البريطانية	١
٥٠٠	٦٤٠٥	الارجلنتين	(٦٦)	(٥٤٤٣)	(٥٤٤٣)	(بما فيها أيرلنده)	٢
(٥٥٠)	٥٢٠٦	كندا	٤٨	١١٠٩٢	١١٠٩٢	إيطاليا	٣
١١٠	٤٤٣١	السبرازيل	١٧	٥١٩٦	٥١٩٦	النمسا - المجر	٤
٢٩٠	٢٩١٣	استراليا	١٥	٤٨٨٩	٤٨٨٩	إسبانيا	٥
٥٤	٨٥٧	كوبا	٣١	٤٦٥٣	٤٦٥٣	روسيا (١٨٤٦ - ١٩٢٤)	٦
٢٤	٨٥٢	أفريقيا الجنوبية	٤	٢٢٥٢	٢٢٥٢	البرتغال	٧
(٨٠٠)	٧١٣	أورجواي	٤٨	١٨٠٥	١٨٠٥	السويد	٨
(٤٧٥)	٥٩٤	نيوزيلندا	٣٦	١٢٠٣	١٢٠٣	النرويج	٩
(٤٣٣)	٥٧٣	موريشوس	٢٤	٦٤٢	٦٤٢	بولنده (١٩٢٠ - ١٩٣٢)	١٠
			١٠	٥١٩	٥١٩	فرنسكا	١١
			١٠	٥١٨	٥١٨	اليابان	١٢

IN.E.D., Population et Sociétés, Novembre, 1986 Les Transitions Demographiques, No. 107. المصدر : (١)

العمال الوافدين حتى العمال البريطانيين ذاتهم . وليس هناك دولة من دول الكومنولث أسهمت بدور كبير في استقبال المهاجرين مثلما أسهمت استراليا ، وبالرغم من أن كندا لعبت دورا هاما كذلك فانها فرضت قيودا حادة وطبقت مفهوم الانتقاء الهجرى الوظيفى فكانت تفضل هجرة الفنيين والزراع والعمال الذين تحتاجهم البلاد .

وقد حاول الكثير من دول أمريكا الجنوبية جذب المهاجرين من أوروبا حتى عندما حدث الدول الانجلوساكسونية من حركة الهجرة اليها ، ومن الطبيعى أن تيار الهجرة الى أمريكا الجنوبية تدفق من دول البحر المتوسط حيث تتشابه الظروف الحضارية مع مثلتها في هذه القارة ولذا فانه فيما بين عامى ١٨٢٠ - ١٩١٠ استقبلت البرازيل حوالى ٢٨٥٠.٠٠٠ مهاجرا ، ٤٣% منهم من الايطاليين و ٣٨% من البرتغاليين والاسبان ، ومازالت الشعوب اللاتينية تكون العنصر السائد من المهاجرين نحو أمريكا الجنوبية حتى الوقت الحاضر .

كذلك استقبلت الأرجنتين في الفترة من سنة ١٨٥٧ - ١٩١٠ قرابة ٧٠٠.٠٠٠ مهاجرا وكان تيار الهجرة يتكون في المتوسط من ٥٠% اسبان و ٢٥% ايطاليين . ومازالت بيرو وكولومبيا وفتنزويلا من المهاجر التى يتجه اليها بعض المهاجرين من شعوب البحر المتوسط وخاصة اسبانيا .

الهجرة الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية :

كانت أبرز المشكلات السكانية التى تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية مشكلة الاعداد الكبيرة من الاشخاص الذين طردوا من مواطنهم ولجأوا الى مناطق أخرى ، وبين الجدول رقم (٢٤) الهجرة من أوروبا الى ما وراء البحار في العشر سنوات التى تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، ففي هذه الفترة كانت هجرة خارجة صافية Net out - migration تقدر بحوالى أربعة ملايين ونصف مليون نسمة ، ومن هذا العدد كان هناك مليون مهاجر من الدول الشيوعية ، وأما الثلاثة ملايين ونصف الباقية فكانت من غرب وجنوب أوروبا ، وقد استوعبت الولايات المتحدة أعدادا كبيرة من هؤلاء المهاجرين .

وفي ضوء حجم السكان ، كان جنوب أوروبا أكثر المناطق اسهاما بالمهاجرين بالنسبة لعدد سكانه الاجمالي ، فقد بلغ نصيب ايطاليا وحدها قرابة مليون مهاجر بينما أسهمت البرتغال بهجرة صافية قدرها ٣٠٠.٠٠٠ مهاجر من جملة سكانها البالغ عددهم ثمانية ملايين نسمة ، أما اسبانيا

فانه بالرغم من أن الهجرة منها كانت كبيرة هي الاخرى فانها كانت قليلة بالنسبة لعدد سكانها .

جدول رقم (٢٤)

الهجرة الصافية من أوروبا في الفترة من ١٩٤٦ - ١٩٥٥ (١) (ألف مهاجر)

مناطق الهجرة الوافدة الى	مناطق الهجرة المغادرة من :			جملة أوروبا ودول الكومنولث الجديد
	شمال غرب أوروبا	جنوب أوروبا	شرق أوروبا	
أمريكا الشمالية	١٢٨١	٣٦٩	٥٤٣	٢١٩٣
أمريكا اللاتينية	٤٩	١٠٩٠	٥٢	١١٩١
أفريقيا	٩٩ -	٦٢	-	٣٧ -
آسيا	٢١٣ -	١٤	٣٤٥	١٤٦
الاقويانوسية	٥٣٣	١٨٠	١٥٧	٨٧٠
جملة العالم	١٥٥١	١٧١٥	١٠٩٧	٤٣٦٣

وقد اتجهت الهجرة الاوروبية فيما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة من شمال وغرب القارة الى كندا أو الولايات المتحدة والاقويانوسية، وأقل من ١٠٠٠٠٠ مهاجر اتجهوا الى أمريكا اللاتينية ، أما جنوب أوروبا فقد تميزت الهجرة المغادرة منه باتجاهها في معظمها الى أمريكا اللاتينية حيث تتشابه اللغات والعادات والديانة، وقد اتجه أكثر من نصف المهاجرين من جنوب أوروبا الى هذه القارة واتجه الاسبان الى الدول الناطقة باللغة الاسبانية بينما اتجه البرتغاليون الى البرازيل .

وهكذا لعبت الهجرة الاوروبية دورا هاما في خريطة العالم السكانية والاقتصادية ، فقد ترتب عليها نتائج بارزة وعميقة في كل مظاهر الحضارة خاصة في العالم الجديدة ، فقد أدخلت حاصلات زراعية جديدة وحيوانات مستأنسة وخلقت تيارات ضخمة للتجارة بين العالم الجديد والعالم القديم حتى أن التأثير الاوروبي في العالم - أو ما يعرف بأوروبية العالم *Europeanization* كان من أبرز معالم التاريخ البشرى الحديث في كل مجالات الحضارة وأن

(1) Kirk, D. Major Migrations Since World War II. "in Population Geography A Reader, edited by : Demko, G. and Schnell, G. McGraw-Hill, New York. 1970, pp. 312-313.

نظرة واحدة للعالم اليوم تبين لنا مدى الدور الذى لعبته الهجرة الاوربية في العصر الحديث ، ولنا أن نتصور العالم الجديد (الامريكيتين واستراليا) مثلا اذا لم يتدفق عليه الاوريون ويجعلوه امتدادا بشريا حضاريا لقارتهم الاصلية .

الهجرة من الجزر البريطانية :

كان البريطانيون أسبق الشعوب الاوربية نحو الهجرة عبر المحيط ، فقد بدأت هجرتهم الى العالم الجديد واستوطنوا بعض مناطقه في القرن السابع عشر ، ففي سنة ١٦٤٣ أنشئت مستعمرات دائمة في بلايموث Plymouth في ماساشوستس وكذلك في نيوهافن Newhaven في كونكتيكت وما أن وافى عام ١٦٨٨ حتى كانت مراكز الاستيطان الانجليزية على ساحل المحيط الاطلسي في أمريكا الشمالية تحوى أكثر من ٢٠٠.٠٠٠ نسمة (١) .

وقد قلت الهجرة الخارجة من بريطانيا بعد ذلك حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما بدأت الثورة الصناعية وغيرت من الاحوال المادية في الوسائل الزراعية ، وقد تدهورت النظم الزراعية القديمة وحلت محلها نظم حديثة جعلت الزراعة كثيفة وتطلبت رؤوس أموال كبيرة واستوعبت المزارع الواسعة الملكيات الصغيرة ، ومع ذلك فقد تعرضت الزراعة لعدد من الكوارث مثلما حدث في شتاء ١٧٠٩، وقلت الروابط التى تربط العمال الزراعيين بالارض .

وقد انعكست نتائج الدورة الاقتصادية على انجلترا ، وبدأ الخروج الكبير للعمال والمهاجرين حوالى سنة ١٨٢٠ ، ثم تبعه خروج آخر في سنة ١٨٧٠ عندما أدت المنافسة الاجنبية للدول الجديدة في انتاج المحاصيل الزراعية خاصة القمح الى تفشى البطالة بين العمال ، وتبع استخدام الآلات في الصناعة توفير قدر كبير من العمال اليدويين خاصة صناعة الغزل والنسيج مما حدا بهم الى الهجرة نحو القارة الاوربية أو نحو العالم الجديد ، وفي سكوتلنده اشترك الاقليمان الطبيعيان ذوى الاقتصاد المتباين وهما اقليم المرتفعات Highlands واطليم السهول Lowlands في تيار الهجرة الخارجة ، وقد خرجت الهجرة من اقليم المرتفعات القليل الموارد مبكرا في منتصف القرن الثامن عشر ، ففي الفترة بين سنتى ١٧٦٣ - ١٧٧٥ أدت أزمات الفلاحين الى هجرة أكثر من ٢٠٠٠٠ شخص نحو

(1) Perpillou, A. V., Op. Cit., p. 380,

شرق كندا ونيوانجلند ، وبعد سنة ١٧٨٦ تزايدت هجرة الفلاحين الفقراء من هذا الاقليم الذى عانى من التضخم السكانى مبكرا بسبب الزواج المبكر الذى أدى الى زيادة معدلات المواليد بينهم ، وفي نفس الوقت اختفت الحرب بين هذه الجماعات وتلاشى تدريجيا مرض الجدرى الذى كان منتشرا فى هذا الاقليم وارتبط ذلك كله بضيق الرقعة الزراعية حتى أن كل أسرة كان لها فى المتوسط فدان أو فدانان فى هذه المناطق ذات المناخ البارد ولذلك كله خرجت جموع الفلاحين المهاجرين بين سنتى ١٧٨٣ و ١٨٢٠ نحو العالم الجديد .

وعلى عكس اقليم المرتفعات ذى التربة الفقيرة والحياة الرعوية ، كان اقليم السهول منطقة زراعية خصبة يسود به نمط الحياة الصناعية ، ومع ذلك لم يسلم من هجرة خارجة نحو العالم الجديد هو الاخر فمنذ نهاية القرن الثامن عشر بدأ تيار هجرة الحرفيين وتزايد خروجهم عاما بعد آخر فيما بين سنتى ١٨٢٠ - ١٨٣٠ ، وقد أدى ادخال آلات الغزل والنسيج الحديثة الى فقر شديد بين العمال ونفسي البطالة بينهم ، ومنذ سنة ١٨٨٠ شملت الرغبة فى الهجرة الاقاليم الشمالية الشرقية حيث هددت الآلات الزراعية بدورها العمال الزراعيين كذلك ، وتحولت مساحة كبيرة من الاراضى الى مراعى ، وكانت كندا منطقة الجذب الرئيسية للزراع لممارسة حرفتهم فى الاراضى التى تملكوها بها .

وقد حدثت الهجرة الكبيرة للعمال الصناعيين الاسكتلنديين منذ سنة ١٩١٢ مما هدد الصناعة المحلية بالبلاد ، فقد هاجر عدد كبير من العمال المهرة من مراكز الصناعات المعدنية فى وادى كليد Clyde ومهندسو صناعة السفن وغيرهم ، واستمرت هجرتهم حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، ففى سنة ١٩٢٣ وحدها هاجر ٢٧٠٠٠ عامل ماهر من سكوتلنده وأتجه ثلاثة أرباعهم الى الولايات المتحدة ، وقد أسهم هؤلاء المهاجرون بدور كبير فى انشاء الصناعات المختلفة بالمهجر وكذلك فى تربية الاغنام خاصة فى استراليا .

وقد بدأت الهجرة من ايرلنده قبل القرن التاسع عشر حيث أدت الظروف الاقتصادية فى بداية ذلك القرن الى هجرة ضخمة نحو الخارج ، وحتى سنة ١٨٤١ لم يكن عدد المهاجرين الايرلنديين كبيرا ولكن بعد ذلك العام تضخم تيار الهجرة تضخما ملموسا كما يبين الجدول رقم (٢٥) .

وقد نتجت الهجرة الايرلندية عن أسباب أبرزها الزيادة السكانية

الكبيرة التي زادت من حجم السكان الايرلنديين من ٤ مليون نسمة سنة ١٧٨٨ الى ٨ مليون سنة ١٨٤١ ، ولما كان ثلث جزيرة ايرلنده قاحلا والثلث تغطيه المراعى والثلث الباقي يستغل في الزراعة ، فقد ارتفعت كثافة السكان من ٢١٥ نسمة في الميل المربع سنة ١٧٥٩ الى ٤٢٨ نسمة في سنة ١٨٠١ ثم الى ٦٤٨ في سنة ١٨٤١ وهذا رقم كبير بلاشك لشعب زراعى يمارس الزراعة الواسعة ، وكان التضخم السكانى أكثر وضوحا في غرب الجزيرة حيث كانت الغالبية العظمى من الفلاحين أجراء لايملكون أرضا، وقد تفشت بينهم البطالة حتى أنه يقدر أن ٥٨٥٠٠٠ عاملا كانوا يتعطلون عن العمل مدة ثلاثين أسبوعا كل سنة .

جدول رقم (٢٥)

الهجرة من ايرلنده في النصف الثانى من القرن التاسع عشر(١)

عدد المهاجرين	الفترة
١٢٤٠.٠٠٠	١٨٥١ - ١٨٤٦
١١٥٠.٠٠٠	١٨٦١ - ١٨٥١
٧٧٠.٠٠٠	١٨٧١ - ١٨٦١
٦٢٠.٠٠٠	١٨٨١ - ١٨٧١
٧٧٠.٠٠٠	١٨٩١ - ١٨٨١

وكان ملايين الفلاحين الايرلنديين يعيشون على محصول البطاطس نخذاء رئيسى ، وكثيرا ماتعرضوا لمجاعات نتيجة نقص المحصول وارتفاع أسعاره ، وقد تعرض محصول البطاطس لانتكاسة حادة في كمية الانتاج في ثلاث فترات متقاربة في السنوات ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٨ . وكانت تلك السنوات مقدمة لمجاعة ضخمة ترتب عليها حركة هجرة كبيرة شملت في بعض السنوات قرابة ثلث عدد السكان بالجزيرة .

وعلى العموم فان عدد المهاجرين من ايرلنده يقدر بنحو أربعة ملايين نسمة في الفترة من ١٨٥٠ - ١٩٠٠ فقط ولم تتوقف حركة الهجرة الا بعد فرض قيود عليها في سنة ١٨٨٥ عندما تعرضت الجزيرة لاستنزاف شديد في سكانها وانخفاض معدل المواليد بدرجة كبيرة ، وبدأت الاصلاحات

(1) Perpillou; Op. Cit., p. 383.

الزراعية في المناطق الريفية المزدهمة بالسكان ، ولذا فانه بعد سنة ١٨٩٠ لم يتجاوز عدد المهاجرين ٣٠.٠٠٠ أو ٤٠.٠٠٠ مهاجرا في السنة .

وما أن وافى القرن العشرين حتى كان اقليم أُلستر Ulster قد فقد ٣٣٪ من سكانه واقليم لاينستر Leinster قد فقد ٤١٪ ومونستر Munster ٥٥٪ وكونوت Connaught ٥٧٪ . وقد اتجه قليل من المهاجرين الى جلاسجو وليفربول ومانشستر ولكن ٩٠٪ منهم اتجه الى الولايات المتحدة خاصة نيويورك وشيكاغو ، وبلغ عدد الايرلنديين في الولايات المتحدة ١٠ مليون نسمة في سنة ١٩٠٠ ، ومازالت ايرلنده تعاني من هذه الهجرة الضخمة ولم تستطع الزيادة الطبيعية أن تعوض النقص في عدد السكان حتى أن ايرلنده الشمالية وايرلنده لايعيش بهما الان سوى ٤٣ مليون نسمة فقط .

وتمثل الهجرة التي خرجت من الجزر البريطانية أضخم حركة هجرية عابرة للمحيطات شهدها الجنس البشري ، فلقد بلغ حجم المهاجرين من هذه الجزر قرابة ١٧ مليون نسمة فيما بين سنتي ١٨١٥ - ١٩٢٦، وكانت أضخم موجات الهجرة في الفترات التالية :

بين سنة ١٨٥١ و سنة ١٨٦٠ - ٢٢٨٧.٠٠٠ مهاجر

بين سنة ١٨٥١ و سنة ١٨٩٠ - ٢٥٥٨.٠٠٠ مهاجر

بين سنة ١٩٠١ و سنة ١٩١٠ - ٢٨٤٠.٠٠٠ مهاجر

وقد هبط عدد المهاجرين بحددة بعد سنة ١٩٢٠ ولم يتعد ٣٠٠.٠٠٠ نسمة في السنة فقط بل أن ٤٠٪ منهم عاد الى بريطانيا بعد عدة سنوات من هجرته .

ولم تؤد الهجرة المستمرة من بريطانيا الى نقص حاد في عدد السكان، ذلك لان الزيادة الطبيعية تولت سد النقص الناتج عن الهجرة. وقد تزايد السكان من ٢٧.٥٠٠.٠٠٠ نسمة في سنة ١٨٥٣ الى ٤٠.٥٠٠.٠٠٠ نسمة في سنة ١٩٠٠ ثم الى ٥٢.٧٢٠.٠٠٠ سنة ١٩٦١ ، ويصل الان (١٩٩١) الى ٥٧.٥٠٠.٠٠٠ نسمة .

وبالإضافة الى أمريكا الشمالية التي كان بها ٢ مليون بريطاني في سنة ١٧٦٠، فقد اتجه المهاجرون الانجليز الى الاراضى المعتدلة في نصف الكرة الجنوبي ، وقد نقلوا الى هذه الاراضى نفس المحاصيل والحيوانات المستأنسة التي كانت سائدة في الوطن الاصلى وقد توفرت بعض العوامل التي جذبت مهاجرين بريطانيين آخرين الى تلك الاقطار الجديدة كتعدين

الذهب في كاليفورنيا سنة ١٨٤٨ واستراليا في سنة ١٨٥١ ونيوزيلندا في سنة ١٨٦١ وجنوب افريقيا سنة ١٨٨٨ .

وقد أسهمت الهجرة البريطانية في تعمير أربع مناطق ضخمة في العالم هي الولايات المتحدة ، وكندا واستراليا وجنوب افريقيا .

الولايات المتحدة :

كان عدد سكان الولايات المتحدة ٢٣١٢,٠٠٠ نسمة هم جملة سكان المستعمرات الانجليزية في سنة ١٧٧٠ والتي كانت تتوزع على ساحل المحيط الاطلسي ويفصلها عن الداخل حاجز من المرتفعات الجبلية (الابلاش) ، وقد أدت الهجرة البريطانية الى زيادة عدد سكان المستعمرات وتقوية الرغبة في الاتجاه عبر هذه الحواجز نحو الغرب ، وفيما بين سنتي ١٨٢٠ و ١٨٧٠ كان أكثر من نصف عدد المهاجرين وافدين من بريطانيا ، وفيما بين ١٨٧٠ و ١٩٠٠ كان أكثر من ثلث القادمين الجدد الى الولايات المتحدة من الجزر البريطانية أيضا ، وبعد ذلك بدأ العنصر الانجلو - ساكسوني يفقد نقاءه الخالص نتيجة هجرة عناصر أخرى من جنوب وشرق أوربا ، ومع ذلك فقد ظل العنصر الاول هو السائد حتى استطاعت الامة الامريكية استيعاب العناصر الاخرى بسهولة بفضل المقومات البشرية للعنصر الانجلوساكسوني وسيادة اللغة الانجليزية .

كندا :

أما كندا فقد كان تعميرها بالمهاجرين الانجليز متأخرا وسبب ذلك مناخها وامكانياتها الاقل من الولايات المتحدة ، وقد ارتفع عدد سكانها من ٥٨٢,٠٠٠ نسمة في سنة ١٨٥٢ الى ١,٨٤٠,٠٠٠ نسمة في منتصف القرن التاسع عشر ثم الى ٨,٤٠٠,٠٠٠ في سنة ١٩٢٠ والى ١٨,٠٨٠,٠٠٠ سنة ١٩٦١ .

ولم تبدأ الهجرة الحقيقية لكندا الا قرب نهاية القرن التاسع عشر ، وبعد التطور الذي شهدته الملاحة البخارية والسكك الحديدية وبعد زراعة أراضي الحبوب الشاسعة في الغرب الكندي والشروط الميسرة لمنح الاراضى واستغلالها، وقد استقبلت كندا ٦٠,٠٠٠ مهاجرا في سنة ١٨٨١ ، وأكثر من ٤٠٠,٠٠٠ مهاجر في سنة ١٩١٢، ويقدر انه في أقل من عشر سنوات استوطن ٦٠٠,٠٠٠ بريطاني الغرب الكندي الاقصى .

استراليا :

عزفت الهجرة في بداية الامر عن استراليا بسبب بعدها وتطرفها من

ناحية واستيعاب الأمريكيتين لمعظم تيارات الهجرة من ناحية أخرى ، ولكن تطور وسائل النقل منذ منتصف القرن التاسع عشر واكتشاف الذهب بهذه القارة أدى الى موجات مندفعة نحوها ، ففيما بين عامي ١٨٥١ و ١٨٦١ هاجر اليها قرابة ٥١٠.٠٠٠ مهاجر بريطاني بالرغم من بعدها عن بلادهم ولكن فترت حركة الهجرة بعد ذلك عندما جاء حزب العمل الاسترالي الى السلطة وقيد حركة الهجرة بطريقة استمرت آثارها مدة طويلة .

وقد تزايدت الهجرة الى استراليا قليلا بعد سنة ١٩٠٥ ، ولكى بقى بعد الفارة وتطرفها عاملا في قلة أعداد المهاجرين ، واليوم يصل عدد سكان هذه القارة الى ١٧ر٥ مليون نسمة ، وهى حسب التقديرات المتواضعة يمكن أن تستوعب ٢٠ مليونا آخرين لتصل الى حالة التوازن المثالى بين السكان والموارد . ومعظم سكانها من أصل بريطاني ذلك لانها حتى وقت ريب لم تعاني من اختلاط العناصر المختلفة كما في الولايات المتحدة وكندا وجنوب افريقيا بسبب سياستها المعروفة بالسياسة الاسترالية البيضاء التى تمنح هجرة العناصر غير البيضاء اليها .

أما فى جنوب افريقيا : فقد وقف عائقان بشريان أمام الهجرة البريطانية وهما البوير Boers والزنوج Negroes ولذا وفدت الهجرة البريطانية ببطء شديد الى هذا الجزء من القارة ، وفى الوقت الحاضر فان هناك رجلا ابيضيا مقابل كل خمسة من الزنوج وواحد من البوير مقابل كل اثنين من المستوطنين البيض فى مجموع كلى للسكان بلغ ٤٠ر٦ مليون نسمة فى جمهورية جنوب افريقيا .

والبوير - ويعرفون اليوم بالافريكان Afrikaners يتكونون من أحفاد المستوطنين الهولنديين الاوائل ، وقد كانوا بالبلاد قبل مجيء البريطانيين اليها ويتكونون أساسا من الهولنديين وان كانوا قد اختلطوا ببعض الهولنديين والسويسريين والاسكندنافيين ، وقد استوطنوا جنوب افريقيا فى بداية فترة الاستعمار الهولندى ولاقوا صعوبات جمة فى المحافظة على شخصيتهم الاصلية ومن ذلك محاولتهم الاحتفاظ بلغتهم الهولندية التى اختلطت مع الانجليزية ولغة البانتو وأصبحت تكون لغة تعرف بالافريكانز Afrikaans وتحدث بها الغالبية العظمى من السكان .

ويتكون السكان الريفيون أساسا من البوير الذين لايسهمون الا قليلا فى الادارة - والاعمال أو التعدين وهما الحرفتان الرئيسيتان اللتان جلبتا الثروة للمستوطنين البريطانيين ، ونظرا لانهم ينتجون الصوف والحبوب

والمحاصيل الزراعية فان البوير كثيرا ما عانوا من الكوارث الطبيعية التي تتعرض لها هذه الموارد والتي تودي بقطعانهم وتقضى على الكثير من محاصيلهم وكذلك من الكساد الاقتصادي الذي يؤثر في أسعار الصوف والقمح ، ويكون الافريكان الغالبية العظمى من البيض الفقراء Poor Whites الذين يعملون في حرف يدوية وكعمال من ذوى الدخول المنخفضة ، أما البريطانيون فيكونون معظم سكان المدن ويمملون في الحرف التجارية ويديرون المشروعات التعدينية والصناعية كما يشغلون المناصب العليا في البلاد .

الهجرة من ألمانيا :

كانت ألمانيا مصدرا لهجرة خارجة على نطاق كبير استمرت طوال العصور الوسطى في داخل القارة الاوربية فقط وأسهمت بدرجة كبيرة في استيطان وتعمير وسط أوربا ، ولم تبدأ الهجرة الألمانية عبر المحيط ، الا في القرن السابع عشر ، وكان المستعمرون الالمان من أوائل الذين استوطنوا منطقة نهر هدسن Hudson وديلاوير Delaware في أمريكا الشمالية ، ومنذ سنة ١٨٥٠ فصاعدا عظم تيار الهجرة الألمانية نتيجة فقر الريف وانخفاض مستوى العيش به ، وقد اتجهت الهجرة الى بعض الاراضى المجاورة ولكن معظمها اتجه نازلا مع نهر الراين عبر المحيط الاطلسي في سفن هولندية وانجليزية . ويقدر أنه فيما بين عامى ١٧٢٧ و ١٧٧٥ هاجر حوالى ٧٠٠.٠٠٠ ألماني الى أمريكا واستوطنوا أساسا في مقاطعة لانكاستر Lancaster في بنسلفانيا حيث عمروا منطقة الوادى الكبير Great Valley وكان معظمهم من الفلاحين الاقوياء ، وفي سنة ١٧٦٦ كان هناك ما يزيد على ٢٠٠.٠٠٠ ألماني في المستعمرات الامريكية .

وقد استمر تيار الهجرة الالمانى مقصورا في معظمه على الفلاحين الالمان وذلك على امتداد القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٩٠٠ تقريبا، وقد هاجروا مع أسرهم من عدة مناطق ألمانية أبرزها بافاريا وهانوفر وميلكنبرج Mecklenburg ونادرا ما كان تيار الهجرة يضم عمالا صناعيين فيما قبل القرن العشرين ، ولكن عقب الحرب العالمية الاولى مباشرة هاجر كثير منهم مع بعض العلماء والمهندسين في وقت عانى فيه الاقتصاد الالمانى الكثير من المصاعب ، ثم عجل نظام الحكم النازى بهجرة الكثيرين مثل اليهود والشيعيين وغيرهم .

وبصفة عامة - فان تيار الهجرة عبر المحيط الذى خرج من ألمانيا كان

منتظما حتى حوالى سنة ١٨٥٠ وان كان عدد المهاجرين قليلا بلغ في المتوسط ٢٠ر٠٠٠ مهاجرا سنويا ، وكانت هناك ثلاث موجات كبرى بين سنتى ١٨٥٠ - ١٨٥٤ (٦٥٤٠٠٠ مهاجر) وبين سنتى ١٨٦٥ - ١٨٦٩ (٥٨٠٠٠٠) وبين ١٨٨٠ - ١٨٨٤ (٨٦٤ر٠٠٠) وعلى العكس من ذلك فانه بعد سنة ١٨٩٠ قل تيار الهجرة قلة واضحة (جدول رقم ٢٦) حيث قامت المراكز الصناعية الالمانية بدور هام فى تقليل حجم المهاجرين وتحويلهم الى هجرة داخلية وخاصة من المقاطعات الشرقية نحو نطاق الراين ووستفاليا .

وقد بلغ حجم الهجرة الالمانية الى الولايات المتحد من ٦ الى ٧ مليون نسمة ، وحتى الوقت الحاضر فان اكثر من ثلاثة ارباع المهاجرين من المانيا يتجهون الى الولايات المتحدة ، وقد لعب الفنيون الالمان دورا هاما فى تطوير الصناعات الامريكية الثقيلة وحديثا جدا اصبح بعضهم من الدعائم الهامة فى البحوث الذرية وفى محاولات غزو الفضاء .

جدول (٢٦) الهجرة الالمانية فيما وراء البحار

عدد المهاجرين	الفترة	عدد المهاجرين	الفترة
٦٨٣ر٩٠٠	١٨٩٤ - ١٨٩٤	٤ر٩٩٣ر٠٠٠	١٨٧٠ - ١٨١٥
٤٤٥ر٠٠٠	١٩٢٧ - ١٩١٤	٣ر٢٩٢ر٠٠٠	١٨٩٣ - ١٨٧١

وقد اتجه عدد كبير من المهاجرين الالمان الى البرازيل واستوطنوا الولايات الجنوبية ذات المناخ الاكثر اعتدالا واسسوا بها مجتمعا ألمانيا فى سانتا كاتارينا Santa Catarina وريو جراند دوصول Rio Grande dosol .
 يعكس المهاجرين البريطانيين فان الالمان دائما يتجمعون فى مستعمرات استيطانية ، ولكن كقاعدة عامة فانهم كثيرا مايندمجون مع شعب المهجر فى الموطن الجديد بالرغم من جهود الحكومات الالمانية للاحتفاظ بالجنسية الاصليّة لهم ، كذلك فانه رغم قلة عدد الالمان المهاجرين بالمقارنة مع الانجليز الا انهم كانوا من اسباب ازدهار موانى بريمن Bremen وهمبورج Hamburg . حيث تركزت حركة المهاجرين ذهابا وايابا وانشئت وكالات الهجرة المتخصصة التى تخدم ملايين الاوربيين من وسط وشرق القارة الاوربية .

الهجرة من ايطاليا :

تكونت الهجرة الايطالية نحو الخارج من العمال الزراعيين الذين وفدوا من مناطق مكتظة بالسكان بسبب ارتفاع معدل المواليد ، ففى كثير من مناطق ايطاليا يتزايد السكان بمعدل مرتفع يجعل حجم السكان أكثر من الموارد الاقتصادية بدرجة كبيرة ، وفى الجنوب على وجه الخصوص جعلت الظروف المناخية انتاج الغذاء مهددا باستمرار وبالتالي فان التضخم السكانى بها مشكلة مزمنة ، ونظرا لان القمح هو المحصول الرئيسى فى هذا النطاق ويعتمد فى زراعته على الامطار التى يتذبذب معها الانتاج المحصولى بدرجة تهدد بحدوث الازمات الاقتصادية فى بعض السنوات ، ويساعد النظام الزراعى السائد على تزايد كثافة السكان ، ففى المناطق التى تقل فيها أحجام الملكيات الزراعية بصورة كبيرة كما فى النطاق الشمالى خاصة فى تسكانيا Tuscany حيث تنقسم الى مزارع تتراوح بين ٢٥ ، ٢٧ فداناً يتركز السكان بدرجة واضحة وينخفض مستوى معيشتهم وتتفشى البطالة بينهم وتؤدى هذه الظروف مجتمعة الى التفكير فى الهجرة نحو الخارج .

وقد تزايدت الهجرة الايطالية منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر كما يبدو من الارقام التالية :

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين
١٨٧٦	١٠٨٠٠٠	١٩١٤	٥٥٩٠٠٠
١٩٠٠	٣٥٢٠٠٠	١٩٢١	٤٥٠٠٠٠
١٩٠٨	٤٠٥٠٠٠		

وقد قلت الهجرة الايطالية فيما وراء البحار قلة شديدة بعد سنة ١٩٢١ بسبب القيود التى فرضتها الولايات المتحدة على الهجرة اليها ، ففى سنة ١٩٢٠ لم يغادر ايطاليا سوى ٢١١٠٠٠ مهاجر وأقل من ١٣٥٠٠٠ مهاجر فى سنة ١٩٢٧ ، ولم يتزايد تيار الهجرة الايطالية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد اتجهت الهجرة الايطالية فى تيارين رئيسيين أحدهما نحو الولايات المتحدة والاخر الى أمريكا الجنوبية مع اختلاف كل منهما عن الاخر فى

فترات زمنية معينة ففي سنة ١٨٨٢ اتجه ١٢٪ الى الولايات المتحدة ،
٢٣٪ الى البرازيل و ٢٣٪ الى الأرجنتين أما في سنة ١٩٢٧ فقد كانت
النسبة ٢٨٪ الى الولايات المتحدة و ٥٢٪ الى الأرجنتين .

وقد بلغ عدد المهاجرين الايطاليين الى الولايات المتحدة فيما بين عامي
١٨٨٠ - ١٩١٤ قرابة ٤ مليون مهاجر استقروا في المدن الشرقية حيث
عملوا في بعض الحرف اليدوية والاعمال المكتبية ، وقد حدد قانون الهجرة الى
الولايات المتحدة عدد المهاجرين الايطاليين سنويا اليها بعدد يتراوح بين
٤٠٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ مهاجر سنويا ومنذ سنة ١٨٨٠ دخل الأرجنتين قرابة
٢٥٠٠٠٠٠٠ ايطالى حيث عمل معظمهم في الزراعة واتجه قرابة
١٥٠٠٠٠٠٠ ايطالى الى البرازيل واستوطنوا ولايات ميناس جيراس
Minas Geracs وريو دي جانيرو وساوباولو وعملوا في الزراعة أيضا .

وتقدر الهجرة الايطالية فيما وراء البحار بصفة عامة بنحو ١٠ مليون
مهاجر اتجه منهم تسعة ملايين الى الأمريكتين ، وتتميز هذه الهجرة بأن
الكثيرين يفدون للمهجر لفترات قصيرة يدخرون فيها بعض المال ثم مايلبثوا
أن يعودوا الى ايطاليا ، ولذا فان عدد المهاجرين الايطاليين يتعرض
للتجدد المستمر في أفرادهم ومن ثم فانها تعد هجرة اقتصادية بحتة Target
Migration للبحث عن العمل وليس لاستيطان مناطق جديدة أو تكوين
مستوطنات ايطالية - وذلك بعكس الهجرتين البريطانية والالمانية .

الهجرة الدولية داخل قارة أوروبا :

تتميز قارة أوروبا بالتنوع الطبيعي والحضارى فتسود بها المرتفعات
الجبلية والسهول والمناطق الساحلية والاقاليم القارية الداخلية ونظم المناخ
البحرى والمناخ القارى ومناخ البحر المتوسط وتنتشر بها مناطق الزراعة
الكثيفة والزراعة الواسعة والاقاليم الزراعية والصناعية ومناطق الكثافة
السكانية العالية والكثافة المنخفضة ، وقد ترتب على ذلك التباين الاقليمي
وجود كثير من حركات الانتقال السكاني الداخلية والاقليمية والتي أصبحت
سمة بارزة من معالم الجغرافيا البشرية لهذه القارة وشهدتها كل الفترات
التاريخية بها .

وتتعدد تيارات الهجرة بين دول أوروبا الا أن أبرزها الهجرات الفلمنكية
والهجرة الايرلندية وهجرة شعوب البحر المتوسط أو الهجرة الروسية .

الهجرة الفلمنكية :

كانت منطقة سهول الفلاندر منذ أوائل العصور الوسطى منطقة كثيفة

بالسكان نشأت بها زراعة كثيفة قوامها التسميد مالبثت أن انتشرت منها الى ربوع أوروبا بعد ذلك ، وقد دفعت هذه المنطقة بأعداد كبيرة من سكانها الفلمنك الى خارجها ، فمنذ القرن الثامن عشر استوطن الفلمنك مارشن Marschen قرب بريمن Bremen وتسلوا منها الى بقية المناطق الريفية في وستفاليا وتورنجا Thuringia وحتى براندنبرج Brandenburg ، وقد هاجر الكثير من أصحاب الحرف والمهنيين الفلمنك منذ وقت مبكر الى فرنسا وألمانيا والنمسا ولذا فان بعض الصناعات خاصة الصوف في انجلترا تدين في كثير من تطورها الى الهجرة الوافدة للحرفيين الفلمنك في القرنين الثالث عشر والسادس عشر .

وقد تزايدت الكثافة السكانية بدرجة ملحوظة في اقليم الفلاندر في القرن التاسع عشر ونتجت هذه الكثافة العالية عن نظام الزراعة الكثيفة به حيث تسود الملكيات الصغيرة والقزمية والتي تعجز الواحدة منها عن اعاشة أسرة واحدة ولذلك كان من الضروري البحث عن مناطق أخرى تستوعب العمالة الزائدة حتى أصبح سكان هذا الاقليم أكثر سكان أوروبا حركة وهجرة ، وبدأت هجرتهم على نطاق واسع في القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي تدهورت فيه كثير من الصناعات المحلية ، كما صاحب ذلك تعرض الزراعة لأزمات متعاقبة أدت الى تحويل مساحات واسعة الى مراعى ، ثم ارتبط بذلك استخدام الآلات على نطاق كبير وتقليل المساحات الزراعية المخصصة للمحاصيل النقدية وأدى ذلك كله الى طرد عدد كبير من سكان الاقليم ، وساعد عليه توفر وسائل المواصلات التي تربط الاقليم بالبلاد المجاورة .

وبالإضافة الى الهجرات الدائمة للفلمنك فان هناك هجرات موسمية للعمال نحو العمل في المصانع ومناجم الفحم وفي الاعمال الزراعية كما هي الحال في لكسمبرج والعمل في مصانع سكر البنجر في الاقاليم الصناعية المجاورة كما يذهب بعض العمال الموسمين الى فرنسا ، وترجع حركتهم الموسمية الى سنة ١٨٤٥ عندما بدأت صناعة سكر البنجر في الانتشار وعندما بدأ سكان الريف الفرنسي في التناقص ويصل هؤلاء المهاجرين الى شمال فرنسا وحتى حوض باريس .

الهجرة الايرلندية :

تعد ايرلندة من البلاد الفقيرة ذات التزايد السكانى المرتفع نسبيا ولذلك بدأت أعداد كبيرة من العمال الايرلنديين في الهجرة نحو الدول الاوربية أو عبر المحيط الى العالم الجديد ، وقد اتجه عدد كبير منهم الى بريطانيا

حيث جذبتهم الاجور العالية والمدن الكبرى والزراعة الكثيفة التى تتطلب عمالة كبيرة فى المناطق الريفية قليلة السكان ، وقد ترتب على حركة الهجرة الايرلندية آثار اجتماعية وديموغرافية حادة حيث قلت أعداد الابدى العاملة فى المناطق الريفية الايرلندية .

وقد كان فقر الفلاحين الايرلنديين سببا رئيسيا دفعهم الى الهجرة ، وارتبط بفقر الزراعة ضعف التربة وقلة الاراضى الصالحة للزراعة ، ولذا اتجه عدد كبير من المهاجرين للعمل فى المزارع الانجليزية ويغادرون بلادهم فى يونيو ويعودون اليها فى نوفمبر وتمثل أهم مناطق جذبهم فى شمال انجلترا واقليم المدلانذ Midland ، كما أن هناك اقلييات ايرلندية فى بعض المدن الانجليزية مثل مانشستر وليفربول ، وقد عمل الكثير منهم فى حفر القنوات وفى مد السكك الحديدية .

هجرة شعوب وسط أوروبا :

بالرغم من التباين الطبيعى والعرقى فى وسط أوروبا فان الدوافع الاقتصادية كانت الحافز الرئيسى للهجرة السكانية ، وقد تميز البولنديون بزيادة نسبة العاملين منهم فى الزراعة وانتشرت بينهم بطالة دفعت الكثيرين لمغادرة بلادهم ، فقبل احياء دولة بولنده فى سنة ١٩١٩ قدر أن عددا يتراوح بين ٥٠٠٠٠٠ - ٨٠٠٠٠٠ نسمة هاجروا من الاراضى البولندية التى كانت تحت حكم روسيا وروسيا والنمسا ، وقد اتجه الكثير منهم للعمل فى المزارع الروسية وفى وسط ألمانيا وساكسونيا ولعبوا دورا هاما فى مزارع بنجر السكر مماثلا لدور البلجيك فى المزارع الفرنسية ، كما اتجه بعضهم الى وستفاليا وأراضى الراين ، وقيما بين الحربين العالميتين هاجر عدد كبير من البولنديين الى فرنسا للعمل الموسمى أو كمهاجرين دائمين، وعمل معظمهم فى المزارع الواسعة فى شمال فرنسا وفى حوض باريس، كما أصبحوا عنصرا هاما من عمال المناجم وخاصة حقول الفحم .

وكانت سويسره قبل تطورها الاقتصادية الحديث من الدول التى دفعت بأعداد من المهاجرين نحو الدول الاخرى فى أوروبا ، فقد هاجر سكان من هذه الدولة الجبلية فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر الى كل أجزاء القارة بل والى بنسارابيا وروسيا والمجر حيث عملوا بالزراعة ، وقد كان هناك تيار مستمر من العمال السويسريين المهاجرين من اقليم تيشينو Ticino فى القرن التاسع عشر، ولكن تغيرت دوافع الهجرة فى الوقت الحاضر تغيرا جذريا فى سويسرة حيث أصبح اقتصادها قويا تدعمه السياحة والتجارة والصناعة المعتمدة على توليد الطاقة الكهربائية من الماء ، ولم

يبقى من مظاهر انتقال السكان سوى انتقال بعض رعاة الابقار نحو المناطق الفرنسية في جبال الالب والجورا .

وكانت ألمانيا في بعض فترات تاريخها قطرا طاردا للسكان الذين خرجت منهم موجات مهاجرة نحو الخارج ، ففي العصور الوسطى تدفقت موجات المهاجرين الالمان من العمال والحرفيين نحو بولنדה والمجر وترانسلفانيا ، ومنذ القرن الثامن عشر فصاعدا أدت الظروف الاقتصادية في بعض مناطق ألمانيا خاصة في أراضى الراين وفي الجنوب الى هجرة السكان وخاصة الزراع الذين هاجر عدد كبير منهم الى البلاد المجاورة في الاراضى البروسية ، وقد اتجه عدد منهم منذ بداية القرن الثامن عشر للاستقرار في جنوب المجر لاستيطان مناطق الحدود التي خربتها الحروب وقد اتجه البعض الاخر في القرن الثامن عشر أيضا الى أجزاء من روسيا خاصة وادى الفولجا الادنى وليفونيا Livonia واقليم أوديسا، وقد احتفظ هؤلاء الالمان بشخصيتهم العرقية والاقتصادية وسط السكان السلاف ولكن تقلص تأثيرهم بدرجة كبيرة نتيجة الحرب العالمية الثانية وقد وصل الالمان بعيدا حتى اسبانيا للعمل في مناجم سيرا مورينا Sierra Morena .

وفي القرن التاسع عشر اتجهت تيارات الهجرة الدولية الالمانية الى الامريكيتين عبر المحيط الاطلسى ولكن في نهاية هذا القرن استطاعت النهضة الالمانية أن تجد عملا للقوى العاملة بها في المراكز الصناعية الرئيسية . وما أن وفى عام ١٩٣٤ حتى تحولت ألمانيا الى مراكز جذب للعمال واستوعبت أيد عاملة أجنبية كانت الغالبية العظمى منها من السلاف والايطاليين .

هجرة شعوب البحر المتوسط :

تتميز كل أشباه الجزر في اقليم البحر المتوسط بجنوب أوروبا بالمرتفعات الجبلية التى كانت دائما مناطق طرد لسكانها وتخرج منها هجرات مستعمرة للمناطق المجاورة ، ففي اسبانيا مثلا تخرج الهجرات من المناطق الكثيفة والمبعثرة السكان على حد سواء ، ويرجع ذلك الى قلة الموارد الاقتصادية التى تحفز السكان للهجرة الخارجة ، وأهم مناطق الهجرة النازحة في اسبانيا - المقاطعات الشمالية الغربية خاصة غاليسيا وناقارا Navarra وفيسكاي Viscaya ويتجه المهاجرون غالبا الى المدن الكبرى في اسبانيا والبرتغال مثل مدريد ولشبونه حيث يعملون في الحرف الدنيا مثل الحمالين والسعاة وما شابه ذلك، كذلك ينتشرون في المناطق البرتغالية الشمالية المجاورة لغاليسيا حيث يعملون في حصاد المحاصيل الزراعية، كما

تخرج هجرات مستمرة من مقاطعات البرانس الشرقية وقطلان ومالورقة التي كانت منبعاً للمهاجرين منذ سنة ١٨٤٦ الذين اتجهوا الى الجزائر وغيرها من دول شمال أفريقيا ، كذلك يهاجر العمال الزراعيون للعمل والاستقرار في جنوب غرب فرنسا ووادي الرون وفي حوض باريس حيث يعملون في مناطق زراعة الكروم والحدائق المختلفة ، وقد ساعدت زراعة الارز في السنوات الاخيرة في منطقة كامارج Camargue على جذب قدر كبير من العمال الزراعيين من فالنسيا .

وترجع الهجرة من البرتغال الى اسباب مماثلة ولكنها تتجه في معظمها الى ماوراء البحار ويعمل من يذهب منهم لفرنسا في أعمال وحرف ضئيلة الشأن . ولاشك أن دخول اسبانيا والبرتغال السوق الاوروبية المشتركة سيزيد من حركة انتقال الايدي العاملة منهما الى دول السوق الاخرى .

اما في ايطاليا فان هناك حركات انتقال موسمية لا حصر لها بين الجبل والسهل ، وبجانب ذلك ومنذ اوائل القرن العشرين اتجهت أعداد كبيرة من الزراع والحرفيين والعمال الايطاليين الى العمل في الدول المجاورة ، واصبح تدفقها يمثل في الوقت الحاضر نصف حركة الهجرة داخل القارة الاوروبية وثلثي حركة الهجرة الايطالية الخارجية وتمثل أبرز مناطق الطرد في ايطاليا في منطقتي فينيسيا واميليا Emilia وفي الجنوب خاصة منطقة باسيلكاتا Basilicata ، وكان شمال ايطاليا في بداية الامر مركز جذب المهاجرين الايطاليين وذلك لتشابه الظروف المناخية فيه مع مثيلتها في جنوب ايطاليا الى حد كبير ، وقد اتجه الكثير منهم الى ليبيا وتونس والجزائر ولكن العدد الكبير من المهاجرين الايطاليين اتجه الى فرنسا للعمل في مناجم الحديد في اللورين حيث فرص العمل الوفيرة ونحو المناطق قليلة السكان في جنوب فرنسا حيث عملوا في المزارع الفرنسية بأجور يومية أو لفترات محددة ، وبصفة عامة فقد بلغ عدد الايطاليين الذين غادروا بلادهم الى اقطار اوروبية اخرى قرابة ١٣٠٠٠٠٠ نسمة اتجه أكثر من مليون نسمة منهم الى فرنسا .

ومن أبرز السمات في الهجرة الايطالية استمرار ارتباط المهاجرين بوطنهم الاصلى حيث يرسلون بمدخراتهم الى ايطاليا لشراء الاراضى أو لاستثمارها في أوجه الاقتصاد المتعددة ، وقد توقفت الهجرة الايطالية داخل أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية حيث فرض النظام الفاشستي قيودا على حركة السكان نحو الخارج وذلك بقصد المحافظة على الايدي العاملة ، واليوم يهاجر الايطاليون للعمل في الدول الاوروبية المجاورة وفق

عقود عمل منظمة تضمن ارسال مدخراتهم الى ايطاليا ، وقد نتج عن انضمام ايطاليا للسوق الاوربية المشتركة توسيع مجالات العمل أمام حركة الهجرة الايطالية داخل أقطار هذه السوق ، ولذلك يزداد عدد المهاجرين الايطاليين بشكل واضح في لوكسمبورج وبلجيكا وألمانيا الغربية وفرنسا خاصة في منطقة اللورين ، وأبرز مجالات العمل في هذه البلاد المناجم والمصانع وبعض الحرف الدنيا .

وفي شبه جزيرة البلقان لعبت الهجرة المغادرة دورا كبيرا في وضعها الديموغرافي وذلك نتيجة للاسباب الاقتصادية والسياسية والدينية . وقد حدثت معظم حركات الهجرة خلال عهد السيطرة التركية أي منذ نهاية القرن الرابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر وقد جُرِجت تيارات ضخمة من المهاجرين خاصة نحو سلوفينيا وترانسلفانيا وايطاليا وروسيا، ومنذ نهاية القرن الثامن عشر نحو الصرب وكرواتيا وداكشيا وجنوب المجر ، وكان الاتجاه العام للهجرة نحو الشمال والشمال الشرقي بادئا من الجبل الاسود والبانيا وبلغاريا ، وبالإضافة الى العوامل السياسية لعبت العوامل الاقتصادية دورا هاما في حركة الهجرة الخارجة من البلقان . وقد أدت هذه الهجرات الى اختلاط بشري عميق بين شعوب البلقان وجعلت من الصغب تتبع الحدود بين الولايات المتعاقبة في الامبراطورية التركية (١) .

الهجرة الروسية :

تميزت أراضي روسيا الاتحادية الحالية بتباين توزيع السكان والزراعة بها على مر العصور وذلك انعكاسا للاختلافات البيئية في هذه المساحة الواسعة . وقد اتجهت الحكومة الشيوعية في الخمسين سنة الماضية الى اعادة توزيع السكان وتوجيه تيارات الهجرة وخلق مراكز عمرانية جديدة في المناطق الصناعية الحديثة ، وقد عانت روسيا القيصريّة طويلا من عدم استقرار السكان الزراعيين بالرغم من أن النظام الاقطاعي الذي كان سائدا عمل على تثبيت الفلاحين وربطهم بالارض ، وكان التخلف في الزراعة مسئولوا عن التضخم السكاني في بعض المناطق وصحب ذلك ارتفاع في معدلات المواليد كما كان من العوامل التي تسببت في عدم استقرار السكان بالاراضي الروسية طول فصل الشتاء وتفشى البطالة اثناءه حتى ان معظم العمال والحرفيين في الريف كانوا يبقون بدون عمل لعدة شهور كل عام،

(1) Ibid., p. 376.

ولذا فإن نطاق التربة السوداء الخصبة كان في حالة تضخم مكثى مزمناً ، كما كان مصدراً للمهاجرين المغادرين الذين استوطنوا استبس روسيا الآسيوية وجنوب شرق البلاد ، وقد أثرت هذه الحركات السكانية في انتقال قرابة ثلاثة ملايين مهاجر داخلى على رقعة الاتحاد السوفيتى .

وبالإضافة الى هجرة السكان من اقليم التربة السوداء الى مناضق روسيا الآسيوية فقد خرج عدد كبير من المهاجرين من الاقاليم المزمحة بالسكان فى تولا Tula وكورسك Kursk نحو مناجم الدونباس Donbas ونحو الانهار خلال فترة صلاحيتها للملاحة وذلك للعمل فى الغابات وفى الصيد ، وبالرغم من أن الهجرة الروسية ذات طبيعة اصطناعية موجهة فانها من أبرز سمات الهجرة القارية فى العصر الحديث ، وقد شهدت زيادة ضخمة بعد انشاء خط سكة حديد سيبيريا ، كما كانت الظروف الطبيعية فى المناطق الجديدة مشابهة للمناطق الاصلية للمهاجرين من حيث التربة والمناخ وطرق الزراعة ، وقد ساعد ذلك على تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين للعمل فى المشروعات الحكومية الاقتصادية والصناعية حتى أن عدد المهاجرين فى روسيا قد ارتفع من ٥٠.٠٠٠ مهاجر سنة ١٨٨٩ الى ٢٠٠.٠٠٠ فى سنة ١٨٩٦ ثم الى أكثر من ٥٠٠.٠٠٠ فى سنة ١٩٠٧ ، واليوم فانه من كل اجمالى سكان آسيا الروسية البالغ عددهم ٥٤ مليون نسمة فان نصفهم تقريباً من المهاجرين السابقين ، وقد أدى الاستيطان فى هذه المناطق القارية الشاسعة الى تحويل الروس عن الهجرة عبر المحيط .

الهجرة نحو أوروبا :

لم يقتصر دور أوروبا فى الهجرات السكانية على ارسال المهاجرين فقط بل أنها استقبلت أعداداً من المهاجرين اليها خاصة بعد الحرب العالمية الثانية عندما قدر عددهم بنحو ٢٥ مليون مهاجر معظمهم مهاجرون عائدون سبق أن غادروا أوروبا فى وقت سابق ثم عادوا الى وطنهم الاصلى ، وأبرز الامثلة على ذلك العائدون الايطاليون الذين تشبع هذه الظاهرة بينهم .

وتعد فرنسا أكثر دول أوروبا استيعاباً للمهاجرين الوافدين ، وقد بدأت الهجرة نحوها تأخذ أهمية واضحة منذ منتصف القرن التاسع عشر فقد تزايد عدد الاجانب بها من ٣٧٩.٠٠٠ نسمة فى تعداد سنة ١٨٥١ الى ١١٣.٠٠٠ نسمة فى تعداد ١٨٩١ ، كما بلغ صافى الهجرة الوافدة أكثر قليلاً من ٣٠.٠٠٠ نسمة سنوياً فى الفترة من ١٨٨١ - ١٩١١ ، وفى خلال

هذه الفترة التي تميزت بالركود الديموغرافي كانت الهجرة الوافدة تمثل
رابة نصف مجموع الزيادة الكلية للشعب الفرنسي .

وفيما بعد الحرب العالمية الاولى أصبحت الهجرة الوافدة الى فرنسا
ضخمة في حجمها حيث تعدى صافي الهجرة ٢٠٠.٠٠٠ نسمة سنوياً في
الفترة من ١٩٢١ - ١٩٢٦ ، ويعد ذلك في الواقع أعلى رقم شهدته فرنسا
سنوياً في حركة الهجرة الوافدة حتى في خلال فترة الهجرة القوية التي
تدفقت عليها في خلال الفترة (١٩٥٠ - ١٩٧٠) .

ولكن الهجرة الصافية هبطت معدلها في الفترة من ١٩٢٦ - ١٩٣١ وان
كان حجمها قد بقي أعلى من ١٠٠.٠٠٠ مهاجر سنوياً ولكن ما لبثت حركة
الهجرة أن شهدت هبوطاً حاداً في الفترة ١٩٣١ - ١٩٣٦ بسبب الازمة
الاقتصادية العالمية وزاد عدد المغادرين على عدد الوافدين وأصبحت الهجرة
الصافية بالسالب ووصلت الى ٢٦.٠٠٠ سنوياً .

وبعد الحرب العالمية الثانية تزايدت الهجرة الى فرنسا بثبات وبلغت
أقصاها في الفترة من ١٩٥٤ - ١٩٦٢ واستمرت مرتفعة بعد ذلك وهي
تمثل منذ قرابة عشرين عاماً حوالي ٤٠٪ من جملة الزيادة السكانية، وقد
بلغ صافي الهجرة فيما بين تعدادي ١٩٦٢ - ١٩٦٨ قرابة ٨٠٠.٠٠٠ مهاجر
(بلغ عدد الوافدين في هذه الفترة ٢ر٥ مليون وافد والمغادرون ١ر٧ مليون)
ويشمل هذا الرقم العمال الدائمين وأسرههم والعمال المؤقتين الذين يفدون
لفترات محددة ويعملون في الزراعة والتعدين والبناء وغير ذلك .

وتستقبل فرنسا المهاجرين من منطقتين رئيسيتين الاولى : من دول
جنوب أوروبا والثانية من دول المغرب العربي خاصة الجزائر ، وقد كان
العمال الايطاليون يمثلون حتى سنة ١٩٥٨ أكثر من نصف عدد المهاجرين
الى فرنسا ، ولكن هبط عددهم بحدّة منذ سنة ١٩٥٩ وبدأت الهجرة
الاسبانية ثم البرتغالية في التفوق عليها ، ويتمشى ذلك في الواقع مع
التطور الاقتصادي الذي تشهده البلاد الاصلية للمهاجرين وما يتطلبه ذلك
من توفير الايدي العاملة وقد بدأت الهجرة البرتغالية تمثل أكبر نسبة من
عدد المهاجرين الى فرنسا منذ سنة ١٩٧٠ وأصبحت تمثل ٣١٪ من هذا
العدد وتمثل ست جنسيات أخرى ٥٩٪ من الوافدين وهي الجنسيات
الاسبانية والايطالية والمغربية والتونسية والتركية واليوغسلافية (١) .

(1) Tngault, Y., "Les Migrations Internationales" Population Juin
1974, pp. 115-153.

ومنذ أن تكونت السوق الأوروبية المشتركة سنة ١٩٥٧ بدولها الست الاصلية فرنسا وإيطاليا وألمانيا (الاتحادية) ودول البنلوكس وبدأ تبادل السكان بينها يمثل ظاهرة هامة في التحركات السكانية الأوروبية ، وقد تزايد ذلك بعد انضمام ست دول أخرى إليها لتصبح مجموعة الدول الأوروبية المشتركة ١٢ دولة ، بلغ عدد سكانها نحو ٣٢٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٧ ، واستقبات فيما بينها ١٢ مليون مهاجرا منهم ٥ ملايين من أبناء هذه الدول والباقي من دول أخرى . كما يبين الجدول رقم (٢٧) . ومن الواضح أن كلا من ألمانيا وفرنسا هما أكبر مهجر أوربي في السنوات الاخيرة حتى انهما استقبلا أكثر من ثلثي عدد المهاجرين في دول السوق الأوروبية المشتركة حوالى سنة ١٩٨٦ ، بل ان فرنسا بمفردها تحوى ٣١% من جملة المهاجرين في السوق المشتركة منهم أكثر من مليونين وافدين من خارج دول السوق .

جدول رقم (٢٧)
الاجانب في دول السوق الأوروبية المشتركة
(١٢ دولة) - حوالى سنة ١٩٨٦ (١)

الدولة	الاجانب حسب الجنس (بالالف)		الاجانب غير مواطني السوق % من جملة السكان
	جنسية سوق أوروبية مشتركة	جنسيات أخرى	
ألمانيا	١٣٦٥	٣١٤٨	٥ر١
بلجيكا	٣٨٤	٣١٤	٣ر٢
الدنمرك	٢٦	٩١	١ر٨
اسبانيا	١٣٤	٩٣	٠ر٢
فرنسا	١٥٧٨	٢١٠٢	٣ر٨
اليونان	٢٢٨	٦٧	٠ر٧
لكسمبرج	٨٩	٧	٢ر٠
هولنده	١٦٢	٣٩١	٢ر٧
البرتغال	٢٣	٦٥	٠ر٦
المملكة المتحدة	٧٥٤	٩٨٢	١ر٧
الجملة	٤٩٤١	٧٢٥٩	٢ر٢

(١) المصدر : I.N.E.D., Population et Sociétés, 1988, No. 230.
وبلاحظ أن الأرقام مقربة للالف ومن ثم قد يختلف المجموع قليلا عن مفردات العامود ، ولايشمل الجدول كلا من أيرلنده وإيطاليا لعدم توفر بيانات عنهما .

الفصل الثامن

الهجرة الآسيوية والأفريقية

أولا - الهجرة الآسيوية :

تتزايد الكثافة السكانية بدرجة كبيرة في ثلاثة أقاليم بقارة آسيا هي الهند والصين واليابان ، وهي مناطق موسمية ذات زراعة كثيفة . ورغم إنتاجها الوفير من الحاصلات الغذائية فإن أعدادا كبيرة من سكانها خاصة في جنوب شرق آسيا تعاني من مجاعات مزمنة ، ولذلك فإن الدوافع للهجرة كامنة في هذه المجتمعات ، ولكنها لم تبدأ في الهجرة خارج أوطانها الا حديثا عندما سهلت وسائل النقل الحديثة ذلك ، وأصبحت الهجرة ممكنة في عصر النفوذ الاوربي بهذه البلاد بعد أن أدخل أنماطا حديثة للعيش ونظما اقتصادية حديثة مثل الزراعة العلمية والصناعات المختلفة ، ولكن من الواضح أن الهجرة الآسيوية أقل أثرا وحجما من الهجرة الاوربية بدرجة كبيرة .

وقد اتجه المهاجرون الآسيويون الى المناطق قليلة السكان أو التي تعاني نقصا في الايدي الرخيصة غير المدربة ، كما أدى القضاء على تجارة الرقيق الى وجود فرص للعمالة من هذا النوع في بعض أجزاء الاقاليم المدارية خاصة في مزارع السكر الواسعة ومن هنا كانت هجرة الهنود الى بعض جزر المحيط الهادى (فيجي) والمحيط الهندى (موريشيوس) وجزر الهند الغربية وجيانا ، وهجرة الصينيين واليابانيين الى هاواي ، كذلك اتجهت الهجرة الآسيوية الى أقطار استوطنها البيض للعمل أساسا في المناجم وشهدت مراكز الجذب الهجرى المنتشرة على سواحل الامريكيتين المطلة على المحيط الهادى تدفق أعداد كبيرة من الصينيين واليابانيين كما في بيرو وكاليفورنيا وشيلي وغيرها وساعدتهم في ذلك الملاحة التجارية بدرجة واضحة .

الهجرة من الهند :

تعانى بعض مناطق الهند من ارتفاع غير عادى في كثافة السكان بدرجة

تفوق امكانيات الارض الزراعية وتجعلها غير قادرة على اطعام هذه الاعداد الضخمة ، ولذا فمن الشائع في هذه المناطق وغيرها انخفاض مستوى العيش وسوء التغذية وحدوث مجاعات من وقت لآخر ، وبالرغم من الروابط القوية التي تربط السكان بأراضيهم فان أعدادا منهم قد هاجرت للعمل في المزارع الاوربية وخاصة مزارع قصب السكر ، ويتميز الهنود بقدرتهم على العمل الشاق ويقنعاهم بالاجور المنخفضة ، ومن ثم استفادت منهم هذه المزارع وغيرها واتجهوا الى كثير من الجزر المدارية التي تزرع القصب وكذلك الى مناطق في افريقيا وأمريكا اللاتينية .

وقد هاجرت أول مجموعة من العمال الهنود في سنة ١٨١٥ من كلكتا الى موريشيوس والتي أصبحت منطقة هامة لزراعة قصب السكر، واستمرت أعدادهم في التزايد بعد ذلك حتى أصبح عددهم قرابة ٣٠٠.٠٠٠ نسمة من مجموع سكان هذه الجزيرة الذي يصل الى ٥٠٠.٠٠٠ نسمة . كذلك فان هناك أقلية في جزيرة ريونيون Réunion احدى جزر زراعة القصب الاخرى في المحيط الهندي .

واتجه المهاجرون الهنود الى افريقيا للعمل في المزارع العلمية للقصب وفي مد السكك الحديدية في الاقاليم المدارية بها وتبع هجرة العمال - وفود التجار وأصحاب الحرف والخوانيت وغيرهم وبهذه الطريقة تكونت أقليات هندية ذات أهمية ملحوظة في ناتال وكينيا وأوغنده وغيرها من ذول شرق وجنوب افريقيا .

وقد بدأ الهنود في الهجرة الى جزر الهند الغربية حوالي سنة ١٨٤٠ وتزايدت أعدادهم في ترينداد وجويانا (جيانا البريطانية سابقا) حيث بلغت ٢٠٠.٠٠٠ ، ١٨٠.٠٠٠ نسمة عى الترتيب. كذلك استوطنوا جمايكا وجزر المارتينيك وجواديلوب بأعداد صغيرة . وقد وصلوا الى جزر فيجي في سنة ١٨٧٤ ، ويبلغ عددهم بها اليوم ١٩٨.٠٠٠ نسمة ويكونون أكثر من نصف عدد سكانها .

ويقدر أن حجم الهجرة الهندية فيما وراء البحار قد بلغ ٢٥ مليون نسمة وتزايدت الحركة بصورة ملموسة في نهاية القرن التاسع عشر ثم خفت بعد ذلك نتيجة القيود التي فرضت على هجرتهم كما حدث في ناتال وكينيا، ولكن بقيت أبواب الهجرة مفتوحة أمامهم في مزارع الشاي بجزيرة سيلان ومزارع المطاط في الملايو ويصل عدد الهنود في سيلان الى ١٥ مليون نسمة من مجموع سكانها الذي يقدر بنحو ٩ مليون نسمة ، كما يقدر

عدد الهنود بحوالى ٦٥٠.٠٠٠ مهاجر فى الملايو من جملة سكانها البالغ عددهم سنة ملايين نسمة وقد وفد معظم هؤلاء المهاجرين من ولاية مدراس حيث توجد مساحات كبيرة من الاراضى الداخلىة التى تعاني من الجفاف وتذبذب الامطار ، أما المناطق الوسطى المزدهمة فى الهند فقد أرسلت بمهاجريها الى ولاية أسام والى بورما حيث يوجد قرابة المليونين من الهنود .

الهجرة من الصين :

تميزت بعض مناطق الصين بكثافة سكانية عالية مثل شانغونج وكيانجسى Kiangsi وكيانجسو Kiangsu وفوكين Fukien وعلى العكس من الهنود فان الصينيين أقل ارتباطا بالارض وأكثر حركة وقدرة على الهجرة ، وبسبب المناخ السائد فى بلادهم فهم قادرون على التأقلم مع المناخ المعتدل والمدارى على حد سواء ومن ثم فان الهجرة الصينية تتميز بذلك على هجرات أخرى كالأوربية مثلا . فقد أسس الصينيون مستوطنات قوية الجذور فى شرق سيبيريا وكاليفورنيا وأمريكا الجنوبية وعبر جنوب شرق آسيا كما يوجدون فى أفريقيا خاصة مدغشقر ، وتقدر جملة الصينيين خارج الصين بحوالى عشرة ملايين مهاجر .

والصينيون من الشعوب القادرة على التأقلم مع المجتمعات التى يهاجرون اليها بسرعة وهم يعملون غالبا فى الاعمال التجارية ويشتهرون بمخلاتهم المميزة فى مناطق الهجرة .

وقد هاجر الصينيون فى البداية الى المناطق المطلة على المحيط الهادى مثل الولايات المتحدة (٦٠.٠٠٠) وكندا (١٣.٠٠٠) وأستراليا (٣٥.٠٠٠) وبيرو (٤٥.٠٠٠) ، وهاواى (٢٥.٠٠٠) ، وأيضا اتجهوا فانهم يعملون فى الاعمال الشاقة مثل المناجم كالنترات فى شيلى والجوانو فى جزر بيرو والذهب وانشاء السكك الحديدية فى كاليفورنيا . كذلك اتجهوا الى المناطق المدارية مثل البرازيل (٢٠.٠٠٠) وشرق افريقيا وجزر الهند الغربية وجزر المحيط الهادى حيث عملوا فى مزارع السكر .

على أن الهجرة الصينية تركزت بصورة واضحة فى أقطار جنوب شرق آسيا حيث يعملون كزراع وفى المناجم وكحمالين وعمال فى مضارب الارز ومصانع السكر وكصرفين لاستبدال النقود ويصل عددهم الى ١٧٠.٠٠٠ نسمة فى الفلبين وقرابة ١٢٥٠.٠٠٠ فى اندونيسيا وتتزايد أعدادهم فى بورما (٢٠٠.٠٠٠) وتايلاند (٢ مليون) وماليزيا (٢٠٠.٠٠٠ نسمة) وبقيّة أقطار الهند الصينية حيث يبلغ عددهم قرابة ١٨٥ مليون نسمة ، ويمارسون

الاعمال الشاقة والتجارة التي اكتسبوا فيها سمعة طيبة وأسهموا بدرجة كبيرة في القطاع الاقتصادي بهذه البلاد .

على أن الهجرة الصينية تواجه قيودا صارمة للحد منها كما حدث في كاليفورنيا سنة ١٩٠٧ وتبعتها مباشرة كندا وأستراليا ونيوزيلندا والتي تمنح دخول الجنس الاصفر لديها الا في حدود ضيقة للغاية حرصا على مستوى معيشة شعوبها البيضاء .

الهجرة في اليابان :

كان اليابانيون أكثر جرأة ونشاطا في الهجرة ، وارتبط ذلك بدوافع وطنية للتوسع الاقليمي في جنوب شرق آسيا من ناحية والضغط السكاني على جزر اليابان من ناحية أخرى ومع ذلك فقد كانت الهجرة ممنوعة قانونا على اليابانيين حتى سنة ١٨٨٥ عندما بدأت توابك تطور بناء الامبراطورية اليابانية وان كانت الحكومة مسيطرة على اتجاهاتها ونوعيات المهاجرين قبل رحيلهم بل وتدريبهم حتى يظلوا جماعات متماسكة في المهجر يدينون بولاء كامل للوطن الام ، كما كان المهاجرون الشبان يختارون زوجاتهم من الوطن الاصلى وأسوا بذلك أسرا يابانية في المهجر . وتحت هذه الشروط بقيت الهجرة اليابانية قليلة الحجم حتى أنها لم تتجاوز ١٠٢٠٠٠ مهاجر فيما بين سنتي ١٨٨٥ - ١٨٩٧ وارتفع عدد المهاجرين الى ٣٠.٠٠٠ مهاجر حوالى ١٩١١ ثم الى ٤٣.٠٠٠ مهاجر في سنة ١٩١٤

ولكن منذ سنة ١٩٣٠ بدأ منحى الهجرة اليابانية يأخذ ايقاعا منتظما واتجه المهاجرون في اتجاهين رئيسيين : نحو الشمال الى كوريا ومنشوريا ونحو الجنوب الى فورموزا وهاواي والفلبين وخارج المحيط الهادى نحو البرازيل ، واستمرت حركة الهجرة اليابانية الى أمريكا الجنوبية أكثر منها نحو أمريكا الشمالية وذلك لأنها فرضت قيودا صارمة في سنة ١٩٠٧ على هجرة العناصر الصفراء اليها لمنع تزايدها ، وأدى ذلك الى تحويل تيار الهجرة اليابانية نحو أمريكا اللاتينية بأعداد كبيرة من المزارعين الذين تركزوا في بيرو والبرازيل ونمت أعدادهم بسرعة، فقد وصل عدد اليابانيين في البرازيل سنة ١٩٢٠ الى ٣٤.٠٠٠ نسمة ثم وصلوا في سنة ١٩٤٣ الى ٢٢٥.٠٠٠ نسمة ، وقد ظل ذلك الرقم يمثل نسبة ضئيلة من مجموع سكان البلاد .

وكانت الهجرة اليابانية نحو النطاق المدارى في الجنوب حركة تلقائية

(بعكس التيار نحو الشمال الى كوريا ومنشوريا والذي كان بتوجيه الحكومة) ، واستطاع المهاجرون اليابانيون في المناخ المدارى أن يزرعوا محاصيلهم التقليدية مثل الارز والشاى وقصب السكر والقطن . وقد استقر أكثر من ٣٥٠.٠٠٠ يابانى في جزر المحيط الهادى ، وحوالى ٢٥٠.٠٠٠ في فرموزه ، وبعد الحرب العالمية الثانية قدرت الحكومة اليابانية أن إعادة بناء الاقتصاد القومى الذى خربته الحرب يتطلب تهجيرا فوريا لنحو ٢٠ مليون نسمة من سكان اليابان الى الخارج بمعدل مليونى مهاجر سنويا ، ولكن كثيرا من الدول التى كانت تفتح أبوابها لهجرة اليابانيين قبل سنة ١٩٣٩ أوصدت هذه الابواب أمامهم فالصين على سبيل المثال أصبحت مغلقة بعد تأسيس النظام الشيوعى بها سنة ١٩٤٩ كما ظلت قوانين الهجرة في الولايات المتحدة تحد من استقبال المهاجرين الجدد .

وقبل سنة ١٩٣٩ كانت البرازيل تستقبل المهاجرين اليابانيين ولكن أدت الازمة الاقتصادية الى بطالة كبيرة مما جعلها تسن قوانين للحد من الهجرة اليها في الوقت الذى كان اليابانيون بها ١٧٥٠٠٠ نسمة فقط . وقد طلبت اليابان بعد الحرب العالمية الثانية أن توافق البرازيل على تهجير ٥ مليون يابانى اليها على امتداد فترة ١٠ أو ١٥ سنة ، ولكن البرازيل رفضت ذلك واستمرت قوانين تحديد الهجرة التى صدرت في سنة ١٩٣٤ معمولا بها .

أما الاراضى الاسيوية التى هاجر اليها اليابانيون فلم تكن بيئة ملائمة تماما لاستيعابهم وذلك لوجود ضغط سكانى في هذه المهاجر ، وقد عمل المهاجرون اليابانيون في الحرف التجارية والاعمال غير الزراعية ، ووصل عددهم عند أوائل الحرب العالمية الثانية الى ١٨ مليون يابانى في كل من كوريا ومنشوريا وفرموزه بالإضافة الي مايقرب من ١٢ مليون في أقاليم أخرى نصفهم في الامريكيتين ، الا أن اليابان بدأت تستقبل هجرة عائدة بعد الحرب العالمية الثانية على نطاق واسع بلغ حجمها ٦٢ مليون عائد ونصفهم من المدنيين والنصف الاخر من العسكريين ثم قلت أعداد المهاجرين وفودا أو نزوحا بعد ذلك قلة كبيرة .

وعلى العموم فإن قارة آسيا التى تحوى أكثر من نصف سكان العالم لم تدفع بعدد كبير من المهاجرين خارجها، حتى قدر عددهم بنحو ٢٠ مليون صينى و ١٠ مليون هندى ومن ٣ الى ٤ مليون يابانى هم كل ما أسهمت به آسيا في الهجرة الدولية منذ أواخر القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين .

الهجرة من لبنان :

تعد الهجرة الخارجية من لبنان عنصرا هاما من العناصر الديموغرافية في هذا البلد منذ سنة ١٨٨٠ ، وقد اتجهت الى افريقيا والعالم الجديد وكانت مدفوعة في البداية بوطاة الحكم العثماني وضعف الموارد الاقتصادية وزيادة عدد السكان ، ومن الصعب تقدير عدد المهاجرين الخارجين وذلك لعدم توفر البيانات ، وان كانت صورة الهجرة يمكن الحكم عليها من واقع الارقام التي تنشرها الدول المستقبلية ، فبينما لم يكن بالولايات المتحدة سنة ١٨٦٩ سوى اثنان فقط من السوريين (كان هذا التعبير يطلق على كل من مهاجري سوريا ولبنان) . فقد تزايد هذا العدد ليصل الى ٣٧٠٨ مهاجر في السنة سنة ١٨٩٩ ، ويقدر أن ١٢٠٠٠٠ «سوري» قد هاجر على امتداد الفترة بين ١٨٦٥ - ١٩٠٤ بمتوسط سنوي قدره ٣٠٠٠ مهاجر ، ومن المرجح أن غالبيتهم من اللبنانيين في ضوء نسب الهجرة فيما بعد التي توضح أن نسبة الهجرة من لبنان تفوق مثيلتها من سوريا . وكما هي الحال في هجرة باقي الجنسيات الى الولايات المتحدة التي وصلت ذروتها في السنوات السابقة على سنة ١٩١٢ فقد زادت هجرة اللبنانيين اليها حتى وصلت ٩٢١٠ في تلك السنة . كما كان هناك ٤٦٠٣ (سوري) في البرازيل في الفترة من ١٩٠٤ - ١٩١٣ .

وفي خلال نفس الفترة بدأ غرب أفريقيا يجذب المهاجرين (السوريين) ، وان كان معظمهم وقد لفترة مؤقتة ، وكانت أعدادهم قليلة نسبيا قدرت بنحو ٤٠٠٠ مهاجر في الفترة من ١٩١٤ - ١٩١٨ ويقدر أن ٣٢٥٠٠٠ (سوري) قد هاجروا للخارج بمتوسط قدره ١٥٠٠٠ مهاجر سنويا في الفترة من ١٩٠٠ - ١٩١٤ .

ولكن الهجرة اللبنانية انخفضت بشكل واضح بعد سنة ١٩١٩ حتى يصل متوسطها السنوي الى ٤٤٠٠ مهاجر خلال الفترة من ١٩٢١ - ١٩٣٩ وذلك لظهور لبنان كدولة مما أدى الى انكماش تيار الهجرة الخارجية . وعموما فانه بعد حرب سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ بدأت الهجرة بأعداد أكبر ثم ما لبثت أن هبطت بعد ذلك لتصل الى قرابة ٣٠٠٠ مهاجر سنويا في الوقت الحاضر .

الهجرة الدولية داخل قارة آسيا :

توضح خريطة سكان جنوب شرق آسيا - ذلك الملتقى البشري الهام على حافة القارة الاسيوية الالهية المتزايدة للهجرة الصينية وأثرها في

التركيب السكاني لهذا الجزء من القارة ، ولعل في تتبع النمو الديموغرافي لسنغافورة مايبين ذلك ، ففي سنة ١٨١٩ عندما وفد أول مستوطن بريطاني وهو السير ستامفورد رافلز Stamford Raffles لم يكن يعيش في مستنقعات هذه الجزيرة سوى مائتين أو ثلاثمائة من السكان ، ولكن بعد ذلك بسنة شهور فقط تدفق على الجزيرة قرابة ٥٠٠٠ تاجر صيني وبعدها بست سنوات استطاعوا جلبا الى جنب مع البريطانيين أن يجعلوا سنغافورة اعظم مركز تجارى فى جنوب شرق آسيا ، وفى الوقت الحاضر فان حوالى اربعة أخماس سكان سنغافورة البالغ عددهم قرابة المليون نسمة - يرجعون الى أصل صينى و ٧% فقط الى أصل هندى .

ولم تتجه الهجرات الصينية خارج جنوب شرق آسيا الا بنسبة ضئيلة متمثلة فى بعض الاقليات الصينية التى اتجهت نحو مناطق أخرى وخاصة الى المدن الكبرى فى العالم مثل نيويورك ولندن وسان فرانسيسكو حيث انهم اهتموا فى التجارة أو الخدمات ، ويشتهر الصينيون فى المهجر بالاعمال التجارية خاصة فى جنوب شرق آسيا والتي يتزايد العنصر الصينى بسكانها بدرجة ملحوظة فيمثل الصينيون ٤٥% من سكان الملايو و ١٧% من سكان تايلاند ومن ٢ - ٤% من كل سكان باقى الاقطار (أندونيسيا والفلبين وفيتنام وبورما) . وفى العهد الاستعماري الاوربى نشط الصينيون كوسطاء تجار بين الاقلية الاوربية وباقى السكان وخاصة فى الريف واستفادوا من ذلك فائدة كبرى حتى استطاعوا أن يثبتوا نفوذهم ويقووه بعد حصول هذه البلاد على استقلالها حتى أصبحوا يحتكرون العديد من مظاهر النشاط الاقتصادي .

أما هجرة الهنود فترجع الى أسباب مختلفة فقد اتجهوا الى البلاد التى كانت خاضعة للنفوذ البريطانى حيث جلبهم البريطانيون الى بعض هذه البلاد سدا للنقص فى الايدى العاملة بها سواء فى جنوب أفريقيا كما سبق القول أو فى الملايو حيث وفدوا للعمل فى مزارع المطاط وتزايدت اعداد المهاجرين منهم حتى أصبحوا يكونون قرابة ١١% من جملة سكان الملايو فى الوقت الحاضر ، كذلك اتجهوا الى الاقطار الاخرى المجاورة - ووصل تأثيرهم الى دول الخليج العربى .

ومن أحدث المناطق التى شهدت تدفقا كبيرا للايدى العاملة مناطق انتاج البترول فى دول الخليج العربى وخاصة الكويت والمملكة السعودية والامارات العربية المتحدة ، فيكون المهاجرون الى الكويت مثلا ٥٨% من

جملة سكانها البالغ عددهم ١٣٥٧٩٠٠ نسمة سنة ١٩٨٥ ، ويكون
 الفلسطينيين والاردنيون النسبة العالية من هؤلاء المهاجرين ويليهم
 العراقيون ثم السوريون واللبنانيون والعمانيون والمصريون والهنود
 والباكستانيون والايروانيون (١) . وعلى العموم يكون الوافدون العرب نحو
 ٧٣٪ من جملة الوافدين .

جدول رقم (٢٨) توزيع السكان الوافدين الى جملة السكان
 والقوى العاملة في دول الخليج العربية (%)
 (١٩٧٥ - ١٩٨١) (٣)

الدولة والسنة	عدد السكان		قوة العمل	
	مواطنون	وافدون	مواطنون	وافدون
البحرين	١٩٧١	٨١٧	٦٢٩	٣٧١
١٩٨١	٦٨٠	٣٢٠	٤٣٠	٥٧٠
قطر	١٩٧٥	٢٩٤	٧٠٦	٨٢٤
١٩٨١	٠٠٠	٠٠٠	١٥٢	٨٤٨
الامارات	١٩٧٥	٣٦٣	٦٣٧	٨٤٦
١٩٨٠	٢٨٢	٧١٨	١٠٩	٨٩١
عمان	١٩٧٥	٨٣٨	١٦٢	٥٣٦
١٩٨٠	٠٠٠	٠٠٠	٥٨٥	٤١٥
الكويت	١٩٧٥	٤٧٥	٥٢٥	٦٩٨
١٩٨٠	٤١٧	٥٨٣	٢١٩	٧٨١
السعودية	١٩٧٥	٠٠٠	٦٦١	٣٣٩
١٩٨٠	٠٠٠	٠٠٠	٥٧١	٤٢٩

وقد قدر عدد العمال الاجانب بالمملكة العربية السعودية قرابة
 ٣٨٧٨٠٠٠ نسمة سنة ١٩٨٥ معظمهم من الدول العربية خاصة من مصر
 والسودان واليمن حيث يعملون في البناء والتشييد وانشاء الطرق وفي

(١) غيرت الكويت سياستها في استقدام العمالة الاجنبية وذلك بعد
 الغزو العراقي لها في ٢ أغسطس ١٩٩٠ وذلك حتى تحدث توازنا في السكان
 بين الوافدين والسكان الاصليين، وحتى لا يكون الكويتيون اقلية في وطنهم .
 (٢) المصدر:

محمد توفيق صادق - التنمية في دول مجلس التعاون : دروس
 السبعينات وآفاق المستقبل - عالم المعرفة - يولية - ١٩٨٦ - الكويت .

الشحن والتفريغ في الموانئ ، ويعمل المدربون والمهرة من المهاجرين في
المهن المتقدمة كالتدريس والطب والهندسة وغيرها (جدول رقم ٢٨) .

أما البحرين فكان لصغر حجمها وقلة انتاج البترول بها اثر هام في
تحديد حجم الهجرة الوافدة اليها ، وقد بلغ عدد المهاجرين ١٥٩٠٠٠
نسمة في سنة ١٩٨٥ بنسبة وصلت الى ٣٦,٥% من جملة السكان البالغ
عددهم ٤٣٥٠٠٠ نسمة في تلك السنة ، ويأتى العرب في مقدمة المهاجرين
من حيث العدد ويليهم الهنود والباكستانيون واليرانيون ووافدون من
جنوب شرق آسيا .

ولتختلف الهجرة الى قطر عن سواها من دول الخليج الاخرى
ويعمل المهاجرون بها في الحرف اليدوية والفنية ويكون اليرانيون
والعمانيون النسبة الكبيرة من المهاجرين ويعملون في حرف التشييد
والخدمات الاخرى بصفة خاصة .

والملاحظ على الهجرة الوافدة لدول البترول في منطقة الخليج أنها
هجرات معظمها مؤقتة وليست هجرة دائمة حيث يفد العدد الكبير من
المهاجرين لفترات محددة المدة تجذبهم الاجور العالية ثم مايلبثوا أن
يغادروا هذه البلاد بعدها وهم بذلك مهاجرون مؤقتون أو عمال أهداف
Target Workers كما هي الحال في هجرة العمالة في شرق أفريقيا .

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين منذ أن وضحت نوايا المنظمات
الصهيونية لاقامة دولة يهودية بها وقد تمت الهجرة على مرحلتين رئيسيتين
الاولى فيما قبل اعلان قيام اسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، والثانية بعد هذا
التاريخ عندما نشطت الصهيونية العالمية في تدعيم الكيان الاسرائيلي
باعداد متزايدة من المهاجرين اليهود لتقويته وتثبيته بشريا .

وقد تمت الهجرة اليهودية الى فلسطين فيما قبل سنة ١٩٤٨ على
مراحل متعاقبة على النحو التالي :

١ - المرحلة الاولى : فيما بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٣ وقد تدفق على
فلسطين اثنائها ٢٥ ألف يهودي بمساعدة جماعة محبي صهيون التي
عاشت تحت رعاية البارون روتشيلد وبمعاونته وكانت غالبية اليهود الذين
دخلوا فلسطين واقاموا فيها في هذه المرحلة من روسيا القيصرية .

٢ - المرحلة الثانية : فيما بين سنتي ١٩٠٤ - ١٩١٣ وتمكنت خلالها

جماعة صهيونية تعرف باسم الرواد من ادخال ٤٠ ألف يهودى الى فلسطين
أسسوا المستعمرات الزراعية بها وتأسست خلالها مدينة تل أبيب - وكان
معظم المهاجرين من روسيا القيصرية وقد نشطت الهجرة في هذه المرحلة
حينما نصب وايزمان نفسه زعيما للحركة الصهيونية العالمية .

٣ - المرحلة الثالثة : وقد جاءت في أعقاب وعد بلفور سنة ١٩١٧
وتحدد زمنيا فيما بين سنتى ١٩١٩ - ١٩٢٣ وقد هاجر خلالها ٣٥ ألف
يهودى جاء معظمهم من شرق أوروبا وواصلوا انشاء المستعمرات الزراعية
كذلك .

٤ - المرحلة الرابعة : وقد جاءت مع السنوات الاولى للانتداب
البريطانى وتحدد فيما بين سنتى ١٩٢٣ - ١٩٣١ وقد شجعتها الوكالة
اليهودية ووفد أثناءها ٨١٠٠٠ مهاجر وكانت هذه المرحلة دفعة قوية
لتثبيت حركة الهجرة في فلسطين وقد أسس اليهود خلالها قرابة مائة
مستعمرة زراعية .

٥ - المرحلة الخامسة : فيما بين سنتى ١٩٣٢ - ١٩٣٩ ، وقد تأثرت
هجرة اليهود خلالها بالحركة النازية في أوروبا مما أدى الى زيادة عدد
المهاجرين اليهود ولذا فانه شهدت هجرة ٢٢٥ ألف يهودى معظمهم من
أوروبا بطبيعة الحال .

أما فيما بعد قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ فقد تزايد تيار الهجرة اليهودية
بمعدل كبير وذلك بفضل التشجيع المستمر واجتذاب المهارات والقدرات
اليهودية المختلفة للعيش في اسرائيل حتى أصبحت الهجرة بالنسبة لها
صمام الامن ومصدر القوة في الواقع وقد جاء في اعلان الاستقلال أن الدولة
الاسرائيلية ستفتح أبوابها لهجرة اليهود المنتشرين في كافة أنحاء العالم،
ومن أجل ذلك أصدرت اسرائيل قانون العودة في يولية سنة ١٩٥٠ والذي
يقضى بأن كل يهودى في أية بقعة من العالم يحق له دخول اسرائيل
كمهاجر .

ويبين الجدول رقم (٢٩) والشكل رقم (٢٣) تطور الهجرة منذ سنة
١٩٤٨ ويبدو منه أن تيار الهجرة يتذبذب من عام لآخر كاستجابة للظروف
السياسية التى تواجهها اسرائيل ، فحتى نهاية سنة ١٩٦٧ كانت اسرائيل
قد استقبلت ١٧٢٤٧٠٠٠ مهاجر ولكن في خلال هذه الفترة (١٩٤٨ -
١٩٦٧) ، غادر اسرائيل ١٧٠٠٠٠ مهاجر عائد أى بنسبة ١٣% من حجم
الهجرة الوافدة ، ومنذ سنة ١٩٥٣ استمر متوسط الهجرة العائد بحوالى

• ٨٠٠٠ مهاجر سنويا تركوا اسرائيل بعد هجرتهم اليها(١) .

وقد وفد المهاجرون الى اسرائيل من الشرق والغرب، فقد جاء معظمهم من شرق أوروبا خاصة من بولنده ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وأخيرا جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ، وكذلك من الدول العربية خاصة العراق واليمن ودول المغرب العربي ، ومنذ سنة ١٩٥٦ كانت الهجرة اليهودية من أمريكا وأوروبا تفوق مثلتها الوافدة من آسيا وأفريقيا في كل عام (باستثناء عام ١٩٦٢ و ١٩٦٣) .

جدول رقم (٢٩)

هجرة اليهود الى فلسطين المحتلة في الفترة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) (٣)

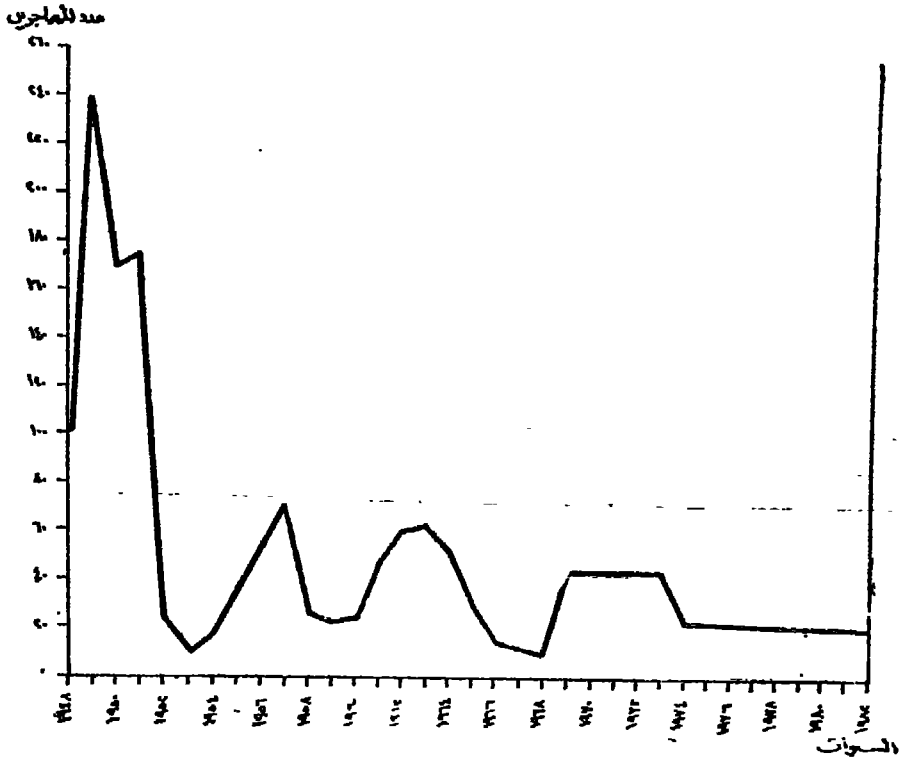
السنة	العدد	السنة	العدد
١٩٤٨	١٠١٨٢٤	١٩٥٨	٢٦٠٩٣
١٩٤٩	٢٣٩٤٢٤	١٩٥٩	٢٣٠٤٥
١٩٥٠	١٦٩٧٢٠	١٩٦٠	٢٣٦٤٤
١٩٥١	١٧٤٠١٤	١٩٦١	٤٦٦٥٠
١٩٥٢	٢٣٤٠٨	١٩٦٢	٥٩٦٠٠
١٩٥٣	١٠٣٨٨	١٩٦٣	٦٢١٥٦
١٩٥٤	١٧٤٨٥	١٩٦٤	٥٢٤٥٦
١٩٥٥	٣٦٣٢٧	١٩٦٥	٢٨٧٩٥
١٩٥٦	٥٤٩٩٦	١٩٦٦	١٣٦١٠
١٩٥٧	٧١١٠٠	١٩٦٧	١٢٢٧٥

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور جمهورياته دولا مستقلة فتحت ابواب الهجرة لليهود على مصراعيها واتجه تيارها الرئيسي الى اسرائيل وبشكل مكثف .

(١) راجع القسم الثاني من الكتاب - في سياق الحديث عن الهجرة

الدولية في الوطن العربي .

(2) Blake, G. H., "Israel : immigration and dispersal of Population, in Populations of the Middle East and North Africa, Op. Cit., p. 185.



شكل رقم (٢٣)
منحنى الهجرة الوافدة الى اسرائيل (١٩٤٨ - ١٩٨٢)

ثانيا - الهجرة الافريقية :

ارتبطت الهجرة في أفريقيا بانتقال الزوج من المناطق المدارى بها الى العالم الجديد في الفترة التي كانت تجارة الرقيق سائدة بها ، ورغم أن هذه التجارة في الادميين قديمة فان كشف الامريكيتين أدى الى توسيع نطاقها بدرجة كبيرة ذلك لان الاوربيين في أولى مراحل استيطانهم بالامريكيتين وجدوا مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة التي تنتظر الاستغلال ولم يكن عدد السكان الاصليين - وهم الهنود الحمر - يسمح بالاعتماد عليهم لتحقيق هذه الغاية وذلك لضالته الشديدة، ومن ثم اتجهت أنظار الاوربيين الى مصدر للأيدي العاملة الرخيصة وبالتحديد في أفريقيا حيث وجدوا أن أيسر طريقة لحل مشكلة العمل في الامريكيتين هي تسخير الأيدي العاملة من الزوج .

وليس عدد الزوج الذين جلبوا من أفريقيا للامريكتين معروفا على وجه التحديد ولكن يقدرهم بعض الكتاب بنحو ٢٠ مليونا من الرقيق لم يصلوا جميعا الى المهجر الاجبارى بل مات عدد كبير منهم فى الطريق ، كذلك لم تكن الولايات المتحدة السوق الرئيسية لتجارة الرقيق فى العالم الجديد بل قامت أمريكا اللاتينية بهذا الدور ، ولذا فانه يقدر أن عدد الزوج الذين وصلوا رأسا من أفريقيا الى الولايات المتحدة بنحو مليون نسمة أما الاغلبية فقد وصلت من سوق الرقيق الرئيسية فى أمريكا اللاتينية حتى الغاء تجارة الرقيق فى القرن التاسع عشر .

وتختلف نسبة الزوج فى دول الأمريكتين اختلافا كبيرا من دولة لاخرى وتزداد زيادة واضحة فى النطاق المدارى حيث تتشابه الظروف المناخية مع الوطن الاصلى فى أفريقيا المدارية ، وتوضع الارقام التالية توزيع نسبة الزوج فى جزر الهند الغربية(١) :

مجموع السكان	(%) من	مجموع السكان	(%) من
كوبا	٢٤	جزر فرجين	٦٩
هايتى	٩٨	جمايكا	٧٤
جمهورية الدومينكان	١٩	باربادوز	٧٠
بورتوريكو	٤	باهاما	٨٥

الهجرة داخل أفريقيا :

شهدت أفريقيا أشكالا جديدة من حركات السكان بها منذ مقدم الاستعمار الاوربى فى نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد ارتبطت هذه الحركات السكانية بالتغيرات فى الظروف السياسية والاقتصادية وماترتب عليها من تغيرات اجتماعية .

وتعد الهجرة من الريف الى الحضر أهم مظاهر حركة السكان فى خلال العهد الاستعمارى بأفريقيا، وقد ارتبطت بالتنمية الاقتصادية فى أفريقيا المدارية والنمو الحضرى بها حيث تحول كثير من مناطق التنمية الزراعية والمعدنية فى القارة الى بؤرات جذب للايدى العاملة من باقى الاقطار المجاورة .

(1) Beaujeu - Garnier. J., Geography of Population, Op. Cit., p.24.

كذلك فإن مظاهر الانتقال الموسمي للعمال تعد من السمات الهامة في حركات الانتقال السكاني بأفريقيا حيث تتجه أعداد كبيرة من العمال الى مراكز التعدين والصناعة لفترات قد تصل الى ستة أشهر ولسافات تروى على مئات الاميال ويتميز غرب أفريقيا جنوب الصحراء من السنغال حتى الكاميرون بحركات موسمية ضخمة أكثر من أى منطقة أخرى في أفريقيا المدارية ، ويهاجر الذكور في سن العمل من الاقطار الداخلية مثل مالي وفولتا العليا والنيجر ومن الاجزاء الشمالية في ساحل العاج وغانا وبيجيريا في اتجاه جنوبي خلال موسم الجفاف الطويل الذى يستمر من اكتوبر حتى ابريل ويتجه المهاجرون بحثا عن العمل في المناطق الريفية والحضرية وتشمل مناطق الجذب هذه اقاليم زراعة المحاصيل النقدية والمراكز التجارية والادارية الرئيسية والموانئ وبعد العمل في هذه المناطق لمدة تتراوح بين شهرين وخمسة شهور يعود المهاجرون الى مواطنهم الاصلية لزراعة أراضيهم مع بداية موسم الامطار .

وبالاضافة الى هذه الحركات الموسمية فهناك هجرات قصيرة الامد تتضمن أيضا البحث عن العمل في المدن والمناجم والزراعة ولكن لمدة محددة تصل الى عامين ، ويتميز شرق ووسط أفريقيا بهذا النوع من الهجرة أكثر من الهجرة الموسمية التى يتميز بها غرب أفريقيا ، ومع ذلك فإن الهجرة الموسمية في شرق أفريقيا تعد من الظواهر الواضحة في حركة السكان وأبرزها انتقال المهاجرين من شرق أفريقيا الى زنجبار ويمبا للعمل في حصاد القرنفل .

وبصفة عامة فإن أهم مناطق جذب المهاجرين من الايدى العاملة داخل أفريقيا يبينها شكل رقم (٢٤) وهى على النحو التالى(١) :

١ - اقليم شابا وهو أعظم مناطق جذب المهاجرين من الايدى العاملة في القارة وذلك لغناه بثرواته المعدنية وقلة السكان به مما يجعله في حاجة لأعداد كبيرة منهم يفدون اليه من خارجه ، وبالرغم من أن هذا الاقليم يجذب عمالا من معظم مناطق أفريقيا المدارية فإن أبرز مناطق تصدير العمالة له هما دولتا رواندا وبورندى اللتان تكتظان بالسكان وتحويان أكبر رصيد بشرى للقوى العاملة في أفريقيا المدارية ويعد رجال قبائل الواتومى والواهوتو التى تسكنها من أمهر العمال الصناعيين في أفريقيا .

(١) محمد السيد غلاب ومحمد صبحى عبد الحكيم - السكان ديموغرافيا وجغرافيا - القاهرة ١٩٦٢ - ص ١٥٠ .



شكل رقم (٢٤)

هجرة الایدی العاملة داخل أفريقيا

٢ - إقليم الراند في جمهورية جنوب أفريقيا وهو إقليم غنى بثروته المعدنية هو الآخر خاصة الذهب والفحم والماس ويجتذب التعدين هنا أعدادا كبيرة من الایدی العاملة من أفريقيا المدارية .

٣ - هضبة بوتشي في نيجيريا ولاسيما منطقة جوس Jos وهي غنية بثروتها المعدنية كذلك ولكنها لاتجذب الا أعدادا قليلة من العمال الأفريقيين من الدول المجاورة .

٤ - مزارع الكاكو في غانا وتجذب العمال من بنين وساحل العاج وبوركينا فاسو .

٥ - أرض الجزيرة بالسودان وقد اجتذبت هذه المنطقة عناصر للعمل في مزارع القطن بها وقد استقر بها الكثير منهم في طريق ذهابهم أو اياهم من رحلة الحج ، وهذه العناصر مصدرها غرب أفريقيا بصفة عامة .

وتتمثل مناطق الهجرة النازحة والوافدة في دول شرق أفريقيا بصورة واضحة ، وبالرغم من أن هذا النطاق من القارة يرسل بالكثير من عماله الى بقية مناطق أفريقيا المدارية فان حركة السكان بين دوله تبدو هامة ويمكن تحديدها في ثلاثة اتجاهات أبرزها (١) :

- أ - الهجرة النازحة باستمرار من دولتي رواندا وبورندي .
- ب - الهجرة الوافدة باستمرار نحو جزيرتي زنجبار ومبا .
- ج - الهجرة المختلطة (الوافدة النازحة) وتتمثل في أوغنده وكينيا وتنزانيا .

وتعد رواندا وبورندي من منابع الهجرة النازحة الرئيسية ليس في شرق القارة بل وفي أفريقيا المدارية كلها ، وتتميز هاتان الدولتان بكثافة سكانية عالية تعد من أعلى الكثافات في القارة (٢٨٨ ، ٢٠٧ نسمة في الكيلو متر المربع على الترتيب) ، وتمثل الهجرة الخارجية من هاتين الدولتين قرابة أربعة أخماس حركة الهجرة في دول شرق أفريقيا، وقد قام البلجيكي أثناء ادارتهم لهاتين الدولتين بجهود قليلة في إعادة توزيع السكان بهما وركزوا هذه الجهود في تعمير الاراضى الواقعة بجوار بحيرة كيفو والمتاخمة لزائير وذلك لتصبح مستودعا للايدي العاملة اللازمة لها ، وكان الهدف من ذلك هو ضمان هجرة نحو ١٠٠ ألف عامل سنويا للعمل بزائير وبذلك تصبح أشبه بسوازيلاند وليسوتو بالنسبة لجنوب أفريقيا .

ويهاجر كثير من العمال البورنديين والروانديين الى الدول المجاورة وخاصة أوغنده التى تحظى بالنسبة العالية منهم وذلك للعمل في اقليم بوغنده بالذات وتقدر هجرتهم السنوية اليه بنحو نصف مليون عامل يعمل معظمهم في مزارع البن والقطن الافريقية . وبالإضافة الى ذلك فهناك قرابة ٣٠٠ ألف عامل منهم يعيشون بصفة مستمرة في أوغنده وحوالى ١٥

(١) محمد عبد الغنى سعودى : هجرة العمالة في شرقى أفريقيا -
المجلة الجغرافية العربية - السنة الخامسة - العدد الخامس ١٩٧٢ - ص
٣٧ - ٧٣ .

ألف يتجهون الى زائير وذلك بخلاف من يتجه منهم الى نطاق النحاس في زامبيا (١) .

وتمثل جزيرتا زنجبار وبمبا مركزا لجذب الايدي العاملة للمساهمة في جمع القرنفل الذي يحتاج الى ايد عاملة وفيرة ، حتى أنه في موسم جنى المحصول يشترك الجميع في هذه العملية سواء من الصغار أو الكبار أو الاناث أو الذكور وتعتمد هذه العمليات على العمال المحليين والعمال المهاجرين من أرض القارة الذين يأتون موسميا ، ويقدر عددهم بنحو ٢٧ ألف مهاجر يفدون من تنجانيقا في الغالب ويمكن اعتبار حركتهم نمطا من أنماط الهجرة الداخلية الموسمية في تنزانيا .

أما باقى دول شرق أفريقيا فتشهد تيارات هجرة نازحة وتيارات وافدة ، ويرجع ذلك الى التباين الجغرافي بين أقاليمها المختلفة سواء التباين الطبيعي المرتبط بكمية الامطار السنوية أو الاقتصادى المرتبط بتنوع المناطق وتوطن الزراعة التجارية كما في الاجزاء الوسطى من بوغنده وبوسوجا في أوغنده حيث يزرع القطن والبن مما جعلها منطقة جذب قوى للمهاجرين من أوغنده ومن خارجها خاصة من رواندا ويورندى وكينيا .

وتتميز كينيا بقلة الهجرة الاجنبية الوافدة اليها فقد بلغت نسبة القوى العاملة المولودة خارجها ٥% فقط من جملة القوى العاملة سنة ١٩٦٢ ، وكذلك فان هناك تيارا من المهاجرين الكينيين الى الدول المجاورة بحثا عن العمل ولذا فان كينيا تعد منطقة طرد أكثر منها منطقة جذب للسكان المهاجرين ولا تختلف (تنجانيقا) اختلافا كبيرا عن كينيا في حركة الهجرة حيث يقدر أن مجموع العمال الخارجين منها سنويا نحو ١٩٣ ألف نسمة مقابل ١٨٥ ألف يدخلونها .

وتلعب المسافة والبعد الجغرافي دورا هاما في توزيع المهاجرين ويبدو ذلك في تركيز المهاجرين في المناجم القريبة من الطرق ومن السكك الحديدية كما لوحظ أن كثافة العمال المهاجرين من تنزانيا تتضاعف في مدن زامبيا كلما بعدنا عن نطاق النحاس وهو أقربها الى حدود تنزانيا ، ويمثل مهاجرو تنزانيا ٣١% من جملة القوى العاملة في زامبيا ، ٤٠% من القوى العاملة في زيمبابوى ويأتون بعد مهاجرو موزمبيق وانجولا في ترتيب القوى العاملة الاجنبية في زامبيا وزيمبابوى وملوى (٢) .

-
- (١) سعودى - المرجع السابق - ص ٤٩ .
(٢) سعودى - المرجع السابق - ص ٦٥ .

الفصل التاسع

الهجرة الداخلية

تعد الهجرة الداخلية من المظاهر الهامة لحركة السكان داخل الاقليم أو القطر ، ومن الصعب قياسها على المستوى القومى الا اذا تضمنت التعدادات بيانات عن المهاجرين ومواطنهم الاصلية وتواريخ قدومهم الى أماكن العد، وتختلف عوامل الجذب والمطرود للمهاجرين من بيئة لاخرى بطريقة تجعل تيارات الهجرة تأخذ اتجاهات مختلفة على رقعة الدولة وينظر الى العوامل الاقتصادية على أنها أكثر العناصر المؤثرة فى الهجرة جذبا وطردا وكذلك فان العوامل الديموغرافية التى تتمثل فى ارتفاع معدلات النمو السكانى وتزايد الضغط البشرى على الموارد الاقتصادية تؤثر هى الاخرى فى طرد كثير من السكان من تلك البيئات التى تتميز بها المعدلات العالية وعموما فانه فى دراسة دوافع الهجرة يكون الفصل بين عامل وآخر صعبا وذلك للترابط الكبير بينها وبين تفاوت الاهمية النسبية لعامل عن الاخر ومن بيئة لاخرى .

وتعد الهجرة من الريف الى الحضر Rural - Urban Migration أهم مظاهر الهجرة الداخلية وخاصة فى الدول التى أخذت بأسباب التنمية الصناعية حديثا أثر فى تقدمها الاقتصادى وارتفاع دخول أفرادها فى القطاعات المرتبطة بالصناعة ، ودفع بأعداد كبيرة من السكان الريفيين الى الاتجاه نحو المراكز الحضرية والتى غالبا ماتكون مراكز رئيسية للصناعة .

وتكون الهجرة عاملا هاما من عوامل المراكز الحضرية وتختلف درجة اسبابها فى هذا النمو باختلاف العوامل الكامنة فى تلك المراكز وقدرتها على جذب مهاجرين اليها ويقابل ذلك بطبيعة الحال وجود عوامل طرد فى البيئات الاصلية للمهاجرين تحفزهم على الهجرة وتتفق معظم دول العالم النامى فى تلك الظاهرة والتى تجلت فى تدفق أعداد كبيرة من سكان الريف الى المدن وأدى ذلك الى ارتفاع معدل النمو السكانى بتلك المدن ارتفاعا يفوق متوسط معدل النمو فى القطر كله ، ولعل فى مصر مثل واضح

على ذلك حيث يبدو التفاوت الشديد في معدل الزيادة السكانية السنوية في المحافظات الحضرية والمحافظات الريفية فالاولى يصل معدل النمو السنوى بها أكثر من ٣% (القاهرة ٤.٥%) والاسكندرية (٣.١%) أما الثانية فهي أقل من ذلك حيث يتراوح هذا المعدل بها بين ١.٥% و ٢.٥% سنويا .

وكما سبق - فليست هذه الظاهرة في نمو المدن وقفا على مصر وحدها بل انها عالمية وخاصة في الدول النامية ، فالملاحظ أن المناطق الريفية يزداد فيها ضغط السكان على الارض الزراعية مما يدفع بالكثير من سكانها الى التفكير في الهجرة وخاصة اذا كان هذا الضغط السكانى مرتبطا بانخفاض المستوى المعيشى - وبديهي أن عوامل الطرد في أماكن المغادرة يقابلها عوامل جذب في أماكن الوفود ، وأبرز عوامل الجذب الحضري تواجد فرص العمل وتوفر الخدمات المتعددة وتسهم وسائل المواصلات وخاصة السكك الحديدية في ايجاد تيارات هجرة على امتدادها .

مقاييس الهجرة الداخلية :

تعتمد دراسة الهجرة الداخلية على بيانات التعداد السكانى أو الاستقصاءات والمسح بالعينة وذلك لاستخراج بعض المقاييس التى تعرف غالبا بنسب أو بمعدلات الهجرة *Kates of Migration* وتعد هذه المقاييس أساسا للحكم على حجم الهجرة في المنطقة المهاجر منها (مكان الاصل *Place of Origin*) أو المنطقة المهاجر اليها (مكان الوصول *Place of Destination*) . ومن الواضح أن المقام المستخدم في كل المقاييس هو اجمالى عدد السكان في كل من المنطقتين كما تبين الصيغ التالية لحساب هذه المقاييس :

$$١ - \text{معدل الهجرة الوافدة} = \frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

$$٢ - \text{معدل الهجرة المغادرة} = \frac{\text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

$$٣ - \text{معدل الهجرة الصافية} =$$

$$\frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة} - \text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}} \times ١٠٠$$

وبمعنى آخر فان معدل الهجرة الصافية يمثل الفرق بين المعدلين الاول

والثانى ويوضح مدى ماكسبته المنطقة من المهاجرين اذا كان الفرق موجبا ومدى ماخسرتهم اذا كان سالبا ، وبديهي أنه على رقعة الدولة الواحدة فان معدل الهجرة الداخلية الوافدة يساوى معدل الهجرة الداخلية المغادرة وبالتالي فان معدل الهجرة الصافية يساوى صفرا ، ولكن أهمية هذا المعدل الاخير تبدو في توضيح الفروق الاقليمية بين مناطق الجذب ومناطق الطرد داخل الدولة حيث تبدو مناطق الجذب ذات هجرة صافية موجبة بينما تبدو مناطق الطرد ذات هجرة صافية سالبة وقد توجد مناطق تتعادل فيها الهجرة الوافدة مع الهجرة المغادرة وبالتالي فانها مناطق استقرار سكاني .

٤ - معدل الهجرة الكلية =

$$100 \times \frac{\text{عدد المهاجرين الى المنطقة} + \text{عدد المهاجرين من المنطقة}}{\text{جملة عدد سكان المنطقة}}$$

وبالإضافة الى هذه المعدلات العامة فهناك معدلات نوعية ترتبط بأعمار المهاجرين ونوعهم ولذا تعرف بالمعدلات العمرية النوعية ويتم حسابها على أساس قسمة عدد المهاجرين في فئة عمرية معينة على جملة عدد السكان في هذه الفئة ويكون ذلك بالنسبة للذكور والاناث كل على حده .

طرق تقدير حجم الهجرة الداخلية :

هناك ثلاث طرق يمكن بواسطتها تقدير حجم الهجرة الداخلية واتجاهاتها وتعتمد هذه الطرق على مصدرين رئيسيين هما التعداد والاحصاءات الحيوية ، وتعد بيانات التعداد من أهم هذه المصادر في الواقع وذلك لأنه يمكن الحصول مباشرة على حجم الهجرة الداخلية وتوزيعها عن طريق توزيع السكان حسب محال الميلاد أو حسب مكان الإقامة المعتادة أو مدة الإقامة في مكان العد كما يمكن الحصول على بعض خصائص المهاجرين بطريقة غير مباشرة باستخدام بيانات التعداد واجراء بعض العمليات الاحصائية عليها .

والطرق الثلاث لتقدير حجم الهجرة الداخلية هي الطرق الاتية :

١ - طريقة محل الميلاد :

تعتمد دراسة تيارات الهجرة على مصدر احصائي واحد هو تعداد السكان وتستخدم جداول محال الميلاد مقارنة بمكان الإقامة وقت التعداد،

فالذين عدوا في المنطقة الادارية (١) مثلا (قد تكون مقاطعة أو محافظة أو قسم ادارى) وليسوا من مواليدها فانهم يعتبرون مهاجرين من الجهات التى ولدوا فيها الى هذه المنطقة ، ومن ناحية أخرى فان الذين عدوا في مناطق أخرى وكانوا من مواليد المنطقة (١) هذه فانهم يعتبرون أيضا مهاجرين منها الى المناطق الاخرى التى عدوا فيها(٢) .

وباستخدام هذه الطريقة في عدة تعدادات متعاقبة فانه يمكن معرفة تطور حركة الهجرة الداخلية في البلاد ، ولعل في مصر - مثال على ذلك كما تبين أرقام الجدول رقم (٣٠) حيث ينتقل بين ظهرانيها قرابة عشر السكان في كل السنوات التعدادية منذ ١٩٤٧ وحتى سنة ١٩٦٦ ثم مالبثت النسبة أن تناقصت بعد ذلك .

جدول رقم (٣٠) تطور عدد المهاجرين ونسبتهم الى جملة عدد السكان في مصر في الفترة من ١٩٢٧ - ١٩٨٦(٣)

السنة	جملة عدد السكان	عدد المهاجرين الذين عدوا خارج محل ميلادهم	% النسبة
١٩٢٧	١٤٢١٧٨٦٤	٩٩٠٦٤٥	٧ر٠
١٩٣٧	١٥٩٣٢٦٩٤	١٠٩٨٧٥٢	٦ر٩
١٩٤٧	١٩٠٢١٨٤٠	١٦٩٩٩٧٤	٩ر٠
١٩٦٠	٢٦٠٨٥٣٢٦	٣٠٠١٦١٥	١١ر٥
١٩٦٦	٣٠٠٨٢٤١٩	٢٧٣٦٤٠٠	٩ر٢
١٩٧٦	٣٦٦٢٦٢٠٠	٣٥٥٠٠٠٠	٩ر٧
١٩٨٦	٤٧٩٩٥٢٦٥	٣٦١٦٣٠٠	٧ر٧

ويمكن الاستدلال بهذه الطريقة على حركة تبادل المهاجرين بين المناطق الادارية في الدولة وتحديد تيارات الهجرة وكثافتها واتجاهها ، كذلك يمكن معرفة أصول المهاجرين ونسبتهم الى جملة سكان المهجر، فعلى

(١) حسين أنور خليل - «قياس الهجرة الداخلية في جمهورية مصر العربية ١٩٧٦ - ١٩٨٦» - رسالة ماجستير غير منشورة - الجامعة الاردنية يونية ١٩٩١ - ص ٥٦ .

(٢) Abou-Aiana, F. M., "Internal Migration in Egypt between 1927-1966", Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte 1973.

سبيل المثال أظهرت بيانات تعداد السكان سنة ١٩٨٦ في مصر أن أكثر من ربع سكان القاهرة وحوالى خمس سكان الاسكندرية قد ولدوا خارج هاتين المدينتين ، ويوضح الجدول رقم (٣٠) معدلات الهجرة الداخلية في المحافظات حسب طريقة محل الميلاد واعتمادا على بيانات تعداد ١٩٦٠ .

على أنه ينبغي الإشارة الى أن طريقة محل الميلاد فى دراسة الهجرة الداخلية لاتخلو من عيوب ، ذلك لانه ليس من المتوقع أن يحظى سؤال بسيط عن محل الميلاد باجابات دقيقة من كل السكان ، فمن المحتمل حدوث خطأ فى ذكر هذا المكان خاصة بين المهاجرين الذين قضوا فترة طويلة فى المهجر أى بين المسنين من المهاجرين ، ولما كان جامعو بيانات التعداد يسألون رب الاسرة مباشرة عن بقية أفراد الاسرة فقد لا يعبر أماكن ولادة هؤلاء الافراد اهتماما كبيرا .

كذلك فقد تؤدي التغيرات المستمرة فى الحدود الادارية الى عدم الدقة فى بيانات محل الميلاد فالسكان لايهتمون كثيرا بالتغيرات الادارية التى تحدث فى موطنهم الاصلى بعد هجرتهم منه ويدلون ببيانات محل الميلاد حسب حدوده السابقة عندما كانوا مقيمين به وربما أصبح هذا المحل ضمن اقليم ادارى آخر فى الوقت الحاضر .

وتعد طريقة اجراء التعداد ذاتها على جانب كبير من الاهمية فى تحديد قيمة بيانات محل الميلاد فى الهجرة فقد تختلف التعدادات المتعاقبة فى طريقة اجرائها مثل طريقة العد الفعلى De Facto أو حسب مكان الاقامة المعتاد De Jure ومن ثم يصعب مقارنة تطور حركة الهجرة ، ولما كانت طريقة العد الفعلى تقوم على أساس عد السكان حسب أماكن تواجدهم ليلة التعداد فانها قد تسجل البعض على أنهم مهاجرون ظاهريا بالرغم من أنهم ليسوا كذلك .

وبالاضافة الى ذلك فان بيانات مكان المولد لاتبين سوى الفرق بين مكان المولد ومكان الاقامة وبالتالي لاتبين عدد الاشخاص الذين هاجروا فى فترة زمنية معينة ولما كانت هذه البيانات لاتوضح الا الحركة المباشرة بين مكان المولد ومكان الاقامة فانها لاتبين التحركات المتعددة لنفس الافراد (سواء كان المهاجرون قد تحركوا أكثر من مرة قبل مجيئهم الى مكان العد - أو هاجروا الى أماكن أخرى ثم عادوا الى مواطنهم الاصلية) .

٢ - طريقة معادلة الموازنة :

يعتمد تحديد دور الهجرة فى نمو السكان على طريقة تعرف بمعادلة

الموازنة ، وهى تعتمد على الاحصاءات الحيوية من ناحية وبيانات التعداد العام للسكان من ناحية أخرى حيث يكون من السهل تقدير الزيادة الطبيعية بين التعدادين ومقارنتها بالزيادة الكلية فى الفترة التعدادية ، ويمثل الفرق بينهما الهجرة الصافية سواء كانت موجبة أو سالبة - أى سواء كانت هجرة وافدة أو مغادرة فى المكان الواحد ، ومن الواضح أنه لا يمكن استنتاج مكان القدوم أو الوصول لأى فئة من المهاجرين حسب هذه الطريقة كما أنها تتطلب توفر تعدادين لايفصلهما عدد كبير من السنوات وأن تكون البيانات قابلة للمقارنة من حيث المجال والدقة والاقسام الجغرافية ، وبديهي أن أخطاء الاحصاءات الحيوية تنتقل مباشرة الى تقديرات الهجرة .

ويمكن وضع معادلة الموازنة على الصورة التالية :

$$\text{الهجرة الصافية} = (ك_٢ - ك_١) - (\text{ليد} (٢ - ١) - \text{فى} (٢ - ١))$$

حيث :

$ك_١$ = عدد السكان فى التعداد الاول

$ك_٢$ = عدد السكان فى التعداد الثانى

والفرق بينهما يمثل الزيادة الكلية فى السكان بين التعدادين

ليد (٢ - ١) = عدد المواليد فى الفترة التعدادية ، أى بين التعداد

الاول والثانى .

فى (٢ - ١) = عدد الوفيات فى الفترة التعدادية ، أى بين التعداد

الاول والثانى .

والفرق بينهما يمثل الزيادة الطبيعية فى الفترة التعدادية .

٣ - طريقة نسبة البقاء *Survival Ratio Method* :

بالاضافة الى الطريقتين السابقتين هناك طريقة ثالثة لدراسة خصائص المهاجرين مثل العمر والنوع وتعتمد على ما يعرف بنسب البقاء (*Survival ratio*) أى احتمال البقاء لفوج من السكان فى فئة عمرية فى تعداد معين (ت) الى التعداد التالى (ت + ن) (١) ، والبيانات المطلوبة حينئذ هى عدد الاشخاص حسب العمر والنوع فى تعدادين متتاليين ثم مجموعة من نسب البقاء التعدادية فى كل فئة عمرية والتي يمكن تطبيقها على السكان

(١) فتحى محمد أبو عيانة - سكان الاسكندرية : دراسة جغرافية وديموغرافية - رسالة دكتوراه غير منشورة - الاسكندرية ١٩٧٠، ص ٣٨٤ .

في التعداد الاول حتى يمكن اشتقاق تقدير لعدد السكان المتوقع ان يظل على قيد الحياة في التعداد التالي والفرق بين هذا العدد التقديرى المتوقع وعدد السكان الذى اوردته التعداد التالى يكون هو الهجرة الصافية المقدرة وتتميز هذه الطريقة مثل طريقة الاحصاءات الحيوية السابقة باعطائها نتائج جيدة عن الهجرة الداخلية وذلك باستخدام الصيغة التالية :

الهجرة الصافية في الفئة العمرية (ع) =

$$ك (ع + ن) - (نسبة البقاء \times ك ع)$$

حيث أن :

ك (ع) = الفئة العمرية في التعداد الاول والتي عمرها ع من السنوات

ك (ع + ن) = الفئة العمرية في التعداد الثانى والتي عمرها ع + ن من السنوات .

ن = عدد السنوات الفاصلة بين التعدادين

نسبة البقاء = نسبة البقاء التعدادية القومية ، أو نسبة البقاء المشتقة من جدول الحياة .

جدول رقم (٣١) تطور معدلات الهجرة الصافية في محافظات مصر في تعدادى ١٩٧٦ و ١٩٨٦ (١)

المحافظة	١٩٧٦	١٩٨٦	المحافظة	١٩٧٦	١٩٨٦
القاهرة	٢٠٠ +	١٠٨ +	محافظات الوجه		
الاسكندرية	١٤٤ +	١٠٥ +	البحرى	٥٦ -	٣٥ -
بورسعيد	٢٥ +	٨٢ +	أسوان	٠٠٤ -	٠٨ -
السويس	٦٣ +	١٨١ +	أسيوط	١٠٨ -	٨٧ -
جملة المحافظات الحضرية	١٧٤ +	١٠٩ +	بنى سويف	٧٠ -	٥٧ -
الاسماعيلية	٩٠ +	١٢٩ +	الجيزة	١٩١ +	١٥١ +
البحيرة	٠٨ -	١٢ -	سوهاج	١٥٢ -	١١٣ -
الدقهلية	٨٩ -	٣٦ -	الفيوم	٦٥ -	٤٨ -
دمياط	٣٥ -	٦٥ -	قنا	١٢٣ -	٨٤ -
الشرقية	٦٤ -	٥٣ -	المنيا	٣٨ -	٢٨ -
الغربية	٦٧ -	٤٨ -	محافظات الوجه القبلى		
القليوبية	٤٤ +	٧٩ +	القبلى	٣٤ -	٢٥ -
كفر الشيخ	١٥ -	١٨ -	المحافظات الصحراوية		
المنوفية	٥٦ -	١٤٤ -	الصحراوية	١١ -	٥٥ +
			الاجمالى	صفر	صفر

(١) المصدر : حسين أنور خليل - المرجع السابق - ص ١٠٦ .

تيارات الهجرة الداخلية :

ليست هناك دولة في العالم الا وشهدت حركة سكانية داخلية على رقعتها وان كان ذلك بدرجات متفاوتة ، وتتميز بعض الشعوب بحركتها القوية وعدم الاستقرار الدائم مثل الشعوب السلافية التي شهدت أوروبا وآسيا حركة دائمة لها ويبدو تأثير هؤلاء الشعوب واضحا في أوراسيا خاصة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي .

وتعد الولايات المتحدة من أكبر دول العالم في حركة السكان الداخلية ويقدر أن خمس سكانها على الأقل ينتقلون بين ظهرانيتها كل عام ، وقد ظل هذا النمط في الهجرة الداخلية بها ثابتا على امتداد قرن من الزمان (١) . ومنذ الحرب العالمية الثانية فان عددا يتراوح بين ٣٣ر٣٠ مليون نسمة قد غيروا من أماكن إقامتهم كل عام ، ومن هؤلاء ٥ ملايين عبروا حدود الولايات المتحدة (٢) ، ولعل في بيانات الجدول رقم (٣٢) ما يوضح هذه الحقيقة على امتداد الفترة (١٩٠١ - ١٩٦١) .

وترجع زيادة حركة الهجرة الداخلية في الولايات المتحدة الى ضخامة الدولة واتساعها وتباين أقاليمها الطبيعية والاقتصادية التي تفصلها حدود

جدول (٣٢) النسبة المئوية للأشخاص المقيمين خارج محال ولادتهم في الولايات المتحدة وكندا في الفترة من ١٩٠١ - ١٩٦١ (٣)

السنة	الولايات المتحدة الامريكية	كندا
١٩٠١	٢٠ر٦	٦ر٥
١٩١١	٢١ر٦	١٠ر٠
١٩٢١	٢٢ر٢	١٠ر٣
١٩٣١	٢٣ر٤	٩ر٨
١٩٤١	٢٢ر٥	٩ر٧
١٩٥١	٢٥ر٥	١١ر٨
١٩٦١	٢٩ر١	١٢ر٣

- (1) Beaujcu - Garnier, Op. Cit., p. 187.
- (2) George, M. V., Internal Migration in Canada, Ottawa, 1970, p. 90.
- (3) George, M. V., Op. Cit., p. 90,

سياسية وتعوق الهجرة، وكذلك الحال بالنسبة لكندا وان كانت نسبة الهجرة الداخلية بها تقل عن نصف مثلتها في الولايات المتحدة وتصل هذه النسبة في المانيا الغربية الى ٦٢% وتنشط الهجرة الداخلية بها في المسافات القصيرة وفي مصر بلغت هذه النسبة ٩٢% في تعداد ١٩٦٦ ، وهبطت ٥٠% سنة ١٩٨٦ .

تيارات الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية :

اتجهت تيارات الهجرة الداخلية في معظم دول العالم الى المناطق الزراعية لتعميرها واستغلالها ، وارتبطت هذه التيارات بمراحل تعمير الارض البكر في العالم الجديد وفي بعض مناطق العالم القديم ، فكانت حركة انتقال السكان في أمريكا الشمالية تتجه باستمرار نحو الغرب عبر ذلك النطاق الشاسع في الغرب الاوسط (Middle West) ، وقد أضيف للولايات الثلاث عشر الاصلية التي كانت نواة لنشأة الولايات المتحدة الامريكية سبع ولايات أخرى شرق نهر المسيسيبي في الفترة من ١٧٨٣ - ١٨٢٠ بالإضافة الى لويزيانا كما أضيفت الولايات الاخرى المجاورة للبحيرات العظمى وولايات السهول الوسطى فيما بين عامي ١٨٢٠ - ١٨٦٠ ، وما أن وافي عام ١٨٥٠ حتى كان ٤٥% من جملة سكان الولايات المتحدة يعيشون الى الغرب من جبال الابلاش ، وقد أدى انشاء السكك الحديدية والتسهيلات المختلفة لمنح الاراضى الى خلق ولايات جديدة واتجاه السكان نحو تعمير ساحل المحيط الهادى، ففي سنة ١٩١٠ تضاعف عدد سكان جابل الروكى وولايات ساحل المحيط الهادى عما كان عليه سنة ١٨٦٠، وبجانب هذا الاتجاه الاستيطاني لتيارات الهجرة نحو غرب الولايات المتحدة فقد صحبها تغير كبير في طرق الزراعة والمحاصيل المزروعة وذلك لتلائم مع ظروف الجفاف السائدة في الغرب ولذا سادت الزراعة الجافة والرعى التجارى الواسع وانتقلت المراكز التجارية الرئيسية (خاصة مراكز تجارة القمح وطحن الدقيق) نحو الغرب مواكبة حركة السكان الجغرافية ومناطق زراعة الحبوب - فقد انتقلت من روشستر Rochester في سنة ١٨٥٠ الى شيكاغو وسانت لويس سنة ١٨٩٠ والى سان بول St. Paul ومينا بوليس وأوماها Omaha في الوقت الحاضر ، وقد ظل مركز الجذب السكانى Centre of Gravity واقعا الى الغرب من بولتيمور حتى سنة ١٨٧٠ ثم الى الغرب من سنسنتى سنة ١٨٩٠ ويقع في وسط الينوى في سنة ١٩٦٠ أى يأخذ اتجاهها من الشرق نحو الغرب مع نفس خط العرض تقريبا ، وقد شهدت كندا نمطا مماثلا من أنماط الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية حيث اتجهت هي الاخرى نحو الغرب .

وفي أمريكا اللاتينية - فان أبرز المناطق الزراعية التي جذبت تيارات هجرة نحوها هي ولاية ساو باولو - حيث ارتبطت مشروعات التوسع الزراعي بزراعة محصول البن ، وقد اتجه التوسع نحو الغرب بادئا من كامبيناس Campinas حوالى سنة ١٨٥٠ وامتدت مزارع البن اليوم خارج حدود ساو باولو ووصلت الى شمال بارانا وجنوب ميناس جيراس وقد اشترك في هذا التوسع - مهاجرون من شمال شرق البرازيل وبعض المهاجرين الجدد ويقدر أن قرابة ٢ مليون مهاجر قد دخلوا ولاية ساو باولو في الفترة من سنة ١٨٧٠ الى ١٩٥٢ .

وقد شهدت مناطق أخرى في أمريكا اللاتينية تدفق المهاجرين على الاراضى الزراعية خاصة في منطقة أنتيوكوا Antioquia (كولومبيا) وفي منطقة وسط شيلي وفي العديد من الاودية الخصبة في جنوب الأرجنتين وفي مزارع القطن في شمال الأرجنتين وفي السنوات الاخيرة في كاليفورنيا السفلى بالمكسيك ، وتحاول البرازيل في الوقت الحاضر خلق مناطق زراعية جديدة لجذب السكان متمثلة في مزارع الكاكاو الحديثة في جنوب باهيا ونحو الغرب من ميناس جيراس .

وتبدو تيارات الهجرة الداخلية نحو المناطق الزراعية في آسيا واضحة في عدة دول من دول هذه القارة، وحتى في اليابان المعروفة بضغط سكانها على أرضها فان هناك مناطق داخلية بها جذبت إليها المهاجرين من المناطق المزدهمة بهذه الجزر ، وقد ارتبط ذلك باستصلاح أراضى هذه المناطق وزراعتها ، وقد أثر ذلك على انتقال مركز الجاذبية السكانية من شرق كيوتو Kyoto في سنة ١٨٩٨ الى نقطة تقع الى الشمال من اقليم Gifu في سنة ١٩٤٧ وكان الهدف الاساسى لاعادة توزيع السكان في الجزر اليابانية هو تعمير جزيرة هوكايدو والتي ظلت لعدة قرون موطننا قاصرا على شعب الاينو Ainu الذى ناصب المستوطنين اليابانيين العداة ، ففي سنة ١٨٠٠ كانت هوكايدو لاتحوى سوى ٢٠.٠٠٠ من أفراد الاينو و ٣٠.٠٠٠ يابانى فقط ، وظل هذا الرقم متواضعا ولم يزد على ٦٠.٠٠٠ نسمة في نهاية القرن التاسع عشر ، وتركز هؤلاء اليابانيين في جنوب غرب الجزيرة بالقرب من بقية الجزر اليابانية .

وقد بدأت اليابان في الاتجاه نحو تعمير واستيطان هوكايدو منذ سنة ١٨٧٥ ، فانشأت طرقا للسكك الحديدية أسهمت في التنمية الاقتصادية بالجزيرة حتى أصبح عدد سكانها مليون نسمة في سنة ١٩٠١ ، وتزايد

سكانها بعد ذلك حتى وصل الى أكثر من ٥ مليون نسمة في الوقت الحاضر
وتعد الزراعة الحرفة الرئيسية لسكانها خاصة زراعة الارز التقليدية .

أما في قارة آسيا فقد شهد وسطها حركة هجرة داخلية ضخمة في روسيا
الاسيوية وفي الصين ، وقد تميزت دول الكومنولث الجديد بتيارات هجرة
ضخمة متجهة من الغرب نحو الشرق لاستغلال الاراضى الشاسعة في آسيا
وأدى ذلك الى زيادة الرقعة الزراعية الشاسعة من ٢٩١ مليون فدان في سنة
١٩١٣ الى ٣٧٠ مليون في سنة ١٩٤٠ ، وتربو على ٥٠٠ مليون في منتصف
السبعينات ، وقد كانت هناك حركة هجرة وتوسع زراعى نحو الشمال
في النطاق الغابى الاوربى أيضا ، وقد خرجت الهجرات نحو آسيا الوسطى
من نطاق التربة السوداء في روسيا الاوربية في اتجاه الاراضى شبه الجافة
الى الشرق من بحر قزوين وكان أكبر توسع زراعى في جمهورية كازاخستان
حيث زادت الارض الزراعية بنسبة ٤١٢٪ في الفترة من ١٩١٣-١٩٥٥، كما
كان بها أكبر نسبة لزيادة السكان ووصلت الى ٥١٤٪ بين عامى ١٩٤٠ -
١٩٦٠ ، وكان هذا التوسع الزراعى قائما على أساسين احدهما سكانى
والاخر تقنى ، وذلك بفضل الحركة والهجرة الضخمة نحو تلك الاراضى .

وقد شهدت الصين نمطا مماثلا من أنماط الهجرة الداخلية نحو الاراضى
الزراعية الحديثة ، فقد بدأت الهجرة الصينية نحو منشوريا في القرن
الثامن عشر ، وكان المحصول الذى جذب المهاجرين هو الافيون وليس
الذهب كما شهدت معظم مناطق العالم الاخرى ، وكانت الهجرة بطيئة
للمغاية حتى لم يكن عدد المهاجرين الذين استوطنوا هذا الاقليم أكثر من
١١٥٠٠٠ مهاجرا سنويا حتى سنة ١٩٢٥ ولكن في سنة ١٩٢٨ ارتفع الرقم
الى نصف مليون مهاجر .

وقد أدى الضغط السياسى من جانب الروس في الشمال والاحتلال
اليابانى والتسلل من كوريا في الشرق الى اتجاه الصينيين نحو تقوية
نفوذهم بمنشوريا وازدياد حركة الهجرة نحوها فيما بعد خاصة تحت
الحكم الشيوعى ، ولذلك فقد ارتفع عدد سكانها من ١٥ مليون نسمة فقط
سنة ١٩١٠ الى أكثر من ٥٠ مليون نسمة في الوقت الحاضر ٩٠٪ منهم من
الصينيين و ٢٪ من السكان الاصليين (المانشو Manchus) .

كذلك فقد اتجه الصينيون نحو الاقاليم الغربية في منغوليا الداخلية
حيث اتجهت هجرتهم الى مقاطعات سى كيانج Si - Kiang والتبت ،
والمهاجرون هنا من العمال والمتخصصين الذين يقومون باعداد وتجهيز

العناصر الضرورية للبناء الاقتصادي مثل مد الطرق والانشاءات المختلفة، وزراعة الاراضى الصالحة ، وتتولى الحكومة نفقات النقل الى هذه المناطق النائية وتؤمن السكن للمهاجرين الجدد ، ويتكون معظم المهاجرين من المزارعين والفقراء الذين يفدون من الاقاليم المزدهمة بالسكان مثل هوى Hopei وشانتنج Shantung وينتقل معهم العديد من المهاجرين الشبان من كل مناطق الصين وهؤلاء يساعدون في عمليات اعداد الارض والفلحة .

وقد تدفق السكان المهاجرون بأعداد ضخمة نحو الاقاليم السابقة في العقود القليلة الماضية كما أنها لاتزال مستمرة في الوقت الحاضر ، وتسهم كلها في توسيع النطاق المعمور في هذه الاقاليم ، وقد حدثت هذه الهجرة بأعداد ضخمة نحو المناطق الخالية من السكان أو التى يسكنها عدد قليل منهم ويتناثر على رقعتها ، وقد جذبت المهاجرين من المناطق المزدهمة مثل أوكرانيا وروسيا البيضاء التى عمرت آسيا الروسية الوسطى ، والدلتاوات ووديان الانهار الصينية التى أمدت المناطق الداخلية البعيدة بالمهاجرين ويشبه ذلك استمرار تدفق المهاجرين من مناطق الكوارث في شمال شرق البرازيل الى النطاق الجنوبي المعتدل أو المناطق الزراعية في الغرب وفي كل هذه الاقاليم فان المهاجرين يكونون في الغالب من الفلاحين الذين يمارسون حرفتهم في الاراضى الجديدة بنفس الافكار والاساليب والمحاصيل التى تعودوا عليها .

وقد شهدت مناطق أخرى في العالم نفس الظاهرة وهى اتجاه تيار الهجرة نحو الاراضى الزراعية ولكن على نطاق محلى ضيق كما حدث في ايطاليا حيث انتقل قرابة ٣٠٠.٠٠٠ مهاجر من سهل إلبو المزدهم ومن ساحل الادرياتيكى وحتى من صقلية الى منطقة ماريما Meremina التى استصلحت اراضيها وأصبحت زراعية جاذبة للسكان الزراعيين من المناطق المزدهمة وقد دفعت الجبال الوسطى الايطالية بأعداد من المهاجرين الذين عمروا سواحل خليج تارانتو Taranto - ومن جبال صقلية ومردينيا الى السهول الساحلية المستصلحة لهاتين الجزيرتين .

وتعد مصر من دول شمال أفريقيا التى هجرت أعدادا من سكانها الزراعيين الى المناطق المستصلحة حديثا بها في شمال الدلتا وغربها واتجهت تيارات الهجرة الى هذه المناطق من المحافظات المزدهمة بالسكان في جنوب أدلتنا وان كانت بأعداد قليلة ، وفي أفريقيا المدارية وضعت الخطط لاستصلاح السهول الساحلية في ساحل غينيا لزراعة الارز لجذب أعداد من

السكان الزائدين لزراعتها وهناك العديد من الامثلة على ذلك في العالم سواء في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية .

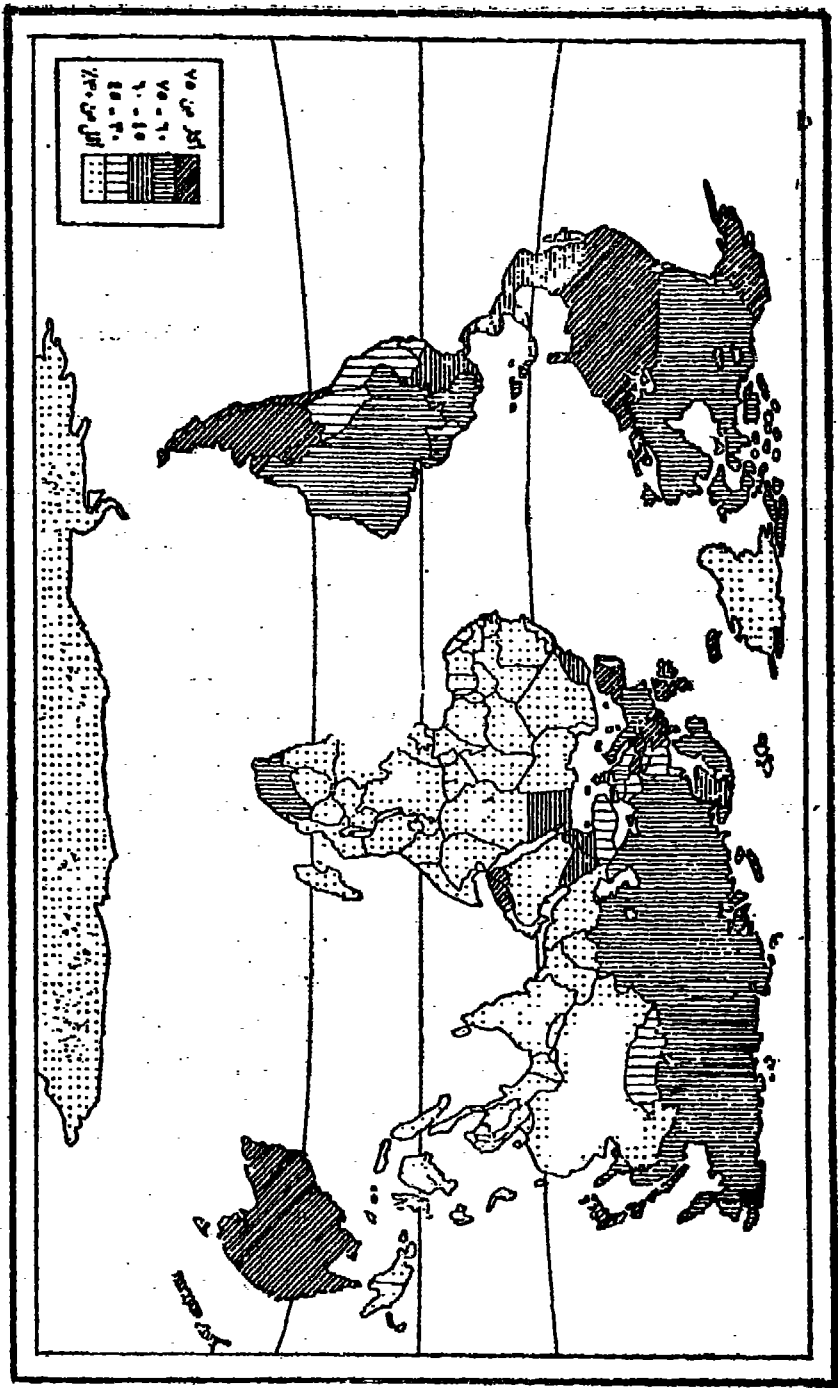
تيارات الهجرة الداخلية نحو المدن :

تعد المدن من أقوى مراكز الجذب لتيارات الهجرة الداخلية في العصر الحديث ، وقد بدأت تمارس هذا الدور منذ قرن مضى ، مواكبة لنمو وسائل النقل الحديثة التي حملت اليها أفواج المهاجرين من أماكن بعيدة وأسهمت بذلك في تضخم الكثير من المدن وتعدد وظائفها وظهورها كمراكز هامة في بيئاتها .

ويبدو أنه ليست هناك حدود للنمو الحضري حيث تتفاوت نسبة سكان المدن من دولة لآخرى (شكل رقم ٢٥) فقد وصلت هذه النسبة (حوالي سنة ١٩٨٠) الى ٧٩% من جملة سكان المملكة المتحدة و ٨٥% في ألمانيا و ٧٩% في الولايات المتحدة وارتفعت هذه النسبة في فرنسا من ٤٦% سنة ١٩٢١ الى ٧٩% سنة ١٩٨٠ ، وفي الكومنولث الجديد من ١٨% سنة ١٩٢٦ الى ٦٤% سنة ١٩٨٠ ، وتنمو هذه النسبة لسكان الحضر بسرعة أكبر في الدول التي تتميز بالتطور الاقتصادي السريع كما في كوريا وجنوب أفريقيا (٢٥% سنة ١٩٢١ ، ٥٢% سنة ١٩٨٠) واليابان (٢٢% سنة ١٩٢٥ و ٧٥% سنة ١٩٨٠) ، وعلى العكس من ذلك فان نسبة الزيادة في معدل النمو تعد قليلة في الدول التي بلغت شأنها كبيرا في التحضر حيث كانت النسبة في انجلترا وويلز ٧٢% سنة ١٩٠١ وارتفعت بالكاد الى ٧٥% سنة ١٩٨٠ .

وقد ارتبطت حركة الهجرة الداخلية في مراحلها المبكرة بالتحول الكبير في وظائف المدن واتجاهها نحو الصناعة الحديثة التي بدأت مع الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر ، وقد اعتمدت في ذلك على استغلال حقول الفحم والتطور في استخدام الآلات التي حلت محل العمل اليدوي وقامت المدن الصناعية بدور هام في جذب الأيدي العاملة من الأقاليم الريفية المجاورة ومن ثم أدى ذلك الى تجمع عدد كبير من السكان في المراكز العمرانية الحضرية وظهور مدن متخصصة تحوى كل منها رقعة عمرانية تشغلها مساكن العاملين وهي سمة تميز نمط العمران في المناطق الصناعية القديمة في أوروبا .

وقد أدى ظهور المواصلات الحديثة الى تقوية دور المدن في جذب المهاجرين من مناطق بعيدة وترتب على ذلك نمو المناطق الصناعية سواء



شكل رقم (٢٥)
 التوزيع النسبي لسكان المدن في دول العالم

من الهجرة الداخلية من المناطق الاخرى في القطر أو من الهجرة الدولية الوافدة من وراء السياسة ، وتمثل هذه المناطق الحضرية في الدول الصناعية في مراكز التعدين والصناعات القائمة بها وكذلك في المدن الصناعية المتخصصة كصناعة الغزل والنسيج في لانكشير ويوركشير في إنجلترا وفي نيوانجلند في شمال شرق الولايات المتحدة ، وتندر هذه الظاهرة في الدول النامية حيث تقوم المراكز التعدينية بدور هام في جذب المهاجرين من المناطق المجاورة في هضبة جوس حيث يعدن القصدير منذ سنة ١٩٠٥ - والذي جذب عددا من السكان بلغت نسبتهم ٤٤٪ من جملة سكان الاقليم .

خصائص تيارات الهجرة :

هناك عدة خصائص ترتبط بتيارات الهجرة وديناميكتها حددها ايفرت لى Everett Lee في مقاله المشهور عن نظرية الهجرة على النحو التالي (١) :

(١) «أن الهجرة تميل للحدوث داخل تيارات محددة تماما» ، فمن الملاحظات الشائعة أن المهاجرين يسلكون طرقا محددة بوضوح فيما بين أماكن الاصل والوصول معتمدين في ذلك على طرق النقل الممكنة ، وغالبا مايؤدى تغلب المهاجرين الاوائل على العوائق المتداخلة بين هذه الاماكن الى تذليل صعاب الطريق أمام المهاجرين الجدد .

وعلى ذلك فان عملية الاستيطان الناجمة عن الهجرة تميل للحدوث على هيئة وثبات Leapfrogging Operation ، حيث تكون المراكز العسكرية أو التجارية بؤرات لتيارات الهجرة ويتم استكمال بقية المراكز على هذا الطريق في مراحل تالية ، وكان ذلك مظهرا هاما من مظاهر الهجرة والاستيطان في الغرب الامريكى .

وفي كثير من الحالات تحدث حركات ضخمة على شكل تيارات نوعية الى حد كبير بين منطقتى الاصل والوصول للمهاجرين ، فعلى سبيل المثال هاجر الايطاليون من صقلية وجنوب ايطاليا الى عدة مدن في شمال

(1) Everitt, S. Lee, "Theory of Migration" in Population Geography A Reader, edited by Denko; G., Ro H. and Schnell. G., McGraw-Hill New York, 1970, pp. 188-298.

الولايات المتحدة الامريكية ، بينما هاجرت أعداد كبيرة من الايطاليين في لمبارديا وتسكانيا الى أمريكا الجنوبية وخاصة بيونس أيرس، وهناك أمثلة كثيرة على تيارات هجرة نوعية مماثلة .

(٢) «انه ينشأ لكل تيار هجرة رئيسى تيار مقابل فى الاتجاه العكسى» وينشأ التيار المقابل لأسباب عديدة منها اختفاء أو ضعف عوامل الطرد فى الوطن الاصلى أو تناقص عوامل الجذب فى مكان الوصل مما يحفز عددا من المهاجرين الى العودة الى مواطنهم الاصلية أو البحث عن مهجر ملائم آخر ، ولاشك أن تيار الهجرة يخلق اتصالات بين منطقتى الاصل والوصول وتساعد بدورها على امكان العودة الى المنطقة الاصلية أو المساعدة على جذب عدد من سكان منطقة الوصول اليها لأسباب مختلفة ويصبح المهاجرون حينذاك أكثر اهتماما بالفرص فى مكان الاصل والتي لم تكن مستغلة من قبل ، أو قد يستفيدون من اتصاليهم بالمنطقة الجديدة لإقامة أعمال فى المنطقة الاصلية وبالإضافة الى ذلك فان المهاجرين لا يبقون بأكملهم فى مكان الوصول ، وعلى سبيل المثال فان كثيرا من المهاجرين الايطاليين الوافدين للولايات المتحدة يستمرون أطول فترة ممكنة يستطيعون خلالها تكوين ثروة تعينهم على العيش بعد ذلك فى ايطاليا - مواطنهم الاصلى - بعد عودتهم اليها .

(٢) «أن كفاءة تيار الهجرة (نسبة التيار الى التيار المقابل - أو صافي إعادة توزيع السكان الذى يتأثر بالهجرات العكسية) والتيار المقابل تميل الى الانخفاض اذا كان مكانا الاصل والوصول متشابهين» .

وفى هذه الحالة فان الافراد الذين يتحركون فى اتجاهات عكسية يتحركون بأعداد كبيرة لنفس الاسباب ، والواقع أن الحركة تكون متساوية (أى أن الهجرة الصافية تميل الى الصفر) .

(٤) «أن كفاءة تيارات الهجرة تكون عالية اذا كانت العوائق المتداخلة كبيرة» (١) وذلك لان المهاجرين الذين يتغلبون على مجموعة كبيرة من العوائق المتداخلة الوسيطة يفعلون ذلك تحت ظروف قهرية ، ولما كانت العوائق فى التيار والتيار المقابل واحدة - فان المهاجرين العائدين

(١) ذكر (ايفرت لى) أن عوامل الطرد والجذب فى منطقتى الاصل والوصول تتأثر بالعوائق المتداخلة بين المنطقتين وأبرزها المسافة وتكاليف الانتقال ونسبته الى ذلك فى الفصل التالى مباشرة .

سيواجهون بها ولذلك فانها اذا كانت عوائق متعددة فستجعل كثيرا من المهاجرين يترددون في العودة ، وعلى سبيل المثال فان المهاجرين من بنسلفانيا الى كاليفورنيا يمتنعون عن العودة بسبب التكاليف الباهظة لرحلة العودة .

(٥) « أن كفاءة تيار الهجرة تتمشى مع الظروف الاقتصادية فتسكون عالية في أوقات الرخاء ومنخفضة في أوقات الشدة» .

ذلك لانه في أوقات الرواج الاقتصادى المفاجيء فان المناطق العادية لوصول المهاجرين الى المراكز الكبرى للتجارة والصناعة - تتوسع بسرعة تجذب مهاجرين اليها بمعدل مرتفع ولا يكون هناك تيار عائد الا باعداد قليلة ، أما في أوقات الكساد فان حجم التيار العائد يتزايد الى منطقة الاصل ، ويبدو ذلك بين المناطق الريفية والمناطق الحضرية أو الاقاليم الزراعية والاقاليم الصناعية .

الفصل العاشر

أسباب الهجرة ونتائجها

أولا - أسباب الهجرة :

تختلف أسباب الهجرة السكانية اختلافا واضحا وان كانت معظم الدوافع متشابهة في أغلب الاحيان سواء في الهجرات طويلة المسافة أو قصيرتها ، وسواء كانت تياراتها تشمل عدة مئات أو عدة ملايين من المهاجرين والتي تنتهي في كل الحالات بتغيير الموطن الاصلى والاستقرار في اقليم المهجر ، بل قد تنتهي في بعضها الى تغيير نمط الحياة ذاته .

ولاشك أن العامل المشترك الاعظم في دوافع الهجرة هو انخفاض المستوى الاقتصادي أو الفقر المطلق (Absolute Poverty) - وهو الذى يدفع كثيرا من المهاجرين الى الاتجاه نحو مناطق الجذب السكانى التى تتوفر فيها العوامل الاقتصادية الكامنة أملا في تحسين مستوى العيش كهدف أساسى .

وتتعدد أسباب الطرد Push وأسباب الجذب Pull في مجال الهجرة، وقد حدد «بوج» Bogue - ٢٥ عاملا مؤثرا في الهجرة منها ١٥ عاملا مرتبطا باختيار مكان الهجرة و ١٠ عوامل اجتماعية اقتصادية (١) . ونذكر من هذه العوامل المختلفة فرص العمل المتاحة والمهارات الفردية والاجور المنخفضة في المكان الاصلى وكذلك يتأثر اختيار مكان الهجرة بتكاليف الانتقال ووجود اقارب أو معارف في المهجر والبيئة الطبيعية والتركيب السكانى وامكانيات العمل ومدى تمشيها مع مهنة المهاجر وكذا المساعدات الخاصة ونقص المهاجر الاخرى التى يمكن الاتجاه اليها ، ومن بين العوامل الاقتصادية الاخرى الاستثمارات الرئيسية لرأس المال والتغير التكنولوجى

(1) Bogue, D. J., "Internal Migration" in Hauser P. M. and Duncan, O. K., eds. The Study of Population, Chicago : The University of Chicago Press 1959.

والتنظيم الاقتصادي والمساعدات التي تقدمها المهاجر والامكانيات المحلية والنظم المؤثرة فيها وأحوال المعيشة ومستوياتها ثم بعد ذلك كله سياسة الدولة في انتقال السكان وهجرتهم محليا ودوليا .

ويضاف الى العوامل السابقة عوامل أخرى من بينها الضغط السكاني ومعدلات النمو في الدولة وامكانيات الحصول على اراضى زراعية في أماكن الوفود أو النزوح وامكانيات النقل المتاحة والحروب والاختلافات الحضارية ، ويضيف البعض عوامل أخرى منها ماهو مناخى أو حرقى وكذلك الحجم الكلى للدولة حيث تشجع الدول الكبرى حركة الهجرة داخل أقاليمها بينما تقل هذه الحركة في الدول الصغرى ، وأيضا قد يميز البيئة الطبيعية للدولة من ظاهرات قد تقف عقبة في سبيل الانتقال السكاني من اقليم لآخر كالمرتفعات الجبلية أو الصحارى وغيرها .

وقد سبق القول بأن الهجرة عنصر من العناصر المؤثرة في نمو سكان المدن ، كما أنها تؤثر أيضا في تركيب السكان وخصائصهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية من حيث التركيب النوعى والعمرى للسكان وحالتهم الزوجية والتعليمية ومستوى العمال والتوزيع المهني وأعباء الاعالة ومستوى الخصوبة وغير ذلك .

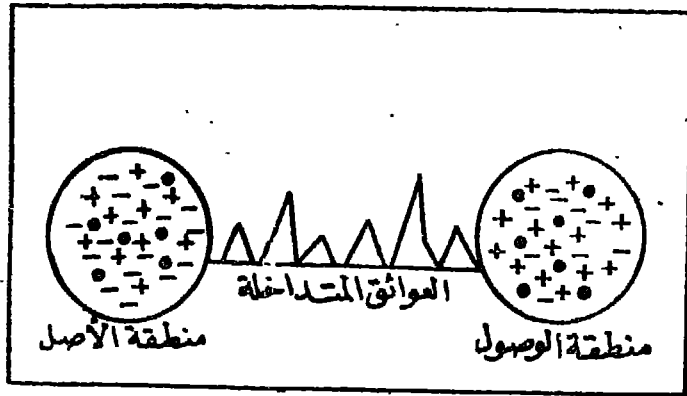
وقد يكون للهجرة نتائج اجتماعية واقتصادية ايجابية على المجتمع المرسل أو المستقبل أو كليهما معا ، ويتوقف ذلك على خصائص السكان في كل من المجتمعين وعلى خصائص المهاجرين ، فقد ينتج عن الهجرة مثلا حالة التوازن لقوة العمل في مجموعها لكل من المجتمعين وسد احتياجات المجتمع المستقبل من فئات مهنية معينة قد تكون زائدة عن حاجة المجتمع المرسل وهكذا .

ومن ناحية أخرى فقد تترتب على الهجرة نتائج سلبية ترتبط بانتقال سكان الريف الى الحضر وماينتج عن ذلك من زيادة الاعباء على البيئة المستقبلية من انشاء المساكن الكافية والخدمات التعليمية والصحية ووسائل النقل وغير ذلك ، وأهم هذه المشاكل على وجه التحديد ايجاد الفرص الكافية في سوق العمل للقادمين الجدد وخاصة اذا لم تكن لديهم الخبرة الكافية التي تتطلبها الاعمال في البيئة الجديدة .

وقد حاول «إيفرت لى» Everett Lee في مقاله الذى سبق الإشارة اليه عن نظرية الهجرة (Theory of Migration) أن يحدد العوامل التى تحفز للهجرة وتؤثر في تياراتها فقسما الى الفئات الاربع التالية :

- ١ - عوامل مرتبطة بالمنطقة الاصلية للمهاجرين (منطقة الاصل)
Area of origin
- ٢ - عوامل مرتبطة بمنطقة استقبال المهاجرين (منطقة الوصول)
Area of destination
- ٣ - العوائق المتداخلة بين المنطقتين
Inter vening obstacles
- ٤ - العوامل الشخصية
Personal Factors

ويبين الرسم رقم (٢٦) العناصر الثلاثة الاولى ، ففي كل منطقة يوجد عدد كبير من العوامل التي تدعو السكان الى التمسك بالبقاء فيها، كما أنها تجذب اليها سكانا آخرين ويقابل ذلك عوامل أخرى تدفع عدد من السكان الى الهجرة خارجها ، وتبدو هذه العوامل في الرسم التوضيحي على هيئة علامات (+) الموجبة وعلامات (-) السالبة ، وبالإضافة الى ذلك فهناك عوامل أخرى تبينها العلامات (⊙) والتي توضح أن هناك قطاعا من السكان لا يتأثر بعوامل الجذب أو الطرد ، وهم السكان الاصيليون في هذه الحالة والعزوفون عن الهجرة ، وبعض هذه العوامل ذو تأثير جماعى على كل السكان مثل المناخ المعتدل الذى يعد عامل جذب ايجابى والمناخ السيء الذى يعد عامل طرد سلبى بينما هناك عوامل أخرى تختلف في تأثيرها مثل النظم الاقتصادية والاجتماعية والنقل وغير ذلك .



(شكل رقم ٢٦)

العوامل الكامنة في منطقتى الاصل والوصول في الهجرة

وبطبيعة الحال فان عوامل الجذب (+) والطررد (-) فى كل من منطقتى الاصل والوصول تتباين لكل مهاجر أو من ينزى الهجرة، وهناك اختلافات جوهرية وهامة بين العوامل المرتبطة بمنطقة الاصل وتلك المرتبطة بمناطق الوصول ، فالسكان الذين يعيشون فى منطقة ما يتمتعون بمعرفة مباشرة وطويلة بظروف منطقتهم ويستطيعون الحكم على مقوماتها الذاتية وليس ذلك القول صحيحا بالنسبة للعوامل المرتبطة بمنطقة الوصول ذلك لان معرفة المهاجرين لمقومات هذه المنطقة قلما تكون دقيقة ، كما أن مزايا أو مساوىء العيش بها أمر نسبى الى حد كبير .

وبالاضافة الى ماسبق ، توجد مجموعة من العوائق المتداخلة بين كل منطقتين من مناطق الاصل والوصول ، وقد تكون هذه العوائق بسيطة حينما أو يصعب التغلب عليها حينما آخر ، وتعد المسافة distance: أبرز هذه العوائق وأكثرها أثرا فى تحديد حركة الهجرة وحجمها وتكاليف الانتقال وغير ذلك ، كما أن هناك عوامل شخصية كثيرة تؤثر فى تشجيع الفرد على الهجرة أو العزوف عنها .

وفى ضوء العوامل المؤثرة فى أماكن الاصل والوصول للمهاجرين حاول «ايفرت لى» أن يقنن ظاهرة الهجرة ، وصاغ هذه العلاقات بين عوامل الجذب والطررد فيما يمكن تسميته بقوانين الهجرة ، وقد خلص بعدة حقائق أبرزها :

١ - أن حجم الهجرة داخل منطقة معينة يتباين مع درجات الاختلافات البيئية التى تتميز بها هذه المنطقة فاذا كانت الهجرة كما سبق القول تنتج عن عوامل ايجابية وسلبية فى منطقتى الاصل والوصول ، فان تزايد الاختلافات بين الاقاليم والمساحات التى تتألف منها ستؤدى الى زيادة معدلات الهجرة ، ويبدو ذلك بوضوح فى الاقطار التى عبرت حديثا كما فى الولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر وسيبيريا فى القرن العشرين ، وفى ظل هذه الظروف تظهر الفرص الكامنة لجذب المهاجرين نحو بعض الاقاليم لتعميرها ، وقد يظهر جذب قوى مفاجيء كاكشاف الذهب فى كاليفورنيا أو الفضة فى كلورادو أو اكتشاف البترول فى منطقة الخليج العربى .

وبساعد على حركة الهجرة توفر النقل وتأمين الاحتياجات والخدمات الاخرى اللازمة لخلق المراكز العمرانية ومن ثم يقوم الرواد والمستوطنون الاوائل الذين تحملهم أولى موجات الاستيطان بتأسيس مراكز وعقد

عمرانية مركزية ، ولاتعنى نهاية الاستيطان بالضرورة تناقص التباين المساحى بل على العكس فإن التصنيع الذى يعقب الاستيطان عادة يعد خلقا لاختلافات بيئية أخرى تمارس دورها فى توجيه حركة الهجرة اليها .

٢ - ان حجم الهجرة يختلف باختلاف السكان وتنوعهم : ويعنى ذلك ببساطة أنه كلما كان هناك تشابه كبير بين السكان سواء فى الاصول العرقية أو المستوى التعليمى أو الدخل أو العادات أو الدين فاننا يمكن أن نتوقع معدلا أقل للهجرة عما اذا كان هناك تنوع كبير ، ذلك لان هذا التنوع يساعد على وجود مجموعات من السكان تكمن لديها حوافز الهجرة مثل بعض الجماعات ذات المهنة الواحدة أو التركيب العرقى أو اللغوى أو الدينى الواحد .

٣ - ان حجم الهجرة يرتبط بالقدرة على تخطى العوائق المختلفة فيما بين منطقتى الاصل والوصول ، وتلك حقيقة هامة فى اتخاذ قرار الهجرة والتغلب على العوائق التى تحول دون ذلك ، فليس من السهل مثلا حفر نفق أسفل سور برلين للهجرة ولا عبور الاطلسى الى الامريكيتين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولذا فان ازالة قيود الهجرة تؤدى الى تشجيعها بدرجة كبيرة . كما حدث مثلا بين دول السوق الاوربية المشتركة حيث انتقلت بينها أعداد ضخمة من العمال المهاجرين . وهناك أمثلة أخرى عبر التاريخ توضح أن ازالة العوائق بين مكائى الاصل والوصول قد أدى الى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين ، ومن ناحية أخرى فقد أدى فرض قيود بين المكائين الى نقص حاد فى حركة الهجرة .

٤ - ان الهجرة تتأثر بالانتقالات الاقتصادية الى حد كبير : وتلك حقيقة بديهية يمكن استنتاجها من تتبع تطور حركة الهجرة العالمية ذلك أن الدورات الاقتصادية تؤثر فى حجم الهجرة وفى اتجاه تياراتها ، ففى أثناء فترات التوسع الاقتصادى تنشأ صناعات جديدة وتزيد فرص العمل أمام المهاجرين - وان كانت أجزاء الدولة تختلف فى هذا الصدد حيث لا تتوزع فيها ، مشروعات التنمية بالتساوى ومن ثم فانه فى الوقت الذى تزداد فيه قدرة بعض المناطق على جذب المهاجرين - تبقى مناطق أخرى راكدة نسبيا ويزداد التناقص بين العوامل الايجابية فى منطقتى الاصل والوصول . وتصبح العوامل السالبة فى منطقة الاصل أكثر سوءا . وفى فترات الكساد الاقتصادى تفشل بعض المشروعات حديثة النشأة ويتوقف البعض الآخر عن التوسع وتصبح العوامل السلبية فى مناطق الاصل أقل تأثيرا فى دفع السكان للهجرة .

ه - انه اذا لم تفرض ضوابط صارمة للحد من الهجرة فان حجمها ومعدلها يميلان للزيادة بمضى الزمن : وذلك لان تزايد حجم الهجرة بمضى الزمن ينتج عن عدة أسباب أبرزها تزايد الفوارق البيئية وتقليل تأثير العوائق المتداخلة ، وكما سبق القول فان التصنيع والاختذ بأسباب الحضارة الغربية Westernization والخطط الموضوعية في كثير من الدول تزيد من التباينات الاقليمية ، ومن الحقائق المعروفة في كل من الدول النامية والمتقدمة أن الفوارق بين البيئات المختلفة سواء في النواحي الاقتصادية أو العوامل المشجعة على الجذب الهجرى تزايد بوضوح بين الاقاليم - وعلى المستوى العالمى فان الفوارق الاقتصادية بين الدول النامية والدول المتقدمة تزايد بمضى الزمن - حتى الان - ولا تتناقص ، كما أنه على مستوى الدولة الواحدة فان الفوارق بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية تزايد هى الاخرى .

ويرتبط بهذه الحقيقة السابقة تزايد الفوارق بين السكان ، ففى المجتمع البدائى أو المجتمعات الزراعية التقليدية يعد التخصص محدودا كما أن تنمية الموارد البشرية ليس مشجعا ، بينما التخصص فى المجتمعات الصناعية والمتقدمة يتزايد بشكل يسمح بتاهيل الافراد المهاجرين للعمل فى المهجر بسهولة .

ويلعب التقدم التكنى دورا هاما فى تقليل العوائق المتداخلة البيئية حيث تصبح المواصلات سهلة وتكلفة النقل أرخص . بالنسبة لمتوسط الدخل مما يساعد على تزايد حجم الهجرة ، كذلك فان العوامل التى تزيد من الهجرة - عامل الهجرة ذاتها ، ذلك لان الشخص الذى هاجر مرة وقطع أسباب اتصاله بموطنه الاصلى يكون من السهل عليه أن يهاجر مرة أخرى ، أكثر من الشخص الذى لم يسبق له أن هاجر من قبل .

ومن البديهي أن حجم الهجرة ومعدلها يتأثران بمستوى التقدم فى القطر أو المنطقة تأثرا جذريا ، ذلك لان الهجرة كما يقول رافنشتين Ravenstien تعنى الحياة والتقدم بينما الاستمرار ضرب من ضروب الركود والخمول ، ويرتبط ذلك بالحقيقة السابقة بطبيعة الحال ، ففى الدول المتقدمة تنعكس الفوارق بين الاقاليم فى مجال التنمية الصناعية والزراعية والتعليمية بين السكان ، كذلك فان العوائق المتداخلة فى الهجرة تقل بالتقدم التكنى والاقتصادى ، وعلى ذلك فمن المتوقع أن نجد تيارات هجرة وافدة كبيرة للدول المتقدمة حيثما كان مسموحا بها ، كما يوجد فى

مثل هذه الدول حركة هجرة داخلية كبيرة ، ففي الولايات المتحدة يغير فرد من كل خمسة أفراد مكان اقامته كل عام وتتكرر هذه الظاهرة في دول متقدمة أخرى ، أما الدول المتخلفة فتتميز بنسبة عالية من السكان المستقرين حيث يكون تغيير موطن الإقامة أمرا صعبا وغالبا ما يكون اجباريا وجماعيا أكثر منه اختياريا وفرديا ، وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن المستوى المرتفع للتقدم يستتبع أن يكون السكان في حالة تحرك وتغير متواصلين ويستجيبون بسرعة للفرص الجديدة للعمل في الاقاليم المختلفة كما أنهم يتأثرون بالتناقص في هذه الفرص بصورة أوضح من الدول النامية .

ثانيا - نتائج الهجرة :

للحجرة نتائج واضحة في حجم وتوزيع وتركيب السكان في منطقتي الاصل والوصول ، ويمكن أن تتحدد أهم هذه النتائج في النواحي التالية :

- ١ - تغير حجم السكان .
- ٢ - تغير التركيب العمري والنوعى للسكان .
- ٣ - مشكلات الاختلاط السكانى فى المهجر .
- ٤ - النتائج الاقتصادية .

١ - تغير حجم السكان :

يعد تغير حجم السكان من أبرز نتائج الهجرة ، وتتحدد ملامح هذا التغير في اتجاهين عكسيين أحدهما يتمثل في زيادة السكان في المناطق المستقبلة سواء كانت مدنا أو مناطق زراعية حديثة العهد بالاستيطان - والاخر يتمثل في تناقص عدد السكان في المناطق المرسلة (مناطق الاصل) خاصة الريف الذى يتعرض باستمرار لتناقص سكانى depopulation بسبب الهجرة المغادرة .

وتبدو هذه الظاهرة بجملة في الهجرة الدولية بين مناطق الطرد ومناطق الجذب ولعل في ايرلنده والولايات المتحدة مايدل على ذلك خاصة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ففي سنة ١٨١٩ كان عدد سكان الولايات المتحدة ٨ مليون نسمة ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٧٦ مليون نسمة في أوائل القرن العشرين ثم الى ١٨٠ مليون نسمة في سنة ١٩٦٠ . ويرجع هذا النمو السكانى الكبير الى الزيادة الطبيعية والهجرة الوافدة ، والواقع أن دور الهجرة في هذه الزيادة كان كبيرا تراوح بين ٣٠ - ٤٠%

من مجموع الزيادة السكانية الكلية كما يبين الجدول رقم (٣٣) ٠ ومنذ أوائل الخمسينيات تدنت نسبة الهجرة في النمو السكاني وربما لم تزد على ٥٠% في المتوسط في العقدين الاخيرين ٠

جدول رقم (٣٣) تطور دور الهجرة في الزيادة الكلية لسكان الولايات المتحدة (١)

نسبة الهجرة الواقدة %	نسبة النمو الطبيعية %	الفترة	نسبة الهجرة الواقدة %	نسبة النمو الطبيعية %	الفترة
٣٥ر٦	٦٤ر٤	١٩٢٠-١٩١٠	٢٨ر٥	٧١ر٥	١٨٨٠-١٨٧٠
٢٢ر٤	٧٧ر٦	١٩٣٠-١٩٢٠	٤٢ر٩	٥٧ر١	١٨٩٠-١٨٨٠
٥ر٩	٩٤ر١	١٩٤٠-١٩٣٠	٣١ر٥	٦٨ر٥	١٩٠٠-١٨٩٠
٥ر٤	٩٤ر٦	١٩٥٠-١٩٤٠	٤١ر٨	٥٨ر٢	١٩١٠-١٩٠٠

وقد قابل هذا التزايد السكاني في الولايات المتحدة تناقص سكاني في أوروبا بطبيعة الحال والتي كانت القارة الرئيسية التي أوفدت المهاجرين الى العالم الجديد ، ففيما بين سنتي ١٨٢٠ و ١٩٤٣ هاجر ٧% من سكان سويسره و ١١% من سكان ايطاليا الى الامريكيتين - ولكن من كل دول القارة تبقى ايرلنده خير دليل على الاثر الذي أحدثته الهجرة في تناقص عدد السكان ، فقد استقبلت الولايات المتحدة ثلاثة أخماس المهاجرين الايرلنديين في القرن التاسع عشر ، ولكن بعد ذلك وفي الفترة من سنة ١٩٠٠ - ١٩٢٤ اتجه الايرلنديون الى أقاليم الدومينيون ، ومنذ سنة ١٩٣١ استقبلت انجلترا حوالي ٨٠% من المهاجرين الايرلنديين وتعرض سكان ايرلنده للنقص الكبير في حجمهم نتيجة هذه الهجرة المغادرة بمعدلات كبيرة ٠

الهجرة والنمو الحضري :

يعد النمو الحضري الذي شهده العالم في المائة سنة الاخيرة من السمات البارزة في نمط توزيع السكان ، وقد أسهمت الهجرة الى المراكز الحضرية بدور كبير في هذا النمو وخاصة هجرة السكان الريفيين التي أدت الى خلل شديد في توازن توزيع السكان بين الحضر والريف ٠

(1) Beaujeu - Garnier, J., Geography of Population, Op. Cit., p. 221.

وقد نشأت المدن الكبرى منذ عهود بعيدة حتى بالرغم من عدم توفر وسائل نقل بدرجة كافية تربطها بأقاليمها المجاورة ، ومع ذلك فقد بلغت أحجام بعضها حدا كبيرا نسبيا ، فمدينة باريس مثلا بلغ عدد سكانها ٤٩٨٠٠٠ نسمة في عهد لويس الثالث عشر و ٥١٨٠٠٠٠ في عهد نابليون الأول ، ولكن بعد ذلك بخمسين عاما فقط تعدت المليون نسمة وذلك في سنة ١٨٦٠ ثم وصلت ٦٧ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ، وفي نفس الفترة فان لندن لم يزد عدد سكانها على نصف مليون نسمة في نهاية القرن السابع عشر - نمت وتضخمت حتى وصلت الى قرابة المليون نسمة في سنة ١٨٠١ ، ثم وصلت الى ٢٣٦٢٠٠٠٠ نسمة بعد ذلك بستين عاما في سنة ١٨٦١ - وتزايد عدد سكانها بمعدل كبير حتى وصل الى قرابة ١١ مليون نسمة ١٩٥٠ . وتتعدد الامثلة على النمو الحضري الكبير في دول العالم مثلما يبدو في مدن الراين - الرهر وفي موسكو ونيويورك وطوكيو كما تبين الارقام التالية: (١)

المدينة	عدد السكان حوالى ١٨٠٠	عدد السكان حوالى ١٩٦٠	عدد السكان ١٩٨٥
لندن	٨٥٠.٠٠٠	١١.٥٤٧.٠٠٠	٩.٤٤٢.٠٠٠
باريس	٥٤٧.٠٠٠	٧.٨١٠.٠٠٠	٨.٦٣٣.٠٠٠
الراين - الرهر	٢٨٠.٠٠٠	١٠.٤١٩.٠٠٠	٩.٩٤٩.٠٠٠
موسكو	٣٦٠.٠٠٠	٧.٨٨٤.٠٠٠	٩.٨٧٣.٠٠٠
نيويورك	٦٠.٠٠٠	١٤.٧٥٩.٠٠٠	١٤.٥٩٨.٠٠٠
طوكيو - يوكوهاما	١.٤٠٠.٠٠٠	١٣.٦٢٨.٠٠٠	٢٥.٤٣٤.٠٠٠
القاهرة	٢٥٠.٠٠٠	٣.٥٠٠.٠٠٠	٨.٥٩٥.٠٠٠

وعلى ذلك فانه يمكن القول بأن القرنين التاسع عشر والعشرين قد شهدا توسعا ضخما في العمران الحضري ، ويمكن الاستنتاج مباشرة أن جذور هذا التوسع الكبير ترجع الى عدة عوامل أبرزها استيعاب نسبة المهاجرين الذين لفظتهم المناطق الريفية لعوامل الطرد الكامنة فيها .
وتتميز المدن بانخفاض معدل الزيادة الطبيعية اذا قورنت بالريف

(1) Hall, P., The World Cities, World University Library London, 1972, p. 23.

The World Almanac and Book of facts, New York, 1990, p. 774.

– كقاعدة عامة – ولذا فإن نسبة كبيرة من نموها السكانى ترجع الى تدفق تيارات الهجرة المستمرة نحوها ، وتتعدد الامثلة فى دول العالم على ذلك ، على البرازيل مثلا كانت نسبة الزيادة الطبيعية فى ثمان مدن رئيسية بها أقل من نصف الزيادة الناجمة عن الهجرة (فى الفترة من عام ١٩٤٠ – ١٩٥٠) . وفى فرنسا نمت باريس فى العقدين الاخيرين بمعدل يصل الى ضعف مثيله على مستوى القطر كله . وفى مصر فإن معدل النمو السكانى لمدينة القاهرة يصل الى أكثر من ضعف مثيله على مستوى الجمهورية .

وقد أدت هذه الهجرات الى زيادة سكان الحضر كما سبق القول بدرجة نوصلت نسبتهم الى أكثر من أربعة أخماس سكان المملكة المتحدة وأكثر من نصف سكان ألمانيا والدانمرك واستراليا وفلسطين المحتلة وأكثر من نصف سكان الولايات المتحدة وبلجيكا والارجنتين وكندا ونيوزيلنده واسبانيا والسويد وهولنده وفرنسا وشيلى والنرويج وفنزويلا والنمسا .

ويرتبط نمو المدن بمعدلات الهجرة اليها والتي تؤدى الى تزايد سكان المدينة الاصلية أو التوابع التي تنشأ وتتضخم حولها ، وتعد هذه الظاهرة سمة واضحة فى المدن الكبرى فى العالم . فالإقليم الحضرى Urban Region لنيويورك مثلا يحوى ١٥ مليون نسمة ، وتزايد بنحو ثلاثة ملايين نسمة فى العشرين سنة الواقعة بين ١٩٤٠ – ١٩٦٠ . وكذلك فإن عدد سكان مجمعة طوكيو الكبرى (طوكيو – يوكوهاما) يصل الى ٢٥ مليون نسمة ولندن الكبرى يسكنها ١١ مليون نسمة ، والقاهرة الكبرى يقطنها نحو ٩ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ وهكذا .

ولا تختلف المدن المتوسطة الحجم عن المدن العملاقة فى دورها فى جذب تيارات الهجرة ، وان كانت معدلات الهجرة تختلف من مدينة لآخرى حسب عوامل الجذب والطرده الكامنة فى هذه المدن وفى مناطق ارسال المهاجرين .

وقد بلغ عدد سكان المدن التى يزيد حجم كل منها على مليون نسمة ٢٧٣ مدينة فى العالم (فى ١٩٨٥) . وتتميز بأن عددها يتزايد بسرعة مذهلة ، ففى أوروبا مثلا كان عدد هذه المدن ٢٨ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ولكنه ارتفع الى ٤٥ مدينة سنة ١٩٨٥ ، وفى آسيا تزايد هذا العدد من ١٣ مدينة الى ٥٤ مدينة فى هذين التاريخين على الترتيب ، ويتزايد مع هذا العدد بطبيعة الحال نسبة سكان الحضر الى جملة سكان القطر بصورة مطردة .

ومن الامثلة الجيدة والحديثة على قوة الجذب للمهاجرين - مدينة برازيليا Brasilia العاصمة الجديدة للبرازيل والتي اندفعت نحوها تيارات هجرة قوية من كل مناطق البرازيل ، ففي نهاية سنة ١٩٥٦ لم يكن بها بعد انشائها سوى ٦٠٠٠ نسمة فقط . ولكن بعد أربع سنوات فقط وفي سنة ١٩٦٠ أصبح عدد سكانها ١٤١٧٤٢ نسمة بعد أن كانت قبل ذلك بعشر سنوات منطقة خالية من السكان تماما . ثم زاد العدد ليصل الى ٧٦٣٢٥٤ نسمة سنة ١٩٧٥ . وقد وفد اليها المهاجرون من كل أرجاء البرازيل وبمختلف وسائل النقل عبر الغابات والاستبس ، وان كان ٢٣% منهم من مقاطعة جوياز Goiaz ، و ٢٠% من مقاطعة ميناس جيراس المجاورة، ولكن فرابة ربع المهاجرين وفدوا من منطقة شمال شرق البرازيل وبغية البلاد وحتى من منطقة ساو باولو الغنية(١) .

وترتبط الهجرة الريفية - الحضرية بتوطن الصناعة الحديثة ارتباطا وثيقا ولذلك فقد أصبحت المدن مراكز توطن صناعي وجذب سكاني بمعدلات تفوق متوسط معدل النمو في الدولة مرتبطة في ذلك بخطط التنمية الصناعية حتى أصبحت ظاهرة النمو الحضري في الاقطار النامية الاخذة باسباب التصنيع أبرز السمات الديموغرافية في حركة السكان وتوزيعهم .

وبالاضافة الى ما سبق فان قوة جذب المدن تكون انتقائية (Selective) بالنسبة للمكان المهاجر منه كما يبدو ذلك في توزيع المهاجرين الى الحضر حسب مكان المولد ومع ذلك فقد لا يقيم المهاجرون الى المدينة بصفة دائمة بها بل أن هناك حركة عودة دائمة لبعض الافراد الى المناطق الريفية أو الى مدن أخرى صغيرة أو كبيرة حسب عوامل الطرد والجذب وتأثيرها المختلف على المهاجرين .

٢ - تغير التركيب العمري والنوعى :

سبق القول بأن الهجرة تتميز ببعض الخصائص الديموغرافية سواء في التركيب العمري أو النوعى أو الاقتصادى للمهاجرين ، ومن أبرز الخصائص ظاهرة الانتقاء الهجرى Migration Selectivity ، أى اختيار المهاجرين ونوعيتهم ، وانعكاس ذلك على خصائص السكان في مكان الوصول والوصول ، ويعنى ذلك ببساطة أن المهاجرين ليسوا عينة عشوائية من السكان في مكان الاصل ذلك لان الاشخاص الذين يستجيبون الى

(1) Beaujeu, Garnier, Geography of Population, Op. Cit., pp. 204, 205.

مجموعة من العوامل الايجابية والسلبية في كلا المكانين لهم قدرات مختلفة للتغلب على العوائق الوسيطة - ولذا فان أبرز سمات الهجرة - هي الشباب - والذكور منهم على وجه الخصوص ، وتؤدي حركة الهجرة لهذه الفئة العمرية الى تغير في التركيب السكاني في المجتمع المهاجر منه والمجتمع المهاجر اليه ويبدو ذلك بمقارنة الاهرام العمرية النوعية للسكان في كلا المجتمعين .

ومن الظواهرات الاخرى المتعلقة بالهجرة أن خصائص المهاجرين تميل الى أن تكون وسطا بين خصائص السكان في مكانى الاصل والوصول ، ذلك لان الاشخاص المهاجرين لايفقدون خصائصهم الاصلية كلية بعد الهجرة كما أنهم يبدؤون في اكتساب خصائص أخرى في مجتمعهم الجديد، وقد أوضحت كثير من الدراسات هذه الظاهرة ، فخصوبة المهاجرين على سبيل المثال تعد وسطا بين خصوبة السكان في الموطن الاصلى وفي المهجر .

وتنعكس نتائج الهجرة على التركيب العمري النوعى في المدن بوضوح حيث يكون الذكور في أعمار العمل الصغرى هم الغالبية في المراحل المبكرة للنمو الحضري ، وحينما يصل المجتمع الى درجة عالية من التحضر تصبح الهجرة متنوعة في طبيعتها وتكون غالبية التحركات من مدينة الى أخرى، ولا تقتصر تيارات الهجرة على العلاقة بين الريف والحضر فقط بل بين المدن بعضها وبعض .

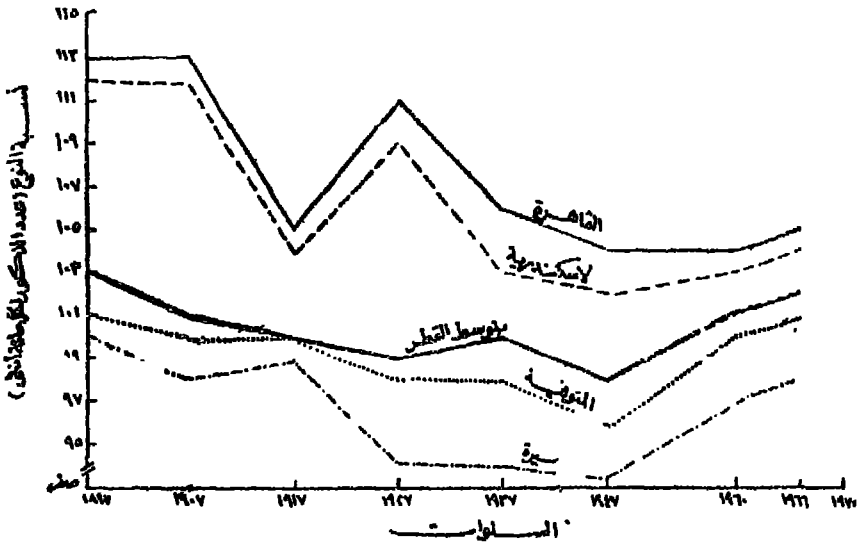
وكانت ظاهرة الانتقاء الهجرى العمري النوعى واضحة بصورة ملفتة للنظر في المراحل الاولى لحركات الهجرة الضخمة نحو العالم الجديد، حيث كانت الغالبية العظمى من المهاجرين من الذكور مما أدى الى تزايد اختلاطهم بسكن المهجر ، فقط اختلط الايبيريون الاوائل الذين استوطنوا أمريكا اللاتينية بالهنود الحمر وتزوج كثير من المهاجرين باناث هنديات، وقد تكررت هذه الظاهرة مع مهاجرين آخرين كما حدث في جنوب أفريقيا وفي جنوب شرق آسيا حيث كان الهنود والصينيون أقليات مهاجرة كلها من الذكور .

وفي فترات الهجرة العظمى الى الولايات المتحدة - كانت غالبية المهاجرين من الذكور (١٢٩ من الذكور مقابل ١٠٠ من الاناث سنة ١٩١٠) وقد تميزت بعض طوائف المهاجرين بزيادة نسبة النوع لديها بدرجة كبيرة مثل الصينيين (١٩٠) والفلبينيين (٢٩٧) في سنة ١٩٥٠ . والهنود الاسيويين (٣٩٣) في سنة ١٩٤٠ ، ولذلك فان عدد الذكور يفوق عدد الاناث في الولايات المتحدة باستمرار وظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٥٠ عندما بدأت الهجرة تشهد تعادلا بين الجنسين كما بدأ حجمها تقلص بدرجة ملحوظة .

وتبدو ظاهرة الانتقال الهجرى العمرى النوعى فى داخل الدولة الواحدة بين الحضر والريف . ولكن نسبة النوع تختلف بتباين مرحلة النمو التقنى والاقتصادى ، ففى الدول المتخلفة كما فى أفريقيا تتميز الهجرة بزيادة نسبة النوع حيث يهاجر الذكور الى المدن تاركين زوجاتهم فى القرى ومن ثم تتأثر الزراعة بفقدان هذه الايدي العاملة ويؤدى ذلك الى مشكلات اجتماعية خطيرة فى المدن أبرزها تزايد معدلات الطلاق وانتشار البغاء .

أما فى الدول المتقدمة حيث تتباين الظروف الاجتماعية والاقتصادية عن الدول النامية فان الانتقال العمرى النوعى يختلف هو الآخر ، ذلك لان كلا من الذكور والاناث يهاجر الى المدن ، ولذا فان كثيرا من القرى لايعيش بها الا عدد قليل من السكان أغلبهم من المسنين ومن ثم قد لا يبدو الاختلاف كبيرا فى نسبة النوع بين الحضر والريف .

وتؤدى هجرة الشباب نحو المدن الى تزايد نسبة الاعمار الوسطى بها ، بعكس مناطق ارسال المهاجرين ، ولعل أبرز الامثلة تتمثل فى الولايات المتحدة حيث كان ٦٤% من سكان المدن بها يتراوح عمرهم بين ١٨ - ٦٥ سنة وذلك مقابل ٥٣% فقط من سكان الريف ، كذلك فان تدفق الشباب الى المدن يتزايد فى الدولة التى ينمو فيها العمران الحضرى بمعدل كبير وهناك أمثلة عديدة أبرزها المدن فى روسيا حيث يكون متوسطو السن ٦٠% من جملة السكان بها .



شكل رقم (٢٧)
نسبة النوع فى بعض المحافظات المصرية

ويمكن ملاحظة أثر الهجرة في زيادة نسبة الذكور بالمدن في كثير من الدول النامية ومنها مصر حيث تبدو هذه الظاهرة بوضوح في محافظات الحضر عنها في المحافظات الريفية كما يبين الجدول رقم (٣٤) .

جدول رقم (٣٤) تطور نسبة النوع (عدد الذكور لكل مائة من الاناث) في بعض المحافظات المصرية (١)

السنة	القاهرة	الاسكندرية	المنوفية	البحيرة
١٨٩٧	١١٣	١١٢	١٠١	١٠٠
١٩٠٧	١١٣	١١٢	١٠٠	٩٨
١٩١٧	١٠٥	١٠٤	١٠٠	٩٩
١٩٢٧	١١١	١٠٩	٩٨	٩٤
١٩٣٧	١٠٦	١٠٣	٩٨	٩٤
١٩٤٧	١٠٤	١٠٢	٩٦	٩٣
١٩٦٠	١٠٤	١٠٣	١٠٠	٩٧
١٩٦٦	١٠٥	١٠٤	١٠١	٩٨
١٩٨٦	١٠٥	١٠٥	١٠٥	١٠٣

ومن أرقام هذا الجدول يبدو ارتفاع نسبة النوع في القاهرة والاسكندرية وهما من المحافظات الحضرية التي تجذب معظم المهاجرين في مصر بينما تنخفض النسبة في المحافظات الريفية بصفة عامة ويبدو ذلك في محافظتى المنوفية بجوار القاهرة والبحيرة بجوار الاسكندرية . وقد وصلت نسبة متوسطى العمر (١٢ - ٦٥) في القاهرة ٦٨٫١٪ مقابل ٦١٫٩٪ في المنوفية وذلك حسب تعداد ١٩٨٦ بينما بلغت نسبة المسنين (سن ٦٥ فأكثر) (٢٫٩٪) في القاهرة مقابل ٣٫٨٪ في المنوفية .

٣ - مشكلات الاختلاط السكانى في المهجر :

لعل أبرز النتائج المترتبة على الهجرة اختلاط العناصر السكانية في المهجر مع ما يترتب على ذلك الاختلاط من مشكلات عرقية ولغوية مختلفة سواء بالنسبة للسكان المهاجرين أو السكان الاصليين ، ولاتخلو خريطة العالم السكانية من مثل هذه المشكلات التي تبرز بوضوح في المهاجر الكبرى مثل أمريكا الشمالية والجنوبية وجنوب أفريقيا وأستراليا .

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - مجموعة الاحصاءات الحيوية - يولية ١٩٦٨ ص ٢٤ ، والتعداد العام للسكان والمساكن سنة ١٩٨٦ .

وقد سبق القول بأن مناطق استقبال المهاجرين في العالم شهدت اختلاطاً عرقياً كبيراً لعل في أمريكا الجنوبية المدارية مثل واضح عليه . وبالرغم من أن المهاجرين إليها قد انصهروا في بوتقة بشرية واحدة ولا توجد بينهم نزعات التفرقة العنصرية كما هي الحال في أمريكا الشمالية ، فإن هناك نزعات قومية لدى بعض جماعات المهاجرين حديثاً للتركيز في مناطق منفصلة عن الجماعات الأخرى ويبدو ذلك بوضوح في المهاجرين الإيطاليين أو الألمان في جنوب البرازيل .

وتظهر المشكلات العرقية بوضوح في المناطق التي هاجرت إليها العناصر الأوروبية الأنجلوساكسونية كما هي الحال في أمريكا الشمالية - أو جنوب أفريقيا ، أما في أستراليا ونيوزيلندا فلم تظهر هذه المشكلات لقلة عدد السكان الأصليين وإن كان الموري (Maoris) - قد تزايد عددهم من ٤٠.٠٠٠ نسمة عند بداية القرن العشرين إلى قرابة ١٢٠.٠٠٠ نسمة في الوقت الحاضر ، ويقال بأنه إذا استمر معدل المواليد لديهم على مستوى الحال فإنهم سيكونون ٢٠٪ من جملة سكان نيوزيلندا سنة ٢٠٠٠ . وقد هاجر الكثير منهم تاركاً المعازل الوطنية متجهاً إلى المدن حيث يعملون في الحرف الشاقة ويعيشون في الأحياء السيئة ، أما في الولايات المتحدة فإن مشكلة الحاجز اللوني متأصلة في العلاقات الاجتماعية بها لدرجة يصعب حلها خاصة في الولايات الجنوبية حيث يكون الزوج قرابة ربع عدد السكان ، بل تزداد نسبتهم إلى ٤٠٪ من سكان بعض الولايات مثل ولاية المسيسيبي .

أما الاختلافات اللغوية فقد تؤدي إلى مشكلات للسكان في المهجر كذلك ، فحتى بين المهاجرين الذين عاشوا متجاورين مدة طويلة من الزمن مثل الإنجليز والفرنسيين في كندا ، والبوير والإنجليز في جنوب أفريقيا فإن كلا منهما يحاول المحافظة على لغته وتقاليده وشخصيته ، ففي كندا مثلاً - بالرغم من أن السكان ذوي الأصل الإنجليزي يكونون ٥٠٪ من السكان سنة ١٩٤١ فإن ٥٧٪ من السكان يعتبرون الإنجليزية لغتهم الأصلية كما أن أربعة أخماس السكان يتحدثون بها .

وتظل اللغة الأصلية سائدة لدى المهاجرين ، ولا تهمل إلا عند الجيل الثاني أو الثالث خاصة بين الذكور الذين يدخلون سوق العمل ويضطرون إلى التحدث بلغة المهجر السائدة حتى يتمكنوا من كسب عيشهم ، وعلى أية حال فإن المهاجرين الذين يفدون في جماعات كبيرة يحافظون على لغتهم الأصلية كما تفعل الأسر البولندية التي وصلت إلى فرنسا في

العشرينيات من هذا القرن وفي بعض مناطق البرازيل والارجنتين مازالت بعض الجماعات تتحدث الايطالية - وحتى الفرنسية بدرجة أكبر من اللغة القومية وهي البرتغالية .

وعلى النقيض مما سبق فان الهجرات الاستعمارية التي أدت الى انتشار المؤشرات الثقافية كان لها تأثير عكسي، فقد أدخلت اللغات الاوربية الى مناطق واسعة من العالم وأصبحت هذه اللغات الدخيلة أهم وسائل الاتصال والتفاهم بسهولة بين السكان ، ويبدو ذلك بوضوح في كثير من الدول التي استعمرتها بريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص والتي كانت تزخر بالعديد من اللغات المحلية ثم اتخذت لغة المستعمر لغة رسمية لها .

٤ - النتائج الاقتصادية للهجرة :

تتمثل النتائج الاقتصادية للهجرة في عدة وجوه أبرزها انتقال رؤوس الاموال والمساعدات المالية المباشرة وغير المباشرة ، وذلك لان المهاجرين يدخلون أموالا الى المهجر عند انتقالهم اليه ، كذلك فان المهاجر لا ينقطع عن وطنه الاصلى ، وتقدر الاحصاءات في الولايات المتحدة أنه عند قيام الحرب العالمية الاولى كان المهاجر الايطالى يرسل الى أسرته بايطاليا أربعة أمثال ما يرسله المهاجر الانجليزي لاسرته بانجلترا ، كما كان المهاجر اليونانى يرسل عشرة أمثال المهاجر الالمانى ، وذلك لفقر دول جنوب أوربا ، ولذا فقد كان دخل ايطاليا من أموال المهاجرين الايطاليين في الخارج يوازي نصف دخلها من السياحة ، كما كانت هذه الاموال في اليونان تساوي جملة الدخل من السياحة والملاحة البحرية معا ، وبالمثل فقد كانت الاموال التي يرسلها المهاجرون الجزائريون العاملون في فرنسا كبيرة ، ويقدر أنها بلغت في سنة ١٩٥٥ ما يعادل دخل الانتاج الزراعى للجزائر في تلك السنة .

وبالاضافة الى انتقال رؤوس الاموال من المهجر الى الوطن الاصلى للمهاجرين فان الهجرة تكلف مناطق الاستقبال وتزيد من أعبائها الاقتصادية فبالاضافة الى ما تتحمله الدولة المستقبلية من أجور الانتقال (كاستراليا مثلا التي تتولى نقل المهاجرين اليها على نفقتها) فان هناك أعباء أخرى تتمثل في تجهيز المساكن والارضى والخدمات المتعددة للمهاجرين الجدد .

وتبدو الاعباء الاقتصادية في مناطق استقبال المهاجرين الداخليين كذلك خاصة في المدن ، ففي فرنسا مثلا قدر أن كل أسرة ريفية تهاجر من

الريف الى مدينة كبرى تكلف الدولة على الاقل ٢٠ر٠٠٠ فرنك فرنسى نظير الخدمات الاضافية التى توفرها كالمدارس والمستشفيات ووسائل النقل والخدمات الاجتماعية الاخرى ، وبالمقابل فان الخدمات فى المناطق الاصلية تكون أكثر من احتياجات السكان فى هذه الحالة (١) .

والى جانب هذه النواحي المالية المترتبة على الهجرة فان هناك نتائج اقتصادية أخرى فى منطقتى الاصل والوصول ، فتحظى المناطق الاخرى بالعناصر الشابة القادرة على العمل والتى تستنزفها من مناطق الطرد - وغالبا ما تكون هذه العناصر أكثر فئات السكان حركة ويدعمها تدريب ومستوى أعلى من باقى السكان خاصة المستوى التعليمى والمهنى (تعرف باستنزاف العقول brain drain) ، وهكذا تفقد تلك المناطق ثمرة غرسها باستمرار وتتعرض للفقر السكانى وفقدان العمالة المتقدمة والماهرة .

غير أن الهجرة ليست فى كل الاحوال ذات نتائج سلبية على سكان المنطقة الاصلية بل قد تكون ذات فوائد أخرى مثل رفع مستوى المعيشة بهذه المنطقة حيث يقل الضغط السكانى على الموارد المحلية والخدمات المتوفرة ، كما قد يظهر فى الريف عمالة ناقصة under employment وتختفى البطالة فى المناطق الصناعية بل قد تتعرض لعمالة زائدة over employment فى بعض الاحيان .

ومن أبرز النتائج السيئة التى تترتب على الهجرة أن هناك قطاعا كبيرا من سكان المناطق المتخلفة يهاجرون بدافع الفقر الشديد فى بيئاتهم ويؤدى ذلك الى نتائج وخيمة حيث يكونون عبئا ثقيلا على المنطقة المستقبلية كما هى الحال فى الهجرة المستمرة من الريف الى الحضر فى الدول النامية حيث تعجز هذه المدن عن توفير العمالة أو الخدمات المختلفة لجموع المهاجرين . وهذه هى حال مدن الدول النامية التى يفد اليها المهاجرون غير المدربين والذين تلفظهم بيئاتهم القاسية فى الريف ويعيشون فى المدينة فى مستوى منخفض ويكوون قطاعا هامشيا من سكانها ويترتب على وجودهم الكثير من المشكلات الاجتماعية ، ففى مدن الهند مثلا تنام جموع المهاجرين فى الشوارع ويهيمون على وجوههم متضورين جوعا كما فى شوارع بمباى - ولاتختلف معظم مدن الدول المتخلفة عن ذلك كثيرا .

(1) Beaujeu - Garnier, J., Op. Cit., p. 234.

البَابُ الرَّابِعُ
أنماط التركيب السكاني

مقدمة

يعد التركيب السكاني مظهرا هاما من المظاهر الديموغرافية ذلك لانه نتاج مجموعة من العوامل التي تؤثر فيه وتتأثر به ، ويعنى التركيب السكاني الخصائص الكمية Quantitative للسكان التي يمكن التعرف عليها من بيانات التعداد ، وأهم هذه الخصائص التركيب العمري والنوعى والحالة المدنية وحجم وتكوين الاسر ، والتركيب الاقتصادي والتركيب العرقي واللغوى والدينى،ومن الواضح أن بعض هذه الخصائص بيولوجى مثل النوع والسن والسلالة وبعضها الاخر مكتسب مثل الحالة المدنية واللغة والدين والمهنة .

ويهتم الجغرافى بدراسة التركيب السكاني لتوضيح ملامح التباين الاقليمى بين الدول والاقاليم وبين الحضر والريف ، وبين المجموعات العرقية المختلفة فى الدولة الواحدة ، ثم دراسة العوامل المختلفة التي تؤثر فى هذا التباين ومدى ارتباطها بالظروف الديموغرافية الاخرى،وبالاضافة الى ذلك فان دراسة تركيب السكان تفيد فى معرفة ما يملكه المجتمع من موارد بشرية وتصنيفها حسب قطاعات النشاط الاقتصادى المختلفة .

وتفيد بيانات التركيب السكاني فى نواح ديموغرافية أخرى حيث تصف المتغيرات الديموغرافية مثل العمر والنوع والحالة المدنية وغيرها . وتلك المتغيرات تعد أساسا لتحليل العمليات الديموغرافية الكبرى مثل الخصوبة (المواليد) والوفيات والهجرة والنمو ، كذلك فانه فى حالة عدم توفر بيانات دقيقة عن العمليات الحيوية فان بيانات التركيب - خاصة العمري والنوعى - تهيىء وسيلة غير مباشرة لتقدير مستويات الخصوبة والوفاة ومدى تأثيرها على حركة السكان فى المستقبل(١) .

وستقسم أنماط التركيب السكاني فى هذا الباب الى ثلاثة أنماط رئيسية هى التركيب العمري والنوعى والتركيب الاقتصادى ثم يتطرق الحديث عن أنماط أخرى من التركيب السكاني .

(1) Hawley, A. H. "Population Compositions", The study of Population, ed. by Philip M. Hauser and Otis Oudley Duncan, The University Press, Chicago, 1950, p. 361.

الفصل الحادى عشر

التركيب العمرى والنوعى للسكان

تعد دراسة التركيب العمرى والنوعى Age - Sex composition على قدر كبير من الاهمية فى دراسة السكان ، ذلك لانها توضح الملامح الديموغرافية للمجتمع ذكورا واناثا وتحدد الفئات المنتجة فيه والتي يقع على عاتقها عبء اعالة باقى أفراده، كذلك فان التركيب العمرى والنوعى نتاج للعوامل المؤثرة فى النمو السكانى من مواليد ووفيات وهجرة والتي لايمكن اعتبار أحدها مستقلا كليا عن الاخر بل يؤدى أى تغير فى أحد هذه العوامل الى التأثير فى العاملين الاخرين، ولذا فان دراسة التركيب العمرى تساعد على فهم دور هذه العوامل فى النمو واتجاهها ، وما يرتبط بذلك من دراسة الحالة المدنية والنشاط الاقتصادى والتعليمى وغير ذلك .

أولا - التركيب العمرى :

تعد بيانات السن كما أوردتها التعدادات السكانية المصدر الرئيسى لدراسة التركيب العمرى، غير أن هذه البيانات لاتمثل الحقيقة كاملة وذلك راجع للخطأ فى ذكر الاعمار بدقة عند اجراء التعداد وهذا الخطأ بدوره ناتج عن بعض العوامل أهمها :

١ - جاذبية بعض الارقام فى ذكر الاعمار مثل الارقام الزوجية أو المنتهية بالصفىر أو بالخمسة فى الغالب، وكذلك محاولة التقريب فى الاعمار ويؤدى ذلك الى مايعرف بالتراكم فى فئة عمرية معينة أو تضخمها تضخما أكثر من الواقع بالمقارنة مع الفئات السابقة لها أو اللاحقة عليها .

ففى تعداد السكان فى مصر سنة ١٩٦٠ على سبيل المثال بلغت نسبة الذين أدلوا بأعمار تنتهى بالصفىر ٢١% من جملة السكان ويرقم (خمسة) ١٨% ويرقم (اثنين) ١١% ، أى أن هذه الارقام الثلاثة قد جذبت نصف السكان تماما عند الادلاء بأعمارهم فى هذا التعداد .

٢ - أن هناك سببا نفسيا يكاد يكون عالميا وهو أن كثيرا من الاناث الشابات يملن الى الادلاء بأعمار تقل عن الحقيقة ولذلك فان أعدادهن قد تكون أقل من الواقع في بعض فئات العمر الوسطى (أو أكثر من الواقع في بعضها) .

٣ - هناك ميل عام الى عدم ذكر الاطفال الرضع في التعدادات، وهذا يؤدي الى نقص واضح في فئة السن أقل من سنة أو أقل من خمس سنوات، ويبدو ذلك اذا ما قورن عدد المواليد خلال سنة بالذين سجلهم التعداد في فئة السن أقل من سنة - مع الاخذ في الاعتبار عامل الوفاة بالنسبة لهم واعتباره العامل الرئيسي الذي يؤثر في عددهم .

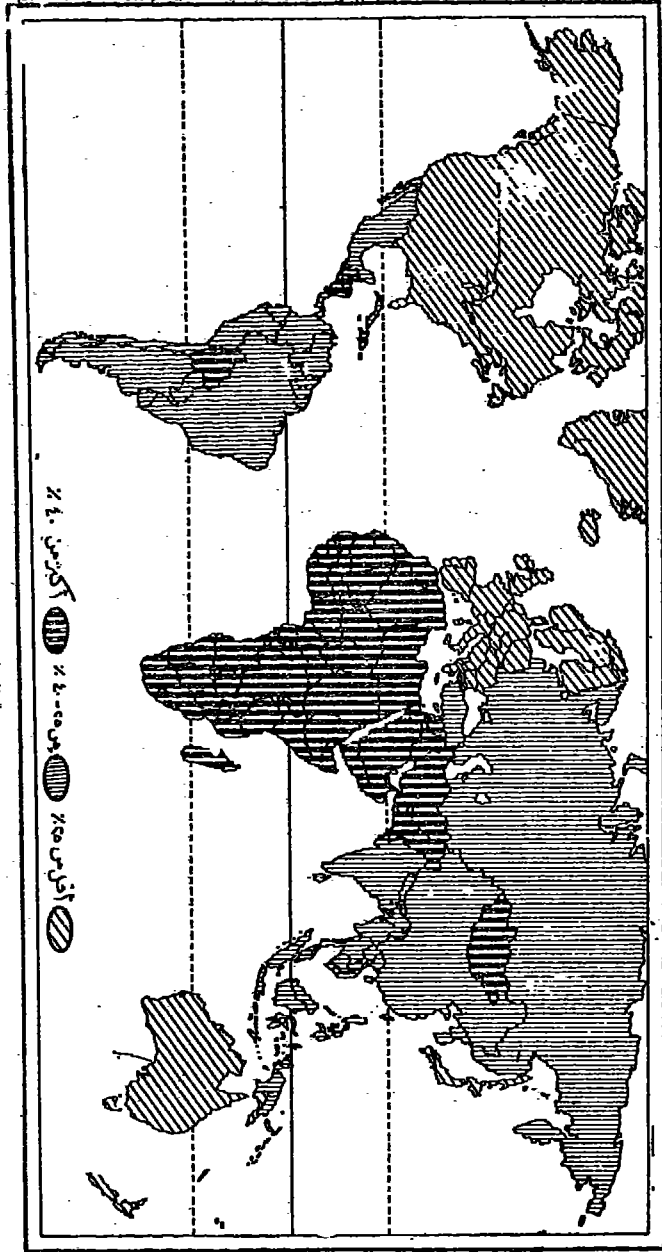
ومن ذلك يبدو أن بيانات السن المستقاة من التعدادات السكانية لاتخلو من أخطاء التبليغ عن العمر ، وينعكس ذلك على حجم كل فئة عمرية زيادة أو نقصانا عما هو واقع ، ولاشك أن لذلك أثره الذي لا يستهان به في بعض المقاييس الديموغرافية النوعية مثل معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة حيث تتخذ من أعداد أفراد كل فئة مقاما تنسب اليه وكثيرا ماينتج عن ذلك ارتفاع أو انخفاض غير حقيقيين في هذه المعدلات .

وازاء ذلك فان بيانات السن في التعدادات المختلفة يجب أن تعامل بشيء من الحذر وان كان ذلك لايحصول دون تحليل تلك البيانات حيث تحتوى على حقائق هامة ، ويمكن أن يتم تجنب أخطاء التبليغ عن العمر اذا ماقسمت فئات السن الى فئات عريضة تختفى في ثناياها أخطاء التبليغ عن العمر الحقيقي ، وقد تكون هذه الفئات خمسية أو عشرية أو أكثر حسب طبيعة العنصر الديموغرافي المراد دراسته .

وينقسم السكان الى ثلاث فئات عمرية عريضة سواء كانت أرقاما مطلقة أو نسبا مئوية من جملة السكان ، وهذه الفئات هي :

١ - صغار السن (صفر - ١٤ سنة) :

وهذه الفئة تمثل قاعدة الهرم السكاني الذي سنشير اليه فيما بعد ، وتتصف بأنها غير منتجة ، كما أنها أكثر الفئات تأثرا بعامل المواليد والوفيات . وذلك لأن الوفيات ترتفع نسبتها بين صغار السن وخاصة في الاعمار المبكرة كما سبق القول ، وتميل نسبة صغار السن الى التناقص في المجتمعات المتقدمة بينما تتزايد بصورة واضحة في الدول النامية كما يبين الجدول رقم (٣٥) والخريطة رقم (٢٨) حيث تصل هذه النسبة الى أكثر



شكل رقم (٢٨)
 نسبة صغار السن ١٩٩١

من ٣٥% من جملة سكان معظم الدول النامية مثل مصر (٤٠%) والبرازيل (٣٥%) والهند (٣٦%) . بينما تنخفض في الدول المتقدمة الى مادون ذلك بكثير حيث تصل الى ١٨% في السويد و ١٩% في بريطانيا وسويسره - وتقل عن ٢٥% في معظم دول أوربا بصفة عامة .

ب - متوسطو السن (١٥ - ٦٤) :

وهى الفئة المنتجة في المجتمع - كما أنها الفئة التي تسهم في نمو السكان وتعتمد عليها الفئتان الاخيريان - هذه الفئة هى الاكثر قدرة على الحركة والهجرة ، وفي الدول المتقدمة حيث تنخفض معدلات المواليد والوفيات ، فان نسبة متوسطى السن تتزايد ببطء وذلك لاستمرار تزايد نسبة المسنين من ناحية وتناقص نسبة الصغار من ناحية أخرى ، وعموما فان نسبة متوسطى السن أكبر بكثير من الفئتين الاخيريين ، وتزداد النسبة بصورة أكبر في المجتمعات التي تستقبل المهاجرين ذوى الاعمار المتوسطة، ويمكن أن تنقسم هذه الفئة في بعض الدراسات الى فئتين ثانويتين هما : البالغون الصغار Young Adults (من ١٥ - ٤٤) والبالغون الكبار Old Adults (من سن ٤٥ - ٦٤) . كذلك فان بعض الدراسات تحدد المجال العمري لمتوسطى السن أحيانا فيما بين سن ١٥ - ٥٩ فقط .

ومن مقارنة النسب المئوية لهذه الفئة السابقة (١٥ - ٦٤) بقسميها كما يبين الجدول رقم (٣٥) تبدو حقيقة هامة وهى أن البالغين الصغار (١٥ - ٤٤) لا تختلف نسبتهم بين دول العالم اختلافا جوهريا بل تتشابه مع بعضها البعض الى حد كبير ، ويرجع ذلك الى أن هذه الفئة هى أقل الفئات العمرية تائرا بعامل الوفاة ولذا فان الفارق في مستوى الوفيات بين الدول النامية والمتقدمة لا ينعكس عليها مثل انعكاسه على الفئات الاصغر (الاطفال) أو الاكبر (المسنين) . ولكن الفارق بين الدول في الاعمار الوسطى يبدو واضحا في فئة البالغين الكبار (٤٥ - ٦٤) حيث تصل نسبتها في المملكة المتحدة مثلا الى ضعف مثلتها في الهند أو البرازيل وذلك لان الفرق بين مستويات الوفاة بين الدول ينعكس على هذه الفئة وماينتج عنه من ارتفاع أمد الحياة في المجتمعات المتقدمة وانخفاضه في النامية والمتخلفة .

كبار السن (المسنون) (٦٤ +) :

وهى لاتعد فئة منتجة ، وتشمل أعدادا كبيرة من الاناث والارامل ، وهى الاخرى تعد انعكاسا لظروف الخصوبة والوفيات في المجتمع ذلك لان

نسبتها تقل بتزايد نسبة صغار السن وبالتالي ارتفاع معدل النمو الطبيعي للسكان والعكس ، ويبدو ذلك بوضوح في مقارنة المجتمعات النامية بمثلتها المتقدمة .

جدول رقم (٣٥) النسبة المئوية للفئات العمرية العريضة في بعض الدول (١)
حوالى ١٩٩١ (جملة السكان)

الجملة	فئات السن			الدولة
	+ ٦٤	٦٤ - ١٥	١٤ - ٠	
				دول نامية :
١٠٠	٤	٥٦	٤٠	مصر
١٠٠	٤	٦٠	٣٦	الهند
١٠٠	٥	٦٠	٣٥	البرازيل
				دول متقدمة :
١٠٠	١٢	٧٠	١٨	اليابان
١٠٠	١٢	٦٦	٢٢	الولايات المتحدة
١٠٠	١٨	٦٤	١٨	السويد

وإذا كان الاختلاف النسبى لمجموعات أعمار الكبار والصغار بالنسبة لجملة السكان هو الذى يحدد ملامح المجتمع ، فان دراسة النسبة المئوية لكبار السن (٦٥ +) ذات أهمية خاصة لأنها تعد نتاجا للعوامل الديموغرافية فى المجتمع ، ويمكن فى ضوء نسبة هذه الفئة أن نذكر بأن السكان صغار السن إذا كان بينهم أقل من ٤٪ فوق سن الرابعة والستين وبأنهم ناضجون إذا تراوحت النسبة المشار إليها بين ٤ - ٧٪ ، وبأنهم مسنون إذا تجاوزت هذه النسبة ٧٪ (٢) ، ويرتبط ذلك بالقاعدة المعروفة من أن التجديد المستمر لقاعدة الهرم السكانى *Rejuvenation* يؤدى الى قلة التعمر *Ageing* فى قمته ، وبمعنى آخر فان ما يضاف الى فئة الصغار سنويا من أطفال يزيد من نسبتهم فى المجتمع ويقلل بالتالى من نسبة

(١) INED., Population et Sociétés Tous les Pays du Monde, 1991, No. 259.

(٢) هيئة الامم المتحدة - تعمر السكان ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية - ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة - القاهرة ١٩٦٧ - ص ١٦ - ١٨ .

الكبار ومتوسطى السن مما ينعكس على حجم الفئات العمرية للذكور أو
للإناث كما في حالة مصر (جدول رقم ٣٦) .

جدول رقم (٣٦) توزيع سكان مصر حسب السن والنوع سنة ١٩٧٦ (١)

جملة		ذكور		إناث		فئات
العدد	%	العدد	%	العدد	%	السن
١٣ر٨	٥٠٤٢١٧٠	١٣ر٨	٢٤٩٣٩٠٥	١٣ر٧	٢٥٤٨٢٦٥	أقل من ٥
١٢ر٨	٤٦٨١٧٠٢	١٣ر٠	٢٤٢١٨١٣	١٢ر٦	٢٢٥٩٨٨٩	٥ - ٩
١٣ر٤	٤٩٠٥٥٢٣	١٣ر٨	٢٥٨١٩٧٩	١٢ر٩	٢٣٢٣٥٤٤	١٠ - ١٤
١٠ر٩	٣٩٩١٨٠٦	١١ر٥	٢١٤١٨٥٤	١٠ر٣	١٨٤٩٩٥٢	١٥ - ١٩
٨ر٤	٣٠٨٣٩٧٧	٨ر٢	١٥٢٢٢٧٩	٨ر٧	١٥٦١٦٩٨	٢٠ - ٢٤
٧ر٣	٢٦٨٤٥٨١	٧ر١	١٣٢١٦٦٥	٧ر٦	١٣٦٢٩١٦	٢٥ - ٢٩
٥ر٨	٢١٢٨٦٥٣	٥ر٦	١٠٣٦٤٨٠	٦ر١	١٠٩٢١٧٣	٣٠ - ٣٤
٥ر٦	٢٠٥٤٨٧٢	٥ر٥	١٠٢٤٧٨٢	٥ر٧	١٠٣٠٠٩٠	٣٥ - ٣٩
٥ر١	١٨٨٢٦٩١	٥ر٠	٩٣٥٧٨٧	٥ر٣	٩٤٦٩٠٤	٤٠ - ٤٤
٤ر٢	١٥٢٧٧٢٤	٤ر٢	٧٨٩٥٢١	٤ر١	٧٣٨٢٠٣	٤٥ - ٤٩
٤ر٠	١٤٦١٠٩٩	٣ر٩	٧١٩١٨٥	٤ر١	٧٤١٩١٤	٥٠ - ٥٤
٢ر٤	٨٩٤٠٩٠	٢ر٦	٤٨١٩٩٧	٢ر٣	٤١٢٠٩٣	٥٥ - ٥٩
٢ر٦	٩٧٠٣٢٢	٢ر٦	٤٧٩٩٤٣	٢ر٧	٤٩٠٣٧٩	٦٠ - ٦٤
١ر٤	٥١١١٨١	١ر٤	٢٦٨٧٧٧	١ر٣	٢٤٢٤٠٤	٦٥ - ٦٩
١ر٢	٤٣٧٣٢٨	١ر١	٢٠٢٤٢٢	١ر٣	٢٣٤٩٠٦	٧٠ - ٧٤
١ر٠	٣٦٢٧٣١	٠ر٩	١٦٧٩٦٢	١ر١	١٩٤٧٦٩	٧٥ فأكثر
صفر	٥٧٥٤	صفر	٢٥٧٨	صفر	٣١٧٦	غير مبين
١٠٠ر٠	٣٦٦٢٦٢٠٤	١٠٠ر٠		١٠٠ر٠	١٧٩٧٨٩١٥	الجملة
-	١٨ر٦	-	١٨ر١	-	١٩ر٢	العمر الوسيط

(١) المصدر:

الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان
والاسكان - ١٩٧٦ - نقلا عن : الكتاب الاحصائى السنوى ١٩٥٢ - ١٩٨٦
القاهرة ١٩٨٧ ص ١٦ .

وتفاوتت نسبة التعمر (أى مرحلة مافوق الرابعة والستين) في العالم تفاوتاً كبيراً في الوقت الحاضر (شكل رقم ٢٩) فتوضح بيانات الجدول السابق أنه كان في المملكة المتحدة شخص واحد من بين كل تسعة أشخاص يبلغ حد التعمر ، وفي الولايات المتحدة شخص واحد من بين كل ٩ أشخاص وفي السويد شخص من كل ستة أشخاص ، على حين أن النسبة في مصر والهند هي واحد بين كل ٢٥ شخص والبرازيل واحد من كل ٢٠ وإذا درست أرقام باقى العالم النامى فإنه يلاحظ انخفاض نسبة التعمر بدرجة كبيرة حتى أنه في نيجيريا مثلاً يصل الى حد التعمر شخص واحد من بين كل ٥٠ شخصاً وذلك حسب بيانات سنة ١٩٩١ .

العمر الوسيط للسكان : Median Age

يمكن الحكم احصائياً على توزيع السكان حسب فئات السن باستخدام مايعرف بالسن الوسيط. أى السن التى تقسم السكان الى جزئين متساويين أحدهما فوقه والآخر دونه (١) ، ويمكن معرفة اتجاه تقدم سكان بلد ما في العمر بمقارنة السن الوسيط في تعدادات متعاقبة كما يبدو من الأرقام التالية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية بين عامى ١٨٢٠ و ١٩٩١ (٢) .

السنة	العمر الوسيط بالسنة	السنة	العمر الوسيط بالسنة
١٩٩٠	٣٦ر٨	١٩١٠	٢٤ر٣
١٩٦٠	٢٩ر٥	١٨٩٠	٢٢ر١
١٩٥٠	٣٠ر٢	١٨٧٠	٢٠ر٢
١٩٤٠	٢٩ر٠	١٨٥٠	١٩ر
١٩٣٠	٢٦ر٦	١٨٤٠	١٨ر١
١٩٢٠	٢٥ر٣	١٨٢٠	١٧ر

(١) الوسيط لمجموعة من القيم هو القيمة التى تقسم المجموعة بحيث يكون عدد القيم الأكبر منها مساوياً تماماً لعدد القيم الأصغر منها، ويتميز الوسيط بتحرره من عيوب الوسط الحسابى والتى منها التحيز الشديد للقيم المتطرفة كبراً أو صغراً أما الوسيط فهو غير مضلل في حالة وجود قيم قليلة متطرفة وذلك لان قيمته لاتتعين باضافة كل القيم الى بعضها البعض بل أنه يتعين بموضعه كما أنه لا يصعب ايجاده في الجداول ذات الفئات المفتوحة ومعظم جداول السكان من هذا النوع .

(٢) تومبسون ولويس - المرجع السابق .
- سنة ١٩٩١ تقديري حسب بيانات المعهد الديموغرافى الفرنسى .

ومن هذه الارقام يبدو أن نصف سكان الولايات المتحدة في سنة ١٨٢٠ كان أقل من سن ١٧ ، ومنذ ذلك الوقت ارتفع العمر الوسيط بدون توقف حتى وصل ٣٠ر٢ سنة ١٩٥٠ - وإن كان قد هبط الى ٢٩ر٥ في سنة ١٩٦٠، أى أن نصف السكان كانت أعمارهم تزيد على هذا القدر من السنين ثم وصل الى أكثر من ٣٦ سنة في سنة ١٩٩١ .

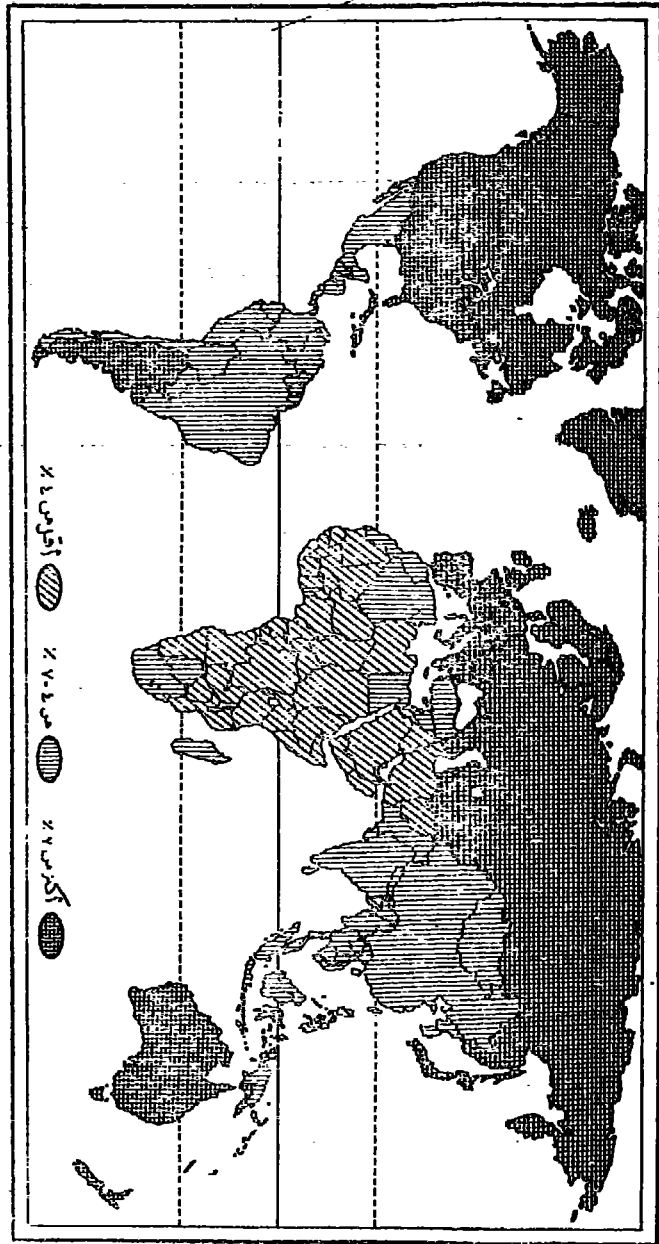
ويعزى التزايد في العمر الوسيط لعدة أسباب ديموغرافية واقتصادية واجتماعية ولكن يمكن القول بصفة عامة أنه ينتج بالدرجة الاولى عن تناقص معدل الوفيات ومعدل المواليد الخام ، وعلى العكس من ذلك فقد يؤدي ارتفاع معدل الوفيات ومعدل المواليد الى هبوط في هذه السن الوسيطة ، أما تأثير الهجرة على هذه السن فيتوقف على ما اذا كان البلد أصلا يرسل المهاجرين أو يستقبلهم وعلى حجم الهجرة بنوعيتها وعلى أعمار المهاجرين بطبيعة الحال .

وتتفاوت الاعمار الوسيطة في دول العالم تفاوتاً بالغاً ، وبصفة عامة فإن المجتمعات النامية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هي الاصغر سناً في حين أن المجتمعات المتقدمة في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان هي الأكبر سناً ، وعند مقارنة الدول بعضها وبعض في السن الوسيطة ومعدلات المواليد والوفيات من ناحية أخرى نجد ارتباطاً عكسياً قوياً بين هذين المتغيرين (السن الوسيطة والمعدلات الحيوية) فكلما ارتفعت معدلات المواليد والوفيات قل من السكان وكلما انخفضت هذه المعدلات ارتفع سنهم .

نسبة الاعالة Dependency Ratio :

ترتبط نسبة الاعالة بالتركيب العمري للسكان ، وتقوم على أساس أن كل فرد في المجتمع مستهلك، أما المنتجون فهم بعض أفرادهم فقط ، فالقطر الذي تزيد نسبة السكان المنتجين للسلع والخدمات أفضل حالاً من الناجية الاقتصادية من قطر تقل فيه هذه النسبة وذلك بافتراض تساوى الظروف الاجتماعية والديموغرافية الأخرى في القطرين .

وتختلف دول العالم في نسبة الافراد المنتجين بها اختلافاً كبيراً، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها أن صغار السن من الاناث والذكور في بعض الدول وخاصة النامية - يدخلون سوق العمل مبكراً - وذلك بعكس الحال في دول أخرى يلتحق الصغار بها بالمدارس حتى بلوغهم أواخر العقد الثاني من العمر ، كذلك فإن هناك مجتمعات يستمر المسنون في الانتاج بها بينما يحرمون من ذلك في مجتمعات أخرى .



شكل رقم (٢٩)
التعمر في العالم

وتتفق معظم الدراسات السكانية على اعتبار من تقل سنهم عن الخامسة عشر «محولين صغار» ومن تزيد أعمارهم على الستين «المحولين الكبار أو المسنين» ، أما قطاع السكان الباقي الذي يتراوح عمر أفراداه بين ١٥ - ٥٩ فيمثلون القطاع النشط اقتصاديا من السكان والذي تقع عليه عبء اعالة المجتمع .

وتحسب نسبة اعالة الصغار بالصيغة التالية :

$$100 \times \frac{\text{عدد السكان أقل من ١٥ سنة}}{\text{عدد السكان في المدى العمري (١٥ - ٥٩)}}$$

فالقطر الذي تصل نسبة الاعالة به الى ٤٥ مثلا ، فان به ٤٥ نسمة دون سن ١٥ سنة بالنسبة لكل ١٠٠ نسمة في سن الانتاج ١٥ - ٥٩، وينفس الطريقة تحسب نسبة اعالة الكبار على النحو التالي :

$$100 \times \frac{\text{عدد السكان سن ٦٠ سنة فأكثر}}{\text{عدد السكان في المدى العمري (١٥ - ٥٩)}}$$

فاذا كانت نسبة المحولين للكبار في مجتمع ما هي ١٠ مثلا فمعنى ذلك أن هناك ١٠ أفراد في سن ٦٠ فأكثر لكل مائة فرد في سن الانتاج (١٥ - ٥٩) .

ويديهي أن نسبة الاعالة الكلية Total Dependency Ratio هي مجموع نسبة اعالة الصغار ونسبة اعالة الكبار . فالقطر الذي يضم كلتا النسبتين السابقتين تكون نسبة الاعالة الكلية به ٥٥ أى أن هناك ٥٥ نسمة دون سن ١٥ وأكثر من ٦٠ لكل ١٠٠ نسمة في سن الانتاج (١٥ - ٥٩) (١) .

ومن الحقائق الهامة في مجال دراسة نسب الاعالة أن العلاقة بين فئتي نسبة اعالة الصغار والكبار من ناحية ، ونسبة الاعالة الكلية من ناحية أخرى ليست واحدة في كل الدول . فيبدو كقاعدة عامة أن نسبة اعالة الصغار تفوق نسبة الكبار ، وهي بذلك تكون العنصر الأكبر من عنصري الاعالة الكلية ، بل أنها في بعض الاقطار تكاد تشمل نسبة الاعالة الكلية بأكملها . ومعنى ذلك ببساطة أن ارتفاع نسبة الاعالة الكلية معناه أن نسبة كبيرة من السكان هي دون سن ١٥ وأن نسبة المسنين قليلة .

(1) Ibid., pp. 91-93.

ولكن ينبغي القول بأن نسب الاعالة السابقة والتي تتحدد فقط بحدود الفئات العمرية هي في الواقع نسب خام Crude لانها تعتبر كل السكان (١٥ - ٥٩) منتجين ومن عداهم مستهلكين، ولكن ذلك يتنافى مع التركيب الاقتصادى الفعلى للسكان ذلك لان قوة العمل تشمل الافراد الذين يسهمون مباشرة في انتاج السلع والخدمات في الفئات العمرية المختلفة من الذكور والاناث ، أما السكان الخارجون على قوة العمل فهم الذين لا يسهمون في هذا الانتاج وبالتالي فانهم معولون بواسطة الافراد الداخلين في هذه القوة ولذلك فان نسبة الاعالة الحقيقية يقصد بها نسبة عدد الاشخاص الذين لاتضمهم القوة العاملة لكل مائة من أفراد هذه القوة ، ويتم حسابها بالصيغة التالية :

$$\text{نسبة الاعالة الحقيقية} = \frac{\text{عدد السكان المعولين (كل السكان غير العاملين)}}{\text{جملة عدد السكان العاملين}}$$

١٠٠ ×

ومن الملاحظ أن عدد المعولين لايشكل عبء الاعالة فقط ، بل أن توزيعهم العمرى النوعى له أهميته هو الاخر ، حيث يتأثر هذا العبء بسن التعليم وسن الزواج للاناث وعدد المتعلمين ونسبة الزواج وكذلك ما يتطلبه المعولون من الشباب من رعاية صحية واجتماعية واسكانية وغيرها في الوقت الذى يكونون فيه خارج القوة العاملة ، وينبغى على المجتمع أن يوفر لهم هذه الخدمات حتى دخول معظمهم في عداد المنتجين فيه .

بيد أن نسبة الاعالة كقاعدة عامة - تعد نتاجا للتركيب العمرى للسكان كما أنها يمكن أن تكون مقياسا من مقاييس التفرقة بين الدول النامية والدول المتقدمة ، ومن المفارقات العجيبة أن الدول النامية التى تبذل جهودا ضخمة في سبيل زيادة انتاجها ورفع مستوى معيشتها هي الدول التى تعاني من زيادة عبء الاعالة الكلية ، أما الدول المتقدمة ذات المستويات المعيشية العالية فهى التى تنخفض فيها نسب الاعالة بصورة ملموسة ، ولاريب في أن ارتفاع معدل المواليد في الدول النامية يزيد بدوره من أعباء الاعالة الواقعة على عاتق الفئات المنتجة بها .

ثانيا - التركيب النوعى :

بالرغم من أن أعداد الذكور والاناث ليست متباينة. تباينا واسعا في

المجتمعات المختلفة فان دراسة التركيب النوعى هامة فى دراسة السكان وذلك لما لهذا التركيب من نتائج على دراسة العمالة والهجرة . ولاتخضع بيانات النوع لما تخضع له بيانات السن من أخطاء عند ذكرها ، فالخطأ محتمل الوقوع عند ذكر العمر وليس الامر كذلك عند ذكر النوع بطبيعة الحال .

ويمكن حساب نسبة النوع Sex Ratio او ماتسمى أحيانا بنسبة الذكورة على أساس قسمة عدد الذكور على عدد الاناث وضرب الناتج فى مائة .
ويعنى آخر فهى عدد الذكور لكل مائة من الاناث أو قد تحسب على أساس النسبة المئوية لجملة عدد الذكور (أو الاناث) من اجمالى عدد السكان .

وتتراوح نسبة النوع عند المولد بين ١٠٤ و ١٠٦ ، أى أن عدد المواليد من الذكور يزيد على مثلهم من الاناث(١) ، ألا أن هذه النسبة تبدأ فى التناقص بعد ذلك بسبب ارتفاع معدلات وفيات الذكور عن الاناث ، وهذه ظاهرة ديموغرافية تعرفها كل المجتمعات ويبدو أنها مرتبطة بعوامل بيولوجية تقلل من مقاومة الذكور فى الاعمار المبكرة لأمراض الطفولة بالمقارنة مع الاناث ، ولذا فان الزيادة العددية المبدئية فى الذكور تهبط باطراد الى أن يزيد عدد الاناث على عدد الذكور فى الاعمار المتقدمة وبهذا فان نسبة النوع فى معظم الشعوب التى لاتتأثر بعمليات الهجرة المغادرة أو الوافدة تقرب من ١٠٠ أو تقل عنها قلة طفيفة .

وتتأثر نسبة النوع فى المجتمعات زيادة ونقصانا ببعض العوامل التى أهمها :

- أ - الهجرة الوافدة أو المغادرة لكل من الذكور والاناث .
- ب - تباين معدل الوفيات بالنسبة لكلا النوعين فى الاعمار المختلفة .
- ج - الاخطاء فى البيانات التى يشملها التعداد مثل النقص فى تسجيل عدد الاناث .
- د - الحروب التى تؤدى الى زيادة كبيرة فى وفيات الذكور .

(١) تزيد أعداد المواليد الذكور على المواليد الاناث كظاهرة طبيعية فى معظم الحيوانات الثديية والانسان من بينها . ومن المؤكد أن معدلات وفيات الرضع والمواليد موتى من الذكور تفوق مثلتها لدى الاناث .

وقد سبق القول بأن الهجرة ذات أثر فعال في نسبة النوع ذلك لان الهجرة بطبيعتها كما هو معروف ظاهرة نوعية انتخابية (Selective) ، ومنذ القدم كان الذكور أكثر قدرة على الهجرة من الاناث ، ولكن بتقدم وسائل المواصلات أصبحت الهجرة تشمل كلا النوعين بل أنه في بعض الدول مثل المملكة المتحدة تفوق أعداد المهاجرات الاناث على أعداد المهاجرين الذكور من المملكة المتحدة واليهما ، وتلك سمة حديثة للغاية في نمط الهجرة الدولية وذلك لان بريطانيا حتى سنة ١٩٣١ كانت تعاني من خسارة صافية في عدد الذكور بسبب الهجرة الخارجة منها الى باقى أقاليم الامبراطورية أو الى العالم الجديد وقد عانت دول أوربية أخرى من نفس الظاهرة التي مازال تأثيرها واضحا حتى السنوات الاخيرة .

وقد انعكست الصورة في دول المهجر التي استقبلت أعدادا كبيرة من الذكور تفوق أعداد الاناث حتى الحرب العالمية الاولى وبدأ التوازن النوعي للسكان بعد ذلك ، وعلى سبيل المثال كانت نسبة النوع في استراليا في أوائل هذا القرن ١١٠ من الذكور مقابل ١٠٠ من الاناث ولكنها أصبحت في الوقت الحاضر ١٠٢ : ١٠٠ وكذلك الحال في كندا وبعض دول أمريكا اللاتينية .

وبالرغم من أن الهجرة الداخلية تعد هجرة نوعية انتخابية هي الأخرى الا أن عدد الاناث بدأ يتزايد في هذا النوع من الهجرة أكثر مما كان عليه من قبل وأصبحت سمة ديموغرافية كما في بريطانيا مثلا حيث تهاجر الاناث من الريف الى المدن في الصناعات الخفيفة والخدمات لدرجة أن بعض الدراسات أظهرت أن عدد الاناث في الريف الانجليزي يقل عن عدد الذكور في الفئات العمرية من ٤٠ - ٤٩ سنة مما كان له أثر كبير على مستوى الخصوبة والعمالة (١) .

وفي كثير من الدول النامية مازال الذكور يكونون النسبة الأكبر من المهاجرين الى المدن ، ويبدو ذلك بوضوح في الفئات العمرية الوسطى ، ففي مصر مثلا ترتفع نسبة الذكور على الاناث في المدن الكبرى كالقاهرة والاسكندرية حيث يعدان مهاجرا هاما يفد اليه عدد كبير من باقى محافظات الجمهورية ولذلك فان نسبة النوع في الاسكندرية مثلا تصل الى ١١٢ ، ١٣٠ ، ١١٦ في فئات العمر (٣٠ - ٣٤) ، (٤٠ - ٤٤) ، (٥٠ - ٥٤)

(1) Clarke, J., Population Geography, Op. Cit., p. 75.

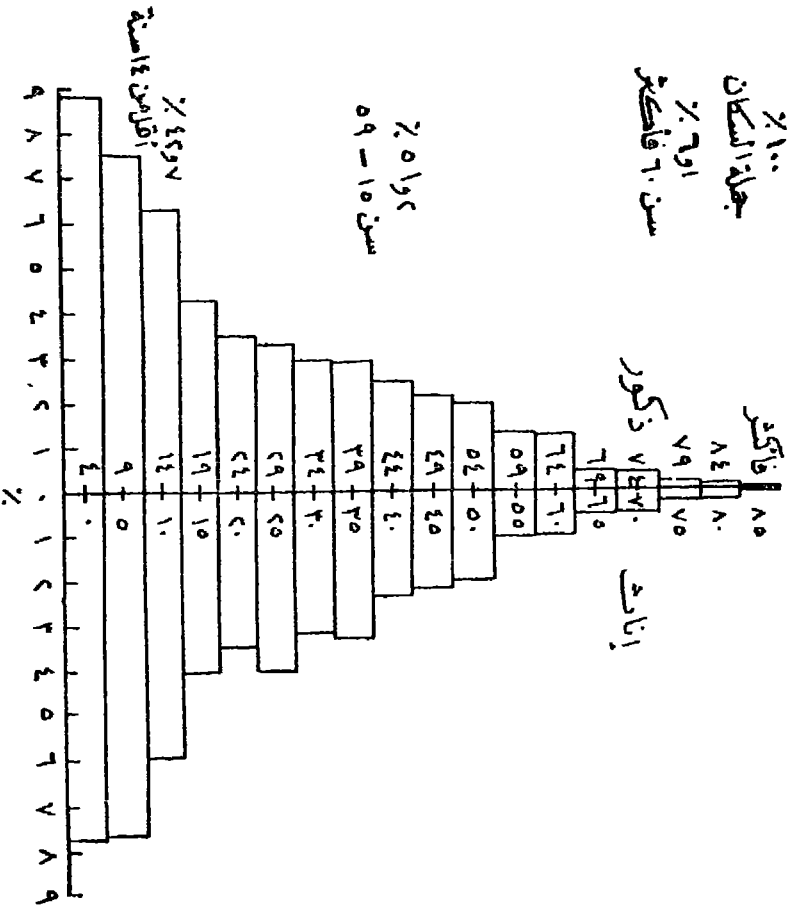
على الترتيب في تعداد سنة ١٩٦٠ ، وان اختلفت عن ذلك في التعدادات اللاحقة .

الهيم العمري النوعى للسكان Age - Sex Population Pyramid :

يعد الهيم العمري النوعى للسكان أسهل أنواع التمثيل البيانى فهما لاختلافات التركيب العمري النوعى بين المجموعات السكانية فى الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها وبعض، فعندما ترسم الفئات العمرية النوعية رسماً بيانياً تكون النتيجة هرمًا قاعدته العريضة تمثل أصغر الأعمار وتميل الجوانب بالتدرج صوب نقطة البداية الرأسية ممثلة النقص الناتج عن الوفيات فى كل مجموعة عمرية الواحدة تلو الأخرى ، وقد يرسم الهيم السكانى على أساس توضيح الأعداد المطلقة أو على أساس النسب المئوية معتمداً فى ذلك على الهدف من الدراسة ، ولكن ينبغى ملاحظة أن الأهرام المبنية على الأعداد تكون مفيدة بدرجة أكبر عند إجراء المقارنة بين سكان مجتمعين من نفس الحجم حيث تبين بشكل واضح مدى التغير المطلق وتوزيعه بين مجموعات العمرية والنوعية خلال سنوات محددة .

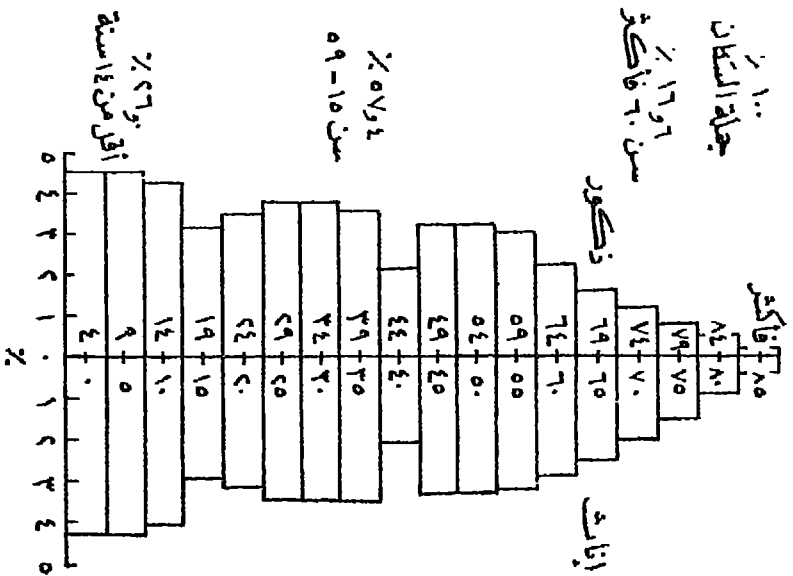
إلا أن استخدام النسب فى رسم الأهرام السكانية يكون ذا فائدة أكبر، ذلك لأنه باستخدامها تتساوى مساحة جميع الأهرام حتى لو اختلف حجم السكان بين الدول أو الجماعات المراد مقارنتها ، وتبين هذه الأهرام مدى الاختلاف العمري النوعى النسبى دون النظر إلى الحجم الكلى للسكان وذلك لأن الأهرام ستكون مختلفة من حيث الشكل ولكنها متماثلة فى المساحات ، ورغم أنها توضع جنباً إلى جنب لتوضيح الفوارق العمرية النوعية ، فإنها تكون أكثر جذباً للانتباه عندما يوضع كل منهما فوق الأخر ، كذلك فإنه رغم استخدام السنوات الفردية أحياناً فإن الشائع هو استخدام فئات العمر الخمسية .

وقد جرى العرف فى رسم الأهرام السكانية أن يمثل المحور الرأسى فئات السن ، بينما توضح الأعداد المطلقة النسب المئوية لكل فئة إلى جملة السكان على المحور الأفقى كما يوضع الذكور إلى يسار الخط الرأسى والإناث إلى يمينه ، ومعنى ذلك أن الهرم ليس إلا رسمين بيانيين موضوعين على جوانبهما وظهر كل منهما للأخر وخط المركز الرأسى يمثل الصفر ، وعند رسم الهيم باستخدام النسب المئوية فإن مجموع طول جميع الأعمدة (بما فى ذلك جانبا الذكور والإناث) يكون دائماً ١٠٠% ، وفى الرسم رقم (٣٠ ب) نستنتج من العامود الأسفل على اليسار أن الذكور فى مصر حتى سن الرابعة يصلون إلى حوالى ٩% من مجموع



شكل رقم (٣٠)
المهرجانات النوعية للسكان في فرنسا ومصر

١- فرنسا (١٩٥٩)



١٠٠٪

السكان ، وبمقارنته بالرسم (١٣٠) نجد أنهما يختلفان في الشكل وتبدو الفوارق بينهما في التوزيع النسبي للمجموعات العمرية والنوعية وذلك لان الحجم النسبي لكل مجموعة عمرية ونوعية في هرم مصر يمكن مقارنته على نحو مباشر مع المجموعات العمرية والنوعية في هرم فرنسا ومثال ذلك أن عدد الذين هم دون سن العشرين أكثر في مصر منه في فرنسا وهكذا .

ومن الحقائق الهامة التي ينبغي ادراكها في الحديث عن الاهرام السكانية أن السكان في أى مجتمع يتغيرون باستمرار حيث تتغير نسب الفئات العمرية والنوعية بفعل العوامل الديموغرافية كالوفيات والانجاب والهجرة وفودا أو نزوحا ، ولما كان الهرم صورة ساكنة فإنه يجمد الحركة السكانية في لحظة زمنية معينة هي تاريخ اجراء التعداد الذى رسم الهرم على أساس بياناته ، ولذا فان البعض يذكر بأنه يمكن النظر الى الهرم السكانى على أنه صورة تاريخ ديموغرافى لمجتمع ما - أى نتيجة مائة عام تقريبا من المواليد والوفيات والهجرة الوافدة أو النازحة (١) .

The Pyramid can be viewed as a picture of the "biological" history of a population - the result of 100 years of births, deaths, and migration.

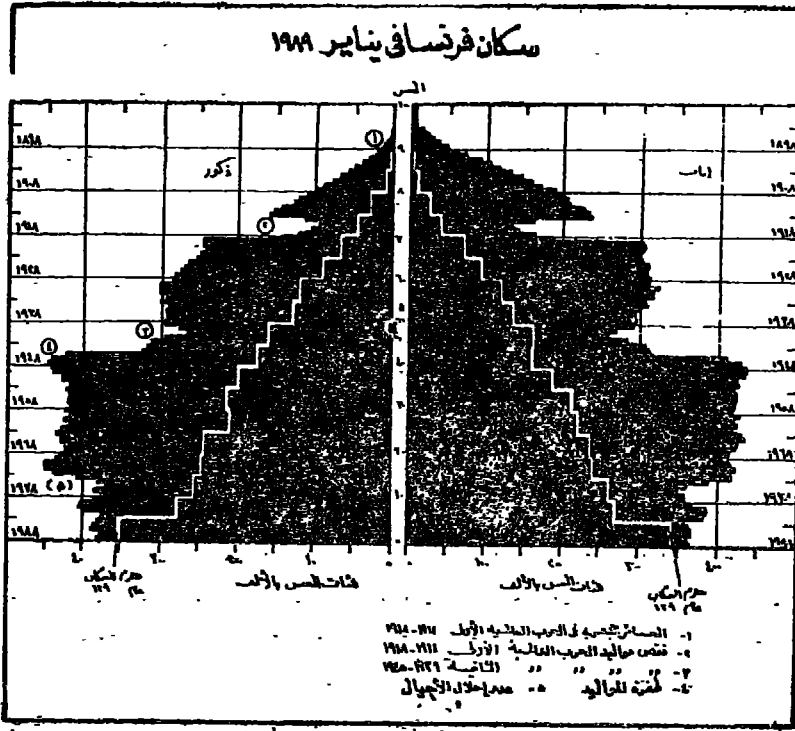
ويتأثر شكل الهرم السكانى بارتفاع أو انخفاض كل من المواليد والوفيات والهجرة في فترات سابقة ويبدو ذلك في نسب كل فئة عمرية لمجموع السكان من ناحية وعلاقتها بالفئات الادنى والاعلى من ناحية أخرى فان هبط معدل المواليد في قطر ما ثم ارتفع فان ذلك يؤدي الى تموجات تسرى في الفئات العمرية بالهرم التي تتناقص بمدى التقدم في العمر حتى يموت كل السكان الذين تمثلهم الاعمدة - وذلك بافتراض حدوث هجرة وافدة أو نازحة .

ولعل في دراسة الهرم السكانى لفرنسا مثل واضح على ما يمثله من حقائق ديموغرافية أثرت في تحديد شكله ، ففي الشكل رقم (١٣٠) يبدو التقلص الواضح الذى يبدو على هيئة فجوة عميقة في الهرم سببها الحجم الصغير نسبيا للفئة العمرية (٤٠ - ٤٤) ، و باستقراء التاريخ الديموغرافى لفرنسا فإنه يبدو مباشرة أن هذه الفئة العمرية تمثل الأفراد الذين ولدوا أثناء الحرب العالمية الاولى . وكان معدل المواليد في فرنسا أثناء سنوات تلك الحرب منخفضا عنه في السنوات السابقة على الحرب أو اللاحقة عليها

(1) Thompson, W.S. Lewis. D.T. Population Problem, Op, Cit, p 102

ولذا فقد كانت الفئة العمرية (٠ - ٤) صغيرة نسبياً في سنة ١٩٢٠، ونظراً لان معدل المواليد قد عاد بعد الحرب الى مستواه العادى فان الجيل الذى ولد أثناء الحرب أصبح يمثل فجوة دائمة فى الهرم السكانى للبلاد ويمرور السنين انتقل الى أعلى عبر الفئات العمرية المتعاقبة الى أن جاءت سنة ١٩٥٩ فأصبح فى الفئة العمرية (٤٠ - ٤٤) .

أما الفجوة الاخرى فى الهرم السكانى لفرنسا فقد نتجت عن عوامل مشابهة للفجوة السابقة ، وتبدو فى قلة السكان فى الفئة العمرية (١٥ - ٢٤) وهى تمثل الجيل الذى ولد خلال سنوات هبوط معدل المواليد بسبب الكساد العالمى والحرب العالمية الثانية - أى فيما بين عامى ١٩٢٤ - ١٩٤٤ (شكل ٣١)، يضاف الى ذلك عامل آخر هو أن جزءاً من الهبوط فى معدل المواليد فيما بين سنتى ١٩٣٤ و١٩٤٤ كان مرجعه أيضاً الى أن الفوج الذى ولد خلال الحرب العالمية الاولى كان يعد آنذاك فى أوائل سنوات الانجاب حيث كان عمره يتراوح بين ١٥ - ١٩ سنة فى عام ١٩٢٤ وبين



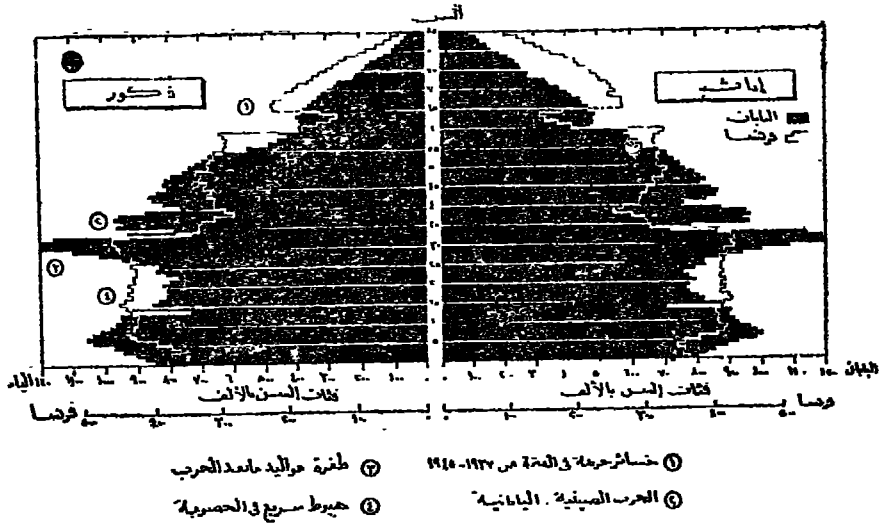
شكل رقم (٣١)
الهرم العمري النوعى لسكان فرنسا ١٩٨٩

٢٥ - ٢٩ في عام ١٩٤٤ ، وبذلك ساعد انخفاض معدل المواليد في الحرب العالمية الاولى على خفض معدل المواليد خلال الفترة من ١٩٣٤ - ١٩٤٤ .

وعلى النقيض من الهرم الفرنسى يبدو هرم السكان في مصر سنة ١٩٦٠ مختلفا في الشكل وخاصة في اتساع القاعدة وضيق القمة ، ولكن لاتبدو فيه نواحي تفاوت وشذوذ ظاهرة ، وأبرز السمات أن تزايد القاعدة في الفئات أقل من ١٥ سنة ناتج عن ارتفاع معدل المواليد في خلال الخمس عشرة سنة السابقة على سنة التعداد وهم بالتحديد نتاج الزيادة الطبيعية فيما بعد الحرب العالمية الثانية والتي تميزت بارتفاع معدلها بسبب انخفاض معدل الوفيات للاطفال الرضع واستمرار مستوى الخصوبة مرتفعا ، أما ضيق القمة فهو دليل ارتفاع معدلات الوفيات في الاجيال السابقة - وعموما فان هرم مصر السكانى يعد نمطا مميزا للاهرام السكانية في الدول النامية - فهو دليل على مجتمع ذى معدلات مواليد ووفيات عالية ، فالقاعدة العريضة تعكس ارتفاع معدل الخصوبة ، والتدرج الكبير النسبى بين مجموعات السن الكبيرة المتعاقبة يعكس ارتفاع معدل الوفاة ولم يتعرض المجتمع لتقلبات كبيرة في المعدلات الحيوية لزمنا طويلا ، ومن ثم يبدو التدرج كبيرا حتى سن الستين .

وينبغى الاشارة الى أن اتساع قاعدة الاهرام السكانية في الدول النامية وليد العقدين أو الثلاثة عقود الاخيرة وبالتحديد فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك لان النجاح الكبير في خفض معدلات الوفيات في الاعمار الصغرى (خاصة الاطفال الرضع) مع ثبات مستويات الخصوبة - أدى الى ارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بهذه الدول وبالتالي الى زيادة التراكم في قاعدة الهرم السكانى ، ولاريب في أن الدول ذات الاهرام عريضة القاعدة تسير في طريق النمو السكانى بدرجة أسرع من الدول ذات القاعدة الضيقة في اهرامها السكانية . وكذلك فان هذه الدول تتصف بارتفاع نسبة الاعالة وبانخفاض السن الوسيطة .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الهرم العمرى النوعى في اليابان سنة ١٩٦٠ يختلف عن النمطين السابقين ، ذلك لان هرم اليابان (شكل ٣٢) يوضح تأثير الانخفاض السريع في المواليد في التركيب العمرى لمجتمع صناعى متقدم . فقد اقيمت عيادات منع الانجاب وصار الاجهاض قانونيا ومأمونا وقبلت النفقات ، أما تأثير الحرب في اليابان فيمكن ادراكه من الفئة العمرية (٣٥ - ٤٩) التى تضم عددا من الذكور أقل بكثير من الاناث ، وكانت هذه الفئة بين سن ١٨ - ٣٢ في عام ١٩٤٢ .



شكل رقم (٣٢)

الهرم العمري النوعى لكل من اليابان وفرنسا

تصنيف الاهرام السكانية :

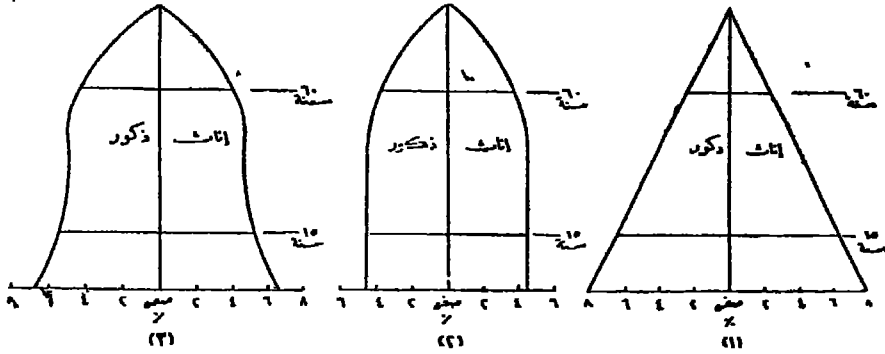
هناك ثلاث صور من الاهرام السكانية تكشف عن الجوانب الديموغرافية في المجتمع ، وهذه الصورة يبينها الشكل رقم (٣٣) وهى :

١ - الهرم ذو القاعدة العريضة والجوانب المنحدرة برفق نحو القمة ،
تبعاً للاعداد السابقة للمواليد والوفيات التى أسهمت فى تحديد شكله وهذا الهرم يمثل البلاد التى ينمو فيها السكان بمعدل كبير نتيجة انخفاض وفيات الاطفال ولم تخفض من معدل المواليد لديها ، وفى أمثال هذه البلاد يتزايد السكان بسرعة وتقل الاعمار الوسيطة وتصبح نسبة الاعالة الكلية بها أعلى النسب فى العالم - وقد يعرف المجتمع حينذاك بأنه مجتمع شاب أو تقدمى Progressive وينبىء بتزايد سريع متوسع فى عدد السكان وما يترتب على ذلك من انخفاض المستوى الاقتصادى والاجتماعى ويتمثل هذا الهرم فى الدول النامية بصفة عامة فى قارات أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا .

٢ - الهرم ذو القاعدة الضيقة والقمة المحدبة ، وهو يشبه خلية نحل من الطراز القديم ويمثل البلاد التى تتميز بانخفاض معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات ، ويعرف المجتمع الذى يمثله هذا الهرم بالمجتمع المسن أو الهرم أو التاخرى Regressive حيث يرتفع السن

الوسيطه وتنخفض نسبة الاعالة الكلية الى حدودها الدنيا فى العالم وترتفع نسبة المسنين فى المجتمع .

ويمثل هذا النمط من الاهرام السكانية فى معظم دول أوروبا وخاصة فى شمالها الغربى حيث تتمثل بارتفاع متوسط أمد الحياة وانخفاض معدل النمو السكانى وارتفاع المستوى الاقتصادى والصحى ، ويجدر بالذكر أن هذه الدول قد مرت بالهرم الفتى فى القرن التاسع عشر .

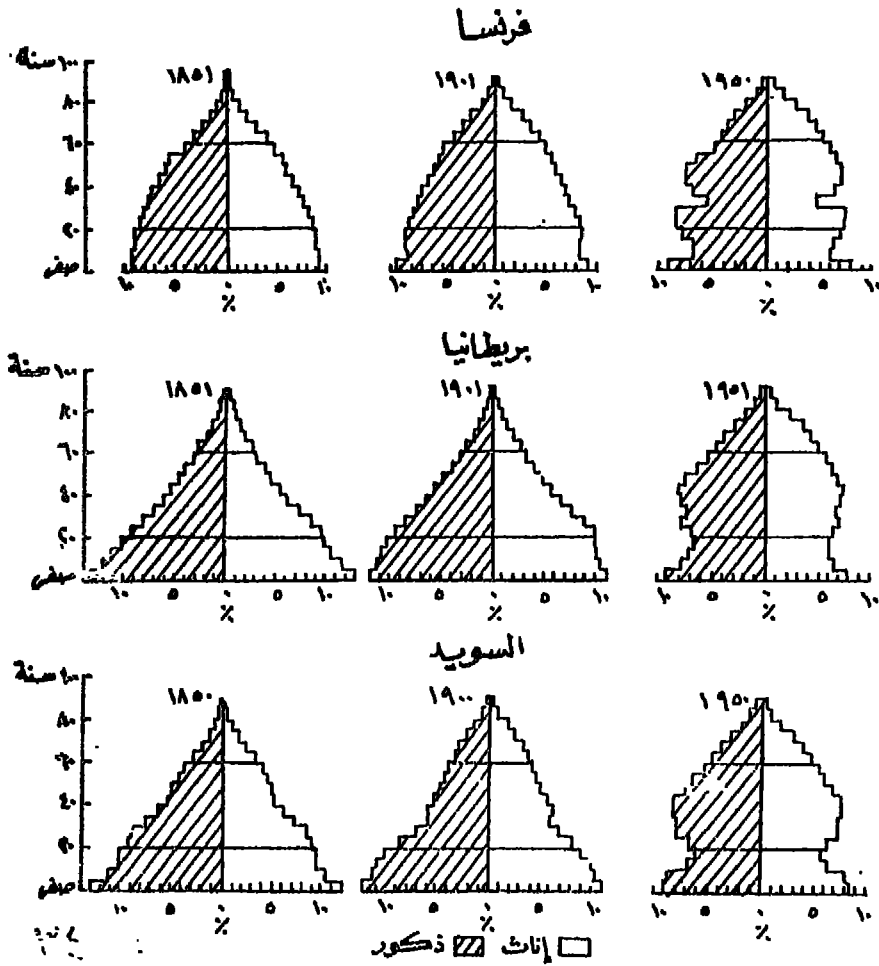


شكل رقم (٣٣)

النماذج الرئيسية للاهرام العمرية النوعية للسكان

٣ - الهرم ذو القاعدة المتوسطة وهو وسط بين الهرمين الفتى والمسنة وان كان شبيها بالجرس Bell-Shaped ويتمثل فى الدول التى حدثت لتركيبها السكانى تغير واضح كما هى الحال فى الولايات المتحدة وكندا ، ويمثل هذا النمط جماعة سكانية ذات نسبة كبيرة من السكان فى الاعمار الوسطى مع ضيق أو توسط فى القاعدة وتفلطح فى القمة ، ويرتبط ذلك بمجموعة من العوامل الديموغرافية ومن أهمها التحكم فى معدلات المواليد وتدفق أعداد من المهاجرين فى الاعمار الوسطى الى بعض الدول المتقدمة ممايزيد من أعداد السكان فى هذه الفئات العمرية كما هى الحال فى استراليا .

وأخيرا يلاحظ أن الدول التى تتميز بأهرام سكانية ضيقة القاعدة قد مرت فى تاريخها الديموغرافى بمراحل نمو عالية تمثلت فى أهرام سكانية عريضة القاعدة ويوضح شكل رقم (٣٤) ذلك مطبقا على فرنسا وبريطانيا والسويد فى خلال مائة سنة ، فقد تميزت هذه الدول فى منتصف القرن التاسع عشر بأهرام سكانية عمرية نوعية منتظمة الاشكال للغاية ومرتكزة على قواعد عريضة ، ومع ذلك فبالنسبة لفرنسا خاصة كانت قاعدة الهرم أقل اتساعا مشيرة بذلك الى أن عملية التعمر Ageing فى هذا البلد قد



شكل رقم (٣٤)

تطور هرم السكان في فرنسا وبريطانيا والسويد في الفترة (١٨٥٠-١٩٥١)

بدأت في فترة أسبق من الدولتين الاخريين ، وخلال النصف الثاني من القرن الماضي حدث تغير قليل نسبيا ، ولو أن النسبة المئوية للاطفال قد هبطت هبوطا طفيفا في الدول الثلاث ولكن تميزت السويد باتساع قمة الهرم العمري، وبحلول عام ١٩٥٠ تغيرت أشكال الاهرام العمرية تماما الى درجة أن كلا منها أصبح أكثر شبها بصورة البرميل المرتكز على قاعدة منه بصورة الهرم وتلك سمة مميزة لظاهرة تعمر السكان التي يعكسها النسبة المتزايدة من عدد البالغين وكذلك نسبة عدد كبار السن .

الفصل الثاني عشر

التركيب الاقتصادى للسكان

تعد دراسة التركيب الاقتصادى من العناصر الهامة فى دراسة تركيب السكان فيمكن من خلال هذه الدراسة تحديد ملامح النشاط الاقتصادى وأهمية عناصره وارتباطها بظروف البيئة الجغرافية كذلك يمكن الوقوف على نسب العمالة وحجمها وأهميتها وخصائصها المتعددة ومعرفة معدلات التعتل وتوزيعها حسب العمر والنوع والمهنة وغير ذلك ، كما أن دراسة التركيب الاقتصادى تسهم مباشرة فى تحديد حجم القوى العاملة فى المستقبل اعتمادا على اتجاه معدلات التغير فى نمو السكان وخصائصهم الاجتماعية واسهام الاناث فى القوى العاملة والمستوى التعليمى للسكان .

تعريف :

بالرغم من أن المفهوم الاساسى الذى يحدد النشاط الاقتصادى لا يختلف كثيرا من تعداد لآخر - فان السكان ذوى النشاط الاقتصادى Economically Active Population يمكن تعريفهم بوجه عام بأنهم «الافراد الذين يشتركون فى تقديم العمل لانتاج السلع الاقتصادية والخدمات ويتضمن ذلك ليس فقط العاملين وقت اجراء التعداد - بل كذلك المتعطلين أى القادرين على العمل والباحثين عنه، واذا وجد فرد يسهم بطريقة أو بأخرى بمجهود انتاجى للمجتمع فانه يمكن تصنيفه ضمن الاشخاص ذوى النشاط الاقتصادى والا اعتبر ضمن الافراد المعولين» (١) .

وعلى ذلك فان القوة البشرية فى المجتمع يمكن أن تنقسم الى قسمين :

١ - أفراد داخلون فى القوة العاملة :

وهم جميع الافراد الذى يسهمون فعلا بمجهودهم الجسمانى أو العقلى

(١) الامم المتحدة - العوامل الديموغرافية والقوة البشرية - التقرير الاول : الانماط العمرية والنوعية للمساهمة فى النشاط الاقتصادى (ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة - القاهرة - ١٩٦٧) - ص ٦ .

في أى عمل يتصل بإنتاج السلع أو الخدمات سواء كانوا يعملون بأجر أو بدون أجر أو لحسابهم الخاص أو أصحاب أعمال ، كما تشمل المتعطلين وهم القادرين على دخول سوق العمل ولكنهم لا يجدون العمل رغم رغبتهم فيه ويحثهم عنه .

ب - الافراد الخارجون عن القوة العاملة :

وهم الافراد الذين يقومون بأعمال لاتسهم مباشرة في انتاج السلع والخدمات . وتشمل هذه الفئة ربات البيوت والطلبة ، كما يدخل في عدادها غير القادرين على العمل مثل العجزة الذين لايمكنهم أداء عمل مئمر بسبب عاهة مقعدة أو مرض مزمن أو غير ذلك، كما يدخل في عدادها الاطفال دون سن السادسة ، والمحالين الى المعاش وكبار السن الذين تزيد أعمارهم على الخامسة والستين ماداموا لا يمارسون عملا مئمرًا(١) .

ويعد معدل النشاط الاقتصادي الخام Crude Activity Rate أسهل المقاييس لمقارنة مدى أسهام السكان في النشاط الاقتصادي في المجتمع ، ويقصد بهذا المعدل النسبة المئوية للسكان ذوى النشاط الاقتصادي من جملة السكان في جميع الاعمار ولما كان هذا المعدل عبارة عن نسبة بسطها العاملون من السكان ومقامها جملتهم فإنه لايعبر بدقة عن الاسهام الاقتصادي النوعى لهم حيث يتأثر تأثيرا كبيرا - مثل سائر المعدلات الخام الاخرى - بارتفاع معدلات الخصوبة وانخفاضها وما تحدثه من اتساع أو ضيق في قاعدة الهرم السكانى .

ومحاولة للوصول الى معدلات أكثر دقة من المعدل الخام فإن الامر يتطلب معرفة نسبة العاملين الى جملة السكان حسب كل فئة عمرية نوعية وهذا مايعرف بمعدل النشاط الاقتصادي العمرى النوعى ، وهو عبارة عن النسبة المئوية للأشخاص ذوى النشاط الاقتصادي الى جملة السكان في فئة عمرية معينة ، ومن الطبيعى أن التركيب العمرى يعد أهم عامل في تحديد هذه المعدلات حيث يختلف الاسهام في النشاط الاقتصادي من فئة عمرية الى أخرى ، ويقل جدا عدد الذين يدخلون ضمن ذوى النشاط الاقتصادي من بين السكان تحت سن عشر سنوات ولكن يرتفع معدل الاسهام في هذا النشاط للبالغين وعلى وجه الخصوص في أوائل سن العشرين أو الخامسة

(1) UN., Methods of Analysing Census Data on Economic Activities of The Population New York, 1968, pp. 2-5.

والعشرين عندما يفرغ الشباب من التعليم ، ويصبح مؤهلا للدخول في قوة العمل في هذه السن ثم مايلبث أن يهبط معدل النشاط الاقتصادي عند بلوغ سن التقاعد ومعنى ذلك أن منحنى المعدل ينخفض بحددة على طرفيه بينما يصل الى أقصاه في فئات العمر الوسطى .

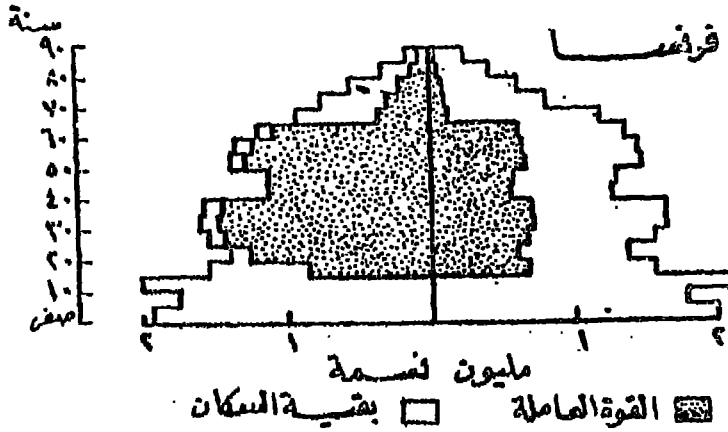
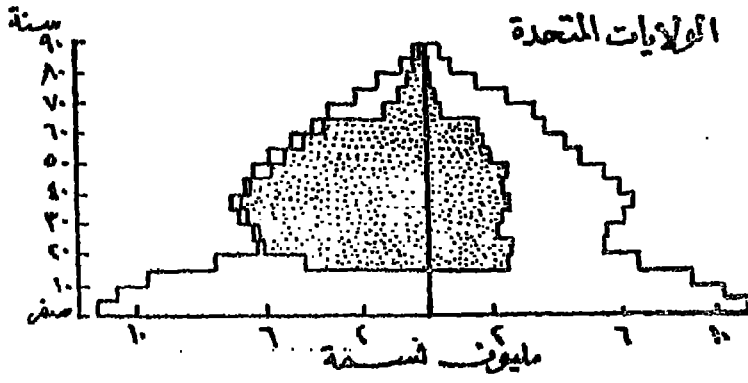
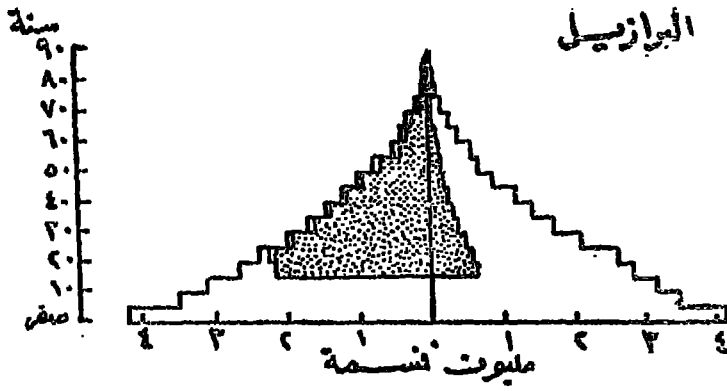
العمالة والتركييب العمري :

يعتمد حجم القوة العاملة في المجتمع على العوامل الديموغرافية والاجتماعية وليس من شك في أن ذلك يرتبط بحجم السكان ككل ، الا أن التركييب العمري يعد من أبرز العوامل الديموغرافية المؤثرة في القوة العاملة ، ففي المجتمعات النامية ذات النمو السكاني المرتفع تميل نسبة السكان العاملين الى الانخفاض وبالتالي فان هناك تزايدا في أعباء الاعالة لأفرادها لارتفاع نسبة الاطفال ، ولكن من الملاحظ كما يبين الجدول رقم (٣٧) والشكل رقم (٣٥) أن الصغار وكبار السن يسهمون في الدول النامية بدور كبير في النشاط الاقتصادي بل أن الاناث يشتركن في ذلك حيث يعملن في الزراعة مع أزواجهن - بل بدلا منهم في بعض المجتمعات الافريقية ومن ثم ترتفع نسبة المساهمين في النشاط الاقتصادي لانها تشمل الاطفال والانات والمسنين .

جدول رقم (٣٧) معدلات النشاط الاقتصادي للذكور حسب السن في ثلاث مجموعات من الدول حسب مستوى التقدم الاقتصادي (% من مجموع السكان في كل فئة عمرية) (١)

الفئة العمرية	دول صناعية	دول نصف صناعية	دول زراعية
١٠ - ١٤	٤ر١	١٣ر٢	٢٣ر٩
١٥ - ١٩	٧٢ر٤	٧٠ر٣	٧٨ر٤
٢٠ - ٢٤	٩١ر٥	٩١ر٨	٩١ر٢
٢٥ - ٣٤	٩٦ر٧	٩٦ر٢	٩٦ر٣
٣٥ - ٤٤	٩٧ر٦	٩٧ر١	٩٧ر٥
٤٥ - ٥٤	٩٥ر٩	٩٥ر٩	٩٦ر٣
٥٥ - ٦٤	٨٥ر٦	٨٨ر٩	٩١ر٦
٦٥ فأكثر	٣٧ر٨	٦١ر٠	٧٠ر١

(١) المرجع السابق - ص ٢٤ .
ويلاحظ أن أساس التقسيم بين الدول هو نسبة الذكور العاملين في الزراعة فالدول الزراعية تبلغ هذه النسبة بها ٦٠% فأكثر ونصف الصناعية بين ٣٥% - ٥٩% والصناعية أقل من ٣٥% .

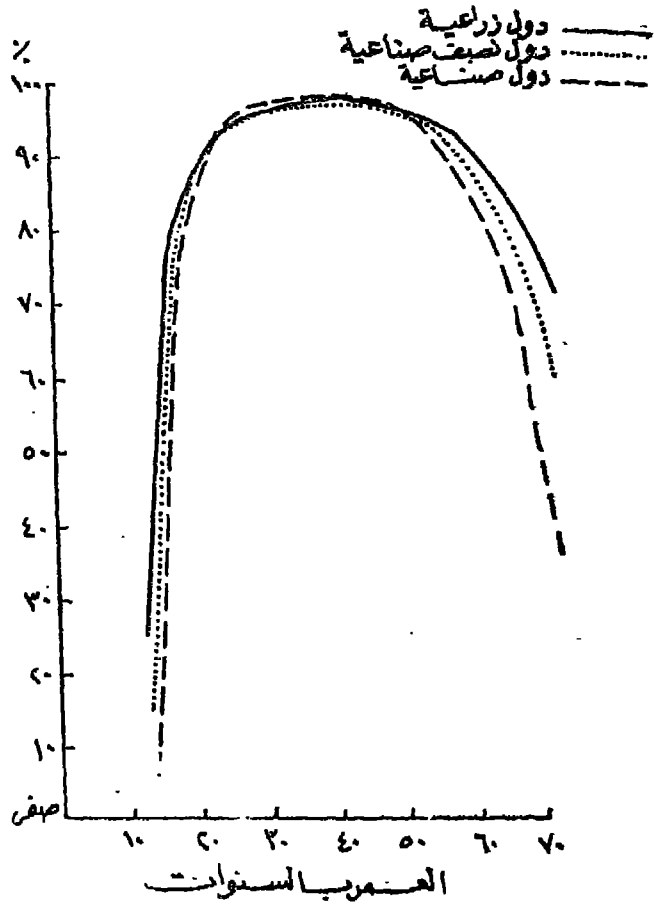


شكل رقم (٣٥)
حجم القوة العاملة في الهرم السكاني في بعض الدول

أما الدول المتقدمة فهي على النقيض من ذلك حيث تنخفض بها أعباء الاعالة لانخفاض مستوى الخصوبة وقلة عدد الاطفال الصغار (أقل من ١٥ سنة) وبالإضافة الى ذلك فان التعليم يكون إجباريا فيها للسكان حتى سن معينة ومن ثم يكون كل الاطفال خلال هذه السن خارج نطاق القوة العاملة (في فرنسا مثلا هناك شخص من كل أربعة أشخاص يتلقى التعليم بصورة من الصور ذلك لان سن الالزام قد رفعتة من ١٢ الى ١٤ وحتى الى ١٦ سنة) وفي مثل هذه الاقطار تتوفر التشريعات التى تتضمن معاشات للمسنين ومساعدات العجزة ، ولذلك كله تنخفض نسبة الصغار فى القوة العاملة بدرجة ملحوظة بالمقارنة بالدول شبه المتقدمة أو الدول النامية ويبدو من الجدول رقم (٣٧) وشكل رقم (٣٥) أن هناك حوالى ٤٪ من الذكور البالغ عمرهم من ١٠ - ١٤ سنة يعملون فى الدول الصناعية (المتقدمة) مقابل ١٣٪ فى الدول نصف الصناعية و ٢٤٪ فى الدول الزراعية .

وليمت هناك اختلافات بارزة فى معدلات النشاط الاقتصادى للمجموعات الثلاث من البلاد التى تعيش فى مستويات مختلفة من التنمية وذلك للفئات العمرية بين ٢٠ سنة الى ٥٥ سنة ، ثم يعود النمط المعتاد للاختلافات بين البلاد الصناعية والزراعية الى الظهور عند الطرف الاعلى للمنحنى العمرى حيث تبلغ نسبة العاملين من بين الذكور فى فئة العمر (٥٥ - ٦٤ سنة) ٩٣٪ فى البلاد الاقل تقدما مقابل ٨٦٪ فى البلاد الاكثر تقدما ، وتبدو اختلافات أكثر وضوحا عند أى فئة عمرية أخرى بالنسبة لمعدلات النشاط الاقتصادى بين الدول الصناعية والدول النامية للرجال البالغين من العمر ٦٥ سنة فأكثر ، وتدل نسبة العاملين فى هذه الاعمار بمختلف الدول على مدى الاهمية التى تلعبها الزراعة فى اقتصادياتها حيث أن العمل الزراعى يمكن أن يستمر الى سن متأخرة عن غيره من أوجه النشاط الاقتصادى الاخرى ويتجه السكان الى العمل ماداموا قادرين على ذلك جسمانيا ، ويبدو الفارق بوضوح بين الدول فى نسبة العاملين فى السن ٦٥ فأكثر حيث تصل هذه النسبة الى ٧٠٪ فى المتوسط فى الدول النامية مقابل ٣٪ فقط فى الدول الصناعية ولا تسمح أنماط النشاط الصناعى بالعمل لكبار السن بمعدل كبير ، فى الوقت الذى تساعد فيه مشروعات الضمان الاجتماعى القائمة والادخار فى كثير من الدول الصناعية على التقاعد فى سن مبكرة (١) .

(١) المرجع السابق - ص ٣٦ .



شكل رقم (٣٦)
معدلات النشاط الاقتصادي العمري للذكور حسب درجة التصنيع

معدلات النشاط الاقتصادي للإناث :

من المعتاد في تعدادات السكان أن تصنف الإناث ضمن القوى العاملة طالما أنهن يمارسن عملاً خارج المنزل ، ومع ذلك فإن هناك اختلافاً بين الدول في التعريف وفي درجة الشمول وخاصة في الدول النامية مما يصعب معه عقد مقارنة دقيقة بين درجة إسهام الإناث في النشاط الاقتصادي في هذه الدول ذلك لأن هناك بعض الدول تدخل الإناث العاملات في الزراعة ضمن قوة العمل والبعض الآخر يستثنين في ذلك .

ومع ذلك فإن هناك سمات عامة تميز معدلات إسهام الإناث في النشاط

الاقتصادى فى الدول النامية أو المتقدمة ، وبمقارنة هذين النمطين من الدول يلاحظ أن هناك فرقا كبيرا بين نسبة الاناث العاملات فى فئات السن المختلفة كما يبين الجدول رقم (٣٨) والشكل رقم (٣٧) ويبدو هذا الفارق بوضوح فى معدلات النشاط الاقتصادى للاناث من سن ١٥ الى سن ٢٥ سنة ، ومن المعتاد فى البلاد المتقدمة صناعيا أن تدخل أعداد كبيرة من الفتيات فى القوة العاملة عندما يتجاوزن سن الخامسة عشرة ويواصلن ممارسة العمل حتى الزواج ويلاحظ عادة انخفاض حاد فى معدلات نشاطهن بعد سن ٢٠ أو ٢٥ سنة كذلك ينخفض المعدل بعد سن ٥٥ سنة ، ويواصل عدد قليل جدا من الاناث فى هذه البلاد العمل بعد بلوغ سن ٦٥ سنة .

جدول رقم (٣٨) معدلات النشاط الاقتصادى العمرى للاناث حسب درجة التصنيع (% من جملة السكان الاناث فى كل فئة عمرية) (١)

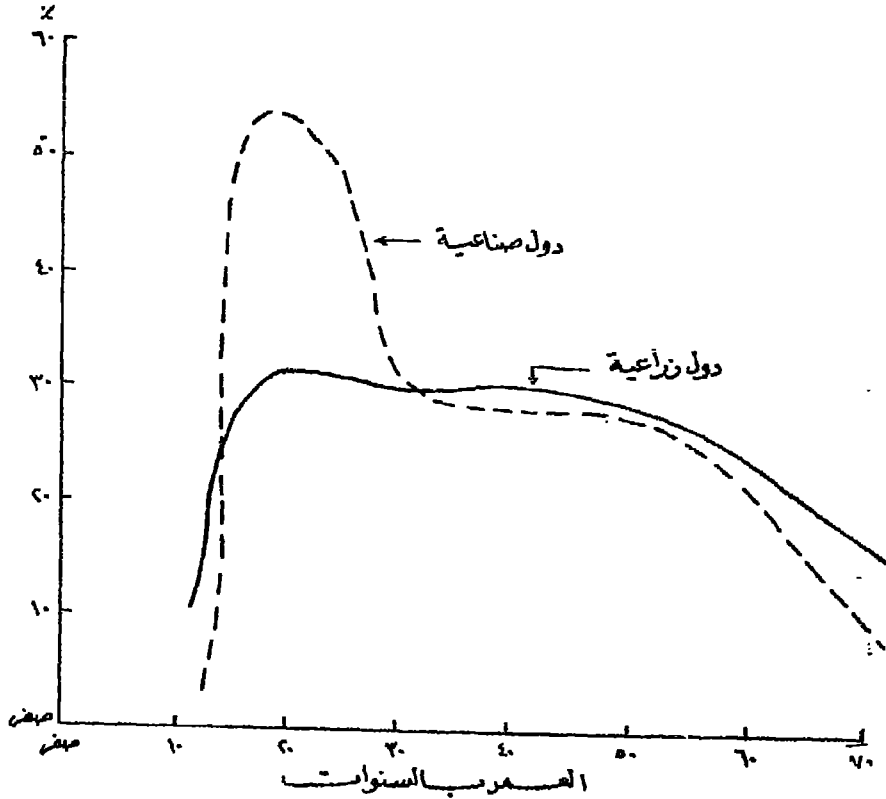
الفئات العمرية	الدول الصناعية	الدول الزراعية	الفئات العمرية	الدول الصناعية	الدول الزراعية
١٤-١٥	٢ر٤	١٠ر٢	٤٤-٣٥	٢٨ر٣	٣٠ر٦
١٩-١٥	٥٣ر٦	٣٠ر٩	٥٤-٤٥	٢٨ر١	٢٨ر٩
٢٤-٢٠	٥١ر٩	٣١ر٥	٦٤-٥٥	٢٠ر٨	٢٣ر٧
٣٤-٢٥	٣٠ر٣	٢٩ر٩	٦٥ فأكثر	٧ر١	١٤ر٣

أما بالنسبة للدول الزراعية (النامية) فليس هناك اختلاف كبير فى المعدل بين الأعمار القريبة من ٢٥ - ٥٥ سنة ، وفى معظم هذه البلاد فإن سوق العمل مازال تقليديا ولم يتطور بالمعنى المعروف فى الدول الصناعية ، وكما هى الحال فى معدلات نشاط الذكور فإن معدلات الاناث فى الأعمار الأصغر والأكبر تبدو أكثر ارتفاعا فى البلاد النامية عنها فى البلاد الصناعية ولا ريب فى أن ذلك يرجع الى نفس الأسباب السابقة .

ويتأثر دخول المرأة لسوق العمل بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة فى ذلك بمدى مكانة المرأة فى المجتمع ومستويات التعليم التى وصلت إليها والدور الذى تلعبه فى النشاط الاقتصادى . وفى معظم المجتمعات يكون للحالة المدنية للمرأة علاقة هامة فى احتمال اسهامها

(١) المرجع السابق - ص ٤١ .

في النشاط الاقتصادي ، فعند تساوى العوامل الاخرى فان احتمال دخول المرأة المتزوجة في مجال القوة العاملة يكون أقل من المرأة التى لم يسبق لها الزواج أو الارملة أو المطلقة التى تعتبر العمل بالنسبة لها ضرورة اقتصادية .



شكل رقم (٣٧)

معدلات النشاط الاقتصادي العمرى للاناث في الدول الصناعية والزراعية

وبالاضافة الى ما سبق فان هناك عوامل ديموغرافية تؤثر في اسهام المرأة في القوة العاملة حيث يكون للتغيرات في متوسط عمرة المرأة عند الزواج دور كبير في تحديد حجم وهيكل قول العمل النسائية ذلك لان هذه الخصائص تتأثر كذلك بالنواحي الديموغرافية الاخرى مثل معدلات زواج الاناث وانخفاض مستوى الوفيات مما يحد من ظاهرة الترمل ومعدلات الطلاق ومستوى الخصوبة ، كذلك فان العوامل غير الديموغرافية كالحالة الاقتصادية والاتجاه الى تحديد أو تشجيع تعليم المرأة وتشغيلها لها دور

هام في تحديد مدى اسهام الاناث طبقا لاختلاف حالاتهن المدنية في قوة العمل (١) .

أنماط التركيب الاقتصادي :

تعد أنماط التركيب الاقتصادي مكملة في دراستها لتحليل حجم القوة العاملة واختلافاتها العمرية النوعية ، ويقصد بأنماط التركيب الاقتصادي للقوة العاملة تقسيمها الى فئاتها الرئيسية الثلاث وهى النشاط الاقتصادي Industry or Economic Activity والمهنة Occupation والحالة العملية Employments status .

: Industry or Economic Activity تصنيف النشاط الاقتصادي

يعرف النشاط الاقتصادي بأنه المجال الذى يعمل فيه الفرد - أو هو النشاط الذى تمارسه المؤسسة أو المشروع ، ويبين توزيع مجالات العمل المتنوعة في المجتمع ، وقد حددت الامم المتحدة (مكتب العمل الدولي International Labour Office I.L.O., أنواع هذا النشاط في تصنيف خاص - يسمى «التقسيم الدولي الموحد للنشاط الاقتصادي أو التصنيف الصناعي International Standard Industrial classification واتبعته معظم دول العالم ومن بينها مصر - في تعداد السكان .

ويبين هذا التصنيف عشرة مجموعات كبرى للنشاط بما فيها مجموعة «ليس لهم نشاط» ، أما المجموعات التسع الرئيسية :

صفر : الزراعة والغابات وصيد البر والبحر

١ : المناجم والمحاجر (النشاط الاستخراجي)

٢ : الصناعات التحويلية

٣ : التشييد والبناء

٤ : الكهرباء والغاز والمياه والخدمات الصحية

٥ : التجارة والبنوك والتأمين

٦ : النقل والمواصلات والتخزين

٧ : الخدمات

٨ : أنشطة غير واضحة

(١) راجع ذلك بالتفصيل في المرجع السابق - صص ٥٩ - ٨١ .

وهناك تصنيف أعم من التصنيف السابق يجعل هذه الأقسام التسعة في ثلاث مجموعات رئيسية كبرى هي :

١ - مجموعة الأنشطة الأولية **Primary Group** :

وتشمل قطاع الزراعة والرى والغابات وصيد البر والبحر .

٢ - مجموعة الأنشطة الثانوية **Secondary Group** :

وتشمل قطاع المناجم والمحاجر والصناعات التحويلية والبناء والتشييد

٣ - مجموعة الأنشطة الثالثة **Tertiary Group** :

وتشمل القطاعات الأخرى - أى الكهرباء والغاز والمياه والتجارة والنقل والمواصلات والخدمات وغيرها .

ويمكن بسهولة في ضوء هذه المجموعات الثلاث - مقارنة أوجه النشاط الإقتصادى في أقاليم العالم المختلفة ، ذلك لان المجموعة الأولى تشمل كل فروع النشاط المرتبطة باستغلال الموارد الطبيعية الحيوية ، أما المجموعة الثانوية فتضم كل الأنشطة التى تتمثل في تحويل هذه الموارد للاستخدام أما المجموعة الثالثة فتشمل أنشطة خدمات متعددة ولا ترتبط بإنتاج السلع المادية ، وتبين الأهمية النسبية لهذه المجموعات الثلاث مستوى التنمية الإقتصادية في العالم بصورة عامة .

التركيب المهنى **Occupation** :

في محاولة لتحليل مكونات التركيب الإقتصادى - أو فرع منه - فإنه يمكن تصنيف الفروع المختلفة المكونة له فيما يعرف بالتصنيف الاجتماعى المهنى **Socio Professional** والذي يهتم فقط بالحرفة - أى نوع العمل الذى يمارسه الفرد - فقد تتوزع الواحدة في أكثر من نشاط إقتصادى ، ويتحدد التركيب المهنى في عشر مجموعات هو الأخر على النحو التالى :

١ - أصحاب المهن الفنية والعلمية .

٢ - المديرين .

٣ - المشتغلون بالأعمال الكتابية .

٤ - المشتغلون بأعمال البيع .

٥ - المشتغلون بأعمال الزراعة والصية وقطع الأشجار .

- ٦ - المشتغلون بالمناجم والمهاجر .
- ٧ - المشتغلون بالنقل والمواصلات .
- ٨ - أصحاب الحرف والصناع والعمال والفعلة ومن اليهم .
- ٩ - المشتغلون بالخدمات الرياضية والترفيهية وغيرها .
- ١٠ - عمال غير مصنفين في حرف أخرى .

وغالبا ما تتحدد هذه المهن الرئيسية المذكورة للأفراد الذين بلغوا من العمر ١٥ سنة فأكثر ، بعكس النشاط الاقتصادي الذي قد يتحدد بسن السادسة كحد أدنى ومن الطبيعي أن التركيب المهني يتأثر بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية وغيرها سواء كانت مجتمعات زراعية أو صناعية .

الحالة العملية *Employments Status* :

ويقصد بها حالة الفرد في العمل الذي يمارسه وهل هو صاحبه أو يعمل بأجر نقدي أو متعطل عن العمل وغير ذلك وتنقسم الحالة العملية للأفراد إلى سبع فئات رئيسية هي :

- ١ - صاحب عمل ويديره .
- ٢ - يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا .
- ٣ - يعمل بأجر نقدي .
- ٤ - يعمل لدى ذويه بدون أجر نقدي .
- ٥ - يعمل لدى الغير بدون أجر نقدي .
- ٦ - متعطل (قادر على العمل ويبحث عنه) .
- ٧ - غير قادر على العمل .

وقد يضاف أحيانا السكان الذين لا يعملون ولا يبحثون عن عمل ، ومن النتائج الهامة في دراسة الحالة العملية تحديد خصائص هيكل العمالة وحساب معدلات التعتل سواء على مستوى أقاليم الدولة أو بين الدول المختلفة وهذه يمكن أن تكون مؤشرا هاما للكثير من الملامح الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية في المجتمع مثل الحالة التعليمية والتركيب العمري والنوعى وغير ذلك .

وكمثال على أنماط النشاط الاقتصادي والمجموعات الرئيسية للقوى العاملة نورد هنا مثالا لمصر حسب بيانات التعداد في الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٨٦ وذلك بالنسبة الآتية (١)٪ :

التصنيف العادي	المجموعات الكبرى	١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٨٦
الزراعة والصيد	أولية	٥٧ر٥	٤٧ر٦	٣٧ر٦
المناجم والمحاجر الصناعات التحويلية التشييد والبناء	ثانوية	١١ر٤	١٧ر٨	١٩ر٣
الكهرباء والغاز والمياه التجارة النقل الخدمات	ثالثة	٢٩ر٦	٣٣ر٢٠	٣٣ر١
أنشطة أخرى		١ر٥	١ر٨	٦ر٧
الجملة		١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

وتظهر بيانات التعداد لمعظم الدول هذه التقسيمات الثلاثة للتركيب الاقتصادي موزعة حسب العمر والنوع والحالة التعليمية ومن ثم يمكن استنتاج الكثير من الحقائق في دراسة العلاقة بين المهن والمتغيرات المذكورة وكذلك خصائص العمالة العمرية والتعليمية وغير ذلك .

تطور مجموعات الأنشطة الرئيسية :

أن المتتبع لتطور النشاط الاقتصادي في الدول المختلفة يلمس تغييرا بارزا في الأهمية النسبية لقطاعات هذا النشاط من تعداد لآخر في فترة زمنية طويلة ، فعلى سبيل المثال ارتفعت نسبة العاملين في المهن الصناعية في كندا من ٢٨٪ سنة ١٩٢١ إلى ٤٣ر٣٪ ١٩٦٢ ، وفي ألمانيا هبطت نسبة العاملين في مهن المجموعة الأولى من ٢٣ر٢٪ سنة ١٩٥٠ إلى ١٣ر٨٪ سنة ١٩٦٠ . وتظهر دراسة التطور على مدى زمني طويل ظاهرات ثابتة محددة ، فهناك تناقص عام في المجموعة الأولى وتزايد وتنوع في المجموعة

(١) التعداد العام للسكان في السنوات المذكورة .

الثانوية وتباين في المجموعة الثالثة زيادة ونقصانا ، وتبين أرقام الجدول (٣٩) التباين في الأهمية النسبية للمجموعات الثلاث في دول مختارة .

جدول رقم (٣٩) النسبة المئوية للعاملين في مجموعات الأنشطة الرئيسية في بعض الدول (حوالي ١٩٨٤)

المجموعة الثالثة	المجموعة الثانوية	المجموعة الأولى	
			دول نامية :
٢٠	٣٠	٥٠	مصر (*)
٤٧	٨	٤٥	غانا
٣٠	١٨	٥٢	أندونيسيا
			دول متقدمة :
٥٥	٣٥	١٠	اليابان
٦٥	٢٨	٧	أستراليا
٦٣	٣٤	٣	إنجلترا وويلز

مجموعة الأنشطة الأولية : The Primary Group

سبق القول بأن المجموعة الأولية تشمل أنشطة مختلفة أهمها على الإطلاق حرفة الزراعة ، وتختلف هذه الحرفة اختلافا جديرا من بيئة لبيئة ، فهناك الزراعة التجارية الواسعة في أمريكا الشمالية وأستراليا والتي يعد الربح المادي الحافز الرئيسي لها وتستخدم الآلات بكثافة وتتميز بإنتاجية عالية ، ثم الزراعة الأوروبية الكثيفة الآلية أيضا وذات الانتاجية العالية كذلك ، ويقابل ذلك زراعة الدول النامية والتي تعد زراعة معاشية في المقام الأول وتعتمد على وسائل متخلفة وعلى أيد عاملة كثيفة أكثر من اعتمادها على الآلات .

ويتمشى مع هذه الأنواع الرئيسية للزراعة تباين اجتماعي كبير في الحياة الريفية فهناك بعض المزارعين يملكون الأرض التي يفلحونها وآخرون يستأجرون الأرض وقطاع ثالث يجمع بين النظامين - وتعتمد هذه الزراعات على عمال زراعيين سواء أفراد الأسرة الواحدة أو عمال

(*) المصدر :

Atlas ECO, 1985., Atlas, Economique Mondial.



٤٠٧٥
٢٥١٠

١٠

١٠

١٠
١٠

١٠

١٠



شكل رقم (٣٨)

١٠

مستخدمين بأجر مدفوع نقدي أو عيني ، وقد يكونوا دائمين أو موسمين ، وليست هناك بيانات دقيقة لهذه الانواع من العمالة الزراعية يمكن مقارنتها في دول العالم ، وان كانت بيانات الامم المتحدة توضح نسبة العاملين في الزراعة من جملة السكان بطريقة عامة لاتمكن من المقارنة الدقيقة .

ولكن على العموم فان حوالى نصف القوة العاملة في الدول النامية يعمل في الزراعة وتزداد هذه النسبة في الدول الاقفر لتقترب من ثلاثة ارباع العاملين أو أكثر (في بورندي ٨٠٪ وبيوركينا فاسو ٧٢٪ واثيوبيا ٨٠٪ والصومال ٨٢٪) .

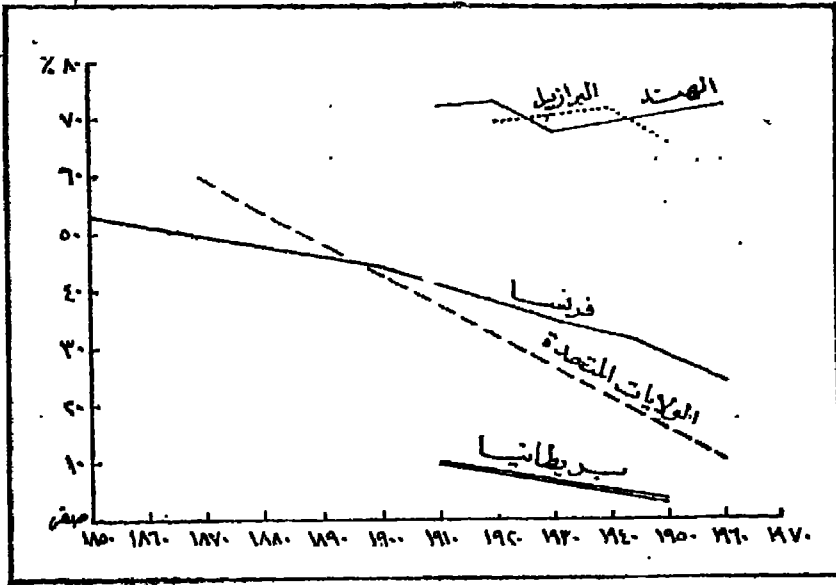
تدهور مجموعة الانشطة الاولية :

لما كانت المجموعة الاولية تشمل أنشطة حيوية غير متقدمة في معظمها ، فمن الطبيعي أن التقدم الاقتصادي سيؤدي الى تدهورها وقلّة نسبة العاملين بها ، ولكن لايعنى هذا الهبوط في النسبة تناقصا بالضرورة في أعداد العاملين بالزراعة ذلك لان هناك دولا هيبتت نسبة العاملين في الانشطة الاولية بها ولكن في نفس الوقت شهدت تزايدا في عدد العاملين بالزراعة ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال الى تزايد أعداد العاملين في قطاعات النشاط الثانوية والثالثة الاخرى ، ومن الطبيعي أن دول العالم تتباين فيما بينها في اتجاه هبوط نسبة السكان العاملين في الانشطة الاولية وذلك راجع الى ظروفها المحلية التي تؤثر في ايقاع المنحنى الاقتصادي بها . ويمكن أن تساق بعض الامثلة هنا لتوضيح ذلك (انظر شكل ٣٩) .

وتعد المملكة المتحدة مثلا فريدا على الدول التي تدهورت فيها نسبة العاملين بالحرف الاولية بشكل واضح وقد نتج انخفاض نسبة السكان الزراعيين بها عن عوامل ابرزها علاقاتها التجارية الحرة وواردات الغذاء من اقاليم ما وراء البحار منذ وقت مبكر ، فمنذ ١٨٨١ تناقص عدد السكان الزراعيين سواء في العدد المطلق أو في النسبة ، التي أصبحت حاليا منخفضة بشكل كبير حتى وصلت الى قرابة ٣٪ فقط من جملة السكان العاملين .

وفي معظم الدول الاخرى المتقدمة اقتصاديا تزايدت أعداد السكان الزراعيين حتى حوالى سنة ١٩٣٠ ثم بدأت في التناقص ، بالرغم من أن نسبتهم الى جملة القوى العاملة تناقصت ببطء منذ حوالى نهاية القرن الماضي أو في أوائل القرن العشرين ثم بسرعة في خلال العقدين أو الثلاثة

عقود الاخيرة ، وينطبق ذلك بوضوح على الولايات المتحدة والتي بلغت القوى العاملة الزراعية بها اقصاها في سنة ١٩١٠ وفي كندا (حيث كان الحد الاقصى في ١٩٣١) وفي الدول الاسكندنافية والمانيا وايطاليا ، على أن هذه الدول لم تصل بعد الى مستوى واحد ، ففي كندا مثلا تنزل نسبة السكان الزراعيين ١/٣ من العاملين وتقل عن ذلك في الولايات المتحدة . بينما في ايطاليا ماتزال النسبة نحو ثمن عدد العاملين في النشاط الاقتصادى (١٢٤٪) .



شكل رقم (٣٩)

تطور نسبة العاملين في مجموعة الانشطة الاولى في بعض الدول

وقد شهدت بعض اقطار أوروبا هبوطا مماثلا ففي فرنسا مثلا حيث لايتزايد السكان الا بنسبة ضئيلة ، تناقص عدد العمال الزراعيين منذ سنة ١٩٢١ ولكن مع ذلك بقيت النسبة مرتفعة ، ففي تلك السنة كانت النسبة ١/٢ من القوى العاملة هبطت في سنة ١٩٥٤ الى الربع ثم أقل من العشر سنة ١٩٨٥ .

أما الدول الشيوعية فان الهبوط في نسبة العاملين في الانشطة الاولى يكون مخططا ومنتظما من قبل الدولة ، ذلك لان من الضروري احداث تغييرات في التركيب الاقتصادى ونمو الصناعة والانشطة الثالثة ، وقد

ساعد على ذلك عدة اجراءات من أبرزها الميكنة الزراعية التى تسمح بتحول عدد كبير من سكان الريف الى حرف أخرى غير زراعية .

أما فى الدول النامية فان تطور الحرف الاولية يبدو اقل ارتباطا بالتطور الاقتصادى العام بها وان كانت بعض هذه الدول قد شهدت طفرة اقتصادية غيرت من نمط التنمية بها نتيجة اكتشاف واستغلال الثروات البترولية كما فى فنزويلا والعراق . ففى فنزويلا فيما بين سنتى ١٩٤١ و ١٩٤٠ هبطت نسبة السكان العاملين فى الزراعة من ٥١% الى ٤١% وكان معدل الخروج الريفى (الهجرة من الريف) فى هذه الدول أعلى من أى دولة أخرى فى أمريكا اللاتينية ، كما يعد واحدا من أعلى المعدلات فى العالم ، وتتجه كل الاستثمارات تقريبا نحو استخراج الثروة المعدنية (البترول والحديد والمنجنيز) بينما لاتحظى الزراعة الا بنسبة ضئيلة من هذه الاستثمارات (٤% فقط) ويعيش سكان الريف فى مستوى معيشى منخفض للغاية .

ويمكن اتخاذ البرازيل مثلا آخرى ، حيث تتزايد التنمية الاقتصادية بها باستمرار ، وحيث توجد اقاليم ومدن فى الجنوب تتميز بالثراء وارتفاع مستوى العيش بها مثل ساو باولو وريو دى جانيرو ومن ثم تجذب أعدادا كبيرة من المهاجرين من المناطق الريفية بينما المراكز العمرانية الحضرية فى الشمال الشرقى عاجزة عن استيعاب المهاجرين اليها وعلى أى حال فقد هبطت نسبة العاملين فى الزراعة بالبرازيل بين عامى ١٩٤٠ ، ١٩٥٠ من ٦٤% الى ٥٨% رغم أن الاعداد المطلقة زادت تزايدا بطيئا ، وتصل هذه النسبة الى ٣٠% سنة ١٩٨٥ .

أما الهند فهى فى موقف مختلف فقد تزايدت أعداد العاملين بالزراعة بها وكذلك نسبتهم الى جملة العاملين ففى الفترة من ١٩٤١ - ١٩٥٩ استوعبت الزراعة ٧٠% من العمال الجدد الذين قهر عددهم بنحو ٢٠ مليون عامل وتوضح بيانات سنة ١٩٦٠ أن الزراعة مازالت تستوعب ٧٠% من جملة القوى العاملة فى الهند وهى نسبة أعلى بقليل عما كانت عليه فى بداية هذا القرن ، ولكنها انخفضت بعد ذلك لتصل الى ٦٣% سنة ١٩٨٥ .

مجموعة الانشطة الثانوية : The Secondary Group :

تشمل هذه المجموعة أنشطة متعددة تتفق فى أنها تسهم فى انتاج السلع المادية ، فهى تضم الصناعات الاستخراجية والصناعات التحويلية والبناء والتشييد ويتباين التركيب المهنى فى هذه المجموعة بدرجة أكبر من مثيله

في الزراعة فهناك فئة المديرين والفنيين والاداريين والعمال المهرة وغير
المهيرة وغيرهم .

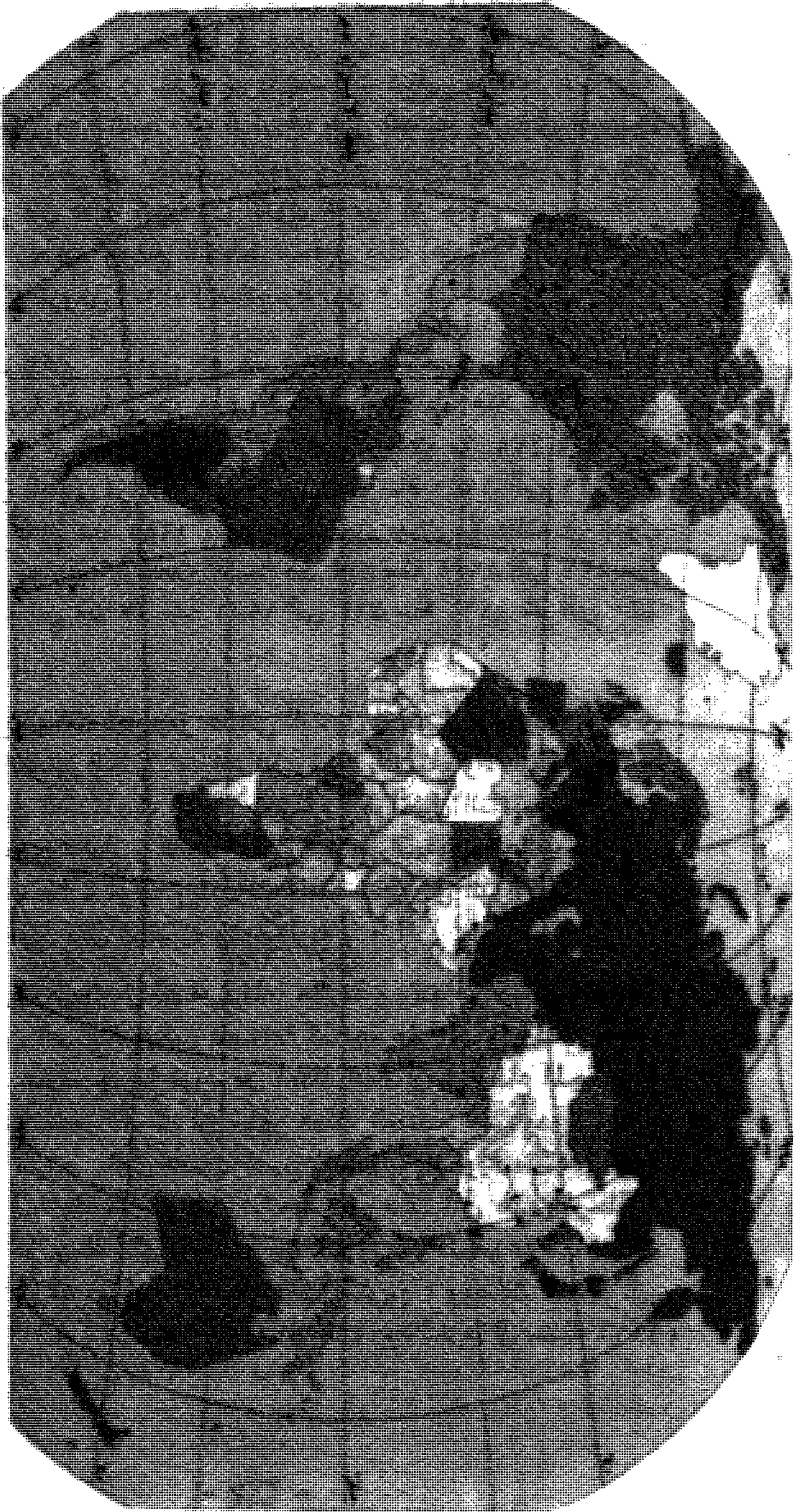
وتعد المجموعة الثانوية ضخمة ومتشعبة ، ذلك لانها ذات علاقات
قوية بالمجموعة الاولى والمجموعة الثالثة خاصة التجارة أو النقل وهما
عصبا الانتاج الصناعى دون شك ، ولذلك فان الدراسة التفصيلية للمجموعة
الثانية تتطلب بحث كل نوع من أنواع النشاط بها على حدة حتى يمكن
اجراء تقسيم أفقى للعاملين اليدويين وغير اليدويين مثلا أو عمال مهرة
وغير مهرة وهكذا .

وتحظى أنشطة المجموعة الثانوية بأهمية كبرى في اقتصاديات دول
العالم ، وقد شهدا نموا كبيرا في معظم الدول اترتبط بالتنمية الاقتصادية
بها ولاريب في أن موجة التصنيع التى تصود العالم تعد مظهرا هاما من
مميزات العصر الحديث .

وقد بدأ النمو الصناعى منذ نهاية القرن السابع عشر في أوروبا وتطور
بصورة واضحة في القرن التاسع عشر عقب الثورة الصناعية التى كانت
الآلة والفحم دعامتين رئيسيتين لها ، والواقع أن غرب أوروبا كان مهد هذه
الثورة حيث شهد اكتشافات واختراعات متعددة حتى ليتمكن القول بأن
هذا الاقليم كان معمل العالم الحديث World Laboratory الذى خرجت
منه أساليب النهضة التى شهدتها الصناعات التحويلية في بقية أقاليم العالم .

وقد اتجبت حركة التصنيع من غرب أوروبا الى الولايات المتحدة، والى
جيبوب منعزلة في بقية أوروبا وفي روسيا ، وفي هذه الاقطار الرائدة كانت
المجموعة الثانوية من النشاط الاقتصادى ذات أهمية بارزة في بداية القرن
الشرين حتى وصلت الى ٤٥% في سويسرة وبلجيكا و ٤١% في المملكة
المتحدة و ٤٠% في المانيا و ٣٠% في الولايات المتحدة و ٢٩% في فرنسا
وكندا و ٢٦% في استراليا ولكن مازالت هذه النسبة منخفضة في الدول
النامية على وجه العموم اذا ما قورنت بالدول المتقدمة كما يبدو من الشكل
رقم (٤٠)

ومن الصعب كما هو معروف - أن تظل التنمية الاقتصادية في دول
معينة أسيرة حدودها السياسية ، فالصناعات التحويلية الضخمة تحتاج
موارد أولية وخاصة موارد الثروة المعدنية التى ترد اليها من الخارج، ومن
ناحية أخرى فان الدول الصناعية الغنية تستثمر جزءا من فائض أموالها



٤٠-١٠٠
 النسبة المئوية من السكان
 العاملون في الزراعة
 مراو الاستعمارية

نسبة السكان النشطة في الزراعة
 والصناعة في العالم
 ٤٠-٢٠
 ٤٠-٤٠
 ٤٠-٦٠
 ٤٠-٨٠

شكل رقم (٤٠) نسبة العاملين بالصناعة في دول العالم

في الدول الاجنبية ومثال ذلك أن مصانع السيارات الاوربية الكبرى لها فروع اسعاع السيارات وتجميعها في بعض دول الشرق الاوسط وأمريكا اللاتينية ولذلك فقد ظهرت خارج أوروبا صناعات تنافس مثلتها الاوربية، وشجع على تطور هذه الصناعات الظروف التي شهدتها أوروبا في الحربين العالميتين والتي أدت الى اخلال جذرى بتنظيم الانتاج والتجارة ، وفي الوقت الحاضر فان عددا كبيرا من الدول النامية قد حصل على استقلاله وأخذ بنصاية التصنيع ووضع الخطط لتحقيق ذلك اعتمادا على رؤوس أموال أجنبية أو قروض لانشاء المصانع والطرق .

وقد شهد الكثير من دول العالم تزايدا في نسبة العاملين بانشطة المجموعة الثانوية فقد ارتفعت هذه النسبة في امتراليا مثلا من ٢٦٪ في أوائل هذا القرن الى ٣٢٪ في سنة ١٩٣٢ والى أكثر من ٢٨٪ في الوقت الحاضر ، وفي اليابان تزايدت النسبة من ٢٢٪ سنة ١٩٥٠ الى ٢٩٪ سنة ١٩٦٠ ثم الى ٣٥٪ سنة ١٩٨٥ . ونفس الاتجاه يمكن ملاحظته في الدول النامية ، ففي كولومبيا ارتفعت النسبة من ١٣٪ سنة ١٩٣٨ الى ٢١٪ سنة ١٩٨٥ وفي باكستان من ٧٪ سنة ١٩٥١ الى ١٣٪ سنة ١٩٦١ ثم الى ٢٠٪ سنة ١٩٨٥ .

ولا شك في أن التصنيع رمز حقيقي للتحول الاقتصادي ولا يبدو أثره في زيادة الدخل القومي فقط بل بتزايد القدرة على الانتاج والاستهلاك معا ، وغالبا ماتكون الصناعات الثقيلة هي أولى مراحل التصنيع كأساس للصناعات الاخرى ، وأبرز الامثلة انشاء مصانع الحديد والصلب كما في حلوان مصر ومنطقة فولتا ريديندا Volta Redonda في البرازيل ، وقد تبعتها دول أخرى مثل المكسيك وشيلي وبيرو .

كذلك فمن المعروف أن انشاء صناعة ما يعقبه بالتداعى انشاء صناعات أخرى ذلك لان الصناعة تجذب الصناعة كقاعدة عامة ويؤدي ذلك بدوره الى جذب أيد عاملة جديدة تزيد من أعداد العاملين في قطاع المجموعة الثانوية بيد أنه ينبغي ادراك أن تطور عملية التصنيع ليس بدون حدود فبعد الوصول الى مستوى معين تصبح المجموعة الثانوية متشعبة تماما ومن المحتمل أن دولة مثل المملكة المتحدة قد وصلت الى هذه المرحلة ، ذلك لان ٤٣٪ من جملة القوى العاملة بها كان في هذه المجموعة سنة ١٩١١ ولم يحدث الا تزايد ضئيل للغاية منذ ذلك التاريخ ، ووصلت النسبة الى ٤٧٪ سنة ١٩٣١ و ٤٦٪ سنة ١٩٥١ ثم ٤٧٪ مرة أخرى في سنة ١٩٦١ ووصلت سنة ١٩٨٥ الى ٣٤٪ .

ومن المسلم به أيضا أنه كلما تزايدت أعداد العاملين في مهنة المجموعة الثانوية فإن ذلك يتبعه تغيرات في خصائص هذه المهنة فتقوم الصناعات الاستخراجية في البداية معتمدة على استغلال موارد الثروة المعدنية التي تتباين نسبتها معتمدة على الموارد المتاحة في القطر والفئة الثانية في هذه المجموعة هي الصناعات الغذائية التي تنمو بسرعة يساعدها في ذلك تزايد إنتاج المواد الأولية والاستهلاك ثم صناعة الغزل والنسيج التي قد تقوم لسد الحاجة المحلية أو التصدير .

وإذا تتبعنا النمو الصناعي في دولة ما نلاحظ أنه يبدأ بصناعات بسيطة ثم ما تلبث أن تعقبها صناعات أخرى متقدمة بما فيها الصناعات الثقيلة ويصدق ذلك على الدول المتقدمة والدول النامية - وكذلك على الدول الشيوعية . وغالبا ما تتطور الصناعات القائمة وتتسع ويزداد تعقيدها، ففي الصناعات الغذائية مثلا تلمس مظاهر حديثة مثل التجميد العميق والمهدرجة Hydration وغير ذلك وتكون النتيجة في النهاية تنوع كبير في عناصر حرف المجموعة الثانوية مع اختلافات بارزة من قطر لآخر في الأهمية النسبية لهذه العناصر .

مجموعة الأنشطة الثالثة Tertiary Group :

تعد هذه المجموعة أكثر تعقيدا من المجموعتين السابقتين ، ولذا فإن تحليل بياناتها كما وردت في التعداد يتطلب حذرا كبيرا ، وهى تشمل كل الأنشطة التي لاتسهم في إنتاج السلع المادية ومن ثم يدخل في عدادها النقل والتجارة وأعمال البنوك والتأمين والخدمات العامة والخاصة ويبدو بوضوح أن أعمال البنوك من ناحية والخدمات الشخصية الخاصة من ناحية أخرى على طرفي نقيض ، فالاول تعبير عن تنظيم مالى اجتماعى دقيق يؤثر بعمق في الشؤون القومية بينما الثانى مهنة أولية للغاية توجد حتى في أكثر الشعوب تخلفا .

ويعد التعليم ذا اثر بالغ في تركيب أنشطة المجموعة الثالثة ، ومن ثم يبدو الفارق كبيرا بين الحرف التي تضمها، فهناك بعض المهنة التي تتطلب مستوى تعليميا عاليا نتيجة دراسة تبلغ ١٦ سنة ثلثها في التعليم الجامعى مثلا ومهن أخرى خاصة الخدمات الشخصية لاتتطلب شهادات دراسية على الاطلاق . ويبدو الفارق واضحا في الدول النامية حيث يتطلب أعداد الطبيب أو رجل القانون أو المعلم أو المهندس مدة تتراوح بين ١٥ الى ٢٠ سنة في الدراسة بينما الخادم المنزلى مثلا قد يكون قادما لتوّه من مناطق متخلفة ولايقدر على القراءة والكتابة .

وتتطلب مقارنة مهن المجموعة الثالثة تصنيفها حسب نوعياتها كما هي الحال في المجموعتين الاولى والثانية من حيث المستوى المهني مثل العمال اليدويين الذين يعرفون في الولايات المتحدة مثلا بأصحاب الياقات الزرقاء Blue Collar Workers تمييزا لهم عن أصحاب المهن غير اليدوية الذين يعرفون بأصحاب الياقات البيضاء White Collar Workers وتتفاوت نسبتهم المئوية تفاوتا كبيرا من فرع لآخر من فروع الانشطة التي تضمها المجموعة .

وباستثناء المهن البدائية في المجموعة الثالثة مثل الخدمات الشخصية أو بعض أنواع التجارة خاصة تجارة التجزئة فان هذه المجموعة تشمل مهنا متطورة متمثلة في أعمال البنوك والتأمين والتجارة الحديثة خاصة تجارة الجبلة ، وقد تزايدت أهمية هذه المهن في السنين الاخيرة تطورا كبيرا وتشتعت الى فروع كثيرة .

وقد تميزت أنشطة هذه المجموعة بالتطور في نواح ثلاث هي :

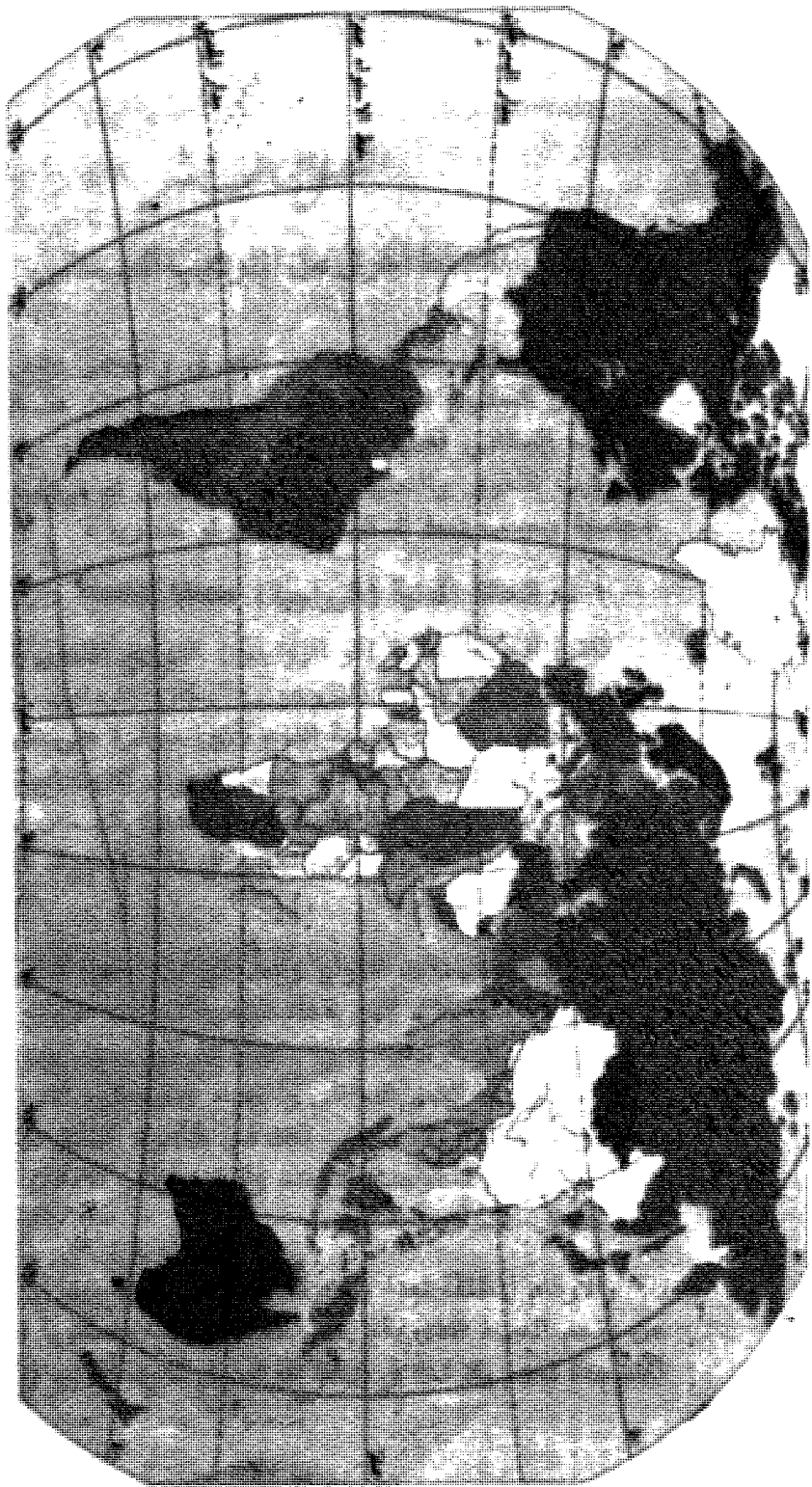
أ - التحسن في الخدمات الاساسية للنقل والامدادات بالياه والكهرباء والتي تسمح بتطور الصناعة وتنمية الموارد واستغلالها .

ب - التقدم في التجارة وأعمال البنوك استجابة للتطور في الانتاج والاستهلاك والعرض والطلب مع استمرار ارتفاع مستويات المعيشة .

ج - توسيع نطاق الخدمات العامة وذلك نتيجة لجهود الحكومات لتحقيق الرفاهية لمواطنيها .

وبمقارنة نسبة العاملين في حرف المجموعة الثالثة فإنه يمكن تحديد مدى التقدم والتخلف في دول العالم شكل رقم (٤١) وتملك الولايات المتحدة أعلى نسبة في هذا المجال حيث يعمل قرابة ٦٨٪ من جملة القوى العاملة بما في قطاع المجموعة الثالثة ولأول مرة في تاريخ الاحصاءات الاقتصادية لاية دولة يمثل العاملون في مهن غير انتاجية أكثر من ٥٠٪ من السكان العاملين ، ويعكس ذلك مباشرة الأهمية الكبرى للأعمال الادارية والاشراغية والتجارية التي تتمثل في هذه الدولة وكذلك اوصول الجبلة الاقتصادية بها الى مرحلة آلية معقدة متنوعب أعدادا كبيرة من العاهلين .

وفي الدول المتقدمة الاخرى تهبط نسبة العاملين في مهن المجموعة الثالثة عن نسبة الولايات المتحدة ، فقد بلغت ٦٣٪ في بريطانيا و ٥٧٪ في فرنسا و ٥٥٪ في اليابان وتنخفض في الدول النامية لتصل الى ٣٠٪ في أندونيسيا و ٤١٪ في جنوب أفريقيا .



٢٥ ١٠٠
 المليون من
 المعلومات غير متوفرة

نسبة القوي المنتجة في الدول
 المحرك منة والتجارة والأصول
 والخصم المنتجة

٨٠ ٦٠
 ٦٠ ٤٠
 ٤٠ ٢٥

شكل رقم (٤١)
 نسبة العاملين في الأنشطة الخالصة في العالم

الفصل الثالث عشر

أنماط أخرى من التركيب السكاني

بالإضافة الى أنماط التركيب العمري والنوعى والتركيب الاقتصادى التى سبق الحديث عنها فى الفصلين السابقين فان هناك أنماطا أخرى للتركيب السكاني أهمها تركيب السكان حسب الحالة المدنية (الزواجية) والتركيب اللغوى والتعليمى والتركيب الدينى ثم تركيب السكان حسب الجنسية وحسب نمط السكن ريفيا كان او حضريا .

١ - الحالة المدنية (الزواجية) *Marital Status* :

تعنى الحالة المدنية (أو الزواجية) التوزيع النسبى للسكان الذين لم يسبق لهم الزواج والسكان المتزوجون والسكان المترملون ثم السكان المطلقون ويؤثر التركيب العمري ونسبة النوع تأثيرا مباشرا على نسب السكان الذين تضمهم هذه الفئات الاربع كما تسهم الاحوال الاجتماعية والاقتصادية فى تحديدها واتجاهها ولذلك فان الحالة المدنية للسكان ليست ثابتة على الاطلاق بل دائمة التغير وهى تعكس فى ذلك ظروف المجتمع السائدة اقتصاديا واجتماعيا .

ودراسة معدلات الزواج والطلاق لها أهمية كبرى فى التحليل الديموغرافى ، وكذلك التوزيعات النسبية لحالات الزواج حسب الاعمار حيث يرتبط ذلك ارتباطا كبيرا بأعداد المواليد سنويا وما ينتج عنها من نتائج مباشرة فى النمو السكانى وللابعاء الاقتصادية التى يلتزم المجتمع بتوفيرها لسكانه ، والى جانب ذلك فان ظاهرة الطلاق تعد من الظواهر الاجتماعية التى تستوجب التحديد والحصر بقدر الامكان لما لها من نتائج على أحوال السكان .

والارقام المطلقة لعدد عقود الزواج التى تتم سنويا لها دلالتها فى التعبير عن حجم العبء الذى يقع على عاتق الاسكان سنويا ، كما أن الاسر المستجدة تسهم بلا شك فى زيادة المواليد فى الامد القريب وتزايد تبعات ذلك

الاعباء على قطاعات الخدمات المختلفة كالصحة والتعليم والمواصلات
والتموين وغير ذلك .

وتنقسم الحالة المدنية - كما سبق القول - الى الاقسام التالية :

١ - السكان الذين لم يسبق لهم الزواج :

ويمكن تقسيم هذه الفئة بدورها الى مجموعتين : الاشخاص الذين
يقل عمرهم عن السن القانونية ثم فئة الاشخاص الذين بلغوا السن
القانونية أو تعدوها ولكن لم يتزوجوا بعد ، وتتباين أعداد السكان في
كلتا المجموعتين في دول العالم تباينا كبيرا تبعا للظروف الاجتماعية
والعادات والدين والاحوال الاقتصادية .

وتوضح التعدادات السكانية لكثير من البلاد - ومصر من بينها - توزيع
هذه الفئة عمريا ونوعيا للسكان الذين تعدوا السن القانونية للزواج، وتعد
دراسة هذا التوزيع هامة في بحوث السكان للاعتماد عليها كمؤشرات للتغير
الاجتماعى للسكان على مدى فترة زمنية معقولة .

ب - السكان المتزوجون :

الزواج - ظاهرة شرعية قانونية وليس ظاهرة حيوية مثل المواليد
والوفيات ، ولذلك فان مقارنته على مستوى الدول تعترضها مشكلة التباين
في الانظمة المحددة له ذلك لان هناك ثلاثة أنواع من الزواج :

١ - الزواج الاحادى Monogamy وهو زواج رجل واحد باجراة
واحدة .

٢ - تعدد الزوجات Polygyny وهو زواج رجل واحد بامراتين أو
أكثر .

٣ - تعدد الازواج Polendry وهو زواج امرأة واحدة برجلين أو
أكثر .

والنوعان الاخيران شكلان يضمهما تعدد الزوجات أو الازواج والذي
يعرف بنظام الزواج المتعدد Polygany وقد يكون لهذه الاشكال من الزواج
تأثير عميق على خصوبة ونمو السكان وغنى عن القول بأن بياناتها
الديموغرافية غير متوفرة .

والزواج الاحادى أكثر أشكال الزواج شيوعا في العالم ، وينبغى القول

بأن هذا النوع من الزواج السائد حالياً في العالم الغربي يعد حديثاً نسبياً ذلك لأن تعدد الزوجات كان مسموحاً به قانوناً بواسطة الكنيسة والدولة حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي (١) أما تعدد الزوجات فيسود في العالم الإسلامي ولكن بنسب متفاوتة من دولة لأخرى وقد ساعد على انتشاره عند بعض الجماعات الأفريقية انخفاض نسبة النوع بشكل غير طبيعي نتيجة تجارة الرقيق من قبل أو بسبب ارتفاع نسبة وفيات الذكور كما هي الحال عند قبائل الباغندا Paganda في أوغنده ، وقد سبق القول بأن بعض الدراسات أظهرت أن تعدد الزوجات له تأثير في خفض الخصوبة بالمقارنة مع الزواج الاحادي وكان ذلك من أسباب انخفاض الخصوبة نسبياً في أفريقيا الزنجية عن مثيلتها من المناطق النامية الأخرى .

أما تعدد الأزواج فهو شكل نادر من أشكال الزواج ويسود في بعض المناطق القليلة جداً في العالم وفي ظروف اجتماعية محددة وغالباً ما يرتبط بوجود ظاهرة وأد البنات Female infanticide ، وقد يكون سائداً بين الأخوة Fraternal أو الأعراب ففي الحالة الأولى يتزوج اثنان أو أكثر من الأخوة بزوجة واحدة كما هي الحال بين قبائل التودا Todas في جنوب الهند ، أما الحالة الثانية فيتزوج رجلان أو أكثر من غير الأقارب بزوجة واحدة (٢) .

ويتفاوت عدد حالات الزواج التي تتم في المجتمع من سنة لأخرى حسب عدد السكان الذين وصلوا السن القانونية للزواج من ناحية ، والظروف الاقتصادية والسياسية بل والنفسية من ناحية أخرى كذلك فإن عدد حالات الزواج التي تتم في سنة ما تتأثر بالعدد الذي تم في السنة السابقة ولذلك فإن من الأفضل عند دراسة الحالة الزوجية أن يكون ذلك لفترة طويلة نسبياً كأن ندرس الزواج لجيل من السكان على مدى ثلاثين عاماً مثلاً .

وتعد معدلات الزواج على قدر غير قليل من الأهمية لقياس مدى التغيرات التي تطرأ على المجتمع ، والطريقتان الشائعتان للحصول على هذه المعدلات هما :

١ - قسمة عدد حالات الزواج في سنة معينة على جملة السكان في منتصف السنة مضروباً في ألف ويعرف حينذاك بمعدل الزواج الخام .

(1) Clarke, J., Population Geography, Op. Cit. p. 77.

(2) Ibid., p. 78.

٢ - قسمة عدد حالات الزواج في سنة معينة على جملة عدد السكان الذين في سن الزواج حسب السن أو النوع مضموبا في ألف ٠ ويسمى حيدات بمعدل الزواج العمري النوعي ٠

ويتبرغم من أهمية المعدل الاول في دراسة اتجاه الزواج عموما على مستوى العطر او الاقاليم فان أهمية المعدل الثاني تبدو في دراسة الفوارق النوعية في هذا الصدد ، والتغيرات العمرية في الزواج والتي ترتبط بمتوسط السن عند الزواج mean age at marriage سواء للاناث أو الذكور ويتأثر ارتفاع السن عند الزواج من المؤشرات الهامة في دراسة السكان الديموغرافيين حيث يرتبط بمدى التغير في الحالة الاجتماعية والتعليمية والإقتصادية للسكان ، وعلى سبيل المثال تشير بيانات التعدادات المصرية ان العمر الوسيط عند الزواج قد ارتفع من ٢٤ر٢ سنة في عام ١٩٤٧ الى ٢٥ر٩ سنة ١٩٦٠ للذكور ومن ١٨ر٦ سنة الى ١٩ر٨ سنة للاناث في نفس العامين على الترتيب ، ومن المرجح أنه تزايد في السنوات الاخيرة أيضا ويتمشى هذا الاتجاه مع التطور الاجتماعي الذي تمر به البلاد ومصاحبه من تزايد في تعليم الفتيات الى مراحل متقدمة وازدياد اسهام المرأة في العمالة بأنشطتها المتعددة ٠

ومن الحقائق الهامة في العلاقة بين الحالة الزوجية والخصوبة أن الفترة التي تقضيها المرأة في علاقة زوجية فيما بين سن ١٥ - ٥٠ سنة تؤثر تأثيرا مباشرا على الخصوبة وذلك لان الزواج المبكر يؤدي الى تزايد المدى الانجابي للمرأة وبالتالي تزايد احتمالات الحمل والانجاب مما يؤدي الى ارتفاع معدل المواليد ، وقد سبق ملاحظة ذلك في الحديث عن مؤشرات الخصوبة في الدول النامية ٠

ج - السكان المترملون :

الترمل ظاهرة ترتبط بعامل الوفاة ولذلك فان انخفاض معدلات الوفاة يؤدي بالتالي الى انخفاض معدلات الترميل في الفئات العمرية المختلفة ومن الحقائق الديموغرافية الثابتة ارتفاع نسبة المترملات الاناث عن نسبة المترملين الذكور في المجتمع وهذه ظاهرة ترتبط بعدة أسباب منها أن توقع الحياة للاناث أعلى من مثيله للذكور ، كذلك فان الذكور غالباً ما يتزوجون في أعمار متقدمة عن الاناث اللاتي يتزوجن مبكرا في الغالب كما أن المترملين الذكور يتزوجون مرة أخرى بنسبة أعلى من المترملات ٠

د - السكان المطلقون :

يعد الطلاق من الظواهر الاجتماعية الهامة التي تؤثر في التركيب

الديموغرافى للسكان لانه يؤدى الى توقف الحياة الزوجية وفصم عرى الاسرة ولذلك فان الخصوبة السكانية قد تقل عادة فى المجتمعات التى يرتفع فيها معدل الطلاق خاصة اذا كانت الفترة التى تقضيها المطلقة بين طلاقها وزواجها مرة ثانية - فترة طويلة .

ويمكن حساب معدل الطلاق بطريقتين - مثل حساب معدل الزواج وهما حساب عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ من السكان فى سنة معينة ويعرف حينذاك بالمعدل الخام - أو حساب عدد حالات الطلاق لكل ١٠٠٠ من السكان فى سن الزواج لكل من الذكور والاناث فى فئات السن المختلفة ويعرف بالمعدل العمرى النوعى .

ويرتبط الطلاق بعدة عوامل أبرزها العوامل الدينية والتشريعية التى تؤثر فيه تأثيرا واضحا ، ولذلك فانه من الصعب مقارنته على مستوى دول العالم ومن ثم قد تنحصر دراسته فى الدول ذات النظم الدينية المتشابهة كما يمكن مقارنة معدلات الطلاق فى أقاليم الدولة الواحدة على امتداد فترة زمنية طويلة ، ففى مصر مثلا تشير الاحصاءات الى اتجاه معدلات الطلاق نحو الهبوط ، فقد كان متوسط هذه المعدلات فى خلال السنوات (١٩٤١ - ١٩٤٦) حوالى ٤٢ فى الالف من السكان ثم أخذ بعد ذلك فى الهبوط التدريجى حتى بلغ ٣٢ فى الالف عام ١٩٥٢ ثم الى ٢٢ فى الالف فى الفترة من ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

وتتفاوت نسب السكان حسب أقسام الحالة المدنية الاربعة السابق ذكرها وغالبا ما يكون السكان المتزوجون أعلى نسبة بين السكان فى سن الزواج يليهم الذين لم يسبق لهم الزواج فالارامل والمطلقون ، وتزداد نسبة المترملات بشكل واضح عن نسبة المترملين كما سبق القول - كذلك فان نسبة الذكور الذين لم يسبق لهم الزواج تتفوق فى الغالب على نسبة الاناث فى هذه الفئة ويرتبط ذلك بتباين متوسط السن عند الزواج لكلا النوعين ، وتوضح الارقام التالية الاهمية النسبية للاقسام الاربعة للحالة المدنية للسكان فى مصر منذ تعداد سنة ١٩٦٠ (%) (١) .

٢ - التركيب اللغوى Linguistic Composition :

يعد التركيب اللغوى هاما فى الدول التى تتعدد بها اللغات ، فهناك

(١) المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٨٦ - النتائج الاولى - ابريل ١٩٨٧ - ص ١٧ .

الحالة المدنية	النوع	١٩٦٠	١٩٧٦	١٩٨٦
لم يسبق له الزواج	ذكور	٢٤ر٤	٣٠ر٥	٣٢ر١
	اناث	١٢ر٢	٢١ر٣	٢٠ر٠
	جملة	١٨ر٠	٢٥ر٨	٢٥ر٩
متزوج	ذكور	٧٢ر٤	٦٧ر٢	٦٥ر٩
	اناث	٦٨ر٢	٦٣ر٠	٦٥ر٨
	جملة	٧٠ر٢	٦٥ر٠	٦٦ر٠
مطلقون وأرامل	ذكور	٣ر٢	٢ر٣	٢ر٠
	اناث	١٩ر٦	١٥ر٧	١٤ر١
	جملة	١١ر٨	٩ر٢	٨ر١
الجملة		١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

أقطار كثيرة في العالم بها لغات متعددة لمجموعات سكانية متفاوتة في أهميتها العددية ويذكر الكتاب السنوي الديموغرافي لعام ١٩٥٦ ثلاثة طرز من البيانات عن اللغات الواردة في الجدول التي يتضمنها والتي تشملها معظم التعدادات السكانية وهي :

أ - اللغة الاصلية *mother tongue* ويقصد بها اللغة التي يتحدث بها الشخص في موطنه في طفولته المبكرة .

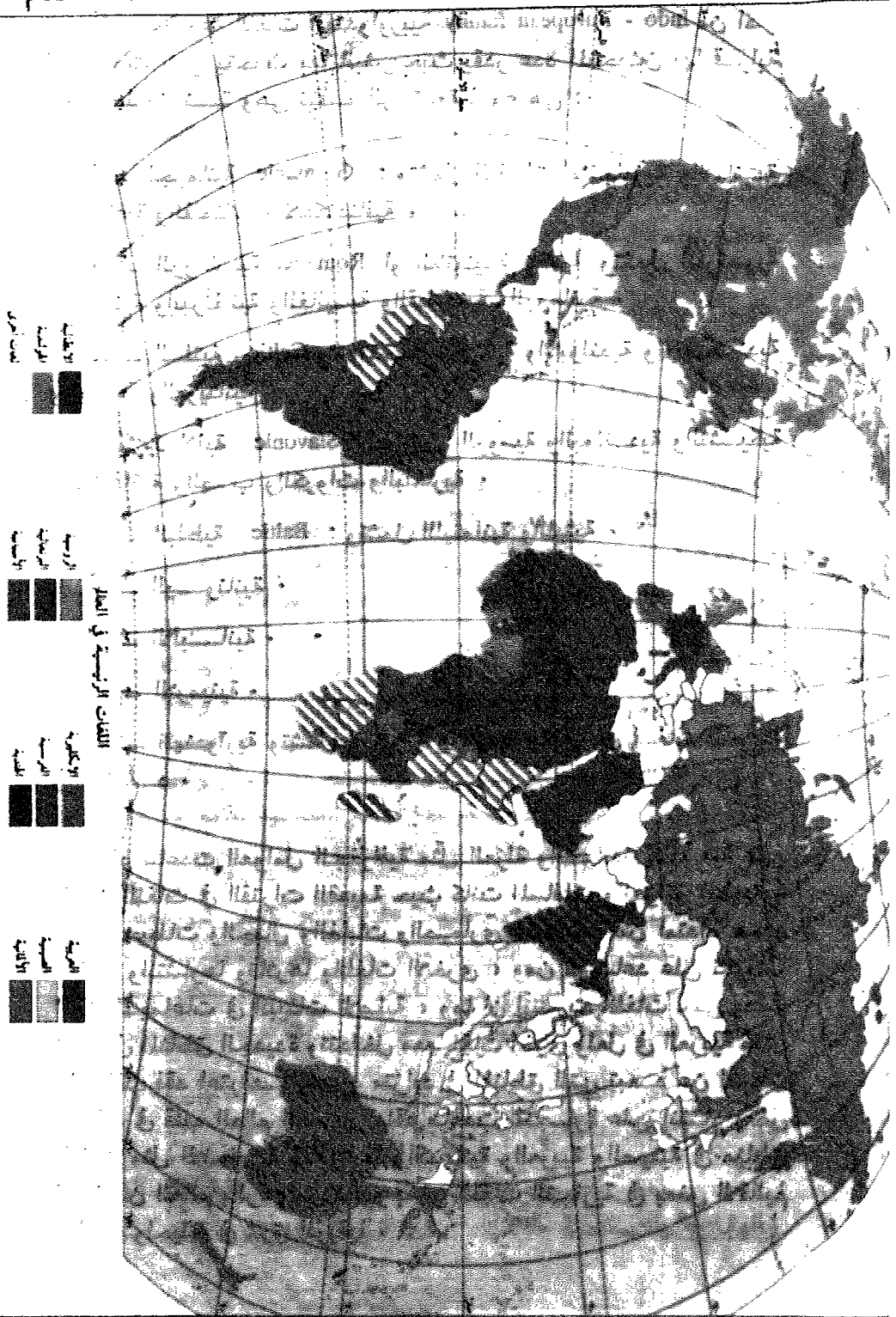
ب - اللغة التي يجري الحديث بها في الوقت الراهن أو عادة في الموطن .

ج - المعرفة بلغة أو بلغات معينة .

والنوع الاول هو الذي يستخدم في الغالب في المقارنة بين المجموعات السكانية حسب لغاتها المختلفة أما النوعان الثاني والثالث فتكتفه صعب في مثل هذه المقارنة ، الا أن قيمتها تبدو في الدراسات الخاصة بتكيف المهاجرين مع المجتمعات الجديدة ذات اللغات المختلفة الاصلية .

ويختلف سكان العالم اختلافا كبيرا من حيث اللغات التي يتكلمون بها والتي يربو عددها على ٢٨٠٠ لغة يحوى الكثير منها لهجات ومقاطع متعددة وينتمى كثير من اللغات الى مجموعة أو عائلة لغوية واحدة ذات أصول مشتركة مثل مجموعة اللغات الهندوأوربية واللغات السامية والدرافيدية والملايو - بولينيزية ، وبعض المجموعات اللغوية يتحدث به مئات الملايين من السكان بينما البعض الاخر لا يتحدث به الا بضعة آلاف فقط . (شكل رقم ٤٢)

العالم - اللغات



اللاتينية
الرومانية
الغالية
الغالية

الروسية
الروسية
الروسية
الروسية

الانكليزية
الانكليزية
الانكليزية
الانكليزية

الهندية
الهندية
الهندية
الهندية

اللغات الرئيسية في العالم

شكل رقم (٤٢) توزيع اللغات الرئيسية في العالم

وتعد مجموعة اللغات الهندوأوروبية Indo - European family من أكثر المجموعات التي يتحدث بها البشر حيث يقدر عدد المتحدثين بها قرابة ٢٠٠٠ مليون نسمة وهي تنقسم الى تسعة فروع هي :

أ - الجرمانية Germanic : وتشمل اللغات الانجليزية والالمانية والهولندية والفلمنكية والاسكندنافية .

ب - الرومانسية Romance أو اللاتينية Latin وتشمل الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والغاليسية والقطالانية والرومانية .

ج - السلتية Celtic : وتشمل الغالية والايرلندية والاسكتلندية والويلزية والبريتانية .

د - السلافية Slavonic : وتشمل الروسية والبولندية والتشيكية والسلوفاكية والصرب والكروات والبُلغارية .

هـ - البلطية Baltic : وتشمل الليتوانية والليقية .

و - اليونانية .

ز - الالبانية .

ح - الارمينية .

ط - الهندوأرية وتشمل الفارسية والكردية وكثير من اللغات الحديثة في الهند .

وقد ساعدت العوامل الجغرافية مثل العزلة والحواجز الطبيعية على تكوين اللغات في الفترات القديمة حيث كانت المسافات والعوائق الطبيعية مثل المحيطات والجبال والغابات والصحارى عاملا حد من امتداد هذه اللغات وانتشارها وتأثرها باللغات الاخرى ، ومن ثم ساعد على تكوينها المبكر للجماعات في البيئات الاصلية ، وما أن انتشرت اللغات حتى بدأت تتغير في المناطق الجديدة وتتداخل معها لغات أخرى ولعل في العربية مثال على ذلك فقد اعتراها تغيير متزايد في المناطق التي تبعد عن الوطن الاصلى في قلب العالم العربي ولقد ساعدت التجارة على انتشار بعض اللغات مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية والعربية والصينية في مناطق كثيرة من العالم بالرغم من تطور بعض اللغات التجارية في بعض الاقاليم مثل السواحلي في شرق أفريقيا .

وقد أسهمت البعثات التبشيرية والمهاجرون والغزاة والمستعمرون في ادخال لغاتهم الى الاقاليم التي اتجهوا اليها ، ولكن من الملاحظ أن المهاجرين الذين لا يهاجرون في مجموعات كبيرة غالبا ما تستوعبهم لغة المهجر الجديد ، ولكن من ناحية أخرى فان الهجرات الجماعية خاصة هجرات البدو كانت من القوة بحيث ساعدت على نشر لغاتهم الاصلية مثل مجموعة لغات الاورال - الالطاي The Ural - Altaic والتي نشأت أصلا في استبس وسط آسيا ويمتد نفوذها الان بعيدا نحو الشمال الاوربي (اللغة الفنلندية مثلا) وكذلك العائلة السامية Semitic في شمال أفريقيا وجنوب غرب آسيا ، والعائلة الحامية Hamitic في شمال وشرق أفريقيا ، والعائلة الملاوية البولينية Malayo Polynesian في أرخبيل جزر الهند الشرقية ومدغشقر ونيوزيلندا والفلبين .

ومن المعروف أن اللغة أساس قيام الحضارة حيث تكون مصدرا للشعور الوطنى المشترك ، والوحدة الثقافية تكون أقوى بكثير من الجنس أو السلالة في المشاعر القومية، ولأشك أن وجود مجوعات تتكلم لغات مختلفة داخل البلد الواحد لا يخلق الكثير من المشكلات السياسية فحسب بل يؤدي الى مشكلات اجتماعية واقتصادية قد تحدث الانقسام في حياة الشعب .

وقد تأثر النمط اللغوى في العالم بالحدود السياسية وباللغات الرسمية أو القومية وما ساعد على انتشارها من وسائل الانتشار والنقل الحديثة مثل الصحف والاذاعة والتلفزيون والادب والتعليم ، وقد ساعدت الحدود السياسة على وجود تجانس لغوى في معظم الاحوال وأصبحت لغات الدول العظمى التي أثرت في خريطة العالم السياسية لغات عالمية Lingua franca مثل الانجليزية والفرنسية والاسبانية .

ومع كل ذلك فان توزيع اللغات على سطح الارض أمر معقد للغاية ويندر أن تتمشى الحدود السياسية تماما مع الحد اللغوى للدولة ، ومعظم دول العالم له لغة رسمية وأحيانا لغتان أو ثلاث ولذا يمكن تصنيف دول العالم في هذا الصدد الى أربع مجموعات .

أ - بعض اللغات تتكلمها عدة دول مثل اللغة الانجليزية والاسبانية والفرنسية والبرتغالية والالمانية والعربية .

ب - بعض اللغات تستخدم في دولة واحدة فقط مثل البولندية واليابانية والايسلندية .

ح - بعض الدول تسود فيها عدة لغات مثل الاتحاد السوفيتى والهند والصين ودول أخرى في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

د - بعض اللغات توجد في دولتين أو أكثر اليوم كإقليات لغوية مثل الباسك في أسبانيا وفرنسا والكردية في منطقة الاكراد في تركيا وايران والعراق وسوريا .

وتعانى بعض دول العالم من مشكلات لغوية وأوضح أمثلة ذلك أنه من بين الدول الثلاث عشرة الاوائل في حجم السكان في العالم توجد مشكلات لغوية معقدة لسبب أو لآخر ومن بينها الصين والهند والاتحاد السوفيتى والباكستان وأندونيسيا ونيجيريا ، وهناك دول لاتعانى من هذه المشكلات اللغوية مثل بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وكندا ويوغسلافيا وسويسرة وبعض الاقطار الافريقية والاسيوية الاخرى .

وبالرغم من وجود لغات محلية في كثير من دول العالم فان بعضها قد اتخذ من لغة أخرى لغته الرسمية كما في كثير من الاقطار الاسيوية والافريقية التي كانت خاضعة للنفوذ الاوربي في فترة ما ، ويذكر الكتاب الديموغرافي السنوي للامم المتحدة سنة ١٩٥٦ أن - بالهند مثلا ٢٨٣ لغة ، باستثناء ٣٣٣ لغة أو لهجة منفصلة قد لايزيد عدد المتحدثين ببعضها على ١٠٠٠ نسمة ، كما أن هناك تسع عشرة لغة يتحدث بكل منها أكثر من مليون نسمة ، واثنى عشرة لغة أخرى يتحدث بكل منها أكثر من ١٠ مليون نسمة وبالرغم من أن اللغة الهندوستانية Hindustani هي اللغة القومية فمازالت الانجليزية هي لغة المثقفين ، ولاشك أن حجم المتحدثين بهذه اللغات قد زاد في العقود الاخيرة في ضوء معدل النمو الطبيعي في هذه الاقطار .

٣ - التركيب حسب الحالة التعليمية Educational Status :

تشمل التعدادات السكانية توزيع السكان الذين بلغوا سن العاشرة أو الخامسة عشرة فأكثر حسب درجة الامام بالقراءة والكتابة (Literacy) وغالبا ماتكون هذه البيانات موزعة حسب العمر والنوع حتى يسهل حسابها للذكور والاناث كل على حدة ووفقا للفئات العمرية المختلفة ولهذه البيانات أهمية خاصة في أنها تعد مؤشرا لمستوى المعيشة القومية ومقياسا للحكم على التطور الثقافى والاجتماعى ، وبالإضافة الى ذلك فانها تعد ذات أهمية خاصة في التنبؤ بالاتجاهات التعليمية المستقبلية وفقا للخطة الموضوعية .

وفي الدول التي تتزايد فيها نسبة الامية (illiteracy) فان بيانات

التركيب السكاني حسب الحالة التعليمية تكون ذات فائدة مباشرة في التخطيط لمحو الامية في مناطق الدولة المختلفة وبالإضافة الى ذلك تستخدم هذه البيانات كمقام للعمليات الحسابية المرتبطة بالمعدلات الحيوية النوعية حسب درجة الامام بالقراءة والكتابة والتي تستخدم بدورها كمتغير اجتماعى اقتصادى (Socio-economie Variable) وذلك مثل معدلات المواليد حسب الامام الام بالقراءة والكتابة ومعدلات الزواج والطلاق تبعا للمستوى التعليمى للزوج والزوجة ، وهكذا .

ويرتبط بالتركيب التعليمى تقسيم السكان حسب مستوى التعليم والعمر والنوع ، وفي هذه الحالة ينقسم السكان البالغون حسب درجة التحصيل العلمى (مرحلة أولى - تعليم متوسط بأنواعه - تعليم جامعى - تعليم فوق الجامعى) ويعطى ذلك التقسيم دلالة هامة لقدرة البلاد على التنمية الاجتماعية والاقتصادية كما يمكن تحديد الاحتياجات المتوقعة مستقبلا من المتعلمين حسب الانشطة الاقتصادية المختلفة .

وتبين الارقام التالية نسبة الامية (%) بين اجمالى السكان (١٥ سنة فأكثر) في دول مختارة : (في منتصف الثمانينيات) .

النيجر	٩٩	أسبانيا	١٥ر٥
الصومال	٩٨	شيلي	١٢ر٤
مالى	٩٧	الارجنتين	١٢ر٦
السودان	٨٥	بولنده	٦ر٢
بنجلاديش	٧٨	بلجيكا	٣ر٠
أوغنده	٦٥	الولايات المتحدة	٢ر٢

ويبدو من هذه الارقام مدى الفارق الشاسع بين الدول النامية والمتقدمة في نسبة الامية بين سكانها الذين بلغوا سن الخامسة عشرة وتعدوها فترتفع النسبة ارتفاعا كبيرا لتشمل الغالبية العظمى من السكان في الدول النامية بينما تنخفض انخفاضاً ملموساً بين الدول المتقدمة وبمعنى آخر فانه من بين كل مائة شخص فوق سن الخامسة عشرة هناك ٣ فقط يستطيعون القراءة والكتابة في مالى مقابل ١٥ في السودان و ٢٢ في بنجلاديش و ٨٥ في اسبانيا و ٩٤ في بولنده و ٩٧ في بلجيكا و ٩٨ في الولايات المتحدة .

وبالرغم من ارتفاع نسبة الامية في الدول النامية بصفة عامة فقد

انخفضت هذه النسبة عن ذى قبل في معظمها سواء بين الذكور أو الاناث ولعل في مصر مثل واضح على ذلك كما تبين أرقام الجدول (٣٩) .

جدول رقم (٣٩) تطور نسبة الامية في مصر حسب النوع
(% من جملة السكان ١٠ سنوات فأكثر)

سنة التعداد	ذكور	اناث	جملة
١٩٣٧	٧٦	٩٤	٨٥
١٩٤٧	٦٥	٨٤	٧٥
١٩٦٠	٥٧	٨٤	٧١
١٩٧٦	٤٣	٧١	٥٧
١٩٨٦	٣٨	٦٢	٤٩

ومن ذلك يبدو مدى الهبوط الذى اعترى نسبة الامية بين الذكور في مصر والذى فاق نسبة الهبوط في الاناث بها ، وبالرغم من الجهود المبذولة في التعليم فان نسبة الامية كما تبين الارقام مازالت مرتفعة خاصة بين الاناث ولاشك أن لذلك نتائج السلبية المتعددة في العمليات الديموغرافية كالخصوبة والوفيات ، حيث أن هناك ارتباطا عكسيا بين الحالة التعليمية للمرأة وعدد الاطفال الذين تنجبهم وكذلك معدلات وفيات الاطفال الرضع وهى انعكاس مباشر للمستوى الاجتماعى والاقتصادى للمرأة بطبيعة الحال .

٤ - التركيب الدينى Religious Composition :

بالرغم من أن السكان يختلفون حسب عقائدهم الدينية فان التركيب الدينى قد لاتشمله بعض التعدادات السكانية لصعوبة الحصول على بياناته بدقة اذا قورنت بالخصائص السكانية الاخرى كما أنه من الصعب للغاية قياس المعتقدات الدينية والسلوك قياسا احصائيا عن طريق جمع بيانات عنها ولذلك فان هناك دولا كثيرة لايتضمن تعدادها مثل هذه البيانات مثل بريطانيا منذ تعداد سنة ١٨٥١ .

وتتباين أقاليم العالم في توزيع الاديان بها ولكن هناك أربعة أديان كبرى تدين بها الغالبية العظمى من سكان العالم وهى المسيحية والاسلام والهندوكية والبوذية وهى تنتشر في مساحة ضخمة من اليابس ، ومع ذلك فهى لاتكون تجمعات بشرية متجانسة ولا تخلو من وجود شقاق بينها .
(شكل رقم ٤٣)



والدين وان كان عاملا من عوامل التجانس السكاني في الدولة - الا انه لم يعد كما كان قديما من الاسباب التي تثار من أجلها المنازعات الكبيرة فقد فطرت روح التعصب الدينى التي كثيرا ما أشعلت الحروب في العصور القديمة والوسطى كما حدث في حروب نشر الدعوة الاسلامية أو في الحروب الصليبية التي استمرت سنوات طويلة ، وقد حل التسامح الدينى نتيجة انتشار الثقافة وتغلب المصالح الاقتصادية والسياسية على الاعتبارات الدينية ، ومع ذلك فما زال للدين دور هام في حياة الدول وسياستها ذلك لانه يعد أحد مكونات المجتمع ويدعم قاعدة البناء السياسى للدولة .

وينعكس تباين التركيب الدينى على بعض المشكلات في العالم ، فقد ادى ذلك التباين الى تقسيم شبه القارة الهندية والى خلق مشكلات أخرى مثل مشكلة فلسطين ومشكلة إيرلنده وقبرص وكشمير وغيرها والقليل من دول العالم هو الذى يتميز بالتجانس الدينى الكامل مثل الدول الاسكندنافية التى تعد من أكثر الدول البروتستانتية تجانسا ، ودول أيبيريا وأمريكا اللاتينية التى تعد أكثر الدول الكاثوليكية تجانسا ، بينما تعاني دول أخرى مثل كندا من الانقسام بين الكاثوليك والبروتستانت، وكذلك الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ونيوزيلندا .

٥ - التركيب حسب الجنسية Nationality :

يعد مفهوم الجنسية صعب التحديد ولذا تتعدد الاراء حول تعريفه وقد يشمل التعريف اعتبارات عرقية ولغوية وثقافية وادارية وغير ذلك ، كذلك فليس من السهل التمييز بين الامة Nation والدولة State ، فقد تحوى الدولة الواحدة قوميات متعددة والعكس ، ويندر وجود تطابق كامل بين الدولة والامة ، ولكن تسود ظاهرة الدول ذات القوميات المتعددة Multi-national states ومن أبرزها الاتحاد السوفيتى كمثال واضح على ذلك حيث يحوى قرابة ١٠٨ قومية تتباين في أهميتها النسبية حيث تختلف أرقامها من تعداد لآخر ، ومن الطبيعى أن تقل أعداد السكان المنتمين لكل من هذه القوميات باستمرار العمل على احداث التجانس السكانى بينها عن طريق التنمية الاقتصادية والتحضّر وتأصيل المبادئ الشيوعية واستخدام اللغة الروسية .

وتحوى التعدادات السكانية بيانات عن توزيع السكان حسب الجنسية أو بمعنى آخر حسب الوطن الاصلى country of citizenship وتصبح دراسة التركيب حسب الجنسية في هذه الحالة دراسة للاجانب في الدولة ، وينبغى

التفرقة هنا بين الاجانب . foreigners والسكان ذوى المولد الاجنبى
foreign born ذلك التعبير الاخير يشمل مواطنى الدولة الذين ولدوا
بالخارج .

ويرتبط ببيانات السكان حسب الجنسية بعض المشكلات رغم أنها قد
تبدو سهلة عند اجراء المقارنة بين الدول ، وأبرز هذه المشكلات نظام
التعداد سواء كان فعليا de Facto أو حسب محل الإقامة المعتاد de Jure
وقد يشمل النوع الاول كثيرا من الاجانب العابرين Transit أو السائحين
بينما لايتضمن النوع الثانى مثل هؤلاء الافراد .

ويضاف الى ذلك أن دول العالم تختلف فى شروط منح الجنسية
للمهاجرين اليها ، ففى بعض الدول يعد المهاجرون حديثا - اجانب ،
والبعض الاخر يصنف كل السكان ذوى الاصل الاجنبى على أنهم - سكان
ذوى جنسيات أجنبية حتى اذا كانوا قد ولدوا فى الدولة التى يقيمون بها .

ومن المشكلات الاخرى فى تركيب السكان حسب الجنسية ، مشكلة
الاشخاص الذين يصنفون على أنهم «لا وطن لهم» Stateless وغالبا
ما يصنفون على أساس دولة المواطنة السابقة ، ومن ذلك كله يبدو أنه
بالرغم من سهولة دراسة الاجانب داخل الدولة الواحدة فمن الصعب
مقارنتهم بين الدول المختلفة .

وهناك عشرات الملايين من السكان فى العالم يصنفون فى التعدادات
على أنهم اجانب ويزداد عددهم فى الاقطار التى شهدت هجرة وافدة
حديثة مثل دول الامريكيتين واستراليا ، وان كانت هذه الاعداد آخذة فى
التناقص باستمرار عملية الاستيعاب فى المهجر ، فقد تناقص عدد الاجانب
فى الولايات المتحدة من ٦٣ مليون نسمة فى سنة ١٩٣٠ الى قرابة ٢ مليون
فقط فى سنة ١٩٥٠ ، وفى جنوب شرق آسيا مازال المهاجرون الصينيون
يشكلون نسبة كبيرة من الاجانب .

وقد أدى استقلال الدول الافريقية الى ظهور مشكلات معقدة ترتبط
بالجنسية خاصة وأن الحدود السياسية التى خلفها الاستعمار لم تتمشى مع
حدود التوزيعات القبلية فى أفريقيا المدارية الا قليلا ، ولعل فى تقسيم الامة
الصومالية بين اثيوبيا وكينيا وجمهورية الصومال مثل واضح على ذلك .

وقد شهدت أوروبا حركات انتقال سكانية ضخمة أدت الى تعقيد نمط
الجنسيات بها ، ويبدو أن المانيا تحوى عددا من الاجانب أكبر من فرنسا

لكن فرنسا تجذب اليها مهاجرين ليس من الدول المجاورة فقط مثل بلجيكا وسويسرة وايطاليا واسبانيا بل من دول أبعد من ذلك مثل بولنده حيث يأتي البولنديون بعد الايطاليون في عدد الاجانب بها . ويتركز وجود الاجانب بها في المناطق الصناعية في الشمال وعلى الحدود الجنوبية وفي باريس، كذلك تزداد نسبة الاجانب في سويسرة ولكسمبرج وان كانوا بأعداد قليلة ، ومازالت الدول الصناعية في غرب أوربا تجذب الاجانب اليها، ففي سنة ١٩٨٦ بلغ عدد الاجانب في المانيا ٥ر٤ مليون أجنبيا أى قرابة ٧% من جملة السكان بها . كما بلغ عدد الاجانب في بريطانيا ١٧ مليون أى قرابة ٣% من جملة السكان في تلك السنة .

الفصل الرابع عشر

الخصائص الديموغرافية لسكان المدن

بدأت دراسة الخصائص الديموغرافية لسكان المدن تحظى بأهمية غير قليلة لدى دارسي السكان ، وذلك للاختلاف الواضح بينها وبين سكان الريف ، وقد كان مجال الاهتمام يدور حول دراسة تباين توزيع السكان على رقعة المدينة وضواحيها والتغيرات التي تطرأ على حركة السكان بها مثل الهجرة وفودا ونزوحا وتجمع المهاجرين ذوى الموطن الاصلى الواحد داخل المدينة وكذلك اختلافات السكان حسب مستوى الخصوبة والوفيات في هذه الاحياء ، وتحليل كيان المدينة الداخلى وتحديد مناطق الجذب والطرد السكانيين داخل هذا الكيان .

ويتباين توزيع السكان على رقعة المدينة تباينا كبيرا تبعا لحجم المدينة ووظائفها وموضعها الجغرافى ، ويمكن القول بأن القاعدة العامة في هذا التوزيع هى ارتفاع الكثافة قرب منطقة القلب - وانخفاضها بالابتعاد عنه ، وليس معدل الهبوط واحدا في كل الاتجاهات بطبيعة الحال ، ذلك لان السكان يميلون للتركز على امتداد شرايين النقل أو بالقرب منها، وتظل المناطق النائية مخلخلة السكان بصفة عامة .

وترجع الفروق المكانية في تركيب سكان الحضر الى عامل العزل أو الفصل السكانى Segregation سواء كان اختياريا Voluntary أو غير اختياري Involuntary ويحدث الاول عندما يتجه السكان بمحض ارادتهم للعيش في احياء معينة يقطنها سكان آخرون على شاكلتهم ، ويعيدا عن السكان الذين يختلفون معهم في الاصول العرقية أو فى الجنسية أو حتى فى المستوى الاجتماعى الاقتصادى ، أما الفصل غير الاختياري فيحدث عندما يتجه سكان معينون - بحكم القانون أو العرف السائد - أو بكليهما معا - للعيش في احياء محددة ويمنعون من العيش في احياء أخرى يقطنها سكان يختلفون عنهم في بعض الخصائص (مثل التركيب العرقى أو اللون) وأبرز الامثلة احياء الزنوج في المدن الامريكية والتي تتميز بانخفاض

مستوى العيش بها ويتركزها بالقرب من المحطات الرئيسية على طرق النقل ، وكذلك أحياء البيض في كثير من مدن أفريقيا الجنوبية التي يحظر على السود العيش بها .

وغنى عن القول بأن الخصائص الديموغرافية لسكان المدن يمكن أن تتحدد بوضوح أكثر إذا ما قورنت بسكان الريف سواء في معدل النمو السكاني بمركباته الطبيعية أو غير الطبيعية أو التباين في توزيع السكان والتركيب العمري والاقتصادى وتميز المدن بوجود ظاهرة الاقليات السكانية التي تعيش بين ظهرانيها ، الا أن هذه الفوارق الريفية الحضرية تختلف من قطر لآخر بل ومن وقت لآخر وخاصة في التركيب العمري والنوعى أو في المعدلات الحيوية أو في التركيب الاجتماعى والتعليمى والاقتصادى .

النمو السكاني الحضرى :

يعد النمو السكاني في المدن وتضخمها من الظاهرات الديموغرافية المميزة في العصر الحديث ، بل أن النمو الحضرى تزايد بسرعة ملموسة في خلال الـ ١٧٥ سنة الاخيرة أكثر من أى فترة زمنية سابقة في تاريخ البشرية وقد ساعد على ذلك الانقلاب الصناعى والزراعى وما ترتب عليهما من نمو ضخم في حركة النقل والتجارة العالمية والتي أدت الى سهولة اتصال المدن بظهيرها والوصول على احتياجاتها من أماكن أبعد مما كانت عليه من قبل - حتى أنه ليتمكن القول بأن ظهير المدن في الوقت الحاضر يمتد ليشمل العالم بأسره .

ويمكن الاستدلال على تزايد النمو السكاني في المدن اذا تتبعنا نسبة سكان الحضر في العالم منذ سنة ١٩٥٠ حتى ١٩٨٠ كما تبين الارقام التالية (١) :

النسبة المئوية لسكان المدن

السنة	عدد السكان بالمليون	% من جملة السكان	السنة	عدد السكان بالمليون	% من جملة السكان
١٩٥٠	٧٠٤	٢٨ر٣	١٩٨٠	١٧٩٢	٤١ر٠
١٩٧٠	١٣٥٢	٣٧ر٢	٢٠٠٠	٣٣٢٩	٥١ر١

ويبدو من هذه الارقام أن نسبة السكان في المدن تتضاعف كل عقدين من الزمان ، وكما سبق القول فإن سكان العالم ككل قد تزايدوا بمعدل

كبير منذ سنة ١٨٠٠ حتى وصلوا الى ٢٤٠٠ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ ، ورغم ذلك فان سكان المدن قد تزايدوا بمعدلات أسرع بكثير ، ففي سنة ١٨٠٠، كان هناك حوالي ١٥٠٦ مليون نسمة يقطنون مدنا ذات ١٠٠.٠٠٠ نسمة فأكثر ، وارتفع هذا الرقم ليصبح ٣١٣٧ مليوناً في سنة ١٩٥٠، أى قدر الرقم الاصلى بنحو عشرين مرة ، وقد نجمت معظم الزيادة عن التدفق الهجرى نحو المدن الذى يتمثل فى الهجرة الريفية الحضرية، وهى أكثر أنماط الهجرة ضخامة فى العصر الحديث .

وقد ارتبط بالنمو السكانى الحضرى المرتفع تزايد فى أحجام المدن القائمة والمستحدثة ، فقد كان بالعالم سنة ١٨٠٠ - أقل من ٥٠ مدينة فئة ١٠٠.٠٠٠ نسمة فأكثر وارتفع هذا العدد الى ٩٠٠ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ثم الى ١٢٠٠ فى سنة ١٩٦٢ ، ويبدو أن معدل النمو الحضرى أخذ فى التزايد على مستوى العالم ككل ، وإذا استمر هذا الاتجاه بنفس المعدل فان المدن ذات ١٠٠.٠٠٠ نسمة فأكثر ستحوى أكثر من ربع سكان العالم سنة ٢٠٠٠ وأكثر من النصف سنة ٢٠٥٠ (١) ويدهى أن ذلك سيكون على حساب معدلات النمو فى الريف ، ذلك لانه باستمرار الاتجاه نحو ميكنة الزراعة ستقلل من أعداد الاليدى العاملة على الارض الزراعية ومن ثم تزايد دوافع الهجرة نحو المدن باستمرار .

وتعد المدن المليونية نماذج مجسدة للنمو الحضرى ، وأرجح الظن أن العالم لم يعرفها الا منذ سنة ١٨٠٠ وذلك لانها تعد طفرة حضارية فى تاريخ البشرية ، ففي أوائل القرن التاسع عشر لم يكن بالعالم الا مدينة مليونية واحدة وتزايد عددها حتى وصل الى ١١ مدينة فى سنة ١٩٠٠ ثم الى ٧٥ مدينة فى سنة ١٩٥٠ ثم قفز هذا العدد ليصل الى ١٦٢ مدينة مليونية فى سنة ١٩٧٠ ثم ٢٧٣ مدينة سنة ١٩٨٥ ومن جملة هذا العدد هناك ٢٥ مدينة يربو حجم كل منها على ٥ مليون نسمة يوضحها الجدول رقم (٤٠) .

وتتميز غالبية دول العالم النامى بالنمو السريع فى جملة سكانها وبأن معدل تزايد سكان الحضر بها كبير بدرجة تفوق معدل النمو القومى، ففي مصر. مثلاً كان هناك ١.٩٠ مليون نسمة يعيشون فى المدن سنة ١٨٩٧ - ارتفع هذا الرقم ليصل الى ٢٧ مليون نسمة فى سنة ١٩٨٦ وارتفعت بذلك نسبة سكان الحضر الى جملة السكان من ٢٠٪ الى ٤٤٪ بين هذين التاريخين

(1) Ibid., p. 64.

ويبلغ معدل النمو السكاني في المدن المصرية حوالى ضعف مثيله على مستوى القطر بأكمله ، وتتكرر نفس الظاهرة في كثير من الدول النامية ، ففي البرازيل تزايد عدد المدن فئة ١٠٠.٠٠٠ نسمة فأكثر من ٦ مدن الى ٣١ مدينة فيما بين سنتى ١٩٢٠ - ١٩٦٠ ، وارتفعت نسبة سكان هذه المدن من ٨٧% الى ١٨و٦% من جملة السكان في الدولة في هذين التاريخين على التوالى ثم قفزت الى ٦٤% سنة ١٩٨٠ .

جدول رقم (٤٠) توزيع المجمعات الحضرية ذات الخمسة ملايين فأكثر سنة ١٩٨٠ (١)

حجم السكان (مليون نسمة)	المدينة	حجم السكان (مليون نسمة)	المدينة
٩١	سول	١٩٧	مجمعة طوكيو
٩٥	كالكوتا	١٨٠	نيويورك
٨٧	بومباى	١٣٨	مكسيكو سيتى
٨٤	القاهرة	١٢٥	ساوايولو
٧١	جاكارتا	١٢٠	شنغهاي
٦٥	ميلانو	١٠٩	لندن
٦٠	كراتشى	١٠٦	لوس أنجلوس
٥٨	طهران	١٠٣	بيونس آيرس
٥٧	دهلى	١٠٠	ريو دى جانيرو
٥٥	مانيبلا	٩٩	منطقة الرهر
٥١	ليما	٩٩	باريس
٥٠	مدراس	٨١	موسكو
		٩٧	أوزاكا - كوب

مكونات النمو :

يرجع النمو الحضرى الكبير الذى شهده العالم الى عاملين ديموغرافيين هما : التدفق الهجرى والزيادة الطبيعية ، وقد سبق الحديث عن أثر الهجرة في نمو سكان المدن في فصل سابق ، ويتبين أن دول العالم لاتختلف

(١) المصدر :

ستانلى برون وجاك وليمز - مدن العالم (ترجمة نظمى لوقا)
القاهرة - ١٩٨٦ - الجزء الثانى - صص ٩٤٩ - ٩٦٧ .

كثيرا في هذا الصدد وان تفاوتت معدلات التدفق الهجرى نحو المدن حسب عوامل الطرد والجذب الكامنة ، وهناك أمثلة كثيرة على أثر الهجرة في نمو المدن ، ففي المدن الثمانية الكبرى في البرازيل يرجع ٢٩% من الزيادة الكلية بين سنتى ١٩٤٠ و ١٩٥٠ للزيادة الطبيعية ، ٧١% للهجرة ، وكذلك الحال في الهند حيث أسهم النمو الطبيعى في كلكتا بنسبة ٤٩% والهجرة بالنسبة الباقية من الزيادة الكلية فيما بين عامى ١٩١١ ، ١٩٢١ وكانت هاتان النسبتان ٥٦٦% ، ٤٣٣% على الترتيب بين عامى ١٩٥١ و ١٩٦١ وكانت نسبة المهاجرين أكبر من ذلك في المدن الصناعية المجاورة حيث وصلت الى ٧٠٨% في بمباى ، وفي مصر تزيد نسبة المهاجرين في المدن الى جملة السكان أيضا ، وتعد القاهرة خير مثال على ذلك حيث وصلت النسبة الصافية للمهاجرين بها في تعدادات ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٦٠ الى ٢٨٤% و ٢٦٣% و ٢٨٣% و ٢٨٤% على الترتيب (١) .

أما عن أثر الزيادة الطبيعية في النمو الحضرى فتختلف دول العالم في ذلك اختلافا واضحا ، ورغم أن الظاهرة العالمية هى انخفاض الخصوبة في المدن عنها في الريف فان كثيرا من المدن في الدول النامية تخالف هذه القاعدة ، ويرجع ذلك الى تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين الريفيين الى هذه المدن ويتميز معظمهم بأنهم في الاعمار الوسطى القادرة على الانتاج كما أن هؤلاء المهاجرين يقدون الى المدن بخصائصهم الاصلية وعاداتهم الريفية التى لاتفرض قيودا على الانجاب ومن ثم تتميز خصوبتهم بالارتفاع ويرتبط ذلك التزايد في معدلات الانجاب بانخفاض الحالة التعليمية والاقتصادية للمهاجرين ، ويمكن القول بصفة عامة بأن معدلات المواليد في المدن الكبرى في الدول النامية مازالت مرتفعة تماما بالرغم من الاتجاه الواضح نحو تخفيض الخصوبة بين بعض فئات السكان بها .

وتتبع الوفيات في المدن نمطا مميزا ، ففي المراحل المبكرة عندما يكون التدفق الهجرى سريعا فان البؤس ونقص الامكانيات الصحية والتزاحم الكبير يؤدى الى تفشى الاوبئة والامراض المعدية ، ولعل في ارتفاع معدل وفيات الاطفال الرضع دليل على ذلك ورغم هذا فان المدن خاصة في الدول النامية تحظى بالخدمات الصحية أكثر مما يحظى بها الريف - ويؤدى

(١) محمد صبحى عبد الحكيم - الهجرة الى القاهرة - المجلة الجغرافية العربية - السنة الاولى - العدد الاول - ١٩٦٨ - ص ١٠٨ .

ذلك الى تحسن مستوى الخدمات الصحية ومقاومة الامراض والابوئة مما انعكس على انخفاض نسبة الوفيات انخفاضا ملحوظا .

وفي ضوء استمرار معدلات المواليد مرتفعة واتجاه معدلات الوفيات الى الانخفاض في المدن في الدول النامية فان النتيجة هي ارتفاع معدل النمو الطبيعى وزيادة سكان المدن بمعدلات أعلى من معدلات الزيادة القومية (على مستوى القطر) .

وفي جغرافية المدن يبدو أن هناك علاقة طردية بين حجم المدينة ومعدل نموها لانه كلما كانت المدينة أكبر حجما كان معنى ذلك أنها أكثر قدرة على تقديم فرص أكبر للسكان والوظائف ، وأنها أكفا حضاريا وأقدر على جذب الجديد من المظاهر الحضارية السائدة ، وبذلك تنداعى الوظائف ويتضخم الحجم باطراد ويصبح النمو دالة للحجم ويتناسب معه تناسبا طرديا ، ومعظم الدراسات التفصيلية تثبت أن أعظم المدن نموا هي أكبرها حجما (١) .

ويؤدى نمو المدن واتساع رقعتها المبنية الى التحامها بالضواحي المجاورة لتصبح مجمعة مدنية كبيرة Conurbation وقد تزداد اتساعا لتشمل مدنا مجاورة - وتتحول الى مجمعة مدنية عملاقة Megalopolis مثل مجمعة نيويورك ولندن وطوكيو - يوكوها، وتعد دراستها الديموغرافية أو الجغرافية على قدر كبير من الصعوبة ، ولذا فان الدراسة غالبا ماتنصب على مدينة مفردة أو قطاعا من قطاعات المجمع الكبرى .

توزيع السكان في المدن :

أدى نمط توزيع المدن وتقسيمها الى أحياء حسب الوظائف التى تمارسها مثل حى التجارة والاعمال والاحياء الصناعية والسكنية وغيرها الى محاولة وضع بعض النظريات عن الموقع ووظائف الإحياء ومايعكسه ذلك من نتائج على نمط توزيع السكان داخل المدن ذلك لأن هناك اختلافا كبيرا بين كثافة السكان في الحى التجارى والحى السكنى والضواحي التى تعد مناطق انتقالية بين الريف والحضر .

وبالرغم من أن لكل مدينة شخصية مميزة وبالتالي يتوزع السكان على رقعتها توزيعا مخالفا لباقي المدن فان هناك اتجاها عاما في نمط التوزيع

(١) جمال حمدان - جغرافية المدن - ص ٤١٦ .

السكانى فى المدن بصفة عامة وقد قام «كلارك» بدراسة حول ذلك بادئا اياها بافتراضين عالميين هما :

١ - أنه فى كل مدينة كبرى - وباستثناء حى التجارة والاعمال الذى يتميز باعداد قليلة من السكان - توجد أحياء كثيفة السكان فى الداخل ثم تبدأ الكثافة فى الهبوط تدريجيا نحو الاطراف .

٢ - أنه فى معظم المدن (وليس فى كلها) ويمضى الزمن تميل الكثافة الى التناقص فى الضواحي الداخلىة الاكثر ازدحاما بالسكان ثم تأخذ فى التزايد فى الضواحي الخارجىة وتتجه المدينة ككل الى الاتساع والانتشار نحو الاطراف الخارجىة . وقد ذكر كلارك أنه بالنسبة لكل المدن التى درسها فان الهبوط فى كثافة السكان نحو الضواحي الخارجىة يتمشى مع معادلة رياضىة بسيطة للهبوط الأسمى هى :

$$ص = أ هـ - ب س$$

حيث

$$ص = كثافة السكان بالالف فى الميل المربع$$

$$أ = معامل لقياس درجة التزاحم الزائد فى مركز المدينة .$$

$$ب = معامل لقياس معدل الهبوط فى الكثافة .$$

$$س = المسافة بالاميال من مركز المدينة .$$

ويرتبط كل من المعاملين رياضيا بالحجم الكلى لسكان المدينة ، ويمكن أن يتحددوا برسم بيانى يكون المحور الأفقى فيه المسافة بالاميال من مركز المدينة الى نقطة الوسط Mid Point فى الحلقة الدائرىة المراد قياسها (الطقات الدائرىة حول مركز المدينة التى يبلغ عرض كل منها ميلا واحدا) والمحور الرأسى هو اللوغارىتم الطبيعى للكثافة بالالف تسمة فى الميل المربع وتميل البيانات الى الظهور على شكل خط مستقيم فيما عدا حى الاعمال المركزى ، كذلك فان قيمة المعامل (أ) يمكن الحصول عليها من النقطة التى يقطع عندها هذا الخط المستقيم المحور الرأسى ، وقيمة (ب) من انحدار هذا الخط ، وتختلف قيمة أ ، ب من مدينة لآخرى ، وتميز القيم الأعلى مدنا مثل لندن وباريس فى أوائل القرن التاسع عشر بينما تتميز القيم الدنيا مدن القرن العشرين .

وقد أظهرت دراسات توزيع السكان في المدن بعد ذلك نتائج لفكرة «كلارك» مع تفاوت في الأهمية من قطر لآخر ، وقد ذكر بيرى Berry وسيمونز Simmons وتينانت Tennant أساسا نظريا لصيغة كلارك مؤداه أن الهبوط الآسي السالب لكثافة السكان على رقعة المدينة يتمشى مع نظرية استغلال الاراضى الحضرية(١)، وذلك لان معظم المواضع المرغوبة التى يزيد الطلب عليها توجد في المناطق المركزية للمدن (منطقة القلب) حيث ترتفع أسعار الاراضى ويزداد العائد الجارى لها ثم مايلبث أن يتناقص ذلك بالاتجاه نحو الاطراف مما يمكن معه توقع هبوط في الكثافة السكانية بالابتعاد عن المركز ولذلك فقد استنتجت علاقة بين أسعار الاراضى والهبوط في كثافة السكان حيث يرتبط الهبوط الآسي السالب للكثافة بالهبوط الآسي السالب لاسعار الاراضى في المدن .

ويذكر بعض الباحثين أن التدرج في الكثافة ودرجة الاندماج يتناقضان بتزايد حجم المدينة وان كان ذلك ينطبق بصورة واضحة على المدن الغربية. أما معظم مدن العالم النامى فتتميز بأن التدرج الكثافي والاندماجية يظلان ثابتين بمرور الزمن أو على الأقل فترة طويلة من الزمن حيث تتسع المدن ببطء نحو الاطراف وحيث تتركز الجماعات السكانية الفقيرة في المناطق السيئة بالمدينة Slums وما يترتب على ذلك من تزايد مستمر في الكثافة المركزية بها .

وعلى ذلك فان المدن غير الغربية تتميز بحواف حادة نتيجة التغير المفاجيء في كثافة السكان ويمكن تفسير هذا التغير في ضوء مفهومى التماسك Cohesion والالتحام adhesion وتمركز السكان على الطرق الرئيسية نحو المدينة مما يؤدي الى اختلاف الكثافة الحلقية حولها،ومن الواضح أن طرق النقل تعد أهم العوامل المؤثرة في ذلك التدرج الكثافي .

وصفوة القول أن التاريخ المحلى لسكان المدن وتباين توزيعهم واختلافهم عرقيا ودينيا واجتماعيا يؤدي في النهاية الى تباين الخصائص الديموغرافية لكل حى من أحيائها وليست هذه الاختلافات منعزلة عن الظواهر الاجتماعية والاقتصادية السائدة في بيئة المدينة المحلية .

ويرتبط بدراسة توزيع السكان على رقعة المدينة ، دراسة الاختلافات

(1) Clarke, J., Population Geography. Op. Cit., p. 55.

اليومية لهذا التوزيع فيما بين ساعات النهار والليل Daytime - night time Variations وهى التى ترتبط بدورها بانتقال السكان على رقعة المدينة بين مناطق السكن ومناطق العمل واتجاهات الحركة على محاور النقل الرئيسية بالمدينة ، ولذلك أهمية كبرى فى تخطيط شبكة النقل الداخلية فى المدن وعلاقتها بحركة السكان اليومية .

ولعل أبرز الامثلة فى هذا المجال الدراسة التى قامت بها جامعة نورث كارولينا على مدينة فلنت Flint بولاية ميتشجان الامريكية وأثبتت أنه كلما تزايدت أعداد السكان فى منطقة القلب التجارى والحقى الصناعى خلال ساعات العمل بالنهار - تناقص عدد السكان فى المناطق السكنية ، وحتى يمكن وضع خطة علمية للنقل داخل المدينة فقد أمكن قياس تغيرات الكثافة من حيث حجمها فى ساعات اليوم المختلفة فأتضح أن أقل الكثافات فى منطقة القلب تتحقق فى الساعة الرابعة صباحا وأعلى الكثافات حوالى الساعة الثالثة ظهرا ولذا ترتفع الكثافة فى هذه المنطقة من قرابة ٩ أشخاص فى الفدان فى الساعة السادسة صباحا الى حوالى ٥٥ شخصا فى الساعة الثالثة ظهرا ، كذلك فقد قدر أن نسبة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠% من سكان المدينة يتركزون فى القلب التجارى خلال ساعات النهار وتنخفض هذه النسبة الى ٣% فقط أثناء الليل (١) .

درجة التزاحم فى المدن :

تعد كثافة السكان فى داخل المدن - وهى التى تمثل نسبة السكان الى مساحة الارض - أقل أهمية من دراسة توزيع السكان المدنيين عنها فى دراسة سكان الريف ، وذلك لأنها لاتلقى ضوءا كافيا على مدى التزاحم الفعلى على رقعة المدينة التى يسود بها الارتفاع الرأسى للمساكن ومن ثم فإنها لاتدل على مدى تزاحم السكان فى المساكن والحجرات ولذا فان دراسة درجة التزاحم تعد ذا أهمية خاصة فى جغرافية سكان المدن .

وتعنى درجة التزاحم ما يخص الحجرة الواحدة من الافراد ويمكن الحصول عليها ببساطة بقسمة عدد السكان على مجموع عدد الحجرات التى يشغلونها ، كما يمكن الحصول على هذه البيانات من التعداد السكانى

(1) Chaption, J., Stewart, P. "Population Densities Around the Clock" in "Readings in Urban Geography," edited by Mayer, H. and Kohn, Chicago, 1969. pp. 180-182.

لكل وحدة ادارية على مستوى القطر أو الاقليم ، وتعد هذه النسب مفيدة لدراسة كثافة شغل المساكن ، وكذلك كمؤشر لاحوال هذه المساكن ، إلا أن نواحي القصور بها أنها تتجاهل أحجام الغرف المسكونة ، وقد يكون ذلك العامل بمفرده من الاهمية لدرجة قد تقلل من قيمة استخدام هذا المؤشر في تزامم السكان .

ويعكس التغير في درجة التزامم بين تعداد وآخر مدى ما اعترى حالة السكن والسكان في المدينة في الفترة التعدادية (الفاصلة بين التعدادين) ويرى بعض الباحثين أن احدى المدن أو أحد أحيائها يعد مزدهما بالسكان عندما تكون جملة الغرف السكنية أقل من عدد السكان ويعنى ذلك أن درجة التزامم المثالية تصل الى واحد صحيح أى أن تكون هناك غرفة واحدة لكل فرد من السكان ، ورغم أهمية ذلك في النواحي الصحية والاجتماعية للسكان فان هذه النسبة المثلى من التزامم قلما تتحقق في المدن المختلفة ، وان تحققت فتكون في بعض أحيائها التي تتميز بارتفاع مستوى العيش بها .

التركيب العمري النوعى :

سبق القول بأن الهجرة الى المدن تتميز بظاهرة الانتقاء العمري النوعى مما يؤدي الى اختلاف التركيب السكانى حسب العمر والنوع بين الريف والحضر ، وتختلف الدول الغربية عن الدول النامية في ذلك ، ففي الدول الغربية تتركز كثير من الصناعات الخفيفة والخدمات المتعددة في المدن وتجذب هذه الانشطة كثيرا من الاناث الشابات من الريف مما يؤدي الى زيادة عددهن بالنسبة للشباب الذكور في سن الانتاج (تصل الى ٩٥ من الذكور مقابل كل ١٠٠ من الاناث) ، أما في معظم المدن بالدول النامية فتشهد عكس هذه الظاهرة وذلك للتنظيم الاجتماعى السائد الذى لا تسهم المرأة فيه بدور كبير في النشاط الاقتصادى ، ولذلك تقل نسبة الاناث الى الذكور في حركة الهجرة نحو المدن ، فعلى سبيل المثال بلغت نسبة النوع في مدينة لاهور بالباكستان ١٠٠ من الذكور مقابل ٧٨ من الاناث .

وبالاضافة الى تباين أعداد الذكور عن الاناث في المدن فان معظم السكان بها يكونون في أعمار متوسطة وذلك لدور المدن في جذب المهاجرين اليها والذين يكون معظمهم في هذه الاعمار ، ويتباين حجم هذه المجموعة السكانية المهاجرة بتطور المدينة وتاريخها ومدى توفر عوامل الجذب بها . وتختلف المدن فيما بينها في نسبة النوع ، وان كان من الملاحظ أنه

كلما كان حجم المدينة أكبر كلما تزايدت نسبة الذكور عن الاناث ، ففي الهند مثلا كانت نسبة النوع ١٢٠ (أى ١٢٠ من الذكور مقابل كل ١٠٠ من الاناث) في المدن ذات الفئة ٥٠ - ١٠٠.٠٠٠ نسمة أما في المدن الكبرى التى تزيد على ٥٠٠.٠٠٠ نسمة كانت النسبة ١٦١ وذلك حسب تعداد سنة ١٩٣١ ، الا أن الفارق بين النوعين بدأ يقل باستمرار التنمية في البلاد حتى أن النسبة كانت ١٢٧ فقط في المدن الكبرى ، وتتميز الهجرة الى المدن في أفريقيا وآسيا بأن الذكور يهاجرون بمفردهم في بادئ الامر سواء كانوا متزوجين أو غير متزوجين ويتركون زوجاتهم وأطفالهم في المناطق الريفية الاصلية وقد يعودون على فترات متقطعة أو يصبحونهم بعد أن يستقر بهم المقام في المهجر .

الاقليات السكانية في المدن :

من السمات الديموغرافية للمدن وجود الاقليات السكانية التى تعيش بالمدينة والتى تجمع بين أفرادها صفات مشتركة لغويا ودينيا أو عرقيا ويرتبط وجود هذه الاقليات بالتدفق الهجرى نحو المدن وتراكم أعداد المهاجرين ذوى الاصول الواحدة والذين ينتمون الى مجموعات عرقية مختلفة عن معظم سكان المدينة ، واذا كان هناك فصل بين المهاجرين الوافدين والسكان الاصليين بسبب الجنس أو اللغة أو الديانة أو حتى العادات فانهم غالبا ما يتركزون في مناطق محددة تتميز بصفات مشتركة ، ويظهرون على شكل اقلية سكانية ، وغالبا ما يمارسون حرفا خاصة يتميزون بها ، كذلك فان كثيرا من هذه الاقليات المهاجرة من بيئات فقيرة تميل الى ممارسة أعمال منخفضة الاجر والسكنى في المناطق القديمة بالمدينة التى تنخفض فيها تكاليف المعيشة وينجذب هؤلاء المهاجرون نحو المناطق التى يعيش فيها أبناء عشيرتهم أو أقربائهم حيث يسهل عليهم الاندماج الاجتماعى وممارسة حياتهم الاصلية .

وتتميز أحياء الاقليات السكانية ذات المستوى المعيشى المنخفض بارتفاع الكثافة السكانية بها وتزايد درجة التزاحم وكذلك ارتفاع معدلات الخصوبة دون فارق جوهري كبير عن مجتمعاتهم الاصلية وتأخذ هذه الخصائص في التغير والتلاشى بعضى الزمن اذا لم يتدفق سكان متشابهون باستمرار من مثل هذه المواطن الاصلية .

واوضح الامثلة على ماسبق الاقليات السكانية المهاجرة من بورتوريكو الى نيويورك حيث يعيش أفرادها في أحياء منخفضة المستوى يقطنها

مواطنوهم وجيرانهم السابقون الذين وفدوا الى الولايات المتحدة في فترات سابقة وقد تأثرت طبيعة العمل الذى يمارسه هؤلاء المهاجرون بالمناطق التى يعيشون بها حيث يعمل الكثيرون منهم فى نيويورك بالخدمات الدنيا وفى أعمال الفنادق والمطاعم وبعض المصانع ويحرصون على العيش بالقرب من طريق المواصلات الرخيصة .

كذلك تتميز معظم المدن الكبرى فى الولايات المتحدة بوجود أحياء سكنية أسسها الزوج الوافدون من مناطق أخرى فى هذه البلاد ، وغالبا ما يطلق على هذه الأحياء (الجيتو) وان كانت الكلمة مرتبطة بأحياء اليهود فى المدن الأوروبية ، ويختلف الجيتو الزنجى عن الأحياء الأخرى فى كثير من الوجوه أبرزها ارتفاع الكثافة السكانية والتزام ومستوى الخصوبة وانخفاض مستوى المعيشة بصفة عامة .

التركيب الاقتصادى لسكان المدن :

يرتبط وجود المدن ونموها بتوفر أوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعى المختلفة التى تتطلب بدورها تركيز السكان وممارستهم لهذه الأنشطة التى تحدد فى النهاية وظائف المدن وتصبح إحدى المميزات البارزة فى دراسة السكان الحضريين والتركيب الاقتصادى لهم .

ورغم أن مدن ما قبل الثورة الصناعية قامت بعدة وظائف متشابكة فإنها اعتمدت على اقتصاد يدوى تخدمه مواصلات محلية قاصرة، ونتيجة لذلك وبرغم تعدد المهن التى يمارسها سكانها ، فان تركيب العمالة فى هذه المدن نيز بالبساطة اذا ما قورن بالمدن الحديثة سواء فى حجم القوى العاملة أو فى تقسيم العمل بها .

ونتيجة التحول الحديث من الحياة الريفية الى الحياة الحضرية خاصة فى الدول الصناعية ، فقد ظهرت حرف متعددة وتطورت هذه الحرف وأصبحت سمة هامة فى التركيب الاقتصادى لسكان المدن فى العالم وقد ارتبط ذلك التنوع التركيبى فى المهن بتقسيم العمل الأكثر تعقيدا هو الأخر والذى تتميز به الصناعات الحديثة سواء فى عمليات الإنتاج أو فى التوزيع . وبالإضافة الى ذلك قويت الروابط بين المدن والريف وتزايد الطلب على الخدمات الحضرية فى عصر تميز بالتطور التكني وسهولة الاتصال .

تركيب المهن المدنية :

بالرغم من أن الصناعات ذات الإنتاج الكبير تعد أساسية لنمو المدن

الحديثة فانها قد لاتوجد في كل مدن العالم ، في الوقت الذى تسود فيه أنشطة اقتصادية أخرى مثل الخدمات والتجارة والتي كانت أساسا هاما من أسس قيام المدن وتطورها قديما وحديثا . وتنعكس هذه الخدمات التجارية في مواقع المدن على الطرق الهامة للنقل وعلى حدود الاقاليم الطبيعية الرئيسية وفى وسط كثير من البيئات المنتجة التى ترتبط بالمدن بشبكة نقل تعمل كشرايين بين هذه المدن واقاليمها الحضرية ، ومن ناحية أخرى فان الانشطة المرتبطة بالتجارة تؤدى الى قيام مهن أخرى في المدينة فعلى سبيل المثال تتطلب وسائل النقل والمواصلات وجود محطات للشحن والتفريغ وشركات التأمين وبنوكا متخصصة وغيرها .

ولما كان الانتاج الضخم سمة الثورة الصناعية ، فقد أصبح من الضروري توسيع مجال النفوذ المدنى ليستوعب الانتاج الزائد وفى نفس الوقت أصبح الانتاج أكثر تخصصا ومن ثم أصبح نقل المواد الخام والمنتجات الصناعية لمسافات وبكميات قليلة أمرا ضروريا عما كان عليه من قبل ، ونتيجة لذلك توسعت المؤسسات المرتبطة بالنقل والتجارة في الموقع الهامة التى تتحكم في الاسواق وفى النقل لمسافات بعيدة ، ولذا فان التخصص فى الانتاج والتطور في التجارة والتضخم السكانى للمدن كلها مظاهر متداخلة الى حد كبير .

ويعتمد نمو المدن المتخصصة على التطور فى وسائل النقل بالطرق وبالسكك الحديدية وبالنقل المائى ، وكلما وفرت هذه الطرق خدمات نقل رخيص وسريع كلما أسهمت فى ازالة القيود والحواجز التجارية وتوسيع مجال الحصول على المواد الخام وتصريف المنتجات الصناعية لمسافات ابعد ، ولذلك استفادت كثير من الصناعات بالمواقع التى تقوم عندها المدن مرتبطة فى ذلك بعوامل التوطن الصناعى المحلى ، وما أن تنمو الصناعات فى مدينة ما حتى تجذب اليها صناعات أخرى بعامل التداعى سواء كانت صناعات من نفس التخصص أو صناعات قائمة على المنتجات العرضية .

.by - Products

وبالاضافة الى المهن المرتبطة بالتجارة والصناعة ، فان كثيرا من المدن قد جذبت اليها أنشطة مدنية أخرى معتمدة على النشاط القائم بالفعل فى هذه المدن وهى أنشطة اضافية أو مساعدة Ancillary مرتبطة بدورها بالتجارة مثل خدمات البنوك والتأمين وغيرها وكذلك شركات الاعلان والهيئات القضائية والاستشارية والمحاسبين وما الى ذلك ، وبالاضافة الى ذلك هناك اصحاب مهن أخرى فى مجال الخدمات الضرورية كالخدمات الطبية والخدمات الشخصية والتعليمية والصحية والمطاعم ووسائل الترفيه وكل ما يرتبط بها .

أما المجموعة الأخيرة من الأنشطة المساعدة التي تقوم بخدمات فرعية أخرى فهي تعد ضرورية لحياة المدن ومن ثم تكون نسبة هامة من القوة العاملة مثل العاملين في محطات الكهرباء والغاز والبلدية وشركات المياه والتي تصبح حياة المدينة بدونها مستحيلة وكذلك العاملين في الاطفاء والامن والصحة وفي الخدمات الادارية في الادارات العامة المختلفة داخل المدينة .

المهن وتصنيف المدن حسب الوظائف :

يتباين تركيب السكان حسب المهن والنشاط الاقتصادي من مدينة لآخرى نتيجة الكثير من العوامل الجغرافية ، ولذلك فقد اتخذت المهن المدنية كأساس لتصنيف المدن الى أنواع وظيفية ، ويرجع هذا التصنيف الوظيفي الى منتصف القرن الماضي حيث تمثل في محاولات عدة معتمدة على احصاءات السكان بقصد فهم مواقع المدن في ضوء الوظائف التي تقوم بها في بيئاتها المحلية ، وكذلك دراسة العلاقة بين التركيب الوظيفي للمدينة وبعض ملامحها الجغرافية المميزة .

ومن المناهج المألوفة في التصنيف الوظيفي للمدن ، ذلك المنهج الذي يقوم على التصنيف الوصفي العام ، مثل تحديد المدن الصناعية والمدن التجارية ومدن المصايف والمشاتي والمدن الثقافية والدينية وغيرها وذلك دون محاولة حقيقية لتحديد ملامح التركيب الوظيفي لسكان كل منها ولاشك أن أول نقد لهذا التصنيف انه ليست هناك مدينة تقوم بوظيفة واحدة فقط ، بل ان المدينة هي تجمع سكانى في بيئة ضيقة يمارس سكانها وظائف متعددة تتفاوت أهميتها النسبية من مدينة لآخرى حسب مجموعة معقدة من العوامل المتشابكة أبرزها العوامل الجغرافية ممثلة في الموقع والموضع وطبيعة الظهير المدنى ، كذلك فليست الحرف التي يمارسها أكبر عدد من السكان في المدينة أكثرها أهمية في اقتصادياتها ، فقد تجعل المحلات التجارية - المدينة التعدينية مركزا هاما لتجارة التجزئة وليس للصناعات الاستخراجية ، كذلك فقد تكون الصناعات في مدن الجامعات أهم من الوظيفة التعليمية التي تمارسها تلك المدن .

وقد ساعدت البيانات المتوفرة في كثير من دول العالم المتقدم على اتباع منهج كمي يمكن تطبيقه في دراسة وظائف المدن وارتباطها الوثيق بحرف السكان ومن أبرز هذه المحاولات المبكرة محاولة هاريس (C. D. Harris) سنة ١٩٤٣ بالتطبيق على مدن الولايات المتحدة اعتمادا على

بيانات تعدادها سنة ١٩٣٠ (١) وقامت محاولته الرئيسية على تحديد وظيفة واحدة في المدينة عن طريق معرفة نسبة السكان العاملين في مهن معينة بها ومن ثم تصبح المدينة متخصصة في تلك الوظيفة وتصنف على هذا الأساس الا أن تطبيق هذه الطريقة ليس بتلك البساطة ذلك لان الوظيفة الهامة في المدينة قد لا يعمل فيها أكبر عدد من السكان بها كما سبق القول، ومثال ذلك أنه اذا كانت نسبة معينة للعاملين في التجارة في مدينة ما تسمح باعتبارها مركزا لتجارة الجملة Wholesaling Center فان نفس النسبة للعاملين في الصناعة في مدينة أخرى قد لا تكون كافية لاعتبار تلك المدينة مدينة صناعية Manufacturing Centre .

وللتغلب على هذه المشكلة درس «هاريس» تركيب السكان في عدد من المدن التي اعتبرها ذات سمات وظيفية مميزة واعتمد على نتائج هذه الدراسة كأساس لتصنيف باقى المدن ، وعلى سبيل المثال فقد ذكر بان المدينة يمكن تصنيفها على أنها مدينة صناعية اذا كان ٦٠٪ على الأقل من جملة العاملين بها يعملون في الصناعة وفي تجارة المنتجات الصناعية، ومن ناحية أخرى فان مدينة «تجارة التجزئة» تصنف كذلك اذا كان ٥٠٪ من العاملين بها يشتغلون في تجارة التجزئة ، ومدينة تجارة الجملة تعد كذلك اذا كان ٢٠٪ فقط من العاملين بها يعملون في تجارة الجملة . وباستخدام نفس النسب ذكر هاريس أن هناك مدنا متعددة الوظائف Diversified وهى التى تقل نسبة العاملين في الصناعة بها عن ٦٠٪ وتجارة التجزئة عن ٥٠٪ وتجارة الجملة عن ٢٠٪ ، وقد استخدمت نفس الطريقة في تحديد مدن النقل ومدن التعدين ومدن الجامعات ، أما مدن المصايف والمشاتى فتعيزت بانخفاض نسبة العاملين بها في أى نوع من أنواع المهن .

وقد قويات آراء «هاريس» السابقة باعترافات متعددة على أسس التصنيف الوظيفى للمدن ، أولها أن التصنيف لا يأخذ في الاعتبار النمط العمرانى الحضرى السائد بل يعتمد على احصاءات العمالة والنشاط الاقتصادى الواردة في التعداد فقط ولاشك أن الاعتماد على بيانات التعداد فقط يخفى في ثناياه الكثير من الحقائق عن التركيب المهنى ومثال ذلك أن ٨٠٪ من المدن الامريكية في تصنيف هاريس اعتبرت متنوعة الوظائف

(1) Harris, C., "A Functional Classification of Cities in the United States", in "Readings in Urban Geography" edited by Mayer, H. and Kohn C., Op. Cit., pp. 129-138.

diversified بالرغم من أن هذا التنوع يعد عاملا هاما يفسر من خلاله الحجم الكبير لهذه المدن كذلك كان الكثير من هذه المدن الكبرى مراكز صناعية وتجارية رئيسية وكانت أيضا من أهم مراكز النقل والتعليم .

والواقع أن تعدد الوظائف في المدن أصبح هو القاعدة السائدة ذلك لأن قيام مدينة ما بوظيفة واحدة يكاد يكون أمرا نظريا بحتا غير موجود في الواقع ولئن كان التخصص قد فرض نفسه بوضوح في بعض الحالات كما في بعض مدن الصناعة والتعدين والمدن الترفيهية إلا أنه يبدو أساسا ظاهرة عابرة إذ لا تلبث الوظيفة القائمة أن تدعو إليها وظيفة أخرى أو وظائف أخرى ، فالوظيفة التجارية في الموانئ تؤدي إلى قيام ونمو الصناعة ، والمدن الصناعية لا تلبث أن تتحول إلى سوق تجارية يتناسب مع أهميتها الصناعية وهكذا ، ولذلك ما تلبث المهن والأنشطة الاقتصادية أن تنتشر في المدينة الواحدة مع تباين قليل في أهميتها النسبية من مدينة لأخرى .

الباب الخامس

السكان والموارد الاقتصادية

الفصل الخامس عشر

العلاقة بين السكان والموارد

حظى موضوع العلاقة بين السكان والموارد باهتمامات كبيرة منذ وقت مبكر من العصر الحديث ، وكان ذلك نتيجة لما شوهد من تزايد كبير في أعداد السكان بمعدلات تفوق الزيادة في الموارد الاقتصادية وخاصة موارد الغذاء ، وكان روبرت توماس مالثوس R. T. Malthus من أوائل الذين سلطوا الضوء لأول مرة على مشكلات الموارد الغذائية والتزايد السكاني وذلك في مقاله الشهير في سنة ١٧٩٨ بعنوان «مقال عن مبدأ السكان An Essay on the Principle of Population» ، وكان فحوى المفهوم المالثوسى أن قدرة التزايد السكاني أكبر بكثير وبغير حدود من قدرة الأرض على انتاج وسائل العيش ، وذكر قولته المشهورة بأن الزيادة السكانية تتبع متوالية هندسية بينما زيادة الغذاء تتبع متوالية عددية ، وليس هذا الفرض دقيقا تماما على أية حال - ولكن تكمن أهميته في إثارة الانتباه نحو توضيح العلاقة بين السكان والغذاء خاصة في الدول المتخلفة ، فمع افتراض أن موارد الغذاء يمكن أن تتضاعف كل عشرين عاما مثلا فان ذلك يعنى ببساطة أنه بعد مائة سنة سيتضاعف الغذاء ست مرات بينما سيتضاعف السكان اثنتان وثلاثون مرة في نفس الفترة . وسنناقش ذلك فيما بعد في اطار النظريات السكانية .

وتبين هذه النظرية أن سكان العالم سيواجهون موقفا صعبا لن يقدرُوا معه على حل مشكلة المجاعات حيث ستتناقص كمية الغذاء المتاحة للفرد الواحد حتى تخضع أعداد البشر للضوابط الطبيعية مثل الكوارث أو الامراض أو الحروب ، ولكن تنبؤات مالثوس لم تتحقق بالصورة التي ذكرها ، وذلك للزيادة الكبيرة وغير المتوقعة في الانتاج الاقتصادي في خلال القرن التاسع عشر والعشرين وهى الزيادة التي نجمت أساسا عن التقدم التكنولوجى في الزراعة والصناعة والنقل ، ففي بريطانيا مثلا - حيث وجدت آراء مالثوس في البداية اهتماما كبيرا ، تزايد السكان من ١٠ مليون

نسمة في سنة ١٨٠١ الى ٣٧ مليون سنة ١٩٠١ دون أن ينخفض مستوى معيشتهم ، ولعل في قدرة بريطانيا الصناعية ما يساعدها على استيراد كميات كبيرة من الغذاء والمواد الخام اللازمة لصناعتها من الخارج ، وبالإضافة الى ذلك فان معدل الزيادة السكانية في بريطانيا تناقص بسرعة في أوائل القرن، ولكن كل هذه النتائج التي تترتبت على الثورتين الصناعية والزراعية لم تستفد منها كل المجتمعات التي تعاني التضخم السكاني في اليق الحاضر ، ولذلك فان أعدادا ضخمة من سكان الدول النامية في عالم اليوم تعيش المعضلة المalthوسية المقيمة، ولعل في انخفاض المستوى الغذائي في أفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية مايدل على ذلك بالمقارنة مع المجتمعات المتقدمة في أمريكا الشمالية بأوروبا ودول الكومنولث واليابان ونيوزيلندا .

وتعد العلاقة بين حجم ومستوى السكان من ناحية وكمية وقيمة الموارد الاقتصادية من ناحية أخرى أساسا هاما لتحديد الاقاليم السكانية على خريطة العالم، وتعتمد تلك الاقاليم على شخصية المجتمع الحضارية الكامنة ومستواه الاقتصادي والاجتماعي وعلاقاته الخارجية بالمجتمعات الاخرى، وبالرغم من أن نسبة السكان الى الموارد $Population\ Resource\ Ratio$ ترتبط بعنصرين أحدهما بشرى والاخر طبيعى ، فان التوجيه الرئيسى للاقاليم السكانية في ضوء الموارد يعتمد على خصائص السكان بالدرجة الاولى .

ويمكن تعريف المورد Resource بأنه «المادة أو الخاصية الطبيعية للمكان التي يمكن استخدامها في بعض الوجوه لاشباع حاجة بشرية وتشمل الموارد الامكانيات الطبيعية والبيولوجية الكامنة للثروة المعدنية والتربة والحياتين النباتية والحيوانية والمياه والمناخ في مكان ما سواء عرفت أو استغلت بواسطة سكان هذا المكان أو بواسطة سكان آخرين» (١) . ففي المجتمعات البدائية مثلا يشمل المورد الغذاء والمواد الاخرى المتاحة مثل الصخور والنبات والحيوان والتي يمكن تحويلها بسهولة الى مسكن وملبس وأدوات مختلفة للاستخدام المحلى .

وفي ضوء ذلك فان استغلال المورد يعد نتاجا للطموح البشرى والتراث

(1) Zelinsky, W., Prologue to Population Geography, Prentice-Hall International, Inc., London, 1970, p. 103.

والمواهب والعمل وينعكس ذلك كله على المكونات الطبيعية للبيئة الجغرافية ، ولذا فان قيمة أى مورد من موارد البيئة يمكن أن تتحدد فى دراسة الجغرافيا الاقتصادية ، أما دارس جغرافية السكان فيهتم بكمية الموارد المعروفة ونسبة السكان الى هذه الموارد ، فبالرغم من تباين التوزيع الاقليمي للموارد فى الدولة الواحدة فان كل اقاليمها تتقاسم الدخل القومى فى النهاية وتنتقل السلع والخدمات وأوجه الثروة المتعددة من الاقاليم الاحسن حالا الى الاقاليم الاقل ، ولا يبدو ذلك التناقض بين اقاليم الدولة فقط بل بين الدول بعضها وبعض ، ويكفى النظر الى الحدود الدولية كتلك التى تفصل بين المكسيك والولايات المتحدة لندرك كيف تخلق الاختلافات الاقتصادية القومية فروقا حادة فى مستويات العيش بين الدولتين .

وبالاضافة الى ماسبق فان الدولة لاتنتج بالضرورة كل احتياجاتها من المواد الخام اللازمة لامداد سكانها بالغذاء والطاقة والملبس والمتطلبات الاخرى ، ويتحدد أكثر فان السكان لايعتمدون كلية على الموارد المحلية للعمل والثروة فحسب ، بل على الموارد الخارجية كذلك ، فاذا كان للدولة فائض كبير من الموارد الطبيعية يمكن تصديره فان التجارة الدولية وعلاقاتها الخارجية تساعدها حينذاك على استكمال ما ينقصها من سلع مادية وخدمات .

ومن الواضح أن حجم الاقليم يعد أمرا هاما فى تحديد العلاقة بين السكان والموارد ، فالمساحة الضخمة للولايات المتحدة أو دول الكومنولث أو الصين أو البرازيل مثلا تساعد على امكن البحث عن الموارد الطبيعية واستغلالها كما تجعل انتاج بعض عناصر الثروة فائضا عن الاحتياجات القومية مما يسهم فى تصديرها ، وذلك بعكس الدول ذات الاحجام الصغيرة والتى تحتاج لجهود كبيرة فى التنمية الاقتصادية وتوفير الاحتياجات لسكانها ، ولكن مع كل ذلك فليست هناك سيادة مطلقة لكل دولة فى تحقيق اكتفاء ذاتى فى كل الموارد، يتساوى فى ذلك الدول العملاقة المساحة أو التى تتميز بمساحة قزمية ، ولكن فى معظم الاحوال فان المساحة الكبيرة تساعد على خلق نسبة ملائمة بين السكان والموارد ومن ثم تزايد احتمالات تحقيق مستوى معيشى مرتفع .

وتؤثر الخصائص الاقتصادية لآى اقليم تأثيرا مباشرا على أنماط التوزيع السكاني بطريقة تفوق مؤثرات العناصر الطبيعية وتحدد هذه الخصائص مستوى ونوع الاستجابة البشرية لتلك العناصر فى مكان وزمان

محددتين ، وفي اطار ما تمنحه الشخصية الطبيعية للبيئة ، ومعنى ذلك ان أعداد السكان تتحدد في ضوء الترابط بين الموارد الاقتصادية من جهة والعناصر الطبيعية للبيئة من جهة أخرى ، ويبدو ذلك في نمط الحياة في البيئات المختلفة سواء كانت تتميز باقتصاد بدائي أساسه الصيد والجمع والرعى البدائي أو باقتصاد حديث عماده الزراعة المتقدمة والرعى التجاري والتعدين وقطع الاشجار ، ويتعرض عدد السكان ونمط حياتهم في البيئة للتغير المستمر تماما كما يحدث ذلك التغير للمظاهر البيئية سواء بفعل الطبيعة أو بفعل البشر ، ولكن من الواضح أن الاقتصاد هو أكثر تغيراً في عناصره المتعددة بالمقارنة مع المكونات الطبيعية للبيئة .

ويعد فهم طبيعة النظام الاقتصادي السائد خطوة هامة في فهم حجم وتوزيع السكان في البيئات الجغرافية وذلك لما لهذه الحتمية الاقتصادية من أثر فعال في ذلك، فمن الواضح أن هناك ارتباطاً قوياً بين حجم السكان والمستوى الاقتصادي من ناحية ، كما أن هناك ميلاً عاماً نحو التزايد السكاني بتطور الاسلوب الاقتصادي وتقدمه من نمط بدائي الى نمط متقدم من ناحية أخرى . (شكل ٤٤) .

وقد حدا ذلك ببعض الكتاب الى محاولة وضع صيغة تعكس العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية في البيئات المختلفة ، ومن أبرز هؤلاء ادوارد ايكرمان Edward Ackerman الذي اقترح معادلة لذلك الغرض (١) والتي فحواها بايجاز أن مجموع السكان في منطقة ما هو نتاج لعدة عناصر أبرزها الموارد الطبيعية وخواصها والمستوى التكنولوجي والادارة وأسلوب الاستغلال الاقتصادي والتجارة والتي تتفاعل بدورها لتحديد مستوى المعيشة السائد في المجتمع ، ومن الصعب وان لم يكن من المستحيل جمع بيانات أساسية لمنطقة محددة وفي فترة محددة لحساب هذه المعادلة ، ومع ذلك فإن محاولة تطبيقها قد تؤدي الى بعض النتائج الهامة في دراسة العلاقة بين السكان والموارد ، فهناك على الأقل - ثلاثة عناصر في هذه المعادلة جديرة بالاهتمام - وهي حجم السكان والموارد ومستوى العيش ، وهي عناصر غير مستقلة عن بعضها البعض بل تتفاعل فيما بينها تفاعلاً متبادلاً ولذا فإن استغلال الموارد الاقتصادية المتاحة يعد انعكاساً لعدد السكان

(1) Ackerman, E., "Population and Natural Resources", in Philip M. Hauser and Otis Dudley Duncan, eds. The Study of Population, Op. Cit., pp. 621-648.



شكل رقم (٤٤)
مستوى التنمية الاقتصادية في العالم

ومستوى معيشتهم ، كما وأن هناك عوامل أخرى تؤثر في ذلك ولا تظهرها المعادلة مثل العامل التاريخي والتراث الحضارى وغير ذلك .

وقد يكون العنصر الزمنى أبرز العناصر المؤثرة في تحديد حجم السكان وتوزيعهم ، وترتبط معادلة ايكرمان نظريا باقتصاد سائد في فترة زمنية محددة لتفسير الوضع الراهن لحجم السكان ، ذلك لان العمليات الديموغرافية تتم في زمن ليس بقصير ، وهى في ذلك ترتبط بتور النمط الاقتصادى في الزمان والمكان ، فعوامل السبق التاريخى والجغرافى مثلا تعاونت في تحديد مناطق التركيز والتخلخل السكانى ، ولذا فان دراسة التطور الزمنى تعد ضرورية لفهم خريطة توزيع السكان كما سبق القول، حيث تراكمت الظواهر التى خلفتها الظروف التاريخية وعملت على تشكيل نمط التوزيع السكانى الحالى ، ولعل في تضافر الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تحديد مناطق الهجرة السكانية الوافدة والمغادرة بل وفي تحديد مستويات النمو الطبيعى للسكان ما يدل على ذلك .

وبالنظر الى طرف المعادلة المرتبط بالموارد يبدو أنه من الصعب للغاية - وان لم يكن مستحيلا - تحديد حجم وكمية الموارد المتوفرة الكامنة في أى منطقة ، ولكن باستخدام اجمالى عدد السكان المطلق يمكن الاستدلال على نسبة هؤلاء السكان الى الموارد . ومن المعروف أن السكان عنصر دائم التغير سواء كمؤثرات في الانتاج أو الاستهلاك ، ذلك لان السكان يختلفون في معدلات الانتاج بنفس اختلافهم في مستويات الاستهلاك ، ويعتمد ذلك بطبيعة الحال على مجموعة من العوامل المتشابهة ، ولذا فان دراسة توزيع السكان في أى منطقة لا تتطلب دراسة دور السكان في الانتاج فقط بل دورهم في الاستهلاك كذلك وبمعنى آخر معرفة مستوى المعيشة المقبول في ضوء الموارد المتاحة والمستوى الحضارى السائد .

وعلى ذلك فانه من قبيل الاوصاف العامة التحدث أحيانا عن العلاقة بين السكان والموارد في بيئة أو منطقة ما بأسلوب التعميم مثل القول بأن هناك «توازنا» بين الموارد والسكان أو بأن هناك نقصا حادا في عدد السكان بالنسبة للموارد التى يمكن أن تستغل بالاساليب المحلية ، ولذلك فان من السمات الهامة في نسبة السكان الى الموارد أن اضافة أعداد من السكان في منطقة ما لا يعنى بالضرورة هبوط مستوى المعيشة خاصة اذا كانت الاعداد المضافة تفوق في خصائصها باقى السكان في المستوى التكنولوجى ، فعندما توصف دولة ما بأن سكانها أقل من مواردها فان أى

نمو سكاني قد يزيد من رفاهيتها ويرفع من نصيب الفرد من استخدام الموارد عن طريق تعزيز القوى العاملة بها .

وفي ضوء ماسبق فان كثافة السكان في منطقة ما والتي تعنى بأن عددا معيناً من الأشخاص يقطنون الكيلو متر المربع الواحد أو أية وحدة مساحية أخرى قد لاتعكس الظروف الجغرافية السائدة في البيئة مباشرة ، ذلك لان من المشاهد على خريطة توزيع السكان في العالم أن الكثافات السكانية العالية يمكن أن تتعايش مع مستويات معيشة عالية أيضا ، ولعل في شمال غرب أوربا دليل واضح على ذلك ويقابل ذلك بطبيعة الحال أن الكثافة المنخفضة ليست قرينة بارتفاع في المستوى المعيشي بل قد تكون مقترنة بانخفاضه كما في كثير من دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا .

مقاييس العلاقة بين السكان والموارد :

سبق القول بأنه ليس من السهل الحكم مباشرة على العلاقة بين السكان والموارد وذلك لصعوبة قياس الموارد قياسا كميًا وكذلك فان للسكان احتياجات متعددة وقيم وعادات مختلفة ومن ثم فليس هناك قياس بسيط للحجم الامثل للسكان أو للحجم الزائد أو الناقص لهم .

وفي محاولة لتحديد العلاقة بين السكان والموارد تحديدا نظريا وضعت الامم المتحدة ثمانية مقاييس لهذا الغرض⁽¹⁾ ويمكن أن نضيف اليها نسبة الاعالة وهذه المقاييس هي :

- ١ - متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي .
- ٢ - مستوى العمالة السائدة .
- ٣ - ظهور مبدأ الغلة المتناقصة .
- ٤ - حجم الهجرة واتجاهها .
- ٥ - التغيرات في أنماط الاستهلاك ونصيب الفرد من الغذاء .
- ٦ - أمد الحياة .
- ٧ - التغيرات بالنسبة للتجارة الدولية .

(1) U.N. The Determinants and Consequences of Population Trends, New York, 1953.

٨ - الكثافة السكانية .

٩ - نسبة الاعالة .

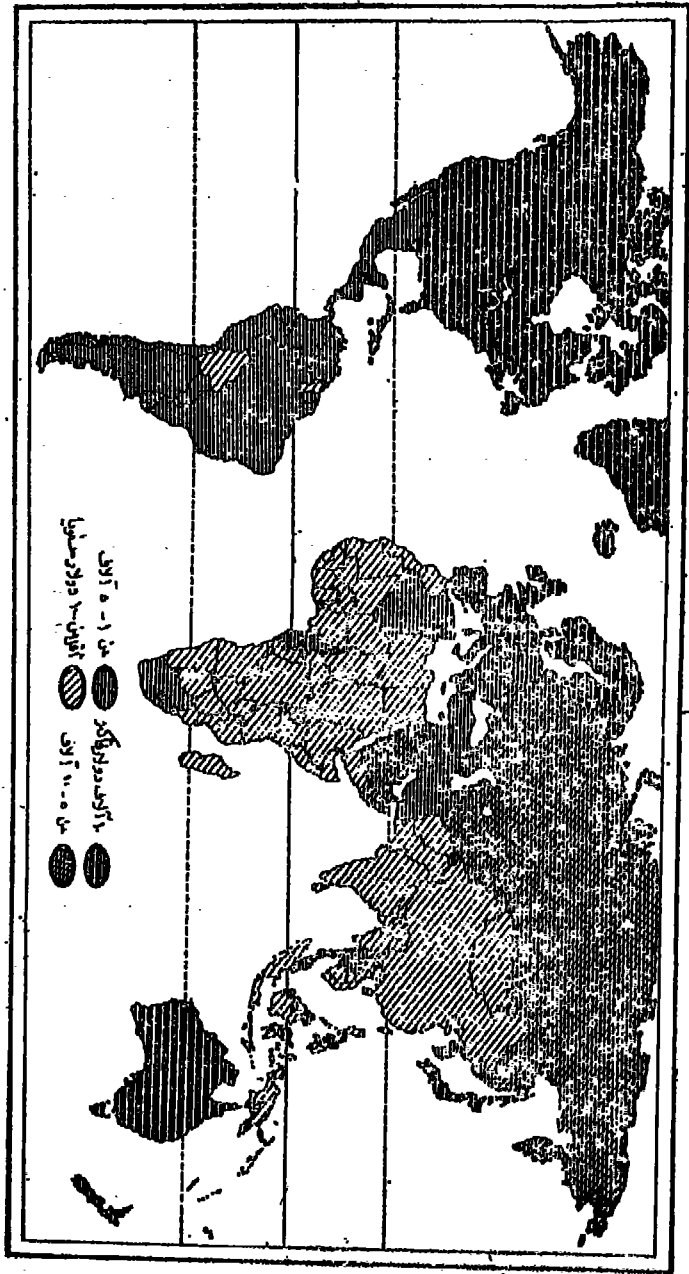
وليس هناك مقياس واحد من هذه المقاييس يحظى برضاء كامل فيما يعبر عنه ، حيث يعكس كل منها احوالا أخرى بعيدة عن العلاقة المباشرة بين الموارد والسكان ولكن بعضها قد يكون مقياسا مفيدا في حالات كثيرة مثل متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى الذى يمكن الحكم بواسطته على الغنى والفقير . ومن ثم يقسم العالم الى دول غنية وأخرى فقيرة (شكل رقم ٤٥) .

وبالإضافة الى ماسبق فليست هناك قيمة ثابتة في الزمان أو في المكان لمفهوم الحجم الزائد أو الامثل أو الناقص للسكان فقد يكون الحجم المثالى في منطقة ما حجما أقل أو أكثر في منطقة أخرى - كما أن التغير في الاحوال الاجتماعية والاقتصادية يعنى أن الحجم الامثل للسكان اليوم قد يكون حجما زائدا غدا ، وتعد الحركة السكانية (الطبيعية والجغرافية) والتطور التكني الحديث مسؤولة عن هذا الوضع المتغير ، ولكن التقدم التكني ليس متساويا في التطبيق في كل أجزاء العالم ولا يؤدي بالضرورة الى نفس النتيجة في كل مكان يسود به ، ومع ذلك فلا مناص من القاء الضوء على بعض هذه المفاهيم السائدة .

الحجم الامثل للسكان Optimum Population :

كان كانتيون Cantillon أحد كتاب أوائل القرن الثامن عشر ، أول من أشار الى الحجم الامثل للسكان وكيف يساعد على تحقيق أعلى مستوى للعيش في مساحة معينة وفي ظل ظروف خاصة ، وفي ضوء الاراء والافكار التى قيلت عن الحجم الاقصى للسكان الذى يمكن أن يعيش في منطقة محدودة فقد أدخل «كانتيون» مفهوم العادات والتقاليد لشعب ما كعامل هام مع الموارد الاقتصادية ، ولكن مع ذلك كله بقى السؤال الهام عما اذا كانت الزيادة في عدد السكان سترفع من مستويات العيش للسكان أو تخفض منها .

والحجم الامثل للسكان أمر نسبي تماما ، فعلى سبيل المثال ليس هناك من شك في أن حجم السكان البالغ ١٠ مليون نسمة في بريطانيا في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية معينة - يؤدي الى انخفاض في مستويات العيش بها . ذلك لان كثيرا من الموارد ستصبح غير مستغلة وستتخفف



شكل رقم (٤٥)
 نصيب الفرد من الناتج القومي سنويا بالدولار

الخدمات بدرجة كبيرة ، ومن ناحية أخرى فان عددا قدره ١٠٠ مليون نسمة مثلا سيتطلب موارد أكثر مما هو متاح حاليا في بريطانيا ، وقيما بين هذين الرقمين يقع الحجم الامثل للسكان والذي يختلف الكثيرون في تحديده بدقة ، ولا تختلف بريطانيا كثيرا عن بقية دول العالم في هذا الصدد ولذلك كله فمن الصعب للغاية أن نوضح على خريطة العالم توزيع الدول حسب الحجم الامثل لسكانها .

ومع ذلك فهناك مؤشرات هامة يمكن الاستدلال بها على الحجم الامثل للسكان من أبرزها مستوى المعيشة المرتفع والعمالة الكاملة والتنمية السليمة للموارد والتركيب الديموغرافي المتوازن ، ويلاحظ أن هذه المؤشرات تختلف في الزمان والمكان تبعا لمجموعة متعددة من العوامل مثل حجم الدولة وجغرافيتها وتركيبها الاجتماعى ومرحلة التقدم التكنولوجى الذى وصلت اليه ، ثم كفاءة شرايين النقل بها وغير ذلك ، وبصفة عامة يكون المدى الرقى للحجم الامثل للسكان كبيرا فى الاقتصاد والبيئات المفتوحة عنه فى الاقتصاد المتخصص والمجتمعات المنعزلة حيث يؤدى نمو السكان والازمات الاقتصادية والحروب أو الجفاف الى كوارث تخذ بالتوازن بين السكان والموارد ويمكن القول بأن الحجم الامثل للسكان قد تحقق فى دول شمال أوروبا وان كان بعضها مثل هولنده قد بدأ يعيش فى مرحلة الحجم الزائد للسكان .

وقد حظى مفهوم الحجم الامثل للسكان فى أوروبا والولايات المتحدة باهتمام واضح فى السنوات الفاصلة بين الحربين العالميتين ولكنه واجه نقدا شديدا على أسس نظرية وعملية خاصة من جانب الكتاب الشيوعيين الذين يرونه انعكاسا لنظرية مalthus فى السكان ، وقد أصبح من السائد اليوم بين معظم الديموغرافيين أن الحجم الامثل للسكان لايمكن حسابه أو تقديره على أساس أن الاقتصاد والسكان قابلان للتغيرات السريعة بدرجة لاتسمح بإمكان حساب هذا الحجم بدقة .

الحجم الزائد للسكان Over Population :

يطلق تعبير الحجم الزائد للسكان أو كما يعرف أحيانا بالتضخم أو الانفجار السكانى عندما يكون هناك تزايدا سكانيا بدرجة تفوق نسبة الزيادة فى الموارد المستغلة أو الكامنة ، وقد ينتج ذلك عن زيادة فى حجم السكان وتناقص فى الموارد وفى العمل ، والزيادة السكانية المطلقة يمكن أن تتميز عن التزايد السكانى النسبى فى ضوء العلاقة بين السكان والانتاج ،

فالاولى تحدث عندما يكون الحد المطلق للانتاج قد تم الوصول اليه رغم بقاء مستويات المعيشة منخفضة ، أما الاخر فيدل على أن الانتاج الحالى غير كاف للسكان رغم امكان زيادته بدرجة أكبر ، والشائع دائما استخدام الحجم الزائد النسبى للسكان وليس الحجم المطلق .

والحجم الزائد للسكان يمكن أن يوجد فى مستويات متعددة من الحياة الريفية والصناعية وعلى المستوى المحلى أو الاقليمى أو القومى ، ويبدو ذلك واضحا فى الريف وفى المناطق المتخلفة والمزدحمة كما فى جنوب شرق آسيا حيث الخصوبة مرتفعة والوفيات منخفضة والزراعة كثيفة والارض الزراعية مجزأة. تماما والاساليب الزراعية متخلفة .

وينتج التزايد السكانى فى المناطق الريفية عن عدة عوامل أبرزها :

أ - تباين توزيع الاراضى الزراعية بين السكان .

ب - نقصان الطلب على الايدى العاملة الزراعية نتيجة تزايد الميكنة الزراعية .

ج - ارتفاع مستويات الخصوبة للسكان الريفيين .

ويرى «بيير جورج P. George» أن المجاعات والبطالة والتزايد فى عدد غير الملاك للاراضى الزراعية كلها أعراض للحجم الزائد للسكان فى الريف(1) ويمكن أن نضيف اليها انخفاض مستوى المعيشة وتزايد نسبة الصغار وبالتالي ارتفاع معدلات الاعالة ، ومن سوء الحظ فان طول هذا التضخم السكانى - فيما عدا الهجرة تعد حلولا صعبة وبطيئة وقد تكون الثورات الاجتماعية والثقافية على المدى البعيد ذات تأثير فعال فى هذا الصدد .

أما فى الدول الصناعية فان التضخم السكانى بها يكون أقل وضوحا وذلك للمرونة الكبيرة ، وانتقال الايدى العاملة بسهولة وبدرجة أكبر من العمال الزراعيين، وينتج التضخم السكانى فى المناطق الصناعية عن عوامل منها التطور التكني الذى يؤدى الى توفير الايدى العاملة ، كما أن الهبوط الدورى والمؤقت المرتبط بدورات التجارة أو كسادها يسبب بدوره تضخما سكانيا مؤقتا ، ولعل الازمة العالمية فى الثلاثينيات دليل على ذلك حيث

(1) George, P. Geographieque la Population, Paris, 1973.

كانت الاقاليم الصناعية مناطق طرد سكاني وشهدت هجرة مغادرة على نطاق واسع .

وفي الوقت الحاضر تشهد بعض المناطق في الدول الصناعية مثل بلجيكا وايطاليا واليابان تضخما سكانيا محليا يمثل مشكلة قومية، وحتى في الدول ذات الحجم المكاني الناقص مثل استراليا ونيوزيلنده والبرازيل توجد «جزر» مبعثرة ذات تضخم سكاني ، وفي دول أخرى مثل أندونيسيا توجد مناطق متضخمة سكانية وأخرى ذات حجم ناقص ، فضغط السكان في جواهر وأجزاء من سومطره يتناقض تماما مع نقص السكان في بورنيو وبعض الجزر الأخرى ، وبالإضافة الى كل ذلك فهناك جزر تعاني من مشكلة التضخم السكاني مثل مالطة وموريشيوس وريونيون وهونج كونج وبعض جزر البحر الكاريبي مثل بورتوريكو وبربادوس وبعض الجزر الأخرى .

الحجم الناقص للسكان : Under Population

يسود مفهوم الحجم الناقص للسكان حيثما كان عدد السكان قليلا بدرجة لا تسمح بالاستغلال الكامل للموارد أو حيث تستطيع الموارد أن تمد عددا أكبر من السكان بالغذاء والاحتياجات الأخرى دون أن يؤدي تزايدهم الى نقصان في مستوى المعيشة أو تزايد في معدلات البطالة .

والحجم الناقص المطلق نادر ولا يوجد الا في المجتمعات البدائية المنعزلة حيث لا تتزايد أعداد السكان نتيجة النقص الطبيعي أو عدم كفاية الانتاج الاقتصادي أما الحجم الناقص النسبي وهو الذي يعينه دارسو السكان فيحدث عندما لا تستغل الموارد بدرجة كافية بسبب نقص السكان في المجتمع .

ويسود الحجم الناقص للسكان بين الشعوب المتقدمة والتي تمارس زراعة واسعة كما في براري أمريكا الشمالية وأجزاء من استراليا ونيوزيلنده وبين بعض الشعوب المتخلفة مثل قبائل الرعاة في الاقاليم الجافة والقبائل التي تمارس الزراعة المتنقلة في أفريقيا كما في زامبيا مثلا(١) .

ومن الصعب مواجهة الحجم الناقص للسكان في بعض الاقاليم خاصة في المناطق الريفية دون تدخل حكومي لتشجيع الاستقرار واقامة مشروعات

(1) Clarke, J., Population Geography. Op. Cit., pp. 153-158.

التوطين ، ويعد مشروع الاصلاح الزراعى فى مصر والتوسع الزراعى بها من الامثلة على محاولات الحكومة لمواجهة الحجم الزائد للسكان فى بعض المناطق والحجم الناقص فى مناطق اخرى بقصد احداث توازن سكانى بين الاقاليم ، وفى الشعوب المتخلفة فان الحجم الناقص يمكن مواجهته بتحسين الخدمات الطبية والغذاء والعمل على تخفيض معدلات الوفيات وتوطين السكان الرحل .

وتعد كندا من الامثلة البارزة على دولة متقدمة ذات حجم سكانى ناقص ، وترى حكومتها ان عدد سكانها الحاليين البالغ ٢٧ مليون نسمة يمكن ان يتضاعف فى نهاية هذا القرن دون ان يكون هناك هبوط فى مستوى معيشة السكان ، ويرجع ذلك الى وجود مساحات شاسعة من الاراضى فى الشمال الكندى تنتظر الاستغلال والتنمية بالاضافة الى الموارد الضخمة من الطاقة الكهربائية التى لم تستغل بعد .

اما الاستراليون - فبالرغم من حجمهم الناقص بالنسبة لموارد بلادهم فانهم قلقون من تزايد حجمهم فى المستقبل ، ذلك لان مجالات التنمية المستقبلية لديهم اقل منها فى كندا حيث ان معظم مساحة استراليا صحراوى او شبه صحراوى ، ولذا تستمر استراليا فى اتباع سياسة استراليا البيضاء التى تمنح بمقتضاها هجرة غير البيض اليها ، وهى فى ذلك تتخوف من تطبيق سياسة الباب المفتوح التى ستؤدى الى تدفق ملايين الاسيويين الى الاقاليم المدارية الشمالية بها، مما سيتمخض فى النهاية عن نتائج ديموغرافية معقدة ، ولهذا كله تمد الحكومة الاسترالية يد المساعدة الاقتصادية للعناصر البيضاء الراغبة فى الهجرة بشرط ان يكونوا اصحاء ومدربين على اعمال محددة ، وتامل الحكومة ان يزيد عدد سكان استراليا من ١٨ مليون نسمة فى الوقت الحاضر الى ٢٠ مليون نسمة فى سنة ٢٠٠٠ .

ويبدو مما سبق فى مثلى كندا واستراليا ان الهدف فى مواجهة الحجم السكانى الناقص هو زيادة الكثافة السكانية بهذين البلدين ومعنى ذلك ان زيادة الكثافة ليست مرادفا للحجم الزائد للسكان ، ذلك لان بعض المناطق الصناعية فى بريطانيا مثلا تسود بها كثافات اكثر من تلك الكثافات السائدة فى المناطق الريفية بالهند ، وليس هناك من يدعى بطبيعة الحال ان بريطانيا تعاني من التضخم السكانى اكثر من الهند ، ومن ناحية اخرى فان منطقة الكوارث فى شمال شرق البرازيل والتى تقل بها كثافة السكان

عن شخصين فقط في الميل المريح تشتهر بفقرها وجوعها وهى مثال كلاسيكى للمناطق ذات الحجم السكانى الزائد(١) .

وفي دراسة حديثة أجريت عن دول العالم لتوضيح العلاقة بين توزيع السكان من ناحية والنتاج المحلى من ناحية أخرى تبين مدى اتساع الفجوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة كما يبين الشكل رقم (٤٤) . وببساطة شديدة فان الدول الغنية التى يبلغ عدد سكانها أقل قليلا من ربع سكان العالم يسهمون بأكثر من ثلاثة أرباع الناتج المحلى الكلى على المستوى العالمى ، ويزيد متوسط نصيب الفرد في هذه الدول عن ٨٠٠٠ دولارا سنويا . أما الدول النامية والتى يعيش بها أكثر قليلا من ثلاثة أرباع سكان العالم فيسهمون بأقل من ربع الناتج الكلى العالمى - ويتراوح متوسط نصيب الفرد فيها من ٧٥٠ - ١٠٠٠ دولار سنويا . بل أن الوضع يزداد سوءا في الدول الاقفر (٣٥ دولة) التى تحوى حوالى نصف سكان العالم وتسهم فقط في انتاجه بنحو ٥% فقط ويتدنى نصيب الفرد من الناتج القومى فيها الى حوالى ٣٠٠ دولارا فقط(٢) .

-
- (1) Lowry, J. H., World Population and Food Supply, Edward Arnold (Publisher) Ltd., London, 1971, pp. 22-23.
 - (2) The World Bank, World Development Report, 1983, pp. 148-149.

الفصل السادس عشر

الاقاليم السكانية الاقتصادية

في ضوء الصعوبات الجمة التي تكتنف تعريف وقياس العلاقة بين الموارد والسكان في اقليم ما، ومشكلة صياغة هذه العلاقة في معادلة دقيقة تعبر عنها بدقة ، فقد حاول بعض الكتاب تقسيم العالم الى اقاليم سكانية اقتصادية على أساس ثلاثة متغيرات هي السكان والمستوى التكنولوجي والموارد ، ويعتد تقسيم ايكرمان أبرز هذه التقسيمات وان كان يتميز بالتعميم ، وقد قسم العالم الى خمسة أنماط رئيسية توضحها الخريطة رقم (٤٦) ، وهي على النحو التالي (١) .

١ - مناطق متقدمة تكنولوجيا وتنخفض فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها نمط الولايات المتحدة الامريكية .

٢ - مناطق متقدمة تكنولوجيا وترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط الاوربي .

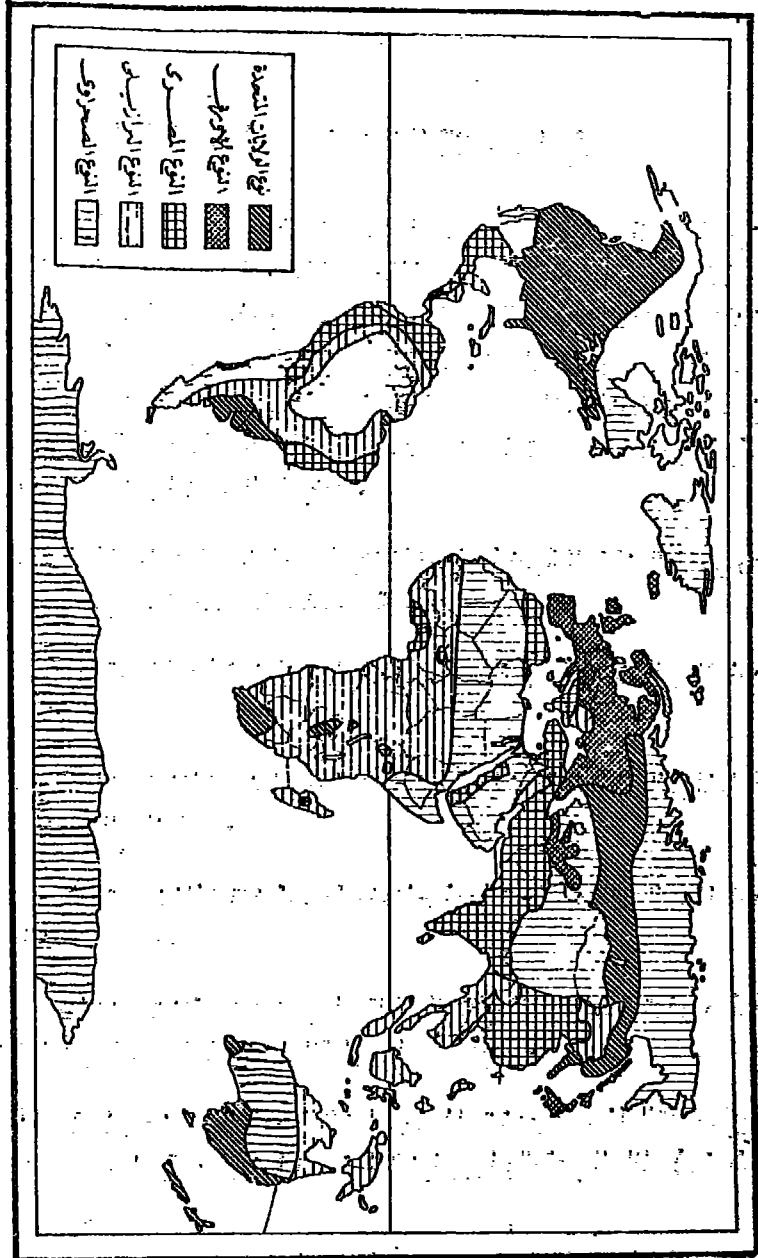
٣ - مناطق متخلفة تكنولوجيا وتنخفض فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط البرازيلي .

٤ - مناطق متخلفة تكنولوجيا وترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد ويمثلها النمط المصري .

٥ - مناطق متخلفة تكنولوجيا وقليلة السكان للغاية لعدم توفر موارد غذائية كافية بها ويمثلها النمط القطبي الصحراوي .

ولاشك في أن عنصر التقدم التكنولوجي المستخدم في هذا التقسيم يعد أكثر العناصر حساسية ، فبينما تتميز التكنولوجيا بالتقدم الهائل في نمطى

(1) Zelinsky, W., A Prologue to Population Geography. Op. Cit., pp. 106-116.



شكل رقم (٤٦)

تصنيف إكرومان للاقاليم السكانية/الاقتصادية في العالم «مع تعديل طفيف»

الولايات المتحدة وأوروبا ، وتتضافر مع الموارد في تحقيق أعلى مستوى للرخاء في العالم - فإنها ليست كذلك في الانمط الثلاثة الأخرى ، ذلك لأن حجم السكان والموارد المتاحة بها غير قادرين بمفردهما على تحقيق مستويات معيشية معقولة بل أن أقصى ما يمكنها عمله أن ترجىء دخول الدولة مرحلة الانفجار السكاني لفترة زمنية محدودة مع استمرار مستوى المعيشة منخفضا وقد يكون في مستوى الكفاف أو دونه بقليل .

١ - نمط الولايات المتحدة The United States Type :

من الواضح أن المناطق التي يضمها نمط الولايات المتحدة تتميز بمساحات أرضية ضخمة تتوفر بها موارد اقتصادية كبيرة وبحجم قليل أو متوسط للسكان ، وفوق ذلك كله تعيش في مستوى اقتصادي مرتفع وتتوفر بها المهارات العالية والوسائل الاجتماعية المختلفة التي تساعد على الوصول برخاء الفرد والدولة الى حده الأقصى .

وقد ساعدت المساحة الكبيرة والثروات الطبيعية الوفيرة على توفير الموارد المحلية الضرورية للمستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتفع كما مكنتها قدرتها الاقتصادية وعلاقتها السياسية والاقتصادية مع الدول الأخرى على الحصول من هذه الدول على الموارد الخارجية التي تنقصها ، ولكن ينبغي ملاحظة أمر هام هو أن ثمن هذا الرخاء كان باهظا حيث تعرضت موارد هذا الاقليم خاصة التربة والغابات والحشائش والثروة المعدنية وموارد المياه الى النقص بل والاستنزاف في بعض الاحوال مما حدا بدول هذا الاقليم الى وضع سياسات صارمة للمحافظة على هذه الموارد وترشيد استغلالها .

وتقتصر عضوية هذا النمط من الاقاليم السكانية الاقتصادية على الولايات المتحدة الذي سمي باسمها وكندا وأستراليا ونيوزيلانده والكونغول الجديد (خاصة ذلك النطاق الحديث التعمير في الوسط والشرق) ومنطقة القلب في الأرجنتين ، ويرى البعض أنه يمكن إضافة بعض المناطق مثل جنوب أفريقيا وروديسيا ولكن يحول دون ذلك النسيج البشري ومكوناته والظروف البيئية السائدة .

ومما يجدر ذكره أن نمط الولايات المتحدة هو أحدث الانمط السكانية الاقتصادية ، حيث لم يظهر على خريطة العالم الا منذ قرابة قرن ونصف قرن من الزمان عندما تحولت المناطق التابعة له من النمط البرازيلي الى

نمط الولايات المتحدة، ومن الطبيعي أنه في ضوء طبيعة هذا النمط التطورية فإنه من الصعب القول بأن هناك مناطق أخرى ستتحول إليه في الوقت الحاضر على الأقل ذلك لأن شروط عضويته مقيدة ومحددة للغاية .

٢ - النمط الاوربي The European Type :

تعد الدول التي يضمها النمط الاوربي من دول الصفوة Elite في العالم ذلك لان العلاقة بين حجم السكان ومستواهم التكنولوجي من ناحية والموارد المتوفرة من ناحية أخرى تسهم بدور كبير في الوصول بمستوى العيش الى درجة عالية ويضم هذا النمط الدول المتقدمة للغاية (Highly advanced) والدول المتقدمة (Advanced) ومن أمثلتها جميعا السويد وبريطانيا وسويسره وألمانيا الغربية وبلجيكا وهولنده وفرنسا وفنلنده واليابان ، ويمكن مع التجاوز اضافة بولنده والمجر واسبانيا أيضا، وعلى حافة هذا النمط - أو في مرحلة انتقالية توجد بورتوريكو وهونج كونج وشيلي .

ويتميز سكان النمط الاوربي بكثافة عالية وباستغلال منظم لموارد البيئة يفوق مثيله في نمط الولايات المتحدة ، وربما كان ذلك الاستغلال المنظم والكثيف في النمط الاوربي مرتبطا ببيئة ضيقة الموارد ومحدودة ولذا فان رخاء مناطقه يعتمد ضمن ما يعتمد على نظام متطور من التبادل التجاري مع باقى أقاليم العالم مقابل خدمات متقدمة وسلع صناعية حديثة للغاية ، ويساعد ذلك كله على امكان حصول دول هذا النمط على استكمال احتياجاتها من الخارج سواء من موارد الغذاء أو الوقود أو المواد الخام لصناعاتها أو حتى من الايدي العاملة المدربة وشبه المدربة .

ويتميز استغلال الموارد الاقتصادية في دول النمط الاوربي ، وفي نمط الولايات المتحدة كذلك باستمرار البحوث للوصول الى أحدث الطرق العلمية لاستخراج الموارد واستغلالها لتحقيق فوائد أكبر ولزيادة الانتاج الزراعى والغابى واستغلال الطاقة الكهربائية وتطوير النقل والعمل على تطوير الصناعات ، وقد انعكس ذلك كله على تحقيق رفاهية السكان بدرجة تفرق دول العالم الاخرى .

ومع كل هذه الاساليب المتطورة للغاية في الاستغلال الاقتصادى ، فان دول النمط الاوربي لا تستطيع أن تهرب من حجم سكانها الكبير وضيق مساحتها الارضية ، وهى في ذلك تختلف عن دول نمط الولايات المتحدة

اختلافا كبيرا في تلك العلاقة السكانية - الاقتصادية ، ولذلك فان دول النمط الاوربي عليها الاستمرار في توطيد وتقوية علاقاتها الخارجية ضمانا لاستمرار حياتها في هذا المستوى المرتفع من العيش ، ولم تكن العلاقات بين هذه الدول ودول العالم النامى بقصد الحصول على فائض المواد الاولية فقط بل ارتبطت معها باتحادات اقتصادية وثيقة لتسويق منتجاتها الصناعية كذلك .

وتعد اراضى النمط الاوربي مجال اهتمام كبير لدارس جغرافية السكان ذلك لانها تمثل مناطق ضغط سكاني يصحبه ارتفاع في مستوى العيش يتطلع سكان دول العالم الاخرى في الوصول اليه ، كما أن تحول بعض الدول الى النمط الاوربي يكون أكثر احتمالا من تحولها الى نمط الولايات المتحدة الذى يصعب الوصول اليه في الوقت الحاضر ، وقد انتقلت دول غرب أوروبا وحديثا دول جنوب وشرق أوروبا خلال المائتى عام الاخيرتين من النمط البرازيلى أو النمط المصرى - أو من حالة وسط بينهما - الى النمط الاوربي الحالى .

ويلاحظ أن حدود النمط الاوربي مرنة حيث تضم - مع شئ كبير من الحذر - بعض المناطق الانتقالية مثل جنوب ايبيريا وتركيا وبلغاريا ورومانيا ، وقد كان تدفق المهاجرين الاوربيين وكذلك رؤوس الاموال الى بعض الاقاليم سببا في تحولها الى هذا النمط مثل اراضى وسط آسيا السوفيتية ، أما اليابان فقد أدى اتباعها لبرنامج تنمية يدعو للدهشة والاعجاب الى دخولها النمط الاوربي بجدارة .

وقد يكون منطوقا التنبؤ بأن كثيرا من الدول التى تدخل في عداد النمط المصرى أو النمط البرازيلى سوف تتجه - ان لم تكن قد اتجهت بعد الى الالتحاق بالنمط الاوربي سواء عن طريق تحقيق ثورات اقتصادية واجتماعية جذرية كما في المكسيك والصين وكوريا الشمالية - أو ظهور ثروات مفاجئة مثل الموارد البترولية كما في العراق وليبيا وايران - ورغم أن كثيرا من الدول النامية قد وضعت خططا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الا أن معظمها مازال بمنأى عن الوصول الى النمط الاوربي .

٣ - النمط البرازيلى : The Brazilian Type

يعد النمط البرازيلى من المناطق المتخلفة تكنولوجيا ولكنه أكثرها حظا في ضوء النسبة بين السكان والموارد المعروفة والمحتملة وأبرز أمثلة دول

هذا النمط البرازيل وبنما وجويانا وجمهورية الدومنيكان وغانا وأنجولا بالإضافة الى بعض المناطق الرئيسية في بيرو ونيجيريا وكينيا وتتميز كل هذه الاقاليم باتساع المساحة الارضية وقلة عدد السكان بالنسبة لها وبدرجة تقل عما يمكن أن تستوعبه هذه المساحة بحيث تحقق للسكان مستوى معيشة أفضل لو أحسنوا استغلال مواردها .

ويمكن القول بصفة عامة بأن الحالة الراهنة لدول النمط البرازيلي تعد حالة انتقالية Transitional - فبدون استثناء يتزايد سكان هذا النمط بسرعة كبيرة وبمعدل مرتفع لدرجة قد ينتقلون معها في فترة قصيرة الى النمط المصرى المزدهم أو - في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية ملائمة - الى النمط الاوربي في فترة أطول .

وفي هذه الاقاليم ذات النمط البرازيلي ليس هناك احساس بضغط سكاني مزمع على الارض والموارد ولكن مستويات العيش بها أقل بكثير من مثيلتها في النمطين الاوربي والولايات المتحدة ، ويلاحظ أن أساليب استغلال الموارد بها تتباين بدرجة كبيرة بين اقاليم ذات اسراف كبير في هذا الاستغلال الى أخرى ذات تنظيم كبير له مما يجعل من الصعب التعميم في هذا الصدد ، ويعكس أراضى النمط المصرى فقد منحت المساحة الارضية والموارد الطبيعية اقاليم النمط البرازيلي فسحة من الزمن وأرجأت العبء الذى لامفر منه للضغط السكاني المتزايد على الموارد الاقتصادية في المستقبل .

وتتوزع معظم أراضى النمط البرازيلي في ثلاثة اقاليم كبرى هى الاقليم الهندوصينى أو المالىزى والاقليم الافريقى المدارى ثم الاقليم الامريكى اللاتينى ، وتسود في الاقليم الاول باستثناء بعض الجزر السكانية الكثيفة كثافات سكانية دون نقطة التشبع ، وبالرغم من أن الموارد الطبيعية لهذه المناطق قادر على امداد عدد أكبر من السكان عما هو موجود حالياً بها وبمستويات عيش تفوق المستويات الحالية ، فان هناك عوائق سياسية واجتماعية قوية تحول دون تفوق ذلك ، وربما يحمل المستقبل في طياته آمالا لتحقيق التقدم في بعض مناطق هذا النمط اذا أخذت بأساليب التنمية الحديثة وحاولت أن تنظم استغلال مواردها الاقتصادية .

أما أفريقيا المدارية فيمكن اعتبارها اقليما قليل السكان Under Populated بصفة عامة ، ولكنه يعانى من كثير من المشكلات الطبيعية والاجتماعية التى ينبغى التغلب عليها قبل تحقيق التنمية الاقتصادية بصورة كبيرة ، ويلاحظ أن هناك بقعا متناثرة في هذا النطاق تعانى من

التضخم السكانى - ولكن ذلك لا يغير من الحقيقة ألقائلة بأن المتوسط العام لنسبة السكان الى الموارد فى أفريقيا المدارية مازال معتدلا .

أما فى أمريكا اللاتينية فقد تدفق عليها مهاجرون جدد قدموا من المناطق الأكثر ازدهاما واتجهوا الى أقاليم تتوفر بها الموارد الاقتصادية ويقل بها السكان كما هى الحال فى الهضبة البرازيلية والنطاق الممتد من بوليفيا الى فنزويلا شرق مرتفعات الانديز ، ولكن استغلال الموارد فى كل هذه الأقاليم غالبا ما يتم عشوائيا ودون تنظيم كبير كما فى النمط الاوروبى مثلا ، ولذلك مازال الاستغلال الاقتصادى عاجزا عن تحقيق التقدم المنشود .

ولكن يمكن القول بأن أمريكا اللاتينية تملك موارد اقتصادية كاملة ليس من المتوقع أن تستنزف فى وقت قصير ويبدو ذلك فى الارض المبعثرة السكان على امتداد الحواف الشمالية الغربية لأمريكا الجنوبية ومن خليج دارين الى خليج جوايا كيل ونطاق وسط القارة الذى مازال معظمه بكرًا حتى الان .

وهناك جيوب منعزلة أخرى من النمط البرازيلى ينبغى نكرها وهى حواف البحر الكاريبى ومعظم للنطاق الساحلى المطل على المحيط الهادى فى أمريكا الوسطى وكوبا وجمهورية الدومينيكان وهذه الجيوب يمكن بدورها أن تستوعب أعدادا اضافية من السكان اذا اتبعت نظام استغلال أكثر تقدما عما هو عليه الان .

وخارج هذه الأقاليم الرئيسية الثلاثة التى يضمها النمط البرازيلى تجدر الإشارة بأن هناك مناطق فى الوطن العربى تخضع لهذا النمط وأبرزها العراق ودول الخليج والسودان ، وبعد العراق مثلا للدولة ذات الاراضى الزراعية الواسعة والموارد المالية والبتروولية الكبيرة التى تبشر بأمل كبير فى التنمية الاقتصادية فى المستقبل ، وكذلك الحال فى دول الخليج مثل الكويت والبحرين ودولة الامارات العربية بالرغم من أنها لاتملك - حتى الان ثروات اقتصادية أخرى غير الثروة البتروولية الضخمة - وهى محدودة الاجل بطبيعة الحال .

٤ - النمط المصرى The Egyptian Type :

وهو النمط الرابع من أنماط الأقاليم السكانية الاقتصادية ، وهو مثال واضح على عدم التوازن بين أعداد السكان المتزايدة والنقص فى الموارد الطبيعية المتاحة ، وتزداد احتمالات انضمام دول أخرى الى هذا النمط

أكثر من أي نمط آخر في الوقت الحاضر ويتم ذلك على حساب النمط البرازيلي .

وتتصف الاقاليم التي يضمها النمط المصرى بكثافة سكانية عالية وانخفاض في مستويات التكنولوجيا والمعيشة ، وقد وصل الضغط الزائد للبشر على الموارد درجة حرجة بل تتفاقم المشكلة بمضى الوقت حتى أصبح الامل ضئيلا - في ظل الظروف الحالية - لتحسين مستوى العيش وتحقيق الرخاء لسكان هذه الاقاليم - بل أنه حتى اذا استغلت الموارد الطبيعية استغلالا جيدا فلن يسهم الا في تحسين طفيف في مستوى المعيشة وتظل شعوب هذه الاقاليم في دائرة الفقر الجهنمية الا اذا حدث لها تحول جذرى في الاقتصاد والنمو السكانى نتيجة قوى داخلية أو خارجية .

وقد شهد التاريخ البشرى في بعض فتراته المعروفة - موقفا مشابها في بعض الوجوه حيث كان عدد السكان واحتياجاتهم أكثر من الامكانيات المتاحة آنذاك ، وعجزت الاساليب التكنولوجية عن تحقيق الاكتفاء للسكان حتى تحقق للبشر الثورة الزراعية والصناعية الحديثة التي أسهمت في تحقيق التوازن بين السكان والموارد في كثير من المجتمعات ، ولكن يبدو في الوقت الحاضر أن الخلل بين الموارد والسكان أسهم في تزايد أعداد السكان ذوى المستوى التكنولوجى المنخفض وانعكس ذلك على ارتفاع كبير في كثافتهم ، وحديثا جدا بدأت نسبة كبيرة من هؤلاء السكان في التطلع الى مستويات معيشة أعلى ومن ثم بدأ استنزاف كبير لمواردهم الاقتصادية بدرجة حادة جعلت من الصعب - حتى بالوسائل العلمية الحديثة اعادة تنظيم العلاقة بين السكان والموارد لتكون متوازنة ومتمشية مع اشباع حاجات السكان ورفع مستواهم .

وأراضى النمط المصرى يتهددها أمران خطيران هما التزايد الكبير في أعداد السكان والتناقص المقابل في رأس المال المادى والاجتماعى كما أن فرص الفكاك من هذه المعادلة الصعبة والوصول الى مستويات أعلى مثل النمط الاوربى فرص ضئيلة للغاية في الظروف الراهنة ، ورغم ذلك فقد نجحت بعض دول هذا النمط من الانتقال الى نمط أعلى مثل اليابان وهى نموذج فريد في ذلك ، كذلك فان هناك دولا في مرحلة انتقالية بين النمط المصرى والنمط الاوربى مثل بورتوريكو التي تتمتع بمميزات غير عادية (أبرزها علاقاتها بالولايات المتحدة مثلا) والصين والهند وبعض الدول الاخرى .

وتعد مصر - مثال واضح على هذا النمط المسمى باسمها - فهي دولة نامية ينخفض بها المستوى التكنولوجى ويتزايد سكانها بمعدل مرتفع ويتركز هؤلاء السكان بكثافات عالية في وادى النيل ودلتاه ، وهو النطاق المعمور على امتداد تاريخ مصر. ويتميز بخصوبة عالية تنتج الغذاء لسكانه الذين يتضاعف عددهم كل ثلاثين عاما تقريبا بمعدلات النمو الحالية، وليس هناك الا مساحة قليلة من اراضى مصر قابلة للزراعة ومن المحتمل أن تستغل بأكملها قبيل نهاية هذا القرن لو توفرت لها المياه اللازمة ، كما تعاني مصر نقصا في الموارد المعدنية والغابية والبحرية وان كانت تتوفر بها الطاقة الكهربائية والبتترول ، وليس من السهل القول بأن هناك مناطق في دول أخرى تستوعب هجرة مصرية بأعداد ضخمة ومن ثم فلا مناص من الاعتماد على الموارد المحلية الاقتصادية والبشرية داخل النطاق المعمور والمحدود واستغلالها بالاساليب العلمية السليمة وكذلك العمل على توطيد العلاقات بأشكالها المتعددة مع الدول العربية والاجنبية لتصدير العمالة المدربة اليها ، ويضاف الى ذلك كله زيادة مصادر الدخل القومى الاخرى بتحسين الخدمات السياحية والتجارية واستغلال موقع مصر كهمزة اتصال عالمية تشقها قناة السويس - وذلك لتحقيق شئ من التوازن بين السكان والموارد ، ويواكب ذلك بالضرورة العمل بشتى الوسائل على تخفيض معدل النمو السكانى باتباع وسائل تنظيم الاسرة بشتى الطرق .

وتتمثل اراضى النمط المصرى في كل قارة من قارات العالم ولكنها تتركز في نطاق العروض الدنيا ، وهناك أمثلة في شمال أفريقيا مثل المغرب والجزائر وتونس وفي شرق أفريقيا مثل رواندا وبورندى - وأجزاء من نيجيريا والكاميرون وبعض مناطق جنوب أوروبا خاصة صقلية وسردينيا وجنوب ايطاليا والبانيا واليونان وجنوب يوغسلافيا وهذه المناطق الاخيرة يمكن اعتبارها مرحلة متقدمة من مراحل النمط المصرى .

أما في العالم الجديد فتمثل هاييتى النمط المصرى بقوة حيث يرتبط الضغط السكانى فيها بالموارد المحدودة كذلك يتمثل هذا النمط في مناطق أخرى في البحر الكاريبى مثل جاميكا وكل جزر الانتيل الصغرى تقريبا أما على يابس أمريكا الوسطى فتعد السلفادور ومعظم مرتفعات جواتيمالا ومعظم المكسيك ضمن هذا النمط، وفي أمريكا الجنوبية يسود النمط المصرى في كثير من المناطق بدول الانديز ابتداء من اكوادور وربما كولومبيا حتى بوليفيا وشمال شرق البرازيل .

وتتضمن قارة آسيا معظم السكان الذين يخضعون للنمط المصري، وتشغل الصين مرحلة انتقالية في الوقت الحاضر وان كان معظمها يقع ضمن النمط المصري ، وينطبق نفس الشيء على شبه القارة الهندية وكذلك في بعض المناطق الاخرى على امتداد الحواف الاسيوية شرقا وجنوبا وغربا - مثل كوريا الجنوبية وتايوان وفيتنام الجنوبية ولوزون وجاوه وتيمور مع الجزر الواقعة بينها وسيلان ، ثم سوريا ولبنان والاردن وقبرص وهناك أقطار آسيوية يمكن تصنيفها في مرحلة انتقالية بين النمط البرازيلي والنمط المصري مثل نيبال وأفغانستان وايران وأجزاء من تركيا (ربما كان النقص في البيانات سببا في اعتبارها كذلك حاليا) .

والغالبية العظمى من الجزر المسكونة في حوض المحيط الهادى تدخل ضمن النمط المصري بالرغم من صغر حجم السكان المطلق بهذه الجزر وتنطبق نفس الملاحظة على عدد من الجزر في المحيطين الهندي والاطلسي مثل موريشيوس وريونيون وكنارى والازور .

٥ - النمط القطبى الصحراوى The Arctic - Desert Type :

تعد نسبة السكان الى الموارد في هذا النمط الاخير قليلة الاهمية لدارس جغرافية السكان ذلك لانه يشمل تلك المناطق الشاسعة غير المأهولة بالبشر لاسباب متعددة كالجفاف أو البرودة أو القارية أو عوائق طبيعية أخرى ، ولكن تتبعثر في هذه المساحات الشاسعة من الصحارى القطبية والمعتدلة والمدارية «جزر» مسكونة و محلات عمرانية لبعض الجماعات والقبائل التى تقطنها ، وبالرغم من أن التنمية التكنولوجية يمكن أن تتحقق في أى جزء من هذه المناطق طالما توفرت بها الموارد الملائمة فانها مازالت حتى الان ذات قيمة قليلة للسكان في الاقاليم الاخرى وان كانت أهميتها تكمن فيما تقدمه من مواد خام خاصة الثروات المعدنية والبتترول والمواد الاخرى .

وبالاضافة الى الاعداد الضئيلة التى تقطن هذا النطاق الشاسع من النمط القطبى الصحراوى فان هناك أعدادا أخرى تسلت اليه من بيئات أخرى وفدت لاستغلال موارد هذا النطاق مثل الرعاة والزراع وصيدى الحيوان والعاملين فى التعدين والقواعد العسكرية وغيرهم وليس من المعقول بطبيعة الحال التحدث عن مشكلات سكانية فى مثل تلك المناطق ذلك أنه حتى لو تعرض السكان القليلون بها لكوارث أو مجاعات ففى مقدورهم اللجوء الى مناطق أخرى أكثر عمراننا ووفرة .

ويضم هذا النمط الاقاليم الخالية من السكان ابرزها نطاق الصحارى القطبية مثل انتاركتيكا وجرينلاند والجزء الاكبر من شمال أمريكا الشمالية ومعظم شمال أوراسيا والارخبيلات الواقعة الى الشمال من هذه الكتل القارية ويضاف الى ذلك بطبيعة الحال الصحارى الجافة مثل الصحراء الكبرى وصحارى جنوب غرب ووسط آسيا وصحراء المكسيك وجنوب غرب الولايات المتحدة وصحراء بيرو وشيلي (باستثناء الواحات المكونة) ومعظم بتاجونيا وصحراء ناميب والصحراء الاسترالية وينفس المعنى يمكن اعتبار معظم حوض الامازون ضمن هذا النطاق غير المسكون .

الفصل السابع عشر

بعض النظريات السكانية

من المفيد في دراسة السكان أن نلقى بنظرة على أبرز النظريات السكانية في العصر الحديث ، ولاشك في أن توماس روبرت مالثوس *R. Malthus* Thomas وهو بحق أبو الحراسة السكانية الحديثة وذلك لانه كان أول من أثار عدة أفكار تضمنها كتابه «المقال الاول سنة ١٧٩٨» ثم أضاف اليه مقالا آخرًا سنة ١٨٠٣ ليبين بوضوح العلاقة الوثيقة بين مايطرأ على السكان من نمو وتغيير من ناحية ، وبين التغيرات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى ، بذلك فقد أسهم في فتح الباب على مصراعيه لبحوث تالية في مجال التغيرات السكانية باعتبارها عاملا ديناميكيا متكاملًا في نشأة الكل العضوي الاكبر الذي نطلق عليه «المجتمع» .

نظرية مالثوس :

ولد توماس روبرت مالثوس في إنجلترا عام ١٧٦٦ ودرس في جامعة كمبردج ثم التحق كاهنا بكنيسة إنجلترا في سنة ١٧٩٧ ، وعمل استاذًا للتاريخ وعلم الاقتصاد من سنة ١٨٠٦ حتى وفاته في سنة ١٨٣٤ . وقد شهد العصر الذي عاش فيه مالثوس في غرب أوروبا تغيرات اجتماعية واقتصادية هامة أدت الى ارتفاع بطيء في معدل زيادة السكان وقد ساد آنذاك مفهوم هام هو أن الشعب الكثير العدد يكون ذا قوة اقتصادية وعسكرية وذلك بغض النظر عن الظروف التي يعيش في ظلها أفراد هذا الشعب .

ولقد رأى مالثوس أن التزايد في عدد السكان يتوقف بالدرجة الاولى على التزايد في وسائل العيش ، لان أغلبية السكان تعيش دائما قرب مستوى الكفاف ، وقد حدا به ذلك الى الاستنتاج بأن أى تحسين دائم في مستوى معيشة البشر سوف يكون صعبا مادامت الزيادة في الانتاج يصحبها تزايد مماثل في عدد السكان ، وقد كتب مالثوس مقاله الاول ليبين أن قدرة الانسان على الانجاب والقتاسل أعظم منها على انتاج ضروريات الحياة ، وهذا هو المبدأ السكاني ، الذي طلع به .

وباختصار فقد رأى مالثوس أن قدرة السكان على التزايد أعظم بكثير من قدرة الأرض على إنتاج وسائل العيش للإنسان ، ويمكن صياغة ذلك حسابيا فنقول بأن تزايد السكان يتم وفق متوالية هندسية بينما لاتزيد وسائل العيش الا بنسبة حسابية وذلك على النحو التالى :

السكان : ١-٢-٤-٨-١٦-٣٢-٦٤

وسائل العيش : ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧

وكانت الوحدات الزمنية - والتي تمثلها علامات الوصل - والتي يمكن أن يتضاعف خلالها السكان - اذا لم يحل دون ذلك عدم توفر أسباب العيش - وهى حوالى ٢٥ سنة - فاذا استمرت هذه النسب زاد عدد السكان الى ٦٤ مرة من حجمهم الاصلى ، بينما لايزيد الغذاء الا ٧ أمثال مقداره الاصلى وذلك خلال ١٥٠ سنة ، ومن الواضح أن حدوث هذا الموقف أمر مستحيل ، ولكن مالثوس قصد بهذه النسب أن يوضح مدى الفوارق فى الامكانيات الكامنة بين قدرة السكان على الزيادة وقدرة الأرض على إنتاج العيش للإنسان (١) .

وقد اعتقد مالثوس أن هناك من الموانع ما حال دون نمو السكان فى الماضى بنسب هندسية فى كل جيل ، وقد قسم هذه الموانع الى قسمين هما :

الموانع الايجابية :

وهى الموانع التى تؤثر فى معدل الوفيات والتى تنشأ أساسا من ضغط السكان على وسائل العيش ، وأبرز هذه الموانع الايجابية الاوبئة والحروب والمجاعات وغيرها من الموانع التى يمكن أن تعزى الى البؤس والرذيلة ، وباختصار فقد رأى مالثوس أن الموانع الايجابية هى التى تقضى على الحياة التى بدأت فعلا ..

الموانع الوقائية :

وهى الموانع التى تحول دون نمو السكان هى الاخرى ، والتى تعمل على خفض معدل المواليد ، وأبرزها ما سماه مالثوس الضبط الاخلاقى Moral Restraint ويقصد به الامتناع عن الزواج أو تأجيله مع الاحتفاظ

(١) تومبسون و . ، ولويس د . مشكلات السكان - ترجمة راشد البراوى - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ٢٩ .

بسلوك عفيف طوال مدة الامتناع أو التأجيل . وقد اعتبر مالثوس أن تأجيل الزواج كان وسيظل المانع الواقى الرئيسى .

وكذلك فقد اعتقد مالثوس أن الموانع الايجابية والواقية هى الاسباب الحقيقية المسؤولة عن بطء تزايد السكان فى جميع دول أوروبا الحديثة وأن زيادة سريعة نسبيا فى عددهم قد حدثت دائما حينما أزيلت هذه الاسباب بدرجة بالغة (١) كذلك رأى أن الانظمة البشرية مهما صلت فلن تفيد الا فى التخفيف من الموانع الايجابية لفترة قصيرة - أى الى أن يزيد عدد السكان حتى يلحق بقدرتهم الانتاجية فى ظل الانظمة الجديدة، وأن الانسان فى هذه الحالة سوف يعانى من الجوع والمرض والحرب ، ومن هنا فقد رأى بأن هذه الموانع الايجابية لا بد وأن تكون فى المستقبل شأنها فى الماضى العوامل الرئيسية التى تقضى على الانسان .

نقدر آراء مالثوس :

ربما كانت آراء مالثوس فى السكان من أكثر الاراء شهرة فى هذا المجال وتعرضت على امتداد القرن الماضى بل وحتى منتصف هذا القرن الى الكثير من أوجه النقد سواء ما كان منها مؤيدا أو معارضا، الا أن النظرة الشاؤمية لديه قد قوبلت باعتراضات شديدة سواء فى حياته أو بعد وفاته ويمكن ايجاز أوجه النقد فيما يلى :

١ - ان افتراض مالثوس بأن السكان يتزايدون وفق متوالية هندسية هو افتراض صحيح نظريا - أى من وجهة النظر الرياضية - الا أن ذلك مستحيل التحقيق فى الواقع حيث لا يمكن التصور بأن السكان سيتضاعفون هندسيا الى ما لا نهاية ، كذلك فان الغذاء - من ناحية أخرى - لا يمكن بالضرورة أن يتزايد وفق متوالية حسابية باستمرار، ولكن يلاحظ - انصافا للرجل - أن آراءه قيلت قبل أن تأتى الثورتان الصناعية والزراعية ثمارها خاصة فى العالم الجديد حيث أسهمت تلك الثورتان فى تحقيق فائض كبير من الغذاء وفتحت آفاقا جديدة لامكانية زيادته فى المستقبل - بما لم يكن ذلك فى حساب مالثوس عندما طرح أفكاره هذه ، ومعنى ذلك ببساطة أن زيادة الغذاء حسب متوالية عددية لا يصدق فى كل زمان ومكان .

٢ - شهد الكثير من المجتمعات الاوربية نقصا فى عدد المواليد بها وذلك بسبب استخدام أساليب منع الحمل ، وقد اعتبرها مالثوس - رذيلة ضمن

(١) المرجع السابق - ص ٣٠ .

الموانع التى تعوق نمو السكان ونصح بتأجيل الزواج ، أو الاعراض عنه مخافة الانجاب ، وقد سبق القول بأن مalthus - وهو رجل دين - كان يحبذ الضغط الاخلاقى والتعفف كوسيلة من وسائل الحد من الانجاب، ومن الواضح أنه لم يضع فى حسابه التطور العلمى ودوره فى ابتكار وسائل المنع للحمل وبالتالي لتقليل النمو السكانى .

٣ - سبق القول بأن آراء مalthus فى حساب تزايد وسائل العيش لم تكن دقيقة حيث أسهم التقدم العلمى فى زيادة الموارد الغذائية بصورة كبيرة سواء من الحبوب أو غيرها ، وقد ساعد ذلك على التوازن بين عنصرى السكان والموارد دون أن تنخفض معدلات المواليد بدرجة كبيرة . وبالإضافة الى ذلك فإن مalthus فى حديثه عن السكان والعيش لم يتناول سوى الموارد الغذائية دون اعتبار لبقية نواحي المعيشة الأخرى التى تحدد مستوى معيشة السكان مثل توفر الموارد الطبيعية واستخدام الاساليب التكنولوجية والتنظيم الاجتماعى ، ومعنى ذلك أن مستوى المعيشة هو نتاج لعوامل متشابكة بين عدد السكان من ناحية وعناصر أخرى عديدة من بينها الغذاء والتنظيم الاجتماعى والمستوى التكنولوجى وغير ذلك .

وعموما فإن قيمة أفكار مalthus تبدو فى أنه لفت الانظار مبكرا الى العلاقة بين التزايد السكانى السريع والتزايد الغذائى البطيء ، ومن الامور التى تدعو للتأمل أن بعض الباحثين فى عالم اليوم بدأ يحيى من جديد آراء مalthus مؤيدا لها وذلك فى ضوء ما هو مشاهد من أن الجانب الاكبر من البشر لا يزال يعيش فى ظل الظروف التى وصفها مalthus - والتى لا يحول دون زيادة سريعة فى عددهم سوى قسوة الموانع الايجابية ويتمثل هذا الجانب فى سكان دول العالم النامى والتى يتزايد سكانها بمعدلات عالية تهدد مستوى معيشتهم الحالية والمستقبلية .

ولكن يقابل ذلك أن آراء مalthus لم تصدق اطلاقا على الدول المتقدمة فى العالم والتى تتميز حاليا بانخفاض معدلات المواليد بل ان قارة مثل قارة أوروبا عانت نقصا كبيرا فى المواليد بغد أقل من قرن من ظهور نظرية مalthus ففى سنة ١٨٦٠ مثلا كان متوسط نسبة المواليد فى تسع من دول شمال غرب أوروبا ٣٤ فى الالف ، ثم انخفض هذا المعدل الى النصف بعد حوالى ٧٥ سنة وهذا يخالف كلية ما نادى به مalthus من أن عدد السكان يزيد زيادة مطلقة حسب متوالية هندسية (١) .

(١) حسن محمد الساعاتى وعبد الحميد لطفى - دراسات فى علم السكان - القاهرة ١٩٦٢ - ص ٤٩ .

وهكذا فان مالثوس كان له فضل السبق في توجيه الانتظار مبكرا الى مشكلات السكان بل ان هناك من الباحثين من يعتبره المؤسس الحقيقي للدراسة الحديثة للسكان(١) حيث استخدم الحقائق المعاصرة له لتأييد مذهبه السكاني بصدد حركة النمو السكاني وعلاقتها برفاهية الانسان ، كما أنه أسهم بدور كبير - ربما أكثر من غيره في ادخال دراسة السكان في نطاق ميدان العلم الاجتماعي بهدف تحسين ظروف معيشة بنى البشر .

النظريات السكانية منذ مالثوس :

حين كتب مالثوس مقاله الاول في نهاية القرن الثامن عشر كانت الثورة الصناعية في انجلترا وبقية دول أوروبا الغربية تتطور بسرعة وانتشرت الى المناطق التي استوطنها الاوربيون ، وكانت تصاحب هذه الثورة الصناعية ثورة زراعية وتطور هائل في وسائل النقل والانتاج ، وانعكس ذلك كله على تحسين أحوال المعيشة لاعداد كبيرة من السكان - رغم ارتفاع معدلات النمو السكاني في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية عما كانت عليه من قبل، وأدى ذلك كله الى عدم الاهتمام بمبدأ مالثوس في السكان وذلك لان الاحساس بأن التقدم العلمي أثبت خطأ مالثوس قد ساد على نطاق واسع في دول الغرب ، بل وظهرت نظريات سكانية تحاول اعادة الثقة في الانسان وفي قدرته على تحقيق التوازن بين أعداده والموارد الغذائية المتاحة لديه .

وقد انقسمت النظريات السكانية بعد مالثوس الى اتجاهين رئيسيين أحدهما : اتجاه تؤيده بعض نظريات القانون الطبيعي في النمو السكاني أو مايعرف بالنظريات الطبيعية التي ترجع التناقص في أعداد السكان الى ضغط العامل البيولوجي للانجاب والاتجاه الثاني تدعمه آراء مختلفة تتجه الى عدم تأثير العامل البيولوجي بل تفترض وجود عوامل اجتماعية يتأثر بها السكان فتجعل الانسان يحد من انجابيه ويتجه الى الاسرة الصغيرة الحجم وذلك باتباع وسائل تنظيم النسل وذلك دون أن تتغير طاقته البيولوجية على الانسال ، ويمكن اعتبار هذا الاتجاه الثاني تحت عنوان النظريات الاجتماعية .

١ - النظريات الطبيعية في نمو السكان :

تدور النظريات الطبيعية حول قانون طبيعي يحكم نمو السكان ويحدد

(١) تومبسون ولويس : المرجع السابق - ص ٥٤ .

اعداده بطريقة آلية ومن ثم يحول دون وقوع أى ضغوط على أسباب العيش وجدير بالذكر أن نظرية مالثوس نفسها تدخل ضمن النظريات الطبيعية التى ترى أن أعداد البشر تميل الى التزايد بأسرع من غذائه وذلك بسبب العاطفة الجنسية بين الرجل والمرأة ، ولما كان هذا أمرا طبيعيا فالرذيلة والبؤس هما نصيب الانسان الحتمى الا اذا اتخذت تدابير واقية على نطاق واسع .

وقد اعتمدت النظريات الطبيعية على القول بأن طبيعة الانسان تتحكم فى نموه بدرجة معينة وفى اتجاه لا يستطيع السيطرة عليه تماما ، وهذه الافكار هى انعكاس لاراء علماء البيولوجيا الذين يحاولون ايجاد قانون لنمو السكان يفكرون به تطور النمو السكانى فى الماضى والمستقبل وذلك كله دون أن يكون للانسان ذاته تأثير على ذلك سواء من ناحية قيمه ونظمه واتجاهاته ومن أبرز الكتاب الذين أسهموا فى هذا الاتجاه الطبيعى : سادلر ودبلاى وسبنمر وجينى .

١ - سادلر :

كان مايكل توماس سادلر M. T. Sadler (١٧٨٠ - ١٨٣٥) مصلحا اجتماعيا انجليزيا ومن رجال اقتصاد ومعاصرا لمالثوس . وقد رأى أن القانون الطبيعى الذى يحكم نمو السكان يتناقض تماما مع القانون الذى جاء به مالثوس ، وكان يعتقد أن ميل البشر الى التزايد سوف يتناقص بالطبيعة كلما زاد الازدحام السكانى فى المراكز العمرانية ، وأن أعدادهم تتوقف تماما عن النمو والتزايد وذلك عندما يتمتع الناس بأكبر قدر من السعادة وذلك بافتراض تساوى جميع الاشياء الاخرى(١)، وذكر بأن قانون السكان الذى نظم ولا يزال ينظم زيادة البشر فى جميع الحالات وهو ببساطة «أن القدرة على الانجاب فى ظل ظروف مشابهة يتغير تغيرا عكسيا كلما زاد عددهم فى مساحة معلومة» .

وهكذا يبدو التفاؤل فى مستقبل السكان اقتصاديا على أساس طبيعى عند سادلر - بعكس مالثوس تماما ، ذلك لان سادلر يعتقد أن الاختلافات فى درجة هذه القدرة على الانجاب تتأثر لا بالبؤس والرذيلة بل بالسعادة والغنى .

(1) Thompson & Lewis, Population problems, New York, 1965, p. 38.

٢ - دبلداى :

كان توماس دبلداى Thomas Doubleday (١٧٩٠ - ١٨٧٠) مثل سادلر اقتصاديا وفيلسوف اجتماعيا انجليزيا ، وقد اعتقد أنه جاء بقانون طبيعي مختلف يحكم نمو السكان ، فبينما اعتقد سادلر أن كثافة السكان تسبب نقصا في القدرة على الانجاب واستبعد بذلك الى حد كبير ما للموانع الايجابية من تأثير في زيادة السكان ، وقد رأى دبلداى أن التزايد في عدد السكان ترتبط ارتباطا عكسيا بموارد الغذاء ، فكلما تحسنت موارد الغذاء المتاحة للانسان - كلما ابطأت الزيادة في أعدادهم وفي كل المجتمعات فان الفقر يشجع على الخصوبة العالية لدى السكان ومن ثم نرى زيادة مستمرة في عدد الذين لا يحصلون الا على أقل قدر من الغذاء أى بمعنى آخر في صفوف السكان الاشد فقرا ، أما الاغنياء الذين ينعمون بكفاية الغذاء فان عددهم في تناقص مستمر ، وبين هاتين الطبقتين الفقراء والاغنياء - توجد طبقة وسطى يحصل أفرادها على كفايتهم من الغذاء - ويعيشون عيشة وسطا ويكون عدد سكانها ثابتا ، وهذا يستتبع أن الزيادة أو النقص في مجموع السكان الكلى يتوقفان على التناسب العددي بين هذه الحالات الثلاث في كل مجتمع (١) .

ومن الواضح أنه ليس ثمة أساس علمي للاعتقاد بأن للكثافة السكانية أو نسبة البروتين في الغذاء أى تأثير ملحوظ في القدرة على الانجاب وذلك رغم أن بعض الكتاب المحدثين هو جوسيه دى كاسترو De Castro قد ذكر بأن زيادة كمية البروتين في الغذاء يقلل من القدرة على الانجاب في حين أن نقصها يؤدي الى ارتفاعها وذكر بأن كل ما يحتاج اليه من أجل تقليل القدرة على الانجاب في صفوف شعوب العالم الفقيرة هو أن تزيد بدرجة كبيرة نسبة ما يحتويه غذاؤها من البروتين (٢) - ذلك كله لان الانجاب - أو الخصوبة البشرية في أى مجتمع سكانى يتأثر بدرجة كبيرة بعوامل شتى خاصة الموانع الواقية حيث تقل القدرة على الانجاب عن ماهى عليه .

٣ - سبنسر :

كان هربرت سبنسر H. Spencer (١٨٢٠ - ١٩٠٣) فيلسوف انجليزيا

(1) Ibid., p. 40.

(2) Ibid., p. 40.

مشهورا اهتم بشرح التطور الاجتماعى والبيولوجى الناجم عن القوى الطبيعية ، وكانت أفكاره فى السكان تمثل نظرية شبيهة فى بعض نواحيها بنظريتى سادلر ودبدلداى وذلك من حيث اعتقاده أن هناك قانونا طبيعيا يجعل الانسان غير مسئول عن التحكم فى زيادة عدد افراده ، وقد حققت الطبيعة هذه الغاية وذلك عن طريق اضعاف اهتمام الانسان بالتكاثر بينما وجهته الى تخصيص مزيد من الوقت والجهد للتنمية الشخصية والعلمية والاقتصادية ، ومن هنا فكلما اشتد الجهد الذى ينبغى على الانسان أن يبذله لضمان تقدمه فى أى ميدان يحاوله ، ضعف اهتمامه بالتكاثر ولذلك اعتقد سبنسر أن هناك تناقضا طبيعيا *natural decrease* فى القدرة على الانجاب *fecundity* خاصة لدى الاناث وذلك لان اهتمام الفرد بنفسه *individuation* يستدعى المزيد من الوقت والطاقة، وهذا النقص فى القدرة على الانجاب يؤدي الى زيادة ابطء فى عدد السكان وذلك كله لان التطور الاجتماعى مصحوبا حتما بتزايد الاتجاه الفردى (1) .

ويرجح سبنسر صدق نظريته بحالات العقم المطلق أو النسبى لدى الاناث اللائى يفرطن فى المجهود ذهنى واللائى ينتسبن الى الطبقة الراقية فرغم أن تغذيتهم أفضل من أناث الطبقات الفقيرة وينلن رعاية صحية أكثر ، فان قدرتهم على الانجاب ضعيفة ويعزى ذلك الى درجة معقولة – الى ارهاقهم لاذهانهم وماينجم عنه من رد فعل خطير بالنسبة لبنيتهم – ويبدو التناقص فى القدرة على الانجاب لديهم ممثلا ليس فى حالات العقم أو فى التوقف عن الإنجاب فى سن مبكرة فحسب بل فى عجزهن عن ارضاع أطفالهن ورعايتهم رعاية كاملة . وهذا ماتعجز عنه أولئك الفتيات هزيلات الصدور اللائى يكابدن من ضغط التعليم ولو قيست خصوبتهن بعدد الاطفال الذين يستطعن تربيتهن بغير المساعدة الاصطناعية لثبت أنهن عقيمت جدا نسبيا .

ورغم أن هناك بعض الدراسات التى تثبت فى الانجاب فى معظم البلاد الغربية خلال القرن الماضى خاصة فى صفوف الطبقات الافضل تعليما – فان ذلك لايعنى بالضرورة صحة نظرية سبنسر ذلك لان هناك عوامل اجتماعية كثيرة – وعوامل أخرى – تقلل من خصوبة الاناث ، ولاجدال فى أن التعليم باستمرار يجعل الانثى أكثر اهتماما بتكوين الاسرة الصغيرة الحجم وبالتالي يبدو الارتباط العكسى بين مستوى التعليم وعدد الاطفال .

(1) Ibid., p. 41.

٤ - نظرية جيني :

ولد كورادو جيني Corrado Gini في سنة ١٨٨٤ وهو ايطالى الجنسية اهتم بدراسة العلوم الاجتماعية وأصبح شغوفا بالتغيرات التى تطرأ على تطور المجتمع وخاصة تطور الشعوب وقد اعتقد أن تطور أى مجتمع أو أى شعب يرتبط ارتباطا وثيقا بالتغيرات فى معدلات النمو السكانى والنسب المختلفة التى يتم بها هذا النمو والمنبثقة من الطبقات الاجتماعية المختلفة وتدخل نظرية جيني ضمن النظريات الطبيعية - ذلك لاعتقاده بأن العامل الرئيسى فى نمو السكان هو التغير البيولوجى أكثر منه تغيير اجتماعى أو اقتصادى وكان يرى أن المعدلات المختلفة للزيادة فى فئات الشعب المختلفة تؤدي بسرعة كبيرة جدا الى التغيرات فى الصفات البيولوجية للشعب بأكمله وقد اعتمد فى دراسته على احصائيات للعديد من الاقطار ، وقد أظهرت هذه الاحصائيات أن نسبة صغيرة نسبيا من جيل واحد تولد اغلبية السكان فى الجيل التالى ، وقد وصف عملية نمو الشعوب بأنها الارتفاع والهبوط الدورىان للسكان *The cyclical rise and fall of population* .

وقد شبه هذه الدورة فى حياة الشعوب بدورة حياة الفرد ، فهناك فى بادىء الامر فترة من النمو السريع للغاية ، تعقبها أخرى تتميز ببطء النمو ثم بالنضج ، ويتعقب ذلك فترة الشيخوخة والتى تتناقص خلالها أعداد السكان وتتدهور الخصائص الحضارية . وقد رأى أن أى شعب يتميز فى شبابه بالبساطة وعدم التعقيد وبارتفاع معدل الخصوبة ، وذلك لان كل جيل ينشأ من جيل سابق أوفر قدرة على الانجاب بحكم المورثة ، ونتيجة لذلك يزداد عدد سكان مثل هذا الشعب بسرعة ، ويكون هذا النمو العدى مصحوبا باستمرار بتزايد التعقيد فى التنظيم كما يدل عليه نشأة طبقات اجتماعية وتطور أنماط النشاط الصناعى والتجارى ، وكلما تزايدت أعداد السكان بدأ الاحساس بضغطهم على الارض المتاحة - ومن ثم فلا مناص من حدوث توسع على حساب الآخرين عن طريق الحرب أو الاستعمار أو كليهما معا .

ويستمر تعقيد التنظيم الاجتماعى والاقتصادى فى التزايد فى المرحلة التالية ويصعبه تناقص فى معدل النمو السكانى ، ويرجع هذا التناقص من ناحية الى فقدان أكثر الناس نشاطا بسبب الحروب والاستعمار ومن ناحية أخرى الى تزايد نسبة السكان فى الطبقات الراقية والتى هى دائما أقل قدرة على الانجاب من الطبقات الدنيا ، غير أن السبب الرئيسى فى بطء نمو السكان هو سبب بيولوجى ، فقد اعتقد جيني أن السبب الرئيسى فى

تقليل الخصوبة هو العامل البيولوجى ويكمن هذا السبب فى الواقع وراء العوامل الاقتصادية والاجتماعية الاخرى التى تؤثر ظاهريا فى تناقص الخصوبة ، وبمعنى آخر فان النقص فى عدد المواليد يرجع الى تناقص القدرة على الانجاب ، ويبدو ذلك أولا فى الطبقات العليا ثم ما تلبث أن تظهر فى جميع الطبقات وذلك باستمرار صعود أفراد من الطبقات الدنيا لشغل الفراغ الذى يوجد فى الطبقات العليا ، وما يلبث هؤلاء الصاعدون أن يكونوا مثل غيرهم من الاقدمين فى الطبقات العليا أى تصبح القدرة على الانجاب عندهم منخفضة ثم سرعان ما يفنون لتحل محلهم موجات أخرى من الطبقات الدنيا وهكذا ، ويرى جينى أن عقم هؤلاء الصاعدين الى طبقات أعلى ليس نتيجة الظروف الاجتماعية المحيطة بصعودهم ولكنه بدلا من ذلك نتيجة الضعف الذى ينتاب غريزة التناسل - وهو مرحلة حتمية من مراحل دورة النمو السكانى .

ومعنى ذلك أن جينى يعتقد فى وجود قوة طبيعية حتمية تؤدى الى ارتفاع الجماعات السكانية وهبوطها وبالتالى الى ارتفاع المجتمعات وهبوطها ويجد ذلك واضحا فى اختلاط السلالات وفى بقاء الطرز الجديدة ، الناشئة عن هذا الاختلاط وبهذا فهو يستند الى بعض تغيرات بيولوجية باطنية لا سلطان للانسان عليها تماما ، ويعتبرها العوامل الرئيسية التى لا تحدد نمو السكان كليا فقط أى قدرته على الانجاب وخصوبته وبقائه بل تحدد أيضا نمو السكان من ناحية الكيف أى الخصائص التى تميز حضارات الانسان المختلفة .

بعض النظريات الاجتماعية فى نمو السكان :

تأتى النظريات الاجتماعية بآراء تختلف عن النظريات الطبيعية فى مجال النمو السكانى - وتجعل للعوامل الاجتماعية الدور الرئيسى الذى يفرض على الانسان سيطرته وتحكمه فى نموه العددي فتجعله يتكاثر أو يعمل على تحديد تكاثره - فى الوقت الذى لا تتغير فيه طاقاته البيولوجية ، ومنذ أيام مالثوس تعددت النظريات الاجتماعية عن نمو السكان وسنذكر هنا بعض هذه النظريات باختصار .

١ - نظرية هنرى جورج :

تأتى نظرية هنرى جورج (١٨٣٩ - ١٨٩٧) وهو اقتصادى ومصلح اجتماعى أمريكى - على نقيض نظرية مالثوس تماما ، ويتفاعل بشدة بشأن

العلاقة بين السكان والغذاء في المستقبل وأنكر تماما صحة المبدأ القائل بوجود تعارض أساسي بين تزايد أعداد البشر والقدرة على توفير العيش لهم ، بل زعم أنه «على خلاف أى كائن حى آخر فان زيادة عدد السكان تتضمن الزيادة في غذائهم»(١) .

ولكنه استدرك قائلا بأن هذه الحالة لا تتحقق الا اذا تساوى الناس جميعا في حصولهم على الموارد الارضية وبالتالي اذا لم يكن هناك احتكار لقلة من الناس على الكثرة من الموارد ، ويعتقد جورج أن القدرة على الانجاب والخصوبة البشرية تتناقضان كلما تزايد انتشار التطور الفكرى الفردى .

٢ - نظرية ديمون :

كان أرسين ديمون Arsène Dumont (١٨٤٩ - ١٩٠٢) أستاذا في جامعة ستراسبورج ، وتعتمد أفكاره في السكان على الدراسة التى قام بها عن نمو السكان في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر وسماها «نظرية الشعيرية الاجتماعية» theory of social capillarity .

ويمكن تلخيص نظرية ديمون بإيجاز في أنه كان يعتقد أن الفرد يميل الى الصعود نحو مستويات أعلى في بيئته الاجتماعية عن طريق عملية تشبه الخاصية الشعيرية الطبيعية ، وفي هذه العملية من الارتفاع الى أعلى يصبح توالده أقل احتمالا باطراد حيث يبتعد شيئا فشيئا عن وسطه الطبيعى natural milieu وعن أسرته وبالتالي يفقد الاهتمام بالاسرة وفي رفاهية السلالة ويتركز اهتمامه الرئيسى على الصعود بطريقة تفيده شخصيا بصرف النظر عما اذا كانت هذه الحركة تفيد المجتمع أو السلالة . وقد اعتقد ديمون أنه في المجتمع الذى تكون فيه الحركة الى أعلى من طبقة الى طبقة سهلة نوعا وتكون الشعيرية الاجتماعية مثلها مثل الجاذبية أمرا حتميا وفي ذلك يقول «ان الشعيرية بالنسبة الى النظام الاجتماعى هى كالجاذبية بالنسبة للعالم الطبيعى»(٢) .

what gravity is to the physical world, capillarity is to the social order.

(1) Ibid., p. 45.

(٢) ١ - تومبسون ولويس المرجع السابق - ص ٧٠ .
Thompson & Lewis, Op. Cit., p. 46. ب -

وهو يعتبر أيضا هذه الحركة من طبقة الى أخرى سببا مباشرا في الهبوط الذى يطرأ على معدل المواليد حيث يذكر بأن «زيادة الاعداد فى شعب تتناسب تناسباً عكسياً مع تطور الفرد» .

وفى كل ذلك يستبعد ديمون تماما أن يكون التغيير فى الاعداد راجعا الى أية تغييرات بيولوجية كما ذكر سبنسر من قبل .

وقد بنى ديمون نظريته نتيجة دراسته للخصوبة فى أقاليم فرنسا كما ذكرنا ، وذكر بأن هناك تفاوتاً كبيراً فى المجتمعات المتقدمة مثل فرنسا والنامية مثل الهند ، ففى فرنسا حيث استقرت الديموقراطية كان الانتقال من طبقة الى طبقة أخرى سريعاً - أى تكون الشعبية الاجتماعية أشد مقعولا مما ترتب عليه خفض معدل المواليد الى درجة كبيرة ، وبالإضافة الى ذلك فإن المدن الكبرى فى المجتمعات الديموقراطية تفرض جاذبية قوية على الذين يعيشون بالقرب منها وبهذا تزيد من قوة الجاذبية الشعبية على الناس وتسرع بالعمل على تخفيض معدل المواليد فى المجتمع ، والذين يبعدون عن مراكز الجاذبية ويعملون فى حرف لا يجد فيها الطموح الفردى سوى فرصة ضئيلة للطموح والنمو لا يجتذبون بمثل هذه السرعة الى الحركة الشعبية ومن هنا لا ياحتمل أن يقللوا معدل المواليد بنفس الدرجة بل يواصلون التزايد .

وقد ضرب ديمون مثلاً على المجتمعات ذات النظام الاجتماعى الجامد والذى لايسمح بأن يرقى الفرد ويندمج فى طبقة أعلى مما يجعل نسبة المواليد ترتفع ارتفاعاً كبيراً وبالتالى يزيد النمو السكانى بدرجة كبيرة .

ومهما يكون من أمر فإن ما ذكره ديمون يجعل لنظريته الفضل فى توجيه المزيد من الاهتمام الى الظروف الفعلية التى يعيش فى ظلها السكان وذلك باعتبار أنها عوامل على قدر كبير من الأهمية فى إيجاد موانع واقية تحدد من نمو السكان .

٣ - كار - سوندرز :

ولد كار سوندرز Carr - Saunders سنة ١٨٨٦ ودرس الاقتصاد والسكان فى إنجلترا ، وتقوم نظريته فى السكان على أساس أن الانسان ذاته قادرا على التحكم فى اعداده وأنه - أى الانسان - يناضل باستمرار فى سبيل الوصول الى العدد الامثل optimum number وهو العدد الذى يتيح أعلى متوسط للعائد بالنسبة للفرد الواحد اذا أخذنا فى الاعتبار طبيعة البيئة أو

مستوى المهارة وعادات الناس وتقاليدهم وغير ذلك، وعندئذ تحكم الانسان بوجه عام في اعداده بقصد الوصول الى الحد الامثل الذى يختلف بالطبع من وقت لآخر .

وقد ذكر كارسوندرز - أن الحد الامثل لا يتحقق ويثبت مرة واحدة بل على العكس من ذلك فإنه يتغير باستمرار كلما تغيرت الظروف المشار اليها وكلمما اتجهت المهارات البشرية الى التزايد بمرور الزمن اتجه العدد المرغوب فيه (الامثل) الى التزايد من الناحية الاقتصادية(١) .

وباختصار فقد اتجه كار سوندرز في نظريته الى القول بأن الزيادة في عدد السكان تخضع الى حد كبير لافكار السكان أنفسهم عن العدد المثالى من وجهة نظرهم في ضوء الظروف الاقتصادية التى يعيشون فيها ، وذكر بأن الانسان قد اضطر الى ابتكار أساليب عديدة للوصول الى هذه الغاية مثل الاجهاض ووأد الاطفال وعزل النساء . . . وغير ذلك حتى يمكنه التحكم في زيادة عدده ، وبهذا يؤكد كار سوندرز على تحكم الانسان الفعلى في زيادة عدد أفراداه ، أكبر مما فعل مالثوس ويؤكد بدرجة أقل على الموانع الايجابية .

ولكن نظرية كار سوندرز لم تسلم من النقاش الذى تركز حول تحديد الحد الامثل للسكان - وهذا حقيقى - فرغم أن هذه النظرية تتعارض تماما مع النظريات الطبيعية - الا أن من الثابت أن المجتمعات حتى اذا وصلت الى حجم مثالى (أعلى نصيب للفرد من العائد الاقتصادى) فإن ذلك يكون أمرا لحظيا وليس دائما كما أنها لم تصل اليه الا بعد أن أسهمت الموانع الايجابية (الجوع والمرض والحرب) في ذلك في معظم الاحوال .

وبالاضافة الى ما سبق فإن الحجم المثالى للسكان في مجتمع ما يكون أمرا نظريا بحتا ويرتبط ذلك بالموارد الاقتصادية المتاحة ومدى استغلالها ولذا فليس من السهل تحديد طاقة أى اقليم وبالتالي يصعب ان لم يكن ذلك مستحيلا - أن نحدد عدد السكان الذى يمكن استيعابه فعلى سبيل المثال تباين عدد السكان الذى قدر أن استراليا وكندا يمكن أن تستوعبه من عدة ملايين الى نحو مائة مليون نسمة أو يزيد .

(١) أ - المرجع السابق - ص ٧٢ .

Ibid., p. 47.

ب -

القسم الثاني

تطبيقات سكانية

مشكلات السكان في الوطن العربي

الفصل الأول نظرة شاملة

يمتد الوطن العربي من المحيط الاطلسى غربا الى الخليج العربى شرقا بمساحة تقرب من ١٤ مليون كيلو مترا مربعا اى قدر مساحة الولايات المتحدة الامريكية مرة ونصف مرة وقرابة ثلثى مساحة الاتحاد السوفيتى ، ويسكنه نحو ٢٢٦ مليون نسمة فى سنة ١٩٩١ ، ومن المتوقع أن يبلغ هذا العدد نحو ٥٠٠ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ ، ويكون العرب فى الوقت الحاضر نحو ٤% من جملة سكان العالم ويأتون - مجتمعين - فى المركز الخامس من حيث حجم السكان بعد الصين (١١٥١) والهند (١٥٩) ومجموعة السوق الاوربية المشتركة (٣٤٥) والولايات المتحدة الامريكية (٢٥٢) ، وذلك وفق تقديرات سنة ١٩٩١ .

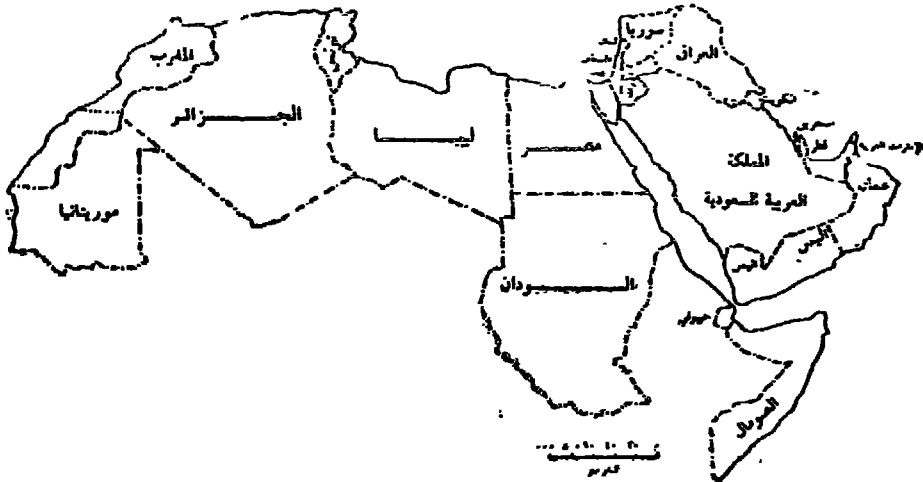
وقد انعكست ظروف البيئة الصحراوية الجافة التى تمثل معظم مساحة الوطن العربى على توزيع السكان به حيث يتركزون فى الاودية النهرية أو فى السواحل التى تستقبل قدرا من الامطار يسمح بالزراعة أو الرعى وفى الواحات المبعثرة ، وكذا فى المناطق ذات التربة الخصبة التى تقوم بها الزراعة اعتمادا على الامطار ، ويشغل معظم السكان بالزراعة كحرفة رئيسية رغم أن الانتاج الزراعى بأساليبه الحالية لم يعد يكفى احتياجات السكان للتزايد السريع فى معدلات نموهم .

ورغم أن العرب يملكون فى أرضهم أكبر احتياطات بترولية فى العالم الا أنهم يواجهون كثيرا من مشكلات التنمية والتطور لعل أبرزها الزيادة السكانية الكبيرة من ناحية وسوء التوزيع السكانى من ناحية أخرى سواء على المستوى القومى أو المستوى الاقليمى . بالاضافة الى ذلك فإن هناك عديدا من المشكلات المرتبطة برفع مستوى العيش والتعليم وتوفير الغذاء .

ويعيش نحو ٧٠% من العرب فى افريقيا و ٣٠% فى آسيا ، رغم أن الصفة الغالبة على توزيعهم هى التبعثر فى مناطق منفصلة تفصلها أراض صحراوية شاسعة . وينقسم الوطن العربى الى أربعة اقاليم جغرافية كبرى يضم كل منها عدة دول (شكل رقم ٤٧) تتباين من حيث المساحة

والسكان مما يجعل هذه الاقاليم فى النهاية مختلفة هى الاخرى فى الحجم والمساحى والسكانى على النحو التالى :

١ - شبه الجزيرة العربية ، وتشمل المملكة العربية السعودية واليمن وعمان والامارات العربية وقطر والبحرين والكويت ، وتصل مساحة هذا الاقليم ٣ مليون كيلو مترا مربعا أى بنسبة ٢١٪ من مساحة الوطن العربى ومع ذلك فلا يسكنه سوى ٣٢ مليون نسمة فقط أى بنسبة ١٤٪ فقط من جملة سكانه ، وفى هذا الاقليم يتوزع السكان فى الاودية وعلى المرتفعات الجنوبية وعلى سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندى والخليج العربى وفيه تخلو مناطق شاسعة من السكان خاصة الربع الخالى وفى شمال شبه الجزيرة .



شكل رقم (٤٧)

الوحدات السياسية فى الوطن العربى (١٩٩١)

ب - اقليم الهلال الخصيب، ويشمل العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والاردن ، وتبلغ مساحته ٧٤٩٠٠٠ كيلو مترا مربعا أى ما يعادل ٥٪ فقط من مساحة الوطن العربى ولكن يسكنه ٣٨ مليون نسمة بنسبة ١٧٪ من جملة سكانه . ويتركز السكان به فى الاطراف الغربية المطلة على البحر المتوسط سواء فى مناطق السهول أو المرتفعات الجبلية ، أما فى العراق فيتركزون أساسا حول نهري الدجلة والفرات ، وهنا تؤثر الامطار كذلك

في توزيع السكان حيث يتزايد التركيز السكاني في الشمال ويتبعثر السكان في المناطق الصحراوية في الجنوب والغرب .

ج - وادي النيل والقرن الأفريقي، ويشمل مصر والسودان وجيبوتي والصومال ويعيش به ٨٩ مليون نسمة أي نحو ٣٩٪ من جملة سكان الوطن العربي في مساحة قدرها ٤ر٢ مليون كيلو مترا مربعا أو مايعادل ٣٠٪ من جملة مساحته . ونهر النيل هو محور التركيز السكاني في مصر والسودان كما تلعب الامطار دورا كبيرا في تحديد مراكز العمران بعيدا عن النيل في غرب السودان ، وتكاد الظاهرة تتكرر في الصومال حيث التركيز السكاني حول نهر جوبا - شبلى ، كذلك في مناطق بعيدة عن واديه تعتمد على الامطار .

د - ليبيا والمغرب العربي ، ويعيش في هذا الاقليم نحو ٦٧ مليون نسمة أي ٣٠٪ من سكان الوطن العربي في مساحة تصل الى ٦ مليون كيلو متر مربع أي بنسبة تصل الى ٤٣٪ من مساحته الكلية . وتتركز الغالبية العظمى من السكان في المغرب العربي الكبير في نطاق السهول الساحلية على امتداد المحيط الاطلسي والبحر المتوسط وتبقى مساحة صحراوية شاسعة من هذا الاقليم يتبعثر فيها السكان تبعثرا شديدا في الواحات المتناثرة به .

أوجه التشابه والاختلاف :

بالرغم من أن سكان الوطن العربي لايزيدون في مجموعهم على خمس سكان الصين أو ربع سكان الهند أو أقل من سكان الاتحاد السوفيتي أو الولايات المتحدة الامريكية ، ويشكلون أمة واحدة ذات صفات مشتركة أبرزها اللغة والتاريخ والثقافة ، الا أنهم ينقسمون الى ٢١ وحدة سياسية مستقلة تتشابه في معظم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية ، وتتباين في بعض الخصائص الاخرى . فالدول العربية كلها تتميز بمعدل نمو سكاني مرتفع وبتركيب سكاني عمري شاب وارتفاع نسبة الزواج مع انخفاض متوسط السن عند الزواج والحجم الكبير للأسر ، وغلبة الحياة الريفية والبدوية ، وتسود في كل الدول العربية ظاهرة النمو الحضري السريع حيث تتوسع المدن بمعدل عال ، كذلك فانها لاتتباين كثيرا في المستويات الصحية حيث ترتفع معدلات وفيات الاطفال الرضع ، كما أن أمد الحياة متوسط في معظم هذه الاقطار .

ورغم أن الوطن العربي في معظمه يتميز بالمناخ الجاف الذي أدى الى

تأثير كبير على نمط الحياة وأدى الى انخفاض حاد في الكثافة السكانية المطلقة ، فان هناك مساحات محددة تتوفر بها موارد المياه كما في سواحل البحر المتوسط في المغرب والشام وفي وادي النيل وأودية الدجلة والفرات، حيث يتركز السكان بكثافة عالية تفوق مثيلتها في الدول الصناعية .

والوطن العربى رغم أنه يقع ضمن العالم الاسلامى ويمثل منطقة القلب فيه ، فان به مجتمعات غير اسلامية ممثلة في الطوائف المسيحية في معظم الدول العربية وكذلك ممثلة في يهود اسرائيل ، وتظهر كثير من الدراسات أن هناك فوارق جوهرية في بعض الخصائص الديموغرافية بين هذه الجماعات غير الاسلامية وبين باقى المجتمعات الاسلامية في الاقطار العربية .

الا أن أبرز مظاهر التباين بين الاقطار العربية هو التوزيع غير المتساوى للسكان والثروة ، وذلك لان التجزئة السياسية للوطن العربى أدت الى وجود فوارق مساحية وسكانية واقتصادية ضخمة بين الوحدات المكونة له كما هى الحال بين دول الخليج واليمن بشطريها ، أو بين الاردن وفلسطين المحتلة ، أو بين مصر وليبيا ، فرغم أن كثيرا من الحدود السياسية قد أنشئ بعد الحرب العالمية الاولى والقليل منها بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد أدى هذا التقسيم المحلى الى التأثير الكبير في حركة السكان الجغرافية وما يترتب عليها من نتائج ديموغرافية ، حتى أن الانتقال السكانى الحر بين الدول العربية بعضها البعض أصبح مقيدا وقاصرا على قطاعات محددة من السكان تتمثل في القوى العاملة فقط، أما الهجرة الدولية بين دول الوطن العربى فليست ميسرة لفرض القيود عليها وان كانت بعض الاقطار تسمح بذلك وفق قواعد محددة وباعداد ليست كبيرة .

كذلك فان من مظاهر التباين الرئيسية على رقعة الوطن العربى الاختلاف الكبير في توزيع الثروة الاقتصادية خاصة في البترول، فقد شهدت بعض الاقطار العربية تدفق البترول بكميات ضخمة تدفقت على أثرها ثروات أسهمت في التغير البيئى والسكانى في هذه الاقطار ، كما أدت بطريقة مباشرة الى قيام حركات انتقال سكانى كبير حيث تدفق الالاف من العاملين على الدول البترولية للاسهام في قوة العمل بها ، كذلك فقد أدت هذه الثروات النفطية الى ارتفاع نصيب الفرد من الناتج القومى ارتفاعا يصل ببعض الدول العربية الى رأس قائمة دول العالم في هذا المجال .

وبالإضافة الى أوجه التباين في توزيع السكان والثروة هنالك مظاهر أخرى للاختلاف أبرزها الفارق الكبير بين الدول العربية في المساحة حيث تتراوح المساحات بين ٦٠٠ كيلو مترا مربعا الى ٢٤ مليون كيلومتر مربع وكذلك الحجم السكاني من نصف مليون نسمة الى ٥٥ مليون نسمة ونصيب الفرد من الدخل القومي الذي يتراوح بين ١٧٠ دولار و ١٨٤٠٠ دولارا سنويا (سنة ١٩٩١) ، يضاف الى ذلك كله الاختلاف بين توزيع المساحات الزراعية ومناطق البداوة وبين الحضر والريف ثم بين مستويات التنمية الاقتصادية .

وتختلف أقطار الوطن العربي فيما بينها في قوى الجذب والطردي في مجال حركة السكان الجغرافية ، فالملاحظ بصفة عامة أن الدول الأكثر سكانية لا تتأثر بالهجرة الدولية تأثرا كبيرا في الوقت الذي يكون فيه لهذه الهجرة أثر كبير في سكان الدول الأقل سكانية ، فمعظم الدول ذات الحجم السكاني القليل تعد مراكز جذب قوى للمهاجرين الوافدين من الدول العربية الأخرى ومن خارج الوطن العربي . وقد كانت الهجرة النازحة المبكرة انعكاسا للضغط السكاني على الموارد في بعض الدول العربية مثل لبنان التي كانت وماتزال مصدرا لتيار هجري كبير منذ سنة ١٨٦٠ حتى أن عدد السكان ذوى الاصل اللبناني في الخارج يزيد على مليون ونصف مليون نسمة .

كذلك فان الهجرة النازحة تعد من الظواهر الديموغرافية في اليمن بشطريها وعلى النقيض من ذلك فان دول البترول في الخليج العربي تعد أقطابا هامة لجذب المهاجرين اليها من كل بلاد المشرق العربي خاصة من الاردن ومصر وسوريا ، ودول جنوب شبه الجزيرة العربية والسودان ، بل ومن دول أخرى غير عربية مثل ايران وباكستان وبنجلاديش . وقد أثرت الهجرة الوافدة في الكويت والبحرين وقطر والامارات تأثرا كبيرا في التركيب السكاني خاصة التركيب العمري والنوعي والاقتصادي .

وعلى أية حال فليس البترول فقط هو العامل الرئيسي في الهجرة الوافدة في الدول العربية - بل يلعب الدين دورا آخر في الهجرة الوافدة على فلسطين والتي يمكن اعتبارها جييا سكانيا قام على أساس الهجرة الدينية والتهجير الاجباري للسكان الفلسطينيين الاصليين . وقد ترتب على ذلك تدفق أعداد ضخمة من اللاجئين الى الدول العربية المجاورة في لبنان وسوريا والاردن ومصر وغيرها من الدول العربية وقد قدر عدد اللاجئين بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بنحو ١٦ مليون نسمة ولذلك فان حل مشكلة

دولاء اللاجئين تكمن في اعادتهم الى وطنهم وديارهم الاصلية التي طردوا منها بأساليب الصهيونية العنصرية لكي تقيم وطننا دخيلا في فلسطين على حساب الارض والشعب .

وتعد الدول العربية الصغيرة الحجم السكاني - وخاصة البترولية منها - قادرة على خفض معدلات الوفيات خفضا كبيرا وذلك لامكانياتها القادرة على الاستفادة من التقدم الطبى وتحقيق مستوى صحى مرتفع لسكنيا ورنج مستوى معيشتهم وفى مثل تلك الظروف يسود بهذه المجتمعات ارتفاع كبير فى نسبة الصغار (أقل من ١٥ سنة) حيث أمكن تخفيض معدلات الوفيات بدرجة كبيرة والتي وصلت الى ٧ فى الألف فى بعض الدول مثل ليبيا وتونس وهى فى ذلك تناهز أكثر الدول تقدما فى العالم ويمكن أن نتوقع أن الوفيات فى بعض الدول الاخرى مثل السعودية ودول الخليج - وليبيا قد انخفضت انخفاضا ضخما فى السنوات الاخيرة وذلك بفضل توفر الامكانيات التى تساعد على تحقيق المستوى الصحى المرتفع للسكان بهما .

ويختلف الأمر بالنسبة للخصوبة (المواليد) - ذلك لأنه لا توجد علاقة بين الحجم السكاني للدولة ومستوى الخصوبة بها بالرغم أن بعض الدول صغيرة الحجم فى الوطن العربى مثل فلسطين المحتلة تعد منخفضة الخصوبة . وبصفة عامة يتراوح معدل المواليد فى الدول العربية من ٣٥ - ٥٠ فى الألف . وليست هناك شواهد تدل على انخفاض الخصوبة الا انخفاضا قليلا فى بعض الدول فى السنوات القليلة الاخيرة - مثل مصر التى أخذت بسياسة تنظيم الاسرة منذ سنة ١٩٦٥ وأظهرت معدلات المواليد بها هبوطا طفيفا من ٤٢ فى الألف سنة ١٩٦٠ الى ٣٤ فى الألف سنة ١٩٧٣ وان كانت قد تزايدت بعد ذلك لتصل الى ٣٨ فى الألف فى أوائل الثمانينات وكذلك تونس التى انخفضت معدلات المواليد بها لتصل الى ٢٩ فى الألف سنة ١٩٩١ .

ويبدو من العلاقة بين معدل المواليد والوفيات - أن الزيادة الطبيعية الناتجة عن الفرق بينهما قد ازدادت بدرجة كبيرة نتيجة الهبوط الذى طرأ على معدل الوفيات ولما كانت الدول الصغيرة الحجم والبترولية منها على وجه الخصوص قد استطاعت أن تخفض معدل الوفيات بدرجة كبيرة فى السنوات الاخيرة - فقد أدى ذلك الى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية بها بدرجة أكبر من غيرها ولعل فى الكويت مثل واضح على ذلك .

وقد انعكس مستوى الخصوبة المرتفع في الدول العربية على زيادة نسبة الصغار بها (أقل من ١٥ سنة) وهي الفئة العريضة من السكان التي تكون قاعدة الهرم السكاني وتكون أكثر الفئات تأثراً بهبوط معدل الوفيات حتى أن أكثر من ٤٠٪ من سكان الدول العربية يقل عمرهم عن ١٥ سنة بل تصل هذه النسبة إلى ٤٩٪ في بعض الدول مثل اليمن والاردن .

وبالرغم من أن التوزيع السكاني غير متساو على الاطلاق على رقعة الوطن العربي الا أن الاتجاه الحالي في نمو السكان يتجه نحو زيادة هذه الظاهرة وتأكيدا وبمعنى آخر فإن نويات التركيز السكاني الكثيفة السكان ممثلة في المدن والمناطق الزراعية تشهد نمواً سريعاً لسكانها أكثر من المناطق المبعثرة السكان وقد حاولت بعض الحكومات العربية العمل على خلق مناطق جديدة لجذب السكان . وتسير سياسة هذه الحكومات على تنمية بعض الاقاليم الاخرى ومحاولة اعادة التوزيع السكاني على رقعتها . ولكن ينبغي القول بأن ذلك يتم بخطى بطيئة ولم يحقق بعد أهدافه الرئيسية من خلق مناطق جذب سكاني تنافس المناطق التقليدية ولعل ذلك راجع الى قوة الجذب المتمثلة في النويات السكانية وتوفر الخدمات المتعددة بها وهذه ظاهرة ليست مقتصرة على الدول العربية بل تشاركها فيها الدول النامية .

وتتميز الدول العربية بوجود جزر سكانية على رقعتها قد تمتد أحيانا على هيئة شريط مواز للساحل أو متعامد عليه ولا تكون هذه الجزر أو المساحات الصغيرة الاهاة بالسكان سوى مساحة قليلة من المساحة الكلية للدولة ولعل في مصر - مثل واضح على ذلك حيث يتركز ٩٩٪ من سكانها في ٣٥٪ فقط من مساحتها الكلية وكذلك العراق حيث أن أكثر من نصف السكان يعيشون في ١٥٪ من مساحة البلاد وفلسطين المحتلة حيث يعيش ثلاثة أضعاف السكان في عشر مساحة الدولة .

ويوجد بكل دولة عربية تقريبا منطقة كبيرة المساحة يتبعثر بها السكان أو غير مسكونة على الاطلاق، ولا يوجد بها مراكز عمرانية الا في الواحات المبعثرة أو في مناطق التعدين ويصعب الاتصال بين أجزائها وذلك لظروفها الطبيعية الطاردة . وقد أصبحت كثير من المناطق الصحراوية في الدول العربية مناطق إنتاج بترول ضخم - ومع ذلك فإنه من الخطأ أن نتصور أن هذه المناطق الصحراوية ستصبح أكثر سكانا بسبب ثروتها البترولية - ذلك لان صناعة البترول قد ساهمت في تضخم كثير من المراكز العمرانية خارج مناطق حقول البترول أكثر من داخلها وأنه من مظاهر التناقض أن

الدول كبيرة الحجم السكاني مثل مصر والمغرب لاتنتج الا كميات قليلة من البترول بالرغم من أن بعض الدول الصحراوية الصغيرة السكان بلغت شأوا كبيرا في ذلك .

وبالرغم من تزايد نسبة سكان المدن في الدول العربية الا أن نسبة سكان الريف مازالت مرتفعة تدل على أن مناطق التركيز السكاني مازالت ممثلة في القرى وقد تأثرت مواقع هذه القرى بمدى الحصول على المياه وخصوبة التربة ، وترتبط هذه القرى بشبكة الطرق الاولية تربطها بالمدينة العاصمة . وهناك اتجاه قوى في بعض الدول العربية ومنها مصر - نحو التنمية الريفية وتحسين أحوال القرى . وبالرغم من الاصلاح الزراعى في بعض الدول الا أن التفاوت في مساحة الاراضى المملوكة مازال من العناصر الهامة المؤثرة في حياة هذه المجتمعات والتي يبدو منها الفارق الكبير بين ثراء الملاك وفاقه العمال الزراعيين وقد خطت بعض الدول خطوات هامة في سبل تقليل هذه الفوارق مثل مصر التي حددت الملكية منذ سنة ١٩٥٢ .

ويعيش الوطن العربى في الوقت الحاضر في ثورة تعليمية حقيقية تتمثل في ذلك الاهتمام الكبير بالتعليم وخاصة في مراحلها الاولى والعمل على الارتقاء بسن الالتزام ليشمل قطاعات أكبر من السكان . وكذلك تهتم الدول العربية بالتعليم الثانوى والعالى وانعكس ذلك على احداث تغيير في أساليب الحياة سواء في الزراعة أو الصناعة أو الحياة الحضرية وكذلك ارتفاع مكانة المرأة عما كانت عليه من قبل وغير ذلك من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

وباختصار فان سكان الوطن العربى يمرون بمرحلة انتقال ديموغرافى وحضارى في هذه السنوات سيكون لها تأثير كبير على خريطة السكان في المستقبل وتركيبهم وملامح نموهم وان كان ذلك يجعل من التنبؤات السكانية أمرا صعبا ذلك لسرعة التغير الحضارى والاقتصادى فمن ذا الذى كان يتنبأ مثلا في منتصف هذا القرن بتلك الثروة البترولية الضخمة في دول البترول العربية أو بخروج الاوربيين من المغرب العربى أو بتطور الاشتراكية في مصر والجزائر وغيرها أو بالتغيرات السياسية الكبيرة التى شهدتها الوطن العربى في العشرين عاما الماضية .

أبرز المشكلات السكانية في الوطن العربى :

ليست المشكلة السكانية في التزايد السريع للسكان في ضوء بطء النمو الاقتصادى فقط بل تتعداها الى جوانب أخرى ترتبط بالنمو والحجم

والتوزيع والتركيب السكاني وخصائصه والهجرة أو بمعنى آخر محددات دينامية السكان والنتائج التي تترتب عليها على المستويين المحلي والاقليمي .

ويعد النمو السكاني المرتفع في الاقطار العربية ذات الموارد الاقتصادية المحدودة أو غير المستغلة استغلالا مناسباً - أهم المشكلات التي تعوق حركة التنمية بها وإلى جانب ذلك هناك مشكلات مرتبطة بذلك أبرزها انخفاض المستوى الاقتصادي والصحي وسوء توزيع الخدمات والتزايد السريع في المدن الاقليمية وفي العواصم وكذلك في تزايد أعداد السكان في سن العمل بسبب التركيبي العمري الشاب وتدنى اسهام الاناث في القوة العاملة ، وتزايد الضغط على الخدمات التعليمية والصحية والاجتماعية ، وعلى العكس من ذلك فان حجم السكان القليل في الدول البترولية العربية - رغم تزايد بمعدل مرتفع - يعد مشكلة لهذه الدول ، ولا تبذل هذه الدول أي جهد لخفض معدلات النمو السكاني بها بل تعمل على تشجيع الانجاب بوسائل مختلفة وتجلب أيد عاملة من الخارج لسد النقص في العمالة الوطنية لديها .

١ - مشكلة الحجم السكاني :

تعد مشكلة الحجم السكاني ذات وجهين ، أحدهما يتمثل في الحجم الزائد والآخر في الحجم الناقص ، فتعاني كثير من الدول العربية من مشكلة التضخم السكاني في ضوء الموارد الاقتصادية المحدودة بها ، وأبرز هذه الدول مصر والاردن وسوريا ولبنان واليمن وتونس والمغرب وموريتانيا والصومال . وفي هذه الدول يزيد معدل النمو السكاني عن ٢٫٥٪ سنويا مما يعني أن إجمالي عدد السكان بها الذي يصل إلى ١٠٦ مليون نسمة سنة ١٩٨٣ سيتضاعف بعد قرابة ربع قرن فقط .

وقد سبق القول أن هذه المعدلات المرتفعة قد نجمت عن خصوبة مرتفعة ومعدلات وفيات آخذة في التناقص ، وليست ثمة ما يشير إلى انخفاض كبير في معدلات المواليد في هذه الدول وإن كانت هناك دول عربية تبنت سياسة رسمية لتنظيم الاسرة Family Planning بهدف تقليل معدلات المواليد ومن هذه الدول مصر وتونس ولبنان .

أما بقية الدول العربية فلاتعاني من مشكلة التضخم السكاني بل على العكس فهي تعيش مرحلة السكان الأقل من الموارد under population ويبدو ذلك بوضوح في الدول البترولية في شبه الجزيرة العربية وفي العراق

والسودان وليبيا والجزائر ، ويعيش في هذه الدول مجتمعة نحو ٧٩ مليون نسمة أي ٤٢٪ من جملة سكان الوطن العربي .

وإذا نظرنا إلى الوطن العربي كوحدة مساحية واحدة فإن حجم السكان به يتزايد بمعدل متوسط يصل إلى نحو ٣٪ سنوياً ، ويعد ذلك من أعلى معدلات النمو السكاني في العالم حيث يصل المتوسط العالمي إلى ١٫٨٪ بل وأغنى من متوسط معدل النمو السكاني في الدول النامية والذي يصل إلى ٢٪ (متوسط ١٩٨٠ - ١٩٨٩) ، ويرتبط ذلك كما سبق القول بارتفاع معدلات المواليد العربية التي يصل متوسطها إلى ٤٥ في الألف مقابل ٢٦ في الألف في العالم و ٣١ في الألف في الدول النامية سنة ١٩٨٩ . (جدول رقم ٤١)

جدول رقم (٤١)
حجم السكان ومعدلات النمو والمواليد
في الوطن العربي

عدد معدل النمو السنوي (%) المواليد اللازمة في الألف لتضاعف حجم السكان	معدل النمو السنوي (%) ١٩٨٩	جملة عدد السكان بالمليون		
		١٩٩١	١٩٧٥	١٩٥٠
٣٧	٢٩	٥٣٨٤	٣٩٦٧	٢٥٠١
١١٢	١٦	١٢١٩	١١٣٢	٨٥٧
٣٠	٣٤	٤١٦٥	٢٨٣٥	١٦٤٤
٢٤	٤٥	٢٢٦	١٥٠	٧٧
-	-	٤١	٣٨	٣١
				العرب %
				من العالم

والواقع أن معدل النمو السكاني المرتفع في الدول العربية ذات الحجم السكاني القليل والموارد الوفيرة ينتج عن خصوبة عالية غير مخططة وليس ناجماً عن انخفاض معدل الوفيات فقط ، وينجم عن هذه الخصوبة العالية غير المخططة مشكلات صحية أبرزها تزايد احتمالات تعرض الامهات والأطفال الرضع للأمراض خاصة أمراض الامومة والطفولة المبكرة فتعنى سبيل المثال تبين البحوث الطبية أن أكثر احتمالات الأمراض والوفاة وسوء التغذية بين الامهات والأطفال وكذلك تأخر النمو الجسماني

والعقلى أحدثت بمسبب تزايد عدد الاطفال الذين يتم انجابهم وعندما تقصر الفترات الفاصلة بين الولادات للمرأة ، ويصدق هذا القول عندما تكون الأم فى سن صغيرة (أقل من ١٨ سنة) أو عندما تكون متقدمة فى السن (أكثر من ٣٥ سنة) ، وتجمع الآراء الطبية فى الوقت الحاضر أن تنظيم الخصوبة حتى فى الاقطار التى ترغب فى تزايد حجم السكان بها يعد ضرورة صحية (١) .

٢ - التركيب السكانى :

يؤدى التركيب العمرى والتركيب العرقى للسكان فى كثير من الاقطار العربية الى مشكلات اقتصادية واجتماعية خطيرة للدول الغنية والدول الفقيرة على السواء ، فقد أدت الخصوبة المرتفعة والتقدم الصحى الذى أسهم فى تقليل معدلات الوفيات خاصة فى الاعمار المبكرة ، الى زيادة نسبة الصغار فى المجتمعات العربية ، وأصبحت نسبة الاطفال وصغار السن (أقل من ١٥ سنة) تزيد على ٤٥% من جملة السكان بل وتكاد تقرب من النصف فى بعض الدول العربية وذلك مقابل نحو ٢٥% فقط فى الدول المتقدمة ، وتلقى هذه النسب العالية بأعباء كبيرة على خطط التنمية الحالية والمستقبلية فى الوطن العربى . كذلك تشهد الاقطار العربية المستوردة للايدى العاملة الاجنبية ظاهرة تزايد نسبة هؤلاء الاجانب الى السكان الاصليين كما هى الحال فى دولة الامارات العربية والكويت وماقد يترتب على ذلك من مشكلات سياسية واجتماعية كامنة فى هذه الاقطار .

ويرتبط بمشكلة التركيب السكانى فى كثير من الاقطار العربية خاصة فى شبه الجزيرة العربية ، نقص القوى العاملة الوطنية وما يترتب على ذلك من زيادة نسبة الاعالة - أى عدد السكان المعولين ، الى جملة القوى العاملة - وذلك بالاضافة الى انخفاض مستوى التعليم والتدريب المهنى ، ومن الظاهرات الاخرى انخفاض نسبة اسهام الاناث فى النشاط الاقتصادى حيث لاتزيد نسبة اسهام الاناث العربيات عن ٨% من القوى العاملة العربية .

٣ - سوء توزيع السكان :

سبق القول بأن الوطن العربى من الاقاليم التى يتبعثر بها السكان وتتندى الكثافة العامة به الى ١٣ نسمة فقط فى الكيلو متر المربع حيث

(1) Omran, A. R., Population of the Arab World. Problems and Prospect, UNFPA and Croom Helm Ltd, New York, 1980, p. 8.

تشغل الصحارى مساحة كبرى من رقعة الارضية ، ورغم أن توزيع السكان على خريطة الوطن العربى هو دالة لعدد متشابه من العوامل الجغرافية فانه يتصف بعدم التساوى سواء بين الدول بعضها وبعض أو فى داخل الدولة الواحدة . وقد نجم سوء التوزيع السكانى عن عدد من العوامل المرتبطة بانسطح والظروف المناخية والامطار وكذلك توفر الموارد واستغلالها وفرص العمل المتاحة والنقل . ولعل أبرز مظاهر سوء التوزيع السكى نتجلى فى توزيع السكان بين الحضر والريف والنمو الكبير غير المخطط لمعظم المدن العربية .

وتتبعثر كثير من النويات السكانية التى يتراوح حجمها من بضعة مئات من السكان الى بضعة آلاف فى مناطق منفصلة يصعب الوصول اليها وتحتاج الى استثمارات ضخمة لانشاء طرق حديثة لتصلها بمناطق الانتاج والخدمات الرئيسية فى الدولة . ويؤدى صعوبة الاتصال بهذه المجتمعات البعيدة عن مناطق التركيز السكانى الرئيسية الى نقص الخدمات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والامنية .

ويؤدى سوء التوزيع السكانى والخدمات فى الاقطار العربية الى خلق تيارات هجرة داخلية كبيرة من الريف الى الحضر ، وما يترتب على ذلك من افقار المناطق الريفية من قطاع كبير من القوى العاملة الشابة بها ، وكذلك من تزايد أحجام المدن بشكل حاد ، وتعد هذه الظاهرة من المشكلات الهامة فى توزيع السكان فى الوطن العربى خاصة فى الدول التى تزداد فيها الفجوة بين المدينة والقرية ، كذلك أدت فرص العمل المتاحة فى انتظار البترولية الى اتجاه قطاعات كبيرة من العاملين فى الحرف الاولى بالصحارى مثل الرعى والزراعة الى اهمال هذا القطاع الانتاجى والاتجاه الى المدن، وقد انعكس ذلك على نقص الانتاج الزراعى والرعى فى هذه الاقطار ، وتناقص انتاج الغذاء بها واضطرابها الى استيراد نسبة كبيرة من استهلاكها الغذائى من الخارج .

٤ - النمو الحضرى غير المخطط :

يتزايد سكان المدن فى الوطن العربى بمعدلات تصل الى ضعف معدل النمو القومى بصفة عامة حيث تصل نسبة النمو الحضرى الى ٦٪ سنويا ، وفى دول المدينة City-States مثل الكويت وقطر فان المعدل يتزايد بشكل واضح ليصل الى ١٠٪ و ١٥٪ سنويا ، ومن المتوقع أن مدينتى الكويت والدوحة سيتضاعف حجمها السكانى فى أقل من عشر سنوات . ومن الواضح أن نمو المدينة العربية بمعدلات عالية لم يكن مخططا - أى لم يكن نتيجة

خطط عمرانية مدروسة أو نتيجة لعملية التحديث التى تصاحب عمالية النمو الحضرى فى الدول العربية والتى تتشابه فى ذلك مع غيرها من الدول النامية .

وقد نجم النمو الحضرى الضخم الذى شهدته الاقطار العربية عن الزيادة الطبيعية للسكان والهجرة الواحدة ، ونجمت الظاهرة الاخيرة بدورها عن عوامل الطرد فى البيئات الاصلية للمهاجرين ، فقد تناقص نصيب الفرد من الارض الزراعية فى بعض الدول خاصة فى مصر مما دفع بعدد كبير من الريفيين نحو المدن بحثا عن حياة أفضل وفرص عمل أوفر وكذلك للاستفادة من الخدمات المتاحة فى المدن مثل الخدمات التعليمية والترفيهية والصحية وغيرها . ويضاف الى هذين العاملين فى النمو الحضرى فى الدول البترولية ، تدفق أعداد كبيرة من الوافدين عبر الحدود بحثا عن العمل بأجور أعلى ، مما ألقى بأعباء ضخمة على المدن فى هذه الدول وعلى الخدمات بها ، وان كانت الموارد المالية فى هذه الدول تسمح باستيعاب النمو الحضرى الذى يخضع فى معظمه هنا لتخطيط أفضل من مثيله فى الدول الاخرى .

٥ - مشكلة الشعب الفلسطينى :

تعد مشكلة الشعب الفلسطينى الذى أجبر على ترك وطنه منذ سنة ١٩٤٧ وعلى مراحل بعد ذلك - مشكلة سياسية وديموغرافية فى آن معا ، كما أنها مشكلة تقتصر على الوطن العربى وتلعب دورا كبيرا فى خريطته السكانية والسياسية .

والمقتنع للنزاع العربى الاسرائيلى منذ سنة ١٩٤٧ وماتلاه من هجرة اجبارية للفلسطينيين من قراهم ومدنهم فى فلسطين الى الدول العربية المجاورة يدرك بجلاء كيف أدت هذه المشكلة الى اعادة توزيع سكانى اجبارى تجلى فى معظمه فى مخيمات اللاجئين وفى أعداد الفلسطينيين التى اتجهت الى اقطار أخرى داخل الوطن العربى أو خارجه ، ويتوزع نحو مليونين من الفلسطينيين فى الوقت الحاضر فى سوريا والاردن ولبنان مما أدى الى نتائج ديموغرافية معقدة للفلسطينيين أو للدول المضيفة ، ولسنا بصدد تناول الصراع العربى الاسرائيلى فى هذه الدراسة وكيف اقامت الصهيونية العالمية والاستعمار وطنا لليهود على حساب فلسطين الارض والشعب ، ولكن نذكر فقط أن الاوضاع الديموغرافية للشعب الفلسطينى سواء فى الارض الفلسطينية المحتلة قبل عام ١٩٦٧ أو بعدها ،

أو في الدول العربية وخارجها جاءت نتيجة مباشرة لعمليات الطرد والمطاردة التي تمارسها إسرائيل وكذلك لعمليات الاستيطان المنظم الذي يهدف الى احكام القبضة على الاراضى العربية المحتلة .

وقد قدر أن عدد الفلسطينيين بلغ نحو ٤٥ مليون نسمة سنة ١٩٨١ يعيش منهم ١٨ مليون نسمة داخل فلسطين بقسميها : الذى احتل قبل ١٩٦٧ أو بعد تلك السنة ، ويعيش نحو ٢٧ مليون فلسطينى خارج أرضهم ، وتبين الارقام التالية توزيع الشعب الفلسطينى حسب مكان اقامته وذلك فى سنة ١٩٨١ (١) :

توزيع الشعب الفلسطينى سنة ١٩٨١

العدد	%	
		داخل فلسطين المحتلة :
٥٥٠ر٨٠٠	١٢ر٠	فلسطين المحتلة قبل سنة ١٩٦٧
٨٣٣ر٨٠٠	١٨ر٢	للضفة الغربية
٤٥١ر٦٠٠	٩ر٩	قطاع غزة
<u>١٨٣٥ر٤٠٠</u>	<u>٤٠ر١</u>	الجملة
		خارج فلسطين المحتلة :
		بالدول العربية :
١١٤٨ر٢٠٠	٢٥ر١	الاردن
٤٩٢ر٢٠٠	١٠ر٨	لبنان
٢٩٤ر٩٠٠	٦ر٤	الكويت
٢٢٥ر٢٠٠	٤ر٩	سوريا
١٣٧ر٠٠٠	٣ر٠	السعودية
٣٧ر٠٠٠	٠ر٨	الامارات العربية

(١) منظمة التحرير الفلسطينية - المكتب المركزى للإحصاء - المجموعة الاحصائية الفلسطينية العدد (٤) دمشق ١٩٨٢ - ص٣٢، والنسب من حساب المؤلف .

نقلا عن : حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا - عمان - ١٩٨٥ - ص ٤٠ .

العدد	%	
٣٤٣٠٠	٠٫٧	مصر
٢٤٠٠٠	٠٫٥	قطر
٢٣٧٠٠	٠٫٥	ليبييا
٢٠٦٠٠	٠٫٤	العراق
٥١٠٠٠		باقي الدول العربية
<u>٢٤٨٨٨١٠٠</u>	<u>٥٤٫٥</u>	الجملة
		بالدول الاجنبية :
١٠٥٠٠٠	٢٫٣	الولايات المتحدة الامريكية
١٤٠٠٠٠	٣٫١	باقي الدول الاجنبية
<u>٢٤٥٠٠٠</u>	<u>٥٫٤</u>	الجملة
٤٥٦٨٥٠٠	١٠٠٫٠	جملة الشعب الفلسطيني

الفصل الثاني

حجم وتوزيع السكان

ليست بيانات السكان في الوطن العربي كاملة أو متكاملة ، كما أن المتوفر منها لا يعطى الصورة الدقيقة لاحوال السكان ، وتتباين الدول العربية فيما بينها تباينا كبيرا في مدى توفر البيانات السكانية ويصل هذا التباين أقصاه بين الدول العربية في شمال افريقيا من ناحية ، ودول جنوب شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى ، ففي الوقت الذي ترجع فيه التعدادات السكانية الحديثة في مصر مثلا الى مايزيد على مائة سنة توجد دول لم تجر تعدادا سكانيا الا منذ نحو عشرين عاما مثل المملكة العربية السعودية التي أجرت أول تعداد سكاني في العام ١٩٦٣/٦٢ ، (جدول رقم ٤٢) ، كما أن هناك دولا لم تجر تعدادا لسكانها على الاطلاق حتى الوقت الحاضر مثل سلطنة عمان وان كان من المتوقع اجراء التعداد في القريب العاجل .

وعلى ذلك فليس من السهل في معظم الاقطار العربية أن نتبع منحني النمو السكاني على امتداد فترة طويلة للوقوف على مكوناته أو تقدير حجم السكان بدقة أو الوقوف على توزيع السكان في اقاليم الدولة الواحدة أو حتى تقدير أحجام الطوائف المختلفة في بعض الدول كما هي الحال في لبنان التي لم تأخذ الا تعدادا واحدا في تاريخها الحديث (١٩٣٢) ولا ريب أن العيوب التي تشوب التعدادات السكانية في الاقطار العربية شأنها شأن معظم الدول النامية الاخرى - انما ترجع الى عدة عوامل لعال أبرزها عدم توفر النوعي الاحصائي أو تدنى المستوى الثقافي وتزايد نسبة الامية وانخفاض مكانة المرأة ووجود نسبة عالية من السكان البدو في بعض الاقطار وصعوبة حصرهم بدقة أو الوقوف على بعض خصائصهم الديموغرافية وليست العيوب الاحصائية وفقا على التعدادات السكانية فقط ، بل تتعداها الى الاحصاءات الحيوية في الاقطار العربية ، فرغم أن هناك دولا تزداد فيها نسبة الوثوق في الاحصاءات الحيوية مثل تونس ومصر والكويت ، فان معظم الدول العربية تتصف احصاءاتها الحيوية بالقصور وليس من السهل اعتمادا على المتوفر منها ، الوقوف على معدلات المواليد أو الوفيات بدقة كاملة ، ويبقى الامر رهنا بتقويم هذه الاحصاءات والحصول منها على بعض المؤشرات الرقمية التي قد تفيد في حساب تقديرات مقبولة للمعدلات الحيوية .

جدول رقم (٤٢)
مدى تدفق تعديلات السكان في الدول العربية منذ الحرب العالمية الثانية (١)

الدولة	سنوات التعدادات
١ - دول الهلال الخصيب :	
- العراق	١٩٤٧، ١٩٥٧، ١٩٦٥، ١٩٧٧، ١٩٨٧
- سوريا	١٩٥٢، ١٩٦٠، ١٩٧٠، ١٩٧٦، ١٩٨١
- لبنان	مسح ١٩٧٠
- فلسطين	١٩٤٨، ١٩٦١، ١٩٧٢، ١٩٨٣
- الاردن	١٩٥٢، ١٩٦١، ١٩٧٩ (الضفة الشرقية فقط)
٢ - دول شبه الجزيرة العربية :	
- السعودية	١٩٦٢/١٩٦٣، ١٩٧٤
- الكويت	١٩٥٧، ١٩٦١، ١٩٦٥، ١٩٧٠، ١٩٧٥، ١٩٨٠، ١٩٨٥
- البحرين	١٩٥٠، ١٩٥٩، ١٩٦٥، ١٩٧١، ١٩٨١
- قطر	١٩٧٠
- الامارات	١٩٦٨، ١٩٧٥، ١٩٨٠
- سلطنة عمان	لا يوجد
- اليمن	١٩٥٥ (المستعمرة عدن)، ١٩٧٣، ١٩٧٥، ١٩٨٦
٣ - دول النيل والقرن الافريقي :	
- مصر	١٩٤٧، ١٩٦٠، ١٩٦٦، ١٩٧٦، ١٩٨٦
- السودان	مسح ١٩٥٦/٥٥، ١٩٧٣، ١٩٨٣
- جيبوتي	١٩٦٠/١٩٦١، ١٩٦٧، ١٩٧٠، ١٩٧١، ١٩٧٩ (مسح)
- الصومال	١٩٧٥
٤ - ليبيا والمغرب العربي :	
- ليبيا	١٩٥٤، ١٩٦٤، ١٩٧٣، ١٩٨٤
- تونس	١٩٤٦، ١٩٥٦، ١٩٦٦، ١٩٧٥، ١٩٨٤
- الجزائر	١٩٤٨، ١٩٥٤، ١٩٦٦، ١٩٧٧، ١٩٨٧
- المغرب	١٩٥٠، ١٩٦٠، ١٩٧١، ١٩٨٢
- موريتانيا	١٩٦٤/١٩٦٥ (مسح)، ١٩٧٧

(١) المصدر :

١ - Clarke. J. and Fisher, W. B., Population of the Middle East and North Africa, London, 1972, p. 16.

ب - U. S. Department of Commerce, World Population 1983.

ولكن الملاحظ في السنوات الاخيرة أن الوعي الديموغرافي أصبح أفضل من ذي قبل في كثير من الاقطار العربية حيث شهد انشاء أجهزة متخصصة في جميع البيانات السكانية وارتبط بذلك تزايد نسب التعليم والاتجاه الجاد للتعرف على خصائص السكان خاصة في الدول البترولية التي شهدت تحولات ديموغرافية ضخمة في العقود الاخيرة . ورغم القصور الذي يشوب بيانات التعدادات السكانية أو الاحصاءات الحيوية في الدول العربية فإن الاعتماد على المتاح منها وعلى غيرها من البيانات التي تنشرها الهيئات الدولية المتخصصة ، يساعد في الوقوف على صورة الوضع الديموغرافي العربي وملامحه المميزة من حيث نمو السكان ومستويات الخصوبة والوفيات والهجرة والتوزيع والتركييب السكاني والتحصن الآخذ في التزايد بشكل سريع والعلاقة بين السكان والموارد الغذائية المتاحة .

حجم السكان :

يبين الجدول رقم (٤٣) حجم السكان في الاقطار العربية حسب الاقاليم الجغرافية وآخر تعداد أجرته الدول وكذلك تقدير السكان سنة ١٩٩١ ، ومن الجدول يبدو أن اقليم وادي النيل والقرن يضم خمس سكان الوطن العربي ، حيث يضم مصر كأكبر دولة عربية في حجم السكان والتي يبلغ سكانها ٥٥ مليون نسمة أو ربع سكان الوطن العربي بأكملها . ويلى ذلك اقليم المغرب حيث يسكنه ٣٠٪ ثم اقليم الهلال الخصيب بنسبة تقرب من السدس ، أما أقل اقاليم الوطن العربي سكانا فتتمثل في شبه الجزيرة العربية التي يقطنها نحو ٣٢ مليون نسمة (موزعة على ثمان دول) ، وبنسبة تصل الى سبع حجم السكان في الوطن العربي .

جدول رقم (٤٣)

سكان الوطن العربي وفق أحدث التعدادات المتاحة
وتقدير السكان سنة ١٩٩١ (ألف نسمة)

تقدير السكان ١٩٩١	عدد السكان حسب التعداد		الاقليم والقطر
	عدد السكان	تاريخ التعداد	
١٧٠١٠٠	١٢٠٠٠	١٩٧٧/١٠/١٧	دول الهلال الخصيب :
١٢٠٨٠٠	٩٠١٥٦	١٩٨١/ ٩/ ٧	- العراق
٣٢٤٠٠	٢٢٤٠٥	١٩٧٠/١١/١٥	- سوريا
١٧٠٠	٣٠١٥٨	١٩٧٢/ ٥/٢٠	- لبنان
٣٢٤٠٠	٢٢٢٤٩	١٩٧٩/١١/ ١	- فلسطين
٣٨٤٠٠			- الاردن
			- الجملة

دول شبه الجزيرة العربية :

١٥ر٥٠٠	٧ر٠١٢	١٩٧٤/ ٩/ ٩	- السعودية
١ر٤٠٠	١ر٣٥٥	١٩٨٠/ ٤/ ٢١	- الكويت
٠ر٥٠٠	٣ر٥٩	١٩٨١/ ٤/ ٦	- البحرين
٠ر٥٠٠	١ر١١	١٩٧٠ ابريل/مايو	- قطر
٢ر٤٠٠	١ر٠٤٠	١٩٨٠/١٢/١٥	- الامارات
١ر٦٠٠	-	-	- عمان
١٠ر١٠٠	٤ر٧٠٥	١٩٧٥/ ١/ ٣١	- اليمن
٣٢ر٠٠٠			- الجملة

دول وادى النيل والقرن الافريقى :

٥٤ر٦٠٠	٣٨ر٠٣٦	١٩٧٦/١١/٢٢	- مصر
٢٥ر٩٠٠	١٤ر٩٩٣	١٩٧٣/ ٤/ ٣	- السودان
٠ر٤٠٠	٢ر٥٩	١٩٧٩ مايو/أغسطس	- جيبوتى
٧ر٧٠٠	٣ر٤٩٤	١٩٧٥/ ٢/ ٧	- الصومال
٨٨ر٦٠٠			- الجملة

ليبيا ودول المغرب العربى :

٤ر٤٠٠	٢ر٢٤٩	١٩٧٣/ ٧/ ٣١	- ليبيا
٨ر٤٠٠	٥ر٥٧٢	١٩٧٥/ ٥/ ٨	- تونس
٢٦ر٠٠٠	١٦ر٩٤٨	١٩٧٧/ ٢/ ١٢	- الجزائر
٢٦ر٤٠٠	١٦ر٣٣٥	١٩٧١/ ٧/ ٢٠	- المغرب
٢ر١٠٠	١ر٤٠٧	١٩٧٧/ ١/ ١	- موريتانيا
٦٧ر٣٠٠			- الجملة
٢٢٦ر٣٠٠			- الجملة ١٩٩١

ويبين الجدولان رقم (٤٤) و (٤٥) ، توزيع الاقطار العربية حسب فئات الحجم السكانى وكذلك ترتيب هذه الاقطار على المستويين القومى والعالمى ، ومنه يبدو أن هناك دولة واحدة فقط فى الفئة الاولى وهى مصر ونسبة سكانها نحو ربع اجمالى سكان الوطن العربى كما ذكرنا ويعيشون فى ٧٪ فقط من مساحة هذا الوطن ، وثلاث دول فى الفئة الثانية وهى المغرب والجزائر والسودان ويعيش بها نحو ثلث سكان الوطن العربى

في ٤٠٪ من مساحته ، ثم الفئتان الثالثة والرابعة وتشمل أربع دول هي العراق والسعودية وسوريا واليمن ويسكنها ٢٥٪ من سكان الوطن العربي .

جدول رقم (٤٤)

توزيع الاقطار العربية حسب فئات الحجم السكاني ١٩٩١

رقم	الفئة	عدد الدول	جملة عدد السكان	% من السكان	% من المساحة
١	٥٠ مليون فأكثر	١	٥٤٦٠٠٠٠٠٠	٢٤٢	٧٢
٢	٣٠-٢٠ مليون	٣	٧٨٣٠٠٠٠٠	٣٤٦	٤٠
٣	٢٠-١٥ مليون	٢	٣٢٦٠٠٠٠٠	١٤٠	١٨٥
٤	١٥-١٠ مليون	٢	٢٢٩٠٠٠٠٠	١٥١	٨٥
٥	١٠- ٥ مليون	٢	١٦١٠٠٠٠٠	٧١	٢٣٤
٦	أقل من ٥ مليون نسمة	١١	٢١٨٠٠٠٠٠	٩٦	٢٥
	الجملة	٢١	٢٢٦٣٠٠٠٠٠	١٠٠	١٠٠

أما بقية الدول العربية التي يصل عددها الى ١٣ دولة فتضم الدول الصغيرة والقزمية في حجم السكان ولايسكنها سوى ١٧٪ فقط من سكان الوطن العربي وتبلغ مساحتها مجتمعة نحو ربع مساحة هذا الوطن، ويبدو من هذه الارقام أنه لا توجد علاقة بين الحجم السكاني والحجم المساحي للدول العربية مما يعكس ظاهرة التركيز السكاني في مساحات صغيرة حيث يتوزع ٨٨٪ من سكان الوطن العربي على عشر دول فقط تشغل ثلاثة أرباع مساحة الوطن العربي بينما تتبعثر نسبة قليلة (١٢٪) على الربع الباقي، الذي يضم ١١ دولة تقع في معظمها في شبه الجزيرة العربية ، وبمتوسط عام لكل دولة يصل الى ١٪ من سكان الوطن العربي و ٢٪ من مساحته .

وعلى المستوى العالمي تبدو الدول العربية في معظمها - قليلة السكان ولا تبرز سوى مصر بترتيبها العشرين بين دول العالم في حجم السكان ، وتأتي اثنتا عشرة دولة في ترتيب يتعدى المائة بين الوحدات السياسية في العالم التي يصل عددها الى نحو مائتي وحدة (سنة ١٩٨٣) .

جدول رقم (٤٥)
سكان الاقطار العربية سنة ١٩٩١
مرتبة حسب الحجم على المستوى العالمى والقومى (١)

الرتبة العالمية	الرتبة القومية	الدولة	حجم السكان	% من الوطن العربى
٢١	١	مصر	٥٤٦٠٠٠٠٠	٢٤ر١٢
٣٢	٢	المغرب	٢٦٤٠٠٠٠٠	١١ر٦٦
٣٥	٣	الجزائر	٢٦٠٠٠٠٠٠	١١ر٤٨
٣٦	٤	السودان	٢٥٩٠٠٠٠٠	١١ر٤٤
٤٩	٥	العراق	١٧١٠٠٠٠٠	٧ر٥٥
٥٧	٦	السعودية	١٥٥٠٠٠٠٠	٦ر٨٥
٦٢	٧	سوريا	١٢٨٠٠٠٠٠	٥ر٦٥
٧٤	٩	تونس	٨٤٠٠٠٠٠	٣ر٧١
٨١	١٠	الصومال	٧٧٠٠٠٠٠	٣ر٤٠
٨٥	٨	اليمين	١٠٠٠٠٠٠	٤ر٤٦
٩٧	١٦	فلسطين المحتلة	١٧٠٠٠٠٠	٠ر٧٥
١٠٣	١١	ليبيريا	٤٤٠٠٠٠٠	١ر٩٤
١٠٤	١٢	الأردن	٣٤٠٠٠٠٠	١ر٥٠
١١٣	١٣	لبنان	٣٤٠٠٠٠٠	١ر٥٠
١٢٢	١٧	الكويت	١٤٠٠٠٠٠	٠ر٦٢
١٢٣	١٥	موريتانيا	٢١٠٠٠٠٠	٠ر٩٣
١٢٩	١٤	الامارات العربية	٢٤٠٠٠٠٠	١ر٠٦
١٣١	١٨	عمان	١٦٠٠٠٠٠	٠ر٧١
١٤٢	١٩	البحرين	٥٠٠٠٠٠	٠ر٢٢
١٤٣	٢١	جيبوتي	٤٠٠٠٠٠	٠ر١٧
١٤٤	٢٠	قطر	٥٠٠٠٠٠	٠ر٢٢
		الجملة	٢٢٦٣٠٠٠٠	١٠٠ر٠٠

(١) المصدر :

U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983, Washington, D. C. 1983, pp. 30-31.

ويلاحظ أن عدد الوحدات السياسية في العالم هي ٢٠٢ وحدة ، وأن الرتبة هي لعام ١٩٨٣ .

كثافة السكان :

يتوزع سكان الوطن العربي البالغ عددهم ٢٢٦ مليون نسمة سنة ١٩٩١ على مساحة من الارض تصل الى ١٤ مليون كيلو مترا مربعا ، ويتباين هذا التوزيع تباينا شديدا من قطر الى آخر بل وفي داخل القطر الواحد حيث تتميز بعض المناطق بتركز سكاني شديد والبعض الاخر بندرة سكانية واضحة بل يكاد يخلو تماما من السكان . وكقاعدة عامة فان توزيع السكان في الوطن العربي على المستوى القومى أو الاقليمى يعد توزيعا غير متساو سواء في التوزيع العدى المطلق أو في الكثافة السكانية ودرجة التركيز .

وتبلغ الكثافة الحسابية في الوطن العربي ١٣ نسمة في الكيلو متر مربع ، (سنة ١٩٨٤) الا أن هذا الرقم مضلل الى حد كبير ولا يعطى الا فكرة أولية عن مدى العلاقة بين السكان والارض ، ذلك لان الوطن العربي في جملته الكلية تشغل الصحراء نحو ٩٥٪ من جملة مساحته . ويتركز سكانه في النسبة الضئيلة الباقية وكثافة يصل متوسطها الى ٣٠٢ نسمة في الكيلو متر المربع .

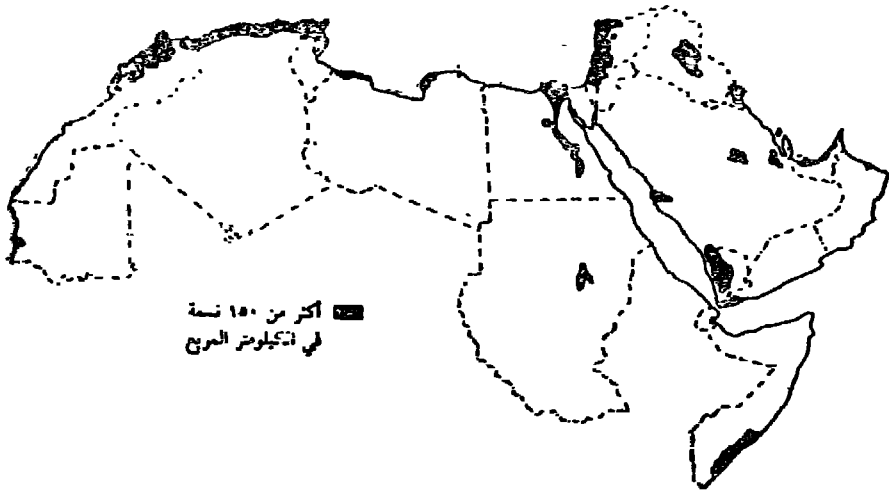
ومن الجدول رقم (٤٦) يبدو مدى التباين في الكثافة الحسابية والفيزيولوجية (١) على مستوى الاقطار العربية ، ومنه تبدو العلاقة العكسية بين الكثافة الحسابية ونسبة الارض الزراعية في القطر حيث يميل التوزيع السكاني نحو التركيز الشديد في الاقطار التي تقل فيها نسبة الارض الزراعية ، ويبدو ذلك بوضوح في دول شبه الجزيرة العربية ووادي النيل وليبيا والجزائر وموريتانيا ، ففي هذه الدول تقل نسبة الارض الزراعية عن ٥٪ من مساحة الدولة ، وفي هذه النسبة تعيش الغالبية العظمى من السكان في نطاقات منفصلة تعكس سمات التوزيع السكاني على خريطة الوطن العربي ككل ، والذي يتصف بالتركيز الشديد في نويات منفصلة عن بعضها البعض (شكل رقم ٤٨) حددت هذا الانفصال المفرط عوامل جغرافية وتاريخية لعل أبرزها موارد المياه والتربة والظروف المناخية والتركز السكاني الذي نجم عن استغلال البترول في شبه الجزيرة العربية .

(١) تحسب الكثافة الحسابية بقسمة عدد السكان على مساحة الدولة أما الكثافة الفيزيولوجية فيقسم عدد السكان على مساحة الارض الزراعية فقط .

جدول رقم (٤٦)

كثافة السكان في الاقطار العربية ومساحة الارض الزراعية بها (١٩٨٤)

الكثافة (نسمة/كم ^٢)		المساحة الكلية نسبة الارض الزراعية %		الاقليم والقطر
				(كم ^٢)
دول الهلال الخصيب :				
٢٨٧	٣٤	١٢	٤٣٤٩٢٤	- العراق
١٧٢	٥٤	٢١	١٨٥١٨٠	- سوريا
٧٣٥	٢٥٤	٣٤	١٠٤٠٠	- لبنان
١٠١١	٢٠٢	٢٠	٢٠٧٧٠	- فلسطين المحتلة
٢٤٥	٣٤	١٤	٩٧٧٤٠	- الاردن
شبه الجزيرة العربية :				
١٠١٤	٥	٠ر٥	٢١٤٩٦٩٠	- السعودية
٩٧٢٢٢	٩٨	٠ار	١٧٨١٨	- الكويت
٢٢١٠٥	٦٧٥	٣ر٠	٦٢٢	- البحرين
٧٦٣١	٢٥	٠ر٣٣	١١٤٠٠	- قطر
٨٣٣٣	١٦	٠ر٢	٧٧٨٠٠	- الامارات
١٩٦٦	٥	٠ر٢	٣٠٠٠٠٠	- عمان
٢٣٣	٣٢	١٤ر٠	١٩٥٠٠٠	- اليمن الشمالي
١١١١	٦	٠ر٦	٣٣٢٩٦٨	- اليمن الجنوبي
وادي النيل والقرن الافريقي :				
١٣٠٤	٤٥	٣	١٠٠١٤٤٩	- مصر
١٦٧	٨	٥	٢٥٠٥٨١٣	- السودان
-	١٥	صفر	٢٣٠٠٠	- جيبوتي
٤٢٧	٨	٢	٦٣٧٦٥٧	- الصومال
ليبيا والمغرب العربي :				
١٩٩	٢	١	١٧٥٩٥٤٠	- ليبيا
١٣٥	٤٣	٣٢	١٦٣٦١٠	- تونس
٢٩٧	٩	٣	٢٣٨١٧٤٠	- الجزائر
١٧٨	٣٢	١٨	٧٢١٠٠٠	- المغرب
١٧٧	٢	١	١٠٣٠٠٠٠	- موريتانيا
٣٠٢	١٣	٤ر٤	١٤٠٤٩١٢١	جملة الوطن العربي



شكل رقم (٤٨)

أكثف المناطق سكانا في الوطن العربي (١٩٩١)

على أنه باستثناء دول المدينة في الخليج العربي والتي يتركز سكانها في العاصمة مثل الكويت والبحرين وقطر، والى حد كبير الامارات العربية، فإنه يمكن تقسيم بقية الاقطار العربية الى ثلاث فئات رئيسية :

١ - فئة الكثافة العالية : وتشمل الدول التي تزيد الكثافة الفيزيولوجية بها عن ١٠٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتضم هذه الفئة خمس دول هي مصر (١٣٠٤) ، واليمن الجنوبية (١١١١)، والسعودية (١٠١٤) ، وفلسطين المحتلة (١٠١١) .

٢ - فئة الكثافة المتوسطة : وتشمل الدول التي تتراوح الكثافة الفيزيولوجية بها بين ٥٠٠ - أقل من ١٠٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتضم هذه الفئة قطرا واحدا هو لبنان (٧٣٥) وهو القطر العربي الوحيد الذي يتجانس فيه توزيع السكان الى حد كبير حيث تبلغ الكثافة الفيزيولوجية به ثلاثة أمثال الكثافة الحسابية (في مصر تبلغ نحو ثلاثين مثلا وفي السعودية نحو ٢٠٠ مثلا) .

٣ - فئة الكثافة المنخفضة : وتضم الدول العربية التي تقل الكثافة الفيزيولوجية بها عن ٥٠٠ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتشمل احدى عشرة دولة وهي المغرب العربي كله والذي تتجانس فيه الكثافة الى حد كبير بين دوله ، وكذلك تضم العراق وسوريا والاردن واليمن الشمالي والسودان والصومال .

الفصل الثالث

النمو السكاني

من المعروف في الدراسات السكانية أن نمو السكان في المجتمع ينتج عن الفرق بين المواليد والوفيات من ناحية وعن الهجرة الصافية (الفرق بين الهجرة الوافدة والهجرة المغادرة) من ناحية أخرى ، ويسهم هذا المعدل في تحديد المدة الزمنية التي يستغرقها القطر في الوصول الى حجم سكاني معلوم في المستقبل اذا استمر هذا المعدل بنفس مستواه ، ذلك لان السكان يزدون وفقا لمبدأ الفائدة المركبة وليس مبدأ الفائدة البسيطة، أي أن حجم السكان في سنة الأساس يزيد سنويا بمقدار الزيادة خلال السنة السابقة ، فاذا كان معدل النمو ١٪ سنويا فان عدد سكان الدولة سيتضاعف في ٧٠ سنة ، واذا كان ٢٪ فانه سيتضاعف في ٣٥ سنة واذا كان ٣٪ فانه سيتضاعف في ٢٤ سنة وهكذا ، أي أنه كلما زاد المعدل كلما قصرت المدة التي يتضاعف فيها حجم السكان .

ويبين الجدول رقم (٤٧) تطور أعداد السكان في الوطن العربي ومعدلات نموهم منذ سنة ١٩٥٠ حسب الاقاليم الجغرافية الرئيسية ، ومن الواضح أن معدلات النمو ظلت تقريبا ثابتة في عقد الخمسينات والستينات ويبدو حول ٢٫٨٪ سنويا ثم مالبت أن تزايد في عقد الثمانينات ليصل الى ٣٫٤٪ ، ويعكس ذلك في الواقع مدى التزايد الناجم عن الزيادة الطبيعية والتي ترتبت على التحول الاقتصادي والاجتماعي الذي شهده الوطن العربي في العقود الاخيرة والذي ارتبط بعوامل منها تزايد عوائد البترول وانعكاس ذلك على الدول المنتجة وغير المنتجة في الواقع عن طريق هجرة الايدي العاملة ، وكذلك اتباع كثير من الاقطار العربية لخطط تنمية اقتصادية واجتماعية حقق البعض منها نتائج طيبة انعكست على انخفاض معدلات الوفيات مع استمرار المواليد ثابتة في معظم الاقطار .

ومن الواضح أن أكبر مناطق الوطن العربي في معدلات النمو هي شبه الجزيرة العربية حيث يصل متوسط معدل النمو بها الى ٤٫٥٪ سنويا ، ومعظم دول هذا الاقليم صغيرة الحجم السكاني فتحت أبوابها لهجرة وافدة من الاقطار الاخرى للاسهام في عمليات التنمية بها اعتمادا على عوائد النفط التي تزايدت بشكل واضح عقب سنة ١٩٧٣ .

جدول رقم (٤٧)
متوسط معدل النمو السكاني في الوطن العربي
حسب الاقاليم الجغرافية (% سنويا) (١)

معدل النمو السنوي (%)	عدد السكان (مليون نسمة)						الاقليم	
	١٩٧٠	١٩٦٠	١٩٥٠	١٩٨٠	١٩٧٠	١٩٦٠	١٩٥٠	
	٣ر٤	٣ر٧	٣ر٤	٢١٠	٢٣ر٢	١٦ر٩	١٢ر٦	دول الهلال الخصيب
	٤ر٥	٣ر١	٢ر٤	٢٠ر٥	١٤ر١	١٠ر٨	٨ر٧	شبه الجزيرة العربية وادي النيل
	٣ر٢	٢ر٨	٢ر٧	٦٦ر٥	٥٠ر٤	٣٩ر٧	٣١ر٣	والقرن الافريقي
	٣ر٣	٢ر٨	٢ر٦	٥٠ر٨	٣٨ر١	٢٩ر٩	٢٣ر٦	ليبيا والمغرب العربي
	٣ر٤	٢ر٩	٢ر٨	١٦٨ر٨	١٢٥ر٨	٩٧ر٣	٧٦ر٢	الجملة

وفي ضوء معدلات النمو السكاني في الوطن العربي يمكن القول بأن حجم السكان به سيتضاعف في حوالي ٢٠ سنة ، وبمعنى آخر فان من المتوقع أن يزيد حجم السكان من حوالي ١٦٨ مليون نسمة في منتصف ١٩٨٠ الى نحو ٣٣٦ مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ ثم الى ٥٠٠ مليون سنة ٢٠٢٥ بفرض استمرار معدل النمو ثابتا .

وتتباين الاقطار العربية تباينا واضحا في معدلات نمو السكان بها، ويبين ذلك الجدول رقم (٤٨) بدرجة يمكن معها تقسيمها الى الفئات التالية :

١ - اقطار يصل معدل النمو السكاني بها الى ٤% أو أكثر : وتشمل - كما هو متوقع - الاقطار المنتجة للبتروال في شبه الجزيرة العربية والتي تلعب الهجرة الوافدة دورا كبيرا في نمو السكان بها اضافة الى الزيادة الطبيعية بطبيعة الحال . وتتمثل هذه الدول في المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر والامارات التي تحظى بأعلى معدل للنمو

(١) تم حساب هذه المعدلات على أساس تقديرات السكان الواردة في كتاب :

U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983.

جدول رقم (٤٨)
التطور العددي لسكان الاقطار العربية فيما بين (١٩٥٠ - ١٩٨٩)
ومعدل النمو السكاني في الفترة من (٨٥ - ١٩٨٩)

الاقليم والقطر	عدد السكان (الف نسمة)		معدل النمو السنوي %		تقدير عدد السكان (بالمليون) سنة
	١٩٥٠	١٩٨٩	١٩٨٥ - ١٩٨٩	١٩٨٥ - ١٩٨٩	
دول الهلال الخصيب :					
العراق	٥١٦٣	١٨٣٠٠	٣ر٦	٣ر٦	٢٥٦
سوريا	٣٤٩٥	١٢١٩٠	٣ر٦	٣ر٦	١٦٦
لبنان	١٣٦٤	٣٥٠٠	١ر٥	١ر٥	٦٣*
فلسطين	١٣٣٥	٤٥٠٠	١ر٧	١ر٧	٥ر٥
الاردن	١٢٦٧	٣٩٠٠	٣ر٣	٣ر٣	٦ر٢
دول شبه الجزيرة العربية :					
السعودية	٣٩٧٢	١٤٤٠٠	٥ر٠	٥ر٠	٢٠٤
الكويت	١٤٥	٢٠٠٠	٤ر٤	٤ر٤	٣ر٦
البحرين	١١٥	٤٨٩	٥ر٩	٥ر٩	٠ر٦
قطر	٢٥	٤٢٢	٦ر٥	٦ر٥	٠ر٣
الامارات	٧٠	١٥٠٠	٤ر٦	٤ر٦	٤ر٣
عمان	٤١٣	١٥٠٠	٤ر٧	٤ر٧	١ر٨
اليمن	٣٩٨٤	١١٢٠٠	٣ر٤	٣ر٤	١٧٧
وادي النيل والقرن الافريقي :					
مصر	٢٠٧٩٧	٥١٠٠٠	٢ر٥	٢ر٥	٦٧٤
السودان	٨٠٥١	٢٤٥٠٠	٢ر٨	٢ر٨	٤١٨
جيبوتي	٦٠	٤١١	٢ر٩*	٢ر٩*	٠ر٦
الصومال	٢٣٤٩	٦١٠٠	٣ر٠	٣ر٠	٦ر٨
ليبيا ودول المغرب العربي :					
ليبيا	٩٦١	٤٤٠٠	٤ر٢	٤ر٢	٥ر٠
تونس	٣٥١٧	٨٠٠٠	٢ر٥	٢ر٥	١١٥
الجزائر	٨٨٩٣	٢٤٤٠٠	٣ر٠	٣ر٠	٣٨٣
المغرب	٩٣٤٣	٢٤٥٠٠	٢ر٦	٢ر٦	٣٨٤
موريتانيا	٩٠٩	١٩٠٠	٢ر٤	٢ر٤	٢ر٤
الجملة	٧٦٢٠٠	٢١٩٠٢٢	٢ر٩	٢ر٩	٣١٠٠

(*) ١٩٨٣ .

السكاني ليس بين الدول العربية فقط بل بين دول العالم كله ، وهذه المجموعة من الدول يمكن أن يتضاعف حجم السكان بها في فترة تتراوح بين ١٠ الى ١٥ سنة ، وتمثل في الواقع نطاق الحجم السكاني الاقل من الموارد Under Population ، ولا تمارس أى جهد لتخفيض معدلات النمو السكاني الطبيعي وان كانت تتحكم في الهجرة الوافدة اليها الى حد كبير كما ونوعا .

ب - دول يتراوح معدل النمو بها بين ٢٪ - ٤٪ سنويا : وتشمل معظم الدول العربية ، وتمثل هذه الفئة متوسط معدل النمو في الوطن العربي في الواقع ، حيث يصل هذا المعدل الى ٣٪ سنويا ، وهى التى تحدد المدى الزمنى الذى يمكن أن يتضاعف فيه حجم سكان الوطن العربي ككل ويصل هذا المدى الى نحو ٢٤ سنة ، ولا تتركز هذه الفئة في اقليم جغرافى معين بل تتوزع في كل الاقاليم الجغرافية في الوطن العربي ، واذا استثنينا فلسطين المحتلة من هذه المجموعة والتي تلعب الهجرة اليهودية الوافدة اليها دورا هاما في النمو السكاني بها فان العامل الأساسى للنمو في دول المجموعة هو التزايد الطبيعى الذى ينتج عن خصوبة عالية ووفيات منخفضة ، وبمعنى آخر فان هذه المجموعة - والمجموعة السابقة - تعيش في قلب مرحلة النمو السكاني المتزايد في الدورة الديموغرافية الرباعية .

ج - دول يقل معدل النمو السكاني بها عن ٢٪ ، وتشمل هذه المجموعة دولتين فقط هما لبنان وفلسطين المحتلة ، وتختلف أسباب انخفاض معدل النمو بكل منهما اختلافا جذريا ، ذلك لان هذا المعدل قد اظهر تناقضا واضحا في لبنان واصبحت الدولة العربية الوحيدة التى يبدا معدل النمو السكاني بها دون ٢٪ .

ومن الجدير بالذكر أن معدل النمو السكاني في الاقطار العربية كلها كان منخفضا بشكل واضح منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف العقد الرابع من القرن العشرين ثم بدأ يتزايد بعد ذلك بصورة تدريجية وذلك لاتجاه معدلات الوفيات الى الانخفاض مع ثبات معدلات الخصوبة دون هبوط. يذكر ، ويمكن اتخاذ ثلاث دول عربية كأمثلة على ذلك حيث تتوفر لديها بيانات منذ أوائل القرن الحالى للدلالة على ذلك كما يبين الجدول رقم (٤٩) .

مكونات النمو الطبيعى للسكان :

سبق القول بان معدل النمو السكاني في الوطن العربى كان بطيئا

حتى منتصف الاربعينات ، وكان هذا الانخفاض راجعا بطبيعة الحال الى ارتفاع مستوى الوفيات مما ينعكس بدوره على هبوط الزيادة الطبيعية هبوطا واضحا عكسته أعداد السكان في الاقطار العربية منذ أواخر القرن الماضي . وكان هذا الارتفاع في مستوى الوفيات مرتبطا بدوره بمجموعة من العوامل البيئية التي كانت ضابطة للنمو ومتحكمة في حركته بدرجة كبيرة وأبرز هذه العوامل الامراض الوبائية وغيرها وخاصة تلك التي تصيب الاطفال في أعمار مبكرة .

جدول رقم (٤٩)
معدل النمو السكاني السنوي في
الفترات التعدادية للعراق ومصر والجزائر (%) (١)

الجزائر		مصر		العراق	
المعدل	الفترة	المعدل	الفترة	المعدل	الفترة
٠ر٤	١٩٢١-١٩١١	١ر٤	١٩٠٧-١٨٩٧	١ر٣	١٨٩٠-١٨٦٧
٠ر٢	١٩٢٦-١٩٢١	١ر٣	١٩١٧-١٩٠٧	١ر٨	١٩٠٥-١٨٩٠
١ر٦	١٩٣١-١٩٢٦	١ر١	٢٧-١٩١٧	١ر٧	١٩-١٩٠٥
٢ر١	١٩٣٦-١٩٣١	١ر١	٣٧-١٩٢٧	١ر٥	٣٥-١٩١٩
١ر٧	١٩٤٨-١٩٣٦	١ر٨	٤٧-١٩٣٧	٢ر٤	٤٧-١٩٣٥
١ر٦	١٩٥٤-١٩٤٨	٢ر٣	٦٠-١٩٤٧	٣ر١	٥٧-١٩٤٧
٢ر٢	١٩٦٦-١٩٥٤	٢ر٥	٦٦-١٩٦٠	٣ر٥	٦٥-١٩٥٧
٣ر١	١٩٨٠-١٩٦٥	٢ر١	١٩٨٠-١٩٦٥	٣ر٤	٨٠-١٩٦٥
٣ر٠	١٩٨٩-١٩٨٠	٢ر٥	١٩٨٩-١٩٨٠	٣ر٦	١٩٨٩-١٩٨٠

(١) المصدر :

أ - Clarke, J. and Fisher, W., Population of the Middle East and North Africa, London, 1972, p. 98.

ب - U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1983.

ج - فتحى أبو عيانة - التضخم السكان في مصر - ضمن كتاب: السكان وال عمران الحضري - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٤ - ص ٢٤٧ .
د - البنك الدولي للانشاء والتعمير - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩١ - (مترجم) - مؤسسة الاهرام - القاهرة - ١٩٩١ - صص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

الخصوبة (المواليد) :

خصوبة السكان لفظ يطلق للدلالة على ظاهرة الانجاب في المجتمع والتي يعبر عنها بعدد المواليد الاحياء ، وتقاس بعدة مقاييس حسابية أبسطها مايعرف بمعدل المواليد الخام ويقصد به نسبة المواليد في السنة الى جملة عدد السكان في منتصف السنة وغالبا ما تكون النسبة في الالف ، أى يبين عدد المواليد لكل ألف نسمة من اجمالى السكان ، ويبين الجدول رقم (٥٠) معدلات المواليد في الاقطار العربية ، ومنه يبدو أن معدلات المواليد في الوطن العربى تعد من أعلى المعدلات في العالم ، وتشبه مثيلتها في الدول النامية في أفريقيا وفي آسيا وبعض أقطار أمريكا اللاتينية، ورغم أن معدلات المواليد في بعض الاقطار العربية قد اعترها هبوط طفيف كما في تونس ومصر اللتين هبط المعدل بهما بنسبة ١٥% و ٧% على الترتيب فان الحقيقة الهامة أن معدل المواليد في الوطن العربى يصل الى نحو ٤٠ في الالف في المتوسط مقابل ٢٩ في الالف كمتوسط عالمى و ١٦ في الالف في الولايات المتحدة الامريكية و ١٤% في قارة أوروبا .

أما انخفاض معدلات المواليد في بعض أقطار شبه الجزيرة مثل الكويت والبحرين وقطر والامارات فليس هناك من الدلائل مايشير الى اتباع سياسة خفض الخصوبة في هذه الاقطار بل الارجح أن خصوبة السكان الاصليين في هذه الاقطار لاختلفت في نمطها ومستواها عن مثيلتها في باقى أقطار شبه الجزيرة العربية ومعظم الاقطار العربية الاخرى، ولكن وجود نسبة عالية من السكان الاجانب من العرب وغيرهم - وهم قطاع من المهاجرين العاملين في القطاعات المختلفة - يتصفون بانخفاض مستويات الخصوبة وذلك بسبب ظاهرة الانتقال العمرى النوعى التى تتصف به الهجرة ، ومن ثم يعكس ذلك على متوسط المعدل القومى في الدولة التى يكون سكانها الاصليون - أقل من السكان المهاجرين كما هى الحال في الكويت والبحرين وقطر والامارات .

أما في تونس ومصر فقد بدأت الخصوبة في الانخفاض في أواخر الستينات فقد هبطت الخصوبة في تونس من ٤١ في الالف (متوسط ٦٥ - ١٩٧٠) الى ٣٥ في الالف في سنة ١٩٨٣ ثم الى ٢٩ في الالف سنة ١٩٩١ ، ويعزى ذلك الى تبنى الدولة لسياسة رسمية لتنظيم الاسرة وذلك بهدف تخفيض معدل المواليد ، وكذلك الحال في مصر التى تبنت نفس السياسة لهذا الغرض منذ سنة ١٩٦٥ ، وقد هبط المعدل فيها من ٤٢ في الالف سنة ١٩٦٠ الى ٣٨ في الالف سنة ١٩٩١ .

جدول رقم (٥٠)
معدل المواليد في الوطن العربي حسب الاقطار
(المعدل في الالف)

١٩٩١	١٩٨٣	١٩٧٠ - ١٩٦٥	الاقليم والقطر
دول الهلال الخصيب :			
٤١	٤٧	٤٨	العراق
٤٣	٤٦	٤٨	سوريا
٢٨	٣٦	٤١	لبنان
٤٤	٢٤	٢٥ر٢	فلسطين المحتلة
٤٦	٤٧	٤٩	الاردن
دول شبه الجزيرة العربية :			
٤٢	٤٤	٥٠	السعودية
٣٢	٣٧	٥٢	الكويت
٢٧	٣٧	٥٠	البحرين
٢٧	٣١	٥٠	قطر
٣٠	٣١	٥٠	الامارات
٤٦	٤٧	٥٠	عمان
٥١	٤٨	٥٠	اليدن الشمالى
وادي النيل والقرن الافريقى :			
٣٨	٣٨	٤١	مصر
٤٤	٤٨	٤٩	السودان
٤٦	٤٧	٤٨	جيبوتى
٤٩	٤٨	٤٨	الصومال
لبنيا والمغرب العربى :			
٣٧	٤٥	٤٧	ليبيا
٢٩	٣٥	٤١	تونس
٣٥	٤٤	٤٩	الجزائر
٣٤	٤٤	٤٨	المغرب
٤٦	٤٥	٤٥	موريتانيا

(١) المصدر :

U.S. Dept. of Commerce, Bureau of the Census 1983, I.N.E.D., Population et Sociétés, 1983. Omtan, A. R. Population of the Arab World, p. 79.

I.N.E.D., Population et Sociétés, 1991.

ويرجع ارتفاع مستوى الخصوبة في الوطن العربي الى عدة عوامل متشابكة تدخل في معظمها في اطار مايعرف بالعوامل الوسيطة - *Intermedi ate Variables* والتي تتعلق بالاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية السائدة . وعلى العموم فان السلوك الانجابى للمرأة في مختلف الاقطار العربية متشابه الى حد كبير ، ففي معظم الاقطار تكون الخصوبة عالية وذلك للسنة المبكرة عند الزواج وما يترتب على ذلك من اطالة فترة الانجاب التي تمتد فيزيولوجيا عند المرأة من سن ١٥ - ٤٥ سنة . والظاهرة السائدة هي انخفاض سن المرأة عند الزواج وكذلك تفضيل انجاب الذكور وتزايد حجم الاسرة ، ونظرا لان معظم القوى العاملة في الوطن العربي تعمل في الزراعة فانها تنظر الى الابناء نظرة اقتصادية واجتماعية وذلك للاسهام في دخل الاسرة وتحقيق الامن للاباء عند تقدمهم في السن وبالإضافة الى ذلك كله فان ارتفاع نسبة الامية خاصة لدى الاناث وكذلك ارتفاع نسبة وفيات الاطفال الرضع تؤديان الى تزايد معدلات المواليد ، ويبقى تنظيم الاسرة وتقليل الخصوبة أمرا قاصرا على نسبة ضئيلة للغاية من السكان ، وعن المحتمل أن التغيير الاجتماعى والاقتصادى الذى تشهده معظم الاقطار العربية ممثلا في انتشار الخدمات التعليمية والثقافية والتغير في الافكار والاتجاه نحو تأخير السن عند الزواج سيؤدى الى خفض معدلات المواليد في المستقبل .

الوفيات

تعد الوفيات عنصرا هاما من عناصر التغير السكانى حيث تفوق في اثرها عامل الهجرة وان كانت الخصوبة تسبقها في ذلك، كما أنها تتناقض مع الخصوبة في أنها أكثر ثباتا ويمكن التحكم في مستواها ، ولا يبدو اثرها في تغير حجم السكان فقط ، بل وفي تركيبهم كذلك خاصة التركيب العمرى حيث ترتبط الوفيات دائما بمستوى المتوسط العمرى للسكان وأمد الحياة ، ولذلك يلقى التحكم في الوفيات قبولا أكثر مما يلقاه التحكم في المواليد .

وقد شهدت معظم أقطار الوطن العربي انخفاضا في مستوى الوفيات في السنوات الاخيرة وذلك لاسباب أبرزها الاخذ بأساليب التقدم الطبى والتوسع في الخدمات الطبية ، ويعد الهبوط في معدل الوفيات من العوامل الرئيسية التي أدت الى تزايد معدل النمو السكانى وتضخم السكان بدرجة فاقت الموارد المستغلة في كثير من دول الوطن العربى .

وقد تباينت الاقطار العربية في نسبة هبوط الوفيات بها كما يبين ذلك جدول رقم (٥١) ، ففي الكويت مثلا هبط معدل الوفيات - وهو نسبة

الوفيات لكل ألف من السكان - من ١١ في الألف سنة ٥٠ - ١٩٥٥ الى ٣٠ في الألف فقط سنة ٧٠ - ١٩٧٥، وقد وصل الى ٤ فقط في سنة ١٩٨٣، ويعد من أدنى معدلات الوفيات في العالم ، وعلى الطرف النقيض لم تهبط الوفيات في دول مثل موريتانيا الا بنسبة قليلة حيث انخفض معدل الوفيات بها من ٢٨ في الألف سنة ١٩٥٥/٥٠ الى ٢٥ في الألف سنة ١٩٨٣ ، وتقع بقية الدول العربية بين هذين الحدين بمتوسط يصل الى ١٣ في الألف .

ويعد معدل وفيات الاطفال من المقاييس الهامة في دراسة مستويات الوفيات وتطورها ذلك لانه يعكس مدى ماتقدمه الدولة من خدمات صحية لمواطنيها ويكون هبوطه أول خطوة في هبوط مستوى الوفيات ككل في المجتمع ، ويعنى معدل وفيات الاطفال الرضع نسبة عدد حالات الوفاة للاطفال دون السنة الى مجموع عدد المواليد الاحياء في ذات السنة مضروباً في ألف . وينبغي الاشارة الى أن دقة هذا المعدل شأنه في ذلك شأن المعدلات الحيوية الاخرى يرتبط بدقة الاحصاءات الحيوية وتدل الشواهد في الوطن العربي على أن تسجيل وفيات الرضع يكون أقل من الواقع وبذلك يكون ناقصاً ويزداد هذا النقص حيثما كانت وفيات الرضع مرتفعة ونتيجة لذلك فان بيانات وفيات الاطفال المبكرة تعد أقل البيانات ثقة بصفة عامة .

واعتماداً على تحليل البيانات المتاحة وتقديرات الهيئات المتخصصة في الدراسات السكانية يمكن القول ان معدلات وفيات الاطفال كانت مرتفعة بشكل واضح ثم مالت الى الهبوط في السنوات الاخيرة . ويقدر على سبيل المثال أنه قبل سنة ١٩٥٠ كان اثنين أو ثلاثة من كل خمسة أطفال مولودين أحياء يموتون قبل وصولهم سن الخامسة (١) . ورغم ما اعترى هذه المعدلات من هبوط الا أنها مازالت في معظم الدول العربية مرتفعة بشكل واضح اذا قورنت بالدول المتقدمة أو حتى ببعض الدول النامية في أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا .

ومن الجدول رقم (٥١) يبدو أن هناك عشر دول عربية هي السعودية وعمان واليمن ومصر والسودان والصومال والجزائر والمغرب وموريتانيا يزيد معدل وفيات الاطفال الرضع بها عند ١٠٠ في الألف ومعنى ذلك أن أكثر من عشر عدد المواليد في هذه الدول يموت قبل مرور عام على ولادتهم . أما بقية الدول العربية فيقل فيها المعدل عن ذلك . وتعد فلسطين المحتلة والكويت أقل الدول في ذلك حيث يصل فيهما الى ١٥ في الألف و٣١ في الألف على الترتيب، وذلك في سنة ١٩٨٣ (يصل هذا المعدل الى

(1) Omran, A. R., Op. Cit., p. 111.

جدول رقم (٥١) (*)
تطور معدل الوفيات في الاقطار العربية منذ سنة ١٩٥٠ (معدل الوفيات لكل ١٠٠٠ من السكان ووفيات الاطفال لكل ١٠٠٠ من المواليد) (١)

الاقليم والقطر	معدل الوفيات الخام		تقدير سنة ١٩٩١		أمد الحياة بالسنة
	١٩٥٠	١٩٧٠	معدل الوفيات الاطفال الرضع	معدل الوفيات	
	١٩٥٥	١٩٧٥	١٩٨٣	١٩٩١	
العراق	٢٢ر٠	١٤ر٦	٦٩	٥٦	٦٤
سوريا	٢١ر٤	١٥ر٤	٣٧	٦٥	٦٩
لبنان	١٨ر٧	٩ر٩	٤٨	٦٦	٦٨
فلسطين	١١ر٠	٨ر٥	١٠	٧٤	٧٦
الاردن	٢١ر٠	١٤ر٧	٣٨	٦١	٦٧
السعودية	٣١ر٩	٢٠ر٢	٧١	٥٤	٦٣
الكويت	١١ر٢	٥ر٣	١٦	٧٠	٧٤
البحرين	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٢٤	٦٦	٦٨
قطر	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٢٤	٥٨	٧١
الامارات	٢٨ر٥	٨ر٧	٢٣	٦٣	٧١
عمان	٠٠ر٠	٠٠ر٠	٤٠	٤٩	٦٤
اليمن	٣١ر٩	٢٠ر٦	١٦	٤٣	٥٠
مصر	١٨ر٠	١٣ر٠	٧٣	٥٦	٦٠
السودان	٢٦ر٣	١٧ر٠	١٥٤	٤٨	٥١
جيبوتي	(*)	(*)	١١٧	(*)	٤٨
الصومال	٢٨ر٧	٢١ر٧	١٩	٤٣	٤٦
ليبيا	٢٢ر٥	١٤ر٧	٦٤	٥٦	٦٧
تونس	٢٢ر٧	١٣ر٨	٤٨	٥٩	٦٤
الجزائر	٢٣ر٩	١٥ر٤	٧٤	٥٦	٦٤
المغرب	٢٥ر٧	١٥ر٧	٧٥	٥٧	٦٢
موريتانيا	٢٧ر٨	٢٤ر٩	١٨	٤٣	٤٧

(١) المصدر:

- Population et Sociétés. I.N.E.D., No. 171, 254.
- U. N. ECWA Publications.
- Omran, A. R. Population of the Arab World, p. 110.
- I.N.E.D., 1991.

(*) بيانات غير متوفرة .

١١ في الالف فقط في دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية) . ولا جدال في أن استمرار ارتفاع معدل الوفيات للاطفال في الاقطار العربية يرجع الى عدة عوامل متشابكة ترتبط بظروف البيئة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة ومدى ماتوفره الدولة من خدمات للطفولة والامومة في الاقطار المختلفة وفي مناطق الحضر والريف والصحراء .

أمد الحياة :

كان لاستمرار انخفاض معدل الوفيات وخاصة في الاعمار المبكرة أثره الواضح في ارتفاع متوسط طول عمر الفرد في الوطن العربي شأنه في ذلك شأن بقية أقاليم العالم ، وقد أدى ذلك الى تزايد عدد السكان الذين يصلون الى أعمار متقدمة فوق الستين أو الخامسة والستين وتعتمد كثير من دراسة الوفيات حسب العمر والنوع على مايعرف بجدول الحياة Life Table وهو جدول احصائي ينشأ على أساس الظروف السائدة للوفاة حيث يبين مستوياتها عند أي فئة عمرية خلال فترة أساس معينة وتوقع الحياة عند هذه الفئة أو مايعرف بأمد الحياة أو متوسط عدد السنوات التي يحتمل أن يعيشها الفرد في ظل الظروف الصحية والاقتصادية والاجتماعية السائدة .

ولا تتوفر بيانات عن كل الاقطار العربية للوقوف على مدى ارتفاع أمد الحياة ، وأكن يمكن القول ان انخفاض معدلات الوفيات في الوطن العربي قد انعكست على تزايد أمد الحياة بأقطاره . ويعكس ذلك التطور الصحي والاجتماعي والاقتصادي وكذلك التقدم الذي أحرزته كثير من الاقطار العربية في مجال مقاومة الامراض، وخاصة المعدية منها واستخدام الامصال والمضادات الحيوية ، ويمكن اتخاذ مصر والكويت مثلين على ذلك (جدول رقم ٥٢) .

جدول رقم (٥٢)

تطور أمد الحياة في مصر والكويت

الكويت		مصر	
السنة	أمد الحياة بالسنة	السنة	أمد الحياة بالسنة
١٩٣٧	٤١ر٩	١٩٦٥	٦٢ر٠
١٩٦٠	٥٢ر٧	١٩٧٠	٦٧ر٢
١٩٧٦	٥٣ر-	١٩٧٥	٧٠ر٠
١٩٨٣	٥٦ر-	١٩٨٣	٧٠ر-
١٩٩١	٦٠ر٠	١٩٩١	٧٤ر٠

واعتمادا على متوسط أمد الحياة في الاقطار العربية سنة ١٩٩١، فإنه
يمكن تقسيمها الى فئات على النحو التالي :

أ - دول يزيد أمد الحياة بها عن ٦٥ سنة : وتشمل تمسح دول هي
سوريا ولبنان وفلسطين والاردن والبحرين والامارات والكويت وقطر
وليبيا .

ب - دول يتراوح أمد الحياة بها بين ٥٥ - ٦٥ سنة : وتشمل سبع
دول هي الجزائر ومصر والمغرب وتونس والسعودية والعراق وسلطنة
عمان .

ج - دول يتراوح أمد الحياة بها من ٤٥ - ٥٥ سنة : وتشمل اليمن
والسودان وجيبوتي وموريتانيا والصومال .

الفصل الرابع

الهجرة

الهجرة ظاهرة ديموغرافية هامة تميز بها العرب على مر العصور وخاصة من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام عندما انتقلت أعداد كبيرة من المهاجرين العرب الى خارج الوطن العربي تحمل المؤثرات الحضارية الغربية خاصة الدين الاسلامى الحنيف الى مناطق بعيدة في جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وشمالها ، كذلك فقد شهد العصر الحديث أنواعا من الهجرة تمثلت في انتقال عدد كبير من المهاجرين من سكان بلاد الشام الى العالم الجديد واستراليا وغرب افريقيا .

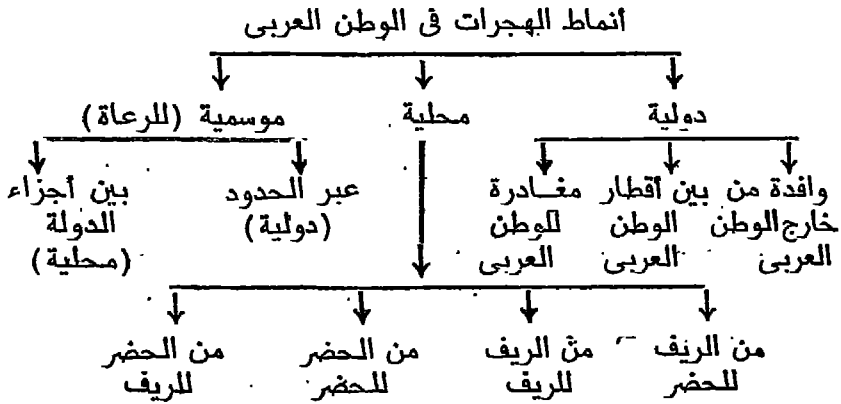
والهجرة عامل مؤثر في نمو السكان كما تؤثر في خصائصهم الديموغرافية والاقتصادية حيث يعد التغير في التركيب العمرى والنوعى مثلا نتاجا هاما من نتائج الهجرة من الدولة أو إليها أو بين أجزاء الدولة الواحدة بعضها البعض ، ولما كان صافي الهجرة (الفرق بين الوافدين والمغادرين) يعنى انتقال السكان من مكان لآخر فان ذلك يعيد توزيع السكان في أى منطقة وما يترتب على ذلك من نتائج ايجابية كتوفر الايدي العاملة وزيارة فرص الحصول على المدرب منها أو نتائج سلبية مثل زيادة عبء الاعالة في المناطق المهاجر منها وخلق كثير من المشكلات السكانية والامكانية في المناطق المهاجر إليها .

وللهجرة أنماط متعددة ويتميز كل منها بخصائص ديموغرافية خاصة وان كان يقصد بها عموما الانتقال الجغرافى من منطقة لآخرى، وفي الوطن العربى يمكن تقسيم الهجرة من حيث المدى والاتجاه الى ثلاثة أقسام رئيسية يبينها الشكل رقم (٤٩) وهى :

١ - الهجرات الدولية وتتمثل في الانتقال السكانى عبر حدود الدول أى من دولة لآخرى داخل الوطن العربى أو خارجه سواء بصفة دائمة أو مؤقتة .

٢ - الهجرة الداخلية أو المحلية وتتمثل في انتقال السكان فيما بين أجزاء الدولة الواحدة .

٣ - الهجرات الدورية أو الموسمية ، وتتمثل في الانتقال الجغرافي من مكان لآخر لفترة محددة ثم مايلبث المهاجرون أن يعودوا الى مواطنهم الاصلية بعد ذلك وأبرز أمثلتها الانتقال الموسمي لبعض السكان
 • Transhumance



شكل رقم (٤٩)

ويلاحظ أن هذا النوع قد يندرج جزئياً تحت واحد من النوعين السابقين فقد تضم الهجرة الدولية مثلاً هجرة للايدي العاملة من دولة لآخرى لفترات محددة ، وكذلك فقد تضم الهجرات الداخلية نفس الظاهرة أى انتقال الايدي العاملة من مكان لآخر داخل الدولة الواحدة لفترات محددة كذلك فقد تضم هجرات لجماعات سكانية من الرعاة وفي مسالك محددة كانتتقال البدو الرحل من مناطق الحشائش الفقيرة الى المناطق الغنية بمراعيها أو من السهول الى الجبال كما في شبه الجزيرة العربية والسودان والمغرب العربي .

الهجرة الدولية :

يشمل هذا النوع من الهجرات الانتقال السكاني عبر حدود الدول ، وعلى ذلك فان دراسة الهجرة الدولية في الوطن العربي ربما تبدو يسيرة في ضوء هذا التعريف المبسط وذلك للدول اعتماداً على سجلات الهجرة عند المداخل البرية أو البحرية أو الجوية ، ولكن رغم ذلك فان البيانات المتاحة لاتحوى كل الحقائق عن المهاجرين سواء من ناحية العمر أو الوضع الاجتماعي أو العلمي وغير ذلك من الخصائص الديموغرافية .

وتنقسم الهجرة الدولية في الوطن العربي بدورها الى ثلاثة أنماط يتصف كل منها بسمات مميزة :

- أ - الهجرة الدولية الوافدة من خارج الوطن العربى .
- ب - الهجرة الدولية بين أقطار الوطن العربى .
- ج - الهجرة الدولية المغادرة للوطن العربى .

الهجرة الدولية الوافدة من خارج الوطن العربى :

يمثل هذا النوع من الهجرة الدولية الوافدة ماتعرض له الوطن العربى من وفود مهاجرين من خارجه ليسو عربيا ، وقد ساعد موقع الوطن العربى المتوسط على هجرة أعداد من سكان الشعوب غير العربية التى تجاوره سواء فى نطاق السفانا فى افريقيا جنوبا أو فى النطاق الاسيوى شرقا، ويبدو ذلك بوضوح فى هجرة أعداد كبيرة من غرب افريقيا الى السودان والاستقرار فيه مثل جماعة «الفلاتا» الذين تعتمد الزراعة فى أرض الجزيرة عليهم ، وليس من السهل الوقوف على حجم هذه الاعداد بيد أن أبرز العوامل المؤثرة فى هجرتهم هو وقوع السودان فى طريق الحج من غرب افريقيا الى الاراضى المقدسة، كذلك يشهد غرب السودان فى الوقت الحاضر انتقال أعداد كبيرة من تشاد للاستقرار فى منطقة دارفور وكردفان .

وكذلك تعرضت دول عربية فى المشرق مبكرا لهجرة عناصر فارسية وبلوخستانية وافريقية خاصة فى جنوب شبه الجزيرة العربية وشرقها، ويبدو ذلك بوضوح فى امارات الخليج وفى سلطنة عمان. وقد لعبت هذه الهجرات الوافدة سواء فى الفترات السابقة أو فى العصر الحديث - دورا كبيرا فى التركيب العرقى للسكان وانعكست على النسيج البشرى المكون لهذه الدول فى الوقت الحاضر .

وقد أسهم البترول بدور كبير فى جذب أعداد ضخمة من المهاجرين الاسيويين خاصة من الهند ومن الباكستان ومن بنجلاديش للعمل فى دول الخليج والتى تبنت خطط تنمية اقتصادية واجتماعية ضخمة اعتمادا على استغلال عوائد البترول وخاصة منذ أوائل السبعينيات .

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

ان أخطر الهجرات الوافدة على الوطن العربى تلك الهجرة اليهودية التى تدفقت على فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر ، وتعد هذه الهجرة محور المخططات الصهيونية لتهود فلسطين وتحويلها لدولة تمثل قاعدة للسيطرة الصهيونية على المشرق العربى بأكمله . وقد مرت الهجرة اليهودية الى فلسطين بعدة مراحل بدأت منذ

أواخر العصر العثماني عندما أنشئت أول مستعمرة يهودية في أرض فلسطين سنة ١٨٣٧ وقدر عدد اليهود آنذاك بنحو ١٥٠٠ يهودي ثم تزايد عددهم تدريجيا حتى وصل الى نحو ٢٢ ألف يهودي سنة ١٨٨١ .

وعلى الرغم من قيام الحكومة العثمانية سنة ١٨٨٢ باصدار قانون لحد من الهجرة اليهودية فانها تراجعت عن الشروع في تنفيذه العملي بفعل ضغوط بريطانيا وفرنسا بل وسمحت لليهود بالهجرة الى فلسطين وأنشاء المستعمرات الزراعية والمؤسسات الدينية والخيرية والعالمية، وأدى ذلك الى استمرار تدفق اليهود بمعدلات قليلة في البداية ثم مالبتت أن تزايدت في العقدين الاولين من القرن العشرين حتى بلغ عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين ٨٤٣٠٠ مهاجرا في الفترة من ١٨٥٠ حتى ١٩١٤ وبمتوسط سنوي وصل الى نحو ١٣٠٠ مهاجرا في السنة (جدول رقم ٥٣) وان كان نحو نصف مجموع المهاجرين قد وصلوا خلال الفترة من ١٩٠٤ - ١٩١٤ وهؤلاء يمثلون في معظمهم اليهود الذين قدموا من روسيا القيصرية ودول أوروبا الشرقية ، ومنذ سنة ١٩٠٨ وحتى بداية الحرب العالمية الاولى تمكن اليهود من اقامة ١١ مستعمرة جديدة في فلسطين بما فيها مدينة تل أبيب التي تأسست سنة ١٩٠٩ (١) .

أما في أثناء الانتداب البريطاني في الفترة من (١٩١٩ - ١٩٤٨) فقد تزايد عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين بشكل واضح حتى بلغ عددهم خلال هذه الفترة نحو ٤٨٢ر٨٥٧ مهاجرا بمتوسط سنوي بلغ ١٦٤٤٠ مهاجرا في السنة (٢) .

واستمرت الهجرة اليهودية بشكل مكثف بعد اعلان قيام اسرائيل في مايو ١٩٤٨ وارتبط بها طرد جماعي للسكان الفلسطينيين من ديارهم وتجريدهم من ممتلكاتهم بهدف احلال المهاجرين اليهود المجلوبين من كافة أرجاء العالم محلهم في فلسطين ، وارتكبت العصابات الصهيونية عدة مذابح جماعية لسكان بعض القرى العربية في سنة ١٩٤٨ لاجبار الفلسطينيين على الرحيل وتم لهم ما أرادوا عندما طرد أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني من ديارهم في سنة ١٩٤٨ ، وشهدت الاعوام التالية أعدادا متزايدة من الفلسطينيين يطردون من بلادهم وتحولوا الى لاجئين

(١) حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين - ديموغرافيا وجغرافيا دار الشروق - عمان - ١٩٨٥ - صص ١٤١ - ١٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٥ .

يعيشون في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي الاقطار العربية المجاورة: الاردن ولبنان وسوريا ، ولم يكتف الصهيوونيون بطرد أقل من مليون عربى من ديارهم سنة ١٩٤٨ واحتلال نحو ٧٩% من أراضى فلسطين بل احتلوا كامل الارض الفلسطينية فى حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ باخضاعهم الضفة الغربية وقطاع غزة للاحتلال واضطر نحو ٣٠٠ ألف من السكان الاصليين واللاجئين الى النزوح نحو الضفة الشرقية للاردن (١) .

جدول رقم (٥٣)

تطور عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين
منذ منتصف القرن التاسع عشر (٢)

المتوسط السنوى للهجرة اليهودية الواقدة	مجموع اليهود المهاجرين الى فلسطين	الفترة الزمنية
١٣٠٠	٨٤٣٠٠	١٨٥٠ - ١٩١٤
٧٠٠٠	٣٥١٠٠	١٩١٩ - ١٩٢٣
٢٤٦٠٠	٨١٦٠٠	١٩٢٤ - ١٩٣١
٥٧١٠٠	٢٤٧٧٠٠	١٩٣٢ - ١٩٣٩
٣٤٩٠٠	١١٨٣٠٠	١٩٤٠ - ١٩٤٨
١٨٩١٠٠	٦٨٦٧٠٠	١٩٤٨ - ١٩٥١
١٨٠٠٠	٥٤٠٠٠	١٩٥٢ - ١٩٥٤
٥٤٩٠٠	١٦٤٩٠٠	١٩٥٥ - ١٩٥٧
٢٥١٠٠	٥٧٥٠٠	١٩٥٨ - ١٩٦٠
٥٧٠٠٠	٢٢٨٠٠٠	١٩٦١ - ١٩٦٤
٢٠٣٠٠	٨١٣٠٠	١٩٦٥ - ١٩٦٨
٤٥٤٠٠	٢٢٧٢٠٠	١٩٦٩ - ١٩٧٣
٢٣٣٠٠	٩٣٢٠٠	١٩٧٤ - ١٩٧٧
٢٢٠٠٠	١٠٩٦٠٠	١٩٧٨ - ١٩٨٢

(١) المرجع السابق ص ١٤٠ .

(٢) المصدر :

a) Bachi, R., The Population of Israel, Jerusalem, 1976.

b) Statistical Abstract of Israel, 1982.

عن : حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين - عمان - ١٩٨٥ - ص

ص ١٤٣ - ١٤٩ .

• وتعد المرحلة التالية لقيام اسرائيل من أهم مراحل الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فلم يكن في فلسطين حتى مايو ١٩٤٨ سوى ٦٪ فقط من يهود العالم أصبح فيها مع نهاية سنة ١٩٥٣ نحو ١٣٪ وفي نهاية ١٩٨٢ نحو ٢٦٪ من يهود العالم الذين يقدر عددهم بنحو ١٣ مليون نسمة (١) ، وقد بلغ عدد المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين خلال الفترة ١٩٤٨ - ١٩٨٢ نحو ١٧١٢٠٠٠ مهاجرا بمتوسط سنوي مقداره ٥٠٦٠٠ مهاجرا من أوروبا والاتحاد السوفيتي والامريكتين فيما يعرف باليهود الغربيين (الاشكناز) ومن الدول الآسيوية والأفريقية خاصة الشرق الأوسط وهم اليهود الشرقيين (السفارديم) •

وقد تميزت حركة الهجرة اليهودية منذ قيام اسرائيل بتزايد مستمر في نسبة اليهود الشرقيين بحيث أن نسبتهم أصبحت في سنة ١٩٨٢ تقدر بنحو ٧٠٪ من اجمالي اليهود في فلسطين المحتلة (٢) •

الا انه ينبغي القول ان هناك عوامل عديدة في المجتمع الاسرائيلي اقتصادية واجتماعية وغيرها تدفع بعدد كبير من اليهود الوافدين نحو العودة ، وليس هذا التيار العكسي وليد السنوات الاخيرة بل ارتبط بالهجرة اليهودية منذ أوائل هذا القرن في الواقع ، فقد قدر أن نسبة اليهود الذين هاجروا من فلسطين المحتلة خلال الفترة من ١٩٢٢ - ١٩٧٥ بنحو ١٥٪ من مجموع المهاجرين القادمين الى فلسطين خلال الفترة ذاتها . وقد أظهرت بيانات مكتب الاحصاءات المركزي الاسرائيلي أنه منذ قيام الكيان الصهيوني وحتى نهاية عام ١٩٨٢ ، بلغ عدد اليهود الذين هاجروا من فلسطين المحتلة ولم يعودوا اليها ٣٩١٠٠٠ يهودي أو ما نسبته ١٤٫٤٪ من اجمالي عدد المهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين المحتلة في خلال الفترة (١٩٤٨ - ١٩٨٢) ، ومعظم النازحين الى الخارج هم من اليهود الاوربيين والامريكيين وبخاصة ذوى الاعمار المتوسطة ، وقد اتجه نصف هؤلاء المهاجرين العائدين الى الولايات المتحدة الامريكية للاقامة بها (٣) •

وتبين الأرقام الواردة في جدول رقم (٥٤) ميزان الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة في الاحد عشر عاما الواقعة بين ١٩٧٢ - ١٩٨٢ •

-
- (١) المرجع السابق ص ١٤٨ •
 (٢) المرجع السابق ص ١٥٦ •
 (٣) المرجع السابق ص ١٦٢ - ١٦٣ •

جدول رقم (٥٤)
ميزان الهجرة اليهودية : عدد المهاجرين القادمين
الى الكيان الصهيوني والراحتين عنه وصافي الهجرة
في الفترة ٧٢ - ١٩٨٢ (بالآلف)(١)

السنة	اليهود القادمون	اليهود الراحلون	صافي الهجرة
١٩٧٢	٥٥٤	٩٥	٤٥٩
١٩٧٣	٥٤٢	٦٢	٤٨٠
١٩٧٤	٣١٣	١٨٦	١٢٧
١٩٧٥	١٩٧	١٩١	٠٦
١٩٧٦	١٩٥	١٢٥	٧٠
١٩٧٧	٢١٣	١٤٣	٧٠
١٩٧٨	٢٦٨	١٠١	١٦٧
١٩٧٩	٣٧٢	٣٠٠	٧٢
١٩٨٠	٢٠٥	٣٣٠	١٢٥-
١٩٨١	١٢٧	٢٢٩	١٠٢-
١٩٨٢	١٣٠	١٢	١٠

وهكذا يبدو أن حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين تمثل أكبر حركة هجرة استيطانية شهدها الوطن العربي في تاريخه الحديث ، وقد أدت الى تغيير جذري في الوضع الديموغرافي لفلسطين ، فبعد أن كانت نسبة السكان العرب في فلسطين ٦٥٢٪ من جملة سكان فلسطين في مايو ١٩٤٨ والذين قدروا بنحو ٢١ مليون نسمة انخفض عددهم بشدة وتدرجيا بعد ذلك ليصل الى ٣٥٩٪ فقط سنة ١٩٨٢ من جملة السكان في فلسطين المحتلة وقدرهم ٣٠٣ مليون نسمة في تلك السنة ، وبالمقابل تزايدت نسبة اليهود من ٣٣٪ سنة ١٩٤٨ لتصل الى ٦٤٪ سنة ١٩٨٢ ، كما يبين الجدول رقم (٥٥) .

(١) المصدر :

Central Bureau of Stistics Statistical Abstract of Israel. 1982, p. 32.

نقلا عن : حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين - عمان - ١٩٨٥

ص ٢٧٧ .

جدول رقم (٥٥)

تطور عدد العرب واليهود ونسبة كل منهما في فلسطين المحتلة (١)

السنة	العرب		اليهود		الجملة العدد بالالف
	العدد بالالف	%	العدد بالالف	%	
١٩٤٨	١٣٨٠	٦٢ر٢	٧٠٠	٣٣ر١	٢١١٥ (*)
١٩٥٠	٨٤٨	٤١ر٣	١٢٠٣	٥٨ر٧	٢٠٥١
١٩٦٠	١٢٦٤	٣٩ر٨	١٩١١	٦٠ر٢	٣١٧٥
١٩٧٠	١٤٠٠	٣٥ر٢	٢٥٨٢	٦٤ر٨	٣٩٨٥
١٩٨٢	١٨٩٢	٣٥ر٩	٣٣٧٣	٦٤ر١	٥٢٦٥

الهجرة الدولية بين الاقطار العربية :

ليست هجرة العرب بين اقطار الوطن العربي وليدة العصر الحديث بل انها ظاهرة سكانية متواصلة شهدها الوطن العربي على امتداد تاريخه الطويل خاصة بين اقطاره المتجاورة في المشرق والمغرب وترتب على هذه الهجرات المبكرة اختلاط سكاني وتبادل ثقافي واقتصادي على نطاق واسع . ويعد الحج الى بيت الله الحرام أكبر حركة انتقال سكاني موسمي بين الدول العربية والاسلامية نحو مكة المكرمة والتي بلغ متوسط ما استقبلته سنويا في السنوات الاخيرة نحو مليوناً من الحجاج .

الهجرة المؤقتة للدول البترولية :

لعل أبرز ظاهرات الانتقال السكاني الدولي بين الدول العربية هي الهجرة للعمل في الدول البترولية ، وقد بدأت هذه الظاهرة في الواقع عقب الحرب العالمية الثانية بعد ظهور البترول في بعض الاقطار العربية

(١) المصدر :

١ - المملكة الاردنية الهاشمية ، تعداد المساكن ١٩٥٢ وتعداد السكان

١٩٦١ .

٢ - ملفات دائرة الشؤون الاقتصادية بادرارة الحاكم العام لقطاع غزة (١٩٥٠ - ١٩٦٥) .

٣ - المجموعة الاحصائية الفلسطينية - دمشق ١٩٨٢ .

(٤) Statistical Abstract of Israel, 1983.

(٥) Area Handbook for Israel, Washington, 1970.

نقلا عن : حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين - عمان ١٩٨٥ -

ص ٢٥١ .

(*) يشمل سكان فلسطين من العرب واليهود واقلية صغيرة ،

(المرجع السابق ص ٢١) .

وبدء استثمار عوائده في عمليات التنمية ، الا أنها تعاضمت بشكل كبير منذ أوائل السبعينيات عندما تزايدت أسعار البترول وتضاعفت عوائده في الدول المنتجة خاصة في منطقة الخليج العربي وتوسعت هذه الدول في خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية والتي تطلبت بدورها أيد عاملة بأعداد كبيرة لسد النقص في العمالة الوطنية بها .

وقد خضعت الهجرة الدولية للايدي العاملة بين الاقطار العربية لعوامل الطرد في الدول الاصلية وعوامل الجذب في الدول المستقبلية ، الا ان اتجاه تيارات الهجرة وحجمها وتوزيع أنماطها حدده التباين في توزيع الثروة البترولية في الاقطار العربية وفي مستويات التنمية التي أخذت بها ، ذلك لان استغلال الموارد البترولية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدول الغنية بهذه الموارد أدى الى تفاوت شديد في مستوى دخل الفرد بينها وبين بقية الاقطار العربية .

الا أن المشكلة الرئيسية التي واجهت الدول البترولية أن حجم سكانها الاصليين قليل كما لاتتوافر لديها كل الخبرات اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتصنيع فاتجهت الى استيراد الايدي العاملة من الاقطار العربية الاخرى أو من خارج الوطن العربي لهذا الغرض ، ووجدت في الاقطار العربية ذات الدخل المنخفض والحجم السكاني الكبير سوقا مناسبة للحصول على الايدي العاملة منها ، وقد واكبت سياسات القوى العاملة في هذه الدول - الى حد كبير - الطلب الخارجى على الايدي العاملة بها فشجعت بوسائل مختلفة ولاغراض عديدة منها التخفيف من اعباء البطالة لدى هذه الدول ودعمها لاقتصادياتها عن طريق تحويلات العاملين من ابنائها في الدول العربية البترولية، واصبح الخروج نحو هذه الدول للعمل بها سمة مميزة للعمالة العربية في العقدين الاخيرين كما انعكست تحويلاتهم المالية على أنماط العيش ومظاهر الحياة في أوطانهم الاصلية المصدرة للعمالة .

وتعد المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وليبيا - أكبر الاقطار البترولية التي تعتمد على الايدي العاملة الوافدة سواء من الاقطار العربية الاخرى أو من خارج الوطن العربي ، وقد أثرت الهجرة الوافدة في هذه الدول تأثيرا كبيرا على التركيب الاقتصادي للسكان بها ، ويبين الجدول رقم (٥٦) مدى اعتماد هذه الاقطار على العمالة الوافدة . ومن الواضح أن هناك تباينا شديدا في نسبة العاملين الاجانب الى جملة العاملين في هذه الاقطار ، وتأتى الامارات العربية وقطر في المقدمة حيث يسهم الاجانب بأكثر من أربعة أخماس

القوة العاملة بهما ، وتليها الكويت بنسبة تريبو قليلا على الثلثين ، أما في السعودية وليبيا والبحرين فتصل هذه النسبة الى حوالى خمسى حجم القوة العاملة بها .

جدول رقم (٥٦)

تقديرات السكان حسب الجنسية في أقطار مجلس التعاون الخليجى وليبيا
للسنتين ١٩٧٥ و ١٩٨٥ (الاعداد بالالف) (١)

الدولة	١٩٧٥			١٩٨٥		
	الجملة	مواطنون	نسبة %	الجملة	مواطنون	نسبة %
الامارات العربية	٥٥١	٢٠٠	٣٦	١٧٦٤	٢٩٥	١٧
البحرين	٢٦٧	٢٠٩	٧٨	٥٠٥	٢٩٣	٥٨
السعودية	٧٣٣٤	٥٩٣٦	٨١	١٣١١٢	٨٧٥٧	٦٧
عمان	٨٤٦	٧٠٩	٨٤	١٢٨٢	١٠١٠	٧٩
قطر	١٨٠	٥٣	٢٩	٤٦٥	٧٨	١٧
الكويت	١٠٢٧	٤٧٢	٤٦	١٧٤٤	٦٦٣	٣٨
ليبيا	٢٦٨٠	٢١٧٩	٨١	٥٠٠٧	٣٢١٨	٦٤
الجملة	١٢٨٨٥	٩٧٥٨	٧٦	٢٣٨٧٩	١٤٣١٦	٦٠

ويبدو من الجدول رقم (٥٧) أن المملكة العربية السعودية تستأثر بمفردها بنحو نصف العاملين الاجانب في هذه الاقطار الستة ، وتليها في ذلك الجماهيرية الليبية رغم انخفاض نسبة اسهام العمالة الاجنبية بها اذا ما قورنتا ببقية الدول في هذا الصدد .

المهاجرون حسب الجنسية في الاقطار البترولية :

يتباين تيار الهجرة الوافدة على الاقطار البترولية الغنية حسب

(١) المصدر: نادر فرجاني، الهجرة الى النفط، مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الاولى - بيروت - ١٩٨٣ - ص ١٨٤ - اعتمادا على :
I. Scrageldin et al. Manpower and International Migration in The Middle East and North Africa, (Washington, D. C., World Bank, Technical assistance and Special Studies Division 1981). p. 51.

(٢) تقديرات ١٩٨٥ - اعتمادا على معدل نمو اقتصادى منخفض (انظر المصدر ذاته ص ١٨٣ ، ١٨٤) .

جدول رقم (٥٧)
تقديرات قوة العمل حسب الجنسية في أقطار مجلس التعاون الخليجي
وليبييا سنتي ١٩٧٥ و ١٩٨٥ (الاعداد بالالف)(١)

الدولة	١٩٧٥		١٩٨٥	
	الجملة	نسبة المواطنين	الجملة	نسبة المواطنين
		%		%
الامارات	٢٩٢	٤٥	٥٤٠	٦٢
البحرين	٧٩	٥٠	١٢٩	٦٩
السعودية	١٩٦٨	١٣٠٠	٣٠٥٥	١٠٦٥
عمان	١٩٢	٨٩	٢٥٧	١٥١
قطر	٧٤	١٣	١٣٤	١٩
الكويت	٢٩٨	٨٧	٣٩٣	١٤٠
ليبييا	٧٣٥	٤٥٤	١٢٦٠	٦٧٦
الجملة	٣٦٣٧	٢٠٣٧	٥٧٩٧	٢٦٨٣

الجنسية تباينا واضحا يبينه الجدولان رقم (٥٦) و (٥٧) ويبدو واضحا أن المهاجرين العرب يكونون النسبة الاكبر بين الجنسيات الاخرى ، كذلك تستأثر السعودية باكبر نسبة للعمال العرب العاملين في هذه الاقطار مما يعكس مدى اهميتها في حركة انتقال العمالة العربية في الوطن العربي، حيث يعمل بها ٥٦% من جملة العرب العاملين في هذه الاقطار الستة والذين بلغ عددهم ١٣ مليون نسمة سنة ١٩٧٥ ، وتليها في ذلك ليبيا ثم الكويت بينما يتركز الاسيويون بنسبة عالية في الامارات العربية والسعودية وقطر والكويت ، ويشبههم في ذلك الايرانيون والاتراك والافريقيون والذين يتركزون في الكويت والامارات والسعودية والى حد ما في ليبيا، ولايختلف توزيع الاوربيين عن ذلك كثيرا حيث تزداد نسبتهم في السعودية وليبيا والامارات والبحرين ، وغنى عن القول أن العمالة غير العربية وخاصة الاسيوية والايرانية لها جوانب سلبية على المجتمعات العربية المستوردة

(١) المصدر السابق - ص ١٨٣ .
(٢) على أساس معدل نمو اقتصادي منخفض (راجع المصدر السابق ص ١٨٣) .

لها وخاصة في الحياة الثقافية والاجتماعية ، ومعظم هذه العمالة الاسيوية
تفد من باكستان والهند وبنجلاديش ، وسريلانكا . وقد تعاضمت أعدادها
بدرجة واضحة في السنوات الاخيرة .

جدول رقم (٥٨)

التوزيع النسبي لقوة العمل الوافدة حسب الجنسية
في أقطار مجلس التعاون الخليجي وليبيا سنة ١٩٧٥ (١)

التوزيع النسبي %				القطر
عرب	آسيويون (*)	أوروبيون وأمريكيون	جنسيات أخرى (**)	
٢٤٧	٦٥٠	٢٠	٨٣	الإمارات
٢١٢	٥٦٧	١٥٢	٧٠	البحرين
٩٠٥	٤٩	١٩	٣٢	السعودية
١٢٤	٨٣٠	٤٠	٠٦	عمان
٤٧٧	٦٣٣	١٦	٧٤	قطر
٦٨٩	١٦٢	١٠	١٤١	الكويت
٩٣٤	١٧	٢١	٢٩	ليبيا
٧٢٥	٢٠٣	٢١	٥١	الجملة

والواقع ان تيار الهجرة الوافدة للعمل في الاقطار العربية النفطية كان
من أهم العوامل الفاعلة في التغيير الاجتماعي - الاقتصادي في الوطن
العربي في العقد الاخير ، كما يتوقع أن يستمر تأثيره وتتالي تبعاته في
المستقبل القريب على الأقل (٢) وينعكس ذلك على امكانيات التنمية
وخططها والقدرة المحلية على التغيير ، واذا كانت بلدان الاستقبال تتسم
بوفرة مالية هائلة فان بلدان المنشأ تعاني من ضائقة تتفاوت من بلد لآخر
بل ويصل الامر في الواقع لان تتجاوز في شبه الجزيرة العربية ذاتها بعض

(١) المصدر السابق - ص ١٨٦ ، اعتمادا على :

J. S. Birks and C. A. Sinclair, International Migration and Development
in The Arab World. World Employment Programme (WEP) Study,
Geneva, International Labour Office. 1980.

لاتشمل الايرانيين .

ب - كلهم تقريبا ايرانيون ماعدا مايختص السعودية وليبيا .
(٢) نادر فرجاني - المرجع السابق - ص ٢٢ .

من أغنى وأفقر بلدان العالم ، وترسل بلاد الفئة الثانية الجزء الأكبر من قوة العمل للمواطنة للعمل في القسم الغنى من شبه الجزيرة ، والهجرة هنا على أية حال من وإلى بلدان ذات هيكل اقتصادى مختلف وتابع لمركز الاقتصاد العالمى ، وذلك على خلاف الهجرة من حوض البحر المتوسط الى أوروبا الغربية مثلا كما أن الهجرة تجرى بين أقطار تربطها وحدة حضارية وامكانية تنمية مشتركة .

ويضاف الى ذلك أن الهجرة للعمل في الاقطار العربية النفطية هي في الاساس هجرة مؤقتة وغير اندماجية مع استثناء واضح للهجرة الى العراق ومن ثم فهي ليست هجرة استيطانية ، كما لايقوم تفاعل اجتماعى قوى بين المكونات الوافدة والمواطنين في قوة العمل والسكان (١) ، وذلك رغم أن الوافدين يشكلون قوة العمل في كثير من الاقطار النفطية كما سبق القول وتختلف الاقطار العربية المصدرة للعمالة نحو الدول البترولية الغنية اختلافا كبيرا تبينه أرقام الجدول رقم (٥٩) .

ومن الواضح أن معظم الهجرة العربية للعمل في الاقطار البترولية وغيرها تاتى من ثلاث دول هي مصر واليمن والاردن حيث تستأثر هذه الدول بأكثر من نصف الهجرة الدولية وأكثر من ثلاثة أرباع الهجرة العربية على مستوى الوطن العربى في سنة ١٩٧٥ ، وتليها في ذلك سوريا ولبنان والسودان بنسب صغيرة .

والواقع أن مصر أصبحت منذ أوائل السبعينات تقدم العدد الأكبر من المهاجرين للعمل في الوطن العربى ولعل ذلك مرجعه الى عوامل عدة أبرزها أنها تحوى ربع سكان الوطن العربى وذات دور حضارى متميز وامكانيات اقتصادية وسياسية وعسكرية هي الاولى في المنطقة العربية، وقد شهد المجتمع المصرى تغيرات اجتماعية واقتصادية في العقدين الاخيرين دفعت بعدد كبير من المصريين نحو الهجرة للعمل المؤقت في الخارج وساعد على ذلك زيادة عوامل الجذب في مناطق العمل في الاقطار البترولية في شبه الجزيرة العربية والعراق وليبيا .

وليس من السهل الحصول على تقدير دقيق لعدد المهاجرين المصريين في الخارج في السنوات الاخيرة ذلك لان التقدير الرسمى ذكر في تعداد ١٩٧٦ أن المصريين بالخارج يبلغ عددهم ١٥ مليون نسمة ويشمل هذا

(١) المرجع السابق - ص ٢٣ .

جدول رقم (٥٩)
التوزيع النسبي للعمالة المهاجرة حسب الجنسية سنة ١٩٧٥ (١)

الجنسية	العدد	%
العرب :		
مصريون	٣٩٧٥٤٥	٢١٫٨
يمنيون	٣٦٠٧٥٨	١٩٫٨
أردنيون وفلسطينيون	٢٦٤٧١٧	١٤٫٥
سوريون	٧٠٤١٥	٣٫٩
لبنانيون	٤٩٦٤١	٢٫٧
سودانيون	٤٥٨٧٣	٢٫٥
جنسيات عربية أخرى	١٠٦٨٠١	٥٫٩
الجملة	١٢٩٥٧٥٠	٧١٫١
غير العرب :		
باكستانيون	١٩٠٧١٨	١٠٫٥
هنود	١٥٤٤١٨	٨٫٥
إيرانيون	١٠٦٣١٥	٥٫٨
أوروبيون وأمريكيون	٣٧٨١٦	٢٫١
جنسيات أخرى	٣٤٩٨٣	١٫٩
الجملة	٥٢٤٢٥٠	٢٨٫٩
الاجمالي	١٨٢٠٠٠٠	١٠٠٫٠

الرقم جملة العاملين وأسرهم، ولا شك أن هذا العدد قد تزايد بعد ١٩٧٦ خاصة بعد اتجاه عدد كبير من المهاجرين الى العراق بعد تطور الحرب العراقية الايرانية وذلك للمشاركة في أعباء النشاط الانتاجي والخدمي، ويقدر عدد المصريين في العراق بحوالي مليون وربع مليون مهاجر يمثلون نحو ٤٢% من عدد المصريين بالخارج الذين يقدرون بنحو ٣ مليون شخص حسب تقديرات الدولة (٢).

(١) المصدر :

Birks, J. S. and Sinclair C. A., International Migration in the Arab World, Arab Planning Institute - Kuwait : Population Employment and Migration in the Arab Gulf States. 1978, p. 520.

(٢) حسب تصريحات وزير الدولة لشئون الهجرة والمصريين في الخارج - جريدة الاهرام ١٩/٣/١٩٨٣، ص ٨ .
(انظر - نادر فرجاني - المرجع السابق - ص ٥٥) .

الفصل الخامس

تركيب السكان

تعهد دراسة التركيب السكاني للمجتمع العربي على قدر كبير من الأهمية ذلك لأنها توضح بجلاء مدى تأثير العمليات الديموغرافية الحيوية والهجرة على فئات السن ونسبة النوع (الذكور والاناث) في داخل المجتمع ومدى قدرته على توفير القوة العاملة اللازمة لتنمية وإعالة باقى أفرادها، كذلك فإن دراسة التركيب العمري تساعد على فهم عوامل النمو السكاني ودورها في حجم السكان وما يرتبط بذلك من دراسة الحالة المدنية والنشاط الاقتصادي والتعايم سواء للذكور أو الاناث ومدى ما اعترى هذه الظاهرة من تغير للحكم على مدى تطور المجتمع والتغير الذى تعرض له نميجه البشرى .

التركيب العمري :

يعد المجتمع العربي - بكل المقاييس الديموغرافية - مجتمعا شابا .
تدكيه العمري ذلك لآن نحو ٤٥٪ من سكانه يقل عمرهم عن ١٥ سنة .
ويبدو ارتفاع هذه النسبة إذا قيرنت بمثيلتها على مستوى العالم والتي تبلغ ٣٤٪ أو في الدول الأكثر تقدما حيث تصل الى ٢٠٪ فقط .
وعلى العكس من ذلك فإن نسبة كبار السن (الذين يبلغ منهم ٦٥ سنة فأكثر) في الوطن العربي صغيرة نسبيا حيث تصل الى ٢٪ فقط مقابل ٦٪ على مستوى العالم ككل، ونحو ١٣٪ في الدول الأكثر تقدما كما هي الحال في دول غرب أوروبا ، وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال انخفاض العمر الوسطي في الوطن العربي حيث يصل الى ١٧ سنة فقط مقابل ٢٢ سنة للعالم ككل ونحو ٣٠،٢ سنة في الدول الأكثر تقدما (جدول رقم ٦٠) .

وقد تزايدت نسبة صغار السن في معظم الاقطار العربية في العقود الثلاثة الاخيرة كما تدل على ذلك البيانات المتاحة ، ومثال ذلك أن هذه النسبة تزايدت في الجزائر من ٤٠٪ سنة ١٩٥٠ الى ٤٧٪ سنة ١٩٨٣، وفي الكويت من ٣٦٪ الى ٤٧٪ في هذين العامين ، ويرجع ذلك في المقام الاول الى تزايد الرعاية الصحية للامومة والطفولة مع ارتفاع مستوى الخصوبة في المجتمع العربي بصفة عامة .

جدول رقم (٦٠)
فئات السن الكبرى في الوطن العربي والعالم
(% من جملة السكان سنة ١٩٨٣) (١)

الفئة	أقل من ١٥ سنة	من ١٥ - ٦٤ سنة	٦٥ سنة فأكثر	العمر الوسيط بالسنة (*)
الوطن العربي	٤٣	٥٤	٣	١٧
الدول الأكثر تقدماً	٢٢	٦٥	١٣	٣٠ر٢
العالم	٣٤	٦٠	٦	٢٢ر٤

ويتأثر التركيب العمري في الأقطار العربية البترولية تأثيراً بوضوح في دول الخليج خاصة تلك الدول صغيرة الحجم السكاني مثل الكويت وقطر والإمارات العربية والبحرين ففي الكويت مثلاً سنة ١٩٧٥ بلغت نسبة الكويتيين صغار السن نحو ٥٠% وكبار السن ٢% وعلى عكس ذلك السكان غير الكويتيين حيث كان ٤٠% منهم صغار السن وأقل من واحد بالمائة كبار السن، وقد أثر ذلك في متوسط هذه النسب في المجتمع الكويتي حيث وصل متوسط صغار السن به الى ٤٤% والكبار الى ١٦% (شكل رقم ٥٠) .

نسب الاعالة :

يمكن القول ببساطة في ضوء التركيب العمري لسكان الوطن العربي أن كل مائة من السكان في سن العمل (١٥ - ٦٤) والنشاط الاقتصادي يسمون في اعالة ٨٦ من الصغار و ٦ من الكبار ، وتمثل هذه الارقام مايعرف بنسبة اعالة الصغار ونسبة اعالة الكبار . وتعد النسبة الاولى عالية اذا قورنت بمثيلتها في العالم والتي بلغت نحو ٦٥% ونحو ٧٢% في الدول الاقل تقدماً ، ٣٩% فقط في الدول الاقل تقدماً . أما نسب اعالة الكبار فتبلغ ١٠% و ٧% و ١٦% على الترتيب وذلك مقابل ٥% في الوطن العربي .

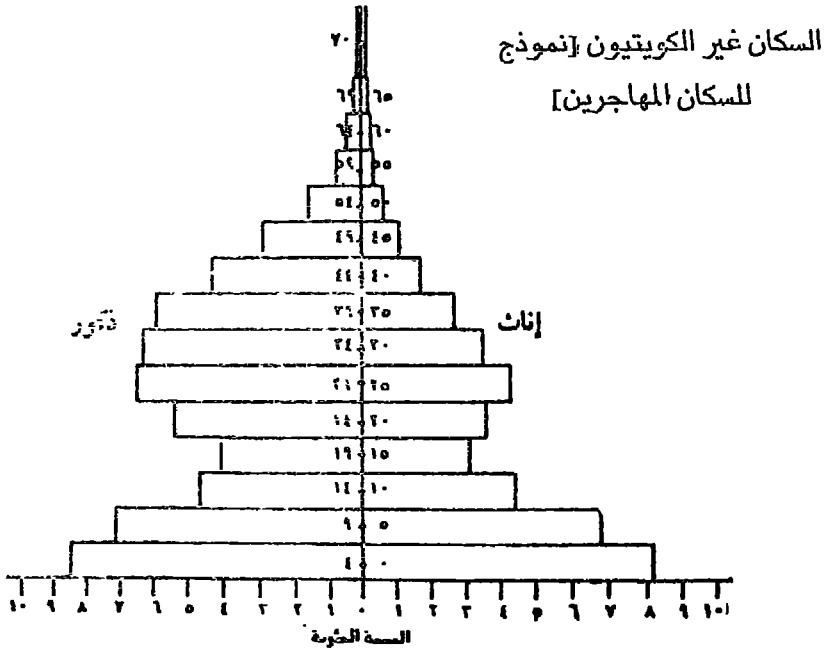
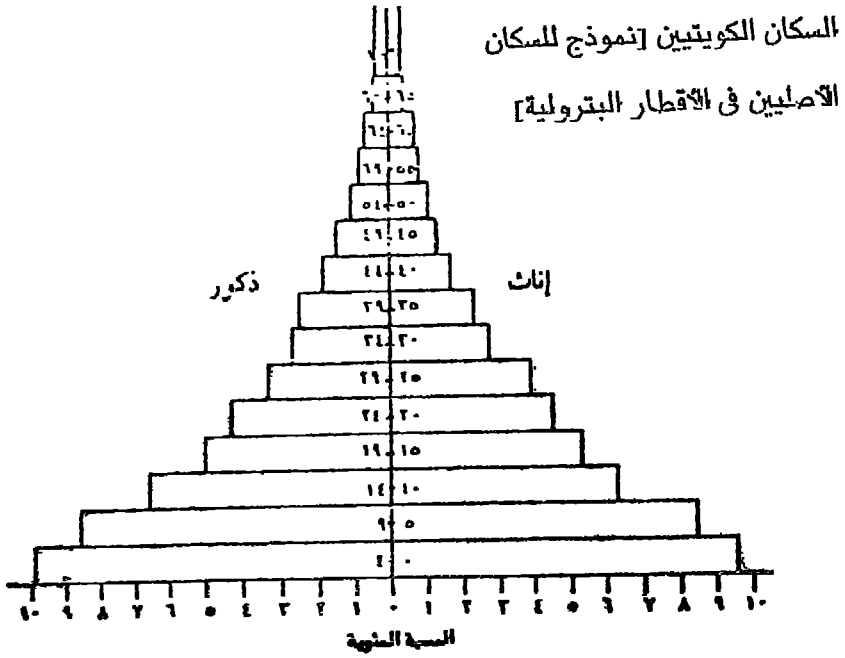
وعلى ذلك يمكن القول أن عبء الاعالة الكلية مرتفع في الوطن العربي ويزيد على مثيله في بقية أقاليم العالم وذلك في الواقع أمر ناتج عن ارتفاع مستوى الخصوبة في أقطار الوطن العربي مع انخفاض نسبي في مستوى الوفيات .

(١) المصدر :

L'institut National D'etudes Demographiques, Population et Sociétés.
Juillet - Août 1983, Numéro, 171 Paris, 1983.

(*) سنة ١٩٧٥ - اعتماداً على :

Omran, A. R., Op. Cit., p. 60.



شكل رقم (٥٠)
الهرم العمري النوعي للسكان في الكويت ١٩٧٥

وجدير بالذكر أن نسب الاعالة هذه نظرية الى حد كبير لانها تعتبر كل السكان بين سن ١٥ - ٦٤ مشاركين في النشاط الاقتصادي وبقى السكان معولين، ولكن ذلك يتنافى مع التركيب الاقتصادي الفعلى للسكان ذلك لان قوة العمل تشمل الافراد الذين يسهمون مباشرة في تقديم السلع والخدمات في الفئات العمرية المختلفة من الذكور والاناث ، أما السكان الخارجون على قوة العمل فهم الذين لايسهمون في هذا الانتاج وبالتالي يعتمدون على القطاع المنتج الداخلى في هذه القوة، ومن ثم فان نسبة الاعالة الحقيقية هي نسبة عدد الاشخاص الذين لاتضمهم القوة العاملة لكل مائة من أفراد هذه القوة، ورغم قصور البيانات المتاحة فانه يمكن القول - دون مبالغة - أن نسبة الاعالة الحقيقية في المجتمع العربي تصل الى ثلاثة أمثال نسبة الاعالة النظرية، وبمعنى آخر فان كل مائة من العاملين فتلا يعولون نحو ثلاثمائة من السكان غير العاملين، وليس ٩٢ كما تدل على ذلك نسب الاعالة النظرية، وتختلف هذه النسب بطبيعة الحال بين الاقطار العربية التى تعتمد على الزراعة وتلك التى يكون البترول عصب اقتصادها مثل دول الخليج وليبيا (جدول رقم ٦١) .

التركيب النوعى :

يقاس التركيب النوعى بما يعرف بنسبة النوع وهى عدد الذكور لكل مائة من الاناث ، وتصل هذه النسبة الى ١٠٥ عند المولد (أى ١٠٥ ذكور مقابل ١٠٠ من الاناث) وهذه ظاهرة بيولوجية فى المجتمعات البشرية بصفة عامة ، ومايلبث عدد الذكور فى الانخفاض بسبب ارتفاع معدلات الوفيات بينهم ليتساوى تقريبا عدد الذكور والاناث فى سن الطفولة والمراهقة والاعمار المتوسطة حتى سن الخامسة والرابعين حيث تبدأ نسبة النوع فى الانخفاض الى أقل من مائة حيث يزيد عدد الاناث على عدد الذكور بعد ذلك .

وتتأثر بيانات التركيب العمرى فى الدول العربية بمجموعة من العوامل لعل أبرزها عدم الدقة فى ذكر أعمار الاناث فى فئات سن معينة سواء بالنقص أو بالزيادة ، وكذلك ارتفاع نسبة وفيات الاناث فى خلال فترة الانجاب (١٥ - ٤٥) . ويضاف الى ذلك الهجرة الكثيفة للسكان فى سن الشباب الى الدول البترولية، وكذلك المستوى الصحى السائد ونمط التغذية والأمراض ومكانة المرأة ومدى العناية التى يوفرها المجتمع لكل من الذكور والاناث .

وتتراوح نسبة النوع فى المجتمع العربى لكل الاعمار من ١٠٣ - ١٠٥ ، ولا تختلف الدول العربية اختلافا كبيرا فى الهرم العمرى النوعى لسكانها - باستثناء الدول البترولية كما ذكرنا - والتى تؤثر الهجرة الوافدة اليها تأثيرا شديدا فى تركيبها السكانى كما هى الحال فى الكويت والامارات

جدول رقم (٦١)

نسب الاعالة النظرية والحقيقية في بعض الاقطار العربية - ١٩٧٥ (١)

نسبة الاعالة الكلية		الدولة
الحقيقية	النظرية	
دول بترولية مستوردة للعمالة		
٢٢٥	٨٩	المملكة العربية السعودية
١٥٧	٩٦	الكويت
١٨٢	٨٩	البحرين
١٧٥	٨٩	الامارات العربية المتحدة
١٠٢	٨٩	قطر
٢٨٤	٨٩	ليبيا
دول زراعية مصدرة للعمالة		
٢٤٢	٧٩	مصر
٤٩٧	٩٥	الاردن
٤٣٣	٩٢	السودان
٤٠٣	٨٥	سوريا
٤٤١	٨٩	اليمن الشمالي

(١) المصدر : تم حساب هذه النسب اعتمادا على حجم السكان وحجم القوى العاملة في هذه الدول من :

- (1) Birks, J. S., and Sinclair, C. A. International Migration in the Arab world, Arab Planning Institute, Kuwait, and I.L.O., Seminar on : Population, Employment and Migration in the Arab Gulf States, Kuwait, 1978.
- (2) Omran, A. R. Op. Cit., p. 62.
- (3) U. N. Statistical Office, 1975.

ويلاحظ أن نسب الاعالة النظرية هي عدد السكان دون ١٥ سنة وعدد السكان ٦٥ سنة فأكثر مقسوما على عدد السكان ١٥ - ٦٤ سنة مضروبا في ١٠٠ أما نسب الاعالة الحقيقية فهي جملة عدد السكان مقسوما على حجم القوى العاملة مضروبا في ١٠٠ .

وقطر ، وفي هذه الدول تشبه نسبة النوع بين السكان الاصليين مثلتها في معظم دول العالَم التي ليس للهجرة فيها تأثير كبير، ففي الكويت مثلا بلغت نسبة النوع بين الكويتيين ١٠٠ (أى يتساوى عدد الذكور مع عدد الاناث) سنة ١٩٧٥ ، بينما وصلت هذه النسبة الى ١٤٢ بين غير الكويتيين مما يعكس غلبة هجرة الذكور عن الاناث . وتكاد هذه الظاهرة تتكرر في كل الاقطار البترولية المستوردة للايدى العاملة من الاقطار العربية الاخرى ومن خارج الوطن العربى (شكل رقم ٥١) .

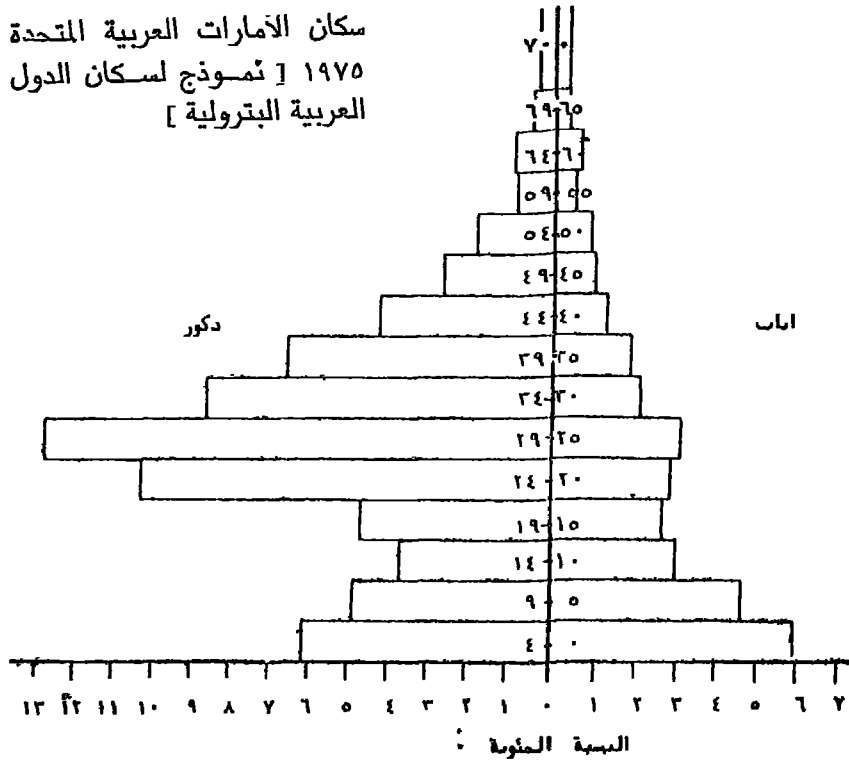
الحالة التعليمية :

يعد تركيب السكان حسب الحالة التعليمية من المؤشرات الهامة للمستوى الاجتماعى والاقتصادى السائد، ويعكس مدى التباين بين الاقطار العربية في مدى مانقدمه لابنائها من خدمات تعليمية ، وليس هذا التباين وليد السنوات الاخيرة بل يرجع الى عهد الاستعمار الاوربى الذى شهدته الدول العربية والذى لم يوفر التعليم الا لنسبة ضئيلة من أبناء الوطن العربى وبقية الامية هى السمة المميزة للقطاع الاكبر من السكان وكانت عائقا رئيسيا للتطور الاجتماعى والاقتصادى في الاقطار العربية .

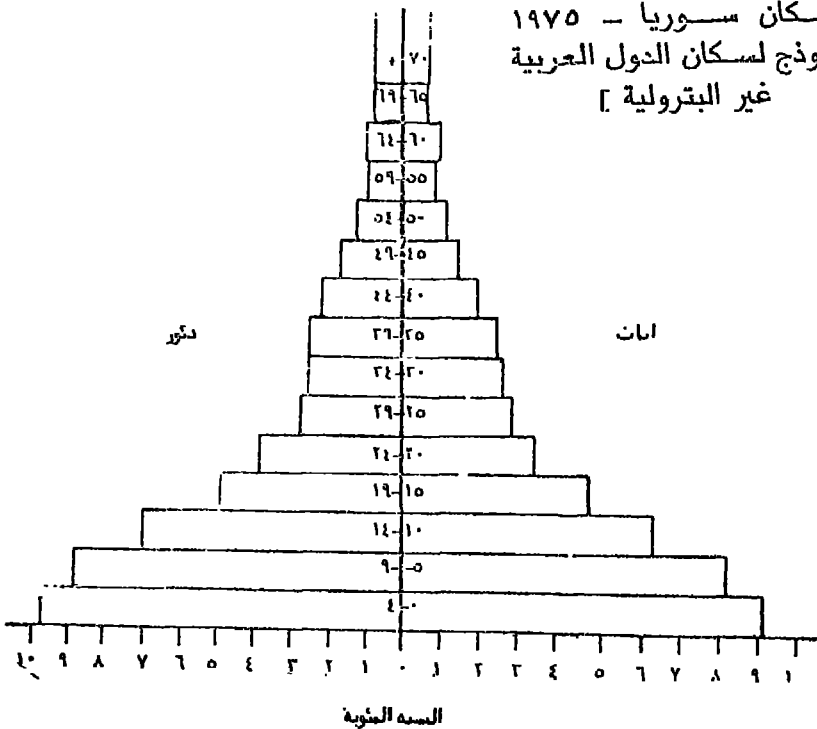
وقد تغيرت هذه الصورة تغيرا كبيرا في خلال العقدين أو الثلاثة عقود الاخيرة ، وبذلت الدول العربية جهودا مكثفة لنشر التعليم وتوسيع قاعدة المستفيدين منه ، ومع ذلك فما زالت نسبة الامية عالية في الوطن العربى اذا قورنت بالدول الاكثر تقدما وخاصة بين الاناث .

ويبين الجدول رقم (٦٢) مدى التباين بين الاقطار العربية في نسبة التعليم بين سكانها ، وينبغى الاشارة الى أن النسب الواردة في هذا الجدول هى ما أوردتها الدول المذكورة في تعداداتها السكانية في الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٨٠، وتتباين الدول في الحد الادنى للمسن الذى تحدهه لحساب نسبة الامية فقد يصل في بعضها الى عشر سنوات فأكثر أو خمس عشرة سنة فأكثر ، ومن هنا فهذه النسب ينبغى أن ينظر اليها بحذر وهى تعطى صرزة عامة عن التفاوت في نسب التعليم في الاقطار العربية ، ويبدو منها أن أعلى نسب للتعليم توجد في الاردن ولبنان والامارات والكويت حيث تقترب من ثلثى عدد السكان، وعلى الطرف النقيض تأتى اليمن الشمالية وموريتانيا والمغرب حيث تصل الى الربع أو أقل، وفيما بين هذين الحدين تقع باقى الدول العربية بنسب تتراوح بين ٣٠٪ - ٥٠٪ من السكان وتبين هذه الأرقام مدى التفاوت بين الذكور والاناث في مجال التعليم حيث تزيد نسبة المتعلمين الذكور عن الاناث في كل الدول العربية ويفارق كبير في معظمها كما في سوريا وليبيا والعراق واليمن والسودان .

سكان الإمارات العربية المتحدة
 ١٩٧٥ [نموذج لسكان الدول
 العربية البترولية]



سكان سوريا - ١٩٧٥
 [نموذج لسكان الدول العربية
 غير البترولية]



شكل رقم (٥١) الهرم العمري النوعي للسكان في سوريا والامارات العربية

جدول رقم (٦٢)
نسبة التعليم في الاقطار العربية(*)
(مرتبة تنازليا حسب نسبة القادرين على القراءة والكتابة) (١)

المرتبة	الدولة والسنة	ذكور	اناث	متوسط.
١	الاردن (١٩٧٦)	٨٢	٥٩	٧١
٢	لبنان (١٩٧٠)	٧٨	٥٨	٦٨
٣	الامارات العربية (١٩٨٠)	٧٠	٦٣	٦٨
٤	الكويت (١٩٧٥)	٧٢	٥٤	٦٤
٥	تونس (١٩٨٠)	٦٦	٣٩	٥٢
٦	ليبيا (١٩٧٣)	٦٧	٣٠	٥٠
٧	سوريا (١٩٧٠)	٦٦	٢٧	٤٧
٨	البحرين (١٩٧١)	٥٥	٣٧	٤٧
٩	العراق (١٩٧٧)	٦١	٢٧	٤٥
١٠	مصر (١٩٧٦)	٥٧	٢٧	٤٣
١١	الجزائر (١٩٧٧)	٥٥	٢٩	٤٢
١٢	السعودية (١٩٧٤)	٤٨	٢٠	٣٥
١٣	قطر (١٩٧٠)	(**)	(**)	٣٤
١٤	السودان (١٩٧٣)	٤٥	١٨	٣١
١٥	المغرب (١٩٧١)	٣٧	١٣	٢٥
١٦	موريتانيا (١٩٧٧)	(**)	(**)	١٧
١٧	اليمن (١٩٧٥)	٢٦	٢	١٣

وحسب أحدث البيانات المتاحة عن حالة الامية في العالم العربي (جدول ٦٣) فانه يبدو أن أكثر من نصف عدد السكان البالغ (١٥ سنة فأكثر) مازالوا - بعد عقود التنمية السابقة - غير قادرين على القراءة

(١) المصدر :

U.S. Department of Commerce, Bureau of the Census. World Population, 1983, Washington, D. C., 1983.

وبالنسبة للاردن :

U.N. ECWA, The Population Situation in the ECWA Region, Jordan, Beirut, 1979.

(*) باستثناء الصومال وعمان وجيبوتي حيث لاتتوافر عنها بيانات.
(**) بيانات غير متوفرة .

والكتابة في الوقت الذي تتدنى فيه هذه النسبة الى مادون الـ ٥٠٪ في الدول المتقدمة في غرب أوروبا والولايات المتحدة .

جدول رقم (٦٣)

نسبة الامية في بعض الاقطار العربية (السكان ١٥ سنة فأكثر) (١)

الدولة	أمية الاناث	الاجمالي	الدولة	أمية الاناث	الاجمالي
الصومال	٩٤	٨٨	سوريا	٥٧	٤٠
المغرب	٧٨	٦٧	ليبيا	٥٠	٣٣
مصر	٧٠	٥٦	الكويت	٣٧	٣٠
الجزائر	٦٣	٥٠	الاردن	٢٧	٢٥
تونس	٥٩	٤٦	العراق	١٣	١١

التركيب الاقتصادي :

يعمل معظم السكان في الوطن العربي في النشاط الاقتصادي الاولى والذي يشمل الزراعة والرعى والصيد ، وتوضح البيانات المتاحة أن نسبة العاملين في الزراعة وغيرها من الانشطة الاخرى تتباين تباينا كبيرا بين الاقطار العربية كما يبين الجدول رقم (٦٤) ، ويبدو من هذا الجدول أن ما يزيد على نصف القوى البشرية العاملة في معظم الاقطار العربية تعمل بالزراعة بل ان هذه النسبة تصل الى أكثر من ثلثي العاملين في السودان والصومال وموريتانيا واليمن، ومن ناحية أخرى تقل نسبة العاملين بالزراعة بشكل حاد في دول الخليج البترولية - باستثناء السعودية - وكذلك في لبنان وفلسطين المحتلة وليبيا . وفي هذه الدول تقل النسبة عن خمس القوة العاملة بها ، أما بقية الدول العربية فتقع بين حدين الحدين حيث تتراوح نسبة العاملين في الزراعة بها بين ٢٠٪ - ٦٠٪ وتقع في هذه المجموعة الدول الزراعية الرئيسية في شمال الوطن العربي مثل العراق وسوريا ومصر وتونس والمغرب .

أما العاملون في النشاط التعدين والصناعة فتقل نسبتهم عن العاملين في الانشطة الاخرى . وتحظى أنشطة المجموعة الثانوية (التعدين

(١) المصدر :

- البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٦١ - (ترجمة
- دؤسسة الاهرام) - القاهرة - ١٩٩١ - صص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- لا تتوافر بيانات عن باقي الدول العربية في هذا المصدر .

جدول رقم (٦٤)
التوزيع النسبي للسكان العاملين في الوطن العربي
حسب الأنشطة الاقتصادية (% سنة ١٩٨٣) (١)

الاقليم والقطر	الزراعة	التعدين	الصناعة	الخدمات
دول الهلال الخصيب :				
العراق	٤٠	٤	٢٢	٣٤
سوريا	٣٣	١٣	١٨	٣٦
لبنان	١١	صفر	٢٠	٦٩
فلسطين المحتلة	٧	١	٣٥	٥٧
الاردن	٢٠	٤	١٦	٦٦
شبه الجزيرة العربية :				
السعودية	٣٣	٢	٢٠	٤٥
الكويت	٢	٤	٣٠	٦٤
البحرين	٥	١	٣٤	٦٠
قطر	١٢	٥	١٥	٦٨
الامارات	٥	٤	١١	٨٠
عمان	٥٨	٣	٧	٣٢
اليمن الشمالي	٧٠	صفر	١٢	١٨
اليمن الجنوبي	٤٣	صفر	٢٢	٣٥
وادي النيل والقرن الافريقي :				
مصر	٥٠	٤	٢٦	٢٠
السودان	٧٢	١	٩	١٨
جيبوتي	٣٥	صفر	١٠	٥٥
الصومال	٨٢	صفر	٨	١٠
ليبيا والمغرب العربي :				
ليبيا	١٦	٣	٢٧	٥٤
تونس	٣٥	٥	٢٧	٣٣
الجزائر	٢٣	٥	٢٧	٤٥
المغرب	٤٠	٥	٢٤	٣١
موريتانيا	٦٧	٥	٥	٢٣

(١) المصدر :

Atlasco, Atlas Economique Mondial, 1985, Paris, 1985.

والصناعة) بأهمية كبرى في اقتصاديات معظم الدول العربية، وقد شهدت نموا كبيرا ارتبط باستخراج البترول والغاز الطبيعي والتصنيع خاصة في دول شبه الجزيرة العربية وليبيا والجزائر ومصر وقد وضعت كثير من الدول العربية خططا اقتصادية لتنويع اقتصادها وتنميتها واتجهت نحو انشاء صناعات جديدة وتطوير القائم منها .

أما المجموعة الثالثة وهي الخدمات فتشمل كل الأنشطة التي لا تسهم مباشرة في إنتاج السلع المادية مثل النقل والتجارة وأعمال البنوك والتأمين والخدمات العامة كالتعليم والصحة والثقافة وغيرها من الخدمات ، وتفاوتت الدول العربية فيما بينها تفاوتا كبيرا في نسبة العاملين في أنشطة هذه المجموعة ، ولكن من الواضح أنها تزيد عن نصف عدد العاملين في كثير من الدول خاصة الدول البترولية ذات الحجم السكاني الصغير والتي تعتمد على العمالة الوافدة اعتمادا كبيرا في مجال الخدمات المتنوعة بها ، وعلى الطرف النقيض تقل هذه النسبة في بعض الدول بشتل حاد لا يتعدى خمس عدد العاملين كما هي الحال في السودان والصومال وموريتانيا وهي أقطار تزداد فيها نسبة العاملين بالزراعة والرعى على حساب نسبة العاملين في القطاعات الأخرى ومنها الخدمات. ومن الواضح أن أنشطة المجموعة الثالثة في الوطن العربي تميزت في العقود الأخيرة بالتطور في كثير من الاقطار التي أخذت بخطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية وساعدتها مواردها على تنفيذ هذه الخطط كما هي الحال في الدول البترولية وبعض الدول الأخرى ، وقد شمل ذلك التحسن في الخدمات الأساسية للنقل والتجارة وأعمال البنوك استجابة للتطور الاقتصادي والانتاج والاستهلاك مع استمرار ارتفاع مستويات المعيشة .

نصيب الفرد من الناتج القومي :

لعل المتباين الاقتصادي بين دول الوطن العربي يظهر بوضوح في دراسة الناتج القومي الاجمالي في ضوء حجم السكان بالدولة ونصيب الفرد منه ، ومن المؤكد أن الطفرة في أسعار البترول وعوائده التي شهدتها الوطن العربي منذ أوائل السبعينات أسهمت بدور كبير في ازدياد الفوارق بين الدول في مجال الناتج القومي الاجمالي بدرجة جعلت الوطن العربي يجمع بين ظهرائيه بعضا من أغنى دول العالم ومن أفقرها في آن معا ، وتمثل ذلك في تصاعد نصيب الاقطار العربية البترولية ولها أقل من ٣٠٪ من سكان الوطن العربي من حوالى ٤٥٪ من الناتج الاجمالي سنة ١٩٦٠ الى قرابة ٧٥٪ قرب نهاية السبعينات وازدادت الفجوة اتساعا بعد ذلك

حتى أوائل الثمانينات عندما بدأت أسعار النفط وعوائده في الانخفاض
بدأ انعكس على قوة الجذب الهجرى لدى الدول البترولية التى بدأت فى
تقليل عدد الوافدين للعمل لديها .

واعتمادا على متوسط نصيب الفرد من الناتج القومى سنويا والذي
يبينه الجدول رقم (٦٥) فإنه يمكن تقسيم الدول العربية الى أربع فئات
رئيسية هى :

١ - الدول الغنية جدا : وتضم الدول البترولية فى شبه الجزيرة
العربية وليبيا ، ويزيد نصيب الفرد من الناتج القومى بها على ٥٠٠٠
دولار فى السنة ، ومن الواضح أن ضخامة عائدات البترول وقلة الحجم
السكانى بها أدى الى ارتفاع كبير فى نصيب الفرد بدرجة تجعلها تأتى فى
مقدمة دول العالم فى هذا المجال . وتستأثر دول هذه المجموعة بأكثر من
نصف الناتج الاجمالى فى الوطن العربى (٥٧%) وذلك رغم أن حجم
السكان بها لايتعدى ١٢% فقط من سكانه . وتضم هذه المجموعة فلسطين
المحتلة - وهى دولة غير بترولية ولكن تكون للصناعة والخدمات أكثر من
اربعة أخماس الناتج القومى بها اضافة الى ما تتلقاه من عون خارجى
يلعب دورا كبيرا فى اقتصادها .

٢ - الدول الغنية : وتضم دول الهلال الخصيب باستثناء فلسطين
المحتلة ، ويتراوح نصيب الفرد فيها بين ١٥٠٠ - ٢٥٠٠ دولارا فى السنة ،
وباستثناء الجزائر والعراق واللتين يسهم البترول بنصيب كبير فى اقتصادها
تبدو بقية الدول متجانسة حيث تسهم الزراعة والخدمات بأكثر من نصف
الناتج القومى بها . ويبلغ نصيب هذه المجموعة نحو ربع الناتج الاجمالى
فى الوطن العربى ويسكنها نحو ربع سكانه .

٣ - الدول متوسطة الغنى : وتقع بين الفئة الغنية والفئة الفقيرة ،
حيث يتراوح نصيب الفرد فيها بين ٥٠٠ - ١٥٠٠ دولارا فى السنة، وتضم
دولا ذات حجم سكانى كبير بالنسبة لمواردها مثل مصر والمغرب وتونس
واليمن الشمالى . وتسهم هذه المجموعة بنحو ١٤% من الناتج القومى فى
الوطن العربى رغم أنه يعيش بها ٤٤% من سكانه .

٤ - الدول الفقيرة : وتضم ثلاث دول فقط يعتمد اقتصادها على
الزراعة والرعى الى حد كبير ويقل نصيب الفرد فيها عن ٥٠٠ دولارا فى
السنة وهى السودان وموريتانيا والصومال ولا تسهم دول هذه المجموعة
سوى بنسبة ٣% فقط من الناتج القومى العربى رغم أن سكانها يصلون الى
١٦% من جملة سكان الوطن العربى .

جدول رقم (٦٥)
متوسط نصيب الفرد في الدول العربية من
الناتج القومي في عامي ١٩٨٢ و ١٩٩١ - بالدولار (١)

الفئة	الدول	١٩٨٢	١٩٩١
١ - دول غنية جدا ٥٠٠٠ دولار فأكثر	قطر	٢١٤٦٠	١٥٥٠٠
	الامارات العربية الكويت	٢٠٠٠٠	١٨٤٣٠
	البحرين	١٠٥٠٠	١٦١٥٠
	السعودية	١٠٢٤٠	٦٧٦٠
	ليبيا	٧١٩٠	٥٣١٠
	عمان	٦١٧٠	٥٢٢٠
	فلسطين المحتلة	٥٩٠٠	٩٧٩٠
	٢ - دول غنية من ١٥٠٠ - ٢٥٠٠	الجزائر	٢٣٠٠
الاردن		٢٠٥٠	١٦٤٠
لبنان		١٨٠٠	(*)
سوريا		١٧٤٥	٩٨٠
العراق		١٦٠٠	(*)
٣ - دول متوسطة الغنى من ٥٠٠ - ١٥٠٠	تونس	١١٧٥	١٢٦٠
	جيبوتي	٨٩٠	(*)
	مصر	٦٧٥	٦٤٠
	اليمن	٦٤٧	٦٥٠
	المغرب	٦٠٠	٨٨٠
٤ - دول فقيرة : أقل من ٥٠٠	السودان	٤٤١	٤٢٠
	موريتانيا	٣٥٧	٤٩٠
	الصومال	١٧٦	١٧٠
متوسط الوطن العربي	٢١٤٧	(*)	
متوسط العالم	٢٥٣٧	٣٩٨٠	

(١) المصدر : Atlasco, Atlas Economique Mondial, 1985, p. 21.
البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩١ - ترجمة
مؤسسة الاهرام - القاهرة - ١٩٩١ - ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(*) بيانات غير متوفرة .

الفصل السادس التحضر ومشكلاته

نظرة تاريخية :

من المعروف أن العمران الحضري في الدول العربية قديم للغاية حيث ترجع بعض المدن الى عدة آلاف من السنين وذلك بالرغم من تفاوت عدد السكان بها من فترة زمنية لاخرى وانتقال الموضع المدني من المكان الاصلى . ومن الحقائق التاريخية الهامة أن أول ثورة حضرية قد حدثت في الوطن العربي حتى أن البعض يذكر أن دمشق وحلب في سوريا وأريحا في فلسطين تعد أقدم مدن العالم التي مازالت عامرة بالسكان حتى اليوم . وكانت معظم المدن العربية القديمة مدنا تجارية وقام الكثير منها على السواحل أو على حواف الصحراء وبالإضافة الى ذلك فقد ظهرت عدة مدن دينية كانت قواعد قوية لنشر الدعوة الدينية . وكانت كثير من المدن تحاط بالاسوار في بيئتها التي تعتمد عليها اعتمادا رئيسيا .

المدن العربية في العصور الوسطى :

كانت العصور الوسطى نقطة تحول في تاريخ العمران المدني في الوطن العربي وقد تميزت هذه الفترة بنهضة مدنية كبيرة ارتبطت بنشر الاسلام وخروج العرب نحو افريقيا الشمالية وجنوب غرب آسيا، ولم يقتصر دور العرب على اعادة الحياة الى المدن الرومانية بل أضافوا اليها مدنا جديدة ووصلوا بأحجامها الى مستويات ربما لم تصل اليها المدينة من قبل وحتى بداية العصر الحديث ، والواقع أن الفضل الاول في هذه النهضة المدنية يرجع الى الاسلام والذي دمج مدنه بطابع أصيل جعلها تتميز بشخصية اقليمية .

ويمكن القول بأن النهضة المدنية في العالم العربي في العصور الوسطى ترجع الى خمسة عوامل رئيسية هي العامل الديني - والحربي - والسياسي - والتجاري والاجتماعي . ويبدو العامل الديني في أن تعاليم الاسلام تحض على حياة التجمع لان فروضه تؤدى أحسن أداء في ظل حياة تجمعية مدنية ، ومن المدن الدينية التي خلقها الاسلام ، فاس ومراكش

والزباط وجدة والنجف وكريلاء. أما العامل الحربى فقد كان من ضرورات الغزو فى البداية فكان لابد من انشاء مراكز عسكرية للسيطرة ومنها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ، وتقع جميعا على هامش الصحراء . أما العامل السياسى فقد كان من التقاليد العربية الشائعة أن كل حاكم أو أسرة حاكمة لارتباطها بأصول قبلية متعادية كانت تحاول القضاء على المدينة العاصمة السابقة بتدميرها أو بهجرها ، وكان هذا العامل من أسباب تعدد المدن الجديدة - كالانتقال من القطائع الى العسكر الى القاهرة .

أما العامل التجارى فقد ساعد على ازدهار المدن ، حيث كان كل النشاط التجارى مركزا بالضرورة فى المدن ، أى فى موانئ الصحراء من ناحية وموانئ البحر من ناحية أخرى (١) ، أما عن العامل الاجتماعى فيبدو أن العرب الغزاة لم يكونوا سكان ريف ، ففى البدء اعتصموا بيوامش الصحراء كامتداد لتاريخهم البيئى السابق وأنشأوا محلات عمرانية للاستقرار بها ، ثم نمت هذه المحلات الى مدن وظلت تحمل اسمها الصحراوى ، فالفسطاط والقيروان كلمتان بمعنى واحد: الخيمة (٢) .

على أن أبرز سمات المدن العربية هو ميلها الشديد نحو المواقع البرية وهنا يبدو الفارق بين المدن الرومانية - على السواحل البحرية - والمدن العربية فى المناطق البرية الداخلية ، وذلك يفسر الانتقال فى الاهمية من أنطاكية الى دمشق فى الشام ومن الاسكندرية الى الفسطاط والقاهرة فى مصر ، ومن قرطاجة الى القيروان فى تونس .

توزيع المدن فى العصر العربى :

أسهم العرب كما ذكرنا فى انشاء مدن جديدة وفى تضخم مدن قائمة ، من الشرق الى الغرب ، ويلاحظ أن العرب بعد فتح العراق رأوا ضرورة تخطيط مدن جديدة كمعسكرات لجيوشهم وقواعد حربية للسيطرة - فكانت البصرة فى سنة ١٦ هجرية (٦٣٧ ميلادية) والكوفة فى ١٨ هـ (٦٣٨ م) وسرعان ما انتقلت وظائف الحكم والادارة اليهما، ثم كانت النجف وكريلاء من المدن الدينية التى ظهرت فيما بعد . ثم أنشئت بغداد على يد أبوجعفر المنصور فكانت أكبر وأهم المدن آنذاك وكان اختيار موضعها نتيجة لبعض العوامل الجغرافية لأن الأطماء المتزايد أغلق الفرات الاسفل عن البحر الى حد كبير ، بينما نهر الدجلة أعلى منسوبها ، وقد وضع أساس بغداد فى سنة ١٤٥ هجرية فى دائرة قطرها ٢ ميلا يتوسطها قصر الخليفة والمسجد

(١) جمال حمدان - جغرافية المدن - القاهرة - ١٩٥٩ - ص ١٠٩ .
(٢) المرجع السابق - ص ١٠٩ .

والدواوين ثم التكنات حولها ويحيط بها سوران وقد أنشئت المدينة على الضفة اليسرى لنهر دجلة ثم مالبثت أن امتدت خارج أسوارها على شكل ضواح كالرصافة على الضفة اليمنى ، كذلك أسس المعتصم مدينة سامرا في سنة ٢٢١ هجرية على بعد ٦٠ ميلا شمال بغداد .

ولكن يلاحظ أنه منذ القرن التاسع بدأت أهمية العراق في التقلص ، ولم يلبث القرن العاشر أن شهد اضمحلال بغداد وانهارها وانتقال الثقل الى الفسطاط ثم القاهرة المعزية .

أما في الشام فبعد أن كانت أنطاكية عاصمة لسوريا البيزنطية وأورشليم أكبر مدن فلسطين البيزنطية أدخل العرب تغييرات جوهرية ، فقد انتقلت العاصمة الى دمشق في سوريا والى الرملة التي أنشأها العرب جديدة في فلسطين ، وأصبحت دمشق مركزا زراعيا وتجاريا وصناعيا ممتازا كذلك ازدهرت موانئ الشام صيدا وعكا وطرابلس واللاذقية وبيروت ويافا وعسقلان .

أما في مصر فقد بدأ العرب بهجر الاسكندرية بعد أن كانت عاصمة لمصر الرومانية والبيزنطية . وسعوا الى موقع داخلي برى - لا يفصله عن بلاد العرب فاصل مائي فكانت الفسطاط على الضفة الشرقية للنيل ثم استحدثت القطائع والعسكر ثم كانت القاهرة .

وقد كان من نتائج هذه التغيرات انحدار مدينة الاسكندرية بدرجة كبيرة وترتب على انحدارها ظهور مدن جديدة تشارك الاسكندرية في تجارة مصر وكانت أهمها القرما ودمياط ورشيد ، كذلك ظهرت أهمية القلزم (السويس) وعيناب على ساحل البحر الاحمر .

أما في المغرب فقد انقسمت جهود العرب في العمران المدنى الى قسمين : انشاء مدن جديدة وتجديد وبعث مدن قديمة موروثه من أيام الرومان ، ومن أمثلة المدن القديمة التي أحيهاها العرب بنزرت الفينيقية الاصل وقسنطينة ومكناس . أما المدن الجديدة فهي كثيرة العدد من أولها مدينة القيروان (الخيمة) التي أنشأها عقبة بن نافع في سنة ٥٠ هجرية في الداخل بعيدا عن الساحل . وعندما ضربت القيروان سنة ١٠٥٢م على يد بنى هلال انتقل المركز الى ضاحية قديمة لقرطاجنة - التي أصبحت منذئذ مدينة تونس والتي نمت نموا هائلا حتى وصل عدد سكانها الى ٢٠٠ ألف نسمة سنة ١٥١٧ ، وكانت بذلك من أكبر المدن الاسلامية .

ومن المدن الدينية الجديدة التى أنشأها العرب فى المغرب العربى تأتى فاس فى المقدمة التى بدأت سنة ٨٠٦ ميلادية وتزايدت أهميتها فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وقيل أن سكانها وصلوا الى ٤٠٠.٠٠٠ نسمة ، كذلك أنشأ الفاطميون الاوائل مدينة المهديّة فى تونس سنة ٩١٦م ، كذلك أسسوا مدينة الجزائر التى أضاف الاتراك اليها كثيرا واتخذوها قاعدة بحرية وعاصمة هامة . وفى المغرب الاقصى أسس المرابطون مدينة مراكش فى القرن الحادى عشر .

ولكن الذى ينبغى أن يذكر فى هذا المجال أن الفترة العربية الوسيطة لم تكن كلها فترة ازدهار مدنى ، بل كانت النهضة الحقيقية مركزة فى القرنين الاول والثانى الهجريين . أما القرون التالية فى العصور الوسطى فكانت فترة جمود ان لم يكن تدهور فعلى . فبالاضافة الى الغزو العثمانى الذى شهده الوطن العربى وأدى الى التأخر السياسى الشديد ، فقد حدث ما يعرف بالثورة التجارية نتيجة كشف طريق رأس الرجاء الصالح وتحول التجارة من البحر المتوسط والشرق العربى الى المحيط الاطلسى وجنوب افريقيا .

وقد أدى ذلك التحول العالمى فى التجارة الى تدهور مدن الوطن العربى وموانئ البحر المتوسط كما أدى الى انكماش معظم المدن - بل واندثار بعضها - وتوقفت تقريبا عملية انشاء مدن جديدة .

وايست هناك أرقام احصائية يعتمد عليها لتوضيح ما أصاب المدن العربية فيما بعد القرن السادس عشر الميلادى سوى بعض الارقام المتفرقة التى ذكرها الرحالة العابرون لبعض المدن ، فغداة الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٠١) كانت مدينة الاسكندرية مثلا قد هوت الى قرية صيد متواضعة لايزيد عدد سكانها على ٨٠٠٠ نسمة أو ربما ٦٠٠٠ نسمة والقاهرة الى نحو ربع مليون نسمة .

وتوضح الارقام التالية تقديرات لحجم سكان بعض المدن العربية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر (١) :

(١) المرجع السابق : ص ١٣١ .

عدد السكان	السنة	المدينة
١٢ر٠٠٠	١٨١٤	القدس
١ر٠٠٠	١٨٦٠	حيفا
٨ر٠٠٠	١٨٢٠	بيروت
٧٧ر٠٠٠	١٨٤٥	حلب
١٥٠ر٠٠٠	١٨٤٩	دمشق
٢٠ر٠٠٠ (عقب وياء)	١٨٣١	بغداد
٢٥٤ر٠٠٠	١٨٤٨	القاهرة
١٣٤ر٠٠٠	١٨٤٨	الاسكندرية
١٢٠ر٠٠٠	١٨٨١	تونس

ومن هذه الارقام يبدو أن معظم هذه المدن كانت أحجامها السكانية ضئيلة للغاية ، رغم أنها بدأت مرحلة انتعاش عمرانى كبير فى منتصف القرن التاسع عشر .

المدن العربية الحديثة :

بدأت المدن العربية مرحلة جديدة فى حياتها فى العصر الحديث وبالتحديد منذ بداية القرن التاسع عشر ، وذلك نتيجة عوامل كثيرة لعل من بينها تزايد أهمية البيئة - من حيث الموقع واستغلال الموارد المتعددة ، وكذلك نتيجة الاحتكاك بين الشرق والغرب مما أدى الى تأثير جوهري على المدن العربية حيث أضيفت اليها مرافق ومصانع ومتاجر وغيرها .

وكان تطور وسائل النقل ونمو التجارة العالمية من العوامل الرئيسية التى أدت الى ظهور عدة مدن جديدة كاستجابة لهذا التحول والتطور ، ومن مدن النقل البارزة بورسعيد والاسماعيلية حيث نشأتا على قناة السويس فى منطقة صحراوية - ومدت اليهما - ترعة الاسماعيلية تحمل المياه العذبة من النيل ، وقد لعبت بورسعيد دورا هاما فى خدمة السفن العابرة بينما قامت الاسماعيلية بتوجيه الملاحة فى القناة ، وزادت هذه المدن فى الأهمية بعد ربطها بالدلتا والقاهرة عن طريق السكك الحديدية والطرق .

ويبدو دور الطرق الحديثة فى الواقع دورا حاسما فى نمو المدن وقيامها ذلك لان وسائل النقل البرى والبحرى والنهرى أدت الى قيام صناعات ضخمة فى القاهرة والاسكندرية ، كما أدت الى تحويل بعض المدن الريفية

الى مدن صناعية (مثل المحلة الكبرى) وخلق مدن متخصصة مثل
كفر الدوار .

كذلك نشأت مدن جديدة وان كانت محدودة العدد ولعل أبرزها مدن
البتروال التي نشأت في صحارى شبه الجزيرة العربية ، وهى مدن رعم
صغر حجمها الا أنها تجمع بين ثناياها مظاهر الحياة المادية العصرية، ومن
هذه المدن ماقام عند حقول النفط - ومنها ما نشأ عند مصبات الانابيب،
ومن المدن البترولية عوالى في البحرين والدخان في قطر وعين دار في
السعودية وغيرها ، وتقع هذه المدن في ظل أبراج البترول وعلى مقربة من
صهاريجها وتضم مساكن للعمال القائمين على انتاج البترول . كذلك قامت
على الساحل موانئ البترول والتي تكون عادة أكبر حجما من مدن
الحقول والانابيب ومنها الاحمدى في الكويت وأم سعيد في قطر والجردقة
في مصر والبريجة في ليبيا .

ومن المدن الجديدة التي شهدها الوطن العربى وتثير في النفس الاسى
والمرارة تلك المدن الاستيطانية الصهيونية في فلسطين ولعل أبرزها تلأبيب
التي لم تكن أكثر من ضاحية ليافا في مطلع القرن العشرين ولكنها منذ
نكبة سنة ١٩٤٨ فاقت يافا حجما وأصبحت تضم هى وضواحيها نحو
مليون وربعم مليون نسمة في الوقت الحاضر (١٩٨٥) .

ويرجع التضخم الحضرى في الاقطار العربية في العقود الاخيرة الى
ثلاثة عوامل رئيسية هى :

١ - معدل الزيادة الطبيعية المرتفع الذى يرجع الى ارتفاع مستوى
الخصوبة وانخفاض معدلات الوفيات في المناطق الحضرية ، وتعد مكونات
النمو الطبيعى فيها مسؤولة عن تزايد السكان بدرجة كبيرة في المدن . وهذه
الظاهرة تجعل المدن العربية مختلفة عن المدن في العالم المتقدم في أوروبا
وأمرىكا الشمالية حيث تنخفض معدلات نموها عن مثيلتها في المناطق
الريفية ، وفي معظم الاقطار العربية فان الزيادة الطبيعية مسؤولة عن
٤٠ - ٥٠ في المائة من حجم النمو السكانى الحضرى (١) .

ب - تزايد معدلات الهجرة الريفية الحضرية : وتسود هذه الظاهرة
في كل الاقطار العربية خاصة في الدول الزراعية . ففي هذه الاقطار يؤدى
الضغط السكانى في المناطق الريفية ونقص الخدمات التعليمية والاجتماعية

(1) Omran, A. R., Op. Cit, p. 102.

وفرص العمالة الى خلق تيارات هجرة نحو المدن حيث تتزايد الخدمات وفرص العيش في مستويات حياتية أعلى ، ويعكس ذلك كله مدى الارتباط بين عوامل الطرد في الريف والجذب في المدن .

ج - الهجرة الدولية الوافدة : ويتمثل هذا العامل في الاقطار البترولية الغنية في شبه الجزيرة العربية وليبيا والعراق ، ولاتقتصر هذه الهجرة على العرب فقط بل تشمل مهاجرين من جنسيات غير عربية خاصة من الهند والباكستان وبنجلاديش وسريلانكا ، وقد أسهم هذا العامل في تزايد معدلات النمو الحضري في الاقطار النفطية في شبه الجزيرة العربية خاصة الكويت والامارات العربية وقطر بدرجة قلما توجد في دول العالم الاخرى .

مستوى التحضر في الوطن العربي :

أصبح التضخم الحضري في العقود الاخيرة من أبرز مشكلات السكان في الاقطار العربية سواء الغنية منها أو الفقيرة ويبدو ذلك بوضوح في تطور نسبة سكان الحضر في الوطن العربي ، ورغم أن هذه النسبة تعد أحد مؤشرات التحديث والتطور لما يتوفر في المدن من خدمات تفوق مثلتها في المناطق الريفية خاصة الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية والاقتصادية ، فان لها جانبا آخر خاصة في الدول النامية ومنها دول الوطن العربي حيث تؤدي زيادة السكان في المدن الى خلق كثير من المشكلات التي تستعص على الحل ، فتعاني المدن العربية في معظمها من غياب خطط حضرية متكاملة تأخذ في الاعتبار مراحل النمو المدني مما أدى الى تفاقم مشكلات المدن والتي تجلت في نقص البنيات الاساسية والخدمات لمواجهة الاحتياجات الاساسية للسكان .

وتختلف الاقطار العربية في معظمها في تعريف المدينة ، ففي بعض الاقطار يعتمد التعريف على الحجم السكاني للتفرقة بين المدينة والقرية ، أو بين الحضر والريف وغالبا ما يتراوح هذا الحجم من ٥٠٠٠ - ١٠.٠٠٠ نسمة ، وفي البعض الاخر يعتمد التعريف على الوظيفة الادارية دون اعتبار لحجم السكان ، ورغم أن ذلك التباين في التعريف يشكل صعوبة في مقارنة مستوى التحضر بين الدولة العربية فان الاعتماد على ما جاء في تعدادات هذه الدول قد يسهم في فهم هذه الظاهرة .

ويوضح الجدول رقم (٦٦) التطور في نسبة سكان المدن في الاقطار العربية في ربع قرن فقط ، ومنه يبدو مدى الطفرة التي شهدتها بعض الاقطار في مستوى التحضر خاصة الاقطار النفطية ذات الحجم السكاني

جدول رقم (٦٦)
نسبة سكان الحضر في الاقطار العربية ١٩٥٠ - ١٩٨٩ (١)

١٩٨٩	(٢)١٩٧٥	١٩٥٠	الاقليم والقطر
٧١	٦٤	٣٥	العراق
٥٠	٤٧	٣٥	سوريا
(*)	٦٠	٤٠	لبنان
٩١	٨٧	(*)	فلسطين المحتلة
٦٧	(٣)٤٤	٣٥	الاردن
٧٦	(٤)٢٥	٩	السعودية
٩٥	٨٤	٥١	الكويت
(*)	٨١	٧١	البحرين
(*)	٨٦	٥٠	قطر
٧٨	٨١	٢٥	الامارات
١٠	(٤)٧	٣	عمان
٢٨	١١	٢	اليمن الشمالي
-	٣٣	٩	اليمن الجنوبي
٤٦	٤٤	٣٢	مصر
(*)	١٨	٧	جيبوتي
٢٢	١٨	٨	السودان
٣٦	(٤)٢٥	(*)	الصومال
٦٩	٦٠	٢٢	ليبيا
٥٤	٥٢	٣١	تونس
٥١	٤١	٢٥	الجزائر
٤٧	٣٥	٢٣	المغرب
٤٥	٢٢	٢	موريتانيا

(١) المصدر :

— Omran, A. R., Op. Cit., p. 160, U.S. Dept. Commerce, Bureau of The Census, World Population 1983.

— البنك الدولي - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩١ - مترجم - صص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

— جامعة الدول العربية معهد البحوث والدراسات العربية - التحضر في الوطن العربي - الجزء الثاني - القاهرة - ١٩٨٠ .

(٢) بيانات ١٩٧٥ هي متوسط الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٨٠ كما وردت في تعدادات الدول .

(٣) الضفة الشرقية فقط .

(٤) سنة ١٩٧٠ .

(*) بيانات غير متوفرة .

الصغير في شبه الجزيرة العربية ، وهى دول مدينة كما سبق القول ويعيش أكثر من أربعة أخماس سكانها في المدن كما في الكويت والبحرين وقطر والامارات العربية .

تعريف المدينة في الاقطار العربية :

لبنان : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ١٠.٠٠٠ نسمة فأكثر .

سوريا : عواصم المحافظات والأقضية والمراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٥٠٠٠ نسمة فأكثر .

الأردن : كل المركز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ١٠.٠٠٠ نسمة فأكثر [باستثناء المراكز العمرانية التى يسكنها لاجئون فلسطينيون فقط] ، وكل عواصم الأقضية بصرف النظر عن حجمها السكانى ، وكل المراكز العمرانية التى يتراوح عدد سكانها من ٥٠٠٠ - ٩٩٩٩ نسمة والتى يعمل ثلثا الذكور العاملين بها في حرف غير زراعية وكذلك ضواحي القدس وعمان .

السعودية : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٥٠٠٠ نسمة فأكثر .

الكويت : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ١٠.٠٠٠ نسمة فأكثر .

البحرين : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ١٥٠٠ نسمة فأكثر .

اليمن الشمالى : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٢٠٠٠ نسمة فأكثر .

اليمن الجنوبي : مدينة عدن العاصمة - والمراكز الحضرية المحيطة بها ، وغيرها من المدن الأخرى . ويتركز تعريف الحضر على الوظيفة الادارية وليس الحجم والتركز الاقتصادى .

مصر : محافظات القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والشماعيلية والسويس ومحافظات الحدود ، وعواصم المحافظات الأخرى ، وكذلك عواصم المراكز (أى الأقسام الادارية للمحافظات) .

السودان : المراكز العمرانية ذات الأهمية الادارية و/أو الأهمية التجارية أو تلك التى يبلغ حجم سكان كل منها ٥.٠٠٠ نسمة فأكثر .

ليبيا : مدن طرابلس وبنغازى اضافة الى الاجزاء الحضرية لمدينتى
البيضا ودرنة .

تونس : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٢٠٠٠ نسمة
فاكثر .

الجزائر : كل عواصم الولايات والكوميونات و ١٦ مركز عمرانى
ثانوى (مجموع المراكز ٢٢٢ مركزا) .

المغرب : البلديات والمراكز ذات الادارة الذاتية والمراكز الاخرى .
موريتانيا : المراكز العمرانية التى يبلغ عدد سكان كل منها ٥٠٠٠ ر.
نسمة فاكثر .

وقد نمت كثير من المدن العربية نموا كبيرا فى العقود الثلاثة الاخيرة
وذلك من خلال عاملى الهجرة الوافدة والزيادة الطبيعية وأدى ذلك الى
تغير كبير فى مورفولوجيتها ، فقد أنشئت كثير من الضواحي الحديثة التى
تختلف فى مظهرها عن الحى السكنى القديم فى المدينة اختلافا كبيرا وتكون
مقرا لسكنى الطبقة الحضرية الجديدة ، وفى نفس الوقت شهدت تلك المدن
ظهور مناطق عمرانية سيئة Slums وتوابع رديئة Shanty - Towns نتيجة
تدفق المهاجرين من المناطق الريفية والذين يضيفون الى المدينة عبئا
اضافيا .

وقد تميز العمران الحضرى بنموه السريع للغاية خاصة فى المدن
الكبرى فقد نمت الدار البيضاء مثلا من بلدة صغيرة الى مدينة كبيرة
سكانها قرابة نصف مليون نسمة وذلك فى ٥٠ عاما فقط ونمت بغداد من
١٠٥٦٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٧ الى ١٧٤٥٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٦٥ ، ثم
الى ٣٢ مليون سنة ١٩٨٤ وتضاعف سكان القاهرة بين ١٩٤٧ - ١٩٦٦
ثم وصل الى ١٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٤ وأصبحت عمان فى سنة ١٩٦٦
أكبر عما كانت عليه فى الثلاثينات بحوالى عشر مرات ووصل سكانها - مع
ضواحيها الى نحو مليون نسمة سنة ١٩٨٤ .

ومن الحقائق الهامة والبارزة المرتبطة بمقارنة سكان الحضر فى الدول
العربية أن أكثر من ثلث السكان يعيشون فى المدن (حسب التعريف المحلى
لكل دولة) وهى بذلك تتفوق على كثير من دول جنوب وجنوب شرق
وشرق آسيا - أو افريقيا المدارية وذلك بالرغم من انخفاض نسبة سكان
المدن فى اليمن وسلطنة عمان انخفاضاً كبيراً كذلك فإنه يبدو أن نسبة سكان
الحضر تتناسب تناسباً عكسياً مع حجم سكان الدول من ناحية كما ترتبط

بأهمية القطاع الاقتصادي الحديث في كل دولة من ناحية أخرى . ولذلك فإن هناك بعض الدول التي تزايدت نسبة التحضر فيها أكثر من الدول التي تميزت بعمران حضري قديم ، فليبيا على سبيل المثال تتميز بنسبة عالية من سكان الحضر أكثر من المغرب وتونس واللتان تتميزان بعمران مدنى قديم . أما الاردن فإن تدفق اللاجئين عليه أدى الى ارتفاع نسبة سكان الحضر به وكذلك فإن هناك بعض الدول التي تقل قبيها نسبة سكان الحضر في الوقت الذى تتميز فيه بوجود مدن كبرى مثل المغرب التي تقل بها هذه النسبة عن الجزائر مثلا ولكنها تتميز بوجود عدد كبير من المدن ففي سنة ١٩٦٦ كان بها ١٠ مدن كبرى (أكثر من ١٠٠,٠٠٠ نسمة لكل منها) مقابل ثلاث مدن بالسعودية من نفس الفئة الحجمية وفي دول مثل مصر والكويت والعراق وفلسطين المحتلة . فإن المدن الكبرى (فئة ١٠٠,٠٠٠ فأكثر) تحوى أكثر من ٣٠% من اجمالى السكان وفي الجزائر وليبيا وسوريا تحوى من ٢٠ - ٣٠% .

ومن الظاهرات الهامة في توزيع سكان المدن في الدول العربية تركز السكان في مدينة كبيرة أو مدينتين كبيرتين حتى أنه في بعض الاحيان ما تعانى المدن الكبرى من تزايد وضغط سكانيين أكثر من المدن المتوسطة أو الصغيرة الحجم وذلك لما يتوفر للمدن الكبرى من مميزات حضارية وتاريخية يجعلها مراكز قوية للهجرة الوافدة . فالقاهرة بسكانها الذين بلغ عددهم ١٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٤ كانت ضمن أكبر ٢٠ مدينة في العالم وتحوى نحو ربع عدد السكان في مصر ، وبالإضافة الى ذلك فإن بغداد بمفردها تضم ٢١% من اجمالى سكان العراق سنة ١٩٨٤ . (جدول رقم ٦٧) .

وفي سنة ١٩٧٠ كان بالوطن العربى ٣٣ مدينة كبيرة (سكان كل منها ٢٠٠,٠٠٠ نسمة فأكثر) وثلاث هذا العدد يوجد في دولتين هما مصر (٧) والمغرب (٥) ، وبصفة عامة فإن نمو المدن الكبرى في الوطن العربى يكون بمعدل أكبر من مثيله للمدن الصغرى ، ويتجلى ذلك بوضوح في الموانىء والعواصم مثل البصرة وبيروت وبنغازى وطرابلس وعمان والرياض والاسكندرية والقاهرة .

على أن الملاحظة الرئيسية في توزيع أحجام المدن العربية كما ظهرت في الجدول رقم (٦٧) أن هناك ميلا لتركز السكان في مدينة كبيرة أو مدينتين كبيرتين - وينطبق ذلك على كل الدول العربية تقريبا ، حتى أن هناك في بعض الاحيان ما يعرف بالتركز الزائد Over-concentration في المدن

جدول رقم (٦٧)
نسبة سكان المدينة في دول الوطن العربي (١٩٨٤) (١)

الاقليم والدولة	عدد سكان أكبر مدينة	% من سكان الدولة
دول الهلال الخصيب :		
العراق	٣٢٠٠٠٠٠	٢١ر٣
سوريا	٩٥٠٠٠٠	٩ر٦
لبنان	٩٥٠٠٠٠	٣٤ر٦
فلسطين	١٢٦٠٠٠٠	٢٨ر٥
الاردن	١٠٠٠٠٠٠	٢٩ر٨
شبه الجزيرة العربية :		
السعودية	٤٠٠٠٠٠٠	٣ر٧
الكويت	٧٥٠٠٠٠٠	٥٥ر٣
البحرين	١١٠٠٠٠٠	٢٦ر٢
الامارات	٣٥٠٠٠٠٠	٢٦ر٩
عمان	٦٠٠٠٠٠٠	٥ر١
اليمن	٥٩٠٠٠٠٠	١٦ر٨
وادي النيل والقرن الافريقي :		
مصر	١٢٠٠٠٠٠٠	٢٦ر٢
السودان	١٥٠٠٠٠٠٠	٧ر١
جيبوتي	٢٠٠٠٠٠٠	٥٧ر١
الصومال	٥٠٠٠٠٠٠	٩ر١
ليبيا والمغرب العربي :		
ليبيا	٩٠٠٠٠٠٠	٢٥ر٧
تونس	١٢٠٠٠٠٠٠	١٧ر٠
الجزائر	٢١٦٥٠٠٠٠	١٠ر٢
المغرب	١٩٦٠٠٠٠٠	١٠ر٠
موريتانيا	١٥٠٠٠٠٠٠	٨ر٢

(١) المصدر :

Atlasco, 1985; Images Economiques du Monde, 1983.

الاولى Primate Cities - ويرجع ذلك الى عوامل عدة من أبرزها طبيعة الحياة المدنية في عواصم الدول العربية مثل بيروت والقاهرة والدار البيضاء ، والتناقض الكبير بينها وبين المدن الاقليمية الداخلية ، ومن هنا تتضح هذه المدن باستمرار على حساب الاقاليم الاخرى وهي الاقاليم الريفية . ففي سنة ١٩٦٦ ، كانت القاهرة في المرتبة الخامسة عشرة بين أكبر مدن العالم - كما كانت تحوى مع الاسكندرية أكثر من خمس جملة السكان في مصر كذلك حوت بغداد ٢١٪ من سكان العراق ، ويتطبيق نظرية المدينة الاولى المهيمنة Primate City نجد أنها تبدو بوضوح في معظم الدول العربية وخاصة العراق وتونس ومصر وليبيا والكويت وسوريا (حيث تكون المدينة الاولى أكبر بكثير من المدينة الثانية - ومن الثالثة ومن الرابعة وهكذا) - وسندرس هذه الظاهرة في الجزء التالى مباشرة.

الفصل السابع

بعض الجوانب الديموغرافية للنمو السكاني

في مصر

بعد التزايد السكاني في مصر من أخطر التحديات التي تواجه جيلنا الحالي بل والجيل القادم ، ذلك لانه أساس لكثير من مشكلات المجتمع المصرى سواء ما كان منها مرتبطا بالانتاج أو بالخدمات أو بالاستهلاك أو بالجوانب المتعددة لهذه العناصر الحيوية ، ولاتشذ مصر في ذلك عن دول كثيرة في العالم النامى ، بل ان العناصر التي أدت الى تزايد السكان في مصر تزايداً أوصلهم الى «مرحلة الانفجار» لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في كثير من الدول النامية والتي بدأت تدرك أن التحدى الحقيقى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها يكمن في ارتفاع معدلات النمو السكاني ارتفاعاً لا يواكبه نمو مماثل في معدلات الانتاج الاقتصادى ، وقد انعكس ذلك على انخفاض تصيب الفرد في كثير من عناصر الاستهلاك والخدمات في الوقت الحاضر مما يهدد باستمرار انخفاض المستوى العيشى في المستقبل لو لم يكن هناك جهد يبذل للتحكم في معدلات النمو السكاني المرتفعة .

ايقاع النمو ومكوناته :

مر النمو السكاني في مصر في العصر الحديث بمراحل مختلفة (جدول رقم ٦٨) و (شكل رقم ٥٢) وذلك منذ الحملة الفرنسية عندما قدر أحد علمائها (جوهار) سكان مصر بحوالى ٢ر٥ مليون نسمة واستمر هذا العدد ثابتاً لمدة تقرب من عشرين سنة وحتى سنة ١٨٢١ ، ومعنى ذلك أن معدلى المواليد والوفيات كانا متعادلين وبالتالي كان المجتمع متوقفاً دون أن تضاف الى هيكله السكاني أعداد جديدة . وبدأ المنحنى السكاني الثابت منذ بداية القرن التاسع عشر في التزايد بعد سنة ١٨٢١ ، حيث ارتبط ذلك بالتغير في التركيب الاقتصادى للبلاد والذي عرف بالانقلاب الزراعى في عهد محمد على حيث كان الفلاحون يستحثون حثاً على الزواج المبكر والانجاب السريع، وقد قدر عدد السكان في سنة ١٨٤٦ بحوالى ٤ر٦٧٠٠٠

نسمة وواصلوا نموهم ليصلوا الى ٦٨٠٩٧٢٧ر نسمة في سنة ١٨٨٢ ثم
٩٧٤٨٩٠٦ر نسمة في سنة ١٨٩٧ .

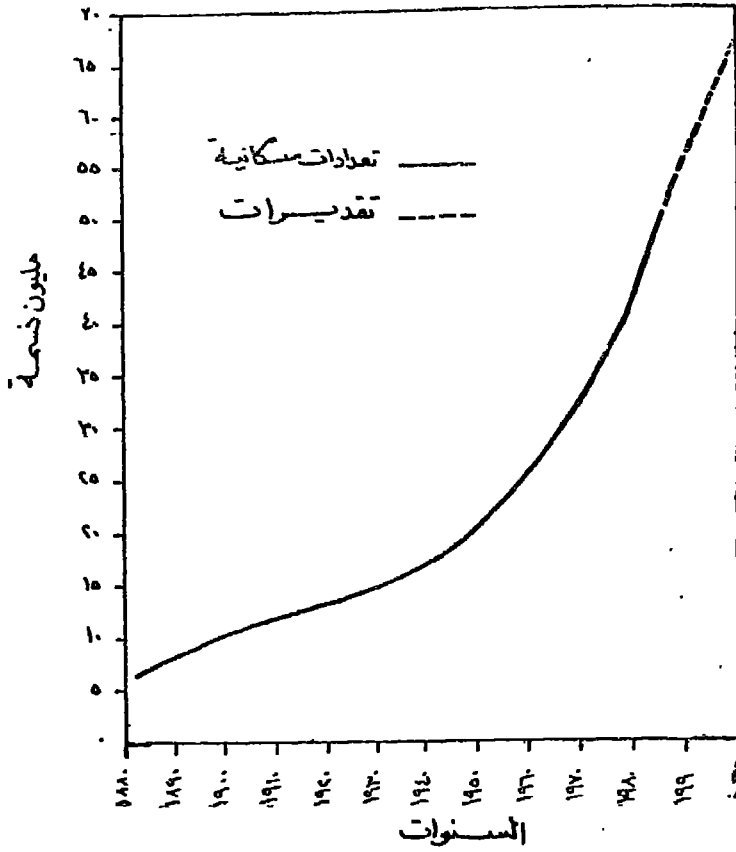
والارجح أن تزايد السكان رغم سرعته النسبية خلال الفترة المذكورة
كان أبطأ من الامكانيات الاقتصادية ، كما يبدو أن الوضع ظل هكذا حتى
نهاية القرن الماضى ، ويؤكد هذا التزايد المساحة المزروعة من ٢٠٣٢ر٠٠٠
فداناً سنة ١٨٢١ الى ٤٧٤٣ر٠٠٠ فداناً في سنة ١٨٧٧ ثم الى ٥٠٨٨ر٠٠٠
فداناً سنة ١٨٩٧ - أى أن تلك المرحلة كانت أعظم مرحلة شهدتها مصر
الحديثة في التوسع الافقى وما ارتبط بها من انشاء مشروعات الري
الاساسية كاتمام قناطر الدلتا سنة ١٨٨٤ ، ١٨٩١ ، ثم اقامة خزان أسوان
سنة ١٩٠٢ (١) .

جدول رقم (٦٨)

تطور سكان مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩٨٦

معدل النمو السنوى في الفترة	جملة عدد السكان	تاريخ التقدير أو التعداد	تقدير
—	٢٥٠٠ر٠٠٠	(٢)١٨٠٠	تقدير
٠ر١٤	٢٥٣٦ر٠٠٠	(٣)١٨٢١	تقدير
٢ر٣٠	٤٤٦٧ر٠٠٠	(٤)١٨٤٦	تقدير
١ر١٨	٦٨٠٩٧٢٧	١٨٨٢/ ٥/ ٣	تعداد
٢ر٤٣	٩٧٤٨٩٠٦	١٨٩٧/ ٥/ ٣	تعداد
١ر٤٤	١١٢٨٧ر٣٥٩	١٩٠٧/ ٦/ ٣٠	تعداد
١ر٣٢	١٢٧٥٠ر٩١٨	١٩١٧/ ٣/ ٧	تعداد
١ر٠٩	١٤٢١٧ر٨٦٤	١٩٢٧/ ٢/ ٩	تعداد
١ر١٤	١٥٩٣٢ر٦٩٤	١٩٣٧/ ٣/ ٢٧	تعداد
١ر٧٥	١٩٠٢١ر٨٤٠	١٩٤٧/ ٣/ ٢٧	تعداد
٢ر٣٣	٢٦٠٨٥ر٣٢٦	١٩٦٠/ ٩/ ٢٠	تعداد
٢ر٣١	٣٦٦٢٦ر٢٠٤	١٩٧٦/ /	تعداد
٢ر٨٠	(٥)٥٠٤ر٥٥٠٤٩	١٩٨٦/ ١١/ ١٧	تعداد

- (١) جمال حمدان - شخصية مصر - القاهرة - ١٩٧٠ - ص ٣٥٠ .
- (٢) تقدير الحملة الفرنسية .
- (٣) التقديرات حسب كشوف الممولين .
- (٤) التقدير حسب تعداد المساكن .
- (٥) بما فيهم عدد المصريين بالخارج وقدرهم ٢ر٢٥٠ر٠٠٠ نسمة .



شكل رقم (٥٢)
تطور عدد السكان في مصر في القرن العشرين

وبعد أن تضاعف عدد السكان حوالي أربع مرات في خلال القرن التاسع عشر في خلال ثلاثة أرباع القرن فقط (من 1821 - 1897) بدأ منحنى النمو في الهبوط فيما بعد ذلك حتى وصل الى حده الأدنى فيما بين سنتي 1917 - 1927 ثم بدأ في التزايد التدريجي بعد ذلك وببطء حتى الحرب العالمية الثانية ، والتي تزايد منحنى النمو السكاني بعدها تزايداً كبيراً لتبدأ مرحلة جديدة في دورة النمو تتميز بالمنحنى المتزايد الصاعد الذي أوصل السكان الى حالة الانفجار الديموغرافي الخطير الذي تعيشه مصر في الوقت الحاضر .

وإذا أردنا أن نحدد مراحل الدورة الديموغرافية ، فإنه يمكن القول

بان مصر ظلت في المرحلة البدائية من هذه الدورة حتى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، حيث تميز منحى النمو السكانى في هذه الفترة بالثبات مما يوحى بان معدل النمو الناتج عن الفرق بين المواليد والوفيات كان ضئيلا للغاية بل لا يكاد يذكر، ومعنى ذلك أن معدلى المواليد والوفيات كانا متساويين تقريبا ، وان أعوزتنا البيانات للتدليل على ذلك فيما عدا التقديرات السكانية التى يمكن استنتاج هذه الحقيقة منها .

وبعد هذه المرحلة البدائية دخلت مصر مرحلة الشباب الاولى منذ أوائل الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، والتى تميزت ببداية الثورة الزراعية والاقتصادية التى أسهمت في زيادة النمو السكانى زيادة واضحة ، والارجح أن معدلات المواليد قد تزايدت في هذه الفترة تزايدا واضحا ، كذلك كان لادخال بعض وسائل الطب الحديثة ضد الاوبئة أثر في خفض معدلات الوفيات خفضا عكسته أرقام النمو السكانى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وذلك بالرغم من أن الحروب والايوبئة التى شهدتها مصر على امتداد هذا القرن قد ابتلعت نسبة كبيرة من السكان(١) .

على أن مرحلة الشباب الديموغرافية الاولى التى عاشتها مصر في القرن التاسع عشر قد بدأت تستقر في النصف الاول من القرن العشرين ، فقد بدأ معدل النمو السكانى في التناقص الواضح بدرجة أوحث للكثير من الباحثين في العشرينيات والثلاثينيات بل وفي الاربعينيات أن سكان مصر سيستغرقون فترة طويلة قد تصل الى نصف قرن لكى يتضاعفوا مرة واحدة .

ومن أرقام الجدول رقم (٦٩) وشكل رقم (٥٣) يمكن القول بان الزيادة الطبيعية للسكان كانت قليلة وذلك للفارق الضئيل بين معدلى المواليد والوفيات ، بل ان احدى السنوات (١٩١٨) قد شهدت نقصا طبيعيا حيث فاقت أعداد الوفيات أعداد المواليد ، وقد كان لانتشار بعض الاوبئة في هذه السنة أثر واضح في ذلك مثل الحمى الاسبانية والتى كانت وباء عاما في مصر في سنتى ١٩١٨ ، ١٩١٩(١) .

وقد استمر معدل الزيادة السكانية قريبا من ١٥ في الالف على امتداد حوالى نصف قرن وحتى سنة ١٩٥٠ - عندما دخلت مصر مرحلة الشباب

(1) Clot bey, A. B. Apercu General Sur L'Egypte T. I., p. 170.

(١) أ - محمد محمود الصياد - سكان البحيرة في خمسين عاما (١٨٩٧ - ١٩٤٧) مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة - المجلد الثالث عشر الجزء الاول - ص ١١٢ .
ب - راجع أرقام السنوات المذكورة في نشرة الاحصاءات الحيوية .

الديموغرافية الثانية وبمعدل متزايد بلغ أقصاه في سنة ١٩٨٥ حيث وصل معدل النمو السكاني الى ٣٠ر٤ في الالف سنويا .

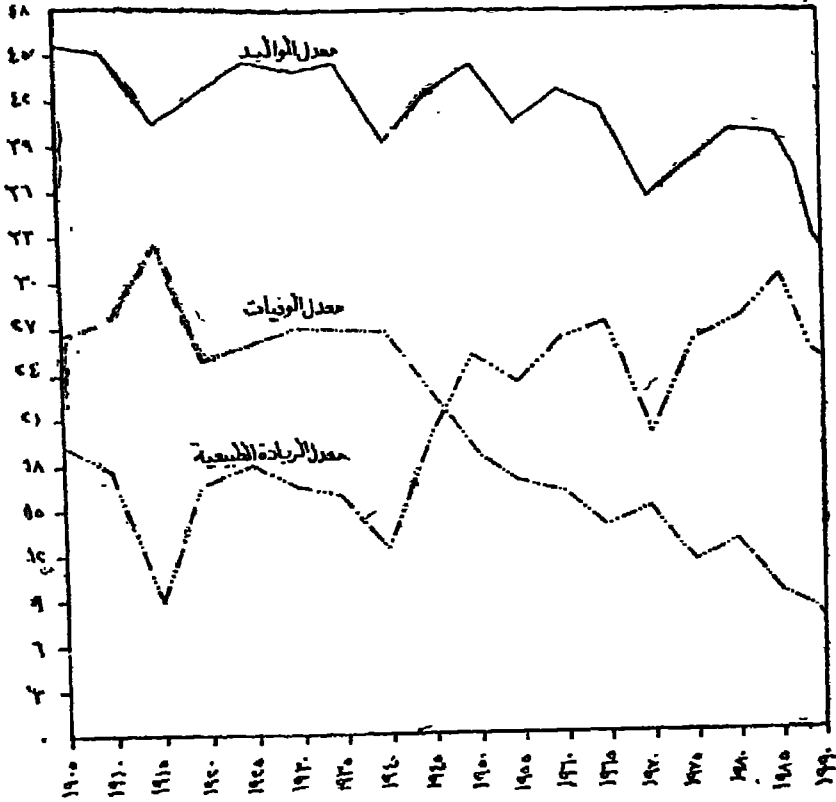
جدول رقم (٦٩)

تطور معدل المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في مصر
(متوسط كل خمس سنوات حتى ١٩٦٤) (في الالف)(١)

معدل الزيادة الطبيعية	معدل الوفيات	معدل المواليد	السنوات
١٩ر١	٢٦ر٦	٤٥ر٧	١٩٠٩ - ١٩٠٥
١٧ر٤	٢٧ر٦	٤٥ر٠	١٩١٤ - ١٩١٠
٨ر٨	٣٢ر٥	٤١ر٣	١٩١٩ - ١٩١٥
١٦ر٨	٢٥ر٨	٤٢ر٦	١٩٢٤ - ١٩٢٠
١٧ر٩	٢٦ر٠	٤٣ر٩	١٩٢٩ - ١٩٢٥
١٦ر٦	٢٧ر١	٤٣ر٧	١٩٣٤ - ١٩٣٠
١٥ر٩	٢٦ر٩	٤٢ر٨	١٩٣٩ - ١٩٣٥
١٢ر٦	٢٦ر٨	٣٩ر٤	١٩٤٤ - ١٩٤٠
١٩ر٤	٢٣ر٠	٤٢ر٤	١٩٤٩ - ١٩٤٥
٢٥ر١	١٨ر٧	٤٣ر٧	١٩٥٤ - ١٩٥٠
٢٣ر٦	١٦ر٩	٤٠ر٥	١٩٥٩ - ١٩٥٥
٢٦ر٢	١٦ر٣	٤٢ر٦	١٩٦٤ - ١٩٦٠
٢٧ر٤	١٤ر٠	٤١ر٤	١٩٦٥
٢٠ر٠	١٥ر١	٣٥ر١	١٩٧٠
٢٦ر٠	١١ر٧	٣٧ر٧	١٩٧٥
٢٧ر٣	١٢ر٩	٤٠ر٢	١٩٨٠
٣٠ر٤	٩ر٤	٣٩ر٨	١٩٨٥
٢٨ر٣	٩ر١	٣٧ر٤	١٩٨٧
٢٥ر٢	٨ر١	٣٣ر٣	١٩٨٩
٢٤ر٧	٧ر٥	٣٢ر٢	١٩٩٠

(١) المصدر:

- ١ - مصلحة الاحصاء والتعداد : الاحصاءات الحيوية السنوية حتى سنة ١٩٦١ .
- ٢ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، احصاءات المواليد والوفيات سنة ١٩٦٢ وما بعدها .



شكل رقم (٥٣)

تطور معدل المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في القرن العشرين
(متوسط كل خمس سنوات) في الالف

وقد كانت مرحلة الشباب الديموغرافية الثانية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لمجموعة من العوامل أهمها التغير الجذري الذي شهده الاقتصاد المصرى وخاصة بعد سنة ١٩٥٢ حيث بدأت الثورة في تبنى سياسة اقتصادية تهدف الى التوسع الرأسمى والافقى في الزراعة وكذلك تحقيق عدالة في ملكية الارض الزراعية ، ثم انشاء قاعدة صناعية كبيرة أسهمت في تنوع مظاهر الانتاج الاقتصادى المصرى ، وقد صاحب ذلك جهود ملموسة لرفع المستوى الصحى وتوسيع قاعدة المستفيدين بالخدمات الصحية في الريف والحضر مما أسهم في خفض معدلات الوفيات انخفاضها واضحا من ٢٧.٧ في الالف سنة ١٩٤٥ الى ١٤.٠ في سنة ١٩٦٥ ثم الى ٧.٥ في الالف سنة ١٩٩٠ ، وتستمر معدلات الوفيات في الهبوط بعد ذلك

وخاصة في الاعمار المبكرة التي تعد أكثر الاعمار تأثرا بالتقدم الصحى
والتي يمثلها معدل وفيات الاطفال الرضع الذى هبط هبوطا كبيرا من
١٥٣ فى الالف سنة ١٩٤٥ الى ١٣٦ فى سنة ١٩٥٥ ثم الى ٧٣ سنة ١٩٨٥ .

وفى الوقت الذى استمر فيه معدل الوفيات فى الهبوط التدريجى بقيت
نسبة المواليد ثابتة تدور حول الرقم ٤٠ فى الالف سنويا وان كانت الارقام
تشير الى هبوط فى معدل المواليد بعد سنة ١٩٦٥ حيث هبط الى ٣٧٫٧ فى
الالف فى سنة ١٩٧٥ ثم الى ٣٧٫٤ فى الالف سنة ١٩٨٧ و ٣٢٫٢ فى الالف
سنة ١٩٩٠ مما يوحى بانخفاض واضح فى هذا المعدل بلغت نسبة الربع
تقريبا على امتداد ربع قرن (١٩٦٥ - ١٩٩٠) .

ويرجع هذا الهبوط فى معدل المواليد الى عوامل التغير الاجتماعى
والاقتصادى التى شهدتها البلاد فى العقود الثلاثة الاخيرة والتى تجلت فى
ارتفاع السن الوسيطة عند الزواج للذكور من ٢٥٫٩ سنة فى عام ١٩٦٠ الى
٢٧٫٩ سنة فى عام ١٩٨٦ ، وللاناث من ١٩٫٨ سنة الى ٢١٫٨ سنة فى
هاتين السنتين ، ويتمشى هذا الاتجاه مع التطور الاجتماعى الذى تمر به
البلاد وازدياد اقبال الاناث على التعليم حتى مراحل متقدمة وزيادة عمالة
المرأة فى مختلف المجالات وانخفاض نسبة الامية بصفة عامة (انخفضت
من ٥٧٪ الى ٣٨٪ للذكور ومن ٨٤٪ الى ٦٢٪ للاناث بين عامى ١٩٦٠
و ١٩٨٦ على الترتيب) .

وبالاضافة الى ذلك فقد نجم هبوط معدل المواليد عن الاخذ بنظام
تنظيم الاسرة الذى تبنته الدولة سياسة رسمية فى سنة ١٩٦٥ ، ومن الصعب
الحكم على فعالية برنامج تنظيم الاسرة وتحديد دوره بدقة فى هبوط
معدل المواليد حيث أن ذلك أمر معقد يصعب تحقيقه على مستوى
القطر كله .

ولكن من الثابت أن تنظيم الاسرة فى مصر قد اكتسب قيمة كبرى فى
ثقافة المجتمع ونجح على الاقل فى خلق وعى قومى بالمشكلة السكانية أكثر
مما كان عليه الامر من قبل . ورغم المشكلات التى تعترض الوصول
بمشروع تنظيم الاسرة الى أهدافه المرجوة والتى سبق التخطيط لها فان
نسبة الاناث المتزوجات اللاتى يستخدمن وسائل تنظيم الاسرة فى تزايد
مستمر تدل عليه بيانات المجلس القومى للسكان فقد زادت هذه النسبة
من ٣٠٪ سنة ١٩٨٤ الى ٣٨٪ سنة ١٩٨٨ وتقدر أنها وصلت الى نحو ٥٠٪
سنة ١٩٩٠ . (تقدير المجلس القومى للسكان) .

ومن ذلك يبدو أن مرحلة الشباب الديموغرافية الثانية التى شهدتها مصر منذ أوائل الخمسينات والتى تميزت بمعدل مواليد مرتفع وبمعدل وفيات منخفض ومن ثم بتزايد سكانى كبير - هى التى أوصلت البلاد الى مرحلة الانفجار السكانى التى تعيشها الان والتى تتمثل فى أن المتوسط السنوى لعدد المواليد الاحياء بلغ فى السنوات الاخيرة ١٨٥٠.٠٠٠ رافلا فى حين أن متوسط عدد الوفيات وصل الى ٤٤٠.٠٠٠ حالة - ومعنى ذلك أن سكان مصر يزيدون زيادة طبيعية مطلقة تصل الى ١٤١٠.٠٠٠ نسمة سنويا (أو ١١٧٥٠٠ كل شهر أى ٣٨٦٠ فى اليوم أى ١٦٠ فرد كل ساعة أى ٦ أفراد كل دقيقتين) .

وقد أجريت تقديرات لسكان مصر فى المستقبل اعتمادا على مكونات النمو السكانى فى عقد الثمانينات واحتمالاته المستقبلية ، وتبنت هذه التقديرات شعبة السكان بهيئة الامم المتحدة . وتشير هذه التقديرات الى أن سكان مصر سيصلون الى ٦٦٧ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ ثم الى ٩٤ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ بفرض ثبات الفروض التى اعتمدت عليها هذه التقديرات ، وبذلك سيكون ترتيب مصر على المستوى العالمى فى المركز السابع عشر بعد أن كان فى المركز الحادى والعشرين سنة ١٩٨٥ .

العوامل الكامنة :

سبق القول أن الانفجار السكانى فى مصر مابعد الحرب العالمية الثانية قد نتج بالدرجة الاولى عن استمرار ثبات معدل المواليد وتراوحا بين ٣٨ و ٤٢ فى الألف - فى الوقت الذى اعتدى فيه معدل الوفيات هبوط واضح - اتسعت بسببه الهوة بين المعدلين وبالتالي ارتفع معدل الزيادة الطبيعية - وتلك سمة جوهرية من سمات مرحلة الشباب فى الدورة الديموغرافية للمجتمعات .

وخصوصية السكان فى مصر مرتفعة اذا قورنت بغيرها من الدول ، فيقرب معدل المواليد بها ضعف نظيره فى الولايات المتحدة الامريكية التى يبلغ المعدل بها ١٧ فى الألف وأكثر من ثلاثة أمثال المعدل فى اليابان (١٠) والبرازيل (١٠) وايطاليا (١٠) ونحو ثلاثة أمثال معدلات كثير من الدول الاوروبية مثل فنلنده (١٣) وتشيكوسلوفاكيا (١٣) وفرنسا (١٤) والمانيا (١١) والمجر (١٢) .

ويرجع ارتفاع معدل المواليد فى مصر الى مجموعة من العوامل المتشابهة والمتبادلة والتى ترتبط بالهيكل الاجتماعى والاقتصادى للسكان ،

مثل انخفاض المستوى التعليمى وارتفاع معدلات وفيات الاطفال الرضع وزيادة العدد الذى يرغب فى انجابه الابوان خاصة من الاطفال الذكور نتيجة الظروف البيئية المختلفة .

وتختلف الخصوبة حسب أعمار الاناث اختلافا كبيرا - ويبدو ذلك فى دراسة معدلات الخصوبة العمرية النوعية والتي يوضحها الجدول رقم (٧٠) وهى عبارة عن نسبة خصوبة الاناث حسب العمر - والتفرض الاساسى من نسبة عدد مواليد كل فئة عمرية الى الاناث فى نفس الفئة هو محاولة تحديد اختلاف الاناث فى الخصوبة حسب الاعمار لان فترة الحمل لاتساوى فيها قدرة المرأة على الانجاب طوال سنوات هذه الفترة التى تبدأ من سن البلوغ وتنتهى عند سن اليأس وذلك فيما بين الخامسة عشرة الى سن الخمسين أو حول هذه السن .

جدول رقم (٧٠)

معدل الخصوبة العمرية الخاصة فى مصر سنة ١٩٦٠ و ١٩٨٦

النسبة المئوية من الجملة سنة ١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٦٠	فئات السن والسنة
١٧	٢١	٣٤	١٩ - ١٥
١٧٧	٢٠٥	٢١٨	٢٤ - ٢٠
٣٠٠	٣٤٢	٣٤٣	٢٩ - ٢٥
٢٤٠	٢٧٨	٣٦٦	٣٤ - ٣٠
١٧٠	١٩٥	١٩٥	٣٩ - ٣٥
٧٠	٨١	٥٨	٤٤ - ٤٠
٣٠	٣٥	١٨	+ ٤٥
١٠٠٠	٥٨	٦٢	متوسط عدد الاطفال للمرأة

ومن هذا الجدول يبدو أن أكثر الفئات العمرية اسهاما فى الانجاب هما فئتا العمر ٢٥ - ٣٤ حيث تسهمان بنحو ٥٧٥% من جملة المواليد، ومعنى ذلك أن أكثر من نصف عدد المواليد تنجبهن اناث واقعات بين العمرين ٢٥ - ٣٤ ويقل المعدل بوضوح فى بداية المنحنى ونهايته فى فئتى العمر (١٥ - ١٩) ، (٤٥ +) ، ولذلك فإن التشكير فى رفع السن القانونية ازواج الانثى من ١٦ الى ١٨ سنة لن يكون ذا تأثير كبير فى خفض معدلات المواليد وينبغى التركيز على العوامل الاخرى المؤثرة فى الخصوبة والتي

يعد التعليم أحدها وخاصة للاناث اللاتي يعتبرن المواطن الحقيقي للخصوبة كما وأن متوسط السن عند الزواج للانثى قد وصل الى ٢١ر٨ في سنة ١٩٨٦ ويحتمل أن يكون هذا المتوسط قد تزايد بعد ذلك تمشيا مع التطور الاجتماعى والاقتصادى الذى تمر به البلاد وازدياد اقبال الفتيات على التعليم وارتفاع اسهام المرأة فى سوق العمل اسهاما واضحا . ومن المعروف أن تعليم المرأة يعد عنصرا من العناصر المؤثرة فى الخصوبة حيث أن المرأة المسلمة أكثر فهما لتنظيم الاسرة وايماننا بأهميته وجدواه ومن ثم فهي أكثر اقبالا على اتباع وسائله .

وليست الخصوبة بمركباتها المتعددة العامل الرئيسى فى النمو السكانى فى مصر ، بل ان الوفيات تعد العنصر الرئيسى الاخر ، والذى أسهم هبوطه فى ارتفاع نسبة الزيادة السنوية ، ويرجع معظم الهبوط الى انخفاض معدل الوفيات بين الاطفال الرضع (أقل من سنة) والتي تشكل ثلث حالات الوفيات الاجمالية وقد انخفض المعدل من ١٦١ لكل ألف مولود حتى فى سنة ١٩٣٥ الى ١٥٢ فى سنة ١٩٤٥ ثم الى ١٣٦ فى سنة ١٩٥٥ . و ٨٥ فى سنة ١٩٧٦ (١) وتدل الظواهر أنه فى الطريق الى الانخفاض بعد ذلك نتيجة تنفيذ كثير من المشروعات الصحية وخدمات الطفولة بصفة عامة ، ولهذا الانخفاض فى معدل الوفيات فى الأعمار المبكرة أثر مزدوج على الهيكل الديموغرافى فى مصر ، فهو يزيد حجم المجتمع زيادة مباشرة فيما يعرف باتساع قاعدة الهرم السكانى له كما يزيد فى عدد الاناث اللائى يسهمن فى المواليد بعد ذلك عند وصولهن الى سن الانجاب ، وقد ارتبط ذلك بارتفاع أمد الحياة عند المولد للفرد فى مصر على النحو التالى :

السنة	ذكور	اناث	السنة	ذكور	اناث
١٩٣٧	٣٥ر٦	٤٢ر١	١٩٦٠	٥١ر٦	٥٣ر٨
١٩٤٧	٤١ر٤	٤٧ر٠	١٩٨٦	٥٨ر٥	٦٠ر٠

كذلك ارتبط بزيادة نسبة صغار السن فى المجتمع (أقل من ١٥ سنة) والتي ارتفعت من ٣٩ر١% من جملة السكان فى سنة ١٩٣٧ الى ٣٩ر٨%

(١) بالرغم من ذلك فان معدل وفيات الرضع فى مصر يعد مرتفعاً اذا ما قورن بمثيله فى دول أخرى وخاصة الدول المتقدمة - فهو فى هولنده يصل الى ٧ فى الالف وفنلنده (٦) واليابان (١٥) وفرنسا (٧) والولايات المتحدة (٩) والمانيا (٨) وتشيكوسلوفاكيا (١١) وكندا (٧) .

سنة ١٩٧٦ ثم الى ٤١٪ سنة ١٩٨٦ (١) وما ارتبط به من زيادة في اعباء الاعالة الملقاة على كواهل السكان المنتجين .

ثم ماذا ؟

وهكذا تبدو ملامح النمو السكانى ومركباته الكامنة ، وتبدو الحقيقة الجلية أن تزايد السكان أصبح عائقا ضخما أمام رفع المستوى الاقتصادى للمجتمع بل أن السباق بين جهود سكان مصر ونموهم يجعل جهدهم تستنزفه الزيادة السكانية ومن ثم فإنه لا خيار سوى التصدى لهذا النمو السكانى الكبير حتى يمكن أن تظهر بعض ثمار جهود هذا الجيل في مجالات التنمية المتعددة .

ويعد التحكم في تزايد السكان تحديا حقيقيا يواجهه مصر المعاصرة لذلك فإن مفتاح الحل في مواجهة الانفجار السكانى يكمن في تطبيق سياسة حازمة لتنظيم الانجاب ، ولاشك أن عوامل التغير الاجتماعى والاقتصادى كالتعليم مثلا يمكن أن تسهم في تحقيق بيئة مناسبة تمارس من خلالها وسائل تنظيم الانجاب ويمكن أن يكون أثرها واضحا وان كان بعيد المدى ولذلك فإن استخدام الوسائل المختلفة (الحيوب - اللوالب وغيرها) التى تعد أساسا من أسس برنامج تنظيم الاسرة حاليا - هى العامل الحاسم والسريع في انجاح هذا المشروع الحيوى القومى - والذى يجب أن يعتمد على التخطيط بالاقناع من ناحية وكذلك على التركيز على الاناث في سن ٢٥ - ٣٤ سنة من ناحية أخرى وذلك لما سبق ملاحظته من أنهن في هذه الفئة يسهمن بأكثر من نصف عدد المواليد .

وواقع الامر أن تنظيم الاسرة في مصر - وهو أحد العوامل الرئيسية في كبح جماح النمو السكانى بها - يواجه مجموعة من المعوقات الثقافية والاجتماعية التى تحول دون الوصول به الى أهدافه المرسومة ، فرغم أن سكان الحضر في تزايد نسبى على امتداد التعدادات الاخيرة لعل أبرزها زيادة نسبتهم من ٣٧٪ في تعداد سنة ١٩٦٠ الى ٤٤٪ في تعداد سنة ١٩٨٦ ، الا أن الحقيقة الواضحة أن أكثر من نصف سكان المجتمع المصرى يقطنون القرى ، ومن ثم تصبح الظاهرة الكبرى المميزة هى سيادة الحياة الريفية بمظاهرها المختلفة ، وحتى في المدن والتى تعد في معظمها امتدادا للريف

(١) تصل هذه النسبة الى ١٩٪ في المملكة المتحدة ، ٣٢٪ في الولايات المتحدة ١٨٪ في اليابان .

فإن الظروف الثقافية بها نتاج لاصول سكانها وتوارث القيم والمفاهيم جيلا بعد جيل .

وعلى أية حال فإن المعوقات التي تعترض خطط تقليل معدل النمو والحبوط به الى مستويات ملائمة - عديدة ومعقدة ومتشابكة ترتبط في المقام الاول بما يعرف في علم السكان بالعوامل الوسيطة والتي تحدد مؤثرات السلوك البشرى للخصوية ومستوياتها . وربما كانت أبرز هذه المعوقات حائلي :

١ - اهمال التفكير في الحجم الامثل للأسرة :

القدرية هي المسيطرة على سلوك معظم السكان في المجتمع المصرى خاصة في الريف ، ومن ثم فإن التفكير في تخطيط عدد المواليد ومن ثم تحديد حجم مثالى للأسرة هو تدخل في أمور الغيب بل وغير جائز، ومرد ذلك هو للاقدار كيف تشاء ، فقد يختطف الموت بعضا من الاطفال مما يتطلب الاحتياط بكثرة الانجاب .

والواقع أن ذلك ارتبط بارتفاع معدل وفيات الاطفال الرضع من ناحية وانخفاض أمد الحياة من ناحية أخرى ، فقد سبق القول أن معدل وفيات الاطفال في مصر كان قبيل الحرب العالمية الثانية يدور حول المائتين ثم ما لبث أن انخفض بعد ذلك ليصل في السنوات الاخيرة الى نحو ٧٣ في الألف ، ورغم ذلك فإن مستوى يعكسه هذا الرقم هو مستوى مرتفع يجعل مفهومي التعويض في الانجاب أمرا مسيطرا ويدفع الوالدين فطريا الى انجاب عدد غير قليل من الاطفال .

٢ - نقص المعرفة :

يتضح نقص المعرفة في مظاهر عدة أبرزها القصور في الامام بوسائل تنظيم الأسرة، ويرتبط ذلك في المقام الاول بارتفاع نسبة الامية خاصة لدى الاناث . فتصل هذه النسبة في بعض المحافظات الريفية الى قرابة ٦٥% فانات في سن الانجاب بل ترتفع الى ٧٥% منهن في بعض محافظات الصعيد . ومعنى ذلك أن نحو ثلاثة رباح الاناث المتزوجات أميات . وغنى عن البيان أن الفهم الصحيح لاساليب تنظيم الأسرة يرتكز على مثلث المعرفة وتكوين الرأي والممارسة ، وتقف الامية حجرا عائقا أمام ذلك .

٣ - الفهم القاصر للدين :

الإسلام دين الفطرة الذي يدعو الى التنظيم في كل شيء ، فالنظام اساس في العبادات والمعاملات ، فلا دين بغير تنظيم من صف الصلاة الى

صف المعركة ، ومن تنظيم أمر المال الى تنظيم أمر الاسرة . والتنظيم هنا ينبع من المسؤولية ، فلا تتحمل الاسرة ولا تتحمل نفسها الا ما تطيق من الابناء الذين تستطيع أن تحسن تربيتهم في عالم تطول فيه فترة الاعداد مع التطور العلمى . ومن ثم فان تنظيم الاسرة من حيث أنه تنظيم أمر لايتعارض مع الدين بل يدعو اليه الدين الذى يقضى بالمسؤولية والملاءمة بينه وبين القدرة على تحملها وتصبح مرونة التنظيم هى الامر الواجب . فتغير امكانيات المجتمع وموارده يتطلب اعادة النظر فى معدلات النمو على أساس من قاعدة عريضة هى : الا تزيد معدلات النمو السكانى عن معدلات التنمية الاقتصادية والا كان المجتمع يسير على منحدر هابط ، والا يتساوى المعدلان والا كان المجتمع فى حالة جمود اقتصادى والعالم من حوله يتقدم ، وفى ظل مجتمع فيه الدولة تتحمل مسؤولية التنظيم والخدمات الصحية والثقافية ، ومن هنا يصبح الاطار العريض الذى يوضحه الحديث الشريف (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته) مسئولية تقتضى المشاركة فى التنظيم .

وربما كان المد الدينى الاسلامى فى السنوات الاخيرة عاملا مرتبطا فى اذهان بعض الناس بالحرص فى تنظيم الاسرة طنا منهم أنه معارضة لارادة الله ، والرسول ﷺ لا يستطيع أن يباهى بنا يوم القيامة اذا كنا امت لم تحسن تربية ابناءها ورعايتهم .

٤ - شيوع قيم اجتماعية تمجد الانجاب :

هناك قيم خاصة بالانجاب فى المجتمع المصرى تسيطر على فكر كثير من النساء والرجال ، وهى أن مكانة أى منهم الاجتماعية تتوقف على مقدرته على الانجاب ، ويسود ذلك بدرجة أكبر فى الريف . وربما لانباخ اذا ذكرنا أن مكانة المرأة ترتبط بقدرتها على الانجاب حيث تعتبره رمزا لاثبات أنوثتها ومكانتها فى المجتمع ، فالرغبة فى انجاب طفل تظل قائمة شعوريا أو لاشعوريا لدى المرأة خلال سنوات الخصوبة ، كما أن المرأة - لظروف عديدة ترتبط بقيمتها ومكانتها فى المجتمع - تفضل الاستقرار وتعرف أن انجاب عدد أكبر من الاطفال هو وسيلة رئيسية لهذا الاستقرار وتحقيق الامان فى علاقتها مع الرجل ، بل ان الامهات يعتبرن زيادة عدد الابناء حماية لهن وعونا فى الحياة وخاصة فى الشيخوخة كما أن الرجل يرى فى كبر حجم عائلته قوة وسطوة فى الريف - ومن ثم فهو يفكر فى

الانجاب وخاصة الذكور ، وقد يكون تفضيله للذكور دافعا مستمرا للانجاب حتى يتسنى له تحقيق مايسمى (عزوة) .

ويرى بض علماء الاجتماع أن اباحة الطلاق وعدم تنظيم العلاقة الزوجية وحمايتها واعطاء الحرية للرجل دون قيود يدفع الزوجة لانجاب عدد أكبر من الاطفال كوسيلة تضمن بها الارتباط بالزوج ، كذلك يرى البعض أن تعدد الزوجات يرجع اليه بعض زيادة عدد المواليد ، فقد يكون انجاب الزوجة للناث بدلا من الذكور سببا في زواج الزوج من أخرى لانجاب عدد من الاطفال ، الا أن هذا العامل لم يثبت بعد دوره في زيادة عدد المواليد رغم ذلك .

الفصل الثامن

سكان تونس (*)

مقدمة :

تعد تونس بسكانها الذين بلغ عددهم نحو سبعة ملايين نسمة سنة ١٩٨٤ دولة ذات شخصية سكانية متميزة نتجت عن العلاقة بين ظروف البيئة الطبيعية والمؤثرات الحضارية التي تعرضت لها على امتداد تاريخها . فهي من الدول القليلة التي شهدت حياة حضرية مستقرة منذ زمن بعيد وخاصة في السهل الساحلى في الشرق والشمال . كما تعاقبت عليها موجات حضارية مختلفة ارتبطت بالنفوذ الاجنبى الذى تعرضت له منذ عهد الفينيقيين حتى العصر الحديث .

ويعتقد كثير من المؤرخين أو أولى الموجات البشرية التاريخية التي وفدت الى بلاد المغرب هي الموجة الفينيقية التي جاءت من سواحل شرق البحر المتوسط سالكة طريق البحر ثم استقرت في تونس، وأسس الفينيقيون مدينة قرطاج ومنها انتشروا على طول الساحل الشمالى لبلاد المغرب، ويمكن أن نرجع بالموجة الفينيقية هذه الى القرن الثانى عشر قبل الميلاد .

كما وفد الى بلاد المغرب كثير من اليهود جاؤوا في عدد من الهجرات البشرية يمكن توقيتها على وجه التقريب فيما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن السادس عشر الميلادى . وقد نزلت هجراتهم الاولى على الفينيقيين في تونس بحكم الصلات الجنسية واللغوية التي تربط بين الفريقين ، ثم توالى الهجرات وانتشرت في مختلف أنحاء البلاد .

وفي النصف الاول من القرن الميلادى الاول وفدت الموجة الرومانية بعد أن أدى الصراع بين روما وقرطاج الى انهيار الاخيرة واحتل الرومان

(*) راجع الفصل السابع من كتاب :

فتحي محمد أبوعيانة - جغرافية تونس - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٨٩ - صص ٧٧ - ١٢٠ .

تونس وبنها احتلوا الجزء الباقي من المغرب حتى دخلت البلاد كلها ضمن
الاعبراطورية الرومانية .

وقد جاء بعد الرومان الواندال . وهم شعب جرمانى هاجم شبه
جزيرة ايبيريا واستقر فيها . وقد وصلت هذه الموجة الى المغرب فى القرن
الخامس الميلادى عن طريق مضيق جبل طارق وتركزت فى تونس حيث
زوت منسنة الواندال ، وتلتها الموجات العربية السامية فى ثلاث موجات كانت
اولها هجرة الخوارج (٦٦١ ميلادية) بعد أن هزمهم على بن أبى طالب
فهربوا الى ساحل تونس ولا تزال سلالتهم باقية حتى الان فى جزيرة جربة
وفى الواحات الجنوبية .

أما المجموعة العربية الثانية فكانت موجة الفتح العربى . وقد جاءت
ابتداء من سنة ٦٦٩م مباشرة من بلاد العرب وبالتحديد من اليمن والحجاز
وكان لهذه الموجة الفضل الاكبر فى نشر اللغة العربية والدين الاسلامى .
ثم أعقبها الموجة العربية الكبرى والاخيرة وهى موجة بنى هلال وبنى
سليم فى القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٥م) والتي أدت الى توطيد
تدعيم العرب والعروبة فى المغرب بدرجة كبيرة .

والواقع أن أبرز المؤثرات الحضارية التى استوعبتها تونس هى تلك
المؤثرات العربية التى إنعكس أثرها على حياة السكان ديانة ولغة حتى
أصبحوا يتميزون بتجانس سكانى كبير بدرجة تفوق بقية أقطار المغرب
العربى الاخرى والتى تكون المجتمعات البربرية عنصرا رئيسيا من عناصر
التركيب السكانى بها .

ومنذ نحو قرن ونصف قرن بدأت تونس وبقية أقطار المغرب موجة
الاستعمار الاوروبى الحديث . ولم يختلط أصحاب هذه الموجة بسكان البلاد
الاصليين كما اختلط العرب من قبل ، ولحسن الحظ أنه لم يتح لهم الوقت
الكافى لهذا الاختلاط حيث تخلصت تونس من النفوذ الاجنبى منذ منتصف
الخمسينيات . ورغم ذلك فقد كان للاستعمار الفرنسى أثر حضارى واضح
فى الحياة التونسية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا الى حد كبير .

وتونس من الدول النامية ذات النمو السكانى المرتفع . وقد نتجت
الزيادة الطبيعية المرتفعة للسكان فى الوقت الحاضر عن هبوط معدل
الوفيات منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية خاصة فى العقود الاخيرة ، وأدى
ذلك الى تزايد سكانى كبير حدا بالحكومة الى تبنى سياسة رسمية لتنظيم
الانجاب بمختلف الوسائل .

وترتفع الكثافة السكانية في تونس بدرجة تفوق بقية أقطار المغرب العربي بعمامة ، ولا يتوزع السكان على رقعة البلاد توزيعا منتظما بل تتباين الاقاليم في حجم السكان ونمط توزيعهم وذلك بسبب التباين في الظروف الجغرافية بين شمال البلاد ووسطها وجنوبها ، أو بين مناخ البحر المتوسط في الشمال والمناخ شبه الصحراوي (الاستبس) في الوسط والمناخ الصحراوي في الجنوب . وتمتد هذه الاقاليم المناخية المتعاقبة امتدادا عرضيا من الشرق الى الغرب ، وتتناقص كمية الامطار من ١٥٠٠ مليمترا في الشمال الغربي الى أقل من ١٠٠ مليمترا في الجنوب، كما يتزايد انحراف الامطار عن المتوسط السنوي في نفس الاتجاه ، وتختلف أنماط الحياة تبعا لذلك، فتسود الزراعة المستقرة التقليدية والحديثة في الشمال والشرق والحياة شبه البدوية في الوسط والجنوب الشرقي ثم البداوة الحقيقية في الجنوب .

وقد ساعد الاستعمار الفرنسي على تعميق عدم التوازن بين الاقاليم التونسية ، فقد اهتم الفرنسيون بتنمية الاقليم الشمالي الرطب والاقاليم الساحلية الشمالية الشرقية وأهملوا الاقاليم شبه الجافة والجافة في الوسط والجنوب . وترتب على ذلك تركيز الاستيطان الاوربي في العهد الاستعماري في الاقاليم الشمالية الرطب الذي تطورت فيه المراكز الحضرية الرئيسية حيث كان أربعة أخماس الاوربيين في تونس يعيشون في المدن .

وقد أدت العلاقات الاقتصادية القوية بين تونس والدول الاوربية الى نمو الموانئ الساحلية الكبرى : تونس وبنزرت وسوسة و صفاقص . وتعد تونس العاصمة - وأكبر مدن البلاد - المهجر الرئيسي للوافدين من بقية الاقاليم ، وقد تعاضم دورها في ذلك عقب الاستقلال مباشرة حيث أصبحت ذات هيمنة طاغية على المستوى القومي .

بيانات السكان :

تعد تونس من بين الدول العربية والافريقية القليلة التي يتوفر لديها قدر واف من البيانات السكانية ، فقد بدأت سلسلة التعدادات بها منذ مايزيد على مائة سنة وان كانت قاصرة في بدايتها سنة ١٨٨٦ على الفرنسيين فقط الذين أصبح عددهم يتم كل خمس سنوات بعد ذلك وحتى سنة ١٩٠٦ عندما شمل التعداد الطائفة الاوربية مجتمعة ، ثم بدىء في سنة ١٩٢١ في تعداد السكان التونسيين .

ولا تتميز تعدادات السكان في السنوات ١٩٢١ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٦ بالدقة

حيث اعتمد على كشوف الضرائب بدلا من استمارات الاستبيان . أما التعدادات التي تلت ذلك فقد توفر لها أكبر قدر من الدقة وخاصة التعدادات الاربعة التي أجريت منذ الاستقلال (١٩٥٦ و ١٩٦٦ و ١٩٧٥ و ١٩٨٤) ، وتوضح بيانات التعدادات الاخيرة مدى التغير العددي والنوعى لسكان تونس في عهد الاستقلال .

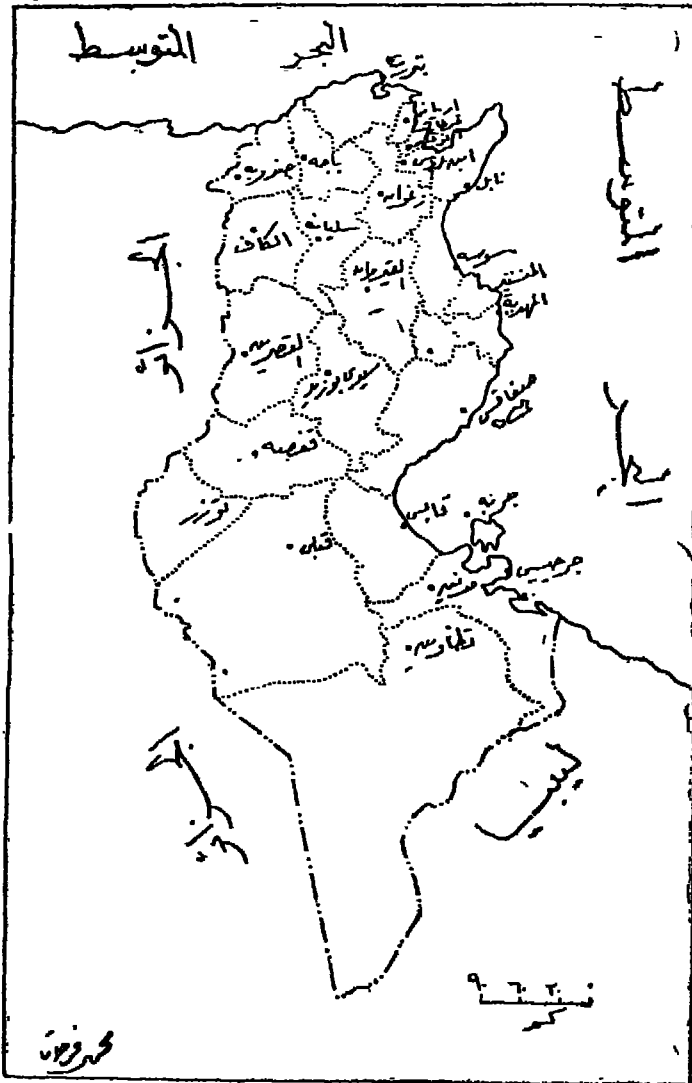
أما الاحصاءات الحيوية فترجع الى سنة ١٨٨٦ بالنسبة للاوربيين والى سنة ١٩٠٨ للتونسيين وان كانت البيانات المتاحة عن التونسيين قليلة وغير وافية قبل سنة ١٩٥٧ ، ربما باستثناء سكان مدينة تونس . وعلى العموم فان تسجيل المواليد يعد أكثر اكتمالا من تسجيل الوفيات ، كما تحسنت احصاءات الحالة الزوجية في السنوات الاخيرة تحسنا كبيرا وان كانت غير مفصلة بدرجة تجعل التحليل الديموغرافي صعبا ، وأصبح من السهل توزيع الظاهرات الديموغرافية على أساس الولايات التي تنقسم اليها تونس وعددها ثلاث وعشرون ولاية (شكل رقم ٥٤) تضم عددا من المعتمديات ، وتضم كل معتمدية عددا من العمدات (الشاخات) .

نمو السكان :

قدر عدد سكان تونس سنة ١٨٦٠ بحوالى ١٠١ مليون نسمة من بينهم نصف مليون يعيشون في الريف والحضر ، والباقي هم البدو الرحل وشبه الرحل . ومن المحتمل أن سكان تونس في بداية عهد الاحتلال الفرنسى سنة ١٨٨١ لم يتعدوا رقم المليون نسمة بكثير . وفى ذلك الوقت كان بتونس نحو ٣٠٠.٠٠٠ يهودى نصفهم بمدينة تونس والباقي في الموانىء وجزيرة جربة والمدن الداخلية . كما كان بالبلاد نحو ١٠٠.٠٠٠ أوربى معظمهم من المالطيين والايطاليين وعدد قليل من اليونانيين والفرنسيين . وكان سكان مدينة تونس يتراوحون بين ٨٠ - ٩٠ ألف نسمة تليها القيروان (٢٠٠.٠٠٠) ثم بنزرت وسوسة وصفاقس بأحجام متواضعة .

وقد تضاعف عدد السكان تقريبا في أربعين عاما (١٨٨١ - ١٩٢١) وعاشت تونس بذلك مرحلة النمو السكانى البدائى الذى يتصف بارتفاع معدل المواليد والوفيات وانخفاض معدل الزيادة الطبيعية، إلا أن تحسن الظروف الاقتصادية بعد الحرب العالمية الاولى ومواجهة الامراض الوبائية أدى الى هبوط معدل الوفيات وبالتالي تزايد أعداد السكان بسرعة ودخلت تونس مرحلة النمو السكانى المتزايد ، وتضاعف سكانها في خمسة وثلاثين عاما (١٩٢١ - ١٩٥٦) حيث وصل عددهم الى ٣٨٨ مليون نسمة في تعداد ١٩٥٦ . (جدول رقم ٧١) ثم تضاعف العدد تقريبا بعد ذلك في فترة

زمنية أقل بلغت ثمانية وعشرين عاما (١٩٥٦ - ١٩٨٤) ليصل عددهم
الى حوالي ٧ مليون نسمة في التعداد الاخير سنة ١٩٨٤ .



شكل رقم (٥٤)
الولايات التونسية

والملاحظ على معدل النمو السكاني أنه أخذ اتجاهها صاعدا منذ العشرينيات ، والأقرب الى الظن أن هذا المعدل لم يكن يتجاوز نصف في المائة حتى سنة ١٩٢٠ ثم ارتفع ليبلغ واحد في المائة خلال العشرينيات ثم ٢٪ في بداية الخمسينيات ثم وصل الى ٢.٥٪ في منتصف الستينيات ثم مال الى الثبات بعد ذلك رغم ما شهدته المجتمع التونسي من تحول اقتصادي واجتماعي بصفة عامة وتبنى الدولة لسياسة تحديد النسل منذ منتصف الستينيات بصفة خاصة .

وقد كان النمو السكاني حتى عهد قريب مرتبطا أساسا بانخفاض معدل الوفيات كما ذكرنا وخاصة وفيات الاطفال ، الا أن هذا المعدل قد بلغ في السنوات الآخيرة مستوى منخفضا للغاية بحيث يبدو أن انخفاض الوفيات مستقبلا سيكون بطيئا جدا ان اعترها هبوط . ويبقى النمو السكاني في المستقبل رهنا بمستويات الخصوبة السائدة ومعدلات المواليد في المقام الاول ، وعموما أظهرت بيانات تعدادي السكان في سنتي ١٩٧٥ ، ١٩٨٤ أن معدلات النمو السكاني لم تنخفض بل اعترها تزايد طفيف مما يعكس حقيقة هامة هي أن مستويات الخصوبة مازالت مرتفعة في تونس .

جدول رقم (٧١)

تطور عدد سكان تونس في الفترة ١٩٢١ - ١٩٨٤ (١)

معدل النمو السنوي (%)	عدد السكان		
	جملة التونسيون	جملة السكان	الاجانب
—	—	٢٠٩٣٩٣٩	٢١٨٩٥٨
٠.٨	٠.٥	٢١٥٩٧٠٨	٢٤٠٥٥٧
٢.٢	٢.٢	٢٤١٠٦٩٢	٢٦٧٦٨٢
١.٦	١.٦	٢٦٠٨٣١٣	٢٨٣٠٧٨
١.٩	٢.١	٣٢٣٠٩٥٢	٣٢٦٤٣١
١.٨	١.٨	٣٧٨٣١٦٩	٣٤١٤٧٣
١.٨	٢.٥	٤٥٣٣٣٥١	٦٦٨٣٤
٢.٣	٢.٣	٥٥٨٨٢٠٩	٣٩١١٧
٢.٥	—	٦٩٦٦١٧٣	—

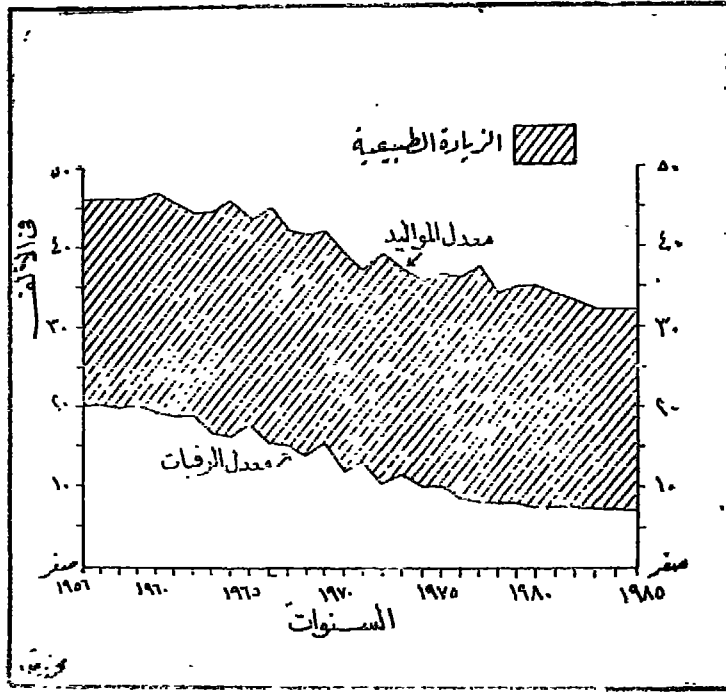
(١) المصدر :

منصر الرويسى والمنجى بشير : الوضع الديموغرافي وآفاقه المستقبلية ضمن كتاب : جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر - العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ٤٨ .

مكونات النمو السكاني :

المواليد :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل المواليد في تونس على امتداد ثلاثين سنة (١٩٥٦ - ١٩٨٥) ويبدو منه أن هذا المعدل ظل ثابتا تقريبا طوال السنوات العشر الاولى من هذه الفترة متراوحا بين ٤٥ الى ٤٦ في الالف ، ثم بدأ في الهبوط التدريجي بعد ذلك حتى وصل الى ٣٢ في الالف سنة ١٩٨٥ ، أي هبط بنسبة الثلث تقريبا خلال العقدين الاخيرين .



شكل رقم (٥٥)

تطور الزيادة الطبيعية في تونس في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٥

والواقع أن الخصوبة في تونس قد شهدت هبوطا عاما منذ منتصف الستينيات ، ولا يدل انخفاض معدل المواليد على ذلك فقط بل تدل عليه أيضا مقاييس الخصوبة الأخرى ومنها معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة ومعدل الخصوبة الكلية ومعدل التكاثر الاجمالي (جدول رقم ٧٣) .

ويرتبط الهبوط في مستوى الخصوبة في تونس ببعض العوامل أبرزها

التغير الاجتماعي والاقتصادي الذي شهده المجتمع التونسي في العقود الاخيرة وارتبط به ارتفاع في متوسط السن عند الزواج ومن ثم تناقص نسبة المتزوجات في أعمار مبكرة .

جدول رقم (٧٢)

تطور معدل المواليد ومعدل الوفيات في تونس في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٤ (١)

السنة	المعدل في (الالف)	معدل الزيادة الطبيعية %	السنة	المعدل في (الالف)	معدل الزيادة الطبيعية %
	المواليد الوفيات			المواليد الوفيات	
١٩٥٦	٤٦٤	٢٠٢	١٩٧١	٣٦٨	١٣٢
١٩٥٧	٤٦٥	٢٠٦	١٩٧٢	٣٩٠	١٠٥
١٩٥٨	٤٦٣	١٩٨	١٩٧٣	٣٦٩	١١٤
١٩٥٩	٤٦٢	٢٠٤	١٩٧٤	٣٥٦	١٠٠
١٩٦٠	٤٦٧	١٩٣	١٩٧٥	٤٦٥	٩٩
١٩٦١	٤٥٤	١٩٢	١٩٧٦	٣٦٠	٨٧
١٩٦٢	٤٤٣	١٩٣	١٩٧٧	٣٧٤	٨١
١٩٦٣	٤٤٦	١٧٢	١٩٧٨	٣٤١	٨٠
١٩٦٤	٤٦٢	١٦٤	١٩٧٩	٣٤٨	٨١
١٩٦٥	٤٣٥	١٧٨	١٩٨٠	٣٤٨	٧٦
١٩٦٦	٤٥١	١٥٣	١٩٨١	٣٤١	٧٦
١٩٦٧	٤٢١	١٥٢	١٩٨٢	٣٢٩	٧٤
١٩٦٨	٤١٣	١٣٩	١٩٨٣	٣١٨	٧٣
١٩٦٩	٤١٩	١٥٣	١٩٨٤	٣١٨	٧٣
١٩٧٠	٣٨٨	١٢٣	١٩٨٥	٣٢٠	٧٠

وقد سلكت تونس منذ بداية الستينيات سياسة ترمي الى الحد من التزايد السكاني وسنت قوانين تهدف الى تنظيم الزواج والسلوك الانجابي

(١) المصدر:

(1) Marcoux, A., "La Croissance de la Population de la Tunisie", Population, Mars, 1971, p. 107.

منصر الرويسى : الوضع الديموغرافي وآفاقه المستقبلية - ضمن كتاب - جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر - العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ٥١ .

مثل قانون فبراير ١٩٦٣ الذي رفع السن الأدنى للزواج من ١٥ - ١٧ سنة للإناث ومن ١٨ الى ٢٠ سنة للذكور ، والقانون الخاص بالوسائل الواقية من الحمل التي كانت ممنوعة (سنة ١٩٦١) والقانون المتعلق بتحريم الاجهاض من كل قيد وفي اطار القانون (١٩٦٥ ، ١٩٧٣) ، وقد أنشأت الحكومة جهازا يعنى بمتابعة سياسة (التنظيم العائلي) عرف منذ سنة ١٩٧٣ باسم الديوان القومى للأسرة والعمران البشرى .

وقد أسهمت كل هذه الجهود وما طرأ على مكانة المرأة في المجتمع من تغير بسبب التعليم والعمل وتزايد نسبة سكان المدن - أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في تغيير السلوك الانجابي والميل الى الحد من عدد المواليد ويتضح من دراسة أجريت سنة ١٩٨٣ أن ٩٧٪ من النساء المتزوجات على دراية بوسائل الوقاية من الحمل وأن قرابة ٤١٪ منهن تستعملن احدي هذه الوسائل .

جدول رقم (٧٣)

التغير في معدلات الخصوبة في تونس في الفترة ١٩٦٦ - ١٩٨٤ (١)

فئات السن للإناث	معدل الخصوبة العمرية الخاصة		نسبة الهبوط %
	١٩٨٤	١٩٦٧/١٩٦٦	
١٥ - ١٩	٣١٠	٧٧٧	٥٧ر٣
٢٠ - ٢٤	١٨٩٤	٢٨٤ر٠	٣٣ر٤
٢٥ - ٢٩	٢٥٥٧	٣٢٤ر٦	٢١ر٢
٣٠ - ٣٤	٢١٤ر٢	٢٩٦ر٨	٢٧ر٨
٣٥ - ٣٩	١٥٠ر١	٢٢٨ر٢	٣٤ر٢
٤٠ - ٤٤	٦١ر٩	١١٣ر١	٤٥ر٢
٤٥ - ٤٩	١٨ر٢	٣٣ر١	٤٥ر٠
معدل الخصوبة الكلية	٤ر٦	٦ر٨	٣٢ر٠
معدل التكاثر الاجمالي	٢ر٣	٣ر٣	٣٠ر٣

الوفيات :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل الوفيات في

(١) المصدر :

منصر الرويسى والمنجى بشير - المرجع السابق . صص ٦٤ - ٨٤ .
أما نسبة الهبوط فمن حساب المؤلف .

تونس منذ سنة ١٩٥٦ ، ومنه يتضح أن هذا المعدل قد هبط من ٢٠ في الالف في تلك السنة الى ١٥ في الالف سنة ١٩٦٦ ثم الى نحو ٩ في الالف سنة ١٩٧٦ حتى بلغ ٧ في الالف فقط سنة ١٩٨٥ ، أى أنه هبط بنسبة الثلثين في مدى ثلاثين عاما ، وأصبحت تونس بذلك من الدول ذات نسبة الوفيات المنخفضة في العالم (المغرب ١٥ في الالف والجزائر ١٣ ومصر ١١ والولايات المتحدة ٩ سنة ١٩٨٢) (*) .

وتعد وفيات الاطفال الرضع والاطفال دون الخامسة من المؤشرات الهامة للموقف على مستوى الوفيات السائد ، وقد انخفضت نسبة وفيات الرضع (دون السنة) في تونس من ١٥٩ في الالف سنة ١٩٦٠ الى ٦٥ في الالف سنة ١٩٨٢ وبنسبة هبوط وصلت الى ٥٩٪ ، كذلك هبطت معدلات وفيات الاطفال (من ١ - ٤ سنوات) من ٣٦ في الالف سنة ١٩٦٠ الى ٦ في الالف سنة ١٩٨٢ .

ويرتبط هذا الهبوط الكبير في مستوى الوفيات بتونس بالتوسع الكبير في الخدمات الصحية في البلاد منذ بداية عهد الاستقلال ، وانعكس ذلك بدوره على تزايد الفرق بين معدل المواليد والوفيات وبالتالي اتجاه الزيادة الطبيعية الى التزايد (لان معدل الوفيات يهبط بنسبة أكبر من معدل المواليد) ومن ثم استمر معدل النمو الطبيعي للسكان مرتفعا ولا تختلف تونس في ذلك عن معظم الدول النامية .

وقد أدى الهبوط في معدلات الوفيات بتونس الى تزايد أمد الحياة للسكان ، فقد ارتفع أمد الحياة للذكور من ٤٨ سنة في عام ١٩٦٠ الى ٦٠ سنة عام ١٩٨٢ وللاناث من ٤٩ سنة الى ٦٣ سنة (الجزائر من ٤٦ سنة الى ٥٥ سنة للذكور ومن ٤٨ الى ٥٩ للاناث ، ومصر من ٤٦ - ٥٦ للذكور ومن ٤٧ - ٥٩ للاناث) .

تقدير حجم السكان في المستقبل :

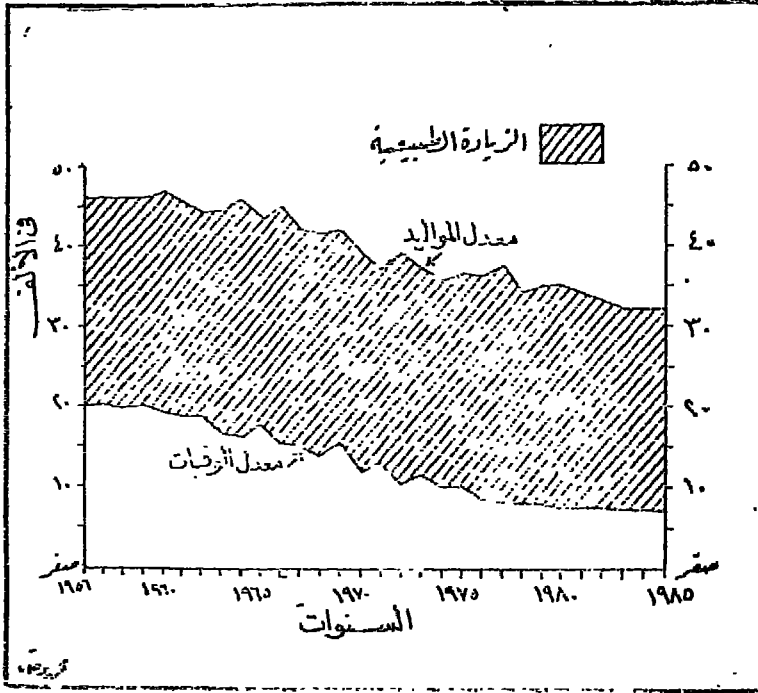
سبق القول بأن معدل النمو السكاني في تونس والذي يقدر بنحو ٢٫٦٪ في الوقت الحاضر يعد من المعدلات المرتفعة التي تجعل البلاد تعيش مرحلة التضخم السكاني الذي تعاني منه دول نامية كثيرة ، ورغم هبوط

(*) تقدر الامم المتحدة أن معدل المواليد في تونس مكتمل بنسبة ١٠٠٪ ، أما معدل الوفيات فهو مكتمل بنسبة ٧٣٪ ، وأنه يقدر في الفترة من (٧٥ - ١٩٨٠) بنحو ١١ في الالف .

مكونات النمو السكاني :

المواليد :

يبين الجدول رقم (٧٢) والشكل رقم (٥٥) تطور معدل المواليد في تونس على امتداد ثلاثين سنة (١٩٥٦ - ١٩٨٥) ويبدو منه أن هذا المعدل ظل ثابتا تقريبا طوال السنوات العشر الاولى من هذه الفترة متراوحا بين ٤٥ الى ٤٦ في الالف ، ثم بدأ في الهبوط التدريجي بعد ذلك حتى وصل الى ٣٢ في الالف سنة ١٩٨٥ ، أي هبط بنسبة الثلث تقريبا خلال العقدين الاخيرين .



شكل رقم (٥٥)

تطور الزيادة الطبيعية في تونس في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٥

والواقع أن الخصوبة في تونس قد شهدت هبوطا عاما منذ منتصف الستينيات ، ولا يدل انخفاض معدل المواليد على ذلك فقط بل تدل عليه أيضا مقاييس الخصوبة الأخرى ومنها معدل الخصوبة العمرية النوعية الخاصة ومعدل الخصوبة الكلية ومعدل التكاثر الإجمالي (جدول رقم ٧٣) . ويرتبط الهبوط في مستوى الخصوبة في تونس ببعض العوامل أبرزها

التغير الاجتماعى والاقتصادى الذى شهده المجتمع التونسى فى العقود الاخيرة وارتبط به ارتفاع فى متوسط السن عند الزواج ومن ثم تناقص نسبة المتزوجات فى أعمار مبكرة .

جدول رقم (٧٢)

تطور معدل المواليد ومعدل الوفيات فى تونس فى الفترة ١٩٥٦ - ١٩٨٤ (١)

السنة	المعدل فى المواليد (الالف)	معدل الزيادة الطبيعية %	السنة	المعدل فى المواليد (الالف)	معدل الزيادة الطبيعية %
١٩٥٦	٤٦٤	٢٠٢	١٩٧١	٣٦٨	٢٣
١٩٥٧	٤٦٥	٢٠٦	١٩٧٢	٣٩٠	٢٩
١٩٥٨	٤٦٣	١٩٨	١٩٧٣	٣٦٩	٢٥
١٩٥٩	٤٦٢	٢٠٤	١٩٧٤	٣٥٦	٢٥
١٩٦٠	٤٦٧	١٩٣	١٩٧٥	٤٦٥	٢٦
١٩٦١	٤٥٤	١٩٢	١٩٧٦	٣٦٠	٢٧
١٩٦٢	٤٤٣	١٩٣	١٩٧٧	٣٧٤	٢٩
١٩٦٣	٤٤٦	١٧٢	١٩٧٨	٣٤١	٢٦
١٩٦٤	٤٦٢	١٦٤	١٩٧٩	٣٤٨	٢٧
١٩٦٥	٤٣٥	١٧٨	١٩٨٠	٣٤٨	٢٧
١٩٦٦	٤٥١	١٥٣	١٩٨١	٣٤١	٢٧
١٩٦٧	٤٢١	١٥٢	١٩٨٢	٣٢٩	٢٦
١٩٦٨	٤١٣	١٣٩	١٩٨٣	٣١٨	٢٥
١٩٦٩	٤١٩	١٥٣	١٩٨٤	٣١٨	٢٥
١٩٧٠	٣٨٨	١٢٣	١٩٨٥	٣٢٠	٢٥

وقد سلكت تونس منذ بداية الستينيات سياسة ترمى الى الحد من التزايد السكانى وسنت قوانين تهدف الى تنظيم الزواج والسلوك الانجابى

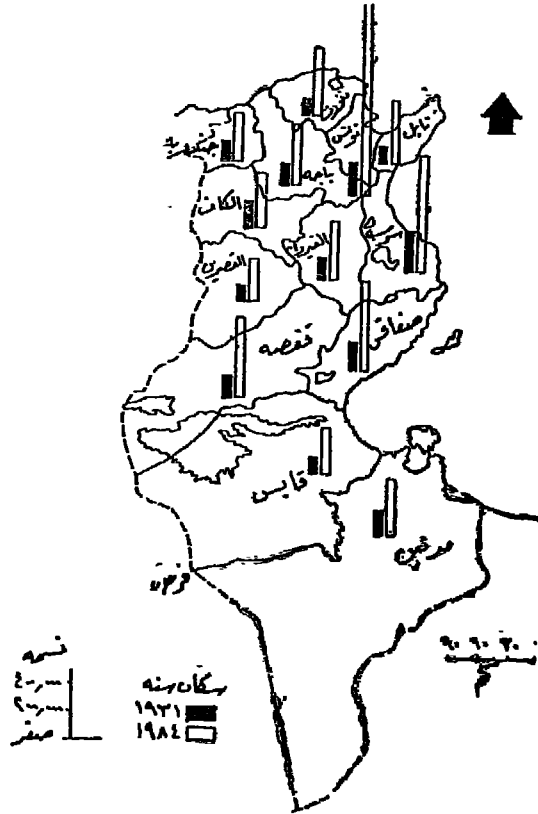
(١) المصدر:

(1) Marcoux, A., "La Croissance de la Population de la Tunisie", Population, Mars, 1971, p. 107.

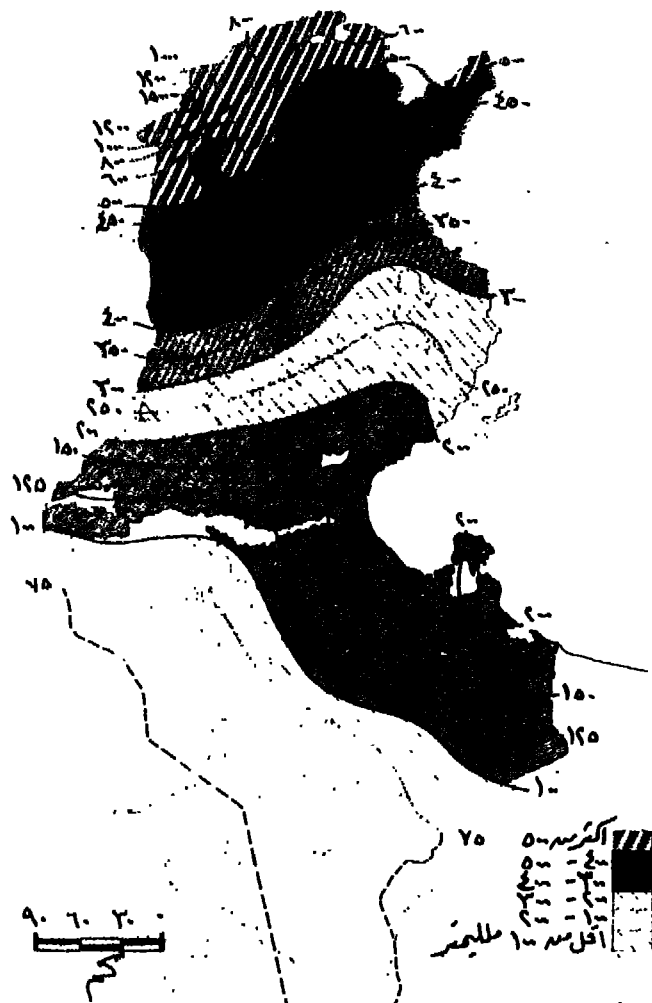
منصر الرويسى : الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية - ضمن كتاب - جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر - للعمران والتنمية فى تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ٥١ .

التعدادات حيث يتزايد نصيب الشمال باستمرار ويتناقص نصيب الجنوب
 أما اقليم الوسط الغربي والوسط الشرقي (الساحل) فنسبة السكان بهما
 متوازنة الى حد كبير طوال هذه الفترة .

وبالإضافة الى ذلك فمن الملاحظ أن الاهمية النسبية لسكان الشمال
 الشرقي والشمال الغربي والوسط الشرقي والجنوب تكاد تكون متساوية
 سنة ١٩٢١ ثم بدأت تتباين بعد ذلك ومال التركيز السكاني نحو الشمال
 الشرقي على حساب الشمال الغربي والجنوب ، ويعكس ذلك ظاهرة هامة
 هي أن السكان في تونس يتحركون جغرافيا بدرجة كبيرة من اقليم لآخر،
 وان كان الشمال الشرقي يمثل أهم قطب جاذب للواقدين والشمال الغربي
 والجنوب أهم الاقاليم الطاردة وانعكس ذلك على تزايد سكان الولايات
 الشمالية والوسطى تزايدا كبيرا فاق ولايات الجنوب (شكل رقم ٥٦) .

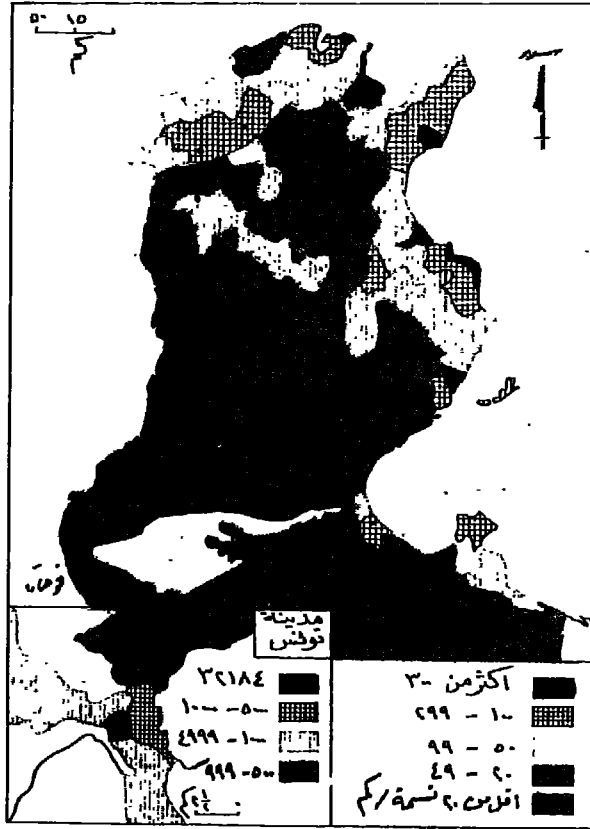


شكل رقم (٥٦)
 نمو سكان الولايات التونسية (١٩٣١ - ١٩٨٤)



(Source: Kassab et Sethom)

شكل رقم (٥٨) متوسط كمية الأمطار السنوية
(الفترة ١٩٧٠ - ١٩٠٠)



شكل رقم (٥٧) كثافة السكان في تونس (١٩٧٥)

وتعكس خريطة توزيع السكان في تونس مدى الارتباط بين أنماط التوزيع والموارد الطبيعية للأقاليم (شكل رقم ٥٧) فالساحل الشرقي يحتوى على أخصب السهول وتتوفر به المياه ومن ثم تقوم به الزراعة، كما يمثل الواجهة المطلة على عالم البحر المتوسط ومنطقة الالتقاء بين تونس والعالم الخارجى ، ولذلك استقطب الاغلبية الساحقة من المدن وكذلك النشاطات التجارية والصناعية والسياحية ، وتأتى المناطق الوعرة نسبيا في الشمال الغربى وسلسلة جبال الظهر وكذلك المناطق الاكثر جفافا في نطاق الاستبس وفي الصحراء عكس ذلك تماما ، فهى أقل جاذبية للسكان بل وطاردة لهم ، ولذلك تنخفض الكثافات السكانية بطريقة مطردة مع انخفاض كمية الامطار .

وبالاضافة الى ذلك فان التباين الاقليمي بين تونس الساحلية الشرقية من بنزرت الى جربة وتونس الداخلية يرتبط بالعوامل التاريخية والبشرية التى جعلت الواجهة الساحلية تستقطب النسبة الاكبر من القوة العاملة بها من داخل البلاد وهؤلاء أسهموا بنصيب كبير في دعم اقتصاد المناطق الساحلية وتطوير زراعاتها وصناعاتها الحديثة وكذلك نشاطها السياحى الذى تعاضم دوره في اقتصادياتها منذ أوائل السبعينيات ، ولا ريب أن الاستثمارات الضخمة التى أنجزت في الاقليم الساحلى الشرقى منذ الاستقلال في مختلف الميادين والتى بلغت نحو ٩٠٪ من الاستثمارات في تونس ساعدت على جعل المنطقة الشرقية قبلة كل التونسيين .

ومعنى ذلك أنه في خلال الخمسين سنة الاخيرة أسهمت حركة السكان الجغرافية في انتقال نسبة كبيرة من سكان المناطق الداخلية نحو المناطق الساحلية الشرقية ، ومعنى ذلك أن الكثافات السكانية المرتفعة في الوقت الحاضر والتحضر السريع للواجهة الساحلية الشرقية هو نتيجة الهجرات الداخلية نحو ساحل تونس الشرقى ، والنزوح من الريف نحو المدن وتأثر التوزيع الحالى للسكان كذلك بهجرة العمال التونسيين نحو الخارج ، وقد ساهمت هذه التحركات السكانية في تقلص نسبي لسكان الريف وارتفاع مطرد لسكان المدن ، وتراجع نسبي لسكان المناطق الداخلية ونمو متواصل لسكان ولايات الواجهة الشرقية .

توزيع الكثافة السكانية :

انعكس التزايد في حجم السكان في تونس منذ مابعد الحرب العالمية الاولى على تزايد مضطرد في متوسط الكثافات السكانية بها ، فقد تزايدت

في المناطق الريفية المجاورة التي تسود بها زراعة كثيفة معتمدة على الامطار (بعلية) وعلى الري (سقوية) ، ولكنها تنخفض في مناطق الزراعة البعلية الواسعة والمساحات الغابية أو الاراضي غير الصالحة للزراعة كما هي الحال في معتمديات أوتيك وماطر وسجنان وجومين في ولاية بنزرت حيث تتراوح الكثافة بين ٤٥ - ٧٠ نسمة في الكيلو متر المربع .

ومن الظاهرات التي تلفت النظر في الشمال التونسي انخفاض الكثافة في ولاية زغوان رغم انتمائها للواجهة الساحلية الشرقية وقربها من العاصمة فقد بلغ متوسط الكثافة بها ٤٣ نسمة/كم^٢ سنة ١٩٨٤ وهي تشبه في ذلك الكثافة في اقليم التل الاعلى واقليم الوسط الغربى . ولما كان انخفاض الكثافة في الاقليمين الاخيرين يرجع أساسا لظروف المناخ الصحراوي السائد بهما وضعف النشاط الزراعي فان الرضخ يختلف في ولاية زغوان الرطبة والغنية بتربتها الخصبة وامكاناتها الزراعية والصناعية المتنوعة ، فقد عرفت هذه الولاية نهط الملكيات الواسعة في عهد الحماية الفرنسية، واتسم هذا النمط سائدا بعد الاستقلال متمثلا في الضيعات العمومية والرحدات الانتاجية الحكومية والخاصة في الوقت الحاضر والتي تمارس زراعة الحبوب معتمدة على الادطار ومستخدمة الالات الزراعية على نطاق واسع مما أدى الى ضعف الكثافة السكانية خاصة أن الريات لا يوجد بها الا عدد قليل من المدن والقرى ولا تزيد نسبة التحضر بها عن ٢٥% مقابل ٥٣% كمتوسط قوسى .

وعلى ذلك فان أعلى الكثافات في تونس توجد في الواجهة الساحلية الشرقية ، وتتركز بوجه خاص في اقليم تونس العاصمة ، والمنطقة الحضرية لبنزرت - منزل بورقيبة وساحل بنزرت وحول سوسة والمنستير والمهدية ، والمجمعة الحضرية لصفاتس الكبرى وأخيرا قابس الكبرى وجزر جربة وقرقنة .

أما المنطقة الاخرى التي ترتفع فيها الكثافة السكانية في تونس وان كانت أقل من الواجهة الساحلية الشرقية فهي منطقة المرتفعات الجبلية الشمالية الغربية (جبال خمير ومرتفعات باجة) ويصل متوسط الكثافة بها الى ٨٠ نسمة في الكيلو متر المربع في المتوسط ، وليس هناك من تفسير لارتفاع الكثافة في جبال خمير سوى أنها كانت تمثل الملاجئ منذ عهد بعيد وجذبت اليها سكان السهول المجاورة هربا من الحروب واستبداد السلطات الحاكمة ، وخاصة أنها بقيت خارج التدخل الاستعماري الزراعي ويتضاعل فيها النشاط التعدينى الى حد كبير ، ولذلك بقيت منطقة عزلة

استمرت فيها الروابط الاجتماعية التقليدية الموروثة متينة ولم تتفكك حتى بعد الاستقلال ولم تشهد نزوحاً ريفياً إلا مؤخراً . وعلى العموم فإن ولاية جندوبة والتي تضم كل جبال خمير تتصف بكثافة سكانية عالية تصل الى ١١٦ نسمة/كم^٢ وهى بذلك الولاية الوحيدة داخل الجمهورية التي تصل ذريها الكثافة الى رقم يشبه مثيله في الولايات السبع الاخرى الواقعة على الساحل الشرقى .

مناطق الكثافة السكانية المنخفضة :

تسود الكثافة المنخفضة (أقل من ٦٠ نسمة/كم^٢) في مناطق واسعة من تونس ، ويبدأ نطاق الكثافة المنخفضة من اقليم التل الاعلى في ولايتي الكاف ومليانة ، ويرجع ذلك الى مظاهر السطح الجبلية والتي يتخللها سهول ممتدة تسود فيها زراعة الحبوب البعلية الواسعة والتي تستخدم الآلات على نطاق كبير ، بالإضافة الى ذلك تتصف هذه المنطقة بالمكبات الواسعة التعاونية والخاصة في أخصب أراضي المنطقة مما تسبب في تقلص سوق العمل وظهور نزوح ريفى مبكر ومتزايد ومستمر منذ مايزيد على نصف قرن .

وتستمر الكثافة في انخفاضها تدريجيا نحو الجنوب في اتجاه نطاق الاستبس حيث تتراوح بين ٣٠ - ٤٥ نسمة في الكيلو متر المربع ، وتنتقل في نطاق الاستبس الاعلى (ولاية القصرين) أو الادنى (ولاية سيدي أبوزيد) وتقل الكثافة عن ٣٠ نسمة/كم^٢ بالاتجاه جنوبا .

والواقع أن اقليم الاستبس الذى تتراوح أمطاره بين ٤٠٠ - ١٥٠ ملليمتر اقليم قليل السكان يتميز توزيعهم فيه بالتبعثر (شكل رقم ٥٨) ، شهد تنمية زراعية علمية في بعض مناطقه وقد ارتبط بها العمل على توطيئ البدو ونذت بعض مدنه ومنها القيروان من ٣٤٠٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ الى ٧٢٠٠٠ نسمة في ١٩٨٤ ، أما في الاستبس الاعلى فمازالت البداوة المتنقلة هى الحرفة السائدة وترتبط بزراعة الحبوب وجمع حشائش الحلفا لصناعة الورق ، وقد أنشئء في مدينة القصرين في السنوات الاخيرة مصنع لصناعة عجينة الورق من الحلفا مما أدى الى نمو سكانى كبير لهذه المدينة الصغيرة .

ومن الظاهرات المرتبطة بتوزيع المدن في نطاق الاستبس أن كثيرا منها يتخذ كمحطات مرحلية Stepping Stones للمهاجرين نحو المدن الكبرى .

أما النطاق الصحراوى في جنوب تونس والذى يقع الى الجنوب من خط مطر ١٥٠ ملليمتر فإن الكثافة منخفضة فيه للغاية ولايحوى أكثر من

15% من السكان رغم أن مساحته تصل الى 55% من مساحة البلاد ، ومن ثم تنخفض فيه الكثافة الى أقل من 10 نسمة في الكيلو متر المربع ويتركز السكان به في المراكز العمرانية الحضرية والتعدينية والوحدات مثل قفصة والجريد ونقطة وقبلى وكذلك في شبه جزيرة جرجيس حيث تمود زراعة الزيتون وكذلك في القرى الجبلية في مرتفعات القصور حيث يعيش سكان مستقرون وأشباه بدو .

الهجرة

عرفت تونس الهجرة السكانية منذ عهد بعيد ، وتمثل ذلك في انتقال عدد من سكان الجنوب والامتسب في سنوات الجفاف الى الشمال التونسي الرطب والاخضر ، وكانت هذه الهجرات اما مؤقتة أو دائمة حسب حدة ازيمات الجفاف ومدى قدرة المهاجرين على الاندماج في الاقاليم الشمالية والحصول على وسيلة عيش دائمة ، كذلك عرف التونسيون هجرة مبكرة نحو الخارج في فترة الحماية بل وقبلها نحو الغرب الى الجزائر الشرقية أو نحو الشرق الى طرابلس وأحيانا الى مصر وان كانت بأعداد قليلة .

ولكن تونس شهدت منذ الثلاثينيات من هذا القرن ظاهرة هجرية جديدة تمثلت في النزوح الريفي Rural Exodus بالمعنى الديموغرافي المعاصر ، وارتبطت تلك الظاهرة بعدة عوامل لعل أبرزها استحوار المستعمرين الاوربيين على نحو خمس الاراضى التونسية السهلية الرطبة في الشمال ، وقد ترتب على ذلك تغيرات عميقة في الريف التونسي لعل من أبرزها حدوث ازيمات اجتماعية ارتبطت بالتزايد السكاني الكبير الذى شهدته تونس منذ أوائل الثلاثينيات مما أدى الى ارتفاع الكثافة السكانية بكل الاقاليم والى تفكك الروابط الاجتماعية التقليدية ، وتحولت مناطق كثيرة الى مناطق طرد سكاني لاعداد متزايدة من سكانها نحو المراكز الحضرية في الشمال الشرقى والشرق .

ومنذ أوائل الستينيات - أى بعد الاستقلال - بدأت الهجرة التونسية بأعداد ليست قليلة نحو الخارج خاصة نحو فرنسا وغرب أوروبا ، وساعد على ذلك عوامل الجذب القوية على أثر التطور الاقتصادى الكبير الذى شهدته أوروبا وتوفر فرص العمل بسهولة ، ثم تلا ذلك هجرة بأعداد كبيرة نحو ليبيا المجاورة وذلك في أوائل السبعينيات بعد التطور الكبير في إنتاج البترول بها وتزايد عوائده وتوفر فرص العمل بمعدلات كبيرة للوافدين من الخارج ، وكان لهذه الهجرات الخارجية أثر كبير على ريف تونس ومدنها وعلى كثافة السكان بأقاليمها المختلفة ومستويات العمل بها .

الهجرة الداخلية :

أوضحت بيانات التعدادات السكانية في تونس منذ سنة ١٩٢١ أن تيارات الهجرة الريفية نحو المدن لم تبدأ الا في أوائل الثلاثينيات، فبينما كانت نسبة نمو سكان الريف والحضر متقاربة في الفترة التعدادية ٢٦ - ١٩٣٦ ، أخذ معدل النمو السكاني للمدن في التزايد على حساب الريف وذلك بشكل مطرد حتى بلغ أقصاه عام ١٩٦٦ ، ففي الوقت الذي زادت فيه نسبة النمو السكاني في الريف من ١٥٪ سنويا في الفترة التعدادية ٣٦ - ١٩٥٦ الى ١٨٪ فقط في الفترة من ٥٦ - ١٩٦٦ ، ارتفعت نسبة النمو السكاني في الحضر الى ٢٩٪ في الفترة الاولى ثم الى ٣٩٪ في الفترة الثانية . ولكن ابتداء من منتصف الستينيات تراجعت نسبة نمو سكان الريف والحضر معا لانخفاض معدل النمو السكاني القومي من ٢٦٪ سنويا في الفترة ٥٦ - ١٩٦٦ الى ٢٣٪ في الفترة ٦٦ - ١٩٧٥ ، وذلك لاسباب من أهمها تزايد تيار الهجرة الخارجية التونسية نحو أوروبا وليبيا وكذلك بداية انخفاض معدل المواليد وان كان هبوطا طفيفا . فقد أظهرت بيانات تعداد سنة ١٩٨٤ أن تقلص النزوح الريفي الذي بدأ في الفترة التعدادية ٦٦ - ١٩٧٥ قد استمر بعد ذلك وتبع هذا التحول انخفاض مواز لنسبة نمو سكان المدن ، فقد ارتفع معدل نمو سكان الريف الى ٢٪ سنويا مقابل ٣٪ لسكان الحضر وذلك رغم انخفاض هجرة العمال التونسيين نحو الخارج منذ سنة ١٩٧٤ وحتى الوقت الحاضر .

وقد أدت الهجرة من الريف للحضر الى تحول جذري في المجتمع التونسي ولعل أبرز نتائجها التناقص المستمر في عدد سكان الريف وتزايد مقابل لسكان الحضر ، فقد تزايدت نسبة سكان المدن من ٣٠٪ من جملة سكان تونس سنة ١٩٣٦ الى ٣٥٪ سنة ١٩٤٦ ثم الى ٤١٪ سنة ١٩٥٦ و ٤٨٪ سنة ١٩٧٥ ثم الى ٥٦٪ سنة ١٩٨٤ وقد أصبحت تيارات الهجرة الداخلية اليوم أكثر فأكثرت تيارات هجرة بين المدن أكثر منها بين الريف والمدن أي أن النزوح الريفي الذي كان ظاهرة مهيمنة منذ منتصف الثلاثينيات وحتى أوائل الستينيات - تقلص وأصبح أقل أهمية من الهجرة بين المدن .

ورغم أن كل الاقاليم في تونس قد شهدت هجرة داخلية الا أن تياراتها لم تبدأ في وقت واحد كما لم تكن بمعدلات متشابهة ، وتتباين هذه الاقاليم في العوامل الكامنة لطرد المهاجرين أو جذبهم كما تتباين في النتائج التي ترتبت على الهجرة السكانية بها .

ذلك تزايد سكان هذه المناطق، فقد تضاعف عدد سكان مدينة تونس - على سبيل المثال من ٢٦٥٠٠٠ ألف نسمة الى ٥٩٠٠٠٠ نسمة في عشرين عاما (١٩٣٦ - ١٩٥٦) .

أما الاقليم الشمالى الغربى الذى كان يتميز باستقرار سكانى فى الماضى عكس الوسط والجنوب فقد بدأ يشهد هو الاخر تيارات هجرة مغادرة تصاعدت حدها بعد الاستقلال بل أصبحت ولايات هذا الاقليم وهى باجة وجندوبة والكاف وسليانة أهم مصدر للمهاجرين نحو العاصمة حتى اليوم . تليها فى ذلك منطقة الجنوب الشرقى وساحل سوسة . وقد كانت البطالة الجزئية والكلية وتفاقمها بين العمال الريفيين بالاضافة الى ارتفاع معدلات التزايد السكانى وظهور أزمات اجتماعية لم تكن تعرفها المنطقة من قبل - الدافع الرئيسى وراء حركة النزوح الريفى من ولايات الشمال الغربى نحو العاصمة .

أما منطقة الطرد الأخرى وهى منطقة الساحل فتمثل منطقة طرد ريفى وحضرى مبكر ، وهى منطقة مكتظة بالسكان وتزايدت معدلات الهجرة منها فى أعقاب الأزمات الاقتصادية التى شهدتها منذ منتصف الاربعينيات ، فقد قل إنتاج الزيتون وتدهورت الصناعات التقليدية بسبب اغراق السوق بالصناعات المستوردة من فرنسا بأسعار رخيصة ، كما أن قطاع الصيد ظل تقليديا دون تطور وارتبط ذلك كله بتزايد سكانى كبير واشتداد أزمة البطالة مما أدى الى ظهور حركة هجرة كبيرة نحو العاصمة على وجه خاص ، وقد شذت مدينة سوسة عاصمة اقليم الساحل عن هذه القاعدة حيث تعد مركز جذب محلى لتعدد وظائفها بسبب مينائها والخدمات المختلفة التى تؤديها .

وتبين بيانات تعداد سنة ١٩٨٤ أن كل المناطق الداخلية بما فيها الاستبس الاعلى والاستبس الادنى واطليم قفصة والمعتمديات التعدينية قد تحولت من مناطق جاذبة الى مناطق طاردة للسكان .

وهكذا أصبحت المناطق الداخلية طاردة للسكان بدرجة كبيرة، وتأخذ تيارات الهجرة المغادرة اتجاها عاما من الغرب الى الشرق أى من الداخل نحو الساحل .

مناطق الجذب :

تمثل تونس العاصمة منطقة الجذب الرئيسية لحركة الهجرة الداخلية فى تونس ، وقد ظلت تيارات الهجرة فى معظمها تتجه اليها حتى أوائل

السبعينيات حتى ظهرت أقطاب جديدة لجذب المهاجرين مرتبطة بالمشروعات الصناعية والسياحية والخدمات في الواجهة الساحلية الشرقية وذلك منذ أوائل السبعينيات وخاصة في الوطن القبلي وفي بنزرت - منزل بورقيبة وفي جربة وجرجيس . وقد أظهرت بيانات تعداد ١٩٧٥ أنه بالإضافة الى مدينة تونس كمنطقة جذب رئيسية فان ولايات الواجهة الساحلية الشرقية أصبحت جاذبة للسكان وهي بالترتيب ولايات المنستير والمدنين والمهدية وسيدي بوزيد ونابل وسوسة حيث كان صافي الهجرة في صالحها جميعا (شكل رقم ٥٩) .

وقد ساعدت الاستثمارات العامة الضخمة التي شهدتها ولاية قابس منذ سنة ١٩٧٠ والتي تمثلت في المجتمع الصناعي لقابس - غنوش الى جعل ولاية قابس من الولايات الجاذبة للمهاجرين حيث حققت هجرة صافية موجبة بلغت ١٣٪ في الفترة من ١٩٧٥ - ١٩٨٠ .

وتشذ ولاية سيدي أبوزيد عن بقية الولايات الداخلية في أنها تحولت الى منطقة جاذبة للسكان ، وقد استفادت من انشاء ولاية جديدة بعد سنة ١٩٧٠، كما شهدت توسعا في الاراضي الزراعية المعتمدة على الري لزراعة الخضر وكذلك التوسع في زراعة الزيتون والاشجار المثمرة وخاصة اللوز .

الهجرة الخارجية :

الهجرة الخارجية الموافدة :

لم تلعب الهجرة الخارجية للتونسيين دورا في الوضع الديموغرافي بتونس الا منذ نحو عقدين فقط، وقبل ذلك كانت تونس تستقبل المهاجرين الاجانب من الاقطار المجاورة خاصة من ليبيا والجزائر وايطاليا واليونان ثم من فرنسا بعد اعلان السيطرة الفرنسية على تونس في سنة ١٨٨١ ، وكانت تونس تعاني نقصا في السكان حتى أواخر القرن التاسع عشر مما أدى الى جذب الاليدى العاملة الاجنبية لسد هذا النقص ثم عملت سياسة الحماية الفرنسية على جلب وتوطين أعداد كبيرة من الفرنسيين ، وقد تزايدت أعداد الاجانب بشكل مطرد لتصل الى ٢٢٠.٠٠٠ نسمة سنة ١٩٢١ أى بنسبة ١٠٪ من جملة السكان ثم ظلت هذه النسبة ثابتة تقريبا حتى سنة ١٩٥٦ - عام الاستقلال حيث بلغ عدد الاجانب ٣٤١٥٠٠ نسمة .

وقد تغيرت اتجاهات الهجرة الخارجية نحو تونس منذ الاستقلال وارتبط ذلك بعوامل داخلية ارتبطت باستعادة تونس لسيطرتها على مظاهر الانتاج والخدمات التي كانت تستوعب عددا كبيرا من الاجانب

وترتب عليها خروج الفرنسيين والايطاليين على نطاق كبير ، ويعوامل خارجية تمثلت في التحولات الضخمة التي شهدتها الدول المجاورة ، فقد استقلت ليبيا والجزائر وظهر البترول بهما واستثمرت عوائده في التنمية مما أدى الى عودة الاغلبية الساحقة من الليبيين والجزائريين الى بلادهم وقد ترتب على ذلك انخفاض حاد في عدد الاجانب في تونس من ٣٤١٥٠٠ نسمة سنة ١٩٥٦ الى ٣٨٠٠٠ نسمة فقط سنة ١٩٧٥ ، وتدنت نسبتهم من ١٠٪ من جملة السكان عند الاستقلال الى ١٫٥٪ سنة ١٩٦٦ ثم الى حوالى نصف في المائة فقط سنة ١٩٧٥ وربما وصلت الى ما دون ذلك سنة ١٩٨٤ .

الهجرة الخارجية المغادرة :

لم تشهد تونس هجرة نحو الخارج الا حديثا وذلك على عكس الجزائر التي كانت الهجرة منها نحو الخارج مبكرة ، وقد بدأت الهجرة الخارجية المغادرة بأعداد قليلة عقب الاستقلال ثم تزايدت تدريجيا بعد ذلك حتى سنة ١٩٦٤ وتراوحت بين ٢٠٠٠ - ٩٠٠٠ مهاجرا سنويا في هذه الفترة (٥٦ - ١٩٦٤) ، وارتبطت هذه الاعداد بخروج اليهود التونسيين وكذلك بهجرة العمال الزراعيين لدى المستعمرين الذين هاجروا لفرنسا بصفة نهائية . وقد بلغت الهجرة الخارجية المغادرة أوجها في الفترة من ١٩٦٤ - ١٩٧٣ حيث زاد عدد المهاجرين زيادة كبيرة وبمتوسط سنوى بلغ ١٨٥٠٠ مهاجرا ، وارتبطت هذه الهجرة بتوفر فرص العمل في الاسواق الاوربية خاصة فرنسا والمانيا الاتحادية وهولنده ثم في ليبيا عقب الارتفاع الكبير في عوائد البترول بها .

وقد قدر عدد المهاجرين التونسيين نحو الخارج بحوالى ٢٥٠٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٧٥ أو ما يعادل ٤٫٤٪ من مجموع سكان تونس في تلك السنة ، وتوجد الاغلبية الساحقة من هذا العدد في فرنسا وليبيا ، وقد قدر أن نسب المهاجرين التونسيين في الفترة من ٦٩ - ١٩٧٤ كانت تتوزع على النحو التالى : ٤٣٪ في فرنسا ، ٣٦٪ في ليبيا والبقية في المانيا الاتحادية وغيرها من الدول خاصة دول غرب أوروبا .

والمهاجرون التونسيون الى أوروبا غالبا مايكونون من القسم الشمالى من تونس وتنطبق عليهم ظاهرة الانتقاء الهجرى بجلاء ، فمعظمهم من الايدى العاملة الشابة (٧٣٪ من العمال التونسيين في فرنسا دون ٣٠ سنة وفى ألمانيا تصل الى ٩٠٪) وأغلبهم من المؤهلين . أما العمال المهاجرون الى ليبيا فهم من الجنوب التونسى وغالبا مايكونون في أعمار أكبر من

مهاجري أوروبا (٥٦% منهم أكثر من ٣٠ سنة) كما أن معظمهم من غير المؤهلين . وتنعكس العلاقات السياسية المتغيرة بين تونس وليبيا على عدم استقرار أعداد المهاجرين التونسيين في ليبيا فقد تعرضوا عدة مرات الى الطرد لعل آخرها طرد نحو ٣٠.٠٠٠ عامل تونسي في أغسطس ١٩٨٥ .

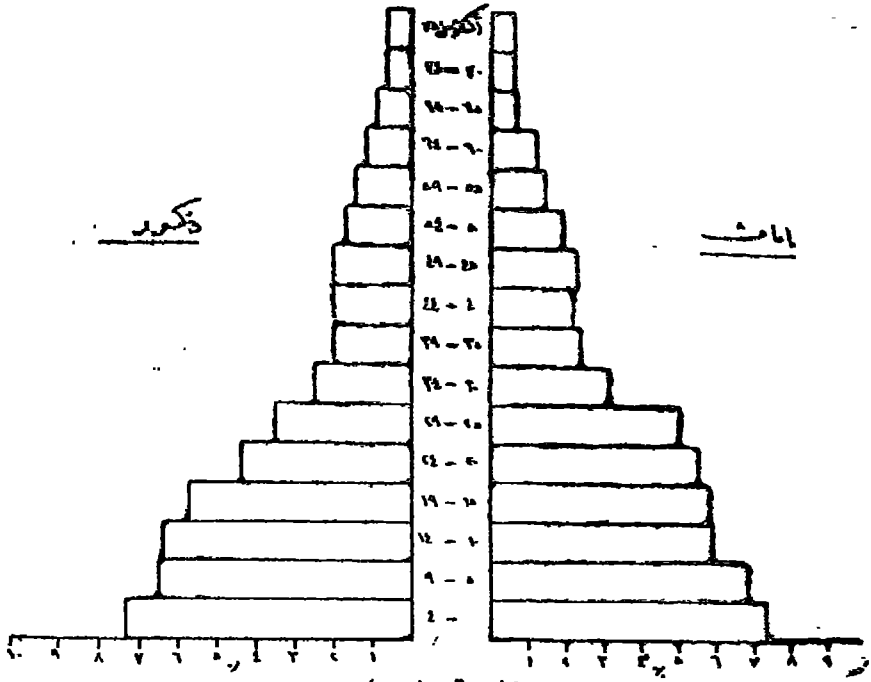
وقد تميزت الهجرة الخارجية للتونسيين بعدم الانتظام منذ منتصف السبعينات . فقد أصبح عدد المهاجرين العائدين يفوق عدد المغادرين وقد ارتبط ذلك بضيق سوق العمل في أوروبا والعلاقات المتارجحة بين ليبيا وتونس . ورغم ذلك فمازالت ليبيا من أهم الاسواق الخارجية التي يتجه اليها التونسيون .

وقد قدر العدد الصافي للمهاجرين التونسيين في الخارج بعد موجات العودة من أوروبا وليبيا بنحو ٣٠٠.٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٨٤ ، ورغم الصعوبات التي تواجه الهجرة الخارجية التونسية فانها مازالت توفر للبلاد موارد هامة من العملة الصعبة ، فقد تزايدت تحويلات العاملين في الخارج من ٢٢ مليون دينار سنة ١٩٧١ الى ٧٢٣ مليون سنة ١٩٧٧ ثم الى ٢٤٦ مليون دينار سنة ١٩٨٤ . ومازال الدخل من الهجرة من العملة الصعبة يأتي في المرتبة الثالثة بعد الدخل الصافي من حصيد تصدير واستيراد البترول والغاز والفحم (٣٣٩ مليون دينار سنة ١٩٨٤) ، والسياحة (٣٥٧ مليون دينار سنة ١٩٨٤) .

وقد لعبت الهجرة التونسية دورا كبيرا في اقتصاديات تونس وأسهمت في التخفيف من مشكلة البطالة ومن الضغط الشديد للنزوح الريفي على المدن التونسية خاصة مدن الجبهة الساحلية الشرقية وساعدت في استكمال بعض جوانب التنمية السكنية والزراعية والنقل ، ومع هذه النتائج الايجابية فقد كان لها نتائج سلبية لعل من أبرزها أنها عملت على دخول المجتمع التونسي مرحلة الاستهلاك المتأثر بالغرب وزادت من حركة السكان في أنحاء البلاد وعملت على استقرار كثير من العائدين من الخارج في المدن .

بعض مظاهر تركيب السكان :

تتباين مظاهر التركيب السكاني في المجتمع التونسي شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات . وتتحدد أبرز هذه المظاهر في التركيب العمري النوعي ، والتركيب الاقتصادي والتركيب الاجتماعي كالحالة التعليمية والزواجية وغيرها .



شكل رقم (٦٠)
الهرم العمري النوعي لسكان تونس

(١) التركيب العمري النوعي :

يعد التركيب العمري النوعي نتاجا لمكونات النمو السكاني من مواليد ووفيات وهجرة ، ويوضح الجدول رقم (٧٦) توزيع السكان حسب السن والنوع ، ومن أرقام هذا الجدول والتي يمثلها الهرم العمري النوعي للسكان شكل رقم (٦٠) يتضح أن المجتمع التونسي مجتمع فتي بدرجة كبيرة يدل على ذلك الارتفاع الكبير في نسبة الصغار (٠ - ١٤ سنة) والتي تصل إلى ٣٨% من جملة السكان ، وهي نسبة عالية تدل على ارتفاع مستويات الخصوبة ، وذلك رغم انخفاض هذه النسبة من ٤٦,٥% سنة ١٩٦٦ إلى ٤٣,٨% سنة ١٩٧٥ ، ويرجع ذلك الانخفاض بصفة أساسية إلى انخفاض معدل الوفيات وخاصة في الأعمار المبكرة والتي تشكل وفياتها نسبة كبيرة من جملة الوفيات ، وكذلك الانخفاض الذي طرأ على مستويات الخصوبة منذ منتصف الستينيات وإن كان انخفاضا قليلا .

والهرم العمري النوعي للسكان في تونس عريض في قاعدته ثم يتدرج إلى الداخل كلما ارتفع لأعلى تبعا للأعداد السابقة من المواليد والوفيات التي أسهمت في تحديد شكله ، وهو عريض عند القاعدة نتيجة أعداد الاطفال التي تحل على المجتمع كل عام مما يؤدي إلى التجديد المستمر لقاعدته وبالتالي قلة نسبة الأعمار الوسطى والكبيرة .

وقد أدى انخفاض نسبة الصغار في الفترة من ١٩٦٦ - ١٩٨٤ الى تزايد في نسبة متوسطى السن (١٥ - ٦٤ سنة) من ٥٠% من مجموع السكان في سنة ١٩٦٦ الى ٥٧,٨% سنة ١٩٨٤ وكبار السن (+٦٥) من ٣,٥% الى ٤,٣% في العامين المذكورين .

جدول رقم (٧٦)

التوزيع النسبى لفئات السن للذكور والاناث ونسبة النوع لسكان تونس
١٩٨٤ (% من جملة السكان) (١)

نسبة النوع	ذكور	اناث	فئات السن
٠ - ٤	٧ر٤	٧ر٣	١٠١
٥ - ٩	٦ر٩	٦ر٨	١٠٢
١٠ - ١٤	٦ر٤	٥ر٩	١٠٨
جملة ٠ - ١٤	٢٠ر٧	٢٠ر٠	١٠٣
١٥ - ١٩	٥ر٧	٥ر٨	٩٨
٢٠ -	٤ر٤	٥ر٠	٩٠
١٥ -	٣ر٥	٤ر٠	٨٦
٣٠ -	٢ر٥	٣ر١	٨١
٣٥ -	٢ر٠	٢ر٣	٨٦
٤٠ -	٢ر٠	٢ر١	٩٣
٤٥ -	٢ر٠	٢ر٢	٩٢
٥٠ -	١ر٧	١ر٩	٩١
٥٥ -	١ر٤	١ر٤	٩٩
٦٠ -	١ر١	١ر٢	٩٧
جملة ١٥ - ٦٤	٢٦ر٣	٢٩ر٠	٩١
٦٥ -	٠ر٩	٠ر٧	١١٧
٧٠ -	٠ر٦	٠ر٦	٩٦
٧٥ +	٠ر٦	٠ر٦	١٠٠
جملة ٦٥ +	٢ر١	١ر٩	٦٩
	٤٩ر١	٥٠ر٩	٩٧

وقد تم حساب العمر الوسيط لسكان تونس في الفترة من ١٩٦٦ - ١٩٨٤ كما يبدو في الجدول رقم (٧٧) ومن الواضح أن العمر الوسيط قد تزايد في العشرين سنة الاخيرة من ١٦ر٨ سنة في تعداد ١٩٦٦ الى ١٩ر١ سنة في تعداد ١٩٨٤ ، ويرجع ذلك كما سبق القول الى انخفاض مستوى الخصوبة السائد وانخفاض معدل الوفيات في مختلف فئات السن مما انعكس على تزايد أمد الحياة في البلاد .

(١) المصدر : منصر الرويسى والمنجى بشير - المرجع السابق - ص ٩٦
أما نسبة النوع فمن حساب المؤلف .

جدول رقم (٧٧)

تطور فئات السن الرئيسية والعمر الوسيط للسكان في تونس في الفترة
١٩٦٦ - ١٩٨٤ (%) (١)

فئات السن	١٩٦٦	١٩٧٥	١٩٨٤
أقل من ١٥	٤٦,٥	٤٣,٨	٣٧,٩
١٥ - ٦٤	٥٠,٠	٥٢,٧	٥٧,٨
٦٥ سنة فأكثر	٣,٥	٣,٥	٤,٣
الجملة	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠
العمر الوسيط بالسنة	١٦,٨	١٧,٧	١٩,١

وبدراسة نسبة النوع - عدد الذكور لكل مائة من الاناث - كما وردت في الجدول رقم (٧٦) يبدو أن المجتمع التونسي متوازن في مجموعته في عدد الذكور والاناث مع زيادة طفيفة في عدد الذكور في فئات السن الصغرى (دون ١٥ سنة) وزيادة في عدد الاناث في فئات الاعمار الوسطى (١٥ - ٦٤) ، وربما كان مرجع ذلك هو تأثير الهجرة الخارجية المغادرة على فئات السن المنتجة وذلك بالاضافة الى عوامل ديموغرافية أخرى مرتبطة بتزايد معدلات الوفيات لدى الذكور بدرجة أكبر منها لدى الاناث وذلك بالتقدم في السن مع ما هو معروف عن تزايد أمد الحياة للاناث أكثر منه للذكور .

(٢) التركيب الاقتصادي للسكان :

بلغ عدد السكان في سن العمل ٢ر٤ مليون نسمة سنة ١٩٦٦ أو ٥٣٦٪ من جملة السكان ولكن عدد العاملين كان أقل من ذلك بكثير حيث لم يتجاوز ١ر٠٩٣ر٠٠٠ نسمة منهم ١ر٠٢٧ر٠٠٠ من الذكور بمعدل نشاط بلغ ٨٣ر٥٪ بينما الاناث لم يتجاوز عددهم ٦٦٤٦٩ نسمة بمعدل ٦٪ فقط . وقد تزايد حجم القوى العاملة في تعداد ١٩٨٤ ليصل الى

(١) المصدر :

Kassab, A., et Sethom, H., Géographie de la Tunisie, Tunis, 1980, p. 113
الرويمي وستهم - الوضع الديموغرافي وآفاقه المستقبلية - ضمن
كتاب : جامعة تونس - العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ -
ص ٩٦ .

١٦٨١٦٠٠ نسمة من الذكور و ٤٥٥٥٠٠ نسمة من الاناث أى أن مجموعهم بلغ ٢٩ مليون نسمة بنسبة ٣١% من جملة السكان في تلك السنة .

ويختلف توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادي (جدول رقم ٧٨) ولكن كما هو متوقع في تونس كدولة نامية فان أعلى نسبة ستكون من نصيب أنشطة القطاع الاول ، رغم تزايد نسبة العاملين في القطاع الثانى والثالث . ومن الواضح أن العاملين في القطاع الاول (الزراعة والرعى والغابات والصيد) تناقصت بوضوح منذ الاستقلال من ٦٧ر٦% سنة ١٩٥٦ الى ٢٦ر٥% سنة ١٩٨٤، (جدول رقم ٧٨) بينما أدى التوسع في المشروعات والخدمات الى تزايد العاملين في القطاع الثانى (الصناعة) من ١٠% سنة ١٩٥٦ الى ٣٤ر٥% سنة ١٩٨٤ . وكذلك القطاع الثالث (الخدمات) من ٢٣% الى ٣٣ر٨% في هذين العامين . ويلاحظ من الجدول تزايد نسبة السكان في فئة (غير مبين) بما يعنى تزايد الانشطة الهامشية والعمالة المؤقتة التى تشمل العمال الموسمييين في القطاعات الثلاثة ، وقت تزايدت نسبة غير مبين من ٩% سنة ١٩٥٦ الى ١٧% سنة ١٩٧٥ وان كانت قد انخفضت الى ٥ر٣% من جملة العاملين سنة ١٩٨٤ .

جدول رقم (٧٨)

التطور النسبى للعاملين في تونس حسب النشاط الاقتصادي(١)

النشاط	١٩٥٦	١٩٦٦	١٩٧٥	١٩٨٤
الزراعة والغابات والصيد	٦٧ر٧	٥٢ر٠	٣٢ر٥	٢٦ر٥
الصناعات الاستخراجية	١ر٢	١ر٨	١ر٧	٢ر١
الصناعات التحويلية	٦ر٢	٧ر٩	١٤ر٨	١٩ر٢
التشييد والاشغال العامة	٢ر٢	٤ر٥	٨ر٨	١٣ر٢
الماء والكهرباء والغاز	٠ر٢	١ر٣	٠ر٧	-
التجارة والبنوك والتأمينات	٤ر٨	٥ر٧	٧ر٧	٧ر٩
النقل والمواصلات	٢ر٠	٣ر٠	٣ر٥	٤ر٨
الخدمات	٦ر٤	١٣ر٣	١٣ر٤	٢١ر١
غير مبين	٩ر٣	١٠ر٣	١٦ر٨	٥ر٢
الجملة النسبية	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

(١) المصدر : تعدادات السكان في السنوات المذكورة نقلا عن :
Kassab, A., et Sethom, H., Geographie de la Tunisie, Tunis, 1980, p. 193.
Europa Publications Limited, The Europa Yearbook 1987, p. 2702.

وقد أدى التطور في مجال التصنيع والخدمات منذ الاستقلال الى تزايد نسبة العاملين في هذين القطاعين ، فقد تبنت الدولة سياسة التخطيط من خلال خطط خمسية مما أدى الى استثمارات ضخمة في البنية الاساسية وفي التعليم والصحة والسياحة ، ورغم ذلك ومع الهجرة نحو الخارج فلازالت القوة العاملة التونسية تعاني بطالة مزمنة خاصة البطالة المقنعة ، وقد بلغ عدد المتعطلين عن العمل ٣٥٠٧٠٠ نسمة سنة ١٩٨٤ بنسبة ١٦٤٪ من حجم القوة العاملة في تلك السنة ، وهى نسبة عالية بشكل واضح .

وقد أنشأت الدولة مكتب التكوين المهني والاستخدام سنة ١٩٦٧ للوقوف على احتياجات السوق من الايدي العاملة وللمساعدة في ايجاد فرص العمل ، وقد هدفت الخطة الخمسية (٧٧ - ١٩٨١) الى خلق ٢٣٣٠٠٠ فرصة عمل بمتوسط ٤٦٠٠٠ فرصة سنويا ولكن رغم ذلك فان العرض من العمالة يفوق الطلب ومما يزيد المشكلة حدة عودة عدد من العاملين بالخارج لضيق سوق العمل الاوربي وتراجع سوق العمل الليبي وضعف تيار الهجرة نحو الدول العربية البترولية في الخليج .

(٣) الحالة التعليمية :

يعد التعليم من أهم مظاهر التنمية البشرية في تونس ، وتبين الارقام المتاحة أنه يحظى بأهمية كبرى يدل عليها التناقص في نسبة الامية من ناحية والتزايد في أعداد المتحقين بمراحل التعليم المختلفة من ناحية أخرى .

وتبلغ الامية في تونس ٤٦٪ من جملة السكان (١٠ سنوات فأكثر) سنة ١٩٨٤ . وهى رغم ذلك نسبة عالية تشبه بعض الاقطار العربية الاخرى مثل مصر التي بلغت فيها النسبة ٤٩٪ سنة ١٩٨٦ .

والملاحظ من بيانات الجدول رقم (٧٩) أن نسبة الامية قد هبطت بنسبة الثلث تقريبا في نحو عشرين عاما . ففي سنة ١٩٦٦ كان أكثر من ثلثي السكان في تونس أميين ، ثم أصبحت النسبة ٤٦٪ سنة ١٩٨٤ .

ومن الواضح أن نسبة الامية في الريف تقترب من ضعف مثلتها في الحضر وهذا أمر متوقع حيث يحظى الحضر بخدمات تعليمية تفوق الريف، إضافة الى تزايد الاهتمام بالتعليم في الحضر عنه في الريف ، وبالإضافة الى ذلك تزداد نسبة الامية بين الاناث بشكل واضح حتى أن أكثر من ثلاثة أرباع الاناث في الريف سنة ١٩٨٤ غير قادرات على القراءة والكتابة .

جدول رقم (٧٩)
تطور الامية في تونس حسب النوع في الحضر والريف
(% من جملة السكان ١٠ سنوات فأكثر) (١)

السنة والنوع	١٩٦٦		١٩٧٥	
	حضر	ريف	حضر	ريف
ذكور	٣٩١	٦٤٧	٣٠٢	٥٤٩
اناث	٦٨٣	٩٢١	٥٢٧	٨٤٣
المجموع	٥٣٢	٧٨٣	٤١٤	٦٩٣

السنة والنوع	١٩٨٤	
	حضر	ريف
ذكور	٢٣٥	٤٨٠
اناث	٤٣٢	٧٦٢
المجموع	٣٣٢	٦١٩

وتتفاوت الولايات الثلاث والعشرون تفاوتاً كبيراً في نسبة الامية بها، ولكن الملاحظ أن الولايات الساحلية تتناقص بها هذه النسبة فتصل في ولايات تونس الى ٣٢,٩% والمنستير الى ٣٥,٩% وصفاقس الى ٤٠,٣% ، بينما تتزايد بالاتجاه نحو الداخل ونحو الجنوب فتصل الى ٦١,٧% و ٦١,١% و ٦٠,٥% في ولايات القيروان وسيدي بوزيد والقصرين على الترتيب .

ويمكن اتخاذ التعليم الابتدائي مثالا على تزايد الاهتمام بالخدمات التعليمية في تونس ، ويبين الجدول رقم (٨٠) تطور بعض مؤشرات هذا التعليم منذ سنة ١٩٦٢ .

ومن الواضح أن عدد المدارس قد تضاعف في ربع قرن ، بينما تزايد

(١) المصدر:

- التعدادات العامة للسكان والسكن لسنوات ١٩٦٦، ١٩٧٥، ١٩٨٤ .
- المعهد القومي للإحصاء عن :
- جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر - العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ٢٨١ .

عدد الفصول الى نحو أربعة أمثال ما كانت عليه في سنة الاساس كما
تزايد عدد التلاميذ مرتين ونصف مرة خلال هذه الفترة .

جدول رقم (٨٠)

تطور بعض مؤشرات التعليم الابتدائي في تونس منذ ١٩٦٢ - ١٩٨٧ (١)

السنة	عدد المدارس	عدد الفصول	عدد التلاميذ	نسبة الزيادة في عدد التلاميذ (سنة الاساس = ١٠٠٪)
١٩٦٢	١٥٢١	٦٧٥٧	٥٢٧٣٧٣	١٠٠
١٩٧٢	٢٢٣٨	١٣٤٢٠	٨٨٣٧٣٤	١٦٧
١٩٨٢	٢٩٣٧	١٧٠٢٥	١١٤٢٠٦٠	٢١٦
٨٨/١٩٨٧	٣٦٠٥	٢٢٠٢٦	١٣٣٨٩٠٥	٢٥٤

وفي سنة ١٩٨٤ ، كانت نسبة المقيدون في التعليم الابتدائي ٩٤٪ من الاطفال في سنة التعليم (١٠٠٪ بنين و ٨٧٪ بنات) ، كما كانت نسبة المقيدون في مرحلتى التعليم الابتدائي والثانوى (الابتدائي من سن ٦ سنوات والثانوى يبدأ من سن ١٢ سنة) نحو ٧٥٪ من الاطفال في سن التعليم (٨٣٪ بنين و ٦٦٪ بنات) .

(١) المصدر :

- أ - الحوليات الاحصائية للبلاد التونسية - المعهد القومى
للحصاء نقلا عن : جامعة تونس - المعهد الاعلى للتربية والتكوين المستمر
العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ .
ب - وزارة الاعلام - معلومات عن تونس - مطبعة لابراس (ب.ت)
ص ص ١٧ - ١٨ .

الفصل التاسع

التحركات السكانية والمرأة العربية

رؤية اقليمية

كانت التحركات السكانية ولا تزال تؤلف واحدة من أهم الظواهر التي ارتبطت بالانسان عبر عصوره التاريخية المتعاقبة ، وقد ترتبت عليها نتائج ديموغرافية واجتماعية واقتصادية في اقاليم العالم المختلفة حتى أن خريطة التوزيع السكاني والحضارى لعالم اليوم تعد نتاجا لعوامل أبرزها التحركات السكانية على مر العصور .

ورغم أن التحركات السكانية ظاهرة قديمة فانها تحدث الان على نطاق أوسع بكثير جدا مما كانت عليه في الماضي وأصبحت تتعدى كل الحدود السياسية وتشمل فئات متباينة من البشر ، وتعاضم دورها في العقود الاخيرة حتى أصبحت مساوية للتدفقات الهجرية من أوروبا عبر الاطلنطى خلال الفترة من ١٨٤٠ - ١٩٣٠ والتي قدرت بنحو ٥٢ مليون نسمة . وساعد على ذلك ظهور مناطق جديدة للجذب السكاني مثل الشرق الاوسط وغرب أوروبا واستمرار الهجرة الى الولايات المتحدة وكندا واستراليا .

وبصرف النظر عن التباين في تعريف مفهوم التحركات السكانية تعريفا مقبولا وشاملا الا أنه يكاد يكون هناك تمييز واضح بين الهجرة باعتبارها تغييرا لموطن الإقامة وبين بعض أشكال التحركات البشرية الاخرى مثل تحركات البدو الرحل والرعاة . فهذه تحركات موسمية تختلف عن الهجرة بمفهومها وأنماطها المعروفة سواء كانت داخلية أو دولية دائمة أو مؤقتة قسرية أو طوعية .

وقد عرف العرب أنماطا عديدة من التحركات السكانية التاريخية خاصة في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام عندما انتقلت أعداد كبيرة من المهاجرين العرب خارج أوطانهم حاملين المؤثرات الحضارية العربية ثقافة ولغة الى مناطق بعيدة في جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وشمالها . كذلك شهد العصر الحديث أنواعا من التحركات السكانية الخارجية تدلت في انتقال عدد كبير من المهاجرين العرب نحو أوروبا والأمريكيتين واستراليا .

والواقع أن العالم العربي قد شهد كل أنواع التحركات السكانية في القرن العشرين . وقد نتجت هذه التحركات عن عوامل متعددة سياسية واجتماعية واقتصادية ، وتميزت فيما بعد الحرب العالمية الثانية بظهور تيارات قوية متجهة من الاقطار التي ترتفع فيها نسبة السكان الى الموارد Population Resource Ratio الى الاقطار التي تنخفض فيها هذه النسبة الى حد كبير .

وعلى العموم فان التحركات السكانية في العالم العربي يمكن أن تنقسم من حيث المدى والاتجاه الى ثلاثة أنماط كبرى هي التحركات الدورية أو الموسمية والتي تعرف بالانتقال الفصلي Transhumance والهجرة الداخلية أو المحلية ثم الهجرة الدولية . وتتناول هذه الورقة تحليل النمط الاخير وخصائصه العمرية والتنوعية ونتائجه على المرأة العربية ودورها الاسرى والاقتصادي في كل من مناطق الاصل والوصول وذلك بغية الوصول الى وضع سياسة سكانية تتكامل مع بعض قضايا المرأة في العالم العربي .

حجم الهجرة العربية الدولية :

ليس من السهل الوقوف على حجم الهجرة العربية الدولية سواء تلك التي تضمها تيارات الهجرة العربية - العربية ، أو الهجرة العربية - الخارجية . الا أن تاريخ التحركات السكانية الحديثة قد أماط اللثام عن منابع هجرية رئيسية تدفقت منها تيارات متباينة الحجم نحو داخل الوطن العربي وخارجه ، وأظهرت بعض البيانات المتاحة أن هناك دولا عربية تميزت شعوبها بالحراك الجغرافي المبكر وفي مقدمتها لبنان واليمن ، وأخرى فتحت أبوابها للمهاجرين الذين تدفقوا بأعداد فاقت عدد سكانها الاصليين كالكويت والامارات .

ويوضح الجدول رقم (٨١) المنابع الكبرى للهجرة العربية الدولية ، ومن الواضح أن أهم هذه المنابع وهو لبنان لايتضمنه الجدول ، ومرجع ذلك غياب بيانات موثوق بها عن الهجرة اللبنانية وان كانت بعض التقديرات قد أوصلت عدد المهاجرين اللبنانيين بالخارج الى نحو ٤ر٤ مليون مهاجرا ، ويشمل هذا الرقم عدد المغتربين اللبنانيين والمنحدرين من أصل لبناني في جميع أنحاء العالم (١) ، ورغم أن هذا الرقم تقديري وربما يكون غير مبالغ فيه - فان مقارنته مع بقية الدول المذكورة في الجدول يعد أمرا غير منطقي . ولعل أبرز دلالة لهذا الرقم هو أن الشعب

(١) عبد الرعوف فضل الله - لبنان : دراسة جغرافية - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٨٦ .

اللبناني أكثر شعوب العالم العربي في حركة الهجرة الخارجية وربما لا يضاويه شعب آخر في ذلك ، وقد بدأت هجرته الحديثة منذ أواخر القرن الماضي واتجهت تياراتها الرئيسية الى الأمريكتين وأستراليا في المقام الاول ، ولاشك أن ايقاع الهجرة زاد بشكل حاد طوال المحنة اللبنانية التي بدأت في سنة ١٩٧٥ وبشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ هذا القطر .

جدول رقم (٨١)

حجم الهجرة الدولية المغادرة في بعض الدول العربية

الدولة	السنة	عدد السكان	عدد المهاجرين % من عدد السكان
فلسطين (١)	١٩٨١	٤٥٦٨٥٠٠	١٥٨٤٩٠٠
اليمن الشمالي (٢)	١٩٨٦	٩٢٧٤١٧٣	١١٦٨١٩٩
مصر (٣)	١٩٨٦	٥٠٤٥٥٠٤٩	٢٢٥٠٠٠٠
تونس (٤)	١٩٨٤	٦٩٦٦١٧٣	٣٠٠٠٠٠
الجزائر (٥)	١٩٧٥	١٦٠٣٠٠٠٠	٧١٠٦٩٠
المغرب (٥)	١٩٧٥	١٨١٧٧٠٠٠	٢٢٦٠٢٥
السودان (٦)	١٩٧٧	١٦٩٤٩٠٠٠	٢٢٩٠٠٠

- (١) منظمة التحرير الفلسطينية - المكتب المركزي للإحصاء - المجموعة الإحصائية الفلسطينية - عدد ٤ - دمشق ١٩٨٢ .
 عن : حسن صالح - سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا - عمان - ١٩٨٥ - ص ٤٠ ، ولا يشمل هذا الرقم عدد الفلسطينيين بالاردن .
 (٢) الجمهورية العربية اليمنية - التعداد العام للمساكن والسكان - فبراير - ١٩٨٦ - النتائج الأولية - طبعة أولى - مارس - ١٩٨٦ - ص ٤٠ .
 (٣) جمهورية مصر العربية - التعداد العام للسكان والإسكان والمنشآت ١٩٨٦ - النتائج الأولية - ابريل - ١٩٨٦ - ص ١ .
 (٤) حافظ ستهم «الإنسان والمكان» - في كتاب : جامعة تونس - العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٦ - ص ١٤٢ .
 (٥) على لبيب - عمال المغرب العربي بأوروبا - العودة الصعبة - في كتاب المعهد العالي للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - الكويت - ١٩٨٦ - ص ٣٠٣ . وتمثل هذه الأرقام عدد المهاجرين الى فرنسا فقط وهم الغالبية العظمى من المهاجرين من البلدين .
 (٦) عدد العاملين في الخارج - تقدير . عائشة عبد الله (١٩٧٨) عن : جورج ديب - الأطار القانوني للهجرة الدولية - السياسات السكانية في لبنان - بيروت ١٩٨٢ .

أما الهجرة الفلسطينية فتشمل هجرة قسرية وطوعية في آن معا .
وتختلف في دوافعها ونتائجها حيث نجمت في المقام الاول عن الاسباب
السياسية ، وقد ترتب عليها هجرة وتهجير قرابة ثلثي الشعب الفلسطيني
خارج أرضه (٣٥% في الاردن و ٢٩% في الاقطار العربية و ٤٥% في باقى
دول العالم سنة ١٩٨١) (١) .

ويعد الشعب اليمنى من أكثر الشعوب العربية في حركة الهجرة الدولية
حتى أن واحدا من كل ثمانية يمنيين موجود خارج البلاد سنة ١٩٨٦ .
ويبين الجدول رقم (٨١) أن أكبر عدد من المهاجرين قد خرج من مصر
وأن كانت نسبة الهجرة بها تصل الى ٤٥% سنة ١٩٨٦ . وقد تزايد هذا
العدد بعد ذلك خاصة بعد تطور الحرب العراقية الايرانية واتجاه عدد
كبير من العمالة المصرية الى العراق والذي قدر عدد المصريين به قرابة
مليون وربع مليون مهاجرا (٢) . كما يوضح الجدول أن حجم الهجرة التي
خرجت من اقطار المغرب الثلاثة تونس والجزائر والمغرب قد تجاوزت
المليون مهاجرا أكثر من نصفهم كان من الجزائر . وتتشابه نسبة الهجرة
المغادرة في كل من تونس والجزائر وان تباينت تواريخ المقارنة .

تيارات الهجرة الدولية في الوطن العربي :

خضعت تيارات الهجرة الدولية في الوطن العربى فيما بعد الحرب
العالمية الثانية للظروف السياسية والاقتصادية ، وتجلى ذلك بوضوح في
تيارات هجرة وافدة على بعض الاقطار العربية لعل أبرزها هجرة اليهود
الى فلسطين والتي كانت ومازالت مرتبطة بأسباب سياسية ودينية وحدثت
بسببها هجرة قسرية تعد بنفس أهمية الحركة الوافدة .

وبالإضافة الى ذلك هناك تيار من الهجرة الاجنبية التي وفدت على
الوطن العربى تمثلت في التيار الاسيوى الوافد من شبه القارة الهندية
وجنوب شرق آسيا نحو اقطار النفط العربية في منطقة الخليج ، ويبقى
هذا التيار ضمن النمط الاقتصادى الكلاسيكى للهجرة . أما تيارات الهجرة
العربية فيتمثل أحدها في التيار العربى نحو الاقطار المتقدمة والثانى نحو
الاقطار العربية الاخرى التي ترتفع فيها نسبة الموارد الى السكان ارتفاعا
كبيرا للغاية . ويتضمن التيار الاول الهجرة العربية من شمال أفريقيا

(١) حسن صالح - سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا - عمان -
١٩٨٥ - ص ٤٠ .
(٢) نادر فرجاني - الهجرة الى النفط - بيروت - ١٩٨٣ - ص ٨٠ .

والشرق العربى نحو الدول الصناعية فى غرب أوروبا والى الأمريكتين
وأستراليا والثانى يتضمن هجرة العمالة العربية الى دول النفط الغنية .

ويوضح الجدول رقم (٨٢) حجم الهجرة الدولية الوافدة فى معظم
الاقطار العربية . ويبدو أن الدول المذكورة تنقسم الى فئتين كبيرتين

جدول رقم (٨٢)

حجم الهجرة الدولية الوافدة فى معظم الاقطار العربية(١)

الدولة	السنة	عدد السكان (بالالف)	عدد الاجانب (بالالف)	% من عدد السكان
الامارات	١٩٨٥	١١١٧	٧١٣	٦٣٫٨
الكويت	١٩٨٥	١٦٩٥	١٠١٥	٥٩٫٩
قطر	١٩٨٥	٢٤١	١٢٦	٥٢٫٣
البحرين	١٩٨٥	٤٣٥	١٥٩	٣٦٫٥
السعودية	١٩٨٥	١٢٦٤٣	٣٨٧٨	٣٠٫٧
عمان	١٩٨٥	١٢٩٣	٣٢٠	٢٤٫٧
ليبييا	١٩٨٠	٢٩٢٠	٦٥٢	٢٢٫٣
الاردن	١٩٧٩	٢١٠٠	٨٩	٤٫٢
موريتانيا	١٩٧٧	١٣٣٩	٢٨	٢٫١
السودان	١٩٧٣	١٤١١٢	٢٤٨	١٫٨
تونس	١٩٧٥	٥٥٤٩	٣٩	٠٫٧
المغرب	١٩٨٢	٢٠٤٢٠	٦٢	٠٫٣
مصر	١٩٨٦	٥٠٤٥٥	١٠٨	٠٫٢

(١) المصادر :

- أ - دول الخليج : تقديرات الاسكوا استنادا الى التعدادات والمسوحات الرسمية مراجع : المعهد العربى للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - ١٩٨٦ - ص ١٢٨ .
- ب - ج ٠ م ٠ ع - التعداد العام للسكان والاسكان والمنشات ١٩٨٦ - النتائج الاولى - أبريل ١٩٨٧ .
- ج - المملكة الاردنية الهاشمية - التعداد العام للمساكن والسكان - النتائج الرسمية للمحافظات - ١٩٨٤ .
- د - U.N. Economic Commission for Africa, Demographic Handbook for Africa, 1988, Table 24 p. 96.

احداهما تشمل دول الخليج العربية التي تستأثر كما هو متوقع بالغالبية العظمى من المهاجرين حتى أن بعض هذه الدول يعد مثالا فريدا في العالم في ارتفاع نسبة الاجانب الى السكان الاصليين به كما هي الحال في دولة الامارات العربية المتحدة والكويت وقطر . أما الفئة الثانية فهي على طرف النقيض حيث تتدنى نسبة الهجرة الدولية الوافدة بها الى حدود الاحتكاك تذكر . وغنى عن القول أن تيارات الهجرة الخارجية تتجه في معظمها من أقطار الفئة الثانية نحو أقطار الفئة الاولى في مسارات تحكمها عوامل الجذب والطرده .

والواقع أن التيارات القوية للهجرة في الوطن العربي تدل على أن هذا الاقليم يمر في الوقت الحاضر بمرحلة تغييرات ديموغرافية واجتماعية واقتصادية ضخمة أسهمت الهجرة الدولية بدور كبير في احداثها . ورغم تعدد مظاهر الهجرة في هذا الاقليم الا أنه يمكن تقسيمها الى أنماط لكل منها سماته المميزة وهي الهجرة الدولية الوافدة والهجرة الدولية العربية - العربية والهجرة المغادرة (الخارجية) .

أ - الهجرة الدولية الوافدة :

يمثل هذا النوع من الهجرة ماتعرض له الوطن العربي من هجرات غير عربية وفدت اليه من خارجه سواء من نطاق السفانا الافريقي جنوبا أو من النطاق الاسيوى شرقا أو من خارج هذين النطاقين . ويبدو ذلك بوضوح في هجرة أعداد كبيرة من غرب أفريقيا الى السودان والاستقرار فيه مثل جماعات (الفلانة) الذين تعتمد عليهم الزراعة في أرض الجزيرة . كما تعرضت دول الخليج العربي مبكرا لهجرة عناصر فارسية وبلوخستانية وهندية ، ولعبت هذه الهجرات دورا كبيرا في التركيب العرقي واللغوي للسكان في هذه الدول .

الهجرة اليهودية الى فلسطين :

تعد الهجرة اليهودية التي تدفقت على فلسطين منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر أخطر الهجرات الدولية التي شهدتها الوطن العربي في تاريخه الحديث . وقد بدأت منذ أواخر العصر العثماني عندما أنشئت أول مستعمرة يهودية في أرض فلسطين سنة ١٨٣٧ وقدر عدد اليهود آنذاك بنحو ١٥٠٠٠ يهودى ، وتزايد عددهم تدريجيا حتى وصل الى ٢٢٠٠٠ يهودى سنة ١٨٨١ ، وبلغ عدد المهاجرين ٨٤٣٠٠ مهاجرا في الفترة من ١٨٥٠ - ١٩١٤ وقدم معظمهم من روسيا القيصرية وشرق أوروبا . وتزايد عدد المهاجرين اليهود بشكل واضح في عهد الانتداب

البريطاني (١٩١٩ - ١٩٤٨) حتى أصبح عددهم ٤٨٢,٨٥٧ مهاجرا خلال هذه الفترة ، ثم تصاعد منحى الهجرة الوافدة بعد قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ حتى قدر عدد المهاجرين نحو ١,٧ مليون مهاجرا في الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٨٢ من أوروبا والاتحاد السوفيتي ومن الشرق الاوسط .

وقد ارتبطت الهجرة اليهودية الوافدة بطرد جماعي للفلسطينيين من بلادهم ، فقد هجر اليهود أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني سنة ١٩٤٨ ، وشهدت الاعوام التالية أعدادا من الفلسطينيين المهجرين الذين تحولوا مع سابقهم الى لاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة والاقطار العربية المجاورة . وقد تزايد عدد اللاجئين بعد سنة ١٩٦٧ بعد استمرار طرد الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة عقب احتلالهما في تلك السنة .

وهكذا يتضح أن الهجرة اليهودية الى فلسطين تمثل أكبر حركة هجرة استيطانية شهدتها الوطن العربي في تاريخه الحديث . وأدت الى تغير جذري في الهيكل الديموغرافي لفلسطين ، فبعد أن كانت نسبة العرب ٦٥,٢% من جملة سكان فلسطين البالغ عددهم ٢,١ مليون في مايو ١٩٤٨ ، انخفض تدريجيا بعد ذلك ليصل الى ٣٥,٩% فقط من جملة السكان وقدرهم ٥,٣ مليون نسمة سنة ١٩٨٢ (١) .

هجرة العمالة الاسيوية الوافدة :

شهد الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية نمطا فريدا من أنماط الهجرة الوافدة صاغه وحدده النفط العربي واستثمار عوائده في دول الخليج وليبيا ، وأدت الطفرة الاقتصادية التي شهدتها هذه الدول الى تزايد هائل للطلب على القوى العاملة زاد من حدته التخلف الكبير في الموارد البشرية المحلية ، وتمكنت هذه الاقطار من جلب قوى عاملة عربية وغير عربية بأجور عالية عوضتها عن المناخ الصحراوي القاسي مما أدى الى تدفق كثيف للغاية للعمالة الوافدة باتجاه هذه الاقطار .

وكانت الكويت منطقة الجذب الاولى للهجرة العمالية الوافدة منذ أواخر الاربعينات وسرعان ما حذت أقطار خليجية أخرى حذوها في استيراد العمالة مما أدى الى تزايد كبير بشكل لم تشهده منطقة الخليج من قبل وتزايدت معدلات النمو السكاني حتى وصلت الى أرقام فريدة تتراوح بين ٢٠% و٣٠% سنويا في بعض الاقطار الخليجية في الفترة من ١٩٦٥ - ١٩٧٠ .

(١) حسن صالح - المرجع السابق - ص ٢٥١ .

وقد اشتد تيار الهجرة نحو أقطار الخليج منذ سنة ١٩٧٤ بصورة واكبت تصاعد أسعار البترول واستثمار عوائده وصاحب ذلك التدفق الهجري القيود التي وضعت بشأن الهجرة نحو الدول الصناعية الغربية، وأدى تزايد الطلب على القوة العاملة الاجنبية في دول النفط الى اتجاهها نحو شبه القارة الهندية وجنوب شرق آسيا لتأمين احتياجاتها منها وأدى ذلك الى تصاعد مفاجيء في أعداد الاسيويين من عدة آلاف سنة ١٩٧٥ الى أكثر من نصف مليون سنة ١٩٨٠ (٥٦٤ ألف مهاجر) جاء معظمهم من الهند (٤٢%) ، والفلبين (٢٣٣%) وكوريا (٢١٤%) وبنجلاديش (٥٤%) وسريلانكا (٤٣%) وتايلاند (٣٦%) .

ويبين الجدول رقم (٨٣) أن التيار الاسيوى يعظم بشكل ملفت للنظر في دولة الامارات العربية (٤٧١% من الاسيويين في الخليج) وسلطنة عمان (١٥٧%) والسعودية (١٤٢%) ، أى أن أكثر من ثلاثة أرباع الاسيويين يوجدون في هذه الاقطار الثلاثة ويتوزع الباقي بنسب متقاربة في الكويت وقطر والبحرين .

ب - الهجرة الدولية العربية - العربية :

ليست هجرة العرب بين أقطارهم وليدة العصر الحديث بل انها ظاهرة سكانية متواصلة شهدها الوطن العربى على امتداد تاريخه الطويل خاصة بين الاقطار المتجاورة في المشرق والمغرب . وترتب على تلك الهجرات المبكرة اختلاط سكاني وتبادل ثقافى واقتصادى على نطاق واسع .

غير أن أبرز ظاهرات التحركات السكانية الدولية العربية المعاصرة تلك التى ارتبطت بالهجرة المؤقتة للعمل في دول النفط الغنية ، وقد بدأت هذه الظاهرة كما سبق القول عقب الحرب العالمية الثانية مرتبطة في ذلك باستخراج النفط العربى وتعاضم انتاجه وعوائده ، وتزايدت بشكل حاد منذ منتصف السبعينيات عقت الطفرة الاقتصادية التى أحدثها ارتفاع أسعار البترول واستثمار عائداته في مجالات التنمية المختلفة بدول الخليج .

وقد خضعت الهجرة الدولية العربية - العربية لعوامل الطرد في دول المنشأ وعوامل الجذب في دول الاستقبال ، الا أن اتجاه تيارات الهجرة وحجمها وتوزيع أنماطها حددته التباين في توزيع الثروة البترولية في الاقطار العربية وفى مستويات التنمية التى أخذت بها مما أدى الى خلق تيارات هجرة قوية من الدول ذات الدخل المنخفض نحو الدول الغنية .

ومن الواضح أن منابع هجرة العمالة العربية تتركز في ثلاث دول

مشرقية هي مصر واليمن والاردن حيث تستأثر بقراءة ثلثي حجم العمالة المغادرة (٦٣٨٪) ودولتين مغربيتين هما الجزائر والمغرب واللتين يصل نصيبهما الى حوالي ربع حجم العمالة المغادرة (٢٢٣٪) ، ومعنى ذلك أن نحو ٨٦٪ من العمالة العربية تخرج من هذه الاقطار الخمسة وتتوزع على الدول العربية الاخرى (جدول رقم ٨٣) .

جدول رقم (٨٣)

حجم العمالة العربية المهاجرة في بداية الثمانينيات (١)

الدولة	العدد	%	الدولة	العدد	%
مصر	٢٠٠٠٠٠٠	٤٤ر٠	اليمن		
الجزائر	٦٥٠٠٠٠	١٤ر٣	الديمقراطية	٨٠٠٠٠	١٧
اليمن	٦٠٠٠٠٠	١٣ر٢	تونس	٨٠٠٠٠	١٧
المغرب	٣٦٦٠٠٠	٨ر١	سوريا	٨٠٠٠٠	١٧
الاردن	٣٠٠٠٠٠	٦ر٦	عمان	٥٠٠٠٠	١ر١
السودان	٢٠٠٠٠٠	٤ر٤			
لبنان	١٤٠٠٠٠	٣ر١	الجملة	٤٥٤٦٠٠٠	١٠٠ر٠

ويبين الجدول رقم (٨٤) حجم تيارات الهجرة العربية نحو دول النفط ومنه يبدو أن أكبر التيارات تتجه نحو السعودية والكويت ودولة الامارات وليبيا ، وقد أثرت هذه التيارات تأثيرا جذريا في تركيب القوة العاملة بهذه الاقطار حيث أصبحت تمثل مايزيد على ثلثي حجم العمالة بها بل تقترب من أربعة أخماس هذا الحجم في الكويت وقطر والامارات .

وجدير بالذكر أن الهجرة العربية - العربية هي في الاماس هجرة مؤقتة للعمل وغير اندماجية - ربما باستثناء الهجرة الى العراق - ومن ثم فهي ليست هجرة استيطانية ، كما لايقوم تفاعل اجتماعي قوى بين المكونات الوافدة والمواطنين في قوة العمل والسكان .

(١) المصدر :

المعهد العربي للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - ١٩٨٦ - عن: Nazi Choucri and Peter Breeke, Migration in the Middle East, 1983.

جدول رقم (٨٤)
الهجرة الدولية نحو دول النفط العربية بالخليج وليبيا بالالف (١٩٨٠) (١)

ليبيا	دول مجلس التعاون	البحرين	الكويت	قطر	البحرين	السعودية	دول مستقبلية
(١٩٧٦)							دول مصدرة
١٨	٨٠٣	٥	٣	١٧	٢٠٤	٣٧	٣٥٧
-	٣٣٧	(*)	٢	٢	٥	٦	٣٢٢
٣٨٠	٣٠٠	١٠	٣	٤	٦١	٢١	٢٠١
-	١٧٨	(*)	٢	٢	١٢	٩	١٥٣
١٧	٩٩	١	(*)	٢	٤١	١١	٤٤
٩	٧٩	١	(*)	١	٢	٣	٧٢
٧	٧٨	٣	(*)	١	٢٥	١١	٣٨
-	٧٤	(*)	٢	٣	٧	٢١	٤١
-	٥١	(*)	(*)	(*)	٤٥	١	٥
٤٣١	١٩٩٩	٢٠	١٢	٣٢	٤٠٢	١٢٠	١٤١٣
-	٧٨	(*)	٤	٥	٤١	١٥	١٣
-	٦٦٠	١٠٤	٣٧	٥٨	٥٦	٣١١	٩٤
٨٨ (**)	٧٣	٨	٣	٢	٤	١١	٤٥
٥١٩	٢٨١٠	١٣٢	٥٦	٩٧	٥٠٣	٤٥٧	١٥٦٥
-	% ١٠٠	٤٧٢٠	٣٤	١٧٩	١٦٣	٥٥٧	%

(١) المصدر:

- أ - ج. س. بيركس ، س. سنكلير - ١٩٨٠ - الهجرة الدولية والتنمية بالمنطقة العربية (جدول ١٤) .
 ب - مساعد العميم - العوامل المحددة لمستويات الاستخدام ومعدلات مختلف أنواع الهجرة (دراسة حالة الكويت) في سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - ١٩٨٦ - ص ٣٢٣ .
 ج - ج. س. بيركس ، س. سنكلير - السكان والهجرة الدولية في الدول العربية : المعطيات الأساسية - بيروت - ١٩٨٠ .
 (*) أقل من ٥٠٠
 (**) يشمل ٥١ ألف تونسي

ج - الهجرة العربية الخارجية :

سبق القول أن الموقع الجغرافي المتوسط للوطن العربي أسهم بدور حاسم في تاريخه الديموغرافي حيث تأثر بالهجرات الاجنبية الوافدة كما خرجت منه تيارات هجرة متباينة الحجم والاتجاه . واتجه العرب في هجرتهم الخارجية الى كل قارات العالم وان كانت الامريكتان قد حظيت بالنصيب الاكبر في الهجرة اللبنانية ومثلها غرب أوروبا في الهجرة المغربية .

التيار اللبناني نحو العالم الجديد :

عرف سكان لبنان الهجرة الخارجية منذ عهد الفينيقيين عندما طافوا بأجزاء واسعة من حوض البحر المتوسط للتجارة والتبادل الحضارى ، واستمرت الهجرة اللبنانية عبر الحقب التاريخية المتعاقبة مدفوعة بالعديد من العوامل . وقد اشتد تيارها مع أواخر القرن التاسع عشر نحو أمريكا الشمالية والبرازيل . وبلغ متوسط عدد المهاجرين سنويا في الفترة من ١٨٦٠ - ١٩٠٠ حوالي ٣ آلاف شخص وارتفع الى ١٥ ألف في الفترة ١٩٠٠ - ١٩١٤ وانخفض الى ٤٤٠٠ نسمة من ١٩٢١ - ١٩٢٩ . ومع بداية الخمسينيات حتى منتصف السبعينيات ضعف تيار الهجرة نتيجة الاستقرار وتحسن الظروف .

ولكن بعد سنة ١٩٧٥ - ومع اندلاع الحرب الاهلية الاخيرة في لبنان تدفقت أفواج من المهاجرين نحو الخارج بمعدلات كبيرة . وقدر صافي الهجرة الخارجية من لبنان في الخمس سنوات الاولى من المحنة (١٩٨٠-٧٥) بنحو ٢٧٦.٠٠٠ نسمة .

وليس هناك تقدير دقيق عن الهجرة اللبنانية الخارجية ، وان كانت وزارة الاعلام اللبنانية قدرت عدد المغتربين اللبنانيين والمُحدرين من أصل لبنانى في جميع أنحاء العالم سنة ١٩٧٩ بنحو ٤ر٤ مليون نسمة نصفهم تقريبا في البرازيل (٤٥%) والثلث في الولايات المتحدة وكندا (٣١٧%) والسدس في دول أمريكا اللاتينية الاخرى (١٥٦%) .

التيار المغربى نحو غرب أوروبا :

ارتبط تيار الهجرة المغربية نحو غرب أوروبا بالعلاقات الثقافية التي ربطت دول المغرب بفرنسا . وقد أصبحت المهجر الرئيسى للعرب في أوروبا حيث تستحوذ على نحو ٨٨ر٥% من مجموع العرب المقيمين في أوروبا والذين قدر عددهم بنحو ١ر٧ مليون عربى سنة ١٩٧٩ .

وقد بدأت الهجرة المغربية الى فرنسا سنة ١٩١٥ وكانت هجرة قسرية

ابان الحرب العالمية الاولى شملت نحو ١٩٢٠٠٠ عاملا ، عاد معظمهم الى بلادهم بعد انتهاء الحرب . أما الهجرة التلقائية للعمل فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية لزيادة الطلب على العمالة الاجنبية في اوريا الغربية وقد بلغ عدد المغاربة في التعداد العام لفرنسا سنة ١٩٥٤ نحو ٢٢٧٢٠٠ نسمة كان أغلبهم من الجزائريين . وتعاضم حجم تيار الهجرة المغربية بعد الاستقلال بدرجة كبيرة واستمر عدد الجزائريين ممثلا للنسبة الاكبر من المهاجرين المغاربة في فرنسا حتى اقترب من ثلثي حجم هذه الهجرة سنة ١٩٧٥ كما يبين الجدول رقم (٨٥) .

جدول رقم (٨٥)

تطور حجم الهجرة المغربية الى فرنسا (١٩٤٦ - ١٩٧٥) (١)

السنة	الجزائر	المغرب	تونس	الجملة
١٩٤٦	٢٢١١٤	١٦٤٥٨	١٩١٦	٤٣٤٨٨
١٩٥٤	٢١١٦٧٥	١٠٧٣٤	٤٨٠٠	٢٢٧٢٠٩
١٩٦٢	٣٥٠٤٨٤	٢٩٣٢٠	٢٤٩٤٠	٤١٠٣٧٣
١٩٦٨	٤٧٣٨١٢	٨٤٢٣٦	٦١٠٢٨	٦١٩٠٧٦
١٩٧٥	٧١٠٦٩٠	٢٢٦٠٢٥	١٣٩٧٣٥	١١١٠٤٥٠

التيار العربي نحو استراليا :

وهو من التيارات الثانوية للهجرة العربية الخارجية . وقد بدأ منذ أوائل القرن العشرين وتزايد تدريجيا بعد ذلك . فقد ارتفع عدد المهاجرين الى استراليا من حوالي ٢٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٠١ الى نحو ٥٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٤٧ ثم الى ٢٦٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٦١ حتى وصل عددهم الى ٩٩٠٠٠ مهاجرا سنة ١٩٧٨ .

وينتمي معظم المهاجرين العرب في استراليا الى لبنان ومصر وهما البلدان اللذان كونا الجسر القديم بين الوطن العربي واستراليا ، ففي سنة ١٩٧٨ كان بها ٤٧٩٠٠ شخصا ولدوا في لبنان و ٣٠٨٠٠ شخصا ولدوا في مصر ، ويضاف الى ذلك مواليد العرب في استراليا وبلغ عددهم ٤٨٠٠٠

(١) المصدر :

على لبيب - عمال المغرب العربي بأوريا - العودة الصعبة في كتاب : المعهد العربي للتخطيط والاسكوا - سياسات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - ١٩٨٦ - ص ٣٠٣ .

مولودا منهم ٢٩٧٠٠ لبنانى وسورى و ١٤٣٠٠ مصرى ، واذا اضيف هذا العدد الى مجموع العرب الذين ولدوا خارج استراليا يكون اجمالى المهاجرين العرب ١٤٦٠٠٠ نسمة من الجيلين الاول والثانى .

الخصائص العمرية - النوعية للمهاجرين فى الوطن العربى :

اذا كانت الهجرة الدولية فى الوطن العربى متعددة الانماط فان لها خصائص مميزة أبرزها أن التيار الاكبر من حركة السكان الخارجية هو تيار القوة العاملة . كذلك فان الحجم الاكبر من المهاجرين العرب خارج اوطانهم يتكون من الذكور فى سن العمل .

وتبدو ظاهرة الانتقاء العمرى النوعى فى الهجرة من كل الاقطار العربية دون استثناء ولكنها تظهر بشكل حاد فى الهجرة من اليمن حيث تكاد تكون فى معظمها هجرة ذكور للعمل فى الخارج ، فقد بلغت نسبة المهاجرين الذكور ٦٨٫٨% من جملة عدد اليمينيين فى الخارج وعدددهم ١٦٨٢٠٠ و ١٩٨٦ . كما بلغت نسبة النوع ٢٢١ من الذكور مقابل كل مائة من الاناث .

ويبين الجدول رقم (٨٦) نسبة النوع فى أهم دول استقبال المهاجرين وارسالهم ، ومنه يبدو بوضوح ظاهرة الانتقاء الهجرى العمرى النوعى فى مناطق الاستقبال حيث تتكاثف الهجرات الوافدة، ويتركز التراكم الهجرى للذكور خاصة فى المرحلة العمرية الوسطى (٢٠ - ٥٠ سنة) وتلك حقيقة أظهرتها كل تعدادات الدول النفطية المستوردة للعمالة على نطاق واسع . ويرجع ذلك فى المقام الاول الى أن هجرة العمالة نحو الدول النفطية ليست هجرة استيطانية بل مؤقتة ، ومن ثم تكون هجرة ذكور لا يصطحبون عائلاتهم فى الاعم الاغلب وتشتد رغبة الاقطار المستوردة للعمالة فى هذا النوع من الهجرة .

ومن الواضح أن سرعة وفود المهاجرين الى دول النفط الخليجية قد أدى الى زيادة كبيرة فى نسبة الذكور وان كانت بيانات الكويت فيما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٨٠ تشير الى أن نسبة الاناث بين المهاجرين قد زادت بعد سنة ١٩٧٠ عما كانت عليه سابقا . وتعد نسبة النوع بين المهاجرين الذين هم دون سن الخامسة عشرة طبيعية فى الكويت والامارات مما يشير الى أن معظم هؤلاء ربما ولدوا فى بلدان الاستقبال ، فاذا استمروا فيها واذا تدنت سرعة التدفقات الجديدة بين المهاجرين فان نسبة النوع بينهم ستعكس زيادة فى نسبة الاناث بين البالغين أيضا .

جدول رقم (٨٦)
نسبة الذوع في أهم دول الهجرة الوافدة والمغادرة ولدى المهاجرين
في منطقة الخليج (١)

دول ارسال	دول استقبال				نسبة النوع اشدي المهاجرين (٢)	فئات السن
	الاردن	اليمن	الامارات	المكويث السعودية		
مصر						
١٠٦	١٠٨	١٠١	١٠٥	١٠٣	١١٣	١٤٤
١٠٦	١٠٩	١٠٧	١٠٥	١٠٥	١١٣	١٤٨
١٠٥	١١١	١٠١	١٠٦	١٠٢	١٢٠	١٧١
١٠٧	١١٠	١٠٢	١٠١	١١٧	١٤٣	٢٥٥
١١١	١٠٥	١٠١	٢٢٦	١٣٧	١٦٥	٣٨٣
١٠٩	٩٥	٧٨	٣٦٦	١٦٥	١٧٥	٤٠٨
٩٨	٩٦	٦٠	٤٣٨	١٦٧	١٧٨	٤٢٠
٩٣	٩٦	٦١	٤٥١	١٨١	١٧٤	٤٤٦
٩٥	١٠١	٦٧	٤٦٥	٢١٣	١٥٦	٤٤٢
٩٥	١٠٥	٧٤	٣٩٠	٢١١	١٤٠	٤٤٥
٩٧	١٠٨	٧٨	٢٨٠	٢١٤	١٣٥	٣٥٥
٩٦	١١٣	٨٢	٢١٣	١٧١	١٢٠	٣٣٧
٩٥	١٠٩	٨٥	١٥٥	١٢٦	١٢١	٢٣٥
٩٦	١٠٦	٨٦	١٣٣	١١٤	١٠٦	١٧٨
٩٢	١١٠	٩١	١١٨	٩١	—	—
١٠٣	١٠٦	٩٣	٢٢١	١٣٤	١٣٥	٢٨٦
						المتوسط

١ ٣٥٥ ١

(١) مصدر البيانات :
تقديرات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - كثرافات البيانات الديموغرافية . . . بغداد ١٩٨٥ .
(٢) متوسط نسبة الذوع لدى المهاجرين الوافدين في السعودية والكويت والامارات والبحرين وقطر .

والاناث المهاجرات يدخلن البلاد المستقبلية بصفتهم أفراد أسرة وليس للعمل وذلك باستثناءات قليلة بطبيعة الحال - ورغم التزايد في استخدام الاناث غير المواطنين فمازال معظمهم يفضل البقاء في المنزل مما يخفف الدوافع لخفض الخصوبة بينهم . ونتيجة لذلك يزداد عدد الاطفال غير المواطنين في البلدان المستقبلية للمهاجرين .

وكما سبق القول تعد اليمن - وهي دولة هجرة مغادرة رئيسية - مثالا واضحا على الاخلال في توزيع السكان عمريا ونوعيا بها بسبب الهجرة . ويظهر ذلك بوضوح في انخفاض عدد الذكور عن الاناث في المدى العمري ٢٥ - ٦٥ سنة ، ويبلغ غياب الذكور عن المجتمع أقصاه في فئة العمر ٣٠ - ٣٤ حيث بلغت نسبة النوع ٦٠ من الذكور مقابل كل مائة أنثى . ويعنى ذلك ضمنا غياب الأزواج الالباء لفترات طويلة مما يحدث تصدعا في النسيج الاجتماعي للدولة .

أما الهجرة العربية نحو الخارج - أى نحو أوروبا أو الأمريكتين أو استراليا فهي هجرة استيطانية في معظمها . وتتباين تيارات الهجرة العربية نحو الخارج عن التيارات العربية - العريية في ظاهرة الانتقاء النوعى . فرغم أن الانتقاء الهجرى النوعى هو سمة مميزة لتل الهجرات الخارجية فإنه ليس بالتطرف الذى يظهر في هجرات العمالة داخل الوطن العريى . أما الانتقاء العمري فتتشابه فيه التيارات الداخلية والخارجية الى حد كبير حيث تتجه الاعداد الوسطى للهجرة بصرف النظر عن الدوافع والمسافة .

ويغلب على الهجرة العربية الخارجية هجرة الاسر ، فقد شهدت الهجرة المغربية الى فرنسا - على سبيل المثال - تزايدا كبيرا في عدد الاسر المهاجرة وعملت فرنسا من جانبها على دعم تجمع الاسر لتحقيق هدفين أولهما : الحصول على رصيد من القوة العاملة يتكون من أبناء المهاجرين لتعويض آباءهم في الدورة الاقتصادية الفرنسية ، وثانيهما الحد من تحويل العملة الصعبة الى بلد المنشأ .

وجدير بالذكر أن تيار العودة للهجرة المغربية في أوروبا ضعيف رغم أن دول الاستقبال تحث عليه وتشجعه بعض دول الارمال كالجزائر الا أن الغالبية العظمى من المهاجرين المغاربة يتحولون من مهاجرين مؤقتين الى دائمين ويؤدى عامل الوقت الى استقرارهم اجتماعيا ومن ثم يميل المنحنى العمري النوعى الى الاتجاه نحو الشكل الطبيعى بمرور الوقت لغلبة هجرة الاسر واتجاه المهاجرين الى التنامى الشمل الاسرى .

الهجرة الدولية والمرأة العربية :

أدت التحركات السكانية الدولية التي شهدها الوطن العربي في العقود الاخيرة الى تأثير قوى في البنية الاقتصادية والاجتماعية في دول المنشأ ودول المهجر في آن معا . ورغم أن الدراسات قد حاولت تحليل آثار الهجرة ونتائجها على التغير الاجتماعى خاصة في دول الخليج الا أن انقليل منها الذى تناول تأثيرها على المرأة العربية ودورها المتغير في المجتمع . وربما كان ذلك راجعا الى قصور البيانات من ناحية أو لقلة حجم الهجرة النسائية من ناحية أخرى .

وتؤثر الهجرة على المرأة تأثيرا متعدد الجوانب سواء كانت مهاجرة مستقلة أو معولة . فالمرأة المهاجرة تعد دالة لعوامل متشابكة في بيئتها الاصلية وعوامل الجذب في البيئة المستقبلية ، شأنها في ذلك شأن الرجل المهاجر ، كذلك فان هجرة الذكور المتزوجين الذى لايصحبون زوجاتهم في المهجر تؤثر بطريق مباشر على دور المرأة ونمط حياتها وعلاقاتها الاجتماعية ، وهناك بعض الادلة على أن الهجرة الدولية من قبل النساء تولد - على الارجح - تغييرات بنيوية أساسية في المجتمع أكثر مما تفعله الهجرة المماثلة للرجال ، بل ويصل هذا التأثير الى تقليل معدلات الانجاب لدى المرأة من خلال مايعرف بالابالة التطوعية Abstinence في اطار المتغيرات الوسيطة المؤثرة في الخصوبة ، كما تؤدي هجرة الذكور غير المتزوجين الى تأخير تكوين الاسر المستجدة من خلال ارتفاع متوسط السن عند الزواج لدى الذكور والاناث معا .

ويمكن تناول تأثير الهجرة الدولية على المرأة العربية من زاويتين : الاولى تأثير الهجرة على المرأة العربية في مناطق الاستقبال وبالتحديد في دول الخليج العربية . والثانية تأثيرها على المرأة في مناطق الارسال . وفي كلتا المنطقتين قد تضم المرأة طبقة موسرة تتيح لها امكانيات الارتقاء الحضارى من خلال التعليم والاسهام في النشاط الاقتصادي أو قد تضمها طبقة دنيا تقل فيها فرص تعليم المرأة بل وتزداد معاناتها من خلال انخفاض مستوى العيش وتدنى الخدمات الصحية وقيام المرأة بأعمال مضيئة خاصة في المناطق الريفية .

الهجرة الدولية للاناث :

من الصعب الوقوف على حجم الهجرة الدولية للمرأة في الوطن العربي وذلك نابع من صعوبة التأكد من حجم المهاجرين العرب بصفة عامة ، وان كانت بعض الدراسات قد اتخذت بعض المؤشرات للوقوف على حجم

الهجرة النسائية من خلال نسبة الاعالة حيث تكون المرأة في أغلب الاحيان ضمن أسرتها المهاجرة .

وتتباين الدول العربية في تشجيع هجرة الاسر ، فبعض الدول المستقبلية كالسعودية وعمان لاتشجع اصطحاب المهاجرين الذكور لاسرهم الا في حالات محددة . وسواء كان عدم اصطحاب الاسرة قرارا فرديا أو مرتببا بنظم الدولة المستقبلية فمن المؤكد أن عدد الاناث المهاجرات أقل بكثير من عدد الذكور المهاجرين . وبالإضافة الى ذلك فان الانتقال المؤقت للأسرة مع عائلها ليس نمطاً معيذاً لكل المهاجرين من الجنسيات المختلفة ، فعلى حين تعتبر هذه الظاهرة عادية بالنسبة للمهاجرين ذوى المستويات المهنية العالية، فان المهاجرين الادنى مهارة والاقبل دخلا يكونون بمقردهم .

وفي ضوء البيانات المتاحة عن عدد الاناث المهاجرات في دول النفط العربية بالخليج والتي تستأثر بالنسبة الاكبر من حركة الهجرة الدولية العربية يمكن أن تتضح بعض جوانب الهجرة النسائية في الوطن العربي ويبين ذلك الجدول رقم (٨٧) .

جدول رقم (٨٧)

الهجرة الوافدة في دول الخليج العربية سنة ١٩٨٤ (باستثناء عمان) (١)

الدولة	عدد الاناث الوافدات	% من جملة المهاجرين بالدولة	عدد العاملات الوافدات	% من قوة العمل الوافدة
السعودية	٥٢٩٥٦٠	٢١١	٣٧٩٩٣	٢٩
الكويت	٣٦٤٩٩٠	٣٧٤	٦٤٦٠٤	١٣٦
الامارات	٢٦٠١٤٧	٢٥٥	٤٠٧٨٣	٦٠
قطر	٥٦٣٠١	٣٣٤	٨٢٦١	٩٢
البحرين	٣٥٣٨٠	٢٤٨	٨٩٩٣	٩٠
الجملة	١٢٤٦٣٧٨	٢٥٩	١٦٠٦٣٤	٦٠

(١) المصدر :

الارقام المطلقة مصدرها : الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية - بغداد - ١٩٨٥ . أما النسب فمن حساب المؤلف .

ورغم أن بيانات الجدول المذكور هي عن عدد الاناث الوافدات - عربيات وغير عربيات - فمن المتوقع أن الغالبية العظمى منهن اناث عربيات وفسدن اما في صحبة ذويهن (هجرة أسر) أو للعمل في الدول المذكورة .

وتبين أرقام الجدول رقم (٨٧) أن البراة تشكل ربع حجم المهاجرين في أقطار الخليج ، وان كانت النسبة تنخفض الى الخمس في السعودية وتقترب من الخمسين (٢/٥) في الكويت، كذلك يبدو أن نسبة ذئيلة من هؤلاء الاناث يسهمون في النشاط الاقتصادي بهذه الاقطار حيث تصل النسبة الى ١٢٩٪ من حجم الهجرة النسائية . ومعنى ذلك أن امرأة واحدة من بين كل ثمان اناث مهاجرات - هي التي تعمل اما مستقلة أو في صحبة أسرقتها والباقيات وفسدن معولات . وتتباين هذه النسبة بين دول الخليج النفطية تباينا كبيرا حيث تصل أدناها في السعودية وأعلاها في البحرين ويفارق كبير . ويرتبط ذلك بالمستويات التعليمية للمهاجرات ارتباطا وثيقا كما تبين أرقام الجدول رقم (٨٨) .

جدول رقم (٨٨)
نسبة الامية لدى الاناث المهاجرات في بعض دول الخليج
(الاناث ١٥ سنة فأكثر) ١٩٨٤(١)

الدولة	نسبة الامية لدى الاناث الوافدات %	نسبة العاملات من جملة الوافدات %
السعودية	٥٦ر١	٧ر٢
الامارات	١٩ر٩	١٥ر٧
الكويت	١٩ر٦	١٧ر٧
البحرين	١٣ر٥	٢٥ر٤

وهن الواضح أن التباين في نسبة المهاجرات العاملات الى جملة المهاجرات لايتمشى مع نسبتهم من حجم القوة العاملة في كل دولة . ولعل

(١) المصدر :
الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية - بغداد - ١٩٨٥ .

ذلك مرجعه اختلاف حجم القوة العاملة في هذه الدول الى جملة السكان من ناحية واختلاف دور المهاجرين بعامة في القوة العاملة بها من ناحية أخرى ومن هنا تأتي الكويت في مقدمة الأقطار التي تسهم المرأة الوافدة بالنسبة الأكبر في القوة العاملة بها بينما يصل الحد الأدنى لهذا الاسهام في السعودية .

وتعمل الاناث المهاجرات في كثير من قطاعات النشاط الاقتصادي وتتركز النسبة العالية منهن في قطاع الخدمات المجتمعية والشخصية، ففي سنة ١٩٨٤ بلغت هذه النسبة في الكويت ٨٥٫١٪ من جملة العمالة النسائية الوافدة وفي الامارات ٧٣٫٥٪ (مقابل ٨٨٪ ، ٩٢٪ للمواطنات العمالات على الترتيب) . وأبرز هذه الخدمات التدريس والتدريس .

وجدير بالذكر أن هناك فرقا جوهريا بين معدلات النشاط الاقتصادي العمري للاناث الوافدات في أقطار الخليج العربية ومعدلات المواطنات بها حيث تتدنى معدلاتهن الى الحد كبير خاصة عند طرفي المنحنى ، وفي المتوسط يصل معدل النشاط الاقتصادي للمرأة الوافدة بالسعودية أكثر من أربعة أمثال معدل المواطنات ، وفي الكويت ثلاثة أمثال وفي الامارات أحد عشر مثلاً مما يدل على المرأة بها مازالت بعيدة عن الاسهام في النشاط الاقتصادي في البلاد بشكل لامثيل له في أقطار الخليج الاخرى .

وعموما فان معدل النشاط الاقتصادي الخام للمرأة الخليجية منخفض رغم ارتفاع نسبة تعليم الاناث في بعض الدول كالبحرين والكويت، ويعود ذلك لاسباب أبرزها العادات والاعراف السائدة التي تنظر الى عمل المرأة كأمر غير مرغوب فيه . اضافة الى انخفاض المستويات التعليمية للمرأة الخليجية (بلغت نسبة الامية لدى الاناث ١٥ سنة فأكثر سنة ١٩٨٤ نحو ٦٦٫٧٪ في السعودية و ٦١٫٨٪ في الامارات و ٤٨٫١٪ في الكويت و ٤٥٫٣٪ في البحرين) . وأدى ذلك الى الاستعانة بعمالة نسائية من الخارج . ومن المفارقات الغربية في هذا المجال أنه بينما يسمح في معظم الأقطار للنساء الاجنبيات بالعمل في مجالات متنوعة فانه يحظر على النساء المحليات العمل في هذه المجالات .

تأثير الهجرة الدولية على المرأة الخليجية :

رغم أن المرأة العربية في منطقة الخليج تتعرض لما يتعرض له المجتمع بأكمله من تحوّل اجتماعي وثقافي انعكس على تحررها وتعليمها واسهامها في الحياة الاجتماعية ، الا أن الاعتماد على العمالة الاجنبية وكذلك بعض

جدول رقم (٨٩)

معدلات النشاط الاقتصادي العمريه للاناث في بعض دول الخليج سنة ١٩٧٤ (١)

الامارات		الكويت		السعودية		فئات السن
مواطنات	وافدات	مواطنات	وافدات	مواطنات	وافدات	
١٣	٨٢	١٣	٩٧	١٩	٤٧	١٩ - ٢٠
٦٦	١٨٨	١٦٤	٣١٤	٥٥	٩٧	٢٤ - ٢٥
٤٢	٢٨٩	٢٧١	٣٨٦	٤٠	٣٦١	٢٩ - ٣٠
٢٩	٣٥٨	٢١٨	٣٥٨	٣٤	٢٤٥	٣٤ - ٣٥
٣٢	٣٢٧	٨٦	٣٦٤	٢٤	٢٢٥	٣٩ - ٤٠
٢٣	٣٦٧	٤٥	٣٨٢	٢١	٢٢٣	٤٤ - ٤٥
٢٣	٣٥٨	٣٠	٣٨٢	٢٩	٢٠٩	٤٩ - ٥٠
٢٢	٢٢١	٢٢	٣٧٣	٣٩	١٦٦	٥٤ - ٥٥
٢١	١١٨	١٣	٣٢٧	٣١	١٤٣	٥٩ - ٦٠
١٣	٨٣	٠٦	١٥٢	٢٩	١٣٥	٦٤ - ٦٥
٠٥	٢١	-	-	١٥	٣١	+ ٦٥
١٤	١٥٧	٥٨	١٧٧	١٦	٧٢	المتوسط

الظروف السائدة قد حلا دون قيام المرأة بدورها التربوي والاجتماعي والاقتصادي على الوجه الاكمل ، فقد تخلت المرأة في العديد من الاحوال عن وظائفها المنزلية ودورها الطبيعي في تربية الاطفال وتثقتهم وذلك نتيجة التوسع في استخدام الخادمت والمربيات الاسيويات توسعا فاق الحاجة اليهن وحتى أصبح استخدامون مظهرا للمباهاة الاجتماعية أكثر منه حاجة حقيقية لتشغيلهن .

والواقع أن استخدام المربيات الاسيويات قد تزايد بشكل واضح في المنازل الخليجية حتى أن احدى الدراسات ذكرت بأنه من بين كل ثلاث أسر عربية خليجية حضرية من الطبقات العليا أو الوسطى توجد أسرة واحدة على الاقل تعتمد على المربيات الاسيويات . ولاشك أن ذلك يؤدي إلى التأثير بالمؤثرات الاسيوية في الصفات والمكونات الثقافية للاجيال الخليجية الجديدة وما يحمله ذلك من خطورة . فالمربيات الاسيويات

(١) المصدر :

الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية - بغداد - ١٩٨٥ .

يمارسن - ولو عن غير قصد - تأثيرا خطيرا على التكوين النفسى والقيمي والثقافى لاطفال الاسر الخليجية ، ولا يقتصر هذا التأثير على اللغة العربية ومفرداتها ، وانما يتعداه الى اكساب النشء قيما وعادات وتقاليد غريبة عن القيم والعادات والتقاليد العربية .

وقد أدى التدفق الهجرى - فى اطار سياسات توظيف عوائد النفط فى دول الخليج الى نتائج منها نمو الاجهزة البيروقراطية الرسمية وشبه الرسمية وتداعى اخلاقيات العمل بين الخليجيين والتحيز ضد العمل اليدوى المنتج وكذلك عمل المرأة . وقد انعكس ذلك كله على دور المرأة الاقتصادى - خاصة نساء جماعات النفوذ الاجتماعى والاقتصادى - حتى أصبح عملها فى القطاع الرسمى ليس عملا حقيقيا بقدر ماهو مجال لتمضية وقت الفراغ .

ولاشك أن هذا الوضع نشأ نتيجة مقدرة الاقطار الخليجية على الحصول على احتياجاتها من العمالة الوافدة بأجور محدودة بالمقارنة بايراداتها النفطية مما جعل الحكومات تتسامح ازاء اهمال العاملين المحليين وتعتمد على العمالة الوافدة . وقد أصبح استئجار الوافدين سلوكا عاما تمارسه كافة القوى ابتداء بالدولة وانتهاء بالافراد سواء بهدف القيام بالانشطة الانتاجية أو بالخدمات الشخصية فى المنازل أو فى مجال الاعمال والخدمات الحكومية حتى لو كان المحليون أنفسهم قادرين على انجاز هذه الاعمال .

الهجرة الدولية والمرأة العربية فى مناطق الارسال :

اذا كان للهجرة الدولية اثر واضح على المرأة العربية فى مناطق استقبال المهاجرين ونقصد هنا الاثار السلبية التى انعكست على المرأة الخليجية على وجه الخصوص ، فان لها آثارا سلبية من ناحية أخرى على المرأة فى مناطق الارسال . واذا كان تدفق المهاجرين وسهولة الحصول على الايدى العاملة فى اقطار النفط العربية قد أدى الى تخلى المرأة عن دورها فى تنشئة الاطفال مثلا ، فان هجرة الذكور بمعدلات كبيرة أدت الى تزايد أعباء المرأة وتغير دورها فى مناطق ارسال المهاجرين . وقد سبق القول بأن نمط هجرة الاسر يكاد يكون مرتبطا بالفئات المهاجرة ذات المهارات العالية ومن ثم يقل تأثير الهجرة على المرأة فى هذه الفئات وربما انعكس على تغيير نمطها الاستهلاكى أكثر من انعكاسه على دورها فى التربية الاسرية .

وفى ضوء تزايد هجرة العمالة الدنيا - كالعمال ذوى المهارات المنخفضة

والذين يشكلون قطاعا كبيرا من تيارات الهجرة نحو أقطار الخليج والعراق وليبيا فان مسؤولية الاشراف على الاسرة في غياب الازواج المهاجرين تقع على كاهل الاناث . ويمتد هذا الاشراف في الريف ليشمل شؤون الارض الزراعية والانشطة الاخرى . والملاحظ أن هذه الفئة من النساء اللاتى يتولين مهمة الاشراف على أسرهن أثناء هجرة الازواج يؤدين أدوارا أكبر مما تؤديه النساء الاخريات ، بل يقمن بأدوار تدخل في نطاق مسؤولية الرجال مثل متابعة العمل الزراعى في الحقل واستئجار العمال الزراعيين لاداء العمل بها ومنها اتخاذ القرارات التى يناط بالرجال اتخاذها مثل اجراءات زواج البنات وتجهيزهن .

الا أن من أبرز نتائج الهجرة الدولية للعمالة العربية ليس التأثير في مجال القيم الجماعية أو المجتمعية فقط بل امتدت لتشمل العلاقات الاسرية فهجرة العمالة العربية الى الدول النفطية قد صاحبها في معظم الاحيان انفصال بين العائل وأفراد عائلته لمدة طويلة نسبيا مما أدى الى اضعاف الروابط العائلية وخلق نوع من التفكك الاسرى وتنشئة جيل من الاطفال في ظل عائلات وحيدة الوالد ، حيث يكون الاشراف على تربية الاولاد وتعليمهم من مهام الامهات فقط بدلا من أن يكون مهمة مشتركة بين الوالدين .

وفي دراسة ميدانية أجريت في بعض القرى المصرية عن الهجرة ونتائجها تبين أن هجرة الازواج للاقطار العربية أثرت على المهام الملقاة على المرأة الريفيه خاصة لدى جماعات صغار الحائزين للارض الزراعية والاجراء الزراعيين ، ويبدو ذلك في مقارنة أنماط مشاركتهم قبل سفر أزواجهم وبعد سفرهم ، كما أظهرت الدراسة أن المرأة واجهت مشكلات تربية الاولاد والسيطرة عليهم خاصة الذكور منهم ، وفي كثير من الحالات تغيرت العلاقات بين المرأة وزوجها الى الاسوأ مما أثر في الترابط الاسرى بل والانفصال العائلى في بعض الحالات .

ويبدو تأثير الهجرة الدولية على المرأة العربية في مناطق الارسال واضحا في اليمن ، حيث تتضافر عوامل عديدة لتزيد من حدة المشكلات التربوية ودور المرأة فيها . وأبرز هذه العوامل ارتفاع نسبة المهاجرين الذين يتركون عائلاتهم في اليمن وكذا ارتفاع نسبة الامية لدى النساء اليمنيات (٩٧٪ سنة ١٩٧٥) . ولاشك أن انتشار الامية الابدجية مؤثر صادق على انتشار الامية التربوية بين النساء اليمنيات . وذلك بالاضافة الى تدنى مكانة المرأة في نظر المجتمع اليمنى مما قد يولد لديها شعور

بالدونية وعدم الاهلية للشئون التربوية ، وكل ذلك يقلل من مقدرتها وكفاءتها الفعلية على تربية الابناء وتعليمهم حتى أن العديد من الاطفال في المناطق الريفية اليمنية التي غاب عنها عائل الاسرة لم يعد من الممكن اخضاعهم لسلطة الام ، كما أن العديد من الاطفال الذين يضطرون للعمل كبديل للرجال في سن مبكرة يميلون الى تقليد الرجال في تناول القات ولفائف التبغ وغيرها من العادات وذلك حتى قبل سن البلوغ .

ورغم أن الدراسات الميدانية التي أجريت في مناطق ريفية مصرية على سبيل المثال قد أثبتت تغيرا في دور المرأة الاجتماعى والاقتصادى ، فإن بعض الباحثين يرى أنه ليس من المؤكد أن أوضاع الهجرة الدولية ستؤدى الى تغيير الدور الاجتماعى للمرأة في المجتمعات العربية كما يتصورها البعض إذ عادة مانقع المرأة في غياب زوجها تحت سيطرة فرد آخر من أفراد عائلتها على الرغم من تزايد عبء المسؤوليات الملقاة على عاتقها خاصة في مجال تربية الاطفال ونشئتهم .

نحو سياسات للهجرة الدولية نتكامل مع بعض قضايا المرأة العربية :
أدت الهجرة الى أقطار النفط العربية الى تغيرات اجتماعية واقتصادية ملموسة في المجتمع العربى المستقبل للمهاجرين والمرسل لهم . ولما كان معظم المهاجرين من الذكور الذين تركوا أسرهم في بلادهم الاصلية فقد أدى ذلك الى تزايد فى أعباء الاناث خاصة فى الريف فى الوقت الذى أدت فيه الهجرة الوافدة الى تخلى المرأة العربية الخليجية عن دورها الطبيعى فى التربية الاسرية . ومن هنا فان أية سياسة للهجرة الدولية ينبغى أن تأخذ الافكار التالية فى الاعتبار حتى تتكامل مع بعض قضايا المرأة العربية:

١ - غنى عن القول أن التكامل الاجتماعى والتثام شمل الاسر المهاجرة يقوم بدور هام فى تحقيق التوافق الهجرى مع مجتمع الاستقبال ذلك لانه رغم ما يحققه المهاجرين من نجاح اقتصادى فى المهجر الا أن الروابط الوثيقة مع الاسرة والتثام شملها تعد أكثر أهمية، ولدى المهاجرين ذوى الدخل الاكثر انخفاضا فان الاسرة لاتوفر العون المعنوى فقط بل تكون أيضا مصدرا من مصادر الامن الاقتصادى والمساعدات المتبادلة .

٢ - ليس من شك فى أن تحسين مركز المرأة العربية وتعزيز دورها الاجتماعى - الاقتصادى يعد هدفا هاما يؤثر على حياة الاسرة وحجمها تأثيرا ايجابيا . ومن هنا فان العمل على التثام شمل الاسر المهاجرة هو أحد العوامل الهامة فى الوصول الى هذه الغاية . ويرتبط بذلك العمل على دمج المرأة واشتراكها بشكل كامل فى جميع مراحل عملية التنمية .

٣ - من الثابت أن عدم تشجيع أرباب الاسر على اصطحاب أسرهم يعد أحد العوائق التي تحول دون مساعدة المرأة العربية في تحقيق المساواة مع الرجل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لاجتماعها . ذلك لان تحمل المسئوليات الاسرية والعناية بالاطفال عملية مشتركة بين الرجل والمرأة . ومن هنا فان وضع سياسة تشجع على التئام شمل أسر المهاجرين العرب هو تعزيز لمركز المرأة ودورها في المجتمع كما يسهم في تحقيق التنشئة الاجتماعية السليمة لجيل عربى سوى .

٤ - يعد تشجيع المرأة العربية المحلية في المهجر للاشتراك في القوة العاملة المنتجة أحد الاسس الهامة للسياسة السكانية المرتبطة بالهجرة ويرتبط ذلك بعدم تقييد حريتها وتوفير الفرص والظروف التي تمكنها من الجمع بين أنشطتها خارج المنزل ودورها في تنشئة الاطفال والاعمال المنزلية - والحد من الاعتماد على المربيات الاجنبيات اللاتي يعهد اليهن بتحمل تبعات المرأة العربية في التربية الاسرية .

٥ - من الامور الهامة للاقطار المصدرة للعمالة ضرورة العمل على تنفيذ برامج تستهدف تحسين وحماية الحقوق القانونية للمرأة ومركزها من خلال الجهود التي ترمى الى ازالة العوائق التي تعترض تعليم المرأة وتدريبها ورعايتها صحيا واجتماعيا حتى تقوم بدورها الطبيعي كام ومربية يقع عليها عبء كبير في التحول الاجتماعى .

٦ - يرتبط بسياسة الهجرة الدولية في الدول المستقبلية العمل على معاملة المهاجرين وأفراد أسرهم الذين يصبحونهم معاملة مساوية لتلك التي يعامل بها مواطنو الدول المضيفة في مجال الحقوق الاساسية وشروط العمل والضمان الاجتماعى والصحى والتعليمى والخدمات الاجتماعية الاخرى .

وتتمشى هذه الافكار المرتبطة بصياغة سياسات الهجرة الدولية وعلاقتها بقضايا المرأة العربية مع ما جاء من توصيات المؤتمر الدولى للسكان (مكسيكو ١٩٨٤) والتي طالبت الدول المستقبلية للمهاجرين ألا تأخذ في اعتبارها الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية لبلدانها فحسب بل أيضا رفاهية المهاجرين وأسرهم والنتائج الديموغرافية للهجرة ، وتعزيز الاوضاع الطبيعية في الحياة الاسرية للعاملين من المهاجرين .

الفصل العاشر

الابعاد الديموغرافية لمشكلة البطالة في العالم العربي

تعد مشكلة البطالة من المشكلات الحادة التي تواجه كثيرا من الاقطار العربية وتؤثر في بنائها الاقتصادي والاجتماعى بل والسياسى الى حد كبير . وليست هذه المشكلة وليدة الاوضاع السكانية المعاصرة فقط بل جاءت نتيجة لمجموعة من العوامل الديموغرافية المترابطة والمتراكمة في آن معا . فعلى امتداد العقود الثلاثة الاخيرة يعيش العالم العربى مرحلة تحول ديموغرافى انعكس على حجم السكان وايقاع النمو ، فقد تبنت دوله خططا للتنمية كان هدفها تحديث الهيكل الاقتصادي من ناحية والتوسع في الخدمات الصحية والتعليمية من ناحية أخرى ، وترتب على ذلك تزايد في أعداد السكان ، ومن ثم في حجم القوة العاملة بمعدلات فاقت قدرات كثير من الدول العربية على استيعابها . وشهدت الدول العربية ظهور قطاع كبير من السكان قادر على العمل وراغب فيه ولا يستطيع الحصول عليه مما أصبح مظهرا من مظاهر اهدار جزء من الثروة البشرية في هذه الدول وتعاضم حجم العاطلين بها .

وترتبط مشكلة البطالة بكثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية لعل أبرزها قدرة المجتمع على توفير فرص العمل للقادرين عليه وتوجيه العمالة الى أنشطة انتاجية وخدمية متكاملة، وفوق ذلك كله مدى استيعاب سوق العمل المحلية للاعداد التى تضاف سنويا الى حجم القوة العاملة والتي تزيد في مجموعها عن الاعداد التى تنسحب من هذه السوق بسبب الهجرة أو بلوغ سن التقاعد أو الوفاة .

ويهدف هذا الفصل الى تحليل الابعاد الديموغرافية لمشكلة البطالة في العالم العربى . وترتبط هذه الابعاد بخصائص القوة العاملة بعامه الا أن أبرزها الجوانب المرتبطة بمستويات البطالة وارتباطها بحجم السكان وتركيبهم العمرى النوعى ، ودور الهجرة في تلك الظاهرة وتباينها من

قطر لآخر وانعكاسها على الفوارق الحضرية - الريفية، وكذلك الخصائص التعليمية للعاملين واتجاهها المستقبلى فى ضوء تزايد التعليم وتناقص فرص العمل فى كثير من الاقطار العربية .

مصادر البيانات :

ليست بيانات القوة العاملة فى الدول العربية كاملة أو متكاملة ، كما أن المتوفر منها لا يعطى صورة دقيقة عن حجمها وتوزيعها الاقليمى أو خصائصها الديموغرافية . وتتباين هذه الدول فيما بينها تباينا كبيرا فى مدى توفر مصادر البيانات - وأهمها التعدادات السكانية ، ويصل هذا التباين أقصاه بين الدول العربية فى شمال أفريقيا من ناحية، ودول جنوب شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى ، ففى الوقت الذى ترجع فيه التعدادات السكانية الحديثة فى مصر مثلا الى مايزيد على مائة سنة فإن هناك دولا لم تجر تعدادا سكانيا الا منذ ثلاثين عاما مثل السعودية (أول تعداداتها فى عامى ١٩٦٣/٦٢) ، وسلطنة عمان التى لم تجر تعدادا لسكانها على الاطلاق حتى الوقت الحاضر ، وإن كان من المتوقع اجراؤه فى القريب العاجل .

وعلى ذلك فليس من السهل فى معظم الاقطار العربية دراسة تطوّر منحى البطالة على امتداد فترة طويلة للوقوف على اتجاهه وخصائصه بل والتوزيع الاقليمى لهذه الظاهرة ، ولا ريب أن العيوب التى تشوب التعدادات السكانية فى الاقطار العربية انما ترجع الى عوامل أبرزها غياب الوعى الاحصائى وتدنى المستويات الثقافية وارتفاع نسبة الامية ووجود نسبة غير قليلة من السكان البدو فى بعض الاقطار وصعوبة حصرهم بدقة . ولكن الملاحظ فى السنوات الاخيرة أن الوعى الديموغرافى أفضل من ذى قبل فى كثير من الاقطار العربية حيث أنشئت بها أجهزة متخصصة فى جمع البيانات السكانية والوقوف على خصائص العمالة والبطالة ، وارتبط بذلك تزايد نسب التعليم والاتجاه الجاد للتعرف على حجم الظواهرات السكانية وأبعادها ومنها ظاهرة البطالة .

ورغم أهمية البيانات التعدادية فى تحليل جوانب القوى العاملة والبطالة فى الدول العربية الا أن التباين فى السنوات التى أجريت فيها التعدادات وعدم توافق البيانات - سواء فى تعريف الافراد العاملين أو تحديد بداية سن العمل ، يحول دون الوصول الى نتائج مشتركة بين الدول العربية ويشكل صعوبة فى تحليل هذه الظاهرة .

وتعد المسوح الاحصائية بطريقة العينات مصدرا آخر من مصادر دراسة البطالة ، وقد أجرت بعض الدول العربية مسوحا حديثة لعل أبرزها مصر والمغرب والجزائر وبعض دول الخليج ، ويعد مسح القوى العاملة في حضر المغرب سنة ١٩٨٤ من أهم مصادر دراسة البطالة في المدن المغربية .

وربما كانت البيانات المنشورة من قبل هيئات محلية أو دولية من المصادر الهامة التي تصيف الى دراسة ظاهرة البطالة في العالم العربي وأبرزها منشورات هيئة الامم المتحدة خاصة مكتب العمل الدولي (ILO) الذى يستقى بياناته من مصادر متعددة منها تعدادات السكان وبيانات العمالة من ادارات القوى العاملة ، وكذلك اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لجنوب غربى آسيا (الاسكوا) والتي تهتم بنشر البيانات السكانية عامة عن الدول العربية الاسيوية ومصر .

مشكلة تعريف البطالة ومفهومها :

يعد التعرف على حجم البطالة بالعوامل الديموغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المختلفة مرتبطا بتعريف البطالة ومن هو «العاطل» .
وإذا كان المفهوم الاساسى الذى يحدد النشاط الاقتصادى لا يختلف من دولة عربية لاخرى ، فان السكان ذوى النشاط الاقتصادى يمكن تعريفهم بوجه عام بأنهم «الافراد الذين يشتركون في تقديم العمل لتقديم السلع الاقتصادية والخدمات ، ويتضمن ذلك ليس فقط العاملين وقت الضرر بل وكذلك المتعطلين - أى القادرين على العمل والباحثين عنه» .

ومعنى ذلك، أن العاطلين يتحددون بدقة في ذلك القطاع من القوة العاملة القادر على العمل والباحث عنه ولايجده ، غير أن المشكلة في ذلك هى تحديد من هو العاطل وذلك في اطار اجابة سؤال العمل في التعداد وما اذا كان الفرد عاملا أو متعطلا أو اذا كان خارج القوة العاملة . وكذلك في تحديد الحد الادنى للسكن الذى يعد فيه السكان ذوى نشاط اقتصادى .
فقد كان الحد الادنى لسكن العمل في مصر وليبيا ٦ سنوات ، والمغرب ١٠ سنوات والكويت وسوريا ١٢ سنة ، وتونس ١٥ سنة ، غير أن التعدادات اللاحقة في معظم الدول العربية قد اتخذت من الخامسة عشرة السن الادنى التى تحدد دخول سوق العمل .

واضافة الى ما سبق فان أبرز مشكلات التعاريف الخاصة بالبطالة تلك المرتبطة بثلاث فئات تؤدي الى تفاوت معدلات البطالة بين الاقطار العربية وهى :

أ - العاملون لدى أسرهم بدون أجر : وخاصة في المجتمعات الريفية حيث الزراعة هي الحرفة الرئيسية للسكان (في سنة ١٩٨٠ بلغت نسبة العاملين في الزراعة من جملة القوى العاملة في السودان ٧١٪ وموريتانيا واليمن ٦٩٪ ومصر والمغرب ٤٦٪ وتونس ٣٥٪ وسوريا ٣٢٪ والجزائر ٣١٪ والعراق ٣٠٪) ، وهذه الفئة تدخل في التعدادات ضمن القوة العاملة دون تفرقة بين نشاط المرأة التي تقوم بأعمال عرضية في الحقول وأعمال أخرى ، وكذلك دون تحديد الذين يعملون في فترات محددة ويبقون عاطلين في فترات أخرى ، ومعظم أفراد هذه الفئة عموماً قد يكونون من الصغار في سن التعليم أحياناً ، وكذلك من الاناث اللاتي يقمن بأعمال حقلية بالإضافة الى أعمالهم المنزلية .

ب - العمال الهامشيون : وهم الافراد حديثو السن الذين ينتقلون من مرحلة الدراسة الى سوق العمل ، أو الكبار الذين يتركون العمل تدريجياً بسبب الاحالة الى المعاش أو عدم القدرة على العمل بسبب التقدم في السن . وعامة تشترك التعدادات العربية في اتخاذ سن الرابعة والستين حداً أقصى للحالة العملية .

ج - الافراد العاطلون ولا يبحثون عن عمل : وتمثل هذه الفئة قطاعاً يتباين حجمه من دولة لاخرى حسب حجم السكان وفرص العمل المتاحة والظروف الاقتصادية السائدة ، وفي وقت التعداد قد يوجد عدد من الافراد بدون عمل ولكنهم لا يبحثون عنه لاسباب عديدة مما قد يضيف الى حجم البطالة في المجتمع سواء كانت بطالة دائمة أو موسمية ، حقيقية أو مقنعة .

مستويات البطالة في العالم العربي :

قدر عدد سكان العالم العربي بنحو ١٩٨ مليون نسمة سنة ١٩٨٦ موزعين على احدى وعشرين دولة تتشابه في معظم الخصائص الديموغرافية والاجتماعية ، فهي تتصف بمعدل نمو سكاني مرتفع وبتركيب عمري شاب وتزايد امد الحياة وانخفاض متوسط السن عند الزواج وبغلبة الحياة الريفية التقليدية وبارتفاع في معدلات النمو الحضري وهيمنة العواصم على اتجاه حركة السكان الداخلية بها ، وتتشابه الدول العربية في ذلك مع كثير من دول العالم النامي الاخرى .

بيد أن أقطار الوطن العربي تختلف فيما بينها في مظاهر أخرى لعل أبرزها التباين في حجم السكان والقوة العاملة وموارد الثروة الاقتصادية ، وقد ترتب على ذلك تباين في مستويات التنمية والبناء الاقتصادي ومدى

استيعاب القوة العاملة ، ومن ثم ظهور مناطق جذب ومناطق طرد وفق تلك المستويات ، والملاحظ بصفة عامة أن الدول الأكثر سكانا تمثل مناطق الفائض في القوة العاملة وبالتالي ترتفع فيها معدلات البطالة ، كما تدفع بقطاع من قوتها العاملة الى الهجرة نحو مناطق الجذب ذات الحجم السكاني الصغير ومستويات التنمية العالية .

وتتباين مستويات البطالة في الاقطار العربية تباينا كبيرا هي الاخرى وترتبط في ذلك بعوامل أبرزها مستويات التنمية في كل قطر واجمالي ناتج القومى في ضوء حجم سكانه وبنائه الاقتصادى ومقدرته على استيعاب الزيادة السنوية في قوة العمل به ، وتصديره للعمالة أو استقباله لها .

وعلى ذلك يصبح تحليل مستويات البطالة في العالم العربى - بل وأبعادها الديموغرافية - مرتبطا في المقام الاول بتقسيم الدول العربية وفق مستويات التنمية والدخل ، وربما كان تقسيم البنك الدولى للانشاء والتعمير سنة ١٩٨٨ مناسبا لهذا الغرض . فقد قسمت الاقطار العربية الى أربع مجموعات وفق التصنيف العالمى اعتمادا على نصيب الفرد من الناتج القومى وهى : المجموعة الاولى وتضم السودان وموريتانيا، والثانية تضم اليمن والمغرب ومصر وتونس والاردن وسوريا والثالثة تضم الجزائر وعمان والعراق ، أما المجموعة الرابعة فتضم ليبيا ودول مجلس التعاون الخليج باستثناء سلطنة عمان .

وتختلف معدلات البطالة في هذه المجموعات اختلافا كبيرا كما يبدو من الجدول رقم (٩٠) ، فيرتفع في دول المجموعتين الاولى والثانية التى تصدر العمالة في معظمها الى دول المجموعة الرابعة وبعضا من دول المجموعة الثالثة . ورغم أن دولا من المجموعتين الاولى والثانية مثل مصر قد فتحت باب الهجرة نحو الخارج منذ أوائل السبعينات ، فقد استمرت ظاهرة البطالة في التزايد بين المتعلمين حاملى الشهادات المتوسطة والعالية ، فمن بين الوافدين الى سوق العمل والذين يقدر عددهم بحوالى ٤٠٠ ألف سنويا ينتمى النصف تقريبا الى حاملى تلك الشهادات .

ورغم اختلاف سنوات المقارنة واختلاف مصادرها في الجدول رقم (٩٠) فإنه يمكن القول بأن أعلى معدلات البطالة - وهى نسبة العاطلين الى مجموع القوة العاملة بكل دولة - تسود في الجزائر ومصر وموريتانيا والمغرب والاردن والسودان ، وفى هذه الدول الست يبدو أن أكثر من عشر حجم القوة العاملة عاطل ، بل انها ترتفع الى الخمس في كل من الجزائر

وتونس مما يعكس ضخامة هذه المشكلة واحتمالاتها السلبية المستقبلية في هذه الاقطار .

وعلى الجانب الاخر تتناقص معدلات البطالة بشكل ملحوظ في العراق ودول مجلس التعاون الخليجي والتي لاتزيد فيها المعدلات عن واحد في المائة الا قليلا . وغنى عن القول أن هذه الدول تعتمد في بنائها الاقتصادي على قوة عاملة وافدة بنسبة كبيرة تسهم في عمالتها الوطنية في مجالات التنمية المختلفة بها . ولاشك أن نمط البطالة وخصائصها بين العمالة الوطنية بهذه الاقطار يختلف عن مثيله في بقية الاقطار العربية فانخفاضه الى هذا المستوى يرتبط بضالة أعداد العاطلين من جهة ونسبتهم الى مجموع القوة العاملة من جهة أخرى ، وذلك رغم أن الخصائص الديموغرافية للعاطلين في دول الخليج لاتختلف كثيرا عن مثيلتها في الدول العربية الاخرى خاصة من حيث السن والنوع .

ورغم صعوبة تقدير حجم البطالة في العالم العربي لاختلاف التعريف كما سبق القول لتباين تواريخ التعدادات والمسوح فان استقراء بيانات الجدول رقم (٩٠) قد تعطى تقديرا عاما عن هذا الحجم والذي يتراوح بين ٤٥ - ٥ مليون نسمة وبما يعادل ١٠٪ من جملة القوة العربية العاملة في منتصف الثمانينيات (١) .

التركيب العمري - النوعي والبطالة :

يسهم التركيب العمري والنوعي بدور كبير في تحديد حجم القوة العاملة في المجتمع ونسبة العاطلين منها ، واذا كان عدد العاملين ونسبتهم

(١) المصادر :

- ١ - الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية وما يتصل بها من بيانات اقتصادية واجتماعية - بغداد - ١٩٨٥ .
- ٢ - ج ٤٠٠ع - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والاسكان والمنشآت ١٩٨٦ - النتائج الاولى - ابريل ١٩٨٧ .
- ٣ - المملكة المغربية - النشرة الاحصائية السنوية للمغرب - ١٩٨٧ .
- ٤ - الجمهورية الجزائرية - الديوان الوطني للاحصائيات - الجزائر بالارقام - نشرة ١٩٨٩ .
- ٥ - الجمهورية التونسية - المعهد القومي للاحصاء - مسح السكان والعمالة - تونس - ١٩٨٠ .
- ٦ - المعهد العربي للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - سياسات استخدام وانتقال العمالة العربية - بغداد - ١٩٨٦

جدول رقم (٩٠)
حجم البطالة ومعدلاتها في الدول العربية

الدولة والسنة	عدد السكان	حجم القوة العاملة	%	عدد البطالين	% من القوة العاملة
(١) السودان موريتانيا	٢١٥٩٣٠٠٠ ٨٤٩٨١٠	٦١٦٥٠٠٠ ٢٥٢٨٨٠	٢٨,٥ ٢٩,٧	٦٦٣٤٦٩ ٣١٦٤٣	١٠,٥ ١٤,١
(٢) اليمن البحرين	١١٦١٩٤٣٩ ٢٠٤١٩٠٠٠	٢,٥٥٥,١٦٠ ٥,٣٥٧,٠٧٨	٢٢,٠ ٢٦,٢	٦٤٢,١٨٢ ٢,٠١٢,٠٠٠	١٢,٠ ١٤,٧
(٣) الجزائر عمان	٤٨٢٠,٥٠٠ ٦,٣٦٩,٠٠٠	١٣,٦٧٨,٠٠٠ ١,٥٧٦,٩٠٠	٢٨,٤ ٢٤,٨	٣,٢٥٠,٠٠٠ ٣,٢٩٦,٢	٢٦,١ ٢١,٢
(٤) السعودية الكويت	١٠,٠٩٩,٠٤٩ ٢,٣٨٠,٧٠٠	٢,٣٨١,٧٨٥ ٥,٣٤١,١٠٢	٢٣,٦ ٢٣,٤	٦٧,٢٧٠ ١,١٤٨,٢٧٨	٢,٨ ٢١,٤
(٥) ليبيا قطر	١,٥٠٧,٧٩٧ ١,٢٦٤,٣٢٠	٣,٧٧٩,٩٧١ ٤,٣٤٣,١٠٠	٢٥,١ ٢٤,٤	٢٣٨,٠٠٠ ٨٥٥,٢١	٠,٩ ٢١,٤
(٦) العراق البحرين	١٥,٠٧٧,٩٧٦ ١,٣٥٢,٨٧٦	٧,٣٧٩,٩٧٨ ٧٣٧,٩٧٨	٤٨,٦ ٥٤,٦	٢,٢٤٣,٤٣ ٢٢٤,٤٣	٢٩,٢ ٤٣,١
(٧) الكويت قطر	١,٣٥٢,٨٧٦ ٤١٠,٠٤٩	٧٣٧,٩٧٨ ١,٧٦٨,٥٣	٥٤,٦ ٤٣,١	١٠٢,٠٠٠ ٤٢,٣	٠,٢ ٤,٣

(*) بيانات غير متاحة .

الى اجمالى السكان وصفاتهم الديموغرافية تختلف باختلاف المجتمعات وخصائصها ومستويات التنمية بها ، فان خصائص البطالة تماثل ذلك الى حد كبير، فمن الواضح أن الهيكل العمرى للسكان يسهم فى مقدار مساهمتهم فى الانتاج ، ففى سن التعليم يحجم كثير من الافراد عن الدخول فى سوق العمل حتى يتفرغوا للعلم والتدريب تمهيدا للمساهمة فى قوة العمل مستقبلا ، كذلك يتقاعد الافراد عن العمل فى أعمار معينة تختلف باختلاف الحالة العملية وقوانين العمل والمقدرة الجسمانية والذهنية . ونقل مساهمة الاناث عن الذكور بحكم طبيعة وظيفتهن فى المجتمع واضطرابهن احيانا للتفرغ للعمل المنزلى بعد الزواج ، كما تختلف مساهمة السخان فى قوة العمل باختلاف البيئة نظرا للتفاوت بين الريف والحضر واختلاف نمط الحياة بينهما .

ورغم تباين الدول العربية فى حجم القوة العاملة ومدىها العمرى ، فنها تتجانس فى نسبة السكان الذين يعرفون (بالنشيطين اقتصاديا) والذين يمثلون ذلك القطاع الذى يقع بين سن الخامسة عشرة والرابعة والستين ، فهى تزيد قليلا عن نصف السكان (يبليغ متوسطها نحو ٥٤%) ، أما قطاع الصغار دون الخامسة عشرة وهم رصيد القوة العاملة فى المستقبل فتصل نسبته الى نحو ٤٣% من جملة السكان (جدول رقم ٩١) وعلى ذلك فالمجتمع العربى مجتمع فتى فى تركيبه العمرى ، ويبدو ارتفاع نسبة الصغار به اذا قورنت بالعالم (٣٤%) أو بالدول الاكثر تقدما (حوالى ٢٠% فقط) ، وقد ترتب على ذلك تدنى نسبة الكبار وانخفاض العمر النوسيط والذى وصل الى حوالى ١٧ سنة مقابل ٢٢ سنة للعالم ككل ونحو ٣٠ سنة للدول الاكثر تقدما .

وفى ضوء هذا التركيب العمرى ، فان نسبة الاعالة النظرية فى العالم العربى تصل الى مستويات عالية ، ذلك لان كل مائة من السكان فى سن العمل يسهمون فى اعالة ٨٥ من الصغار والكبار معا ، (مقابل ٥٤% فى الدول الاكثر تقدما، ٦٧% فى العالم) وتصل نسبة الاعالة الحقيقية الى ثلاثة أمثال النسبة النظرية ، وبمعنى آخر فان كل مائة من العاملين فعلا يعملون نحو ثلاثمائة من السكان غير العاملين .

ويعيش العالم العربى فى الوقت الحاضر مرحلة تحول ديموغرافى واقتصادى واجتماعى انعكست على التغيير فى خصائص القوة العاملة ومجالات الانشطة الاقتصادية التى تسهم فيها ، ولعل أبرز مظاهر التغيير هو انخفاض أهمية الزراعة كوسيلة للعيش مما أنقص فرص العمل بالنسبة للعمال اليامشين والموسمين فى أعمار العمل المبكرة وكذا كبار السن . وقد انخفضت نسبة العاملين فى الزراعة منذ منتصف الستينيات فى معظم الاقطار العربية وبدرجات متفاوتة ، ففى الفترة من ١٩٦٥ الى ١٩٨٠ شهدت

جدول رقم (٩١)
فئات السن الكبرى في العالم العربي والعالم
(% من جملة السكان سنة ١٩٨٣) (١)

الفئة	أقل من ١٥ سنة	من ١٥ - ٦٤	٦٥ فأكثر	العمر الوسيط بالسنة
العالم العربي	٤٣	٥٤	٣	١٧
الدول الأكثر تقدما	٢٢	٦٥	١٣	٣٠
العالم	٣٤	٦٠	٦	٢٢

الجزائر أكبر انخفاض في تلك النسبة حيث هبطت من ٥٧% الى ٣١% ونسبة هبوط بلغت ٤٦% ، وتلتها سوريا والعراق (من ٥١% الى ٣١%) وينسبة ٤٠% ثم المغرب (من ٦١% الى ٤٦%) وتونس (من ٤٩% - ٣٥%) ثم مصر (من ٥٥% - ٤٦%) والسودان (من ٨٢% الى ٧١%) ، وقد شهدت هذه الدول تزييدا في نسبة العاملين في الصناعة والخدمات بنسب متفاوتة هي الاخرى .

وقد أظهرت البيانات المتاحة أن معدلات الاسهام في النشاط الاقتصادي تتفاوت حسب النوع تفاوتا كبيرا يوضحه الجدول رقم (٩٢) ، فترتفع نسبة الذكور العاملين الى جملة السكان الذكور في دول مجلس التعاون الخليجي حيث تزيد هجرة العمالة الوافدة لتصل الى ثلاثة أرباع الذكور في الامارات وثلثي عددهم في قطر وأكثر من نصفهم في الكويت ، ويختلف الامر بالنسبة لبقية الدول التي تتراوح نسبة الذكور العاملين بها من ٣٨% الى ٤٨% من جملة السكان الذكور . أما الاناث فتتفاوت معدلات اسهامهن في القوة العاملة تفاوتا كبيرا بين الدول العربية مرتبطة في ذلك بمستويات التعليم ومكانة المرأة . ومن الواضح أن التباين في نسب الاناث العاملات اوسع بكثير من مثيله لدى الذكور ليصل الى نسبة ١ : ٤ تقريبا في الاردن ومصر على سبيل المثال .

معدلات البطالة حسب العمر :

ليس هناك تجانس في معدلات البطالة العمرية للذكور والاناث في الدول العربية . ومع ذلك فمن الملاحظ أن هذه المعدلات غالبا ما تكون مرتفعة في الاعمار المبكرة (١٥ - ١٩ و ٢٠ - ٢٤) حيث يصل معدل البطالة الى ضعف المعدل القومي أو أكثر من ضعفه ، وما يلبث منحني

(١) المصدر :

- L'Institut National D'études Demographiques, Population et Sociétés, No. 171, Paris, 1983.
- Omran, A. R., Population of the Arab World, New York, 1980.

جدول رقم (٩٢)
معدلات المشاركة في القوة العاملة حسب النوع
في الدول العربية للسكان ١٥ سنة فأكثر (%)

الدولة	السنة	ذكور	اناث
السودان(١)	١٩٧٣	٨٩ر٦	٢١ر٧
موريتانيا(١)	١٩٨٤	٨٢ر٤	٢٨ر١
اليمن(٣)	١٩٨٤	٧٩ر٢	٨ر٣
المغرب(١)	١٩٨٢	٨٠ر٨	١٦ر٩
مصر(٣)	١٩٨٤	٧٤ر١	٥ر٧
تونس(٤،٢)	١٩٧٥	٧٢ر٨	١٧ر٠
الأردن(٣)	١٩٨٤	٦٦ر٧	٩ر٤
سوريا(٣)	١٩٨٤	٨٣ر١	٩ر٨
لبنان(٣)	١٩٨٤	٦٧ر١	٢٠ر٥
الجزائر(١*)	١٩٨٢	٨٠ر٦	٦ر١
عمان(٣)	١٩٨٤	٧٤ر٦	١٠ر٣
العراق(٣)	١٩٨٤	٧٥ر٦	١٥ر١
السعودية(٣*)	١٩٨٤	٧٣ر٤	٩ر٥
الكويت(٣*)	١٩٨٤	٦٤ر٦	١١ر١
الإمارات(٣)	١٩٨٤	٦٧ر٥	٢ر٩
ليبيا(٤،٣)	١٩٧٣	٧٨ر٤	٦ر٩
البحرين(٣*)	١٩٨٤	٧٨ر٤	١٩ر٥
قطر(٣)	١٩٨٤	٧٣ر٤	٩ر٥

البطالة العمرى أن يتناقص بشدة مع التقدم في العمر ليصل الى أدناه في فئات السن ٤٠ - ٤٩ و ٥٠ - ٥٩ حيث يكون الذكور عاملين ، أما بعد الستين فيتدنى المعدل ليقترُب من الصفر، ولعل في بيانات التركيب العمرى النوعى للعاطلين في مصر والجزائر مايدل على ذلك (جدول رقم ٩٣) .

- (١) منظمة العمل الدولية - الكتاب الاحصائى السنوى - ١٩٨٥ .
- (٢) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية ومايتصل بها من بيانات اقتصادية واجتماعية - رقم ٤، ١٩٨٥ .
- (٣) مجلس الوحدة الاقتصادية العربية - الكتاب الاحصائى السنوى للبلاد العربية - العدد الخامس - عمان - ١٩٨٢ .
- (٤) هدى زريق وفادية سعادة - دور المرأة في تعبئة الموارد البشرية ص ١٨٧ . ضمن كتاب السكان وتخطيط وتنمية الموارد البشرية في العالم العربى - منظمة العمل الدولية وجامعة القاهرة - ١٩٨٧ - ص ١٨٧ .
- (*) السكان ٢٠ سنة فأكثر .
- (**) المواطنون فقط .

جدول رقم (٩٣)
معدلات البطالة حسب السن والنوع في مصر والجزائر

الجزائر ١٩٨٧		مصر ١٩٨٦		فئات السن
اناث	ذكور	اناث	ذكور	
-	-	١٢٦٠	٤٤١	٦ - ٩
-	-	٤٣٧	٣٨٠	١٠ - ١٤
٤٦٧٨	٦٥٥٨	٥٣٥٩	٢٠٨٨	١٥ - ١٩
١٨٦٧	٣٣٧٤	٥٥٩٤	٣٣٠٦	٢٠ - ٢٤
٧٥١	١٦٢٩	١٧٣٨	١٥٠٩	٢٥ - ٢٩
		٣٢٦	٤٨٦	٢٠ - ٣٤
٣٤٩	١٠١٧	-	٢٨٩	٣٥ - ٣٩
		-	٢٣٦	٤٠ - ٤٤
٢٧٤	١٠٤١	-	٠٧٦	٤٥ - ٤٩
		-	٠٨٩	٥٠ - ٥٤
٣٦٨	١٣٤٥	-	٠٧٩	٥٥ - ٥٩
٠٨٧	٦١٦	-	-	٦٠ +
١٣٢٥	٢٢١٩	٢٤١٤	١٠٣٩	الجملة

وبالمثل يمكن ملاحظة نمط عام لبطالة الاناث حسب العمر ، فترتفع المعدلات بدرجة كبيرة في الاعمار المبكرة (١٥ - ٢٤) حيث تكون نسبة عالية منهن غير متزوجات وأنهى الكثير منهن مراحل التعليم المتوسط أو العالى ويبحثن عن عمل ، ثم يعقب ذلك انخفاض تدريجى بحكم الظروف الاجتماعية التى تجعل كثيرا من المتزوجات في هذه المرحلة العمرية يعزفن عن العمل لرعاية اطفالهن ، وان كان المنحنى العمرى للعاطلات يبدأ في التزايد الطفيف بعد ذلك عندما يصبح عدد من الاناث ارامل أو مطلقات

(١) المصدر :

الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - تعداد السكان ١٩٨٦
نتائج العينة - المجلد الاول - خصائص السكان والاسكان - اجمالى
الجمهورية - جدول رقم ١٤ - صص ٧٥ - ٧٦ .

(2) Collections Statistiques, Recensement General de la Population et de l'Habitat, 1987, Serie Analyse Vol. I., p. 30.

مايلبثن في البحث عن عمل ، وفي أحوال أخرى يبدأ في البحث عن عمل عقب وصول أطفالهن الى سن مناسبة لا يحتاجون فيها الى تفرغ الام لرعايتهم ، وكما هي الحال في بطالة الذكور فان معدل البطالة يختلف بشدة بعد سن الستين حيث تتقاعد الاناث بعد ذلك وتكاد هذه الانماط تتكرر في كل الدول العربية دون استثناء .

وغنى عن القول أن معدلات البطالة العالية بين الاشخاص في سن العمل دون الرابعة والعشرين هي محصلة طبيعية لمعدل النمو السكاني المرتفع وغياب فرص العمل التي تواكب هذه الزيادة ، ومن هنا فان ارتفاع معدل المواليد وتدنى معدل الوفيات أدى الى زيادة أعداد السكان في سن العمل المبكرة بمعدل فاق القدرة الاستيعابية لسوق العمل في كثير من الاقطار العربية .

ولا تشذ دول الخليج العربية عن النمط السائد للتعطل العمري النوعي الذي سبق ذكره ، فقد شهدت هذه الدول نموا اقتصاديا مرتفعا خلال السبعينيات خاصة في النصف الثاني منها . وترتب على ذلك انخفاض معدلات التعطل للخليجيين الى حدودها الدنيا ، فلم يتجاوز معدل التعطل الاجمالي الخمسة في المائة في الامارات والكويت (جدول رقم ٩٤) ، وترتفع

جدول رقم (٩٤)
معدلات البطالة حسب السن للقوى العاملة المواطنة
في بعض دول مجلس التعاون الخليجي (%) (١)

فئات السن	الامارات العربية ١٩٨٠	البحرين ١٩٨١	الكويت ١٩٨٣
١٥ - ١٩	٩١	٤٦٫٩	١٨٫٨
٢٠ - ٢٤	٤٢	١٦٫٤	٥٫٠
٢٥ - ٢٩	٢٢	٦٫١	١٫٥
المجموع	٤٤	١٩٫٢	٤٫٣
٣٠ فأكثر	٢٦	٣٫٠	٠٫٥
المجموع	٣٣	١١٫٥	٣٫٤

(١) المصدر :

المعهد العربي للتخطيط بالكويت واللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - سيامات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - الكويت - ١٩٨٦ - ص ١٤٥ .

هذه المعدلات في فئة العمر ١٥ - ١٩ سنة حيث تتراوح من ٩ - ٣٥٪ (باستثناء البحرين سنة ١٩٨١) ثم في الفئة ٢٠ - ٢٤ سنة ، أي في الفئات التي تشهد الانتقال من التعليم الى الدخول في سوق العمل ، وبمعنى اخر فان ارتفاع هذه المعدلات في الاعداد الميكرة يعكس التسرب من التعليم وبدون مباشرة النشاط الاقتصادي. ويؤكد هذا الاستنتاج التوزيع النسبي للمتغطلين حسب حالة التغطل حيث شكل المتغطلون الجدد أكثر من ٧٠٪ في كافة التعدادات الكويتية ، وما يفوق عن نصف اجمالي المتغطلين في البحرين سنة ١٩٨١ .

معدلات البطالة حسب النوع :

تتفاوت معدلات البطالة حسب النوع بين الدول العربية تفاوتاً كبيراً ، ويبدو التباين واضحاً في معدلات بطالة الاناث أكثر منه في معدلات الذكور وبين ذلك الجدول رقم (٩٥) . وتظهر بيانات هذا الجدول أن الحد الأقصى لمعدل بطالة الذكور يصل الى أكثر قليلاً من خمس حجم القوة العاملة في الجزائر وأكثر قليلاً من العشر في كل من المغرب ومصر . وفيما عدا هذه الدول الثلاث تنخفض المعدلات بشكل واضح في بقية الدول خاصة دول الخليج النفطية . ومعنى ذلك أن هناك شخصاً عاطلاً من كل خمسة أشخاص من الذكور في سن العمل بالجزائر مقابل شخص من بين كل عشرة أشخاص في مصر والمغرب ، وشخص من كل ثلاثين في سوريا والاردن ، وينخفض المعدل الى شخص واحد من بين كل مائة شخص في دول الخليج العربية وربما يرجع المعدل المرتفع في الجزائر الى تعريف العاطل كما ورد في تعداد مارس ١٩٨٧ حيث اعتبر العاطلين هم هؤلاء الافراد الذين يصل سنهم الى ١٦ سنة فأكثر ولم يسبق لهم العمل ويبحثون عنه وكذلك الافراد الذين سبق لهم العمل ولكنهم بدون عمل وقت التعداد .

أما التباين في معدلات البطالة للاناث فهو أوسع مدى من الذكور ، فيصل الى أقل من واحد في المائة في العراق والى ٢٤٪ في مصر والاردن ، ومن المعروف أن اعتبار المرأة داخل قوة العمل في معظم الاقطار العربية دون الواقع بكثير ، وذلك لان نسبة كبيرة من العاملات لدى ذويهن بدون أجر في المناطق الريفية يتم استبعادهن من القوة العاملة مما يؤدي الى انخفاض اسهام الاناث في القوة العاملة وبالتالي تناقص عدد العاطلات منهن ، الا أنه من الواضح أن عدد الاناث الباحثات عن عمل لأول مرة قد تزايد في الدول العربية في العقد الاخير لانهن يمثلن في الواقع الاضافة العددية للبطالة في البلاد بسبب النمو السكاني من ناحية وماتضيفه المعاهد

التعليمية بمستوياتها المختلفة من خريجات يضمن الى سوق العمل باستمرار فعلى سبيل المثال تزايد عدد الاناث العاطلات في الجزائر من ٢٣٣١٠ امرأة في تعداد ١٩٧٧ الى ٦٥٢٦٠ امرأة في تعداد ١٩٨٧ و زاد معدل البطالة لديهن من ١١٤٪ الى ١٣٢٪ في التعدادين المذكورين على الترتيب وفي مصر تزايدت أعداد العاطلات من ٢٩٣٠٠٠ أنثى سنة ١٩٧٦ الى ٨٥٣٠٠٠ سنة ١٩٨٦ ، وارتفع معدل البطالة لهن من ٢٩٧٪ الى ٤٠٦٪ من جملة القوى العاملة (٦ سنوات فأكثر) في التعدادين المذكورين على الترتيب .

جدول رقم (٩٥)
معدلات البطالة حسب النوع في بعض الدول العربية (١)

الدولة والسنة	معدل الذكور (%)	معدل الاناث (%)
المغرب ١٩٨٢	١٢ر٠٠	١١ر٩٠
مصر ١٩٨٦	١٠ر٣٩	٢٤ر١٤
الاردن ١٩٨٤	٣ر٧٠	٢٣ر٨٠
سوريا ١٩٨٤	٣ر٠٠	١ر٤٠
الجزائر ١٩٨٧	٢٢ر١٩	١٣ر٢٥
العراق ١٩٨٤	١ر٠٢	٠ر٢٤
الكويت ١٩٨٤ مواطنون	٣ر٤٠	٢ر٤٠
غير مواطنين	٠ر٧٠	٢ر٢٠
الامارات ١٩٨٤ مواطنون	١ر٠٠	٢ر٣٠
غير مواطنين	٠ر١٠	٠ر٦٠
البحرين ١٩٨٤	١ر٤٧	٠ر٨٢

والملاحظ على تطور معدلات البطالة حسب العمر في العقدين الاخيرين

(١) المصدر:

- ١ - الامم المتحدة - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - كشوفات البيانات الديموغرافية ومايتصل بها من بيانات اقتصادية واجتماعية - بغداد - ١٩٨٥ .
- ٢ - ج.م.ع : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - تعداد ١٩٨٦ .
- ٣ - المغرب : النشرة الاحصائية السنوية للمغرب - ١٩٨٧ .
- ٤ - الجزائر : الديوان الوطني للاحصائيات - الجزائر بالارقام - نشرة ١٩٨٩ .

أنها شهدت تغيرا واضحا حسب كل فئة عمرية نوعية ، ولعل من أبرز مظاهر هذا التغير أن فئات السن الدنيا ٦ - ٩ ، ١٠ - ١٤ سنة قد شهدت انخفاضا ملحوظا في معدلات البطالة للذكور والاناث معا ، ولعل في مصر مثال واضح على ذلك فيما بين تعدادي ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ كما تبين أرقام الجدول رقم (٩٦) . ويبدو من هذا الجدول أن انخفاض النسبة في هذه

جدول رقم (٩٦)
التغير في معدلات البطالة العمرية النوعية في
الفترة ٧٦ - ١٩٨٦ في جمهورية مصر العربية(١)

فئات السن	ذكور		اناث	
	١٩٨٦	١٩٧٦	١٩٨٦	١٩٧٦
٦ - ٩	٣٦٠٧	٤٤١	٨٠٠٣	١٢٦٠
١٠ - ١٤	١٥٨٧	٣٨٠	٤٤٨٠	٤٣٧
١٥ - ١٩	٨٢٤	٢٠٨٨	٢٨٨٠	٥٣٥٩
٢٠ - ٢٤	١٢٨٧	٣٣٠٦	٣٤٠٧	٥٥٩٤
٢٥ - ٢٩	٣٧١	١٥٠٩	٧٨٠	١٧٣٨
٣٠ - ٣٤	٠٨٤	٤٨٦	١٤٥	٣٢٦
٣٥ - ٣٩	٠٤٥	٢٨٩	١١٣	-
٤٠ - ٤٤	٠٤٤	٢٣٦	١٣٩	-
٤٥ - ٤٩	٠٤٤	٠٧٦	١٣٩	-
٥٠ - ٥٤	٠٥٥	٠٨٩	٢٠٠	-
٥٥ - ٥٩	٠٦١	٠٧٩	٢٤٩	-
٦٠ - ٦٤	٠٥٤	-	٢٧٦	-
الجملة	٥٥٧	١٠٣٩	٢٩٧٣	٤٠٦

الاعمار المبكرة مرتبط باتجاه هذه الفئات الى الاستمرار في التعليم بمراحله المختلفة والعزوف عن الانخراط في سوق العمل مبكرا . وبالمقابل زادت معدلات البطالة بشكل واضح بين التعدادين في الاعمار الوسطى من ١٥ - ٤٥ للذكور و ١٥ - ٣٠ للاناث اللاتي يبدو معدلهن العام مرتفعا ليصل الى

(١) المصدر : الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - تعداد السكان والاسكان - ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ .

تحو ربع حجم القوة العاملة النسائية . وقد انحصرت معدلات البطالة لهن في السن ٦ - ٣٤ سنة فقط حيث تظهر الارقام - مع فرض دقتها أنه لا توجد بطالة بين الاناث بعد هذه السن . وقد يكون ارتفاع هذا المعدل في الفئات الوسطى من الاناث راجعا الى تعريف البطالة وفق التعريف الدولي لها والتي شملت السكان الذين لا يعملون ويبحثون عن عمل وقت التعسداد . ولاشك أن الاناث بعد سنوات الزواج المبكرة قد يبحثن عن عمل بعد ذلك مما يعكس ارتفاع معدلات البطالة لديهن في تلك السنوات خاصة في المدى العمرى ١٥ - ٢٤ وهما الفئتان اللتان غالبا ماتكن نسبة المتزوجات عالية بهما وتكثُر المرأة في ذلك الوقت قد أنجبت وتميل الى العمل خارج منزلها مما ينعكس على ارتفاع عدد العاطلات منهن في تلك السن المتوسطة .

ويأتى تفاقم مشكلة البطالة في الاقطار العربية والتغير في معدلاتها العربية متفقا مع الظواهر الديموغرافية خاصة معدلات النمو السكاني الكلى خلال العقود الاخيرين ، فقد أدت الزيادة في حجم القوى العاملة من خلال تصاعد الوزن النسبى لفئة السن ١٥ - ٦٤ سنة (في مصر مثلا ارتفعت نسبة السكان في هذه الفئة العريضة من ٥٤% سنة ١٩٦٠ الى ٦٣% سنة ١٩٨٦) الى تزايد حجم العمالة والبطالة معا خاصة في ضوء التناقص في فرص العمل المتاحة في سوق العمل .

وكما سبق القول فان معدلات العمالة والبطالة تتأثر الى درجة ما بنفس الظروف السائدة في المجتمع ، ويرغم أنه يبدو واضحا أن زيادة في العمالة تحدث نقصا معادلا لها في البطالة الا أن ذلك لا يحدث تلقائيا بل ان البطالة حين تزيد فقد ينسحب بعض العاطلين من صفوف القوة العاملة (مثل الفئات الصغرى ٦ - ١٤) وبذلك لايسهمون في رفع معدلات البطالة العمرية النوعية والكلية .

النمو السكاني والبطالة :

يتصف العالم العربى بصفات الدول النامية في مستويات النمو الطبيعى للسكان ، فبعد أن ظلت معدلات النمو ثابتة تقريبا في عقدى الخمسينيات والستينيات ما بين ٢% - ٢.٥% سنويا ، مالبتت أن تزايدت في عقدى السبعينيات والثمانينيات لتصل الى ٣% بل وأكثر من ذلك في بعض الدول العربية ، ويعكس هذا المعدل المرتفع مدى التزايد في الحجم الكلى للسكان في العالم العربى من ٧٦ر٢ مليون نسمة سنة ١٩٥٠ الى ٩٧ر٣ مليون سنة ١٩٦٠ ثم الى ١٩٦ مليون سنة ١٩٨٦ .

ومن الواضح أن معدلات النمو السكاني في العالم العربي تعد من أعلى المعدلات في العالم ، وتدل على أن الدول العربية تعيش في قلب مرحلة التحول الديموغرافي التي تمر بها دول كثيرة في العالم النامي ، وقد نجم ذلك كما هو معروف عن ارتفاع معدلات المواليد والتي تزيد عن ٤٠ في الالف سنويا في معظم الدول العربية وذلك مقابل انخفاض معدلات الوفيات الى النصف تقريبا خلال نحو عشرين عاما بسبب تحسن الاوضاع الصحية حتى أصبحت تدور حول ١٤ في الالف تقريبا. وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال ارتفاع في معدلات النمو الطبيعي ومن ثم تزايد مطرد في أعداد من هم في سن العمل .

ويبين الجدول رقم (٩٧) اتجاهات النمو السكاني ومعدلات نمو القوة

جدول رقم (٩٧)

معدل نمو السكان والقوة العاملة بالدول العربية (١٩٨٠ - ٢٠٠٠) (١)

الدولة	عدد السكان (بالمليون)		معدل النمو السكاني %		معدل نمو القوة العاملة %	
	١٩٨٦	٢٠٠٠	١٩٨٠ - ١٩٨٦	١٩٨٠ - ٢٠٠٠	١٩٨٠ - ١٩٨٥	١٩٨٥ - ٢٠٠٠
السودان	٢٣	٣٤	٢٨	٢٩	٢٨	٢١
موريتانيا	٢	٣	٢٦	٢٨	٢٧	٣١
اليمن	١٠	١٥	٢٨	٢٩	٢٧	٣٣
المغرب	٢٢	٣٠	٢٥	٢٢	٢٧	٢٧
مصر	٥٠	٦٧	٢٧	٢٢	٢٦	٢٧
تونس	٧	١٠	٢٣	٢٢	٣١	٢٨
الأردن	٤	٦	٣٧	٣١	٤٤	٤٢
سوريا	١١	١٧	٣٥	٣٣	٣٥	٤٠
الجزائر	٢٢	٣٣	٣١	٢٩	٣٦	٣٧
عمان	١	٢	٤٧	٣٢	٥٢	٢٧
العراق	١٦	٢٧	٣٦	٣٦	٣٧	٤٠
السعودية	١٢	٢٠	٤١	٣٨	٤٤	٣٥
الكويت	٢	٣	٤٤	٢٩	٦٢	٣٥
الإمارات	١	٢	٥٦	٢٨	٥٢	٢١
ليبيا	٤	٦	٣٩	٣٦	٣٧	٣٥
الجملة	١٨٧	٢٧٥	-	-	-	-

(١) المصدر : البنك الدولي للإنشاء والتعمير - تقرير عن التنمية في العالم - ١٩٨٨ - جدول رقم ٢٧ ، جدول رقم ٣١ .
(*) لايشمل لبنان لعدم توفر بيانات عنها ، كما لايشمل جيبوتي والبحرين وقطر .

العاملة في العالم العربي ، ومن الواضح أن معدلات النمو السكاني ستظل مرتفعة ، وإذا استمرت على ما هي عليه في منتصف الثمانينيات فسقودى الى تضاعف حجم السكان في فترة تتراوح بين ٢٥ - ٣٥ سنة ، وفي ضوء التقديرات المناسبة عن الجوانب الديموغرافية الاساسية (الخصوبة - الوفيات - الهجرة) فانه يمكن تقدير سكان العالم العربي بحوالى ٢٨٠ - ٣١٠ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ .

وقد قدر عدد السكان في سن العمل (الطاقة البشرية) في العالم العربي بحوالى ٩٥ مليون نسمة في منتصف سنة ١٩٨٣ ، ويزدادون سنويا بمعدل يصل الى ٣٪ سنويا ، بينما قدرت القوة العاملة بحوالى ٤٤ مليون نسمة ، ويبدو من البيانات المتاحة أن قطاع الزراعة مازال هو القطاع الرئيسى الذى يضم أكبر نسبة من العمالة في معظم الاقطار العربية تزيد عن ٤٠٪ ورغم أن الزراعة لاتسهم بأكثر من ٧٪ من الناتج المحلى الاجمالى ، الا أنها مسؤولة في الوقت ذاته عن أكثر من ٤٠٪ من الزيادة السنوية للعمالة الكلية ، في حين أن تضخم العمالة في قطاع الخدمات لايكس بالضرورة تطورا متناسقا في البنية الاقتصادية أو الاجتماعية نظرا لارتباط هذا القطاع ببعض الفروع الطفيلية غير المنتجة . أما القطاع الصناعى فمازال يحتل المركز الاخير كمصدر لتشغيل الايدى العاملة .

ويتضح مما سبق ومن الجدول رقم (٩٧) أن الطاقة البشرية ستستمر في الزيادة بمعدلات مرتفعة تقدر بما يتراوح بين ٣ - ٣.٥٪ سنويا خلال عقد التسعينيات ، ويقدر بعض الباحثين استمرار هذا النمط حتى منتصف القرن القادم على الاقل . أما الزيادة في قوة العمل فلن تقل عن معدلات الزيادة في الطاقة البشرية ، ولاشك أن معدلات نموها في المستقبل ستعتمد على التغير في معدلات الاسهام في قوة العمل خاصة مشاركة المرأة في العمالة وكذلك على مدى الاعتماد على العمالة غير العربية في دول الخليج العربية .

وتعد البطالة وارتفاع مستوياتها من أبرز نتائج النمو السكاني في العالم العربي وكذلك تزايد نسبة الذين يدخلون سوق العمل عاما بعد عام، وقد شهدت الدول العربية ذات الحجم السكاني الكبير نسبيا مثل مصر والسودان وسوريا والمغرب ظهور البطالة بمعدلات عالية ، ليس فقط للبطالة الكاملة بل البطالة الجزئية أو المقنعة . فبالرغم من أن هناك مايقرب من ١٨٪ من مجموع القوة العاملة المصرية تعمل خارج مصر ، فان البطالة قد بدأت في الظهور بشكل سافر منذ الستينيات كما توضح أرقام الجدول رقم (٩٨) حيث وصل معدل الزيادة السنوية للعاطلين الى نحو أربعة أمثال معدل

النمو السكاني في الفترة التعدادية الاخيرة ، وتزداد هذه الظاهرة بشكل حاد بين شباب الحضر أكثر منها بين شباب الريف كما سيتضح في الصفحات التالية :

جدول رقم (٩٨)

نمو السكان والقوى العاملة والبطالة في مصر (١٩٦٠ - ١٩٨٦) (١)
(معدل النمو % سنويا)

عدد السكان بالالف		القوة العاملة بالالف		العاطلون	
التعداد	العدد	معدل النمو	العدد	معدل النمو	العدد
١٩٦٠	٢٥٨٤٦	-	٧٨٢٢	-	١٧٤٠٠٠
١٩٧٦	٣٦٦٢٦	٢٫٢	١١٠٣٧	٢٫٢	٨٤٧٠٠٠
١٩٨٦	٤٨٢٠٥	٢٫٨	١٣٦٧٨	٢٫٢	٢٠١٢٠٠٠

وتبعا للتقرير الاقتصادي الموحد سنة ١٩٨٤ ، فان جملة العاطلين عن العمل الى جملة السكان ذوى النشاط الاقتصادي قد بلغت ١٢٪ في المغرب وتونس مما يدل على وجود أكثر من مليون عاطل عن العمل في هذين القطرين وحدهما ، أما في السودان فيذكر التقرير أن سوق العمل الداخلية غير قادرة على استيعاب أكثر من ١٢٪ من حجم الباحثين عن العمل، وفي سوريا تدل البيانات أنه في عام ١٩٨٢ تم تعيين ٢٠٪ فقط من عدد الباحثين عن العمل الذين تم تسجيلهم في مكاتب التشغيل السورية في هذا العام .

ورغم أن الدول العربية المستوردة للعمالة تسهم في استيعاب نسبة ليست قليلة من القوة العاملة من الدول العربية الاخرى الا أن الطلب على العمالة الفائضة لا يخضع لسياسة ثابتة أو منتظمة في هذه الاقطار. فقد شهد بعضها عدم تناسق بين العرض والطلب للموارد البشرية مما سيؤدي الى الانتقال من مرحلة البطالة المقنعة داخل القطاع الحكومي بها الى البطالة المكشوفة لمواطني البلاد المستوردة للعمالة، ويبدو أن هذه الظاهرة قد بدأت في الظهور منذ أوائل الثمانينيات .

(١) المصدر :

الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - تعدادات السكان في السنوات ١٩٦٠ ، ١٩٧٦ ، ١٩٨٦ .
جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - البطالة في مصر - القاهرة - ١٩٨٨ - صص ٥١٤ - ٥٨٤ .

ورغم أن دولاً عربية قد بدأت في اتباع سياسة رسمية لضبط النمو السكاني مثل مصر وتونس ، فإن نتائج هذه السياسة لم يظهر أثرها بعد على حجم القوة العاملة ولا على انخفاض معدلات البطالة ، ومن ثم اتسع الفرق الزمني بين فترة الممارسة لتحديد النسل وبين نتائج تلك الممارسة على التوتة العاملة ، فإذا قدر مثلاً أن سنوات ١٩٩٠ - ١٩٩٣ ستشهد توسعاً أكبر في استخدام وسائل تنظيم الأسرة وأن التحول الاجتماعي والاقتصادي سيزيد الوعي بالمشكلة السكانية وضرورة الحد منها عند كل أسرة فإن نتائج ذلك لن تؤدي إلى تخفيض معدل زيادة القوى العاملة قبل سنة ٢٠٠٨ - ٢٠١١ مثلاً ، ولذلك يتعين على المجتمع توفير فرص عمل بأعداد متزايدة حتى هذا التاريخ .

ألفو السكاني ومعدلات التعتل :

سبق القول أن العالم العربي يعيش في الوقت الحاضر مرحلة انتقال ديموغرافي ترتبط في المقام باستمرار ارتفاع معدلات الخصوبة مع هبوط معدلات الوفيات ، ومن ثم تزايد معدلات النمو الطبيعي وأعداد من هم ن سن العمل . ويبدو تأثير النمو السكاني مباشرة في التركيب العمري - النوعي للعاطلين من خلال تركيز البطالة في صغار السن (١٥ - ٢٤) من ناحية وارتفاع نسبة البطالة بين الاناث وظهور فوارق واضحة بين معدلات البطالة في الحضر والريف من ناحية أخرى .

وتد تبين مما سبق أن نسبة البطالة في فئة صغار السن تتجاوز ضعف معدل البطالة القومي في بعض الدول العربية مثل مصر والجزائر واليمن والمغرب ، وتتشابه هذه الاقطار في ذلك مع بقية الدول النامية حيث تبين من دراسة شملت ٢٠ دولة أن البطالة تتركز في فئة صغار السن وبين شعبيين على وجه الخصوص ، ويعكس هذا التركيز للبطالة عدم توافق فئة صغار السن داخل الاطار الكلي للسكان نتيجة للتحول الديموغرافي الذي ارتبط بارتفاع معدلات الخصوبة وأثر بالتالي في التوزيع العمري للسكان لصالح فئات صغار السن أو المعالين الصغار .

ومن أبرز الاسباب الاخرى التي أدت الى تركيز البطالة في فئات صغار السن في الدول العربية ذلك التوسع الكبير والسريع في التعليم غير المخطط تخطيطاً سليماً والذي نجم عنه عدم وجود فرص مناسبة يعمل بها الخريجون .

أما الارتفاع الكبير لمعدل بطالة الاناث في الاعمار المبكرة (١٥ - ٢٤)

فيمكن تعليله بتحيز سوق العمل لصالح الذكور تجنباً لمشكلات تشغيل الاناث الخاصة بأجازات الوضع وتربية الاطفال فضلاً عن خلل الهيكل التعليمي للاناث ، فرغم ارتفاع نسبة الامية لدى الاناث أكثر منها لدى الذكور، فإنه في بعض الدول العربية مثل مصر تزيد نسبة الاناث الحاصلات على شهادات متوسطة أو دون المتوسطة عن الذكور ، هذا بالإضافة الى اعتبارات الحالة الزوجية للمرأة العاملة حيث تبين ارتفاع نسبة البطالة بين غير المتزوجات مقارنة بالنسبة المناظرة للمتزوجات .

الهجرة والبطالة :

تعد الهجرة من العمليات الديموغرافية الهامة التي تؤثر في القوة العاملة والبطالة . وللهجرات السكانية في العالم العربي أنماط مختلفة أبرزها الهجرة الداخلية خاصة من الريف للحضر ، والهجرة الخارجية للعمالة من دول التضخم السكاني الى دول الخليج النفطية وليبيا . ورغم أن بعضاً من الباحثين ينظر للهجرة كعامل من عوامل تخفيف المستويات البطالة السائدة في بعض الدول العربية مثل مصر والسودان والاردن وتونس ، فإن تأثيرها يبدو قليلاً وذلك في ضوء التزايد المستمر في حجم القوة العاملة وانخفاض المقدرة الاقتصادية لتلك الدول على امتيعاب الاعداد المتزايدة من المستجدين في سوق العمل .

وإذا كانت الهجرة تعتمد في حجمها وتياراتها على ما يعرف بعوامل الطرد وما يقابلها من عوامل جذب في منطقتي الاصل والوصول ، وأن من نتائجها الاقتصادية توفير القوة العاملة الملائمة والمتنوعة في المهجر فإن ذلك لاينطبق الا على فئات محددة من المهاجرين الذين تحتاجهم سوق العمل ، وتبقى قطاعات كبيرة من المهاجرين في أعمال هامشية أو بلا عمل ، وتبدو تلك الظاهرة بوضوح فيما يترتب على الهجرة من الريف للحضر من تزايد في أعداد العاطلين بالمدن خاصة في الدول التي تمثل الهجرة الداخلية بها مكوناً هاماً من مكونات النمو الحضري كما في مصر والسودان وسوريا وتونس والمغرب .

أما الهجرة الخارجية فإن تأثيرها يختلف عن ذلك حيث يتباين عدد المهاجرين وخصائصهم وفق دول الاستقبال من ناحية والقواعد التي تفرض على تشغيل العمالة الوافدة من ناحية أخرى ، فدول النفط الخليجية مثلاً اتبعت منذ سنوات سياسة الانتقاء الهجري المقنن واتجهت اليها أعداد من العاملين الذين يكونون قطاعاً هاماً من المدربين وحاملى الشهادات وهؤلاء لا يخفون من أعباء البطالة في بلادهم الاصلية بقدر ما يمثلون استنزافاً

ننقول على الأرجح ، ولكن ذلك يختلف مع الهجرة الخارجية نحو العراق وليبيا حيث تقل القيود المفروضة على العمالة العربية الوافدة حتى أصبح معظم المهاجرين يمثلون قطاعات من العمالة الدنيا أو الوسطى وقد يحدثون نوعا من البطالة في المهجر أكثر من تخفيف مستويات البطالة في بلادهم الاصلية . وفي مصر مثل واضح على ذلك ، فلم تقتصر ظاهرة الهجرة الخارجية على تخفيف فائض الايدي العاملة بل الذى حدث هو أن أعلى الكفاءات البشرية في مصر وأكثرها تدريبا فضلا عن العمالة ذات المهارات المتوسطة قد هاجرت الى دول النفط ، ومعنى ذلك أن هذه الهجرة لم تخفف من وطأة البطالة ولكن الذى حدث أنها حرمت مصر من أفضل ما لديها من عقول وأيد عاملة مما تسبب في اختلال توزيعات القوة العاملة وحالتها المهنية والتعليمية والتدريبية وما ترتب على ذلك من آثار سلبية على سياسات استخدامها وبالتالي تحقيق التوازن بين العرض والطلب .

الهجرة الداخلية والبطالة :

تمثل الهجرة الداخلية أحد مكونات النمو السكاني في أقاليم الدولة ، وترتبط بمجموعة من العوامل المتشابكة التي تعكس في النهاية عدم التوازن الاقليمي ومدى الخلل في توزيع الثروة بين الاقسام الادارية داخل الدولة ودالة للتباين بين أقاليم الغنى والفقير سواء على مستوى المحافظات والاقضية أو بين الريف والحضر .

وإذا كانت بيانات الهجرة محدودة للغاية في التعدادات العربية وغاية ما يمكن الحصول عليه هو صافي الهجرة المتراكم في مكان العد حتى تاريخ إجراء التعداد ، وبعض الخصائص النوعية للمهاجرين ، فإن بيانات البطالة بين المهاجرين غير واردة بها - ربما باستثناء الجزائر وتونس - ويصبح الوقوف على العلاقة بين الهجرة والبطالة أمرا مرهونا بالمسوح الاحصائية التي أجرتها بعض الدول .

ورغم أن الهجرات الداخلية ذات أنماط عدة وتيارات متقاطعة فإن نمطها الرئيسى هو النمط المباشر أو نمط القفزة الكبرى من الريف الى الحضر وخاصة العاصمة ، وهى أكثر أنماط الهجرة تأثيرا بالبطالة في مناطق الاصل وتأثيرا فيها في مناطق الوصول ، وتنعكس نتائجها في المدن الكبرى على البطالة الكلية أو الجزئية أو الهامشية .

وتمثل العواصم العربية دون منازع أقطاب الجذب الهجرى الرئيسية

في أقطارها ، وتتباين نسبة المهاجرين الداخليين من عاصمة لاخرى وان كانت السيطرة للمدن الكبرى ، حيث تتركز بها أعلى نسبة من المهاجرين الوافدين . ففي القاهرة والجيزة معا على سبيل المثال يتركز نحو ٤٠% من جملة المهاجرين الداخليين في مصر ، واذا أضيفت اليها بقية القاهرة الكبرى لارتفعت النسبة الى النصف . وتزداد هذه الظاهرة بشكل واضح للغاية في بعض العواصم الاخرى - خارج نطاق دول النفط في شبه الجزيرة العربية - حتى أن مدينة عمان الكبرى استحوذت بمفردها على نحو ثلثي حجم الهجرة الداخلية في الاردن سنة ١٩٧٩ (الضفة الشرقية فقط) واستحوذت الخرطوم على نحو ٧٠% من مجموع الهجرة الكلية للمراكز الحضرية في السودان ، وهذه المراكز عددها ستة تستقبل نحو ٦٥% من جملة المهاجرين الداخليين في الدولة . وتقل النسبة في بعض العواصم الاخرى مثل دمشق التي استحوذت على نحو ربع حجم الهجرة المحلية في سوريا سنة ١٩٧٠ . وفي تونس اتجه أكثر من نصف عدد المهاجرين الذين تم عددهم في تعداد ١٩٦٦ نحو محافظة تونس بمفردها .

وقد اقترنت الهجرة الداخلية في معظم الاقطار العربية بدوافع اقتصادية من أبرزها انخفاض الدخل وانتشار البطالة في الموطن الاصلى ، فقد تبين في تعداد سنة ١٩٧٦ بمصر مثلا أن البحث عن عمل كان أهم أسباب الهجرة (٢٥% من اجمالي المهاجرين وارتبط بهؤلاء المهاجرين أعداد كبيرة من المرافقين ارتفعت بالنسبة الى ٤٧.٥%) . الا أن الهجرة غالبا ما تتم من أقاليم بطالة الى مناطق أكثر معاناة منها . فقد كانت المحافظات الحضرية الرئيسية (القاهرة ، والاسكندرية والسويس والاسماعيلية) على امتداد الفترة ١٩٦٠ - ١٩٨٦ من أكثر محافظات مصر معاناة من ارتفاع معدلات البطالة . الا أن ذلك لم يمنع من تدفق حركة المهاجرين اليها طوال الفترة التعدادية المذكورة .

ويبدو من الجدول رقم (٩٩) أن معدلات البطالة في الحضر تفوق مثيلاتها في الريف سواء في مصر أو في المغرب خاصة بالنسبة للذكور ، أما الاناث فلا تتمشى معدلات بطالتهن مع ذلك حيث يزيد المعدل في الريف عنه في الحضر وذلك للتوسع في الخدمات التعليمية في الريف والزيادة السكانية التي تدفع بأعداد كبيرة منهن في سوق العمل لأول مرة .

ويبدو الانتقاء العمري النوعي في معدلات البطالة في المناطق الحضرية حيث تتركز بطالة الذكور والاناث معا في فئة السن ١٥ - ٢٤ بمعدلات عالية ثم ماتلبث أن تنخفض مع التقدم في السن (جدول رقم ١٠٠) .

جدول رقم (٩٩)
الفوارق الحضرية والريفية للبطالة في مصر والمغرب
(المعدلات % من القوة العاملة) (١)

النوع	مصر ١٩٨٦			المغرب ١٩٨٢		
	حضر	ريف	جملة	حضر	ريف	جملة
عدد المتعطلين (بالآلف)						
ذكور	٥٦٢	٥٩٦	١١٥٩	٢٣١٦٠٧	٢٨٤٥٢٥	٥١٦١٣٢
اناث	٤٦٤	٣٨٨	٨٥٣	٩٠٦١١	٣٥٤٣٩	١٢٦٠٥٠
جملة	١٠٢٧	٩٨٥	٢٠١١	٣٢٢٢١٨	٣١٩٩٦٤	٦٤٢١٨٢
المدل (% من القوة العاملة)						
ذكور	١٠٩	٩٣	١٠٠	١٣ر٢	١١ر١	١٢ر٠
اناث	٣٤ر٨	٥٠ر٤	٤٠ر٦	١٦ر٥	٧ر٠	١١ر٩
جملة	١٥ر٨	١٣ر٧	١٤ر٧	١٤ر٠	١٠ر٥	١٢ر٠

وتتكرر الفوارق الحضرية الريفية للبطالة في دول عربية أخرى منها موريتانيا على سبيل المثال والتي ترتفع معدلات البطالة بها في المدن أكثر من الريف ، كما يتركز العاطلون في فئة السن ١٥ - ٢٥ سنة ، فقد وصل معدل البطالة القومي الى ١٤% سنة ١٩٧٧ ، وبلغ أعلى معدل في العاصمة نواكشوط (٢٨ر٥%) وتيرس زمور (٢٣ر١%) ونواذيبو (١٧ر٣%) . ويرجع ذلك كما هو متوقع الى تزايد حجم الهجرة الداخلية الوافدة الى هذه الاقاليم الثلاثة والتي تتوفر فيها أسباب الجذب الهجري وفرص العمل والتعليم والصحة . وقد أظهرت بيانات التعداد سنة ١٩٧٧ أن ثلثي السكان الذين تم عددهم في هذه الاقاليم كانوا من المهاجرين الوافدين .

وقد أظهرت بيانات مسح أجرى في الفترة من سبتمبر - ديسمبر سنة ١٩٧٩ أن المعدل العالي للبطالة في موريتانيا والذي بلغ ١٤% من حجم

(١) المصدر :

- ١ - ج ٥٠م - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - تع داد السكان والمساكن - ١٩٨٦ - النتائج الأولية .
- ٢ - الملائمة المغربية - النشرة الاحصائية السنوية للمغرب - ١٩٨٧ - ص ٢٤ .

القوة العاملة قد نتج عن عوامل أبرزها التحضر المرتفع وتوطين البدو، وكذلك تزايد حجم القوة العاملة بسبب النمو السكاني وتزايد مخرجات التعليم وارتفاع معدلات الهجرة الوافدة .

جدول رقم (١٠٠)
معدلات البطالة في حضر مصر والمغرب
حسب السن والنوع (% سنة ١٩٨٤) (١)

فئات السن	مصر		المغرب	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث
١٥ - ٢٤	١٩ر٩	٤٤ر١	٢٤ر٦	٣٠ر٣
٢٥ - ٣٤	٦ر٤	٧ر١	١١ر٥	٢٠ر٣
٣٥ - ٤٤	٠ر٣	صفر		
٤٥ - ٥٩	٠ر٤	٠ر٢	٧ر٩	١٥ر٠
الجملة(*)	٥ر٥	١٤ر٢	١٦ر٦	٢٣ر٨

الهجرة الدولية والبطالة :

إذا كانت الهجرة الدولية تسهم - ولو بقدر محدود - في تخفيض معدلات البطالة في الاقطار المصدرة للعمالة الا أنها تؤدي الى تغيير تركيب القوة العاملة في الدول المستقبلة . ولا تتوفر بيانات تفصيلية تفيد في تحليل هذه الظاهرة الا في بعض دول الخليج النفطية والتي تسهم العمالة الوافدة فيها بأكثر من نصف حجم القوة العاملة بل وتقترب في البعض الاخر من ثلاثة أرباع القوة العاملة .

وقد أدت الهجرة الوافدة على منطقة الخليج الى التأثير في نسبة التعطل بين القوى العاملة الوطنية . وربما كانت الكويت مثالاً على ذلك ، فقد بلغت نسبة البطالة بين المواطنين ٦٧٪ من جملة القوة العاملة سنة

(١) المصدر :

الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - مسح القوى العاملة

١٩٨٤ - ٥ = : البطالة في مصر - ص ١٠٤ .

Ei-Yazidi, E., Analysis of Underemployment in Urban Morocco, 1984, C.D.C. Annual Seminar, 1988, Research Monograph Series

No. 18, p. 436.

(*) بيانات السن للحضر فقط ، أما الجملة فهي للحضر والريف معا .

١٩٦٥ ارتفعت الى ٨٩٪ في تعداد ١٩٧٠ ، الا أنها أخذت تنخفض بعد ذلك حتى وصلت الى ٦٨٪ في تعداد ١٩٧٥ والى ٤٩٪ في تعداد ١٩٨٠ ثم الى ٢٤٪ فقط وفق نتائج بحث القوة العاملة سنة ١٩٨٣ .

والواقع أن التغير في حجم صافي الهجرة كان أحد العوامل الرئيسية التي أثرت على نسبة البطالة تلك ، فقد صاحب ارتفاع حجم صافي الهجرة من ١١٧١٣٤ نسمة في الفترة التعدادية (١٩٦٠ - ١٩٦٥) الى ١٤٣٨٨٩ نسمة في الفترة (١٩٦٥ - ١٩٧٠) ارتفاع في نسبة البطالة للقوة العاملة الموطنة من ٦٩٪ في تعداد ١٩٦٥ الى ٨٩٪ في تعداد ١٩٧٠ ومن ناحية أخرى فقد لوحظ أن انخفاض حجم صافي الهجرة بين تعدادي ١٩٧٠ - ١٩٧٥ الى ٨٦١٢٦ نسمة صاحبه انخفاض في نسبة البطالة بين المواطنين الى ٦٨٪ في تعداد ١٩٧٥ .

غير أنه رغم ارتفاع حجم صافي الهجرة في الفترة التعدادية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) الى ١٥٣٣٢٩ نسمة فإن نسبة البطالة بين المواطنين واصلت انخفاضها الى نحو ٤٩٪ في تعداد سنة ١٩٨٠ وما بعده . وكان ذلك نتيجة للسياسة السكانية الجديدة التي اتبعتها البلاد للحد من قدوم الوافدين مما أثر على انخفاض حجم صافي الهجرة الى حوالي ٩١٠٠٠ نسمة . وبالإضافة الى ذلك فقد وضعت الحكومة قيودا على التعيينات الجديدة للوافدين خاصة في القطاع الحكومي مما أثر على انخفاض نسبة البطالة بين المواطنين لنحو ٢٤٪ وفق نتائج بحث القوة العاملة بالعينة سنة ١٩٨٣ ، وذلك كله بالإضافة الى وجود عوامل أخرى تؤثر في نسبة البطالة بين المواطنين مثل تفضيل نوع معين من الاعمال وغير ذلك .

التركيب التعليمي للعاطلين :

رغم أنه لا تتوفر بيانات كافية عن التركيب التعليمي للعاطلين في العالم العربي ، فإن المتاح من هذه البيانات عن بعض الدول يعطى صورة عن العلاقة بين التعليم والبطالة واتجاه العلاقة في معظم الدول العربية ، ففي مصر على سبيل المثال ، تنخفض نسبة العاطلين الاميين ثم تتزايد بالتدرج بالتقدم في مراحل التعليم لتصل أقصاها في التعليم المتوسط ، ففي تعداد ١٩٧٦ بلغ عدد العاطلين أكثر من نصف مليون نسمة (٥١٣٤٠٠) بزيادة قدرها ٣٤٦٨٠٠ نسمة عما كانوا عليه في تعداد ١٩٦٠ ، وقد بلغ نصيب المؤهلين النسبي حوالي ٧٨٪ من جملة الزيادة في عدد المتعطلين خلال هذه الفترة ، ومن ثم تبرز حقيقة هامة في اتجاه التركيب التعليمي للمتعطلين وهي أن البطالة المشاهدة تتجه سريعا الى أن تكون

بطالة متعلمين في المقام الاول حتى أصبحت نسبة البطالة داخل قوة العمل المؤهلة تفوق كثيرا مثيلتها داخل قوة العمل غير المؤهلة .

وبالإضافة الى ماسبق فان تعاضم سرعة نمو معدل البطالة للمؤهلين بدرجة تفوق معدل نمو البطالة لغير المؤهلين قد أدى الى ارتفاع نمبي للفئة الاولى من جملة العاطلين حيث زادت من ٢٤ر١% عام ١٩٦٠ الى ٦٠ر٣% عام ١٩٧٦ ، وذلك على الرغم من ضالة النصيب النسبي للمؤهلين داخل قوة العمل حيث لم يتعد هذا النصيب ٨ر٣% عام ١٩٦٠ وارتفع الى ٢١ر٥% عام ١٩٧٦ .

كذلك فان معدلات النمو السنوية للبطالة بين الاناث المؤهلات تفوق المعدلات المناظرة بين المؤهلين من الذكور ، وقد أدى ذلك الى ارتفاع النصيب النسبي للاناث من جملة المتعلمين المؤهلين من ١٨ر٢% سنة ١٩٦٠ الى ٣٤% سنة ١٩٧٦ .

وترجع ظاهرة بطالة المتعلمين في مصر الى منتصف الستينيات عندما استشعرت الدولة مخاطر هذه المشكلة وتبنت سياسة تعيين الخريجين، وفي ضوء مجانية التعليم تزايد عدد المتحقيين بمراحل التعليم المختلفة وتزايدت بالتالي أعداد الحاصلين على شهادات متوسطة وجامعية . ورغم التوسع في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية مما أدى الى استيعاب أعداد كبيرة من العمالة الجديدة المؤهلة الا أن الفجوة بين عدد الخريجين وعدد العاملين منهم تزايدت ومن ثم تصاعدت أعداد العاطلين من حملة الشهادات المتوسطة والجامعية . ففي السنوات الست (١٩٧٥/٧٤ - ١٩٨٠/٧٩) كان هناك أكثر من مائة ألف شخص حصلوا على شهادات عالية ولم يجدوا عملا . وازداد الفارق في الثمانينيات بدرجة كبيرة ، فعلى امتداد الفترة من ١٩٨٣/٨٢ حتى ١٩٨٧/٨٦ بلغ عدد الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا ٦٦٤١٠٠ خريجا لم يعمل منهم سوى ١٨٣٤٠٠ خريجا في الحكومة والقطاع العام منذ سنة ١٩٨٢ . ويمثل فائض الخريجين ٤٨٠٦٠٠ شخصا يمثلون تقريبا حجم بطالة المتعلمين في مصر والذين تخرجوا من جامعات ومعاهد عليا منذ سنة ١٩٨٣/٨٢ حتى سنة ١٩٨٧/٨٦ .

ويكاد النمط السائد في اتجاه بطالة المتعلمين في مصر يتكرر في الدول العربية الاخرى ، فقد توسعت الدول العربية في التعليم وتزايدت أعداد الخريجين من التعليم المتوسط أو العالي ولم يصحب ذلك توسع مماثل في فرص العمل ، حتى أصبحت نسبة الاميين العاطلين أقل من نسبة المتعلمين العاطلين . ويوضح الجدول رقم (١٠١) مقارنة بين مصر والجزائر في هذا

جدول رقم (١٠١)
التوزيع النسبي للمواطنين في مصر والجزائر
حسب الحالة التعليمية والنوع (%) (١)

الجزائر	مصر							
	١٩٨٧	١٩٧٦	١٩٦٠					
جملة	اناث	ذكور	جملة	اناث	ذكور	جملة		
٣١٠١	١٨٠٠	٣٢١	٢٧١	١١٨	٣٢٢	٤٦٠	٦٣٤	٤١٧
٣١	٠	٣٣	١٢٦	٦٤	١٤٧	٢٩٨	١٤٨	٣٣٦
٥٦٩	٦٢٤	٥٦٥	٤٧٠	٦٢٢	٤٢٠	٢٠٢	١٧٣	٢٠٩
٧٧	١٥٢	٧٢	٢٧٢	٣٧	١٧	٠	١٥	٥
١٠	٣٨	٠	١١٠	١٥٨	٩٤	٣١	٣٠	٣١
١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
								الجملة

(١) المصدر :

ج ٢٠٤ - الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان سنة ١٩٦٠ (جدول رقم ٣١)
وسنة ١٩٧٦ (جدول رقم ١١) *

Office National des Statistiques : Collections Statistiques, Recensement General de la Population et de l'Habitat
1977, Serie Analyses, Vol. I.

المجال ومنه يبدو التشابه في الثقل النسبي لبطالة المتعلمين خاصة حملة المؤهلات المتوسطة وفوق المتوسطة والتي بلغت نحو ثلثي عدد العاطلين في كل من البلدين في عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٧ على الترتيب .

ويتكرر نمط بطالة المتعلمين واتجاهه المتصاعد في دول الخليج العربية النفطية بشكل أو بآخر ، فيبدو من التوزيع النسبي للمتعللين حسب الحالة التعليمية (جدول رقم ١٠٢) ارتفاع نسبة المتعللين من حملة الشهادات المتوسطة ودون المتوسطة فقد تراوحت هذه النسبة في بداية الثمانينيات من ١٧ر٥% من جملة العاطلين في الامارات الى ٣٩% في الكويت الى ٤٦% في البحرين . وقد فاقت نسب الاناث مثلتها لدى الذكور بفارق كبير حيث بلغت نسبتهن ٥٢% و ٦٢% و ٤٣% على الترتيب مقابل ١٦ر٥% و ٣٧% و ٥٩% للذكور على الترتيب أيضا .

وتشير البيانات المتاحة أن أزمة «خريجين» بدأت تظهر في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية منذ بداية الثمانينيات بشكل خاص لتشمل الجنسين معا وان كانت الخريجات أقل حظا في دخول سوق العمل من الخريجين ، فقد بلغت نسبة المتعللات الحاصلات على «شهادة جامعية» ٢٣% في الامارات وحوالي ١٠% في الكويت سنة ١٩٨٥ و ١١% في البحرين سنة ١٩٨١ وذلك مقابل ٢ر٤% و ١ر٤% و ١ر٨% للذكور في هذه الدول على الترتيب .

وعلى العموم فان التغير في التركيب التعليمي للعاطلين في العالم العربي وتزايد مستويات البطالة لدى المتعلمين قد ارتبط بما طرأ على المجتمع العربي من تقدم ملحوظ في عملية التعليم . فرغم أن نسب الامية مازالت عالية في معظم الاقطار العربية (٨٥% في اليمن و ٨٠% في موريتانيا و ٧٤% في السودان و ٤٩% في مصر) الا أنها شهدت انخفاضا كبيرا وينسب متفاوتة في كل الاقطار العربية خلال العقدين الاخيرين . وترتب على ذلك زيادة نسبة المقيدين في المراحل التعليمية المختلفة وزيادة عدد المؤهلين بشهادات متوسطة وعالية سواء للذكور أو الاناث ، ويمكن القول أن ظاهرة بطالة المتعلمين ستستمر في التزايد اذا لم تنجح المجتمعات العربية في استيعابها وتبني سياسات متكاملة للوصول بها الى حدودها الدنيا .

جدول رقم (١٠٢)
التوزيع النسبي للمتعلّمين حسب الحالة التعليمية والنوع
في بعض دول مجلس التعاون الخليجي (١)

الكويت		البحرين		الامارات		الحالة التعليمية
١٩٨٠	١٩٧٥	١٩٨١	١٩٨٠	١٩٧٥		والنوع
الذكور :						
٤٣ر٣	٥٧ر٦	٢٥ر٤	٥٥ر٩	٧٥ر٩		أمسى
١٨ر٢	٢٤ر٢	٢٣ر٣	٢٥ر٢	١٧ر٣		يقراً ويكتب
٣١ر٨	١٦ر٨	٣١ر٦	١٢ر٣	٤ر٩		ابتدائية واعدادية
٥ر٣	١ر٢	١٧ر٨	٤ر٢	١ر٤		ثانوية ودون الجامعية
١ر٤	٠ر٢	١ر٨	٢ر٤	٠ر٥		جامعية فما فوق
١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠		الجملة
الانثاء :						
٣١ر٢	٥٠ر١	٣٦ر٢	٩ر٦	٤٠ر٨		أميسة
٦ر١	٧ر٧	١٨ر٠	١٥ر٤	٣ر٧		تقرأ وتكتب
٤٣ر٧	٣٠ر٢	١٩ر٩	١٥ر٣	٢٢ر٢		ابتدائية واعدادية
١٩ر١	١٠ر٩	٢٣ر٩	٣٦ر٦	٢٩ر٦		ثانوية ودون الجامعية
٩ر٩	١ر١	١٠ر٩	٢٣ر١	٣ر٧		جامعية فما فوق
١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠		الجملة
المجموع :						
٤١ر٨	٥٧ر٤	٣١ر٥	٥٤ر٥	٧٥ر٤		أمسى
١٧ر٤	٢٣ر٧	٢٠ر٢	٢٥ر٠	١٧ر١		يقراً ويكتب
٣٢ر٧	١٧ر٢	٢٥ر٠	١٢ر٤	٥ر٢		ابتدائية واعدادية
٦ر٢	١ر٥	٢١ر٤	٥ر١	١ر٨		ثانوية ودون الجامعية
١ر٩	٠ر٢	١ر٨	٣ر٠	٠ر٥		جامعية فما فوق
١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠		الجملة

(١) المصدر : تقديرات الاسكوا اعتمادا على المسوحات والتعدادات الرسمية ، عن : اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الاسكوا) - سياطات الاستخدام وانتقال العمالة العربية - بغداد - ١٩٨٦ - صص ١٤٩ - ١٥٠ .

خاتمة

رغم نقص البيانات المتاحة عن البطالة في الاقطار العربية وتباينها فان هناك سمات مشتركة عامة للابعاد الديموغرافية لهذه الظاهرة في معظم هذه الاقطار . فمن الواضح أنها مشكلة حادة يصل حجمها الى أكثر من عشر القوة العاملة في بعض الدول كبيرة الحجم السكاني نسبيا مثل مصر والمغرب والجزائر والسودان وتونس ، بينما تنخفض في الدول صغيرة الحجم السكاني المستوردة للعمالة وهى دول النفط الخليجية وليبيا .

وترتفع معدلات البطالة العمرية ارتفاعا كبيرا بين الاشخاص في سن العمل المبكرة (١٥ - ٢٤) ويرجع ذلك لعوامل من أهمها تزايد أعداد السكان الذين يدخلون سوق العمل سنويا بسبب الزيادة الطبيعية التي تفوق الزيادة في فرص العمل المتاحة . ورغم أن معدلات البطالة لدى الاناث تفوق مثلثتها لدى الذكور فانها تتباين بشدة بين الدول العربية مرتبطة في ذلك بمستويات التعليم ومكانة المرأة وبمعايير ثقافية واجتماعية أخرى .

وتبدو مستويات البطالة مرتفعة في المناطق الحضرية عنها في المناطق الريفية وقد جاء ذلك في الواقع مواكبا لتزايد ظاهرة التحضر التي تشهدها الاقطار العربية وهيمنة العواصم على هجرة السكان الداخلية الى حد كبير . فقد شهدت المدن العربية الكبرى تنمية اقتصادية واجتماعية جعلتها أقطابا قوية للجذب الهجرى مما أدى الى تدفق أعداد كبيرة من سكان المناطق الريفية في سن الشباب بحثا عن عمل .

وبالإضافة الى ماسبق فان نمط التركيب التعليمي للعاطلين متشابه الى حد كبير في معظم الاقطار العربية ، فتنخفض معدلات البطالة بين الاميين بينما تزداد بين المتعلمين لتصل أقصاها لدى حملة الشهادات المتوسطة خاصة لدى الاناث . وقد أصبحت مشكلة بطالة المتعلمين من المشكلات الحادة في كثير من الدول العربية بل بدأت تظهر أيضا في بعض دول الخليج النفطية وهى التى توسعت في الخدمات التعليمية لسكانها توسعا كبيرا في العقدين الاخيرين .

المراجع والمصادر الرئيسية

أولاً - المراجع والمصادر العربية :

- ١ - البنك الدولي للإنشاء والتعمير - تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩١ - ترجمة مؤسسة الاهرام - القاهرة - ١٩٩١ .
- ٢ - تومبسون و. ولويس د. : مشكلات السكان - ترجمة راشد البراوى مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ١٩٦٨ .
- ٣ - جمال حمدان : شخصية مصر - (ج ١ - ٤) عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٤ .
- ٤ - جمال حمدان : جغرافية المدن - القاهرة - ١٩٥٩ .
- ٥ - جامعة القاهرة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - البطالة في مصر - القاهرة - ١٩٨٨ .
- ٦ - الجمهورية الجزائرية - الديوان الوطنى للاحصائيات - الجزائر بالارقام - نشرة - ١٩٨٩ .
- ٧ - الجمهورية العربية اليمنية - التعداد العام للمساكن والسكان - فبراير - ١٩٨٦ .
- ٨ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : زيادة السكان في جمهورية مصر العربية وتحدياتها للتنمية - القاهرة - ١٩٦٦ .
- ٩ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : حركة السكان داخل الجمهورية العربية المتحدة - القاهرة - ١٩٦٧ .
- ١٠ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء - التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٨٦ - القاهرة - ١٩٨٧ .
- ١١ - الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء : مجموعة الاحصاءات الحيوية للجمهورية العربية المتحدة - من سنة ١٩٣٠ - يوليو - ١٩٦٨ .

- ١٢ - جورج د. باركلي : أساليب تحليل البيانات السكانية (مترجم)
القاهرة - ١٩٦٨ .
- ١٣ - حافظ ستهم - الانسان والمكان - ضمن كتاب جامعة تونس -
العمران والتنمية في تونس - تونس - ١٩٨٤ .
- ١٤ - حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين ديموغرافيا وجغرافيا -
عمان - ١٩٨٥ .
- ١٥ - حسن محمد حسين : البحث الاحصائي - أسلوبه وتحليل نتائجه -
القاهرة - ١٩٦٤ .
- ١٦ - حسين أنور خليل - قياس الهجرة الداخلية في ج.م.ع ١٩٧٦ -
١٩٨٦ - رسالة ماجستير غير منشورة - الجامعة الاردنية - يونية
١٩٩١ .
- ١٧ - رياض طباره : السكان والموارد البشرية والتنمية في العالم العربي
اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - النشرة السكانية -
ع ٢٠ - ١٩٨١ .
- ١٨ - عبد الرعوف فضل الله - لبنان : دراسة جغرافية - دار النهضة
العربية - بيروت - ١٩٨٦ .
- ١٩ - عبد الفتاح محمد وهيب : في جغرافية السكان - دار النهضة العربية
بيروت ، ١٩٧١ .
- ٢٠ - فتحى محمد أبو عيانة : مشكلات السكان في الوطن العربي -
بيروت - ١٩٨٦ .
- ٢١ - فتحى محمد أبو عيانة : جغرافية سكان الاسكندرية - مؤسسة
الثقافة الجامعية - الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
- ٢٢ - فتحى محمد أبو عيانة : مدخل الى التحليل الاحصائي في الجغرافيا
البشرية - بيروت - ١٩٨٦ .
- ٢٣ - فتحى محمد أبو عيانة : سكان البحرين ، ضمن كتاب «دولة
البحرين» ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥ .
- ٢٤ - فتحى محمد أبو عيانة : جغرافية تونس - دار المعرفة الجامعية -
الاسكندرية - ١٩٨٩ .

- ٢٥ - فتحى محمد أبو عيانة : سكان الامارات العربية المتحدة ، ضمن كتاب «دولة الامارات العربية المتحدة» دراسة مسحية شاملة - معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٢٦ - فتحى محمد أبو عيانة : السكان والعمران الحضرى - دار النهضة العربية - بيروت ، ١٩٨٤ .
- ٢٧ - محمد السيد غلاب ومحمد صبحى عبد الحكيم : السكان: ديموغرافيا وجغرافيا ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ٢٨ - محمد صبحى عبد الحكيم : الهجرة الى القاهرة ، المجلة الجغرافية العربية ، السنة الاولى ، العدد الاول ، ١٩٦٨ .
- ٢٩ - محمد عبد الغنى سعودى : هجرة العمالة فى شرقى افريقيا، المجلة الجغرافية ، السنة الخامسة ، العدد الخامس ، ١٩٧٢ .
- ٣٠ - محمد محمد سطيحة : دراسات فى علم الخرائط - دار النهضة العربية - بيروت - ١٩٧٢ .
- ٣١ - منصر الرومى والمنجى بشير : الوضع الديموغرافى وآفاقه المستقبلية ضمن كتاب : جامعة تونس - العمران والتنمية فى تونس - تونس - ١٩٨٦ .
- ٣٢ - المملكة الاردنية الهاشمية - التعداد العام للمساكن والسكان - النتائج الرسمية للمحافظات - ١٩٨٤ .
- ٣٣ - المملكة المغربية - النشرة الاحصائية السنوية للمغرب - ١٩٨٧ .
- ٣٤ - موسى سمحه - أنماط الهجرة واتجاهاتها فى جنوب غربى آسيا - خلال السبعينيات - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربى آسيا - الهجرة الدولية فى العالم العربى - ١٩٨٥ .
- ٣٥ - نادر فرجانى : الهجرة الى النفط - الطبعة الاولى - بيروت - ١٩٨٣ .
- ٣٦ - هيئة الامم المتحدة : المبادئ العامة للبرامج القومية للاسقاطات السكانية كعامل مساعد فى تخطيط التنمية ، ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٣٧ - هيئة الامم المتحدة : العوامل الديموغرافية والقوة البشرية، ترجمة المركز الديموغرافى بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

- ٣٨ - هيئة الامم المتحدة : تعمر السكان ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية
ترجمة المركز الديموغرافي بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٣٩ - هيئة الامم المتحدة : منظمة العمل الدولية - الكتاب الاحصائي
السنوي - ١٩٨٥ .
- ٤٠ - هيئة الامم المتحدة : اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا -
كشوفات البيانات الديموغرافية ٠٠٠ بغداد - ١٩٨٥ .

ثانيا - المراجع والمصادر الافرنجية :

1. Abou-Aianah, F. M. et al. "Geographic Variations of Fertility Rates in Arab Countries" Bull. of Fac. of Arts, Alex. Univ., Vol. XXV-1971.
2. Abou-Aianah, F. M. "Internal Migration in Egypt" Bulletin de la Société de Géographie d'Egypte, 1973.
3. Atlaseco; Atlas économique Mondial 1985., Paris, 1985.
4. Ackerman, E. A. "Population and Natural Resources", the Study of Population, edited by : Hauser, P. M. and Duncan O., Chicago. 1959.
5. Ackerman, E. A. "Geography and Demography", The Study of Population, edited by : Hauser, P. M. and Duncan O., Chicago, 1959.
6. Beaujeu-Garnier, J. (Mme) Geography of Population Translated by Beaver, S. H., Longmans, London, 1968.
7. Birks J. and Sinclair C., International Migration in the Arab World, Kuwait, 1978.
8. Blake G. H. "Israel : immigration and Dispersal of Population", Populations of the Middle East and North Africa, edited by Clarke, J. and Fisher, W. B. London, 1972.
9. Bogue, D. J. "Internal Migration", The Study of Population, edited by Hauser, P. M. and Duncan, O., Chicago, 1959.
10. Boute, J. M., "Exploratory Analysis of Data Concerning Indians and Pakistanis in Africa", Population of Tropical Africa, edited by Calldwell, J. C., and Okonjo, C., London, 1968.
11. Cairo Demographic Center; Annual Seminar, 1988, Research Monograph Series, No. 18. Cairo, 1989.
12. Chaption, J. and Stewart, P. "Population Densities around the Clock". Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H. and Kohn, C., Chicago, 1969.
13. Clarke, J. Population Geography, Pergamon Press, London, 1969.
14. Clarke, J. and Fisher, W. Population of the Middle East and North Africa, London, 1972.
15. Coale, A. J. "Estimates of Fertility and Mortality in Tropical Africa", The Population of Tropical Africa, edited by Calldwell, J. and Okonjo, C., London 1968.

16. Conning, A. W. "Latin American Fertility Trends", International Population Conference, Liège, 1975.
17. Davis, K. "The Origin and Growth of Urbanization in the World", Readings in Urban Geography, edited by Mayer, H. and Kohn, C., Chicago, 1969.
18. Duncan, O. D. "The Measurement of Population Distribution", Population Studies, No. 1., 1957.
19. Europa Publications Limited, The Europa Yearbook, 1987.
20. Fisher, W. B. "Lebanon : an ecumenical Refuge", Population of the Middle East and North Africa, edited by Clarke, J. and Fisher, W. London, 1972.
21. George, M. V. Internal Migration in Canada, Ottawa, 1970.
22. George. P. Géographie de la Population, que sais-je ?, 1187, Paris, 1973.
23. Gerard, M. et Henry L. "La Mortalite Infantile en France suivant le Méliu Social", International Population Conference, Liege, 1973.
24. Gibbs, J. P. (ed) Urban Research Methods, N. J. 1967.
25. Gregory S. Statistical Methods and the Geographer, London, 1971.
26. Haggett, P. Geography : A Modern Synthesis, New York, 1972.
27. Hall, P. The World Cities, London, 1972.
28. Harris, C. "A Functional Classification of Cities in the United States", Geogr. Rev. 33. 1943.
29. Hawley, A. H. "Population Composition", The Study of Population, edited by Hauser, P. and Duncan O., Chicago, 1959.
30. Huntington, E. Principles of Human Geography, New York 1951.
31. Insitut. National d'Etudes Demographiques, (INED) Population et Sociétés, 1982-1992.
32. Kassab, A. et Sethom, H., Géographie de la Tunisie , Tunis, 1980.
33. Kirk, D. "Major Migrations Since World War I." Population Geography, A Reader, edited by Demko, G. et al., New York, 1970.
34. Kormos, I. B. and Kosinski, L. "Population Mapping" Inernational Geographical Union, Bruges, 1973.
35. Lebon, J. An Introduction to Human Geography, London, 1969.

36. Leo, E. S. "Theory of Migration", Population Geography, edited by Demko, G. et al., N. Y., 1970.
37. Lowry, J. World Population and Food Supply, London, 1971.
38. Monkhouse, F. J. and Wilkinson, H. Maps and Diagrams, London, 1961.
39. Omran, A. R., Population of the Arab World, New York, 1980.
40. Perpillou, A. Human Geography, London, 1971.
41. Population Council, Reports on Population and Family Planing, No. 15 January, 1974.
42. : Population and Development Review, Vol. 9, No. 2, June 1983.
43. Republique Algerienne : Collections Statistiques Recensement General de la Population et de l'Habitat, 1987.
44. Romaniul, A. "Infertility in Tropical Africa", The Population of Tropical Africa, Caldwell, J. and Okonjo, C., (eds), London, 1968.
45. Thompson, W. and Lewis, D. Population Problems, McGrawahill Book Company, New York, 1965.
46. Trewartha, G. "The Case For Population Geography", And. of Assoc. of Amer. Geogr., 1953, Vol. XLIII.
47. Tugault, Y. "Les Migrations Internationales", Population, Juin, 1974.
48. U. N. O. : Population Bulletin of the United Nations, No. 7, 1963, New York, 1965.
49. U. N. O. : Demographic Yearbook, several years.
50. U. N. O. : Methods of Analysing Census Data on Economic Activities of the Population, New York, 1968.
51. U. N. O. The Determimant, and Consequences of Population Trends, New York, 1953.
52. U. S. Department of Commerce, Bureau of the Census, World Population, 1977.
53. The World Almanac and Book of Facts, New York, 1990.
54. Zelinsky, W. A. Prologue to Population Geography, Prentice-Hall, Inc., London, 1970.

٩٢/٤٨٢٧	رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
I S. B. N 977-5116-81-3	الترقيم الدولي

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع حمزة - الإسكندرية - الاكسفورد
تليفون ٨٠٣٢٥٠